

مَوْسُوعَةُ الْعَلَامَةِ  
اِبْرَاهِيمَ خَلِيلُوت

المجلد الثاني

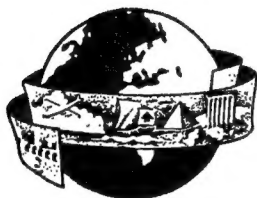
دار الكتب الميمنية  
بيروت

دار الكتب المصرية  
القاهرة

0180863



Bibliotheca Alexandrina

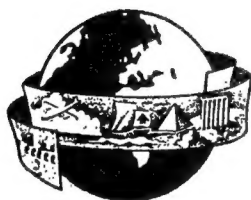


## دَارُ الْكِتَابِ الْمِصْرِيِّ

طَبَاعَة - نَشْر - تَوْزِيْع

٣٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج. م. ع.  
تلفون: ٣٩٢٢١٦٨ / ٣٩٢٤٣٠١ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)  
ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - برفسأ، كتنامصر  
FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



# دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريسبول  
تلفون: ٧٢٥٧٧٢ - ٧٢٥٧٧٣ - فاكسميلي: ٣٥١٤٣٣ (٩٦١١)  
برقيا: داكلبان - ص.ب. ١٧/٨٢٢٠ - بيروت - لبنان

FAX. (9611) 351433

A.T.: MR. HASSAN EL- ZEIN





سَيِّدُ الْعَالَمَةِ

أَبْنُ خَلْدُونِ

الْجُلَّةُ الثَّانِي

I.S.B.N. 977 - 238 - 031 - 5

|  |  |  |
|--|--|--|
| <b>دار الكتاب اللبناني</b><br>شارع منام كوري - مقابل فندق بريستول<br>لحمون ٧٥٧٧٦١ - ٧٧٥٧٢٢ - فاكسميلي ٧٥٥٧٢٢ (٩٦٨)<br>بصرية، لبنان - ص.خ. ١٩٨٣٠ - بيروت - لبنان<br>FAX (0611) 581433<br>ATT: MR. HASSAN EL-ZEH | <b>جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للدار</b> | <b>دار الكتاب المصري</b><br>٢٢ شارع قصر النيل - القاهرة ج.ج<br>تلفون ٢٩٢٢١٧٨ / ٢٩٢٢١٧٩ - فاكسميلي ٢٩٢٢١٧٩ (٢٠٢)<br>ص.خ. ١٩١ - بورسعيد - ١٥٨ - ب.ق.أ.، ش.ك.مصر<br>FAX (202) 3924857<br>ATT: MR. HASSAN EL-ZEH |
|--|--|--|

طبعة مزينة ومنقحة

١٩٩٩ م  
A.D. 1999

١٤٢٠ هـ  
H. 1420

تَارِيخُ الْعَلَامَةِ

# ابْنُ خَلْدُون

كتابُ العِبَرِ وَدِيوانُ المَبْشَدِ أَوِ النَجْمِ  
فِي أَيَّامِ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ وَالْبَرْقِ وَمَنْ عَاصَرَهُمْ  
مِنْ ذَوِي السُّلْطَانِ الْأَكْبَرِ  
وَهُوَ تَارِيخٌ وَحِيدٌ عَصْرُهُ  
الْعَلَامَةُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ  
ابْنُ خَلْدُونِ الْمَغْرِبِيِّ

المجلد الثاني

دار الكتاب اللبناني  
بيروت

دار الكتاب المصري  
القاهرة



## كلمة الناشر

إنما الأمة برجالها الأفذاذ الذين يخوضون في بحار الفكر ويرتادون  
المجاهل ليقتنصوا لأمتهم مشاعل تسير على أضوائها ، ويرفعوا للعالم منارات  
لإشعاع وتوجيه . ومن ألع رجال الفكر والعلم صاحب الشهرة الواسعة  
أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن خلدون .

وُلد ابن خلدون في تونس وشبَّ فيها أعجوبة من أعاجيب العقل وسعة  
الاطلاع ودقة الملاحظة . وُلِّيَ الكتابة والوساطة بين الملوك في المغرب  
والاندلس . ثم انتقل إلى مصر حيث قلَّده السلطان برفوق قضاء المالكية  
ثم استقال من منصبه وانقطع إلى التدريس والتصنيف ، فكانت مؤلفاته  
من أهم المصادر للفكر العالمي . وأشهرها «كتاب العبر ودِيوان المبتدأ والخبر»  
في أيام العرب والعجم والبربر ، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ،  
وهو كتاب ضخم يقع في سبعة مجلدات . وأعظم أجزائه وأشهرها الكتاب  
الأول المسمى «مقدمة ابن خلدون» ضمنه صاحبه قواعد فلسفة التاريخ  
والاجتماع ، وتقدّم فيه الذين سبقوه وبَيَّنَ عيوبهم ، ثم وصف تطوُّر الأمم  
من البداوة إلى الحضارة ، وترقّي الشعوب في الاجتماع والدين والسياسة  
والاقتصاد والعلوم والفنون ، وتكوُّن الدُّول ونموّها وانهارها ، وطبائع  
أهل البدو والحضر وما إلى ذلك . كلُّ هذا ، بطريقة متسلسلة واسلوب  
منطقي ، وتعبير سائغ سهل لا تكلف فيه ولا تعقيد يسجع أو يبدِّع ،  
بمعرفة لا حدَّ لها ونظر ينفذ إلى الأعماق ، وتفهّم صحيح لحقيقة الوجود

الاجتماعي . ولا عجب من بعد اذا ما رأينا مقدمة ابن خلدون تطيع عبر الزمن ، في مصر والشام واوروبا ، وتوَجِّع بكاملها أو ببعض اقسامها إلى اللغات الاجنبية . ثم ان كتاب العبر ، على ما في اقسامه من تفاوت في الاجادة ، يجمع فوائد جمة ولا سيما في تاريخ البربر الذي لا يزال المرجع النفيس لمعرفة احوال المغرب في العصور الوسطى .

ولما كان لهذا الكتاب من الاهمية في عالم العلم ما اتينا على ذكره فقد رأينا من الواجب ان نقدم على طبعه مع ما يعترض ذلك العمل من مشاقّ جسام ، ومع ما يفرضه من أتعاب وأكلاف ، وذلك خدمةً للامة العربية الكريمة ، وخدمة للعلم ، ولا سيما واننا ، منذ أنشأنا « دار الكتاب اللبناني » قطعنا على انفسنا عهداً لازماً بخدمة أرباب المعرفة والاطلاع .

وقد شمرنا عن ساعد الجدّ ورحنا نسعى وراء التسخ النادرة ، ونجتهد الصفوة المباركة من رجال التأريخ والفكر والأدب للبحث والمقارنة والتحقيق ، ثم باشرنا الطبع فاخترنا له من أساليب الاتقان ما يليق بهذا الاثر الجليل .

ولكي يكون عملنا تاماً ذيلنا الكتاب بفهارس مختلفة تكون اكبر مُساعد لمن اراد الخوض في عباب هذا الم الواسع الأطراف .

وإننا ، ونحن نقَدِّم للعالم العربي بل للعالم اجمع ، كتاب العلامة ابن خلدون ، نشعر بتلك الغبطة التي يشعر بها كل مخلص ، قام بالخدمة ، كاملةً .

ولنا الامل الوطيد بأن عملنا هذا سيحوز الثقة في عالم العلم ، وسيكون خطوة واسعة في طريق التقدم والنور ، والله ولي التوفيق .

**دار الكتاب المصري**

**دار الكتاب اللبناني**

# البَابُ الرَّابِعُ

## من كتاب الأول

في البُلدان والأصهار وسائر العُمران وما يعرض في ذلك  
من الإحمال وغيره سوابق ولهاحق

## الفصل الأول

في أن الحول أقدم من المدن والأصهار وإنما تهجد ثانية عن الملك

وبيانه أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة  
التي يدعو إليها الترف والدعة كما قدمناه . وذلك متأخر عن  
البدوة ومنازعها . وأيضاً فالمدن والأصهار ذات هياكل وأجرام  
عظيمة وبناء كبير . وهي موضوعة للعموم لا للخصوص ، فتحتاج  
إلى اجتماع الأيدي وكثرة التعاون . وليست من الأمور الضرورية  
للناس التي تم بها البلوى ، حتى يكون زوعهم إليها اضطراراً ،  
بل لا بد من إكراههم على ذلك ، وسوقهم إليه مضطهدين بمصا  
الملك ، أو مرغبين في الثواب والأجر الذي لا يفي بكثرة إلا  
الملك والدولة . فلا بد في تصير الأصهار واختطاط المدن من  
الدولة والملك .

ثم إذا بُنِيَتِ المدينةُ وُكِّلَ تشييدها بحسبِ نظرٍ من شَيِّدها، وبما اقتضته الأحوالُ السماويةُ والأرضيةُ فيها؛ فعمرُ الدولة حينئذٍ عمرُها . فإن كانَ عمرُ الدولة قصيراً وقَفَ الحالُ فيها عند انتهاء الدولة وتراجَعَ عمرانها وخَرِبَتْ ، وإن كانَ أمدُ الدولة طويلاً ومُدَّتْها منفسحةٌ ، فلا تَرَالُ المصانعُ فيها تشادُ والمنازلُ الرحبةُ تكثرُ وتتعدَّدُ، ونطاقُ الأسواقِ يتباعدُ وينفسحُ، إلى أن تَتَسِعَ الحُطَّةُ وتبعدَ المسافةُ وينفِصَحَ ذرعُ المساحةِ كما وقع ببغداد وأمثالها.

ذكر الخطيبُ في تاريخه أن الحُماماتِ بَلَغَ عددها ببغدادَ لعهدِ المأمونِ خمسةً وستينَ ألفَ حمامٍ ، وكانت مُشْتِيلةً على مدُنٍ وأمصارٍ متلاصقةٍ ومتقاربةٍ تَجاوِزُ الأربعينَ ، ولم تكن مدينةً وحدها يَجْمَعُها سورٌ واحدٌ لأفراطِ المُمرانِ . وكذا حالُ القَيروانِ وقُرُوبَةِ وأَمْدِيَّةِ في المِلَّةِ الإسلاميَّةِ ، وحالُ مِصرَ القاهرةِ بعدها فيما يبلُغنا لهذا العهدِ .

وأما بعدَ انقراضِ الدولةِ المَشْتِيةِ للمدينةِ : فإنَّما أن يكونَ لنضواحي تلكِ المدينةِ وما قارَها من الجبالِ والبساتِطِ باديةً يَمُدُّها المُمرانُ دائماً ؛ فيكونُ ذلكَ حافظاً لوجودها ، ويستمرُّ عُمرها بعد الدولة كما تراه بفاسَ ومِجَايَّةَ من المغربِ ، وبِعراقِ العَجَمِ من المشرقِ الموجودِ لها المُمرانُ من الجبالِ ؛ لأنَّ أهلَ البِداوَةِ إذا انتهتْ أحوالُهم إلى غاياتِها من الرِّفَةِ والكسبِ، تدعو إلى الدَّعةِ والسَّكونِ الذي في طبيعةِ البشرِ ؛ فينزِلونَ المدُنَ والأَمصارَ ويتأهَّلونَ . وأما إذا لم يكن لتلكِ المدينةِ المؤسَّسةِ مادَّةٌ تَقِيدها



العمران بتراذف الساكن من بدوها ، فيكون انقراض الدولة خرقاً لسياجها ، فيزول حفظها ، ويتناقص عمرانها شيئاً فشيئاً ، الى أن ييلسع<sup>(١)</sup> ساكنها وتخرب ، كما وقع بمصر وبغداد والكوفة بالمشرق واليرون والمهدية وقلعة بني حماد بالمغرب ، وأماليها فتفهمه . وربما ينزل المدينة بعد انقراض محتطها الأولين ملك آخر ودولة ثانية ، يتخذها<sup>(٢)</sup> قراراً وكرسياً يستغني بها عن اختطاط مدينة ينزلها . فتحفظ تلك الدولة سياجها ، وتزايد مبانيها ومبانيها ، بتزايد أحوال الدولة الثانية وترتها ، وتستجد بعمرانها عمراً آخر ، كما وقع بفاس والقاهرة لهذا العهد . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

## الفصل الثاني

في ان الملك يدعو إلى نزول الأمصار

وذلك أن القبائل والمصائب اذا حصل لهم الملك اضطروا للاستيلاء على الأمصار لأمرين : أحدهما ما يدعو إليه الملك من النعمة والراحة وحط الأثقال ، وأستكمال ما كان ناقصاً من أمور العمران في البدو ؛ والثاني دفع ما يتوقع على الملك من أمر المنازعين والمساغبين . لأن المصر الذي يكون في نواحيهم ربما

(١) ييلسع .

(٢) أي يتخذها الملك .

يكون ملجأً لمن يرومُ منازعتهم ، والخروجَ عليهم ، وانتزاعَ ذلك الملك الذي سُموا إليه من أيديهم ؛ فيعتصمُ بذلك المصرُ ويُنايِلُهُمْ . ومُغالبةُ المصرِ على نهايةٍ من الصعوبةِ والمشقةِ . والمصرُ يقومُ مقامَ العساكرِ المتعلِّدةِ لما فيه من الامتناعِ ونكايةٍ<sup>(١)</sup> الحربِ من وراءِ الجدرانِ ، من غيرِ حاجةٍ إلى كثيرِ عددٍ ولا عظيمِ شوكةٍ . لأنَّ الشوكةَ والعصَابَةَ إِنَّمَا أُحتِيجَ إليهما في الحربِ للشبابِ ، لما يقعُ من بعدِ كثرةِ القومِ بعضهم على بعضٍ عندِ الجولةِ ، وثباتِ هؤلاء بالجدرانِ ؛ فلا يضطرونَّ إلى كبيرِ عِصَابَةٍ ولا عددٍ . فيكونُ حالُ هذا الحصنِ ، ومن يعتصمُ به من المُنازعينِ ، مما يفتُ في عَصْدِ الأُممِ<sup>(٢)</sup> التي ترومُ الاستيلاءَ ، ويخْضِدُ شوكةَ استيلائها . فإذا كانت بين أجنابهم أُمصارٌ انتظموها في استيلائهم للأمنِ ، من مثل هذا الاختِرامِ ؛ وإن لم يكن هناك مصرٌ استحدثه ضرورةً لتكميلِ عمرانهم أولاً ، وحطِّ ألقائهم ، وليكونَ شجاً في حلقهِ من يرومُ العِزَّةَ والامتناعَ عليهم من طوائفهم وعصائبهم . ففتعينَ أَنَّ المُلْكَ يدعوا إلى تَؤْلِ الأُمصارِ والاستيلاءِ عليها . واللهُ سبحانه وتعالى أعلمُ ، وبه التوفيقُ لا ربَّ سواه .

(١) نكبي العلُو نكاية : أصاب منه . وعن ابن السكيت : وقد نكيت في العدو أنكبي نكاية أي هزمته وغلبته (لسان العرب) .  
(٢) فت في عضده : كسر قوته وفرق عنه أعوانه (قاموس) .

## الفصل الثالث

فهي أن المدن العظيمة والمهاكل المرتفعة إنما يشيدها الملك الكثير

قد قدمنا ذلك في آثار الدولة من المباني وغيرها ، وأنها تكون على نسبتها . وذلك أن تشييد المدن إنما يحصل باجتماع الفعلة وكثرتهم وتعاونهم . فإذا كانت الدولة عظيمة متسعة الممالك ، حشر الفعلة من أقطارها ، وجمعت أيديهم على عملها . وربما استعين في ذلك في أكثر الأمر بالهندام الذي يضاعف القوى والقدر في حمل أثقال البناء ، لجزر القوى البشرية وضعفها عن ذلك ، كالمخال<sup>(١)</sup> وغيره . وربما يتوهم كثير من الناس إذا نظر إلى آثار الأقدمين ومصانيعهم العظيمة ، مثل إيوان كسرى ، وأهرام مصر وحنايا المعلقة وشرفال بالمغرب ، إنما كانت بقدرتهم متفرقين أو مجتمعين ، فيتخيل لهم أجساماً تناسب ذلك أعظم من هذه بكثير ، في طولها وقدرها ، لتناسب بينها وبين القدر التي صدرت تلك المباني عنها . ويقتل عن شأن الهندام والمخال ، وما اقتضته في ذلك الصناعة الهندسية . وكثير من المتفليين في البلاد يعان في شأن البناء ، واستعمال الحبل في نقل الأجرام عند أهل الدولة المتعنين بذلك من العجم ، ما يشهد له بما قلناه عياناً . وأكثر آثار الأقدمين لهذا العهد تسميها العامة عادية ، نسبة إلى قوم عاد ، لتوهمهم أن

(١) كذا بالأصول : ولم ترد هذه اللفظة في لسان العرب ، والمشهور : المخل ، وهو عند المولدين : آلة مستطيلة من حديد ونحوه ، ترفع أو تقلع بها الحجارة .

مباني عادٍ ومصانئهم<sup>١</sup> وإنما عظمت لعظم أجاسيهم وتضاعف قُدْرهم. وليس كذلك ، فقد نجد آثاراً كثيرة من آثار الذين تُعرفُ بمقادير أجاسيهم من الأمم ، وهي في مثل ذلك العظم أو أعظم ، كما وإن كبرى ومباني العبيدين من الشيعة بإفريقية ، والصنهاجيين ، وأثرهم بادٍ إلى اليوم في صومعة قلعة بني حماد . وكذلك بناء الأعاليبة في جامع القيروان ، وبناء الموحدين ، في رباط الفتح ورباط السلطان أبي سعيد لعهد أربعين سنة ، في المنصورة بإزاء تِلْسان . وكذلك الحنايا التي جلب إليها أهل قرطاجنة الماء في القناة الرابكة عليها مائلة أيضاً لهذا العهد . وغير ذلك من المباني والمياكل التي نقلت إلينا أخبار أهلها قريباً وبعيداً ، تبين أنهم لم يكونوا بإفراط في مقادير أجاسيهم . وإنما هذا رأي ولح به القصاص عن قوم عادٍ وثمود والمالقة . ونجد بُيوت ثمود في الحجر منحوتة إلى هذا العهد . وقد ثبت في الحديث الصحيح أنها بيوتهم يمرُّ بها الركب المجازي أكثرَ السنين ، ويشاهدونها لا تريد في جوارها ومساحتها وسنكها على المتعاهد . وإنهم ليبالغون فيما يعمدون من ذلك . حتى إنهم ليزعمون أن صُوح بن عناق من جيل المالقة ، كان يتناول السمك من البحر طرياً فيشويه في الشمس . يزعمون بذلك أن الشمس حارة فيما قُرب منها ، ولا يعلمون أن الحرَّ فيما لدينا هو الضوء لانعكاس الشعاع بمقابلة سطح الأرض والهواء . وأما الشمس في نفسها فقيرٌ حارٌّ ولا باردٌ . وإنما هي كوكبٌ مُضيٌّ لا يزاج له . وقد تقدّم شيء من هذا في الفصل الثاني ،

حيث ذكرنا أن آثار الدولة على نسبة قوتها في أصلها . والله يخلق ما يشاء ويخكم ما يريد .

## الفصل الرابع

ففي إن المياكل العظيمة جداً لا تستقل ببنائها الدولة الواحدة

والسبب في ذلك ما ذكرناه من حاجة البناء الى التعاون ومضاعفة القدر البشرية . وقد تكون المباني في عظيمها أكثر من القدر مفردة أو مضاعفة بالهندام كما قلناه ؛ فيحتاج الى معاودة قدر أخرى مثلها في أزمته متعاقبة إلى أن تتم . فيتبدى الأول منهم بالبناء ويعقبه الثاني والثالث ؛ وكل واحد منهم قد استكمل شأنه في حشر الفعلة وجمع الأيدي ، حتى يتم القصد من ذلك ويكمل ويكون ماثلاً للبيان . يظنه من يراه من الآخرين أنه بناء دولة واحدة .

وانظر في ذلك ما نقله المؤرخون في بناء سد مأرب ، وأن الذي بناه سبأ بن يشجب ، وساق إليه سبعين وادياً . وعاقه الموت عن إقامه ، فأنه ملوك يجير من بعده .

ومثل هذا ما نُقل في بناء قرطاجنة وقناتها الراكبة على الحنايا العادية . وأكثر المباني العظيمة في الغالب هذا شأنها . ويشهد لذلك أن المباني العظيمة لمهدنا نجد الملك الواحد يشرع في

لخسها وتأسيسها ، فإذا لم يتيسر أثره من بعده من الملوك في إقامتها بقيت بجاليها ولم يكمل القصد فيها . ويشهد لذلك أيضاً أننا نجد آثاراً كثيرة من المباني العظيمة تعجز الدول عن هديها وتخريبها ، مع أن الهدم أسير من البناء بكثير ، لأن الهدم رجوع الى الأصل الذي هو الدم ، والبناء على خلاف الأصل . فإذا وجدنا بناء تضمف قوتنا البشرية عن هدمه مع سهولة الهدم ، علمنا أن القدرة التي أسست مفردة القوة ، وأنها ليست أثر دولة واحدة . وهذا مثل ما وقع للعرب في ايوان كبرى ، لما اعتزم الرشيد على هدمه ، وبعث الى يحيى بن خالد وهو في محبس يستشيره في ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل واتركه ماثلاً ؛ يستدل به على عظم ملك آبائك الذين سلبوا الملك لأهل ذلك الهيكل ، فاتهم في النصيحة ، وقال : أخذته النعمة للعجم . والله لا صرعه . وشرع في هدمه وجمع الأيدي عليه ، واتخذ له القوس وحاه بالنار ، وصب عليه الخل ، حتى اذا أدركه العجز بعد ذلك كله وخاف الفضيحة ، بعث الى يحيى يستشيره ثانياً في التجافي عن الهدم ، فقال : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، واستمر على ذلك ، لئلا يقال : عجز أمير المؤمنين وملك العرب عن هدم مصنع من مصانع العجم ، ففرها الرشيد وأقصر عن هدمه .

وكذلك اتفق للامون في هدم الأهرام التي بمصر وجمع القلة لهدمها ، فلم يحل بطائل . وشرعوا في نقيه فانتهاوا الى جوف بين الحائط الظاهر وما بعده من الحيطان ، وهناك كان منتهى

هديهم . وهو إلى اليوم فيما يقال منقذٌ ظاهرٌ . ويَزعمُ الزاعمون أنه وجدَ رِكَازاً بين تلك الحيطان . والله أعلم .  
وكذلك حنايا المَلَكَةِ إلى هذا العهد تحتاجُ أهلُ مدينةِ تونس إلى انتخابِ الحِجَارَةِ لبنائهم وتستجيدُ الصُّنَّاعُ حِجَارَةَ تلك الحنايا ؛ فيحاولون على هديها الأيَّامَ المدينة . ولا يسقطُ الصغيرُ من جُدرانها إلا بعدَ عَصَبِ الرِّيقِ ، وتجمُّعِ له الحافِلُ المشهورةُ . شهدتُ منها في أيامِ صباي كثيراً . ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(١)</sup> .

## الفصل الخامس

فيما يجب بهلته في أوضاع المدن وما يحدث  
أنا نخل عن تلك البهلة

اعلم أن المدنَ قرارٌ تَتَخَذُهُ الأُممُ عند حصولِ الغايَةِ المطلوبةِ من التَّرفِ ودواعيه ؛ فتؤثرُ الدَّعةُ والسكونُ ، وتتوجَّهُ إلى إلحاحِ المنازلِ للقرارِ . ولما كانَ ذلك للقرارِ والمأوى ، وجَبَ أن يُراعى فيه دفعُ المضارِّ بالحماية من طوارِقها ، وجلبُ المنافعِ وتسهيلُ المرافقِ لها : فأما إلحاحُ من المضارِّ فيُراعى لها أن يُدارَ على منازلها جميعاً سياجُ الأسوارِ ، وأن يكونَ وضعُ ذلك في مُتَمَتِّعٍ من الأمَكَةِ إما على هَضْبَةٍ متوَعِّرةٍ من الجبلِ ، وإما باستدارةٍ ببحرٍ أو نهرٍ بها ، حتى لا يوصلَ إليها إلا بعدَ العبورِ على جسرٍ أو قنطرةٍ فيصعبُ

(١) الآية ٩٦ من سورة الصافات .

منالها على العنق ويتضاعف امتناعها وحسنها . ومما يُراعى في ذلك للحماية من الآفات السايوية طيب الهواء للسلامة من الأمراض . فإنّ الهواء إذا كان راكداً خبيثاً ، أو مجاوراً للمياه الفاسدة أو لناعق<sup>(١)</sup> متعفنة أو لمرّوج خبيث ، أسرع إليها<sup>(٢)</sup> العنق من مجاورتها ، فأسرّع المرّض للحيوان الكائن فيه لا محالة ، وهذا مشاهد .

والمدن التي لم يُراعَ فيها طيب الهواء كثيرة الأمراض في الغالب . وقد اشتهر بذلك في قطر المغرب بلد قايّس من بلاد الجريد بإفريقية ، فلا يكادُ ساكنها أو طارحها يخلص من حمى العنق بوجه . ولقد يقال إن ذلك حادث فيها ، ولم تكن كذلك من قبل . ونقل البكري في سبب حدوثه ، أنه وقع فيها خفر ظهر فيه إناث من نحاس محتوم بالخاص . فلما فُضّ ختامه صعد منه دخان إلى الجوّ وانقطع . وكان ذلك مبدأ أمراض الحميات فيه . وأراد بذلك أن الإناث كان مُستعلاً على بعض أعمال الطلّسات لوبائيه ، وأنه ذهب سرّه بذهابه ، فرجع إليها العنق والوباء .

وهذه الحكاية من مذاهب العامة ومباحثهم الركيكة . والبكري لم يكن من نباهة العلم واستنارة البصيرة بحيث يدفع مثل هذا أو يبين خرقه فنقله كما سمعه .

والذي يكشف لك الحق في ذلك أن هذه الأهوية العفنة أكثر ما يهبطها لتعفين الأجسام وأمراض الحميات ركودها . فإذا

(١) جمع منعق : الموضع يستنقع الماء فيه .

(٢) الضمير في «إليها» يعود إلى «النازل» .



تخللها الريحُ وتنفستُ وذهبتُ بها يمينا وشمالا ، خف شأنُ العفنِ والمرَضِ البادي منها للحيواناتِ .

والبلدُ اذا كان كثيرَ الساكنِ وكثرتُ حركاتُ أهله فيتموجُ الهواءُ ضرورةً ، وتحدثُ الريحُ المتخللةُ للهواءِ الراكدِ ، ويكونُ ذلكُ معينا له على الحركةِ والتموجِ . وإذا خفُ الساكنُ لم يجِدِ الهواءُ معينا على حركتهِ وتوجُّجهِ ، وبقي ساكنا راكداً ، وعظمَ عفنهُ وكثُرَ ضررُهُ . وبلدُ قايسَ هذه ، كانت عندما كانت إفريقيةً مستجدةً العُمرانِ ، كثيرةً الساكنِ توجُّ بأهلها موجاً . فكان ذلكُ معينا على تموجِ الهواءِ واضطرابهِ وتخفيفِ الأذى منه ؛ فلم يكن فيها كثيرُ عفْنٍ ولا مرضٍ . وعندما خفُ ساكنها ركدَ هواؤها المتعفنُ بفسادِ مياهاها ، فكثُرَ العفنُ والمرَضُ . فهذا وجهه لا غير .

وقد رأينا عكسَ ذلك في بلادٍ وُضعتُ ، ولم يُراعَ فيها طيبُ الهواءِ . وكانت أولاً قليلةً الساكنِ ؛ فكانت أمراضها كثيرةً . فلما كثر ساكنها انتقل حالكها عن ذلك . وهذا مثلُ دارِ الملكِ بفاسَ لهذا العهدِ المسمى بالبلدِ الجديدِ ، وكثيرُ من ذلك في العالمِ . فتنهتهُ تجِدُ ما قلتهُ لك .

وأما جلبُ المنافعِ والمرافقِ للبلدِ فيُراعى فيه أمورٌ : منها الماءُ ، بأن يكونَ البلدُ على نهرٍ ، أو بإزائها عيونُ عذبةٌ ثرةٌ . فإنَّ وجودَ الماءِ قريباً من البلدِ يسهلُ على الساكنِ حاجةَ الماءِ وهي ضرورةٌ ، فيكونُ لهم في وجوده رقيقةٌ عظيمةٌ عامّةٌ . ومما يراعى

من المرافق في المدن طيب المراعي لساكنيهم إذ صاحب كل قرار لا بد له من دواجن الحيوَان للنتاج والضرع والركوب ، ولا بد لها من المرعى . فإذا كان قريباً طيباً ، كان ذلك أرفق بحالهم ، لما يُعاونون من المشقة في بُعيدو . ومما يراعى أيضاً المزارع ؛ فإن الزروع هي الأقوات . فإذا كانت مزارع البلد بالقرب منها ، كان ذلك أسهل في اتخاذ وأقرب في تحصيله . ومن ذلك الشجر للحطب والبناء ، فإن الحطب مما تعم البلوى في اتخاذه لوقود النيران للاصطلاح والطبخ . والخشب أيضاً ضروريٌ لُسُيُهِم<sup>(١)</sup> وكثير مما يُستعمل فيه الخشب من ضرورياتهم . وقد يراعى أيضاً قربها من البحر لتسهيل الحاجات القاصية من البلاد النائية . إلا أن ذلك ليس بمثابة الأول . وهذه كلها متفاوتة بتفاوت الحاجات ، وما تدعو اليه ضرورة الساكن . وقد يكون الواضع غافلاً عن حسن الاختيار الطبيعي ، أو إنما يراعى ما هو أهم على نفسه وقومه ، ولا يذكر حاجة غيرهم ، كما فعله العرب لأوّل الاسلام في المدن التي اختطوها بالعراق وإفريقية ؛ فإنهم لم يراعوا فيها إلا الأهم عندهم ، من مراعي الإبل وما يصلح لها من الشجر والماء المالح . ولم يراعوا الماء ، ولا المزارع ، ولا الحطب ، ولا مراعي السائمة من ذوات الظلف ، ولا غير ذلك ؛ كالقيروان والكوفة والبصرة وأمثالها . ولهذا كانت أقرب الى الخراب لما لم تراعى فيها الأمور الطبيعية .

---

(١) جمع سقيف ، وهو بمعنى السقف .

ومما يراعى في البلاد الساحلية التي على البحر ، أن تكون في جبل ، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدى ، تكون صريحاً للمدينة متى طرقها طارق من العدو . والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر ، ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل المصبات ، ولا موضعاً متوعراً من الجبل ، كانت في غيرة للبيات ، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحياتها لها ، لما يأتى من وجود الصريح لها . وإن الحضر المتوعدين للدمية قد صاروا عيالاً وخرجوا عن حكم المقاتلة . وهذه كالألكندرية من المشرق ، وطرابلس من المغرب ، وبونة وسلا . ومتى كانت القبائل والعصائب موطنين بقربها ، بحيث يبلغهم الصريح والنعر ، وكانت متوعرة المسالك على من يرونها باخطائها في هضاب الجبال وعلى أسنيتها ؛ كان لها بذلك منعة من العدو ويثسوا من طروقها ، لما يكابدونه من وعرها ، وما يتوقعونه من إجابة صريحها . كما في سبتة وإجاية وبلد القل على صغرها . فافهم ذلك واعتبره في اختصاص الاسكندرية باسم الثغر من لدن الدولة العباسية ، مع أن الدعوة من وراثها بركة وإفريقية ؛ وإنما اعتبرت في ذلك الحافة المتوقعة فيها من البحر لسهولة وضعها . ولذلك والله أعلم — كان طروق العدو للاسكندرية وطرابلس في الإملة مرات متعددة . والله تعالى أعلم .

## الفصل السادس

في المساجد والبيوت العظيمة في العالم

إعلم أنَّ الله سبحانه وتعالى فضَّلَ من الأرضِ يقاعاً اختَصَّها  
بشريفه ، وجعلها مواطنَ لعبادته ، يُضَاعِفُ فيها الثوابَ ، وينمي  
بها الأجورَ. وأخبرنا بذلك على ألسنِ رُسُلِهِ وأنبيائه ، لطفاً بعبادِهِ  
وتسهيلاً لطرقِ السعادةِ لهم .

وكانت المساجدُ الثلاثةُ هي أَفضَلُ يقاعِ الأرضِ حسبها  
ثَبَتَ في الصحيحينَ ، وهي مَكَّةُ والمدِينَةُ وبيتُ المقدسِ . أما البيتُ  
الحرامُ الذي بِمَكَّةَ ، فهو بيتُ إِبْرَاهِيمَ صلواتُ الله وسلامه عليه .  
أمرهُ اللهُ ببنائه ، وأن يُوَدِّنَ في الناسِ بالحِجْرِ إليه ؛ فبناه هو وابنه  
إسماعيلُ كما نصَّه القرآنُ ، وقام بما أمرهُ اللهُ فيه . وسكنَ إسماعيلُ  
به مع هاجرَ ، ومن زُلَّ معهم من جُرْهُمَ إلى أن قبَضَهُما اللهُ ، ودُفِنَا  
بالحِجْرِ منه<sup>(١)</sup> . وبيتُ المقدسِ بناه داودُ وسليمانُ عليهما السلامُ .  
أمرهما اللهُ ببناءِ مسجِدِهِ ونَصَبِ هياكلِهِ . ودُفِنَ كثيرٌ من الأنبياءِ  
من وُلْدِ إِسْحَاقَ عليه السلامِ حواريه . والمدِينَةُ مهاجَرُ نبيِّنا محمدٍ ،  
صلواتُ الله وسلامُهُ عليه ، أمره اللهُ تعالى بالمُهْجَرَةِ إليها وإِقَامَةِ دِينِ  
الاسلامِ بها ؛ فبنيَ مسجِدُهُ الحرامَ بها ، وكان مَلْحَدُهُ الشريفُ في

(١) ورد في لسان العرب : والحجر حجر الكعبة ، وفي الحديث ذكر الحجر في غير موضع ،  
قال ابن الأثير : هو الحائط المستدير إلى جانب الكعبة الغربي .

تُرْتَبِّهَا . فهذه المساجد الثلاثة قُرَّةُ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ وهوى أَفْئِدَتِهِمْ ، وعظمة دِينِهِمْ . وفي الآثَارِ مِنْ فَضْلِهَا وَمُضَاعَفَةِ الثَّوَابِ فِي مجاورَتِهَا والصَّلَاةِ فِيهَا كَثِيرٌ مَعْرُوفٌ . فَلْتُنْشِرْ إِلَى شَيْءٍ مِنَ الْخَبَرِ عَنْ أَوَّلِيَّةِ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ الثَّلَاثَةِ وَكَيْفَ تَدْرَجَتْ أَحْوَالُهَا إِلَى أَنْ كُتِلَ ظُهُورُهَا فِي الْعَالَمِ .

فَإِنَّمَا مَكَّةُ فَأَوَّلُئُتْهَا — فِيمَا يَقَالُ — أَنَّ آدَمَ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ بَنَاهَا قُبَالَةَ الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ، ثُمَّ هَدَّهَا الطُّوفَانُ بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَيْسَ فِيهِ خَبَرٌ صَحِيحٌ يُعَوَّلُ عَلَيْهِ . وَإِنَّمَا اقْتَبَسُوهُ مِنْ مُجَمَّلِ الْآيَةِ فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْكَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ ﴾ . ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ ، وَكَانَ مِنْ شَأْنِهِ وَشَأْنِ زَوْجَتِهِ سَارَةَ وَغَيْرَتِهَا مِنْ هَاجَرَ مَا هُوَ مَعْرُوفٌ . وَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرَكَ ابْنَهُ إِسْمَاعِيلَ وَأُمَّهُ هَاجَرَ بِالْفَلَاقِ ، فَوَضَعُهَا فِي مَكَانِ الْبَيْتِ وَسَارَ عَنْهُمَا . وَكَيْفَ جَمَلَ اللَّهُ لَهَا مِنَ اللَّطْفِ فِي نَبْعِ مَا زَمَزَمَ ، وَمُرُورِ الرُّفْقَةِ مِنْ جُرْهُمَ بَعَهَا ، حَتَّى احْتَمَلُوْهَا وَسَكَنُوا إِلَيْهَا ، وَزَلُّوا مَعَهَا حَوَالِي زَمَزَمَ كَمَا عُرِفَ فِي مَوْضِعِهِ . فَاتَّخَذَ إِسْمَاعِيلُ بِمَوْضِعِ الْكَعْبَةِ بَيْتًا يَأْوِي إِلَيْهِ ، وَأَدَارَ عَلَيْهِ سِيَاجًا مِنَ الرِّقْمِ وَجَعَلَهُ زَرْبًا<sup>(١)</sup> لِقَبَائِهِ . وَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَرَارًا لَزِيَادَتِهِ مِنَ الشَّامِ ، أَرَى فِي آخِرِهَا بَيْنَاءَ الْكَعْبَةِ مَكَانَ ذَلِكَ الزَّرْبِ ، فَبَنَاهُ وَاسْتَعَانَ فِيهِ بِابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى حَجِّهِ ، وَبَقِيَ إِسْمَاعِيلُ سَاكِنًا بِهِ . وَلَمَّا قُبِضَتْ أُمُّ هَاجَرَ وَقَامَ بَنُوهُ مِنْ بَعْدِهِ بِأَمْرِ الْبَيْتِ مَعَ أَخْوَالِهِمْ مِنْ جُرْهُمَ ، ثُمَّ

(١) الزرب: موضع المواشي . جمعه زروب .

العالمين من بعدهم . واستمر الحال على ذلك ، والناس يهرعون إليها من كل أفق من جميع أهل الخليفة ، لا من بني إسماعيل ولا من غيرهم ممن دنا أو نأى . فقد نُقِلَ أن التباينة كانت تحج البيت وتُعظَّمُ ، وأنَّ تَبَعاً كساها الملاء والوصائل ، وأمر بتطهيرها وجعل لها مفتاحاً . ونُقِلَ أيضاً أن القُرسَ كانت تحجُّ وتُقربُ إليه ، وأنَّ غزالي الذهب اللذين وجدتهما عبدُ المطلب حين احتفر زمزم كانا من قراينهم . ولم يزل لُجْرُهُمُ الولايةُ عليه من بعد ولد إسماعيل من قبله خوفاً ولهم . حتى إذا خرجت خُزَاعَةُ وأقاموا بها بعدهم ما شاء الله . ثم كثر ولدُ إسماعيل وانتشروا وتشعبوا إلى كِنَانَةٍ ، ثم كِنَانَةٍ إلى قُرَيْشٍ وغيرهم . وساءت ولايةُ خُزَاعَةٍ فغلبتهم قُرَيْشٌ على أمره . وأخرجوهم من البيت وملكوا عليهم يومئذٍ ، فُصِّيَ بن كِلَابٍ ، فبنى البيت وسقفه بخشب الدوم وجريد النخل . وقال الاعشى :

خَلَفْتُ يَتُوْنِي رَاهِبَ الدُّوْرِ وَالْتِي بَنَاهَا قُصِيٌّ وَالْمَضَاضُ بَنُ جُرْهُمِ  
ثم أصاب البيت سيلٌ ، ويقالُ حريقٌ وتهتم ، وأعادوا بناءه وجمعوا النفقة لذلك من أموالهم . وانكسرت سفينةُ بساحلِ جُلَّةٍ فاشتروا خشبها للسقف . وكانت جذرائه فوق القامية ؛ فجعلوها ثمانية عشر ذراعاً . وكان البابُ لا يصقأ بالأرض فجعلوه فوق القامية لئلا تدخله السيول . وقصرت بهم النفقة عن إقامه فقصروا عن قواعلهم وتركوا منه ستة أذرع وشبراً أداروها بمجدارٍ قصير ، يطاف من ورائه ، وهو الحجز . وبقي البيت على هذا البناء إلى

أَن تَحْصَنَ ابْنُ الزُّبَيْرِ بِمَكَّةَ حِينَ دَعَا لِنَفْسِهِ ، وَزَحَفَتْ إِلَيْهِ جِيُوشُ  
 يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ مَعَ الْخَصَيْنِ بْنِ نُجَيْمِ السُّكُونِيِّ . وَرُمِيَ الْبَيْتُ سَنَةً  
 أَرْبَعٍ وَسِتِينَ فَأَصَابَهُ حَرِيقٌ . يُقَالُ مِنَ النَّفْطِ الَّذِي رَمَوْا بِهِ عَلَى ابْنِ  
 الزُّبَيْرِ فَتَصَدَّعَتْ حِيطَانُهُ ؛ فَهَدَمَهُ ابْنُ الزُّبَيْرِ ؛ وَأَعَادَ بِنَاءَهُ أَحْسَنَ  
 مَا كَانَ ، بَعْدَ أَنْ اخْتَلَفَتْ عَلَيْهِ الصَّحَابَةُ فِي بَنَائِهِ . وَاجْتَجَّ عَلَيْهِمُ  
 بِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : لَوْلَا قَوْمُكَ حَدِيثُوا  
 عَهْدَ بَكْفَرٍ لَرَدَدْتُ الْبَيْتَ عَلَى قَوَاعِدِ إِبْرَاهِيمَ ، وَجَلَمْتُ لَهُ بَابَيْنِ :  
 شَرْقِيًّا وَغَرْبِيًّا ، فَهَدَمَهُ وَكَشَفَ عَنْ أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .  
 وَجَمَعَ الْوُجُوهَ وَالْأَكَايِرَ حَتَّى عَايَنُوهُ . وَأَشَارَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ  
 بِالتَّحَرِّيِّ فِي حِفْظِ الْقِبْلَةِ عَلَى النَّاسِ ؛ فَأَدَارَ عَلَى الْأَسَاسِ الْحَشَبَ ،  
 وَنَصَبَ مِنْ فَوْقِهَا الْأَسْتَارَ "حِفْظًا لِلْقِبْلَةِ . وَبَعَثَ إِلَى صُنْعَاءَ فِي  
 الْفِصَّةِ " وَالْكَلْسَ ، فَصَلَّاهَا وَسَأَلَ عَنْ قِطْعِ الْحِجَارَةِ الْأُولَى ؛  
 فَجَمَعَ مِنْهَا مَا احتَاجَ إِلَيْهِ . ثُمَّ شَرَعَ فِي الْبِنَاءِ عَلَى أَسَاسِ إِبْرَاهِيمَ  
 عَلَيْهِ السَّلَامُ . وَرَفَعَ جُدْرَانَهَا سَبْعًا وَعِشْرِينَ ذِرَاعًا ، وَجَمَلَ لَهَا بَابَيْنِ  
 لِاصْتِغْنَى بِالْأَرْضِ كَمَا رَوَى فِي حَدِيثِهِ . وَجَمَلَ قَرْنَهَا وَأَزْرَقَهَا بِالْخَامِ ،  
 وَصَاغَ لَهَا الْمِفْتَاحَ وَصَفَائِحَ الْأَبْوَابِ مِنَ الذَّهَبِ .

ثُمَّ جَاءَ الْحِجَاجُ لِخَصَارِئِهِ أَيَّامَ عَبْدِ الْمَلِكِ وَرُمِيَ عَلَى الْمَسْجِدِ  
 بِالْمَنْجَنِيقَاتِ إِلَى أَنْ تَصَدَّعَتْ حِيطَانُهُ . ثُمَّ لَمَّا ظَفَرَ بَابُ الزُّبَيْرِ شَاوَرَ  
 عَبْدَ الْمَلِكِ فِيمَا بَنَاهُ وَزَادَهُ فِي الْبَيْتِ ؛ فَأَمَرَهُ بِهِدْمَهُ وَرَدَّ الْبَيْتَ عَلَى

(١) كَذَا ، وَفِي النُّسَخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ تَحْقِيقُ M. Quatremère : السُّتُورُ .

(٢) كَذَا ، وَفِي ب (النُّسَخَةِ الْبَارِيسِيَّةِ) : الْقَصَّةُ ، وَمَعْنَاهَا : الْحِصَّةُ . وَهُوَ الْأَصَحُّ .

قواعد قُرَيْشٍ كما هي اليوم . ويقال : إنه نيمَ على ذلك حين علم  
صَحَّةَ رواية ابن الزبير لحديث عائشة ، وقال : وددتُ أني كنتُ  
تَحَلَّتْ أَبَاحِيْبٍ من أمر البيتِ وبنائه ما تحلّ ، فهتَمَ الحَجَّاجُ منها  
سِتَّةَ أَذْرَعٍ وَشِبْرًا مَكَانَ الحَجَرِ ، وبنّاها على أساسِ قُرَيْشٍ ، وسدَّ  
البابَ الغربيَّ وما تحت عَتَبَةِ بابها اليومَ من البابِ الشرقي . وترك  
سائرَها لم يُغَيِّرْ منه شيئًا . فكلُّ البناء الذي فيه اليومَ ، بناء ابنِ  
الزبير . وبين بنيائه وبناء الحَجَّاجِ في الحائطِ ، صِلَةُ ظَاهِرَةٌ للعيانِ ،  
لُحْمَةٌ ظَاهِرَةٌ بين البناءينِ . والبناء مُتَمَيِّزٌ عن البناء بمقدارِ إصْبَعٍ ،  
يُشَبُّ الصَّدْعَ وقد لُحِمَ .

ويعرَضُ ههنا إشْكَالٌ قويٌّ لمناقضته لما يقوله الفقهاء في أمر  
الطواف . ويُحَذَّرُ الطائفُ أن يَمِيلَ على الشاذِرِوانِ الدائرِ على أساسِ  
الجُدُرِ من أسفلها ، فيَقَعُ طوافه داخلَ البيتِ بناءً على أَنَّ الجِدَارَ إِنَّمَا  
قَامَ على بعضِ الأساسِ وتركِ بعضه ، وهو مكانُ الشاذِرِوانِ .  
وكذا قالوا في تقبيلِ الحَجَرِ الأسودِ ، لا بدَّ من رجوعِ الطائفِ  
من التقبيلِ حتى يَسْتَوِيَ قائمًا ؛ لئلا يَقَعَ بعضُ طوافه داخلَ البيتِ .  
وإذا كانتِ الجُدُرانِ كُلُّها من بناء ابنِ الزبير ، وهو إِنَّمَا بُنِيَ على  
أساسِ إبراهيمَ ، فكيف يَقَعُ هذا الذي قالوه ؟ ولا مخلص من هذا  
إِلَّا بِأَحَدِ أَسْرَيْنِ : إمّا أن يكونَ الحَجَّاجُ هَدَمَهُ جميعه وأعادَه ، وقد  
نقلَ ذلك جماعةٌ ، إلا أن العيانَ في شواهدِ البناءِ بالتحامِ ما بين  
البناءينِ وتَمَيُّزِ أَحَدِ الشَّقَيْنِ من أعلاه عن الآخرِ في الصِنَاعَةِ يَرُدُّ  
ذلك ؛ وإمّا أن يكونَ ابنُ الزبير لم يَرُدَّ البيتَ على أساسِ إبراهيمَ



من جميع جهاته ، وإنما فعل ذلك في الحجر فقط ليدخله . فهي الآن مع كونها من بناء ابن الزبير ليست على قواعد إبراهيم . وهذا بعيد ، ولا يحصى من هذين . والله تعالى أعلم .

ثم إن ساحة البيت ، وهو المسجد ، كان فضاء للطائفتين ؛ ولم يكن عليه جدار أيام النبي ﷺ وأبي بكر من بعده . ثم كثرت الناس ، فاشترى عمر رضي الله عنه ، دوراً هدمها وزادها في المسجد ، وأدار عليها جداراً دون القامة . وفعل مثل ذلك عثمان ، ثم ابن الزبير ، ثم الوليد بن عبد الملك . وبناء يزيد الرخام . ثم زاد فيه المنصور وابنة المهدي من بعده ووقفت الزيادة واستقرت على ذلك لعدتها .

وتشريف الله لهذا البيت وعنايته به أكثر<sup>(١)</sup> من أن يحاط به . وكفى من ذلك أن جعله مهبطاً للوحي والملائكة ومكاناً للعبادة ، وفرض شعائر الحج ومناسكه . وأوجب لحريمه من سائر نواحيه من حقوق التعظيم والحق ما لم يوجب لغيره ؛ ففتح كل من خالف دين الإسلام من دخول ذلك الحرم . وأوجب على داخله أن يتجرد من الخيط إلا إزاراً يستره . وحى العائد به والرائع في مسارحه من مواقع الآفات ؛ فلا يُرَاعَ فيه خائف ولا يُصاد له وحش ولا يُتطلب له شجر . وحُدَّ الحرم الذي يختص بهذه الحرمية من طريق المدينة ثلاثة أميال إلى التَّعِيم<sup>(٢)</sup> ؛ ومن طريق العراق

(١) كذا ، وفي ب : أعظم .

(٢) موضع بمكة في الحل ، وهو بين مكة وسرف ، على فرسخين من مكة ، وقيل على أربعة ، به مساجد حول مسجد عائشة وسقايها على طريق المدينة ، منه يحرم للكون بالعمرة (معجم البلدان لياقوت) .

سبعة أميال إلى التينة من جبل المنقطع؛ ومن طريق الحمراتة  
تسعة أميال إلى الشعب، ومن طريق الطائف سبعة أميال إلى  
بطن غرة؛ ومن طريق جلة سبعة أميال إلى منقطع المشائر.  
هذا شأن مكة وخبرها وتسمى أم القرى، وتسمى الكعبة  
لملؤها من اسم الكعب، ويقال لها أيضاً بككة. قال الأصمعي:  
لأن الناس يبك بعضهم بعضاً إليها أي يدفع. وقال مجاهد: إنما  
هي باه بككة أبدلوا ميماً، كما قالوا لا زب ولا زيم لثوب المخرجين.  
وقال النخعي: بالباء البيت وبالميم البلد. وقال الزهري: بالباء للمسجد  
كله وبالميم الحرم. وقد كانت الأمم منذ عهد الجاهلية تُعظمه،  
والملوك تبعث إليه بالأموال والذخائر مثل كسرى وغيره.

وقصة الأسياف وغزائي الذهب اللذين وجدتهما عبد المطلب  
حين احقر زرم مرفقة. وقد وجد رسول الله ﷺ، حين افتتح  
مكة في الجب الذي كان فيها، سبعين ألف أوقية من الذهب،  
بما كان الملوك يهدون للبيت؛ قيمتها ألف ألف دينار مكررة مرتين  
بما نتي قنطار وزناً. وقال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه:  
يا رسول الله! لو استعنت بهذا المال على حريك، فلم يفعل. ثم  
ذكر لأبي بكر، فلم يجره. هكذا قال الأزرقي. وفي البخاري  
بسند إلى أبي وائل قال: جلست إلى شيبة بن عثمان، وقال جلس  
إلي عمر بن الخطاب فقال: هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء  
الا قسمتها بين المسلمين. قلت: ما أنت بفاعل؟ قال: ولم؟ قلت:  
فلم يفعل؟ صاحبك. فقال هما اللذان يقتدى بهما. وخرجه أبو داود

وابنُ ماجةً ، وأقامَ ذلك المالُ إلى أن كانت فتنةُ الأَفسُسِ ، وهو الحسنُ بنُ الحسين<sup>(١)</sup> بنِ عليّ بنِ عليّ زينِ العابدينَ سنةَ تسعٍ وتسعينَ ومائةٍ ، حينَ غلبَ على مكةَ عَمَدُ إلى الكعبةِ فأخذَ ما في خزائنها وقال : ما تصنعُ الكعبةُ بهذا المالِ موضوعاً فيها لا يُنتفعُ به ؟ نحنُ أحقُّ به نستعينُ به على حربنا ، وأخرجهُ ونصرفَ فيه وبطلتِ الذخيرةُ من الكعبةِ من يومئذٍ .

وأما بيتُ المقدسِ وهو المسجدُ الأقصى فكانَ ، أولَ أمرِهِ أيامَ الصابئةِ ، موضعاً لهيكلِ الزَّهَرَةِ ، وكانوا يُقَرِّبونَ إليه الزيتَ فيما يُقَرِّبُونَهُ ، وَيَصُبُّونَهُ على الصَّخْرَةِ التي هناك . ثم دُرِيَ ذلك الهيكلُ ، واتخذها بنو إسرائيلَ حينَ ملكوها قبلةً لصلاتهم . وذلك أنَّ موسى صلواتُ الله عليه ، لما خَرَجَ ببني إسرائيلَ من مِصرَ لتخليكهم<sup>(٢)</sup> بيتَ المقدسِ ، كما وعدَ اللهُ آباهم إسرائيلَ وأباهُ اسحقَ ، ويقبُوبَ من قبلِهِ ، وأقاموا بأرضِ التيهِ ؛ أمرَهُ اللهُ بالتحاذي قُبَّةً من خَشَبِ السَّنِطِ عَيْنَ بالوحيِ مقدارُها وصَفَتُها وهياكلُها وقنايلُها ، وأن يصنعَ يكونَ فيها التابوتُ ومائدةٌ بِصَحَافِها ومَنارةٌ بِقَنَادِيلِها ، وأن يصنعَ مذبحاً للقربانِ ، وُصِفَ ذلك كُلُّهُ في التوراةِ أَكْمَلَ وصفٍ فصنعَ القُبَّةَ ووضعَ فيها تابوتَ العهدِ ، وهو التابوتُ الذي فيه الألواحُ المصنوعةُ عوضاً عن الألواحِ المنزلةِ بالكَلِمَاتِ العشرِ ، لما تكسَّرت

ووضعَ المذبحَ عندها .

(١) كذا ، وفي ب : الحسين بن الحسين . . . الخ . وفي الكامل لابن الأثير ج ٥ ص ١٧٧ :

الحسين بن الحسن الأفسس .

(٢) كذا ، وفي ب : ليملكهم .

وعهد الله إلى موسى بأن يكون هرونُ صاحبَ الثَّيَابِ . ونصبوا  
 فلانةَ الثَّيَابَ بين خيامهم في التَّيْبِ يُصَلُّونَ إليها ويُقَرَّبُونَ في المذبحِ  
 أَعْطَاهَا ، ويتعرَّضُونَ<sup>(١)</sup> للوحيرِ عندها . ولما ملكوا أرضَ الشامِ أَزَلُّوها  
 (بكلِّ كَلال) من بلادِ الأرضِ المقدَّسةِ ما بين قَسَمِ بني يامين وبني  
 أَفْرَيم . وبقيت هنالك أربع عشرة سنة : سبعاَ مئةَ الحربِ ،  
 وسبعاَ بعد الفتحِ أيامَ قِسْمَةِ البلادِ . ولما تَوَفَّى يوشعُ عليه السلامُ  
 نقلوها إلى بلدِ شيلو قريباً من كلِّ كَلال ، وأداروا عليها الحيطان .  
 وأقامت على ذلك ثلثمايةَ سنة ، حتى ملكها بنو فِلَسطين من أيديهم  
 كما مرَّ ، وتقلبوا عليهم . ثم ردَّوا عليهم القبةَ ونقلوها بعد وفاةِ عالي  
 السكوهن إلى نوف . ثم نُقِلَتْ أيامَ طالوت إلى كنعون في بلادِ بني  
 يامين . ولما ملك داودُ عليه السلامُ نقلَ القبةَ والتابوتَ إلى بيتِ  
 المقدسِ وجعلَ عليها خِباءَ خاصاً ووضعهُ على الصخرةِ . وبقيت تلك  
 القبةُ قبلتهم ، ووضعوها على الصخرةِ ببيتِ المقدسِ ، وأرادَ داودُ  
 عليه السلامُ بناءَ مسجِدٍ على الصخرةِ مكانها ؛ فلم يتمَّ له ذلك ،  
 وعهدَ به إلى ابنهِ سُلَيْمانَ فبناهُ لأربعِ سنينَ من مُلكِهِ ، ولخمسائةِ  
 سنةٍ من وفاةِ موسى عليه السلامِ . واتَّخَذَ عِمْدَهُ من الصُّفْرِ وجعلَ  
 به صرحَ الزُّجَاجِ وغشَّى أبوابَهُ وحيطانَهُ بالذهبِ ، وصاغَ هياكلَهُ  
 وتماثيلَهُ وأوعيتهَ ومَنارَتَهُ ومفتاحَهُ من الذهبِ ، وجعلَ في ظهِرِهِ  
 قَبراً ليضعَ<sup>(٢)</sup> فيه تابوتَ العهدِ ، وهو التابوتُ الذي فيه الألواحُ .

(١) كَذَا ، وفي ب : ويتوجَّهون .

(٢) كَذَا ، وفي ب : ليودع .

وجاء به من صهيون بلد أبيه داود نقله إليها أيام عمارة المسجد ؛ فجيء به تحمله الأسباط والكهنوتية حتى وضعه في القبر ، ووضعت القبة والأوعية والمذبح ، كل واحد حيث أُعِدَّ له من المسجد . وأقام كذلك ما شاء الله . ثم خربته بختنصر بعد ثمانمائة سنة من بنائه ، وأحرق التوراة والعصا ، وصاغ المياكل ونثر الأحجار .

ثم لما أعادهم ملوك الفرس ، بناء عزير نبي إسرائيل لهذه ، بإعانة يهمن ملك الفرس ، الذي كانت الولادة<sup>(١)</sup> لبي إسرائيل عليه من سبي بختنصر . وحد لهم في بنيانه حدوداً دون بناء سليمان ابن داود عليهما السلام ، فلم يتجاوزوها .

وأما الأواوين التي تحت المسجد ، يركب بعضها بعضاً ، عمود الأعلى منها على قوس الأسفل في طبقتين . ويتوهم كثير من الناس أنها إصطبلات سليمان عليه السلام ، وليس كذلك . وإنما بناها تنزيهاً للبيت المقدس عما يتوهم من النجاسة ؛ لأن النجاسات في شريعتهم ، وإن كانت في باطن الأرض ، وكان ما بينها وبين ظاهر الأرض محشواً بالتراب ، بحيث يصل ما بينها وبين الظاهر خط مستقيم ينحس ذلك الظاهر بالتوهم ، والمتوهم عندهم كالحقق ؛ فبنوا هذه الأواوين على هذه الصورة بعمود الأواوين السفلية تنتهي إلى أقواسها وينقطع خطه ، فلا تتصل النجاسة بالأعلى على خط مستقيم . وتنزه البيت عن هذه النجاسة المتوهمة ليكون ذلك أبلغ في الطهارة والتقديس .

(١) كذا ، وفي نسخة : الولادة .

ثم تداولتهم ملوك يونان والفرس والروم . واستفحل الملك لبني إسرائيل في هذه المدة : لبني حشمتاي من كهنتهم ، ثم لصهرهم هيرودس ولبنيه من بعده . وبني هيرودس بيت المقدس على بناء سليمان عليه السلام ، وثائق فيه حتى أكله في ست سنين . فلما جاء طيطش من ملوك الروم وغلبهم وملك أمرهم حرب بيت المقدس ومسجدها ، وأمر أن يُدْرَع مكانه . ثم أخذ الروم بدني المسيح عليه السلام ودانوا بتعظيمه . ثم اختلف حال ملوك الروم في الأخذ بدني النصرانية تارة وتركه أخرى ، إلى أن جاء قسطنطين وتنصرت أمه هيلانة ، وارتحلت إلى القدس في طلب الحشبة التي صلب عليها المسيح يزعمهم ؛ فأخبرها القمامصة بأنه رمي بخشيتيه على الأرض ، وألقي عليها القمامات والقاذورات . فاستخرجت الحشبة ، وبنت مكان تلك القمامات كنيسة القمامة<sup>(١)</sup> كأنها على قبره يزعمهم ، وخربت ما وجدت من عمارة البيت ، وأمرت بطرح الزبل والقمامات على الصخرة ، حتى غطاها وخفي مكانها جزاء يزعمها عما فعلوه بقبر المسيح .

ثم بنوا بازاء القمامة بيت لحم ، وهو البيت الذي ولد فيه عيسى عليه السلام . وبقي الأمر كذلك إلى أن جاء الاسلام والفتح ، وحضر عمر لفتح بيت المقدس ، وسأل عن الصخرة فأراني مكانها وقد علاها الزبل والتراب ، فكشف عنها وبني عليها مسجداً على

(١) كذا بالأصل في جميع النسخ ، وكذا أوردها ابن الأثير والطبري . وهي كنيسة القيامة كما هو المشهور في يومنا هذا .

طريق البداوة . وعظّم من شأنه ما أذن الله من تعظيمه ، وما سبق من أم الكتاب في فضله حسبا ثبت .

ثم احتفل الوليدُ ابنُ عبد الملك في تشييد مسجده ، على سُنن مساجد الاسلام بما شاء الله من الاحتفال ، كما فعل في المسجد الحرام وفي مسجد النبي ﷺ بالمدينة . وفي مسجد دمشق ، وكانت العربُ تسميه بلاط الوليد . وألزم ملك الروم أن يبعث الفعلة والمال لبناء هذه المساجد ، وأن يُتيقوها بالفُسيفاء فأطاع لذلك وتم بناؤها على ما اقترحه .

ثم لما صُفّت أمرُ الخلافة أعوامَ الخمسمائة من الهجرة في آخرها ، وكانت في ملكة العبيدين خلفاء القاهرة من الشيعة واختل أمرهم ، زحف الفرنجة إلى بيت المقدس ، فلكوه وملكوا معه عامة ثغور الشام . وبنوا على الصخرة المقدسة منه كنيسة كانوا يُعظمونها ويفتخرون ببنائها ، حتى اذا استقل صلاح الدين ابن أيوب الكردي بملك مصر والشام ، ومحا أثر العبيدين ودفعهم زحف إلى الشام وجاهد من كان به من الفرنجة ، حتى غلبهم على بيت المقدس ، وعلى ما كانوا ملكوه من ثغور الشام . وذلك لنحو ثمانين وخمسمائة من الهجرة . وهدم تلك الكنيسة وأظهر الصخرة وبنى المسجد على النحر الذي هو عليه اليوم لهذا العهد .

ولا يعرض لك الإشكال المعروف في الحديث الصحيح أن النبي ﷺ سئل عن أول بيت وضع ، فقال : مكة . قيل ثم أي ؟ قال : بيت المقدس ، قيل : فكم بينهما قال : أربعون سنة . فإن المدة

بين بناء مكة وبين بناء بيت المقدس ، بمقدار ما بين ابراهيم وسليمان . لأن سليمان بانيه ، وهو ينفى على الألف بكثير .

وأعلم أن المراد بالوضع ، في الحديث ، ليس البناء ، وإنما المراد أول بيت عُنِيَ للعبادة . ولا يبعد أن يكون بيت المقدس عُنِيَ للعبادة قبل بناء سليمان بمثل هذه المدة . وقد نُقِلَ أن الصابئة بنوا على الصخرة هيكلاً الزهريه ؛ فلعل ذلك لأنها كانت مكاناً للعبادة ، كما كانت الجاهلية تضع الأصنام . والتأثيل حوالي الكعبة وفي جوفها . والصابئة الذين بنوا هيكلاً الزهريه كانوا على عهد ابراهيم عليه السلام ؛ فلا تبعد مدة الأربعين سنة بين وضع مكة للعبادة ووضع بيت المقدس ، وإن لم يكن هناك بناء كما هو المعروف . وإن أول من بنى بيت المقدس سليمان عليه السلام ، فتفهمة فيه حل هذا الاشكال .

وأما المدينة المنورة — وهي المسماة يثرب — فهي من بناء يثرب بن هلال من العالقة وبه سُميت . وملكها بنو إسرائيل من أيديهم فيما ملكوه من أرض الحجاز . ثم جاورهم بنو قيلة من غسان وغلّبهم عليها وعلى حصونها . ثم أمر النبي ﷺ بالهجرة إليها ، لما سبق من عناية الله بها ، فهاجر إليها ومعه أبو بكر وتبعه أصحابه ونزل بها وبني مسجدة وبيوتة في الموضع الذي كان الله قد أعدّه لذلك وشرّقه في سابق أزله . وآواه أبناء قيلة ونصروه ؛ فلذلك سموا الأنصار . وقت كلمة الاسلام من المدينة حتى علت على الكلمات وغلّب على قومه وفتح مكة وملكها . وظن الأنصار أنه يتحول



عنهم الى بلده فأهمهم ذلك ، فخطبهم رسول الله ﷺ وأخبرهم أنه غير متحول . حتى اذا قبض ﷺ كان ملحدته الشريف بها . وجاء في فضلها من الأحاديث الصحيحة ما لا يخاف به . ووقع الخلاف بين العلماء في تفضيلها على مكة ، وبه قال مالك رحمه الله ، لما ثبت عنده في ذلك من النص الصريح عن رافع بن خديج أن النبي ﷺ قال : المدينة خير من مكة . نقل ذلك عبد الوهاب في المعونة ، إلى أحاديث أخرى تدل بظاهرها على ذلك . وخالف أبو حنيفة والشافعي . وأصبحت على كل حال ثانية المسجد الحرام . وجنح إليها الأئمة بأفئدتهم من كل أوب . فانظر كيف تدرجت الفضيلة في هذه المساجد العظيمة ، لما سبق من عناية الله لها ، وتفهم سر الله في الكون وتدرججه على ترتيب محكم في أمور الدين والدنيا .

وأما غير هذه المساجد الثلاثة فلا نعلمه في الأرض ، إلا ما يقال من شأن مسجد آدم عليه السلام بسرنديب من جزائر الهند . لكنه لم يثبت فيه شيء يؤول عليه .

وقد كانت للأئمة في القديم مساجد يعظمونها على جهة الديانة بزعمهم . منها بيوت النار للفرس وهياكل يونان وبيوت العرب بالحجاز ، التي أمر النبي ﷺ بهديها في غزواته . وقد ذكر المسعودي منها بيوتاً لسا من ذكرها في شيء ، إذ هي غير مشروعة ولا هي على طريق ديني ، ولا يلتفت إليها ولا الى الخبر عنها . ويكفي في ذلك ما وقع في التواريخ . فمن أراد معرفة الأخبار فعليه بها . والله يهدي من يشاء سبحانه .

## الفصل السابع

في ابن الجن والاعصاب بالفرقية والمغرب قليلا

والسبب في ذلك أن هذه الأقطار كانت للبربر ، منذ آلاف من السنين قبل الإسلام ، وكان عُمرانها كله بدوياً ، ولم تستمر فيهم الحضارة حتى تُستكمل أحوالها . والدول التي ملكتهم من الإفريقية والعرب لم يطل أمد ملكيهم فيهم ، حتى ترسخ الحضارة منها ؛ فلم تزل عوائد البداوة وشؤونها ، فكانوا اليها أقرب ، فلم تكثر مبانيهم . وأيضاً فالصنائع بعيدة عن البربر لأنهم أعرق في البدو . والصنائع من توابيع الحضارة ؛ وإنما تتم المباني بها ، فلا بد من الخلق في تعلمها . فلما لم يكن البربر انتحال لها لم يكن لهم تشوف<sup>(١)</sup> إلى المباني فضلاً عن المدن . وأيضاً فهم أهل عصبية وأنساب لا يخلو عن ذلك جمع منهم . والأنساب والعصبية أجنح إلى البدو .

وإنما يدعو إلى المدن الدعة والسكون ، ويصير ساكنها عيالاً على حاميتها ؛ فتجد أهل البدو لذلك يستكفون عن سكنى المدينة أو الإقامة بها . ولا يدعوهم إلى ذلك إلا الترف والنغي ؛ وقليل ما هو في الناس . فلذلك كان عُمران إفريقيا والمغرب كله أو أكثره

(١) تشوف إلى الشيء: تطلع إليه . وفي نسخة: تشوق وهو تحريف على ما اظن .

بَدَوِيًّا<sup>(١)</sup>، أَهْلَ خِيَامٍ وَظَوَائِنَ وَقِيَاطِنَ وَكُنَنٍ فِي الْجِبَالِ . وَكَانَ عِمْرَانُ بِلَادِ الْعَجَمِ كُلَّهُ أَوْ أَكْثَرُهُ قَرْيًى وَأَمْصَاراً وَرِسَاتِيقَ، مِنْ بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ وَعِرَاقِ الْعَجَمِ وَأَمْثَالِهَا، لِأَنَّ الْعَجَمَ فِي الْغَالِبِ لَيْسُوا بِأَهْلِ أَنْسَابٍ يُحَافِظُونَ عَلَيْهَا وَيَتَنَاعُونَ فِي صُرَاحَتِهَا وَالتَّحَايَا إِلَّا فِي الْأَقَلِّ . وَأَكْثَرُ مَا يَكُونُ سُكْنَى الْبَدْوِ لِأَهْلِ الْأَنْسَابِ، لِأَنَّ لُحْمَةَ النَّسَبِ أَقْرَبُ وَأَشَدُّ . فَتَكُونُ عَصَبِيَّتُهُ كَذَلِكَ، وَتَنْزَعُ بِصَاحِبِهَا إِلَى سُكْنَى الْبَدْوِ وَالتَّجَافِي عَنِ الْمِصْرِ الَّذِي يَذْهَبُ بِالْبَسَالَةِ وَيُصِيرُهُ عِيَالاً عَلَى غَيْرِهِ، فَافْضِهِ وَقَسْ عَلَيْهِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ وَبِهِ التَّوْفِيقُ .

## الفصل الثامن

فِي أَنَّ الْمَبْنِيَّ وَالْمُصْنَعُ فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ قَلِيلَةٌ بِالْقِسْمَةِ إِلَى قِسْمَتَيْهَا  
وَالَّذِي مِنْ كِلَا قِلَمَاهَا مِنَ الْعَوَالِمِ

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ مَا ذَكَرْنَا مِثْلَهُ فِي الْبَرِّ بَعِينَهُ، إِذِ الْعَرَبُ أَيْضاً أَعْرَقُوا فِي الْبَدْوِ وَأَبْعَدُوا عَنِ الصَّنَائِعِ . وَأَيْضاً فَكَانُوا أَجَانِبَ مِنَ الْمَمَالِكِ الَّتِي اسْتَوْلَوْا عَلَيْهَا قَبْلَ الْإِسْلَامِ . وَلَمَّا غَلَبُوا لَهَا لَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِسُومَ الْحِضَارَةِ، مَعَ أَنَّهُمْ اسْتَغْنَوْا بِمَا وَجَدُوا مِنْ مَبَانِي غَيْرِهِمْ . وَأَيْضاً فَكَانَ الدِّينُ أَوَّلَ الْأَمْرِ مَانِعاً مِنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي جَمِيعِ النُّسخِ . وَيُظْهِرُ أَنَّ هُنَا تَحْرِيفاً أَوْ كَلَاماً نَاقِصاً، وَمُقْتَضَى السِّيَاقِ: وَكَانَ سُكْنَاهَا أَهْلَ خِيَامٍ وَ... الخ .

المُغَالَاةِ فِي الْبُنْيَانِ وَالْإِسْرَافِ فِيهِ فِي غَيْرِ الْقَصْدِ ، كَمَا عَهَدَ لَهُمْ عُمرُ  
 حِينَ اسْتَأْذَنُوهُ فِي بِنَاءِ الْكُوفَةِ بِالْحِجَازَةِ ، وَقَدْ وَقَعَ الْحَرِيقُ فِي  
 الْقَصَبِ الَّذِي كَانُوا بَنَوْا بِهِ مِنْ قَبْلُ ، فَقَالَ : افْعَلُوا ، وَلَا يَزِيدَنَّ  
 أَحَدُكُمْ عَلَى ثَلَاثَةِ أَبْيَاتٍ . وَلَا تُطَاوِلُوا فِي الْبُنْيَانِ ، وَالْزَمُوا السَّنَةَ  
 تَلَزِمَكُمُ الدَّوْلَةُ . وَعَهْدَ إِلَى الْوَفْدِ وَتَقَدَّمَ إِلَى النَّاسِ أَنْ لَا يَرْفَعُوا  
 بُنْيَانًا فَوْقَ الْقَدَرِ . قَالُوا وَمَا الْقَدَرُ ؟ قَالَ مَا لَا يُقَرَّبُكُمْ مِنَ السَّرَفِ  
 وَلَا يُخْرِجُكُمْ عَنِ الْقَصْدِ . فَلَمَّا بَعُدَ الْمَهْدُ بِالْدِينِ وَالتَّحَرُّجُ فِي أَمْثَالِ  
 هَذِهِ الْمَقَاصِدِ ، وَغَلَبَتْ طَبِيعَةُ الْمُلْكِ وَالتَّرَفِ ، وَاسْتُخْدِمَ الْعَرَبُ  
 أُمَّةُ الْفُرسِ وَأَخَذُوا عَنْهُمْ الصَّنَائِعَ وَالْمَبَانِي ، وَدَعَتُهُمْ إِلَيْهَا أَحْوَالُ  
 الدَّعَةِ وَالتَّرَفِ ؛ فَحِينَئِذٍ شِيدُوا الْمَبَانِي وَالْمَصَانِعَ ، وَكَانَ عَهْدُ ذَلِكَ  
 قَرِيبًا بِانْقِرَاضِ الدَّوْلَةِ ، وَلَمْ يَنْفَسِحِ الْأَمَدُ لكَثْرَةِ الْبِنَاءِ وَاخْتِطَاطِ  
 الْمَدَنِ وَالْأَمْصَارِ إِلَّا قَلِيلًا ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ غَيْرُهُمْ مِنَ الْأُمَمِ .  
 فَالْفُرسُ طَالَتْ مُدَّتُهُمْ آلَافًا مِنَ السِّنِينَ وَكَذَلِكَ الْقِبْطُ وَالنَّبَطُ  
 وَالرُّومُ ، وَكَذَلِكَ الْعَرَبُ الْأُولَى مِنْ عَادٍ وَثَمُودَ وَالْعَالِقَةَ وَالتَّبَايِمَةَ ،  
 طَالَتْ أَمَادُهُمْ وَرَسَخَتْ الصَّنَائِعُ فِيهِمْ ؛ فَكَانَتْ مَبَانِيهِمْ وَهِيَ كُلُّهُمْ  
 أَكْثَرُ عَدَدًا وَبَاقِي عَلَى الْأَيَّامِ آثَرًا . وَاسْتَبْصِرُ فِي هَذَا نَتِيجَتَهُ كَمَا  
 قُلْتُ لَكَ . وَاللَّهُ وَارِثُ الْأَرْضِ وَمَنْ عَلَيْهَا .

## الفصل التاسع

في أن المباني التي كانت تحتطها العرب  
يسرع إليها الغراب إلا في الليل

والسبب في ذلك شأنُ الدواوِ والبُعد عن الصنائع كما قدّمناه، فلا تكون المباني وثيقةً في تشييدها. وله، والله أعلم، وجه آخر وهو أمرٌ به، وذلك قلةُ مراعاتهم لحسن الاختيار في اختطاط المدن كما قلناه: من المكان وطيب الهواء والمياه والمزارع والمراعي؛ فإنه بالتفاوت في هذه تتفاوت جودةُ المصنوع ودرجته من حيث العمران الطبيعي. والعربُ بمنزلٍ عن هذا؛ وإنما يُراعون مراعي إبليم خاصةً، لا يبالون بالماء طاب أو خُبث، ولا قلّ أو كثُر، ولا يسألون عن زكاه المزارع والمنايات والأهوية لانتقالهم في الأرض، ونقلهم المحبوب من البلد البعيد.

وأما الرياحُ فالقفَرُ مختلفٌ لهبابٌ كلّها. والظنُّ كفيْلٌ لهم بطبيعتها لأنَّ الرياحَ إنما تُحبُّ مع القراي والسكنى وكثرة الفضلات. وانظر لما اختطوا الكوفة والبصرة والقيروان، كيف لم يُراعوا في اختطاطها إلا مراعي إبليم. وما يقربُ من القفر ومسالك الظنِّ؛ فكانت بعيدةً عن الوضع الطبيعي للمدن، ولم تكن لها مادةٌ تمدُّ عُمرانها من بعدهم، كما قدّمنا بأنه يُحتاجُ إليه في حفظ العمران. فقد كانت مواطنها غيرَ طبيعيةٍ للقراي، ولم تكن في

وسطِ الأُمم فيَعْمُرُها الناسُ. فلاوَلَّ وهلةٌ من انحلال أمرهم وذهابِ عصبَتهم التي كانت سياجاً لها، أُنِيَ عليها الحرابُ والانحلالُ كأن لم تكن. ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لِمُعَقَّبِ الْحَكَمِ﴾ .

## الفصل العاشر

في سبلح، الغلب في العصر

اعلم أنَّ الأمصارَ إذا اخْطَطَتْ أَوَّلًا تكونُ قليلةَ المساكنِ، وقليلةَ آلاتِ البناءِ، من الحجرِ والجيرِ وغيرها مما يُعالَى على الحيطانِ عند التأنقِ: كالزُّلجِ<sup>(١)</sup> والرُّخامِ والرَّزَجِ<sup>(٢)</sup> والزُّجاجِ والسِّفْسَاءِ والصدَفِ؛ فيكونُ بناؤها يومئذٍ بقويًّا وآلاتُها فاسدةً. فإذا عَظُمَ عُمرانُ المدينةِ وكَثُرَ ساكنُها كثرت الآلاتُ بكثرةِ الأعمالِ حينئذٍ، وكثر الصَّنَاعُ إلى أن تبلغَ غايَتها من ذلك كما سبقُ بشأنها. فإذا تراجَعَ عُمرانها وخَفَّ ساكنُها قَلَّتِ الصَّنَاعُ لأجل ذلك فَفَقِدَتْ الإِجَادَةَ في البناءِ والإِحْكَامِ والمِعالاةِ عليه بالتنميقِ. ثم تَقِلُّ الأعمالُ لَدَمِ السَّاكنِ فيَقِلُّ جَلْبُ الآلاتِ من الحجرِ والرُّخامِ وغيرها، فَتَفْقَدُ ويصيرُ بناؤهم وتشييدُهم من الآلاتِ التي في مبانِيهم؛ فينْقلِبونَ من مصنعٍ إلى مصنعٍ، لأجلِ خلاءِ أَكْثَرِ المصانعِ والقُصورِ والمنازِلِ لِقَلَّةِ العُمَرائِ، وقُصوره عما كان أَوَّلًا.

(١) الزُّلج: الصخر الملس (لسان العرب).

(٢) الرِّج: الدرهم الصغير (لسان العرب). وفي ب: والسبج. وهو - كما ورد في لسان

العرب: خرز أسود.

ثُمَّ لَا تَرَالُ تُنْقَلُ مِنْ قَصْرِ إِلَى قَصْرٍ وَمِنْ دَارٍ إِلَى دَارٍ إِلَى أَنْ يُفْقَدَ الْكَثِيرُ مِنْهَا جَمَلَةٌ ؛ فَيَعُودُونَ إِلَى الْبِدَاوَةِ فِي الْبِنَاءِ وَالتَّخَاذِ الطُّوبِ عَوْضًا عَنِ الْحِجَارَةِ ، وَالْفُصُورِ عَنِ التَّنْمِيقِ بِالصَّكَّيَّةِ . فَيَعُودُ بِنَاءُ الْمَدِينَةِ مِثْلَ بِنَاءِ الْقَرْيَةِ وَالْمَدَرِ ، وَيُظْهَرُ عَلَيْهَا سِيمَا الْبِدَاوَةِ . ثُمَّ تَمُرُّ فِي التَّنَاقُصِ إِلَى غَايَتِهَا مِنَ الْخَرَابِ إِنْ قُدِرَ لَهَا بِهِ . سَنَةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ .

## الفصل الحادي عشر

في أن تفاضل الأمصار والمدن في كثرة البهائم لها  
وتفاق السهول إنما هو في تفاضل عمرانها في الكثبة والقفه

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ عُرِفَ وَثَبَتَ أَنَّ الْوَاحِدَ مِنَ الْبَشَرِ غَيْرُ مُسْتَقِلٍّ بِتَحْصِيلِ حَاجَاتِهِ فِي مَعَايِشِهِ ، وَأَنَّهُمْ مُتَعَاوِنُونَ جَمِيعًا فِي عُمْرَانِهِمْ عَلَى ذَلِكَ . وَالْحَاجَةُ الَّتِي تَحْصُلُ بِتَعَاوُنِ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ تَسُدُّ ضَرُورَةَ الْأَكْثَرِ مِنْ عَدَدِهِمْ أَضْمَافًا . فَالْقُوَّةُ مِنَ الْخِنَاطَةِ مِثْلًا لَا يَسْتَقِلُّ الْوَاحِدُ بِتَحْصِيلِ حَصَّتِهِ مِنْهُ . وَإِذَا انْتَدَبَ لِتَحْصِيلِهِ السَّيِّئَةِ أَوْ الْعُشْرَةِ مِنْ حَدَادٍ وَنَجَّارٍ لِلآلَاتِ ، وَقَائِمٍ عَلَى الْبَقَرِ وَبَاقِيَةِ الْأَرْضِ وَحَصَادِ السُّبُلِ وَسَائِرِ مَوْنِ الْقَلْحِ ، وَتَوَذَّعُوا عَلَى تِلْكَ الْأَعْمَالِ أَوْ اجْتَمَعُوا ، وَحَصَلَ بِعَمَلِهِمْ ذَلِكَ مِقْدَارُ مِنَ الْقُوَّةِ ؛ فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ قُوَّةٌ لِأَضْعَافِهِمْ مَرَّتَيْنِ . فَلِأَعْمَالِهِمْ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ زَائِدَةٌ عَلَى حَاجَاتِ الْعَامِلِينَ وَضُرُورَاتِهِمْ .

وأهل مدينة أو مضر إذا وزعت أعمالهم كلها على مقدار  
 ضرورتهم وحاجاتهم اكتفي فيها بالأقل من تلك الأعمال؛ وبقيت  
 الأعمال كلها زائدة على الضرورات؛ فقصرت في حالات الترف  
 وعوائده. وما يحتاج إليه غيرهم من أهل الأمصار ويستجلبونه  
 منهم بأعواضه وقيمه، فيكون لهم بذلك حظ من النفي. وقد  
 تبين لك في الفصل الخامس في باب الكسب والرزق، أن  
 المكاسب إنما هي قيم الأعمال. فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمها  
 بينهم فكثرت مكاسبهم ضرورة. ودعمهم أحوال الرفه والنفي إلى  
 الترف وحاجاته من التأنق في المساكن والملابس واستجادة  
 الآنية والماعون والتأخذ الخدم والمراكب. وهذه كلها أعمال تستدعى  
 بقيمتها ويختار المهرة في صناعتها والقيام عليها، فتتفق أسواق  
 الأعمال والصنائع، ويكثر دخل المضر وخرجها، ويحصل اليسار  
 لمتحلي ذلك من قبل أعمالهم. ومتى زاد العمران زادت الأعمال  
 ثانية. ثم زاد الترف تالفاً للكسب وزادت عوائده وحاجاته.  
 واستئبطت الصنائع لتحصيلها؛ فزادت قيمها وتضاعف الكسب في  
 المدينة لذلك ثانية، ونفقت سوق الأعمال بها أكثر من الأول.  
 وكذا في الزيادة الثانية والثالثة. لأن الأعمال الزائدة كلها تختص  
 بالترف والنفي، بخلاف الأعمال الأصلية التي تختص بالمعاش. فالضر  
 إذا فضل بعمران واحد ففضله بزيادة كسب ورفه وبموائد من  
 الترف لا توجد في الآخر. فإكان عمران من الأمصار أكثر  
 وأوفر، كان حال أهله في الترف أبلغ من حال المضر الذي دونه



على وتيرة واحدة في الأصناف : القاضي مع القاضي ؛ والتاجر مع التاجر ؛ والصانع مع الصانع ؛ والسوقي مع السوقي ، والأمير مع الأمير ، والشرطي مع الشرطي .

واعتبر ذلك في المغرب مثلاً بحال فاس مع غيرها من أمصاره الأخرى ، مثل بجاية وتلمسان وسبتة ، تجذ بينهما بونا كثيراً على الجلفة . ثم على الخصوصيات ، فقال القاضي بفاس أوسع من حال القاضي بتلمسان ، وكذا كل صنف مع أهل صنفه . وكذا أيضاً حال تلمسان مع وهران والجزائر ، وحال وهران والجزائر مع ما دونهما ، إلى أن تنتهي إلى المدر<sup>(١)</sup> الذين اعتالهم في ضروريات<sup>(٢)</sup> ما يشم فقط ، أو يقصرون عنها . وما ذاك إلا لتفاوت الأعمال فيها ، فكأنها كلها أسواق للأعمال . والخرج في كل سوق على نسبه فالقاضي بفاس دخله كفاه خرجيه ، وكذا القاضي بتلمسان . وحيث الدخل والخرج أكثر تكون الأحوال أعظم . وهما بفاس أكثر لنفاق سوق<sup>(٣)</sup> الأعمال بما يدعو إليه الترف ، فالأحوال أضخم . ثم هكذا حال وهران وقسنطينة والجزائر وبسكرة حتى تنتهي كما قلناه . إلى الأمصار التي لا توفى<sup>(٤)</sup> أعمالها بضرورتها ، ولا تعد في الأمصار إذ هي من قبيل القرى والمدن . فلذلك تجد أهل هذه الأمصار الصغيرة ضعفاء الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة ، لما أن أعمالهم

(١) كذا ، وفي ب : للداشر . تكررت في أماكن متفرقة .

(٢) كذا ، وفي ب : ضرورات .

(٣) كذا ، وفي ب : سائر الأعمال .

(٤) كذا ، وفي ب : بقي .

لا تقي بضروراتهم . ولا يفضل ما يتأثرونه كسباً ، فلا تنمو مكاسبهم . وهم لذلك مساكين محاييج ، إلا في الأقل النادر . واعتبر ذلك حتى في أحوال الفقراء والسؤال . فإن السائل بفاس أحسن حالاً من السائل بيلمسان أو وهران . ولقد شاهدت بفاس السؤال يسألون أيام الأضاحي أمان ضحاياهم ورأيهم يسألون كثيراً من أحوال الترف واقتراح المأكول ، مثل سؤال اللحم والسمن وعلاج الطبخ والملابس والماعون ، كالغزالي والآنية . ولو سأل السائل مثل هذا بيلمسان أو وهران لاستنكر وعنف وجر .

وبلغنا لهذا الهد عن أحوال أهل القاهرة ومصر من الترف والنبي في عوائدهم ما نقضي منه العجب . حتى إن كثيراً من الفقراء بالمغرب يتزعمون إلى الثقل إلى مصر لذلك ، ولما يبلغهم من أن شأن الرفق بمصر أعظم من غيرها . وتمتد العامة من الناس أن ذلك [زيادة] إشار في أهل تلك الأفاق على غيرهم ، أو أموال عترة لهم<sup>(١)</sup> . وأنهم أكثر صدقة وإشاراً من جميع أهل الأمصار ، وليس كذلك . وإنما هو لما تعرفه من أن عمران مصر والقاهرة أكثر من عمران هذه الأمصار التي لديك ، فمظمت لذلك أحوالهم .

وأما حال الدخول والخروج فتكافئ في جميع الأمصار . ومتى عظم الدخول ، عظم الخروج وبالعكس . ومتى عظم الدخول والخروج ، اتسعت أحوال الساكن ووسع المصّر .

(١) كذا ، وإن العبارة المحصورة بين [ ] هي في النسخة الباريسية (ب) كما يلي : ولطمو الأموال في تلك الأفاق ، وأن الأموال مخزنة لديهم .

وكل شيء يبلغك من مثل هذا فلا تنكره، واعتبره بكثرة  
العُمران، وما يكون عنه من كثرة المكاسب التي يسهل بسببها  
البذل والإيثار على مبتغيه. ومثله بشأن الحيوانات العجم مع  
بيوت المدينة الواحدة، وكيف تختلف أحوالها في هجرانها أو  
غشيانها. فإن بيوت أهل النعم والثروة والموائد الخصبة<sup>(١)</sup> منها،  
تكثر بساحتها وأفئدتها نثر الجوب وسواقط الفتات؛ فيزدهم  
عليها غواشي النمل والحشاش. ويكثر في سربها الجرذان وتأوي  
إليه السنابر وتحلق فوقها عصائب الطيور، حتى تروح بطناً وتقتل  
شبعاً ورياً. وبيوت أهل الحماصة والفقير الكاسدة أذاهم، لا  
يسري بساحتها ديب ولا يخلق مجرها طائر، ولا [تأوي إلى زوايا  
بيوتهم فارة ولا هرة<sup>(٢)</sup>] كما قال الشاعر:

يَسْقُطُ الطَّيْرُ حَيْثُ يَنْتَثِرُ الْحَبُّ وَتُغْشَى مَنَازِلُ الْكُرْمَاءِ<sup>(٣)</sup>

فتأمل سر الله تعالى في ذلك، واعتبر غايية الأنبي بغايية  
العجم من الحيوانات وفحات الموائد بفضلات الرزق والترف  
وسهولتها على من يندلها، لاستغنائهم عنها في الأكثر بوجود أمثالها  
لديهم. واعلم أن اتساع الأحوال وكثرة النعم في العمران تابع  
لكثرتيه. والله سبحانه وتعالى أعلم، وهو غني عن العالمين.

(١) كذا، وفي ب: الخصية.

(٢) وردت هذه العبارة في ب: وتأوي إلى أسراب بيوتها فارة ولا هرة.

(٣) ورد هذا البيت من الشعر في (ب) هكذا:

يسقط الطير حيث يلتقط الحب ويغشى منازل الكرماء

## الفصل الثاني عشر

في أسعار البجن

اعلم أنَّ الأسواقَ كلها تشتتُ على حاجاتِ الناسِ : فمنها الضروريُّ وهي الأقواتُ من الخنطة والشعير وما في معناها كالباقلَا والحص والجلبان وسائر حبوب الأقوات ومصليحاتها كالصل والثوم وأشباؤه ؛ ومنها الحليج والكالي مثل الأذم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر المصانع والمباني . فإذا استبحر المصرُ وكثر ساكنه ، رخصت أسعارُ الضروريِّ من القوت وما في معناه ، وغلت أسعارُ الكالي من الأذم والفواكه وما يتبعها ؛ وإذا قلَّ ساكنُ المصرِ وضُعتْ ثمرانُه ، كان الأمرُ بالعكس من ذلك . والسببُ في ذلك أنَّ الحبوبَ من ضروراتِ القوتِ ؛ فتتوفرُ الدواعي على اتِّخاذها ، إذ كلُّ أحدٍ لا يُهيلُ قوتَ نفسه ولا قوتَ منزله ، لشهره أو سنته ، فيعمُّ اتِّخاذها أهلُ المصرِ أجمعٌ ، أو الأكثرُ منهم في ذلك المصرِ أو فيما قُربَ منه ، لا بدُّ من ذلك . وكلُّ مُتخَذٍ لقوته ، تفضلُّ عنه وعن أهلٍ يحته قسلةٌ كثيرةٌ ، تسُدُّ حلةَ كثيرينَ من أهلِ ذلك المصرِ ؛ فتفضلُّ الأقواتُ عن أهلِ المصرِ من غيرِ شكٍّ ؛ فترخصُ أسعارُها في الغالبِ ، إلا ما يصيبها في بعضِ السنينِ من الآفاتِ السهاوية . ولولا احتكاكُ الناسِ لها ، لما يتوقَّعُ من تلكِ الآفاتِ لُبْدَتِ دونِ ثمنٍ ولا عوضٍ لكثرتها بكثرةِ العمرانِ .

وأما سائرُ المرافقِ من الأُدمِ والفواكه وما إليها ، فإنَّها لا تَمُ فيهِ البلوى ، ولا يَسْتغْرِقُ اتِّخَاذُهَا أَعْمَالُ أَهْلِ الْمِصْرِ أَجْمَعِينَ ، ولا الكثيرُ منهم . ثم إنَّ الْمِصْرَ إِذَا كَانَ مُسْتَبْجِرًا ، مَوْفُورَ الْعُمَرَانِ ، كَثِيرَ حَاجَاتِ التَّرَفِ ، تَوَفَّرَتْ حِينَئِذٍ الدَّوَاعِي عَلَى طَلِبِ تِلْكَ الْمُرَاقِقِ وَالْإِسْتِكْثَارِ مِنْهَا كُلِّ بِحَسَبِ حَالِهِ ؛ فَيَقْصُرُ الْمَوْجُودُ مِنْهَا عَنِ الْحَاجَاتِ قُصُورًا بَالِغًا . وَيَكْثُرُ الْمُسْتَامُونَ لَهَا ، وَهِيَ قَلِيلَةٌ فِي نَفْسِهَا ؛ فَتَرَدِّحُ أَهْلُ الْأَغْرَاضِ ، وَيَبْذُلُ أَهْلُ الرِّفْقِ وَالتَّرَفِ أَثْمَانَهَا بِإِسْرَافٍ فِي الْفَلَاءِ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ ؛ فَيَقَعُ فِيهَا الْفَلَاءُ كَمَا تَرَاهُ .

وأما الصَّنَاعُ وَالْأَعْمَالُ أَيْضًا فِي الْأَمْصَارِ الْمَوْفُورَةِ الْعُمَرَانِ ، فَسَبَبُ الْفَلَاءِ فِيهَا أُمُورٌ ثَلَاثَةٌ : الْأَوَّلُ كَثَرَةُ الْحَاجَةِ لِمَكَانِ التَّرَفِ فِي الْمِصْرِ بِكَثَرَةِ عُمرَانِهِ ؛ وَالثَّانِي اعْتِرَازُ أَهْلِ الْأَعْمَالِ بِخِدْمَتِهِمْ وَامْتِحَانِ أَنْفُسِهِمْ ، لِسَهُولَةِ الْمَاشِي فِي الْمَدِينَةِ بِكَثَرَةِ أَقْوَانِهَا ؛ وَالثَّالِثُ كَثَرَةُ الْمُتَرَفِينَ وَكَثَرَةُ حَاجَاتِهِمْ إِلَى امْتِحَانِ غَيْرِهِمْ ، وَإِلَى اسْتِعْمَالِ الصَّنَاعِ فِي يَدِهِمْ ؛ فَيَبْذُلُونَ فِي ذَلِكَ لِأَهْلِ الْأَعْمَالِ أَكْثَرَ مِنْ قِيَّةِ أَعْمَالِهِمْ مَزَاحَةً وَمَنَافَسَةً فِي الْإِسْتِثَارِ بِهَا ؛ فَيَعْتَزُّ الْعَالُّ وَالصَّنَّاعُ وَأَهْلُ الْخِلَافِ ، وَتَنَالُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَتَكْثُرُ نَفَقَاتُ أَهْلِ الْمِصْرِ فِي ذَلِكَ .

وأما الْأَمْصَارُ الصَّغِيرَةُ ، الْقَلِيلَةُ السَّاكِنِ فَأَقْوَانُهُمْ قَلِيلَةٌ لِقِلَّةِ الْعَمَلِ فِيهَا ، وَمَا يَتَوَقَّعُونَهُ لَصِغَرِ مِصْرِهِمْ مِنْ عَدَمِ الْقُوَّةِ ؛ فَيَتَمَسَّكُونَ بِمَا يَحْصُلُ مِنْهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَيَحْكُرُونَهُ ؛ فَيَعِزُّ وَجُودُهُ

لديهم ، وينقلون ثمنه على مستأموه . وأما مراقبتهم فلا تدعو إليها أيضاً حاجة لقلّة السالكين وضعف الأحوال فلا تنفق لديهم سوقه فيختصّ بالخسر في سعره .

وقد يدخل أيضاً في قيمة الأقوات ، قيمة ما يُفرض عليها من المكوس والغرام للسلطان ، في الأسواق وأبواب المصر وللجباة في منافع يفرضونها على البياعات لأنفسهم . وبذلك كانت الأسعار في الأمصار أعلى من الأسعار في البادية ، إذ المكوس والغرام والفرائض قليلة لديهم أو معدومة . وبالعكس كثيرة في الأمصار لاسيما في آخر الدولة . وقد تدخل أيضاً في قيمة الأقوات قيمة علاجها في الفلح ، ويحافظ على ذلك في أسعارها كما وقع بالأندلس لهذا العهد . وذلك أنهم لما ألبأهم النصارى الى سيف البحر ، وبلاد الوعر الحبيثة الزراعة النكتة النبات ، وملكوا عليهم الأرض الزاكية والبلد الطيب ، فاحتاجوا إلى علاج المزارع والفدان لاصلاح نباتها وفلحها ، وكان ذلك العلاج بأعمال ذات قيمة ومواد من الزبل وغيره لما مؤونة ، وصارت في فليجهم نفقات لها خطر ، فاعتبروها في سعرهم . واختصّ قطر الأندلس بالغلاء منذ اضطرتهم النصارى إلى هذا المعمور بالاسلام مع سواحيلها لأجل ذلك .

ويحسب الناس إذا سمعوا بغلاء الأسعار في قطرهم أنها لقلّة الأقوات والجبوب في أرضهم ، وليس كذلك ، فهم أكثر أهل المعمور فلحاً فيما عساه وأقوهم عليه ، وقل أن يخلو منهم سلطان أو سوقه عن فدان أو مزرعة أو فليح ، إلا قليلاً من أهل الصناعات

والهِنَ أو الطَّراءِ على الوطنِ من النَّزاةِ المُجاهِدِينَ . ولهذا يُخَصِّمُهُ  
السُّلْطَانُ في عَطائِهِم بِالْمَوْلَةِ ، وهي أَقْوَاتُهُمْ وَعُلُوفَاتُهُمْ مِنَ الزَّرْعِ .  
وإنَّما السَّبَبُ في غَلَاءِ سَعْرِ الْحَبُوبِ عِنْدَهُمْ ما ذَكَرْنَاهُ .

ولما كانت بلادُ البريرِ بِالْمَعْكَسِ من ذلك في زكاهِ مَنْابِتِهِمْ  
وطيبِ أَرْضِهِمْ ارتفعتْ عَنْهُمْ الْمَوْنُ جَمَلَةً في الْفَلَحِ مع كَثْرَتِهِ وَعُمُومِهِ ،  
فَصَارَ ذَلِكَ سَبَباً لِرُخْصِ الْأَقْوَاتِ بِيْلَدِهِمْ . واللهُ مُقَدِّرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ،  
وهو الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ، لا رَبَّ سِوَاهُ .

## الفصل الثالث عشر

في قصور أهل البادية عن سكنى المصر الكثير العمران

والسَّبَبُ في ذلك أَنَّ الْمَصَرَ الْكَثِيرَ الْعُمُرَانَ ، يَكْثُرُ تَرْفُهُ كما  
قَدَّمَناهُ ، وتَكْثُرُ حَاجَاتُ ساكِنِهِ من أَجْلِ التَّرَفِ . وتُعْتَادُ تلكَ  
الْحَاجَاتُ لما يَدْعُو إِلَيْهَا ، فتَتَقَلَّبُ ضَرُورَاتُ وَتَصِيرُ الْأَعْمَالُ فِيهَا كُلِّهَا  
مع ذلك عَزِيزَةً وَالْمَرَاغِقُ غَالِيَةً ، بِازْدِحَامِ الْأَغْرَاضِ عَلَيْهَا من أَجْلِ  
التَّرَفِ ، وبِالْمَغَارِمِ السُّلْطَانِيَّةِ الَّتِي تَوْضَعُ على الْأَسْوَاقِ وَالْبِيَعَاتِ  
وتُعْتَبَرُ في قِيَمِ الْمِيبَعَاتِ ، وَيَعْظُمُ فِيهَا التَّلَاوُحُ في الْمَرَاغِقِ وَالْأَقْوَاتِ  
وَالْأَعْمَالِ ، فتَكْثُرُ لَذلكَ نَفَقَاتُ ساكِنِهِ كَثْرَةً بِالْفَتْةِ على نِسْبَةِ  
عُمُرَانِهِ . وَيَعْظُمُ خُرْجُهُ ، فيَحْتَاجُ حِينَئِذٍ إِلَى الْمَالِ الْكَثِيرِ لِلتَّنْفَةِ على  
نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ في ضَرُورَاتِ عَيْشِهِمْ وَسَائِرِ مَوْثِقِهِمْ .

والبدوي لم يكن دخله كثيراً ، إذ كان ساكناً بمكان كايدي  
 الأسواق في الأعمال التي هي سبب الكسب ، فلم يتأثّل كسباً  
 ولا مالاً فيتمدّد عليه من أجل ذلك سكنى المصر الكبير ، لفلاء  
 مرافقه وعزّة حاجاته . وهو في بدوّه يسدّخلته بأقلّ الأعمال ، لأنّه  
 قليل عوائد الترفّ في معاشه وسائر مؤنّه ، فلا يضطرّ الى المال .  
 وكلّ من يتسوّف الى المصر وسكناء من أهل البادية ، فريماً  
 ما يظهر عجزه ويفتضح في استيطانه ، إلا من تقدّم منهم تأثّل  
 المال ، ويحصل له منه فوق الحاجة ، ويحري إلى الغاية الطبيعية لأهل  
 العمران من الدعة والترفّ . فحينئذ ينتقل الى المصر ، وينتظم حاله  
 مع أحوال أهله في عوائدهم وترفيه . وهكذا شأن بداية عمران  
 الأمصار . والله بكل شيء محيط .

## الفصل الرابع عشر

في أن الإقطار في اختلاف أحوالها بالرفق والفق مثل الأمصار

اعلم أنّ ما توفّر عمرانّه من الأقطار ، وتمتدّت الأمم في  
 جهاته ، وكثّر ساكنه ، اتّسعت أحوال أهله وكثرت أموالهم  
 وأمصارهم وعظمت دوائهم وممالكهم . والسبب في ذلك كلّ ما  
 ذكرناه من كثرة الأعمال ، وما يأتي ذكره من أنها سبب للثروة ،  
 بما يفضل عنها بعد الوفاء بالضروريّات في حاجات الساكن من  
 الفضلة البائنة على مقدار العمران وكثوته ؛ فيعود على الناس



كسباً يتأثّلونه ، حسبنا نذكر ذلك في فصل المعاش وبيان الرزق والكسب . فيزيد الرقة لذلك ، وتتنسّع الأحوال ، ويجيء الترفّ والنفي ، وتكثر الجباية للدولة بنفاق الأسواق ؛ فيكثر ماؤها ويشخّ سلطانها ، ويتفنن في اتخاذ المعامل والحصون ، واختطاط المدن ، وتشيد الأمصار .

واعتبر ذلك بأقطار المشرق ، مثل مصر والشام ويراقي العجم والهند والصين ، وناحية الشمال كلها ، وأقطارها وراء البحر الرومي ؛ لما كثر عُمرانها كيف كثر المال فيهم ، وعظمت دُولهم ، وتعددت مدنهاً وحواضرهم ، وعظمت متاجرهم وأحوالهم . فالذي نشاهدُه لهذا العهد ، من أحوال تجار الأمم النصرانية ، الواردين على المسلمين بالمغرب ، في دفعهم واتساع أحوالهم أكثر من أن يحيط به الوصف . وكذا تجار أهل المشرق ، وما يلبّغنا عن أحوالهم وأبلّغ منها أحوال أهل المشرق الأقصى من عراق العجم والهند والصين ؛ فإنه يلبّغنا عنهم في باب النفي والرقة غرائب تسيّر الركبان بجديتها ؛ وربما تُتلقّى بالإتكار في غالب الأمر . ويجسب من يستعها من العامة أن ذلك زيادة في أموالهم ، أو لأنّ المعادين الذهبية والفضية أكثر بأرضهم ، أو لأنّ ذهب الأقدمين من الأمم استأثروا به دون غيرهم ؛ وليس كذلك . فملين الذهب الذي نعرفه في هذه الأقطار ، إنما هو ببلاد السودان ، وهي إلى المغرب أقرب . وجميع ما في أرضهم من البضاعة فانما يجلبونه إلى غير بلادهم للتجارة . فلو كان المال عتيداً موفوراً لديهم ، لما جلبوا بضائعهم إلى

سواهم يتفنون بها الأموال ، ولاستغنوا عن أموال الناس بالجملة .  
ولقد ذهب النجومون لما رأوا مثل ذلك ، واستغفروا ما في  
المشرق من كثرة الأحوال واتساعها وفور أموالها ؛ فقالوا بأن  
عطايا الكواكب والسيّام في مواليد أهل المشرق أكثر منها  
حصصاً في مواليد أهل المغرب . وذلك صحيح من جهة المطابقة  
بين الأحكام النجومية والأحوال الأرضية كما قلناه . وهم إنما  
أعطوا في ذلك السبب النجمي ، وبقي عليهم أن يعطوا السبب  
الأرضي ، وهو ما ذكرناه من كثرة العمران واختصاصه بأرض  
المشرق وأقطاره . وكثرة العمران تفيد كثرة الكسب بكثرة  
الأعمال التي هي سببها ؛ فلذلك اختص المشرق بالرّفه من بين  
الآفاق ، لا أن ذلك لجزء الأثر النجمي . فقد فهمت مما أشرنا  
لك أولاً أنه لا يستعمل بذلك ، فإن المطابقة بين حكمه وعمران  
الأرض وطبيعتها أمر لا بد منه .

واعتبر حال هذا الرّفه من العمران ، في قطر إفريقية وبرقة ،  
لما خف ساكنها وتناقص عمرائها ، كيف تلاشت أحوال أهلها  
وانتهوا إلى الفقر والخصاصة . وضمت جباياتها ، فقلت أموال دولها ،  
بعد أن كانت دول الشيعة وصنهاجة بها ، على ما بلغك من الرّفه  
وكثرة الجبايات واتساع الأحوال في نفقاتهم وأعطياتهم . حتى لقد  
كانت الأموال تُرفع من القيزوان إلى صاحب مصر لحاجته ومهماتِه  
في غالب الأوقات . وكانت أموال الدولة ، بحيث حمل جوهر  
الكايتب في سفره إلى فتح مصر ألف حمل من المال ، يستعملها

لأرزاق الجنود وأعطيتهم ونفقات الزواج.

وقطر المغرب وإن كان في القديم دون إفريقية فلم يكن بالقليل في ذلك. وكانت أحواله في دول الموحدين متسعة وجباياته موفورة. وهو لهذا العهد قد أقصر عن ذلك لقصور العمران فيه، وتناقصه؛ فقد ذهب من عمران البربر فيه أكثره، ونقص عن معهوده نقصاً ظاهراً محسوساً، وكاد أن يلحق في أحواله بمثل أحوال إفريقية، بعد أن كان عمرانُه متصلاً من البحر الرومي إلى بلاد السودان، في طول ما بين الشوس الأقصى وربة. وهي اليوم كلها أو أكثرها قفارٌ وخلاءٌ وصحارى، إلا ما هو منها بسيف البحر أو ما يقاربُه من الثول. والله واثق الأرض ومن عليها، وهو خير الوارثين.

## الفصل الخامس عشر

في تأمل العقار والضياع في الأمصار وحال أهلها واستغلتها

اعلم أن تأمل العقار والضياع الكثيرة لأهل الأمصار والمُدن، لا يكونُ دفعةً واحدةً، ولا في عصرٍ واحدٍ؛ إذ ليس يكونُ لأحدٍ منهم من الثروة، ما يملكُ به الأملاك التي تُخرجُ قيمها عن الحد؛ ولو بلغت أحوالهم في الرفه ما عسى أن تبلغ. وإنما يكونُ ملكهم وتأملهم لها تدريجاً، إما بالوراثَةِ من آبائهم وذوي رحمهم، حتى تنادى أملاكُ الكثيرين منهم إلى الواحدِ وأكثر

كذلك ؛ أو أن يكونَ بحوالَةِ الاسواقِ . فإنَّ العقارَ في أولِخِرِ الدولةِ وأوَّلِ الأخرى ، عندَ فناءِ الحاميةِ ، وخرقِ السِّياجِ ، وتداعيِ المصرِ الى الحرابِ ، تَقِلُّ النِّبْطَةُ به لِقَلَّةِ المنفعةِ فيها ، بتلاشيِ الأحوالِ ، فترُخصُ قِيَمُها وتُتَلَكُّ بالأثمانِ اليسيرةِ ، وتُتَخَطَّى بالمراثِ إلى مُلْكِ الآخرِ ؛ وقد استجدَّ المصرُ شبابَهُ باستفحالِ الدولةِ الثانيةِ ، وانتظمت له أحوالُ راتقةٌ حسنة ، تحصلُ معها النِّبْطَةُ في العقارِ والصِّياغِ ، لكثرةِ منافعها حيثنذر ، فتعظمُ قِيَمُها ، ويكونُ لها خطرٌ لم يكن في الأوَّلِ . وهذا معنى الحوالَةِ فيها . ويُصِحُّ مالُهَا من أغنى أهلِ المصرِ ، وليسَ ذلكَ بِسِعِيهِ واكتسابِهِ ، إذ قُدْرَتُهُ تعجزُ عن مثلِ ذلكِ .

وأما فوائدُ العقارِ والصِّياغِ فهي غيرُ كافيةٍ لمالِكِها في حاجاتِ معاشِهِ ، إذ هي لا تفي بعوائدِ التَّرفِ وأسبابِهِ ؛ وإنما هي في الغالبِ لِسَدِّ الخَلَّةِ وَضُرُورَةِ المعاشِ . والذي سمعناه من مشيخَةِ البلدانِ أنَّ القصدَ باقتناءِ المُلْكِ من العقارِ والصِّياغِ ، إنما هو الخَشْيَةُ على من يتركُ خَلْقَهُ من النِّزَريَّةِ الضُّعْفاءِ<sup>(١)</sup> ، ليكونَ مرباهم به ورزقُهم فيه ، ونشؤهم بفائدته ما داموا عاجزينَ عن الاكتسابِ . فإذا اقتدروا على تحصيلِ المكاسبِ سَعَوْا فيها بأنفسِهِمْ . وربما يكونُ من الولَدِ من يعجزُ عن التَّكسُّبِ لضعفِ في بَدَنِهِ أو آفَةٍ في عقله المعاشيِّ ؛ فيكونُ ذلكَ العقارُ قِواماً لحاله . هذا قصدُ المُتَرَقِّينَ في اقتنائه . وأما التَّمَوُّلُ منه وإجراهُ أحوالِ المُتَرَفِّينَ فلا .

(١) كذا وفي ب : الضعاف .

وقد يحصل ذلك منه للقليل أو النادر بحواله الأسواق، وحصول الكثرة الباقية منه، والعالى<sup>(١)</sup> في جنسه وقيمته في مصر. إلا أن ذلك إذا حصل قريباً امتدّت إليه أعين الأمراء والولاة، واعتصبوه في الغالب، أو أرادوه على بيعه منهم، وقالت أصحابه منه مضاراً ومعاطباً. والله غائب على أمره، وهو ربُّ العرش العظيم.

## الفصل السادس عشر

في حاجات التمويل من أهل الأمصار إلى الجاه والمدافعة

وذلك أن الحصري إذا عظم قموؤه وكثر للمقار والضياع تأثله، وأصبح أغنى أهل مصر ورمقته العيون بذلك، وانفسحت أحواله في الترف والموائد، زاحم عليها الأمراء والملوك وغصوا به. ولما في طباع البشر من العدوان، تمتدّ أعينهم إلى ثملك ما بيده، وينافسون فيه، ويتحيلون على ذلك بكل ممكن، حتى يحصلونه<sup>(٢)</sup> في ربة حكم سلطاني، وسبب من الموانع ظاهراً، يتزعج به ماله. وأكثر الأحكام السلطانية جائزة في الغالب، إذ العدل المحض إنما هو في الخلافة الشرعية وهي قليلة البت. قال تعالى:

(١) كذا، وفي ب: والتغالي. وفي نسخة أخرى: والمغالي.

(٢) هكذا في الأصل. والفعل «يحصل» وارد هنا بمعنى يوقع. والريقة: تعني العروة في الحبل. ومن الواضح أن «حتى» للغاية؛ وذلك يعني أن الفعل بعدها منصوب بأن مضمرة وفي ب: حتى بحصوله.. الخ وفي نسخة أخرى: حتى بحصوله.. الخ.

« الخِلافةُ بعدي ثلاثون سنةً ، ثم تعودُ مُلكاً عضوضاً » . فلا بُدَّ حينئذٍ لصاحبِ المالِ والثروةِ الشهيرةِ في المُمرانِ ، من حاميةٍ تزدودُ عنه ، وجامٍ ينسحبُ عليه من ذي قرابةٍ للملكِ أو خالصةٍ له أو عصبيةٍ يتحاماها السُّلطانُ ؛ فيستظلُّ هو يظِّلُها ، ويرتفعُ في أمنِها من طوارقِ التعدي . وإن لم يكن له ذلك ، أصبحَ نهياً بوجودِ التحيلاتِ وأسبابِ الحُكَّامِ<sup>(١)</sup> . واللهُ يحكمُ لا معيَّبَ لحكيمه .

## الفصل السابع عشر

في أن المضادة في الإصا من قبل الدول  
وانما ترسخ بالتصال الحياتي ورسوخها

والسببُ في ذلك أن الحضارةَ هي أحوالٌ عاديةٌ زائدةٌ على الصَّروِيَّةِ من أحوالِ المُمرانِ ، زيادةً تتفاوتُ بتفاوتِ الرِّفهِ وتفاوتِ الأُممِ<sup>(٢)</sup> في القِلَّةِ والكثرةِ تفاوتاً غيرَ منحصرٍ . ويقعُ فيها عند كثرةِ التفنُّنِ في أنواعِها وأصنافِها ؛ فتكونُ بمنزلةِ الصِّناعاتِ ، ويحتاجُ كلُّ صنفٍ منها إلى القوِّمةِ عليه ، المَهْرَةِ فيه . وبقدري ما يترَيِّدُ من أصنافِها تترَيِّدُ أهلُ صِناعتِها ، ويتلَوْنُ ذلك الجبلُ بها . ومتى اتَّصَلَتِ الأيامُ وتعاقَبَتِ تلك الصِّناعاتُ<sup>(٣)</sup> ، حَذَقَ أولئك

(١) كذا وفي ب: الحكم .

(٢) كذا وفي ب: وتفاوتِ الأمر .

(٣) كذا وفي ب: الصِّناعاتِ .

الصَّنَاعُ في صناعتهم ، وَهَرَوُا في معرفتها . والأَعْصَارُ بطولها وانْفِصَاحِ  
أَمْدِهَا وتَكَرُّرِ أمثالها تريدُها استحكاماً وِدُسُوخاً . وأكثر ما يَبْعُ  
ذلك في الأمصارِ لاستِبحارِ المُمرانِ وكثرة الرِّفْقِ في أهلها . وذلك  
كلُّهُ إِنَّمَا يَجِيءُ من قِبَلِ الدولة ، لأنَّ الدولةَ تَجْمَعُ أموالَ الرِّعَايَةِ  
وتُنْفِقُها في بِطَانَتِها وِرْجَالِها . وتتَّسِعُ أحوالُهم بِالجَاهِ أَكْثَرَ من اتِّسَاعِها  
بِالمَالِ ، فيكونُ دَخْلُ تلكَ الأموالِ من الرعايا وخرُجُها في أهلِ  
الدولةِ ، ثمَّ فيمن تَعَلَّقَ بِهِم من أهلِ المِصرِ ، وهم الأكثرُ ، فتَعْظُمُ  
لذلك ثروَتُهُمْ ، ويَكْثُرُ غِنَاؤُهُمْ ، وتَزِيدُ عوائدُ التَّرْفِ ومُذَاهِبُهُ ،  
وتستَحْكِمُ لديهم الصنائعُ في سائرِ فنونه ، وهذه هي الحضارةُ .  
ولهذا نُجِدُ الأمصارَ التي في القاصِيَةِ ، ولو كانت موفورة المُمرانِ ،  
تَغْلِبُ عليها أحوالُ البِدَاوَةِ وتَبْعُدُ عن الحضارةِ في جميعِ مَذَاهِبِها ؛  
بِخِلَافِ المَدِينِ المتوسِّطَةِ في الأَقْطَارِ التي هي مركزُ الدولة ومقرُّها .  
وما ذاكُ إِلَّا لِجَاوِرَةِ السُّلْطَانِ لَهُمْ وفيضُ أمواله فيهم ، كاللأَمْ ، يَخْضِرُ  
ما قَرَبَ مِنْهُ ، مما قَرَبَ ، من الأرضِ ؛ إلى أن ينتهي إلى الجُفُوفِ  
على البعدِ . وقد قَدَّمْنَا أَنَّ السُّلْطَانَ والدولةَ سُوْقُ للعالمِ . فالْبِضائعُ  
كلُّها موجودةٌ في السوقِ وما قَرَبَ مِنْهُ ، وإذا بَعُدَتْ عن السوقِ  
اِفْتَضَّتْ البِضائعُ جُمْلَةً . ثمَّ إِنَّهُ إِذَا اتَّصَلَتْ تلكَ الدولةُ ، وتماقَبَ  
ملوكُها في ذلك المِصرِ ، واحداً بعدَ واحدٍ ، استحكمت الحضارةُ  
فيهم وزادت دُسُوخاً .

واعْتَبِرْ ذلكَ في اليهودِ ، لا طَالَ ملكُهُم بالشامِ نَحْوَ من أَلْفِ  
وأربعمائةِ سنةٍ ، رسخت حضارتُهُمْ وَحَدِّقُوا في أحوالِ المعاشِ

وعوائده، والتفتن في صناعاته من المطاعم والملابس وسائر أحوال المنزل . حتى انها لتؤخذ عنهم في الغالب إلى اليوم . ودرست الحضارة أيضاً وعوائلها في الشام منهم، ومن دولة الروم بعدهم مئة سنة؛ فكلوا في غاية الحضارة .

وكذلك أيضاً القبط دام ملكهم في الحليقة ثلاثة آلاف من السنين؛ فرسخت عوائد الحضارة في بلادهم مصر، وأعقبهم بها ملك اليونان والروم، ثم ملك الاسلام النابغة للكل . فلم تزل عوائد الحضارة بها متصلة . وكذلك أيضاً رسخت عوائد الحضارة باليمن، لاتصال دولة العرب بها منذ عهد العاقبة والتبابعة آلافاً من السنين . وأعقبهم ملك مصر .

وكذلك الحضارة بالعراق لاتصال دولة التبط والفرس بها، من لدن الكلدانيين والكيئة والكروية والعرب بعدهم آلافاً من السنين . فلم يكن على وجه الأرض لهذا العهد أحضر<sup>(١)</sup> من أهل الشام والعراق ومصر .

وكذا أيضاً رسخت عوائد الحضارة واستحكمت بالاندلس، لاتصال الدولة العظيمة فيها للقوط، ثم ما أعقبها من ملك بني أمية - آلافاً من السنين . وكلتا الدولتين عظيمة . فاتصلت فيها عوائد الحضارة واستحكمت .

وأما إفريقية والمغرب، فلم يكن بها قبل الاسلام ملك ضخم . إنما قطع الروم والإفرنجية إلى إفريقية البحر، وملكوا

(١) كذا بالأصل، والأصح: أكثر حضارة.



السَّاحِلَ، وكانت طاعةُ البرِّ أهلَ الضَّاحِيَةِ لهم طاعةٌ غيرُ مُستَحْكِمَةٍ. فكلُّوا على قلمةٍ أو فاز<sup>(١)</sup>. وأهلُ المغربِ لم يُجاوِزْهم دولةٌ؛ وإنَّما كانوا يبعثونَ بطاعتهم إلى القوطِ من وراء البحرِ. ولما جاء اللهُ بالاسلامِ ومَلَكَ العربُ إفريقياَ والمغربَ، ولم يلبثَ فيهم ملكُ العربِ إلا قليلاً أوَّلَ الاسلامِ، وكانوا لذلك العهدِ في طورِ البداوةِ؛ ومن استقرَّ منهم بإفريقيةَ والمغربِ لم يجدَ بهما من الحضارةِ ما يقدِّدُ فيه من سَلَفَةٍ؛ إذ كانوا يرايَ منفسينَ في البداوةِ. ثم انتقضَ برايرةُ المغربِ الأقصى لأقربِ اليهودِ، على يدِ ميسرةِ الْمُظْفَرِيِّ آيَمَ هشامِ بنِ عبدِ الملكِ، ولم يراجعوا أمرَ العربِ بعد واستقلوا بأمرِ أنفسهم؛ وإن بايعوا لإدريسَ فلا تُمدُّ دولتهُ فيهم عربيَّةً، لأنَّ البرابرةَ هم الذين تَوَلَّوها، ولم يكن من العربِ فيها كثيرٌ عِدَدٍ. وبقيت إفريقياُ للأغاليةِ ومن إليهم من العربِ؛ فكانَ لهم من الحضارةِ بعضُ الشيء، بما حصلَ لهم من تَرْفِ الملكِ ونعيمِهِ، وكثرةِ عمرانِ القيروانِ. وورثَ ذلك عنهم كُتامةٌ ثم صنهاجةٌ من بعدهم. وذلك كُلُّه قليلٌ، لم يبلغْ أربعمئةَ سنةٍ. وانصرفتْ دولتهمُ، واستحالت صِبْغَةُ الحضارةِ، بما كانت غيرَ مستحْكِمَةٍ. وتعلَّبَ بدوُ العربِ الهلاليينَ عليها وخرَّوها، وبقي أثرُ خَفِيِّ من حضارةِ المُمرانِ فيها. وإلى هذا العهدِ يُؤنسُ فيمن سلفَ له بالقلمةِ أو القَيْرَوَانِ أو المهديةِ سلفٌ؛ فتجدُ له من أحوالِ

(١) فاز جمع فَاَزَة: بناء من خرق وغيرها تبقى في المساكن. وفي ب: وأوفاز. وفي نسخة أخرى: قلمة وأفان. وفي نسخة غيرها: قلمة وأوفاز.

الحِضَارَةِ في شُؤْنِ مَنْزِلِهِ وَعَوَائِدِ أَحْوَالِهِ ، آثَاراً مُلْتَبِسَةً بِغَيْرِهَا ،  
يُمَيِّزُهَا الْخُصْرِيُّ الْبَصِيرُ بِهَا ، وَكَذَا فِي أَكْثَرِ أَمْصَارِ إفْرِيقِيَّةٍ . وَلَيْسَ  
ذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ ، لِرُسُوخِ الدَّوْلَةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَكْثَرَ أَمْدًا  
مِنْذُ عَهْدِ الْأَغَابِيَّةِ وَالشَّيْعَةِ وَصَنَاهَا .

وَأَمَّا الْمَغْرِبُ فَانْتَقَلَ إِلَيْهِ مِنْذُ دَوْلَةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ الْأَنْدَلُسِ ،  
حِظٌ كَبِيرٌ مِنَ الْحِضَارَةِ . وَاسْتَحْكَمَتْ بِهِ عَوَائِدُهَا ، بِمَا كَانَ  
لِدَوْلَتِهِمْ مِنَ الْاسْتِبْلَاءِ عَلَى بِلَادِ الْأَنْدَلُسِ . وَانْتَقَلَ الْكَثِيرُ مِنْ  
أَهْلِهَا إِلَيْهِمْ طَوْعاً وَكَرْهاً . وَكَانَتْ مِنْ اتِّسَاعِ النِّطَاقِ مَا عَلِمَتْ ،  
فَكَانَ فِيهَا حِظٌ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ وَاسْتَحْكَمِيهَا ، وَمُعْظَمُهَا مِنْ أَهْلِ  
الْأَنْدَلُسِ . ثُمَّ انْتَقَلَ أَهْلُ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ عِنْدَ جَالِيَةِ النَّصَارَى  
إِلَى إِفْرِيقِيَّةٍ ، فَابْقُوا فِيهَا وَبِأَمْصَارِهَا مِنَ الْحِضَارَةِ آثَاراً ، مُعْظَمُهَا  
بِتُونُسَ ، امْتَزَجَتْ بِحِضَارَةِ مِصْرَ ، وَمَا يَنْقُلُهُ الْمَسَافِرُونَ مِنْ عَوَائِدِهَا  
فَكَانَ بِذَلِكَ لِلْمَغْرِبِ وَإِفْرِيقِيَّةٍ حِظٌ صَالِحٌ مِنَ الْحِضَارَةِ عَفَى عَلَيْهِ  
الْخَفَا ، وَرَجَعَ عَلَى أَعْقَابِهِ . وَعَادَ الْبَرُّ بِالْمَغْرِبِ إِلَى أَدْيَانِهِمْ <sup>(١)</sup> مِنْ  
الْبِدَاوَةِ وَالْخُسُونَةِ . وَعَلَى كُلِّ حَالٍ فَآثَارُ الْحِضَارَةِ بِإِفْرِيقِيَّةٍ أَكْثَرُ  
مِنْهَا بِالْمَغْرِبِ وَأَمْصَارِهِ ، لِمَا تَدَاوَلَ فِيهَا مِنَ التَّوَلَّى السَّالِفَةِ أَكْثَرَ  
مِنْ الْمَغْرِبِ ، وَلَقَرِبَ عَوَائِدِهِمْ مِنْ عَوَائِدِ أَهْلِ مِصْرَ بِكَثْرَةِ الْمُتَرَدِّدِينَ  
بَيْنَهُمْ . فَتَفَطَّنَ لِهَذَا السِّرِّ فَإِنَّهُ خَفِيَ عَنِ النَّاسِ .

وَاعْلَمْ أَنَّهَا أُمُورٌ مُتَنَاسِبَةٌ ، وَهِيَ حَالُ الدَّوْلَةِ فِي الْقُوَّةِ وَالضَّعْفِ ،  
وَكَثْرَةِ الْأُمَمِ أَوِ الْجِيلِ ، وَعِظَمُ الْمَدِينَةِ أَوِ الْمِصْرِ ، وَكَثْرَةُ النِّعْمَةِ

(١) بمعنى عاداتهم . وَرَدَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ : وَثَانَ إِذَا اعْتَادَ خَيْرًا أَوْ شَرًّا .

واليسار. وذلك أن الدولة والملك صودرة الخليقة والعمران، وكلها مائة لها، من الرعايا والأمصار وسائر الأحوال. وأموال الجباية عائدة عليهم، ويسارهم في الغالب من أسواقهم، ومتاجرهم. وإذا أفاض السلطان عطاءه وأمواله في أهلها، انبثت فيهم، ورجعت إليه، ثم اليهم منه. فهي ذاهبة عنهم في الجباية والخراج، عائدة عليهم في العطاء. فعلى نسبة حال الدولة يكون يسار الرعايا، وعلى نسبة يسار الرعايا أيضاً وكثرتهم، يكون مال الدولة. وأصله كله العمران وكثرتهم. فاعتبرة وتأمله في الدول تجده. والله سبحانه وتعالى يحكمكم لا مريب لحكمه.

## الفصل الثامن عشر

في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لحيته وأنها مؤنة بفصله

قد بينا لك فيما سلف، أن الملك والدول غاية العصبية، وأن الحضارة غاية اللبداوة، وأن العمران كله من يداوة وحضارة ومليك وسوق<sup>(١)</sup> له عمر محسوس. كما أن للشخص الواحد من أشخاص المكوّنات عمراً محسوساً. وتبين في المعقول والمنقول أن الأربعين للإنسان غاية في ترايد قواه ونموها، وأنه إذا بلغ سن الأربعين وقفت الطبيعة عن أثر النشوء والنمو برهة، ثم تأخذ

(١) السوق: الرعية، للواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

بعد ذلك في الانحطاط . فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضاً كذلك ،  
لأنه غاية لا مزيد وراءها . وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلتا  
لأهل العمران ، دعاهم بطبعه إلى مذاهب الحضارة والتخلق  
بمبادئها . والحضارة ، كما علمت ، هي التفنن في الترف واستجادة  
أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤتى من أصنافه وسائر فنونه ،  
كالصنائع المهيئة للطايب أو الملابس أو المباني أو القرش أو  
الآنية ، وسائر أحوال المنزل . وللتأني في كل واحد من هذه ،  
صنائع كثيرة لا يحتاج إليها عند البداوة وعدم التأني فيها . وإذا  
بلغ التأني في هذه الأحوال المنزلية غاية تبغ طاعة الشهوات ،  
فتلوث النفس من تلك العوائد بألوان كثيرة ، لا يستقيم حالها  
معا في دينها ولا دنياها : أما دنيا فلاستحكام صبغة العوائد التي  
يسر زعمها ، وأما دنياها فللكثرة الحاجات والمؤونات التي تطالب  
بها العوائد ، ويميز الكسب عن الوفاء بها . ويانه أن المصّر  
بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات أهله ، والحضارة تتفاوت بتفاوت  
العمران ؛ فتي كان العمران أكثر كانت الحضارة أكمل . وقد  
كنا قدّمنا أن المصّر الكثير العمران يختص بالفلاء في أسواقه  
وأسعار حاجته . ثم تريد الماكوس غلاء لأن كمال الحضارة إنما  
تكون عند نهاية الدولة في استيفائها ، وهو زمن وضع الماكوس  
في الدول لكثرة خرجها حيثئذ كما تقدّم . والماكوس تعود على  
البياعات بالفلاء ؛ لأن السوق والتجار كلهم ، يجتسبون على سلعهم  
وبضائهم ، جميع ما ينفقونه ، حتى في مؤونة أنفسهم ؛ فيكون

المكسُ لذلك داخلاً في قيم المبيعات وأثمانها . فتعظم نفقات أهل الحاضرة وتخرج عن القصد إلى الإسراف . ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من أثر العوائد وطاعتها ، وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ، ويتابعون<sup>(١)</sup> في الإملاق والخصاصة ، ويغلب عليهم الفقر . ويقل المستامون للبضائع ، فتكسد الأسواق وتفسد حال المدينة . وداعية ذلك كله إفراط الحضارة والترف . وهذه مفسدتها في المدينة على العموم في الأسواق والعمران .

وأما فساد أهلها في ذاتهم ، واحداً واحداً على الخصوص ؛ فن الكذب والتب في حاجات العوائد ، والتلون بألوان الشر في تحصيلها ، وما يعود على النفس من الضر بعد تحصيلها ، بحصول لون آخر من ألوانها . فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والفسفة والتجمل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه . وتنصرف النفس إلى الفكر في ذلك والنوص عليه واستجاع الحيلة له ، فتجدهم أجرياء<sup>(٢)</sup> على الكذب والمقامرة والنشر والخلافة والسرقة والفجور في الأيمان والرباء في البياعات . ثم تجدهم — لكثرة الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف — أبصر بطرق الفسق ومذاهبه ، والمجاهرة به وبدواعيه ، وإطراح الحشمة في الخوض فيه ، حتى بين الأقارب وذوي الأحمال والمحارم ، الذين تقتضي البدوة الحياء منهم في الإقذاع بذلك . وتجدهم أيضاً أبصر بالكر والخديعة ، يدفعون

(١) كذا ، وفي نسخة : ويتابعون .

(٢) يقال في الجري : جريه ، جمعها أجرياء (لسان العرب) .

بذلك ما عساه ينالهم من القهر ، وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح ؛ حتى يصير ذلك عادةً وخُلُقاً لأكثرهم ، إلا من عصمه الله . ويمجُجُ بحرُ المدينة بالسفلة من أهل الأخلاق الذميمة . ويُجارِهم فيها كثيرٌ من نائسنة الدولة وولدايهم ، ممن أهيل عن التأديب ، وأهمته الدولة من عيادها ، وغلب عليه خُلُقُ الجوار والصحابة ، وإن كانوا أصحابه أهل أنساب وبيوتات<sup>(١)</sup> . وذلك أن الناس بشرٌ متماثلون ؛ وإنما تفاضلوا وتمايزوا بالخُلُقِ واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل . فن استحكمت فيه صبغة الرذيلة بأي وجه كان ، وفسد خُلُقُ الخير فيه ، لم ينفعه زكاه نَسَبه ولا طيب منيته . ولهذا تجد كثيرًا من أعقاب البيوت وذوي الأحساب والأصالة وأهل الدول ، منطرحين في الفُجَارِ<sup>(٢)</sup> ، منجليين للحرف الدنية في معاشهم بما فسد من أخلاقهم ، وما تلوثوا به من صبغة الشر والسفاسة . وإذا كثر ذلك في المدينة أو الأمة تأذن الله بخراجها وانقراضها ؛ وهو معنى قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾<sup>(٣)</sup> .

ووجه أن مكاسبهم حينئذ لا تفي بجلايتهم ، لكثرة العوائد ومطالبة النفس بها ، فلا تستقيم أحوالهم . وإذا فسدت أحوال

(١) كذا ، وفي ب : وأبوتات .

(٢) الفجار : جماعة الناس ولقيفهم .

(٣) آية ١٦ من سورة الإسراء .

الأشخاص، وإحداً وإحداً، اختل نظام المدينة وخربت. وهذا معنى ما يقوله بعض أهل الحواص<sup>(١)</sup>: "أن المدينة إذا كثرت فيها غرس النارينج تأدنت بالحراب، حتى أن كثيراً من العامة يتحامي غرس النارينج بالدور، تطيراً به؛ وليس المراد ذلك ولا أنه خاصة<sup>(٢)</sup> في النارينج، وإنما معناه أن البساتين وإجراء المياه هو من توابع الحضارة. ثم أن النارينج واللیم والسرو وأمثال ذلك، مما لا طعم فيه ولا منفعة، هو من غايات الحضارة، إذ لا يقصد بها في البساتين إلا أشكلها فقط، ولا تُغرس إلا بعد الثفن في مذاهب الترف. وهذا هو الطور الذي يُجنح معه هلاك المضر وخرابه كما قلناه. ولقد قيل مثل ذلك في الدفلى، وهو من هذا الباب، إذ الدفلى لا يقصد بها إلا تلون البساتين بتووها، ما بين أحر وأبيض، وهو من مذاهب الترف.

ومن مفاسد الحضارة أيضاً الانهالك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف؛ فيقع الثفن في شهوات البطن من المأكول والملاذ والمشايب وطبيها. ويتبع ذلك الثفن في شهوات الفرج بأنواع المناكح، من الزنى واللواط، فيفضي ذلك إلى فساد النوع؛ إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنى، فيجمل كل واحد ابنه إذ هو لغير ريشدة، لأن المياه مختلطة في الأرحام، فتفقد الشفقة الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون، ويؤدي ذلك

(١) وفي نسخة: أهل الحواضر.

(٢) وفي نسخة (ب): طيرة.

الى انقطاع النوع؛ أو يكون فساد النوع بغير واسطة، كما في اللواط المؤدي إلى عدم النسل رأساً وهو أشد في فساد النوع إذ هو يؤدي إلى أن لا يوجد النوع. والزنا يؤدي إلى عدم ما يوجد منه. ولذلك كان مذهب مالك، رحمه الله، في اللواط أظهر من مذهب غيره، وذل على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للصالح. فافهم ذلك واعتبر به أن غاية المنان هي الحضارة والترف، وأنه إذا بلغ غاية انقلب إلى الفساد وأخذ في الهرم، كالآعمار الطبيعية للحيوانات. بل نقول إن الأخلاق الحاصلة من الحضارة والترف هي عين الفساد، لأن الإنسان إما هو إنسان باقداؤه على جلب منافع ودفع مضار ومستمدة خلقه للسعي في ذلك. والحضري لا يقدر على مباشرة حاجاته: إما عجزاً لما حصل له من الدعة؛ أو رفهاً لما حصل له من المربى في التعم والترف. وكلا الأمرين ذميم. وكذلك لا يقدر على دفع المضار واستقامة خلقه للسعي في ذلك. والحضري بما قد فقد من خلقه البأس بالترف والمربى في قهر التأديب والتعليم؛ فهو لذلك عيال على الحامية التي تدافع عنه. ثم هو فاسد أيضاً في دينه غالباً بما أفسدت منه العوائد وطاعتها، وما تلونت به النفس من ملكاتها كما قرأناه، إلا في الأقل النادر. وإذا فسد الإنسان في قدرته ثم في أخلاقه ودينه، فقد فسدت إنسانيته وصار مسخاً على الحقيقة. وبهذا الاعتبار كان الذين يتقربون، من جند السلطان، إلى البداوة والحسونة، أنفع من الذين يتربون على الحضارة وخلقها. وهذا



موجود في كل دولة . فقد تبين أن الحضارة هي سن الوقوف  
لعمرك العالم من العمران والدول . والله سبحانه وتعالى ، كل يوم ،  
هو في شأن ، لا يشغله شأن عن شأن .

## الفصل التاسع عشر

في ان الصغار التي تكون كرامى الملك تخب بخراب الدولة وانتفاضها

قد استقرنا في العمران أن الدولة إذا اختلت وانتقضت ،  
فإن المصر الذي يكون كرسياً لسلطانها ينتفض عمرانها ، وربما  
ينتهي في انتفاضه الى الخراب ، ولا يكاد ذلك يتخلف . والسبب  
فيه أمور :

الأول - أن الدولة لا بد في أولها من البداوة المقتضية للتجافي  
عن أموال الناس والبعد عن التحدث . ويدعو ذلك إلى تخفيف  
الجباية والمغرم التي منها مادة الدولة ، فتقل النفقات ويقصر  
الترف . فإذا صار المصر الذي كان كرسياً للملك في ملكة هذه  
الدولة المتجددة ، ونقصت أحوال الترف فيها ، نقص الترف فيمن  
تحت أيديها من أهل المصر ، لأن الرعايا تبع للدولة ، فيرجعون  
إلى خلق الدولة ، إما طوعاً لما في طباع البشر من تقليد متبوعهم ،  
أو كرهاً لما يدعو إليه خلق الدولة من الانقياس عن الترف في  
جميع الأحوال ، وقلة الفوائد التي هي مادة العوائد ، فتقصر

لذلك حِصَارَةُ المِصْرِ ، ويذهبُ منه كثيرٌ من عوائدِ التَّرَفِ . وهي معنى ما نقولُ في خرابِ المِصرِ .

الأمر الثاني - أَنَّ الدَّوْلَةَ إِنَّمَا يَحْصُلُ لَهَا الْمَلِكُ وَالْإِسْتِيلَا بِالْقَلْبِ ، وَإِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ وَالْحُرُوبِ . وَالْعِدَاوَةُ تَقْتَضِي مَنَاقَاةً بَيْنَ أَهْلِ الدَّوْلَتَيْنِ ، وَتَكْثُرُ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فِي الْعَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ . وَغَلِبَ أَحَدُ الْمُتَنَافِئِينَ يَذْهَبُ بِالْمُنَافِي الْآخَرِ ؛ فَكَوْنُ أَحْوَالِ الدَّوْلَةِ السَّابِقَةِ مُنْكَرَةً عِنْدَ أَهْلِ الدَّوْلَةِ الْجَدِيدَةِ وَمُسْتَبْشَعَةً وَقَبِيحَةً . وَخُصُوصاً أَحْوَالِ التَّرَفِ فَتُفْقَدُ فِي عَرَضِهِمْ بِنَكِيرِ الدَّوْلَةِ لَهَا ، حَتَّى تَنْشَأَ لَهُمْ بِالتَّدْرِيجِ عَوَائِدُ أُخْرَى مِنَ التَّرَفِ ؛ فَكَوْنُ عَنْهَا حِصَارَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ . وَفِيَا بَيْنَ ذَلِكَ قُصُورُ لِحِصَارَةِ الْأُولَى وَنَقْصُهَا ، وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِ الْعُمَرَاءِ فِي الْمِصْرِ .

الأمر الثالثُ - أَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ لَا بَدْءَ لَهَا مِنْ وَطَنِ هُوَ مُنْشَأُهُمْ وَمِنْهُ أَوَّلِيَّةُ مُلْكِهِمْ . وَإِذَا مَلَكَوْا وَطَنًا آخَرَ صَارَ تَبَعًا لِلأَوَّلِ ، وَأَمْصَارُهُ تَابِعَةٌ لِأَمْصَارِ الْأَوَّلِ . وَاتَّسَعَ نِطَاقُ الْمُلْكِ عَلَيْهِمْ . وَلَا بَدْءَ مِنْ تَوْسِطِ الْكَرْسِيِّ بَيْنَ تَحُومِ الْمَالِكِ الَّتِي لِلدَّوْلَةِ ، لِأَنَّهُ شِبْهُ الْمَرْكَزِ لِلنِّطَاقِ ؛ فَيَعُدُّ مَكَانَهُ عَنْ مَكَانِ الْكَرْسِيِّ الْأَوَّلِ وَتَهْوِي أَفئِدَةُ النَّاسِ إِلَيْهِ مِنْ أَجْلِ الدَّوْلَةِ وَالسُّلْطَانِ ؛ فَيَنْتَقِلُ إِلَيْهِ الْعُمَرَاءُ وَيَجِئُفُ مِنَ مِصْرِ الْكَرْسِيِّ الْأَوَّلِ . وَالْحِصَارَةُ إِنَّمَا هِيَ بُوْفُورُ الْعُمَرَاءِ كَمَا قَدَّمْنَا ؛ فَتَنْقُصُ حِصَارَتُهُ وَتَقْدُنُهُ وَهُوَ مَعْنَى اخْتِلَالِهِ . وَهَذَا كَمَا وَقَعَ لِلسُّلْجُوقِيَّةِ فِي عَدُولِهِمْ بِكَرْسِيَّتِهِمْ عَنْ بَغْدَادَ إِلَى أَصْبَهَانَ ، وَلِلْعَرَبِ قَبْلَهُمْ فِي الْعُدُولِ عَنِ الْمَدَائِنِ إِلَى الْكُوفَةِ وَالْبَصْرَةِ ، وَلِبَنِي

العباس في العدول عن دمشق الى بغداد ، ولبنى مرين بالمغرب  
في العدول عن مراكش الى فاس . وبالجملة فاتخاذ الدولة الكرسي  
في مصر يُجَلُّ بعمران الكرسي الأول .

الأمر الرابع - أن الدولة المتجددة إذا غلبت على الدولة السابقة  
لا بد فيها من تتبّع أهل الدولة السابقة وأشياعها ، بتحويلهم الى  
قُطُرٍ آخر تؤمن فيه غائلتهم على الدولة . وأكثر أهل مصر  
الكرسي أشياع الدولة . إما من الحامية الذين تزلوا به أول الدولة  
أو من أعيان مصر ، لأن لهم في الغالب مخالطة للدولة على  
طبقاتهم وتنوع أصنافهم . بل أكثرهم ناشئ في الدولة فهم شعبة  
لها . وإن لم يكونوا بالشوكة والعصبية ؛ فهم بالليل والمحبة والعتيقة .  
وطبيعة الدولة المتجددة نحو آثار الدولة السابقة ؛ فتقتلهم من مصر  
الكرسي الى وطنها المتمكن في ملكيتها . فبعضهم على نوع التفرير  
والحبس ؛ وبعضهم على نوع الكرامة والتلطف ، بحيث لا يؤدي  
الى النفرة ، حتى لا يبقى في مصر الكرسي إلا الباعة والهمل  
من أهل الفلح والعيادة<sup>(١)</sup> وسواد العامة . وينزل مكانهم في  
حاميتها وأشياعها من يشتد به المصر . وإذا ذهب من المصر أعيانها  
على طبقاتهم نقص ساكنه ، وهو معنى اختلال عمرانها . ثم لا بد  
أن يستجد عمران آخر في ظل الدولة الجديدة ، وتحصل فيه  
حضارة أخرى على قدر الدولة . وإنما ذلك بمثابة من يملك بيتاً داخله

(١) العيادة : اسم من فعل عير . وأهل العيادة هم الذين يراقبون العيار . والعيار ما عيرت  
به المكاييل ، تقول : عيرت به أي سويته ، وهو العيار والمعيار (لسان العرب) .

البلى ؛ والكثير من أوضاعه في بيوته ومراقفه لا توافق مقترحه؛ وله قدرة — على أوصافه مخصوصة — على تغيير تلك الأوضاع ، وإعادته بنائها على ما يختاره ويقترحه ؛ فيخرب ذلك البيت ، ثم يعيدُ بناءه ثانياً .

وقد وقع من ذلك كثيرٌ في الأمصار التي هي كراسيُ للملك وشاهدناه وعلمناه . ﴿وَاللَّهُ يَفْعَلُ الْأَيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ .

والسببُ الطبيعيُّ الأولُ في ذلك على الجلية ، أنَّ الدولةَ والملكَ للعمرانِ ، بمثابةِ الصورةِ للمادةِ ، وهو الشكلُ الحافظُ بنوعه لوجودها . وقد تقرَّرَ في علومِ الحكمةِ أنه لا يمكنُ انفكاكُ أحدهما عن الآخرِ . فالدولةُ دونَ العمرانِ لا تتصورُ ، والعمرانُ دونَ الدولةِ والملكِ متعذِّرٌ ، بما في طباعِ البشرِ من العُدوانِ " الداعي إلى الوازع ، فتتعيَّنُ السِّياسَةُ لذلك . أما الشَّريمةُ أو المملَكِيَّةُ وهو معنى الدولة ؛ وإذا كانا لا ينفكَّان ، فاختلالُ أحدهما مؤثِّرٌ في اختلالِ الآخرِ ، كما كانَ عَدْمُهُ مؤثِّراً في عَدْمِهِ . والخللُ العظيمُ إنَّما يكونُ من خللِ الدولةِ الكليةِ ؛ مثلُ دولةِ الرومِ أو الفُرسِ أو العربِ على العمومِ ، أو بني أُمَيَّةٍ أو بني العبَّاسِ كذلك . وأمَّا النِّزولُ الشَّخصيَّةُ ، مثلُ دولةِ أنو شروانِ أو هرقلِ أو عبدِ الملكِ ابنِ مروانِ أو الرشيدِ ، فأشخاصُها متعاقبةٌ على العمرانِ ، حافظةٌ لوجودِهِ وبقائه ، وقريبةُ الشَّبهِ بعضها من بعضٍ ، فلا تؤثرُ كثيرُ

اختلال . لأن الدولة بالحقبة الفاعلة في مادة العمران إنما هي العصبية والشوكة ، وهي مستمرة مع أشخاص الدول . فإذا ذهبت تلك العصبية ودفعها عصبية أخرى مؤثرة في العمران ، فأذهبت أهل الشوكة بأجمعهم ، عظم الخلل كما قررناه أولاً . والله قادر على ما يشاء . إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وما ذلك على الله بعزيز .

## الفصل العشرون

في إقتصاص بعض الأمصار ببعض الصنائع من بعض

وذلك أنه من البين أن أعمال أهل المصر يستدعي بعضها بعضاً ، لما في طبيعة العمران من التعاون . وما يستدعي من الأعمال يختص ببعض أهل المصر فيقومون عليه ، ويستبصرون في صناعته ويختصون بوظيفته ، ويعملون معاشهم فيه ورزقهم منه ، لعموم البلوى به في المصر والحاجة إليه . وما لا يستدعي في المصر يكون غفلاً ، إذ لا فائدة لمتجلبه في الاحتراف به . وما يستدعي من ذلك لضرورة المعاش ، فيوجد في كل مصر ، كالخباط والحدايد والنجار وأمثالها . وما يستدعي لعوائد الترف وأحواله ، فإنما يوجد في المدن المستبحرة في المارة ، الآخذة في عوائد الترف والحضارة مثل الزجاج والصانغ والدهان والطباخ والصفار والسقاج والفراس والذباغ وأمثال هذه ، وهي متفاوتة . وبقدري ما تريد عوائد

الجُضَارَةِ وتُسَدِّعِي أحوالُ التَّرَفِ تَحْدُثُ صَنَائِعُ لَذَلِكِ النُّوعِ ،  
فتوجدُ بذلكِ المِصرَ دونَ غيرِهِ . ومن هذا البابِ الحُكَّامَاتُ لِأَنَّهَا  
إِنَّمَا تَوجَدُ فِي الْأَمْصَارِ الْمُسْتَحْضِرَةِ الْمُسْتَبْجِرَةِ الْعِمْرَانِ ، لَمَّا يَدْعُو إِلَيْهِ  
التَّرَفُ وَالنِّعَى مِنَ التَّنْعَمِ . وَلِذَلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْمَدِينِ الْمُتَوَسِّطَةِ .  
وإن رُزَّعَ بَعْضُ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ إِلَيْهَا ، فَيَخْطُطُهَا وَيُجْرِي أحوالَهَا .  
إِلَّا أَنَّهَا إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهَا دَاعِيَةً مِنْ كَافَّةِ النَّاسِ ، فَرُعَانًا مَا تُهْجَرُ  
وَتُحْرَبُ ، وَتَقْرُبُ عَنْهَا الْقَوَمَةُ ، لِثِقَلِ فَائِدَتِهِمْ وَمَعَايِشِهِمْ مِنْهَا . وَاللَّهُ  
يَبْضُ وَيَسْطُ

## الفصل الحادي والعشرون

في وجود العصبية في الأمصار وتغلب بعضهم على بعض

من البَيِّنِ أَنَّ الْإِلْتِحَامَ وَالْإِتِّصَالَ مَوْجُودٌ فِي طِبَاعِ الْبَشَرِ .  
وإن لَمْ يَكُونُوا أَهْلَ نَسَبٍ وَاحِدٍ ، إِلَّا أَنَّهُ كَمَا قَدِّمْنَا أَوْعَفُ مَا  
يَكُونُ بِالنَّسَبِ ، وَأَنَّهُ تَحْصُلُ بِهِ الْعَصَبِيَّةُ بَعْضًا مِمَّا تَحْصُلُ بِالنَّسَبِ .  
وَأَهْلُ الْأَمْصَارِ كَثِيرٌ مِنْهُمْ مُلْتَحِمُونَ بِالصَّهْرِ ، يَجْنِبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا  
إِلَى أَنْ يَكُونُوا لَهَا حُلًا ، وَقَرَابَةً قَرَابَةً ، تَجِدُ بَيْنَهُمْ مِنَ الْعَدَاوَةِ  
وَالصَّدَاقَةِ مَا يَكُونُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَالْعَشَائِرِ مِثْلُهُ ، فَيَفْتَرِقُونَ شَيْعًا<sup>(١)</sup>  
وَعَصَائِبَ . فَإِذَا انْزَلَّ الْهَرَمُ بِالْدَوْلَةِ وَتَقَلَّصَ ظِلُّ الدَّوْلَةِ<sup>(٢)</sup> عَنِ الْقَاصِيَةِ ،

(١) كَذَا ، وَفِي ب: شَيْعًا .

(٢) كَذَا ، وَفِي ب: وَتَقَلَّصَ الْمُلْكُ عَنِ الْقَاصِيَةِ .

احتاج أهل أمصارها إلى القيام على أمرهم ، والنظر في حماية بلديهم ، ورجعوا إلى الشورى وتمييز العلية عن السفلة . والنفوس بطباعها متطاولّة إلى القلب والرياسة ، فتطمح المشيخة - لخلاء الجور من السلطان والدولة القاهرة - إلى الاستبداد ، وينازع كل صاحب من يستوصلون بالاتباع من الموالي والشيعة والأحلاف . ويذنون ما في أيديهم للأوغاد والأوثاب ، فيمضون كل لصاحبه ، ويتعين القلب لبعضهم ، فيعطف على اكفائه ، لينض من أعنتهم . ويتبهم بالقتل أو التغريب ، حتى يفضد منهم الشوكات النافذة ، ويقلّم الأظفار الحادشة . ويستبد بمصره أجمع . ويرى أنه قد استحدث ملكاً يورثه عقبه ، فيحدث في ذلك الملك الأصغر ما يحدث في الملك الأعظم ، من عوارض الجور والحرم .

وربما يسمو بعض هؤلاء إلى منازع الملوك الأعظم ، أصحاب القبائل والعشائر والمصبيات والزُحُوف والحروب والأقطار والممالك ، فيتحلون بها ؛ من الجلوس على السرير ، واتخاذ الآلة ، واعداد المواكب للسير في أقطار البلد ، والتختم والتجبة ، والمطاب بالتهويل ؛ ما يسخر منه من يشاهد أحوالهم ؛ لما انتحلوه من شارات الملك التي ليسوا لها بأهل . إنفا دفعهم إلى ذلك تقلص الدولة والتحام بعض القربات ، حتى صارت عصبية . وقد يتزده بعضهم عن ذلك ويجري على مذاهب السذاجة فراراً من التعريض بنفسه للسخرية والعبث . وقد وقع هذا بإفريقية لهذا العهد في آخر الدولة الحفصية لأهل بلاد الجريد ، من طرابلس وقابس

وَتُوَزَّذَ وَنَفْطَةً وَقَفَصَةً وَبَسْكَرَةً وَالزَّابِ، وما إلى ذلك . سَمَوْا إلى  
 مثلها عند تَقْصُرِ ظِلِّ الدَّوْلَةِ عَنْهُمْ مِنْذُ عَقُودٍ مِنَ السِّنِينَ ؛  
 فَاسْتَفْلَبُوا عَلَى أَمْصَارِهِمْ وَاسْتَبَدُّوا بِأَمْرِهَا عَلَى الدَّوْلَةِ فِي الْأَحْكَامِ  
 وَالْجَبَايَةِ . وَأَعْطَوْا طَاعَةً مَعْرُوفَةً وَصَفَقَةً مُمَرَّضَةً ، وَأَقْطَعُوهَا جَانِباً  
 مِنَ الْمَلَايِنَةِ وَالْمَلَاظِمَةِ وَالْإِنْقِيَادِ ، وَهُمْ بِعَمَلِهِ عَنْهُ . وَأُورِثُوا ذَلِكَ  
 أَعْقَابَهُمْ لِهَذَا الْهَيْدِ . وَحَدَّثَ فِي خُلُقِهِمْ مِنَ الْفِلْطَةِ وَالتَّجْبِيرِ مَا يَحْدُثُ  
 لِأَعْقَابِ الْمُلُوكِ وَخَلْفِهِمْ . وَنَظَّمُوا أَنْفُسَهُمْ فِي عِدَادِ السَّلَاطِينِ ، عَلَى  
 قُرْبِ عَهْدِهِمُ بِالسُّوقَةِ ، حَتَّى مَحَا ذَلِكَ مَوْلَانَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو الْعَبَّاسِ ،  
 وَانْتَرَعَ مَا كَانَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْ ذَلِكَ كَمَا نَذَكْرُهُ فِي أَخْبَارِ الدَّوْلَةِ .  
 وَقَدْ كَانَ مِثْلُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي آخِرِ الدَّوْلَةِ الصَّنَهَاجِيَّةِ ، وَاسْتَقْلَ  
 بِأَمْصَارِ الْجَرِيدِ أَهْلُهَا ، وَاسْتَبَدُّوا عَلَى الدَّوْلَةِ ، حَتَّى انْتَرَعَ ذَلِكَ مِنْهُمْ  
 شَيْخُ الْمُوَحِّدِينَ وَمَلِكُهُمْ عَبْدُ الْمُؤْمِنِ بْنُ عَلِيٍّ ، وَنَقَلَهُمْ كُلَّهُمْ  
 مِنْ إِمَارَتِهِمْ بِهَا إِلَى الْمَغْرِبِ ، وَمَحَا مِنْ تِلْكَ الْبِلَادِ آثَارَهُمْ كَمَا نَذَكْرُ  
 فِي أَخْبَارِهِ . وَكَذَا وَقَعَ بِسَبْتَةِ لآخرِ دَوْلَةِ بَنِي عَبْدِ الْمُؤْمِنِ . وَهَذَا  
 التَّغْلِبُ يَكُونُ غَالِباً فِي أَهْلِ السَّرَوَاتِ وَالْيَبُوتَاتِ الْمُرْشَحِينَ  
 لِلشَّيْخَةِ وَالرِّيَاسَةِ فِي الْمِصْرِ ، وَقَدْ يَحْدُثُ التَّغْلِبُ لِبَعْضِ السَّفَلَةِ  
 مِنَ الْفَوْغَاءِ وَالدِّهْمَاءِ . وَإِذَا حَصَلَتْ لَهُ الْعَصْبِيَّةُ وَالِاتِّحَامُ بِالْأَوْغَادِ ،  
 لِأَسْبَابٍ يَجْرُهَا لَهُ الْمَقْدَارُ ؛ فَيَتَغْلِبُ عَلَى الْمَشِيخَةِ وَالْعِلِيَّةِ ، إِذَا كَانُوا  
 فَاقِدِينَ لِلْعَصَابِيَّةِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ .



## الفصل الثاني والعشرون

### في لغة أهل الأمصار

إِعلمُ أَنَّ لُغاتِ أَهلِ الأمصارِ إِنما تكونُ بلسانِ الأُمّةِ ، أو الجبلِ الغالبينَ عليها أو المختَطينَ لها ؛ ولذلك كانت لُغاتُ الأمصارِ الإسلاميّةِ كلّها بالشرقِ والمغربِ لهذا العهدِ عربيّةً ، وإن كان اللسانُ العربيُّ المَصْرِيُّ قد فسدتْ مَلَكُتُهُ وتغيّرَ إعرابُهُ . والسببُ في ذلك ما وقعَ للدولةِ الإسلاميّةِ من القَلْبِ على الأُممِ ، والدينِ والملةِ صورةٌ للوجودِ والمُلْكِ . وكلُّها موادُّ له ، والصورةُ مقدّمةٌ على المادّةِ ؛ والدينُ إِنما يُستفادُ من الشريعةِ ، وهي بلسانِ العربِ ، لما أَنَّ النَّبيَّ ﷺ عربيٌّ ؛ فوجبَ هجرُ ما سوى اللسانِ العربيّ من الألسُنِ في جميعِ ممالكها . واعتبرَ ذلك في نهْيِ عمرَ رضي الله عنه عن رطانةِ الأعاجِمِ ، وقال : إِنها يخبُّ ، أي مكرٌ وخديعةٌ . فلما هجرَ الدينُ اللُغاتِ الأعجميّةِ ، وكان لسانُ القائمينَ بالدولةِ الإسلاميّةِ عربيّاً ، هُجرتْ كلّها في جميعِ ممالكها ؛ لأنَّ الناسَ تَبَعَ السُّلطانَ وعلى دينِهِ ، فصار استعمالُ اللسانِ العربيّ من شعائرِ الاسلامِ وطاعةِ العربِ . وهجرَ الأُممُ لُغائِهِم وألسنتَهُم في جميعِ الأمصارِ والممالكِ . وصارَ اللسانُ العربيُّ لسانَهُم ، حتى رسخَ ذلك لغةً في جميعِ أمصارِهِم ومديُنِهِم ، وصارتِ الألسنةُ العجميّةُ دخيلةً فيها وغريبةً . ثم فسَدَ اللسانُ العربيُّ بمخالطتها في بعضِ أحكامِهِ وتغيّرَ أواخرُهُ ،

وإن كان بقي في الدلالات على أصله ، وسُمِّيَ لساناً حضرياً في جميع أمصار الإسلام .

وأيضاً فأكثر أهل الأمصار في الملة لهذا العهد ، من أعقاب العرب ، المالكين لها ، المالكين في ترَفها ، بما كثروا العجم الذين كانوا بها وورثوا أرضهم وديارهم . واللغات متوارثة ، فبقيت لغة الأعقاب على حيال لغة الآباء ، وإن فسدت أحكامها بمخالطة الأعجام شيئاً فشيئاً . وسُمِّيَت لغتهم حضريّة منسوبة إلى أهل الحواضر والأمصار ، بخلاف لغة البدو من العرب ، فإنها كانت أعرق في العروبيّة . ولما تملك العجم من الديلم والسلجوقيّة بعدتهم بالشرق ، وزانته البربر بالمغرب ، وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية ، فسدت اللسان العربي لذلك ، وكاد يذهب لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتابات والسنة اللذين بهما حفظ الدين ، وصار ذلك مرجحاً لبقاء اللغة الحضريّة من الشعر والكلام ، إلا قليلاً بالأمصار ، عربيّة . فلما ملك التتر والمنغول بالشرق ، ولم يكونوا على دين الإسلام ذهب ذلك المرجح ، وفسدت اللغة العربيّة على الإطلاق ، ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية ، بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر ، وبلاد الشمال ، وبلاد الروم ، وذهبت أساليب اللغة العربيّة من الشعر والكلام ، إلا قليلاً ينحّ تعليمه صناعياً بالقوانين المتدارسة من علوم العرب ، وحفظ كلامهم لمن يسره الله تعالى لذلك . وربما بقيت اللغة العربيّة الحضريّة بمصر والشام

والأندلس والمغرب ، لبقاء الدين طالباً لها ؛ فانخفضت بعض  
 الشيء . وأما في ممالك العراق وما وراءه ؛ فلم يبقَ له أثرٌ ولا  
 عينٌ ، حتى ان كُتِبَ العلوم صارت تُكْتَبُ باللسان العجمي ،  
 وكذا تدرّسُهُ في المجالس . والله أعلم بالصواب . والله مُقَدِّرُ اللَّيْلِ  
 والنهار . صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً  
 دائماً أبداً إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين .

# البَابُ الْخَامِسُ

## من الكتاب الأول

في المعاش ووجهه من الكسب والصناعة وما يعرض في ذلك كله  
من الأحوال وفيه مسائل

## الفصل الأول

في حقيقة الرزق والكسب وشبههما  
ولن الكسب هو قيمة الأعمال البشوية

اعلم أن الإنسان مفتقر بالطبع إلى ما يقوته ويعونه ، في  
حالاته وأطواره ، من لدن نشوئه إلى أشليه إلى كبره . ﴿ وَاللَّهُ  
الْفَرِيقُ وَأَنْشَأَ الْفُقَرَاءَ ﴾ . والله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان ،  
وآمن به عليه في غير ما آية من كتابه فقال تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمَا  
فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا إِنَّهُ ﴾ (١) وسَخَّرَ لَكُمَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ  
وسخر لكم البحر وسَخَّرَ لَكُمَ الْفُلْكَ وسَخَّرَ لَكُمَ الْأَنْعَامَ .  
وكثير من شواهد . ويد الإنسان مبسوط على العالم وما فيه ،  
بما جعل الله له من الاستخلاف . وأيدي البشر منتشرة ، فهي  
مستركة في ذلك . وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر

---

(١) من آية ١٣ من سورة الجاثية .

إلا بِعَوْضٍ . فالإنسان متى اقتدرَ على نفسه وتجاوزَ طَوْرَ الضُّعْفِ ، سعى في اقتناء المكاسب ، لينفقَ ما آتاهُ اللهُ منها ، في تحصيل حاجاته وضروراته بدفعِ الأعْوَاضِ عنها . قال الله تعالى : ﴿ فَأَبْنِئُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ .

وقد يحصلُ له ذلك بغيرِ سعيٍ ، كالمطرِ المصلِحِ للزراعةِ وأمثاله . إلا أنها إنما تكونُ مُعِينَةً ، ولا بدَّ من سعيه معها كما يأتي ، فكونُ له تلك المكاسبُ مَاشاً إن كانت بمقدارِ الضَّرورةِ والحاجةِ ، ورِيشاً ومُتَوَلاً إن زادت على ذلك . ثم إنَّ ذلك الحاصلُ أو المقتنى ، إن عادت منفعةُ على العبدِ ، وحصلت له ثمرتهُ ، من إنفاقه في مصالحه وحاجاته سُمِّيَ ذلك رزقاً . قال ﷺ : « إنما لك من مالك ما أكلت فأفنت ، أو لبست فألبيت ، أو تصدقت فأمضيت » . وإن لم ينتفع به في شيء من مصالحه ولا حاجاته فلا يُسمى بالنسبةِ إلى المالِكِ رزقاً ، والمتملكُ منه حينئذٍ بسعيِ العبدِ وقدرتهِ يُسمى كسباً . وهذا مثلُ التُّراثِ ، فإنه يُسمى بالنسبةِ إلى المالكِ كسباً ولا يُسمى رزقاً ، إذ لم يحصلْ له به مُنتفعٌ ، وبالنسبةِ إلى الوارثين متى انتفعوا به يُسمى رزقاً . هذا حقيقةُ مُسمى الرزقِ عند أهلِ السُّنَّةِ . وقد اشترطَ المعتزلةُ في تسميته رزقاً أن يكونَ بحيثُ يصحُّ تملكُه ، وما لا يُتملكُ عندهم فلا يُسمى رزقاً . وأخرجوا الغُصوباتِ <sup>(١)</sup> والحرامَ كُلَّهُ عن أن يسمى شيءٌ منها رزقاً . والله تعالى يرزُقُ الفَاسِقَ والطَّالِمَ والمؤمنَ والكافرَ ، ويختصُّ برحمتهِ

(١) الغصب مصدر : الشيء المغصوب . ولم ترد في لسان العرب لفظة غُصوبات . لذلك الأصح أن يقول : وأخرجوا الأشياء المَغْصُوبَةَ . وفي ب : المَغْصُوبات .

وهذا يرثى من يشاء . ولهم في ذلك حُجَجٌ ليس هذا موضع بسطها .  
ثم اعلم أن الكسب إنما يكون بالسعي في الاقتناء والقصد  
إلى التحصيل ؛ فلا بد في الرزق من سعي وعمل ولو في تناوله  
وابتغائه من وجوهه . قال تعالى : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ ﴾ .  
والسعي إليه إنما يكون بأقدار الله تعالى وإلهامه ، فالكل من عند  
الله . فلا بد من الأعمال الإنسانية في كل مكسوب ومتمول .  
لأنه إن كان عملاً بنفسه مثل الصنائع فظاهر ؛ وإن كان مقتنى  
من الحيوان أو النبات أو المعدن فلا بد فيه من العمل الإنساني  
كما تراه ، وإلا لم يحصل ولم يقع به انتفاع .

ثم إن الله تعالى خلق الحَجَرَيْنِ المعدنَيْنِ من الذهب والفضة  
قيمة لكل متمول ، وهما الذخيرة والقنية لأهل العالم في الغالب .  
وإن اقتنى سواهما في بعض الأحيان ؛ فإنما هو لقصد تحصيلهما بما  
يقع في غيرها من حواله الأسواق ، التي هما عنها بمزول ؛ فهما أصل  
المكاسب والقنية والذخيرة . وإذا تقرر هذا كله فاعلم أن ما  
يُفْنِدُهُ الإنسان ويقتنيه من الممتلكات ، إن كان من الصنائع فالمفاد  
المقتنى منه هو قيمة عمله ، وهو القصد بالقنية ؛ إذ ليس هنالك  
إلا العمل وليس بمقصود بنفسه للقنية . وقد يكون مع الصنائع في  
بعضها غيرها . مثل التجارة والحياكة معهما الحشْبُ والنزل ؛ إلا  
أن العمل فيهما أكثر ؛ فقيمتُهُ أكثر . وإن كان من غير الصنائع ،  
فلا بد في قيمة ذلك المفاد والقنية من دخول قيمة العمل الذي  
حصلت به ؛ إذ لولا العمل لم تحصل قنيته . وقد تكون ملاحظة

العمل ظاهرة في الكثير منها فتُجَلَّ له حِصَّةٌ من القيمة عَظُمَتْ أو صَغُرَتْ . وقد تخفى ملاحظة العمل كما في أسعار الأوقات بين الناس ؛ فإن اعتبار الأعمال والنقبات فيها ملاحظٌ في أسعار الجيوب كما قدمناه ؛ لكنه خفي في الأقطار التي علاج الفلح فيها ومؤنثه يسيرة ، فلا يَشْرُ به إلا القليل من أهل الفلح . فقد تبين ان المفادات والمكتسبات كلها أو أكثرها إنما هي قيم الأعمال الإنسانية ، وتبين مسمى الرزق ، وأنه المنتفع به . فقد بان معنى الكسب والرزق وشرح مسماهما .

واعلم أنه إذا فُتِدَتِ الأعمال ، أو قُلَّتْ بانتقاص العمران ، تأذن الله برفع الكسب . ألا ترى إلى الأمصار القليلة الساكن ، كيف يقل الرزق والكسب فيها ، أو يُفْقَدُ ، لقلة الأعمال الإنسانية . وكذلك الأمصار التي يكون عمرانها<sup>(١)</sup> أكثر ، يكون أهلها أوسع أحوالاً وأشدَّ رفاهيةً كما قدمناه قبل . ومن هذا الباب تقول العامة في البلاد ، إذا تناقص عمرانها إنما قد ذهب رزقها ؛ حتى ان الأنهار والعيون ينقطع جريها في القفر ، لما أن فور العيون إنما يكون بالإنباط والامتراء الذي هو بالعمل الانساني ؛ كالحال في ضروع الأنعام ، فالإنسان لا يمكن إنباط ولا امتراء نصبت وغارت بالجلية ، كما يحف الضرع اذا ترك امتراؤه . وانظره في البلاد التي تمهد فيها العيون لأيام عمرانها ، ثم يأتي عليها الحراب كيف تنور مياها جلة كأنها لم تكن . ﴿وَاللَّهُ يَفْقِرُ لَيْلٌ وَالنَّهَارُ﴾ .

(١) كذا، وفي ب: تكون أعمالها ... الخ .

## الفصل الثاني

في وجه العيش وأصنافه ومناهجه

اعلم أن العاش هو عبارة عن ابتغاء الرزق والسعي في تحصيله، وهو مفعل من العيش. كأنه لما كان العيش الذي هو الحياة لا يحصل إلا بهذه، جعلت موضعاً له على طريق المبالغة. ثم إن تحصيل الرزق وكسبه: إما أن يكون بأخذه من يد الغير وانتزاعه بالافتداز عليه، على قانون متعارف، ويسمى مغرماً وجبائياً؛ وإما أن يكون من الحيوان الوحشي باقتناصه وأخذه برمييه من البر أو البحر، ويسمى اصطياداً؛ وإما أن يكون من الحيوان الداجن باستخراج فضوله المتصرف بين الناس في منافعهم، كاللبن من الأنعام، والحرير من دودو، والمسل من نخله؛ أو يكون من النبات في الزرع والشجر بالقيام عليه وإعدادو لاستخراج ثمرته. ويسمى هذا كله قلعاً. وإما أن يكون الكسب من الأعمال الانسانية: إما في مواد بعينها، وتسمى الصنائع من كتابة وتجارة وخطاطة وحاكمة وفروسيّة وأمثال ذلك؛ أو في مواد غير معيّنة، وهي جميع الامتيازات والتمرفات؛ وإما أن يكون الكسب من البضائع وإعدادها للأعواض، إما بالتقلب بها في البلاد أو احتكارها، ارتقاب حواله الأسواق فيها. ويسمى هذا تجارة.



فهذه وجوه المعاش وأصنافه ، وهي معنى ما ذكره المحققون من أهل الأدب والحكمة كالحريزي وغيره ؛ فإنهم قالوا : « المعاش إمارهٌ وتجارةٌ وفلاحةٌ وصناعةٌ » : فأما الإمارةُ فليست بمذهبٍ طبيعيٍّ للمعاش ، فلا حاجةَ بنا إلى ذكرها ، وقد تقدّم شيءٌ من أحوال الجبايات السلطانية وأهلها في الفصل الثاني ؛ وأما الفلاحةُ والصناعةُ والتجارةُ فهي وجوهٌ طبيعيةٌ للمعاش . أما الفلاحةُ فهي متقدّمةٌ عليها كلّها بالذات ، إذ هي بسيطةٌ وطبيعيةٌ فطريّةٌ ، لا تحتاجُ إلى نظري ولا علم ، ولهذا تُنسبُ في الخليقة إلى آدم أبي البشر ، وأنه معلّمها والقائمُ عليها ، إشارةً إلى أنها أقدمُ وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة . وأما الصنائعُ فهي تانيّتها ومتأخّرةٌ عنها ، لأنها مُركّبةٌ وعِلِيّةٌ تُصرّفُ فيها الأفكارُ والأنظارُ ؛ ولهذا لا توجدُ غالباً إلا في أهل الحضَر الذي هو متأخّرٌ عن البدو وثانٍ عنه . ومن هذا المعنى تُسبِتُ إلى إدريس الأب الثاني للخليقة ، فإنه مُستنبطها لمن بعده من البشر بالوحي من الله تعالى . وأما التجارةُ وإن كانت طبيعيةً في الكسب ، فالأكثرُ من طُرُفها ومذاهبها ، إنّما هي تحيّلاتٌ في الحصولِ على ما بينَ القيمتين في الشراء والبيع ، لتحصلُ فائدةُ الكسبِ من تلك الفضلة . ولذلك أباح الشرعُ فيه المكاسبَ <sup>(١)</sup> ، لما أنه من بابِ المقامرة ، إلا أنه ليسَ أخذاً للمالِ الغيرِ عجاناً ، فهذا اخْصُ بالمشروعية . والله أعلم .

(١) كذا ، وفي ب : المكاسب .

## الفصل الثالث

في أن النخبة ليس من المعاش الطبيعي

إِعلم أن السلطان لا بد له من اتخاذ الخدمة في سائر أبواب  
الإمارة والمملك الذي هو بسبيله، من الجندي والشرطي والكاظم  
ويستوفي في كل باب من يعلم غناؤه فيه، ويتكفل بأرزاقهم من  
بيت ماله. وهذا كله مندرج في الإمارة ومعايشها إذ كلهم  
ينسحب<sup>(١)</sup> عليهم حكم الإمارة، والمملك الأعظم هو ينبوع  
جداولهم. وأما ما دون ذلك من الخدمة، فسببها أن أكثر المترفين  
يرفع عن مباشرة حاجاته، أو يكون عاجزاً عنها، لما رتب عليه  
من خلق التعمير والترفيه، فيتخذ من يتولى ذلك له، ويقطعه عليه  
أجراً من ماله. وهذه الحالة غير محودة بحسب الجولية الطبيعية  
للإنسان، إذ الإمّة بكل واحد عجز، ولأنها تريد في الوظائف  
والخرج وتدل على العجز والخش اللذين ينبغي في مذاهب الجولية  
التزهد عنهما. إلا أن العوائد تقلب طباع الإنسان إلى ماؤها،  
فهو ابن عوائده لا ابن نسيه. ومع ذلك فالخدم الذي يستوفي  
به ويوثق بقاته كالمفقود، إذ الخدم القائم بذلك لا يعدو أربع  
حالات: إما مضطلع بأمره وموثق فيما يحصل بيده، وإما بالعكس.

(١) بمعنى ينطبق عليهم. ولم ترد بهذا المعنى في لسان العرب، إلا أن يكون ابن خلدون قد  
استعملها على المجاز.

فيهما ، وهو أن يكون غير مضطلع بأمره ولا موثق فيما يحصل بيده ، وإما بالعكس في احدهما فقط ، مثل أن يكون مضطماً غير موثق أو موثقاً غير مضطلع . فأما الأول ، وهو المضطلع الموثق ، فلا يمكن أحد استعماله بوجه ، اذ هو باضطلاعه وثقته غني عن أهل الرتب الدينية ومحتقر لنسب الأجر من الخدمة ، لا قدره على أكثر من ذلك ، فلا يستعمله إلا الأمراء أهل الجاو العريض ، لموم الحاجة الى الجاو . وأما الصنف الثاني وهو من ليس بمضطلع ولا موثق ، فلا ينبغي لما قلر استعماله ، لأنه ينجف بمخدومه في الأمرين معاً ، فيضيع عليه لعدم الاصطناع تارة ، ويذهب ماله بالحيانة أخرى ، فهو على كل حال كل على مولاه . فهذان الصنفان لا يطعن أحد في استعمالهما . ولم يبق إلا استعمال الصنفين الآخرين : موثق غير مضطلع ، ومضطلع غير موثق . والناس في الترجيح بينهما مذهبان ، ولكل من الترجيح وجه . إلا أن المضطلع ، ولو كان غير موثق ، أرجح لأنه يؤمن من تضميمه ، ويحاول على التحرر عن خيانتة جهد الاستطاعة . وأما المضيع ، ولو كان مأموناً ، فضرره بالتضميم أكثر من نفعه . فاعلم ذلك واتخذ قانوناً في الاستكفاء بالخدمة . والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء .

## الفصل الرابع

في ان اجتفا. الأموال من الخلفين والكنوز ليس بمعاش طبيعي

اعلم أنَّ كثيراً من ضَعْفاءِ القولِ في الأمصارِ ، يحرِّصونَ على استخراجِ الأموالِ من تحتِ الأرضِ ، ويتفنَّونَ الكسبَ من ذلك . ويتقدَّونَ أنَّ أموالَ الأممِ السالفةِ تحتَرَتْ كُلُّها تحتِ الأرضِ ، تحتومُ عليها كُلُّها بطلاسمَ سحريةٍ ، لا يفضُّ ختاها ذلك إلا من عثرَ على علمه ، واستحضرَ ما يحلُّهُ من البخورِ والدُّعاءِ والقرآنِ . فأهلُ الأمصارِ بإفريقيةٍ يرونَ أنَّ الإفريقيةَ الذينَ كانوا قبلَ الإسلامِ بها دفنوا أموالهم كذلك ، وأودعوها في الصُّفِيفِ بالكتابِ إلى أن يجدوا السبيلَ إلى استخراجِها . وأهلُ الأمصارِ بالشرقي يرونَ مثلَ ذلك في أممِ القبطِ والرومِ والفرسِ . ويتناقلونَ في ذلك أحاديثَ تُشبهُ حديثَ خُرافَةٍ ، من انتهاء بعضِ الطالبينَ لذلك إلى حفرِ موضعِ المالِ ، ممن لم يَعرِفِ طِلْسَهُ ولا خبره ، فيجدونه خالياً أو معموراً بالديدانِ . أو يشارفُ الأموالَ والجواهرَ موضوعةً ، والحرسَ دونها منتضينَ سيوفهم . أو تُمِدُّ به الأرضُ حتى يظنُّه خسفاً أو مثلَ ذلك من الهذَرِ .

ونجدُ كثيراً من طلبَةِ البرِّ بالمغربِ العاجِزِينَ عن المعاشِ الطبيعيِّ وأسبابِهِ ، يتقرَّبونَ إلى أهلِ الدنيا بالأوراقِ المتخرَّمةِ<sup>(١)</sup>

(١) كذا، وفي ب: المخترمة.

الحواشي ، إما بخطوطٍ عجيبَةٍ ، أو بما تُرجمَ بَرَمِهِمْ منها من خُطوطِ  
أهلِ الدقائقِ ، باعطاء الأماراتِ عليها في أماكنها ، يتفنونَ بذلك  
الرزقَ منهم ، بما يبعثونَهُمْ على الحفرِ والطلبِ ، ويمرّهونَ عليهم  
بأنهم إنما حملَهُمْ على الاستعانةِ بهم طلبُ الجاهِ في مثلِ هذا ، من  
منالِ الحكماءِ والعقوباتِ . وربما تكونُ عند بعضهم نادرةً أو غريبةً  
من الأعمالِ السحريةِ يموّه بها على تصديقِ ما بقي من دعواه ،  
وهو بمزلي عن السحر وطُرُقهِ ، فتولّع كثيرٌ من ضُعفاءِ العقولِ  
يجمع الأيدي على الاحتفارِ ، والتسّترِ فيه بظلماتِ الليل ، غفلةً  
الرُقباءِ وعيونِ أهلِ الدولِ . فإذا لم يعثروا على شيء ردّوا ذلك  
إلى الجهلِ بالطلسمِ الذي ختمَ به على ذلك المالِ ، يُجادعونَ به  
أنفسَهُمْ عن إخفاقِ مطامعِهِمْ . والذي يحملُ على ذلك في الغالبِ ،  
زيادةً على ضُعفِ العقلِ ، إنما هو العجزُ عن طلبِ المعاشِ بالوجوهِ  
الطبيعيةِ للكسبِ من التجارةِ والفلاحِ والصناعةِ ؛ فيطلبونه بالوجوهِ  
المنحرفةِ ، وعلى غيرِ المجرى "الطبيعي" ، من هذا وأمثاله ، عجزاً  
عن السعيِ في المكاسبِ ، وركوناً إلى تناولِ الرزقِ من غيرِ تعبٍ  
ولا نصيبٍ في تحصيله واكتسابه . ولا يعلمونَ أنهم يوقعونَ أنفسهم  
بابتغاء ذلك ، من غيرِ وجهٍ ، في نصيبٍ ومتاعٍ وجهدٍ شديدٍ  
أشدُّ من الأوّلِ ، ويعرّضونَ أنفسهم مع ذلك لمنالِ العقوباتِ .  
وربما يحملُ على ذلك في الأكثرِ زيادةُ الترفِ وعوائلهُ ،  
وخرُوجُها عن حدِّ النهايةِ ، حتى تُقصرَ عنها وجوهُ الكسبِ ومذاهبُهُ ،

ولا تفي بمطالبها . فإذا عجزَ عن الكسب بالمجرى الطبيعيّ ، لم يجد وليجّةً في نفسه ، إلا التّمتني لوجود المال العظيم دفعةً من غير كلفةٍ ، ليفي له ذلك بالعوائد التي حصلَ في أسرها ؛ فيحرصُ على ابتغاء ذلك ويسعى فيه جهده . ولهذا فأكثرُ من تراهم يحرصون على ذلك هم المترفّون من أهل الدولة ، ومن سكان الأمصار الكثيرة الترفّ المتسعة الأحوال ، مثل مصر وما في معناها . فنجدُ الكثير منهم مغرمين بابتغاء ذلك وتحصيله ، ومساءلة الرُّكبان عن شواذِهِ ، كما يحرصون على الكيمياء . هكذا يبلغنا عن أهل مصر في مفاوضة من يلقونه من طلبّة المغاربة ؛ لعلهم يعثرون منه على دفين أو أكثر ، ويزيدون على ذلك البحث عن تقوير المياه ، لما يرون أن غالب هذه الاموال الدفينة كلّها في مجاري النيل ، وأنه أعظم ما يستُر دفيناً أو مختزناً في تلك الآفاق . ويموّه عليهم أصحاب تلك الدفاتر المفتلة في الاعتذار عن الوصول إليها بحرية النيل ، تستراً بذلك من الكذب ، حتى يحصل على مماشيه ؛ فيحرصُ سامع ذلك منهم على تضيوب الماء بالأعمال السحرية لتحصيل مبتغاه من هذه ، ككفّأ بشأن السحر متوارثاً في ذلك القطر عن أوّلئه . فلوهم السحرية وآثارها باقية بأرضهم في البراري<sup>(١)</sup> وغيرها . وقصة سحرة فرعون شاهدة باختصاصهم بذلك وقد تناقل أهل المغرب قصيدة ينسبونها الى حكماء المشرق ، تُعطى فيها كيفية العمل بالتقوير بصناعة سحرية حسبما تراه فيها وهي هذه :

(١) كذا، وفي ب: البرابي .

يا طالباً للسِرِّ في التَّوْبِيرِ  
 دَع عَنْكَ مَا قَدِصَّنْفُوا فِي كُنْهِهِمْ  
 وَاسْمَعْ لَصِيقِ مَقَالَتِي وَنَصِيحَتِي  
 فَإِذَا أَرَدْتَ تَقْوُوزَ الْبُئْرِ الَّتِي  
 صَوَّرَ كَصَوْرَتِكَ الَّتِي أَوْقَفَتْهَا  
 وَيَدَاهُ مَا يَسْكُنَانِ لِلْحَبْلِ الَّذِي  
 وَبَصْدِرِهِ هَاهُ كَمَا عَايَلَتْهَا  
 وَيَطَا عَلَى الطَّائَتِ غَيْرَ مُلَامِسٍ  
 وَيَكُونُ حَوْلَ الْكُلِّ <sup>(١)</sup> خَطٌّ دَائِرٌ  
 وَأَذْبَحَ عَلَيْهِ الطَّيْرَ وَالطَّخَةَ بِهِ  
 بِالسَّنْدَرُوسِ وَاللَّبَّانِ وَمِيعَةٍ  
 مِنْ أَحْمَرٍ أَوْ أَصْفَرٍ لَا <sup>(٢)</sup> أَزْرَقٍ  
 وَيَشُدُّ خَيْطَانُ صَوْفٍ أَبْيَضٍ  
 وَالطَّلَاحُ الْأَسَدُ الَّذِي قَدْ يَبْنُوا  
 وَالْبَدْرُ مُتَمِيلٌ بِسَعْدٍ عَطَارِدٍ

يعني أن تكون الطَّائَتُ بين قدميه كأنه يمشي عليها وعندني  
 أن هذه القصيدة من تمويهاة المتخرفين <sup>(٣)</sup>؛ فلم في ذلك أحوالٌ

(١) كذا، وفي نسخة: والشكل.

(٢) كذا، وفي ب: واقصد عقيب... الخ.

(٣) كذا، وفي ب: أو أزرق.

(٤) كذا، وفي ب: بئر.

(٥) كذا، وفي ب: المخرفين.

غريبةً واصطلاحاتٌ عجيبةٌ ، وتنتهي التخرقة<sup>(١)</sup> والكذبُ بهم إلى أن يسكنوا المنازلَ المشهورةَ والدورَ المعروفةَ بمثل هذه ، ويحتفرون بها الحفرَ ويضعون فيها المطايقَ والشواهدَ التي يكتبونها في صحائفٍ كذبيهم ، ثم يقصدون ضُعفاءَ العقولِ بأمثال هذه الصحائفِ ، ويبعثونه على اكتراء ذلك المنزلِ وسُكناه ووجوهونه أن به دفيناً من المال لا يُعبرُ عن كثرته ، ويُطالبونه بالمال لا لشراء العقاقيرِ والبخوراتِ لحلِّ الطلّاسِ ، ويمدونهم بظهورِ الشواهدِ التي قد أعلّوها هنالك بأنفسهم ومن فعلهم ، فينبعثُ لما يراه من ذلك وهو قد خُدِعَ ولَبَسَ عليه من حيث لا يشعرُ ، وبينهم في ذلك اصطلاحٌ في كلامهم ، يُلبسون به عليهم ، ليخفى عند محاورتهم فبا يتناولونه ، من حفرٍ وبحورٍ وذبحٍ حيوانٍ وأمثال ذلك .

وأما الكلامُ في ذلك على الحقيقةِ فلا أصلَ له في علمٍ ولا ولا خبيرٍ . واعلم أن الكنوزَ ، وإن كانت توجدُ ، لكنها في حكم النادرِ على وجه الاتفاقِ ، لا على وجه القصدِ إليها . وليس ذلك بأمرٍ تعمُّ به البلوى ، حتى يندخرَ الناسُ غالباً أموالهم تحت الأرضِ ، ويختمون عليها بالطلّاسِ ، لا في القديم ولا في الحديث . والركازُ الذي وردَ في الحديثِ وفرضهُ الفقهاءُ ، وهو دفينُ الجاهليّةِ ، إنما

(١) هكذا في الأصل . وهي على وزن تفعلة . ولكن هذا الوزن مصدر للفعل المعتل اللام ،

مثل : سمي تسمية . أما الصحيح فمصدره على تفعيل ، مثل : كبرت كبراً ، خرفت تخريفاً ، وفي ب : المخرقة .



يوجد بالمُتَوَرِّ والاتِّفَاقِ ، لا بالقَصْدِ والطَّلَبِ . وأيضاً فمن اختزن ماله وختم عليه بالأعمالِ السِّخْرِيَّةِ فقد بالغَ في إخفائه ؛ فكيف ينصبُّ عليه الأدلَّةُ والاماراتُ لمن يبتغيه . ويكتبُ ذلك في الصحفِ ، حتى يطلعَ على ذخيرته أهلُ الأمصارِ والآفاقِ ؟! هذا يناقضُ قصدَ الإخفاءِ . وأيضاً فأفعالُ القلاءِ لا بدُّ وأن تكونَ لغرضٍ مقصودٍ في الانتفاعِ . ومن اختزنَ المالَ فإنما يَحْتَزِنُهُ لولدهِ أو قريبهِ أو من يُؤثرُهُ . وأمّا أن يقصدَ إخفاءَهُ بالكليَّةِ عن كلِّ أحدٍ ، وإنما هو للبلاءِ والهلاكِ ، أو لمن لا يعرفُهُ بالكليَّةِ من سيأتي من الأممِ ، فهذا ليس من مقاصدِ القلاءِ بوجهٍ .

وأما قولُهُ : أينَ أموالُ الأممِ من قبلنا ، وما علِمَ فيها من الكثرةِ والوفورِ ؟ فاعلم أنَّ الأموالَ من الذهبِ والفضَّةِ والجواهرِ والأمتعةِ إنما هي معادنٌ ومكاسبٌ ، مثلُ الحديدِ والنحاسِ والرصاصِ وسائرِ المعادنِ والمعادنِ . والعُمرانُ يُظهرُها بالأعمالِ الانسانيةِ ويزيدُ فيها أو يُنقصُها . وما يوجدُ منها بأيدي الناسِ فهو متناقلٌ متوارثٌ . وربما انتقلَ من قُطْرٍ إلى قُطْرٍ ومن دولةٍ إلى أخرى بحسبِ أغراضِهِ<sup>(١)</sup> ، والعُمرانُ الذي يستدعيهِ . فإن نقصَ المالُ في المغربِ وإفريقيةٍ ، فلم ينقصْ ببلادِ الصَّقَالِيَّةِ والافرنجِ ؛ وإن نقصَ في مصرَ والشامِ ؛ فلم ينقصْ في الهندِ والصينِ . وإنما هي الآلاتُ والمكاسبُ ، والعُمرانُ يُوفرُها أو يُنقصُها ؛ مع أنَّ المعادنَ يدركُها البلاءُ كما يدركُ سائرَ الموجوداتِ ، ويسرعُ إلى التَّوَلُّوهِ والجواهرِ

(١) كذا، وفي ب: أعراضه.

أعظم مما يُسرّعُ الى غيره . وكذا الذهبُ والفضّةُ والنحاسُ والحديدُ والرصاصُ والقصديرُ ، ينالها من البلاء والفناء ما يذهبُ بأعيانها لأقرب وقتٍ .

وأما ما وقعَ في مِصرَ من أمرِ المطالبِ والكنوزِ ، فسببُهُ أن مِصرَ كانتَ في مَلَكَةِ القِبْطِ منذَ آلافٍ<sup>(١)</sup> أو يزيدُ من السنينَ ، وكان موتاهم يُدفنونَ بموجوديهم من الذهبِ والفضّةِ والجواهرِ واللائي . ، على مذهبٍ من تقدّمَ من أهلِ الدولِ . فلما انقضتْ دولةُ القِبْطِ ، وملكَ الفُرسُ بلادَهُمْ نَقَرُوا على ذلكِ في قُبُورِهِمْ وكشفوا عَنْهُ ، فأخذوا من قُبُورِهِمْ ما لا يوصَفُ : كالأهرامِ من قُبُورِ الملوكِ وغيرها . وكذا فعلَ اليونانيّونَ من بعدهم وصارتْ قبورُهُمْ مَظَنَّةً لذلكَ لهذا العهدِ . ويُعتَرّ على الدفينِ فيها في كثيرٍ من الأوقاتِ . أما ما يدفنونَهُ من أموالهم أو ما يكرّمونَ به موتاهم في الدفنِ من أوعيةٍ وتوابيتٍ من الذهبِ والفضّةِ معدنٍ لذلكَ ؛ فصارتْ قبورُ القِبْطِ منذَ آلافٍ من السنينِ مَظَنَّةً لوجودِ ذلكِ فيها . فلذلكَ عني أهلُ مِصرَ بالبحثِ عن المطالبِ لوجودِ ذلكِ فيها ، واستخراجها . حتى إنهم حينَ ضُربتِ المكوسُ على الأصنافِ آخِرَ الدَّولَةِ ، ضُربتْ على أهلِ المطالبِ . وصارتْ ضريبةً على من يشغلُ بذلكِ من الحَقِي والمهوسينَ ؛ فوجدَ بذلكِ المتعاطلونَ من أهلِ الأطلاعِ الثريّةَ الى الكشفِ عَنْهُ والنَزْعِ<sup>(٢)</sup> باستخراجه .

(١) كذا ، وفي ب : منذ ألفين اثنين . وفي نسخة أخرى : منذ ألف .

(٢) هكذا في الأصل : والمعروف النرائع جمع ذريعة . وفي ب : والزعم .

وما حصلوا إلا على الخيبة في جميع مساعيهم ، نعوذ بالله من  
 الخسران ؛ فيحتاج من وقع له شيء <sup>(١)</sup> من هذا الوسواس ، أو  
 ابتلي به ، أن يتعوذ بالله من العجز والكسل في طلب معاشه ؛  
 كما تَعَوَّذَ رسولُ الله ﷺ من ذلك ؛ وينصرف عن طُرُقِ الشَّيْطَانِ  
 ووسواسه ، ولا يَشْغَلْ نفسه بالحالاتِ والكاذبِ من الحِكَايَاتِ .  
 ﴿وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ .

## الفصل الخامس

في أن الجاه مفيد للمال

وذلك أننا نجدُ صاحبَ المالِ والْخُطْوَةِ في جميعِ أصنافِ المعاشِ  
 أكثرَ يساراً وثروةً من فاقِدِ الجاهِ . والسببُ في ذلك أنَّ صاحبَ  
 الجاهِ مَعْدُومٌ بالأعمالِ يُتَقَرَّبُ بها إليه في سبيلِ التَّزَلُّفِ والحاجةِ  
 إلى جَاهِهِ . فالناسُ مُمِينُونَ له بأعمالهم في جميعِ حاجاته ، من ضروريٍّ  
 أو حاجيٍّ أو كَمَالِيٍّ ؛ فتحصلُ قِيمُ تلكِ الأعمالِ كُلِّها من كَسْبِهِ .  
 وجميعُ ما شأنُهُ أنْ تَبْدَلَ فيه الأعْوَاضُ من المَلِّ ، يَسْتَعْمِلُ فيها  
 الناسُ من غيرِ عِوَضٍ ؛ فتتوقَّرُ قِيمُ تلكِ الأعمالِ عليه . فهو بينَ  
 قِيمِ للأعمالِ يكتسبُها وقِيمِ أخرى تدعوهُ الضرورةُ إلى إخراجها ،  
 فتتوقَّرُ عليه . والأعمالُ لصاحبِ الجاهِ كثيرةٌ ، فتفيدُ النفعَ لأقربِ  
 وقتٍ ، ويزدادُ مع الأيامِ يساراً وثروةً . ولهذا المعنى كانتِ الإمارةُ

(٢) كذا ، وفي ب : من دفع إلى شيء . . . الخ .

أحد أسباب المعاش كما قدّمناه . وفاقدُ الجاه بالكليّة ولو كان صاحبَ مالٍ ، فلا يكونُ يسارُهُ إلا بمقدارِ ماله وعلى نسبةِ سعْيِهِ ، وهؤلاء هم أكثرُ التّجار . ولهذا تجدُ أهلَ الجاه منهم يكونونَ أيسرَ بكثيرٍ . ومما يشهدُ لذلك ، أنا نجدُ كثيراً من الفُتّهاء وأهلِ الدين والعبادة ، إذا اشتهروا حَسَنَ الظَّنِّ بهم ، واعتقدَ الجمهورُ معاملَةَ الله في إرفادِهِم ، فأخلصَ الناسُ في إعانتِهِم على أحوالِ دُنْيَاهم والاعتمالِ في مصالحِهِم . أسرعتْ إليهم الثروةُ وأصبحوا مياسيرَ من غيرِ مالٍ مقتنى ، إلا ما يحصلُ لهم من قِيمِ الأعمالِ التي وقعتِ المعونةُ بها من الناسِ لهم . رأينا من ذلك أعداداً في الأمصارِ والمدنِ . وفي البدو ، يسعى لهم الناسُ في القلحِ والتّجَرِ ، وكلُّ قاعدٍ بمنزله لا يبرحُ من مكانِهِ ، فينمو ماله ويعظمُ كسبُهُ ، ويتأثّلُ الغنى من غيرِ سعيٍ . ويعجبُ من لا يفتنُ لهذا السرِّ في حالِ ثروتهِ وأسبابِ غِنَاهُ ويسارِهِ . واللهُ سبحانه وتعالى يرزُقُ من يشاءُ بغيرِ حسابٍ .

## الفصل السادس

في أن السعادة والكسب إنما يحصل غالبا لأهل الضعيف والناقص  
ولأن هذا الخلق من أسباب السعادة

قد سبق لنا فيما سَلَفَ أَنَّ الكسبَ الذي يستفيدُهُ البشرُ إنما هو قِيمُ أَعْمَالِهِمْ . ولو قُدِّرَ أَحَدُ عَطْلٍ<sup>(١)</sup> عن العملِ جملةً لكانَ

(١) كذا، وفي ب: عاطل .

فأفقد الكسب بالكيلية . وعلى قدر عمله وشرفه بين الأعمال وحاجة الناس إليه يكون قدر قيمته . وعلى نسبة ذلك نمو كسبه أو نقصانه . وقد بينا آنفاً أن الجلاء يفيد المال ، لما يحصل لصاحبه من تقرب الناس إليه بأعمالهم وأموالهم ، في دفع المضار وجلب المنافع . وكان ما يتقربون به من عمل أو مال عوضاً عما يحصلون عليه بسبب الجلاء من الأغراض<sup>(١)</sup> في صالح أو طالح . وتصير تلك الأعمال في كسبه ، وقيمتها أموال وثروة له ، فيستفيد النفع واليسار لأقرب وقت . ثم إن الجلاء متوزع في الناس ومترتب فيهم طبقة بعد طبقة ، ينتهي في العلو إلى الملوك الذين ليس فوقهم يد عالية<sup>(٢)</sup> وفي السفلى إلى من لا يملك ضرراً ولا نفعاً بين أبناء جنسه . وبين ذلك طبقات متعددة . حكمة الله في خلقه . بما ينتظم معاشهم وتيسر مصالحهم ويتم بقاءهم ، لأن النوع الانساني لما كان لا يتم وجوده وبقاؤه إلا بتعاون أبنائه على مصالحهم ، لأنه قد تقرر أن الواحد منهم لا يتم وجوده . وأنه وإن نذر ذلك في صورة مفروضة لا يصح بقاءه . ثم إن هذا التعاون لا يحصل إلا بالإكراه عليه لجلبهم في الأكثر بمصالح النوع ، ولما جعل الله لهم من الاختيار ، وإن أفعالهم إنما تصدر بالفكر والروية لا بالطبع . وقد يتبع من المعاونة فيتعين حملها عليها ، فلا بد من حامل يكره أبناء النوع على مصالحهم ، لتتم الحكمة الالهية في بقاء هذا

(١) كذا ، وفي ب : من كثير الأغراض .

(٢) كذا ، وفي ب : غالبية .

النوع . وهذا معنى قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَيْكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ . فقد تَبَيَّنَ أَنَّ الجاه هو القدرة الحائلة للبشر على التصرف فيمن تحت أيديهم من أبناء جنسهم ، بالإذن والمنع ، والتسلط بالقهر والغلبة ، ليجعلهم على دفع مضارهم وجلب منافعهم في العدل بأحكام الشرائع والسياسة ، وعلى أغراضه فيما سوى ذلك ؛ ولكن الأول مقصود في الناية الربانية بالذات ، والثاني داخل فيها بالعرض كسائر الشرور الداخلة في القضاء الإلهي . لانه قد لا يتم وجود الخير الكثير ، إلا بوجود شر يسير من أجل المواد ؛ فلا يفوت الخير بذلك ، بل يقع على ما ينطوي عليه من الشر اليسير . وهذا معنى وقوع الظلم في الخليقة فتفهم .

ثم إن كل طبقة من طباق<sup>(١)</sup> أهل العمران ، من مدينة أو إقليم لها قدرة على من دونها من الطباق . وكل واحد من الطبقة السفلى يستفيد هذا الجاه من أهل الطبقة التي فوقه ، ويزداد كسبه تصرفاً فيمن تحت يده على قدر ما يستفيد منه . والجاه على ذلك داخل على الناس في جميع أبواب المعاش ، ويتسع ويضيق بحسب الطبقة والطور الذي فيه صاحبه . فإن كان الجاه متسعاً كان الكسب الناشئ عنه كذلك ، وإن كان ضيقاً وقليلًا

(١) ورد في لسان العرب : «السلاوات طباق بعضها على بعض ، وكل واحد من الطباق طبقة» . والطبق والطبقة : الفقرة حيث كانت ، قيل : هي ما بين الفقرتين ، وجمعها طباق . والمعنى هنا على المجاز .

فشلة. وفاقد الجاؤ وإن كان له مالٌ فلا يكون يساده إلا بمقدار عمله أو ماله وعلى نسبة سعيه ذاهباً وآيباً في تنميته كأكثر التجار. وأهل الفلاحية في الغالب ، وأهل الصنائع كذلك ، إذا فقدوا الجلاء واقتصروا على فوائد صنائعهم ؛ فإنهم يصيرون إلى الفقر والخصاصة في الأكثر ، ولا تُسرع إليهم ثروة وإنما يُزْمَقُونَ العيشَ ترميقاً ويدفمون ضرورة الفقر مدافعة . وإذا تقرّر ذلك ، وأن الجلاء متفرّع<sup>(١)</sup> ، وأن السعادة والخير مقترنان بحصوله ؛ علمت أن بذله وإفادته من أعظم التعم وأجلّها ، وأن بإذله من أجل المنعمين. وإنما يبذله لمن تحت يديه ، فيكون بذله بيدٍ عالية وعن يَزَقْ ، فيحتاج طالبه ومُبتغيه إلى خضوع وتلقٍ ، كما يسأل أهل العزّ والملوك ، وإلا فيتعدّرُ حصوله. فلذلك قلنا إن الخضوع والتملق من أسباب حصول هذا الجاؤ المحضل للسعادة والكسب ، وإن أكثر أهل الثروة والسعادة بهذا الخلق . ولهذا نجد الكثير ممن يتخلق بالترفع والشتم ، لا يحصل لهم غرض من الجاؤ ، فيقتصرون في التكسب على أعمالهم ، ويصيرون إلى الفقر والخصاصة .

واعلم أن هذا الكبر والترفع من الأخلاق المذمومة ، إنما يحصل من توهم الكمال ، وأن الناس يحتاجون إلى بضائعه من علم أو صناعة ؛ كالعالم المتبحر في علمه ، أو الكاتب المجيد في كتابته أو الشاعر البليغ في شعره . وكلُّ محسن في صناعته يتوهم أن الناس يحتاجون لما يبدع ؛ فيحدث له ترفع عليهم بذلك ،

(١) كذا، وفي ب: متوزع.

وكذا يتوهم أهل الأنساب ، ممن كان في آبائهم ملكٌ أو عالمٌ مشهورٌ أو كاملٌ في طورٍ يعبرون<sup>(١)</sup> بما رأوه أو سمعوه من حالِ آبائهم في المدينة ، ويتوهمون أنهم استحقوا مثلَ ذلك بقراباتهم إليهم وورائتهم عنهم . فهم متمسكون في الحاضر بالأمر المعلوم . إذ الكمال لا يورث وكذلك أهل الحيلة والبصر والتجارب بالأمور<sup>(٢)</sup> ، قد يتوهم بعضهم كآلاً في نفسه بذلك واحتياجاً إليه .

وتجد هؤلاء الاصناف كلهم مترفين ، لا يخضعون لصاحب الجلاء ، ولا يتملقون لمن هو أعلى منهم . ويستصغرون من سواهم لاعتقاديهم الفضل على الناس ؛ فيستكف أحدهم عن الخضوع ولو كان للملك ، ويمدّه مذلةً وهواناً وسفهاً . ويجاسب الناس في معاملتهم إياه بمقدار ما يتوهم في نفسه ، ويحذ على من قصر له في شيء مما يتوهمه من ذلك . وربما يُدخل على نفسه الهموم والأحزان من تقصيرهم فيه ، ويستمر في عناء عظيم من إيجاب الحق لنفسه أو إجابة الناس له من ذلك . ويحصل له المقت من الناس لما في طباع البشر من التأله . وقل أن يُسلم أحد منهم لأحد في الكمال والترفع عليه ، إلا أن يكون ذلك بنوع من القهر والغلبة والاستطالة . وهذا كله في ضمن الجلاء . فإذا قد صاحب هذا المخلوق الجلاء ، وهو مفقود له كما تبين لك ، مَقَتَّ الناس بهذا الترفع ولم يحصل له حظٌ من إحسانهم . وقدَّ الجلاء لذلك من أهل الطبقة التي

(١) كذا ، وفي ب: يفترون ، وفي نسخة: يعثرون .

(٢) كذا ، وفي ب: أهل الحنكة والتجارب والبصر بالأمور .



هي أعلى منه ، لأجل المقت وما يحصل له بذلك من الثمود من تعاضدهم وغشيان<sup>(١)</sup> منازلهم ، ففسد معاشه ، وبقي في خصاصة وفقر أو فوق ذلك بقليل . وأما الثروة فلا تحصل له أصلاً .

ومن هذا اشتهر بين الناس أن الكامل في المعرفة محروم من الحظ ، وأنه قد حوسب بما رزق من المعرفة واقتطع له ذلك من الحظ ، وهذا معناه . ومن خلق شيء يُبَرَّ له . والله المقيد ، لا رب سواه .

ولقد يقع في الدول أضراب في المراتب من أهل<sup>(٢)</sup> هذا الخلق ، ويرتفع فيها كثير من السفلة ، وينزل كثير من العلية بسبب ذلك . وذلك أن الدول إذا بلغت نهايتها<sup>(٣)</sup> من التغلب والاستيلاء انفرد منها منبت الملك بملكهم وسلطانهم ، ويؤس من سواهم من ذلك . وانما صاروا في مراتب دون مرتبة الملك وتحت يد السلطان ، وكانهم خول له .

فإذا استمرت الدولة وشمخ الملك ، تساوى حينئذ في المنزلة عند السلطان كل من انتمى إلى خدمته وتقرب إليه بنصيبته ، واصطنعه السلطان لغنايه في كثير من مهماته . فوجد كثير من السوقة يسمى في التقرب من السلطان بخدمه ونصحه ، ويتزلف إليه بوجوه خدمته ، ويستعين على ذلك بعظيم من الخضوع

(١) غشي غشياناً فلاناً: أنه . وغشي غشياً وغشاية المكان: أنه . لذلك الأصح أن يقول هنا : وغشاية منازلهم أو : وغشي منازلهم .

(٢) كذا ، وفي ب : من أجل .

(٣) كذا ، وفي ب : غايتها .

والتسلُّق له ولحاشيته وأهله نَسَبِهِ . حتى يُرْسَخَ قَدَمُهُ مَعَهُمْ ، وَيُنْظَمَ السُّلْطَانُ فِي جَلِيلِهِ ؛ فَيَحْصُلُ لَهُ بِذَلِكَ حَقٌّ عَظِيمٌ مِنَ السَّعَادَةِ ، وَيُنْتَظَمُ فِي عِدَدِ أَهْلِ الدَّوْلَةِ . وَنَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ حِينَئِذٍ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِهَا الَّذِينَ ذَلُّوا إِصْمَاعِيَّيَا وَهَدُّوا أَكْنَافَهَا مَغْتَرِبِينَ بِمَا كَانَ لَا بَأْسَ لَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَشْمَخُ بِهِ نَفُوسُهُمْ عَلَى السُّلْطَانِ وَيَعْتَدُونَ بِآثَارِهِ ، وَيَجْرُونَ فِي مِضَارِ الدَّالَةِ بِسَبِيهِ ؛ فَيَمْتَنُّهُمْ السُّلْطَانُ لَذَلِكَ وَيَبَاعِدُهُمْ . وَيَعِيلُ إِلَى هَؤُلَاءِ الْمِصْطَنِينَ الَّذِينَ لَا يَمْتَدُونَ بِقَدِيمٍ ، وَلَا يَذْهَبُونَ إِلَى دَالَةٍ وَلَا تَرْفَعُ . إِنَّمَا دَأْبُهُمُ الْخُضُوعُ لَهُ وَالتَّمَلُّقُ وَالاعْتِمَالُ فِي غَرَضِهِ ، مَتَى ذَهَبَ إِلَيْهِ ؛ فَيَتَسَّعُ جَاهُهُمْ وَتَعْلُو مَنَازِلُهُمْ ، وَتَنْصَرِفُ إِلَيْهِمُ الْوُجُوهُ . وَالْخَوَاصُّ بِمَا يَحْصُلُ لَهُمْ مِنْ مَيْلِ السُّلْطَانِ وَالْمَكَانَةِ عِنْدَهُ . وَيَبْقَى نَاشِئَةُ الدَّوْلَةِ<sup>(١)</sup> فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ التَّرْفَعِ وَالْإِعْتِدَادِ بِالْقَدِيمِ . لَا يَزِيدُهُمْ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدًا مِنَ السُّلْطَانِ وَمَقْتًا وَإِثَارًا لِهَؤُلَاءِ الْمِصْطَنِينَ عَلَيْهِمْ ، إِلَى أَنْ تَنْقَرِضَ الدَّوْلَةُ . وَهَذَا أَمْرٌ طَبِيعِيٌّ فِي الدُّوَلِ . وَمِنْهُ جَاءَ شَأْنُ الْمِصْطَنِينَ فِي الْغَالِبِ . وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ ، وَبِهِ التَّوْفِيقُ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ .

---

(١) كَذَا ، وَفِي ب: نَاشِئَةُ السُّلْطَانِ .

## الفصل السابع

في أن القائمين بأمور الدين لا تعظم ثروتهم في الغالب  
والخطابة والأذان ونحو ذلك لا تعظم ثروتهم في الغالب

والسبب في ذلك أن الكسب كما قد مناه قيمة الأعمال، وأنها متفاوتة بحسب الحاجة إليها. فإذا كانت الأعمال ضرورية في العمران عامة البلوى فيه، كانت قيمتها أعظم وكانت الحاجة إليها أشد. وأهل هذه الصنائع الدينية لا تُضطرُّ إليهم عامة الخلق؛ وإنما يحتاج إلى ما عندهم الخواص من أقبل على دينه. وإن احتجج إلى الفتيا والقضاء في الخصومات، فليس على وجه الاضطراب والمؤوم؛ فيقع الاستغناء عن هؤلاء في الأكثر. وإنما يهتم بهم وبإقامة مراسيم صاحب الدولة، بما له من النظر في المصالح فيقيم لهم حظاً من الرزق على نسبة الحاجة إليهم على النحو الذي قرره. لا يساوهم بأهل الشوك ولا بأهل الصنائع الضرورية، وإن كانت بضاعتهم أشرف من حيث الدين والمراسم الشرعية؛ لكنه يقسم بحسب عموم الحاجة وضرورة أهل العمران، فلا يصح في قسمتهم إلا القليل. وهم أيضاً لشرف بضاعتهم أعزُّ على الخلق وعند نفوسهم؛ فلا يبخسون لأهل الجاه، حتى ينالوا منه حظاً يستبدون به الرزق، بل ولا تفرغ أوقاتهم لذلك، لما هم فيه من الشغل بهذه الصنائع الشريفة المشتغلة على أعمال الفكر والتدبر. بل ولا

يُسَمُّهُمْ ابْتِدَالُ أَنْفُسِهِمْ لِأَهْلِ الدُّنْيَا لِشَرَفِ صَنَائِعِهِمْ<sup>(١)</sup>؛ فَهَمَّ بِمَعْرِزٍ  
عَنْ ذَلِكَ. فَلِذَلِكَ لَا تَعْظُمُ ثَرَوَتُهُمْ فِي الْغَالِبِ. وَلَقَدْ بَاحَثُ بَعْضُ  
الْفُضَلَاءِ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيَّ؛ فَوَقَعَ بِيَدِي أَوْرَاقُ مَخْرَقَةٍ مِنْ حِسَابَاتِ<sup>(٢)</sup>  
الدَّوَاوِينِ بِدَارِ الْمَأْمُونِ، تَشْتَمِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الدَّخْلِ وَالخُرُجِ  
يَوْمِيًّا. وَكَانَ فِيمَا طَالَمْتُ فِيهِ أَرْزَاقُ الْفُضَاةِ وَالْأَتَمَةِ وَالْمَوْفُورِينَ  
فَوْقَتَهُ عَلَيْهِ. وَعَلِمْتُ مِنْهُ صِحَّةَ مَا قُلْتُهُ وَرَجَعْتُ إِلَيْهِ. وَقَضَيْنَا الْعَجَبَ  
مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ فِي خَلِيقَتِهِ، وَحُكْمِهِ فِي عَوَالِمِهِ. وَاللَّهُ الْخَالِقُ  
الْقَادِرُ، لَا رَبَّ يَمُوهَ.

## الفصل الثامن

فِي أَنَّ الْفَلَاحَ مِنْ مَعْلَى الْمُتَخَصِّصِينَ لِأَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْبَحْرِ

وَذَلِكَ لِأَنَّهُ أَصِيلُ<sup>(٣)</sup> فِي الطَّبِيعَةِ وَبَسِيطٌ فِي مَنْحَاهُ. وَلِذَلِكَ لَا  
تَجِدُهُ يَنْتَحِلُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْحَضَرِ فِي الْغَالِبِ، وَلَا مِنَ الْمُتَرَفِّينَ.  
وَيُخْتَصُّ مُنْتَحِلُهُ بِالْمَذَلَّةِ. قَالَ عليه السلام، وَقَدْ رَأَى السَّيِّئَةَ بِيَعْضِ دَوْرِ  
الْأَنْصَارِ: «مَا دَخَلْتُ هَذِهِ دَارَ قَوْمٍ إِلَّا دَخَلْتُ الذُّلَّ». وَحَمَلَةُ الْبُخَارِيِّ  
عَلَى الْاسْتِكْثَارِ مِنْهُ. وَتَرَجَّمَ عَلَيْهِ بَابٌ مَا يُجَدُّ مِنْ عَوَاقِبِ  
الْإِسْتِغْنَالِ بِالْأَلَةِ الزَّرْعِ، أَوْ تَجَاوُزِ الْحَدِّ الَّذِي أَمَرَ بِهِ. وَالسَّبَبُ فِيهِ

(١) كَذَا، وَفِي ب: بِضَائِعِهِمْ.

(٢) كَذَا، وَفِي ب: حِسَابَات.

(٣) كَذَا، وَفِي ب: أَصِيل.

والله أعلم ما يتبعها من المفرم المفضي الى التحكم واليد العالية<sup>(١)</sup> ، فيكون الغارم ذليلاً بانساً ، بما تتناولهُ أيدي القهر والاستطالة . قال ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مفرماً » إشارة الى الملك المَضُوض ، القاهر للناس ، الذي معه التسلط والجور ، ونسيان حقوق الله تعالى في الثمولات ، واعتبار الحقوق كلها مفرماً للملوك والدول . والله قادر على ما يشاء . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

## الفصل التاسع

في معنى التجارة ونماذجها واصنافها

اعلم أن التجارة محاولة الكسب بتمية المال ، بشراء السلع بالرخص ، وبيعها بالتلاء ، أي ما كانت السلعة ، من دقيق أو زرع أو حيوان أو قاش . وذلك القدر النامي يُسمى ربحاً . فالحاويل لذلك الربح : إما أن يجترن السلعة ويتحين بها حوالاة الأسواق من الرخص الى الغلاء ، فيعظم ربحه ، وإما بأن ينقله الى بلد آخر تنفق فيه تلك السلعة أكثر من بلده الذي اشتراها فيه ، فيعظم ربحه . ولذلك قال بعض الشيوخ من التجار ، لطايب الكشف عن حقيقة التجارة : أنا أعلمها لك في كلمتين ؛ اشتراء الرخيص وبيع الغالي . فقد حصلت التجارة إشارة منه بذلك الى المعنى الذي قرره . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق ، لا رب سواه .

(١) كذا ، وفي ب : الغالبة .

## الفصل العاشر

في إسلاف الناس ينتفع بالتجارة ويبيع وينبغي له أن يفتن بها

قد تقدم لنا أن معنى التجارة تنمية المال ، بشراء البضائع ومحاولة بيعها بأعلى من ثمن الشراء . أما بانتظار حوالته الأسواق ؛ أو نقلها الى بلد هي فيه أنفق وأعلى ، أو بيعها بالفلاء على الآجال . وهذا الربح بالنسبة إلى أصل المال يُرَدُّ يسيراً ؛ لأن المال إن كان كثيراً عظم الربح ، لأن القليل في الكثير كثير . ثم لا بد في محاولة هذه التنمية الذي هو الربح من حصول هذا المال بأيدي الباعة ، في شراء البضائع وبيعها ، ومعاملتهم في تقاضي أثمانها . وأهل النصفة قليل ، فلا بد من النشتر والتطيف المحجف بالبضائع ، ومن المظهر في الأثمان المحجف بالربح . كتمطيل المحاولة في تلك المتعة وبها غاؤه . ومن الجحود والانكار المسحوت لرأس المال ، إن لم يتقيد بالكتاب والشهادة . وغناه الحُكَّام في ذلك قليل ، لأن الحكم إنما هو على الظاهر ؛ فيعاني التاجر من ذلك أحوالاً صعبة . ولا يكاد يحصل على ذلك التأفف من الربح إلا بعظم العناء والمشقة ، أو لا يحصل ، أو يتلاشى رأس ماله . فان كان جريئاً على الخصومة ، بصيراً بالحساب ، شديد المأحكة ، مقدماً على الحُكَّام ، كان ذلك أقرب له إلى النصفة منهم مجرايته ، ومما حكيه ؛ وإلا فلا بد له من جام يدري به ، فيوقع له الهيبة عند الباعة ، ويحصل الحُكَّام

على انصافه من غرمائه ؛ فيحصل له بذلك النصف واستخلاص ماله منهم ، طوعاً في الاول وكرهاً في الثاني . وأما من كان فاقداً للجراحة والاقدام من نفسه ، وفاقد الجلو من الحكم ؛ فينبغي له أن يجتنب الاحتراف بالتجارة ، لأنه يعرض ماله للضياع والذهاب ، ويصير مأكلة للباع ، ولا يكاد ينتصف منهم ؛ [ لأن الغالب في الناس ، وخصوصاً الرعاع والباع ، شرهون إلى ما في أيدي الناس سواهم ، متوثبون عليه . ولولا وازع الأحكام لاصبحت أموال الناس نهباً <sup>(١)</sup> ] . ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمَعْلُومِينَ ﴾

## الفصل الحادي عشر

في أن خلق التجار نازلة عن خلق الأشراف والملوك

وذلك أن التجار في غالب أحوالهم إنما يمانون البيع والشراء ، ولا بد فيه من المكايسة ضرورة . فإن اقتصر عليها اقتصرت به على خلفها ، وهي أعني خلق المكايسة ، بعيدة عن المروءة ، التي تتخلق بها الملوك والأشراف . وأما إن استرذل خلقه بما يتبع ذلك في أهل الطبقة السفلى منهم ، من الماحكة والغش والخلاية

(١) كذا ، والمحمودين [ هو في ب : «لأن الناس في الغالب متطلعون إلى ما في أيدي الناس . ولولا وازع أحكام ما سلم لأحد شيء مما في يده ، وخصوصاً الباعة وسفلة الناس ورعاهم» .

وتعاهد الأيمان الكاذبة على الايمان رداً وقبولا ، فأجيز بذلك الخلق أن يكون في غاية المذلة لما هو معروف . ولذلك تجد أهل الرئاسة يتحامون الاعتراف بهذه المرفقة ، لأجل ما يكسب من هذا الخلق . وقد يوجد منهم من يسلم من هذا الخلق ويتحاماه ، لشرف نفسه وكرم جلاله ؛ إلا أنه في النادر بين الوجود . والله يهدي من يشاء بفضله وكرمه ، وهو رب الأولين والآخرين .

## الفصل الثاني عشر

في نقل القام السلي

التاجر البصير بالتجارة ، لا ينقل من السلع ، إلا ما تم الحاجة إليه ، من النسي والفقيه والسلطان والسوق ؛ إذ في ذلك نفاق يسلته . وأما إذا اختص نقله بما يحتاج إليه البعض فقط ، فقد يتعذر نفاق يسلته حيثنر ، باعواز الشراء من ذلك البعض ، لعارض من العوارض ؛ فتكسد سوقه وتفسد أرباحه . وكذلك إذا نقل السلعة المحتاج إليها فإنما ينقل الوسط من صنفها ؛ فإن الغالي من كل صنف من السلع إنما يخص به أهل الثروة وحاشية الدولة ، وهم الأقل . وإنما يكون الناس أسوة في الحاجة إلى الوسط من كل صنف ؛ فليتحرك ذلك جهده ، ففيه نفاق سلته أو كسادها . وكذلك نقل السلع من البلد البعيد المسافة ، أو شتت الخطر في



الطُرُقَاتِ ، يَكُونُ أَكْثَرُ فَائِدَةٍ لِلتَّجَارِ وَأَعْظَمُ أَرْبَاحاً وَاكْفَلَ بِجَوَالَةِ  
الْأَسْوَاقِ . لِأَنَّ السِّلْعَ الْمُنْقُولَةَ حِينَئِذٍ تَكُونُ قَلِيلَةً مُعَوِزَةً ، لِبُعْدِ  
مَكَانِهَا أَوْ شِدَّةِ الْفَرَرِ فِي طَرِيقِهَا ، فَيَقِلُّ حَامِلُهَا وَيَعِزُّ وَجُودُهَا .  
وَإِذَا قُلْتُ وَعَزَّتْ غَلَتْ أَثْمَانُهَا . وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْبَلَدُ قَرِيبَ الْمَسَافَةِ ،  
وَالطَّرِيقُ سَابِلٌ بِالْأَمْنِ ، فَإِنَّهُ حِينَئِذٍ يَكْثُرُ نَاقِلُهَا ، فَتَكْثُرُ  
وَتُرْخَصُ أَثْمَانُهَا . وَلِهَذَا تَجِدُ التَّجَارَ الَّذِينَ يُولَعُونَ بِالْخُودِ إِلَى بِلَادِ  
السُّودَانِ أَرْقَةَ النَّاسِ وَأَكْثَرَهُمْ أَمْوَالاً ، لِبُعْدِ طَرِيقِهِمْ وَمَشَقَّتِهِ ،  
واعتراضِ المَفَازَةِ الصَّعْبَةِ الْمَخْطَرَةِ بِالْخَوْفِ وَالْعَطَشِ . لَا يَوْجَدُ فِيهَا  
الْمَاءَ إِلَّا فِي أَمَاكِنَ مَعْلُومَةٍ ، يَهْتَدِي إِلَيْهَا أَذِلَّاءُ الرُّكْبَانِ ، فَلَا  
يَرْتَكِبُ خَطَرَ هَذَا الطَّرِيقِ وَبُعْدَهُ إِلَّا الْأَقْلُ مِنَ النَّاسِ . فَتَجِدُ  
سِلْعَ بِلَادِ السُّودَانِ قَلِيلَةً لَدَيْنَا ، فَتُخْتَصُّ بِالْغَلَاءِ ، وَكَذَلِكَ يَسْلُمُنَا  
لِسِيهِمْ . فَتَعْظُمُ بَضَائِعُ التَّجَارِ مِنْ تَنَاقُلِهَا وَيَسْرَعُ إِلَيْهِمُ الْفَنَى وَالثَّرْوَةُ  
مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ الْمَسَافِرُونَ مِنْ بِلَادِنَا إِلَى الْمَشْرِقِ ، لِبُعْدِ  
الشَّقِّ أَيْضاً . وَأَمَّا الْمَتَرَدِّدُونَ فِي الْأَفْقِ الْوَاحِدِ ، مَا بَيْنَ أَمْصَارِهِ  
وَبِلَادِهِ ، فَفَائِدَتُهُمْ قَلِيلَةٌ وَأَرْبَاحُهُمْ نَافِضَةٌ ، لَكثَرَةِ السِّلْعِ وَكَثْرَةِ  
نَاقِلِهَا . ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ .

## الفصل الثالث عشر

### في التفكير

وما اشتهر عند ذوي البصر والتجربة في الأمصار، أن اختكاز  
الزروع لتعين أوقات الغلاء مشؤوم. وأنه يعود، على فائديته،  
بالتلف والخسران. وسببه، والله أعلم، أن الناس لحاجتهم إلى  
الأقوات مضطرون إلى ما يذكون فيها من المال اضطراباً، فبقى  
النفوس متعلقة به. وفي تعلق النفوس بالها سر<sup>(١)</sup> كبير في وباله  
على من يأخذ مجاناً. ولعله الذي اعتبره الشارع في أخذ أموال  
الناس بالباطل. وهذا وإن لم يكن مجاناً فالنفوس متعلقة به،  
لإعطائه ضرورة من غير سعة في المنر فهو كالمكروه. وما عدا  
الأقوات والمأكولات من المبيعات لا اضطراب للناس إليها؛ وإنما  
يبيعهم عليها التفنن في الشهوات؛ فلا يذلون أموالهم فيها إلا  
باختيار وحرص. ولا يبقى لهم تعلق بما أعطوه. فهذا يكون من  
عرف بالاحتكار، تجتمع القوى النفسانية على متابته، لما يأخذ  
من أموالهم، فيفسد ربحه. والله تعالى أعلم.

وسمعت فيما يناسب هذا، حكاية ظريفة عن بعض مشيخة  
المغرب. أخبرني شيخنا أبو عبد الله الآيلي قال: حضرت عند

(١) كذا، وفي ب: قر.

القاضي بفاس لعهد السلطان أبي سعيد ، وهو الفقيه أبو الحسن المليكي ، وقد عُرِضَ عليه أن يختارَ بعض الألقابِ المحزنية لجرأته قال ، فأطرق ملياً ، ثم قال لهم : من مكسِ الحر . فاستضحك الحاضرون من أصحابه وعجبوا ، وسألوه عن حكمة ذلك . فقال : إذا كانت الجبايات كلها حراماً ، فأختارُ منها ما لا تُتابعهُ نفسُ مُعطيهِ . والحرُّ قلُّ أن يبتذلَ فيها أحدُ ماله ، إلا وهو طربُ مسرورٍ بوجدانيهِ ، غيرُ أسفٍ عليه ، ولا متعلِّقٍ به نفسُهُ . وهذه ملاحظة غريبة . والله سبحانه وتعالى يعلم ما تُكنُّ الصدور .

## الفصل الرابع عشر

في أن رخص الأسعار ضرر بالمحترفين بالرخص

وذلك أن الكسبَ والمعاشَ ، كما قدّمناه ، إنما هو بالصنائع أو التجارة . والتجارةُ هي شراء البضائع والسلع وإدخالها . يُتَحَيَّنُ بها حوالة الأسواق بالزيادة في أثمانها ، ويسمى ربحاً . ويحصلُ منه الكسبُ والمعاشُ للمحترفين بالتجارة دائماً . فإذا استدبم الرخصُ في سلعة ، أو عرض من مأكولٍ أو ملبوسٍ أو متمولٍ على الجملة ؛ ولم يحصل للتاجر حوالة الأسواق فيه فسُدَّ الربحُ والنماء بطول تلك المدة ، وكسدت سوقُ ذلك الصنف ، ولم يحصل للتاجر إلا على العناء ؛ فقمعت التجار عن السعي فيها وقسدت رؤوس أموالهم .

واعتبر ذلك أولاً بالزرع ، فإنه إذا استديم رخصه كيف  
تفسد أحوال المحترفين به ، بسائر أطواره ، من الفلح والزراعة  
لقلة الريح فيه ، وزادته أو فقله . فيفقدون الثماء في أموالهم أو  
يحدونته على قلة ، ويعودون بالإتفاق على رؤوس أموالهم ، وتفسد  
أحوالهم ويصيرون إلى الفقر والخصاصة . ويتبع ذلك فساد حال  
المحترفين أيضاً بالطحن والحيز ، وسائر ما يتعلق بالزراعة من الحرف  
من لدن زراعته إلى صيرورته ما كولا .

وكذا يفسد حال الجنيد ، إذا كانت أرزاقهم من السلطان عند  
أهل الفلح زرعاً ، فإنها تقل جبايتهم من ذلك ، ويميزون عن  
إقامة الجنديّة التي هم بسببها ويرتقون من السلطان عليها ، ويقطع  
عنهم الرزق ، تفسد أحوالهم . وكذا إذا استديم الرخص في  
العسل والسكر ، فسدت جميع ما يتعلق به ، وقعد المحترفون به عن  
التجارة فيه . وكذا حال الملابس إذا استديم فيها الرخص أيضاً .  
فإذا الرخص المفرط بحيف بمعاش المحترفين بذلك الصنف الرخيص ،  
وكذا الثلاء المفرط أيضاً . وربما يكون في النادر سبباً لثاء المال  
بسبب احتكاره وعظم فائدته . وإنما معاش الناس وكمبهم في  
التوسط من ذلك وسرعة حواله الأسواق ؛ وعلم ذلك يرجع إلى  
العوائد المقررة بين أهل الممران . وإنما يحمّد الرخص في الزرع  
من بين المبيعات لعموم الحاجة إليه ، واضطرار الناس إلى الأقوات  
من بين النفي والفقر . والمالة من الخلق هم الأكثر في الممران ،  
فيمم الرفق بذلك ، ويرجع جانب القوت على جانب التجارة في

هذا الصنف الخاص . ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ . والله سبحانه وتعالى ربُّ العرشِ العظيم .

## الفصل الخامس عشر

في أن خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء وبعيدة من المروءة

قد قدّمنا في الفصل قبله أن التاجر مدفوع إلى مُعاماة البيع والشراء وجلبِ الفوائد والأرباح ؛ ولا بدّ في ذلك من المكايسة والمحاكة والتحدّق وممارسة الخصومات واللجاج ، وهي عوارض هذه الحرفة . وهذه الأوصاف تنضّ من الذكاء والمروءة وتندجّ فيها ، لأنّ الأفعال لا بدّ من عودِ آثارها على النفس . فأفعال الخير تعودُ بآثار الخير والذكاء ، وأفعال الشرّ والسفسة تعودُ بضدّ ذلك ؛ فتتمكّن وترسخُ إن سبقت وتكرّرت . وتنفضُ خلال الخير إن تأخّرت عنها ، بما ينطبعُ من آثارها المذمومة في النفس ، شأن الملكات الناشئة عن الأفعال . وتتفاوت هذه الآثار بتفاوتِ أصنافِ التّجار في أطوارهم . فمن كان منهم سافِل الطّور ، مُخالفاً لشرارِ الباعة ، أهل النّش والجلابة والخديعة والفجور في الأيمان على البياعات والأيمان إقراراً وإنكاراً ، كانت رداءة تلك الخلق عنده أشدّ ، وغلبت عليه السفسة ، وبعدت عن المروءة واكتسبها بالجملة . وإلا فلا بدّ له من تأثيرِ المكايسة والمحاكة في مروءته . وفقدان

ذلك فيهم في الجَلَّة . ووجود الصنف الثاني منهم ، الذي قدّمناه في الفصل قبله أنهم يَدْرَعُونَ بالجاه ، ويُعَوِّضُ لهم من مباشرة ذلك ، فيهم نادرٌ وأقلُّ من النادر . وذلك أن يكون المال قد توفّر عنده دفعةً بنوع غريب ، أو ورثه عن أحدٍ من أهل بيته ؛ فصَلَّتْ له ثروة تعينه على الاتصال بأهل الدولة ، وتُكسِبُهُ ظهوراً وشهرةً بين أهل عصره ؛ فيترفع عن مباشرة ذلك بنفسه ، ويدفعه إلى من يقوم له به من وكلائه وحشمه . ويسهل له الحكمُ النصفة في حقوقهم بما يؤثرون من برٍّ وإتحافه ؛ فيبعدونه عن تلك الخلق بالبعد عن معاناة الأفعال المقتضية لها كما مر . فتكون مروءتهم أرسخ وأبعد عن المهرجات ، إلا ما يسري من آثار تلك الأفعال من وراء الحجاب ؛ فانهم يُضْطَرُّون إلى مشاركة أحوال أولئك الوكلاء وواقفهم ، أو خلاصهم فيما يأتون أو يذرون من ذلك ، إلا أنه قلل ، ولا يكاد يظهر أثره . ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ .

## الفصل السادس عشر

في أن الصانع لا بد له من العلم (١)

إعلم أن الصناعة هي ملكة في أمر عمليٍّ فكريٍّ ، وبكونه عملياً هو جِسْائِيٌّ محسوسٌ . والأحوال الجِسْائِيَّةُ المحسوسة ، نقلها

(١) كذا، وفي ب: المعلم .

بالمباشرة أوعب لها وأكل ؛ لأن المباشرة في الأحوال الجسمانية المحسوسة أتم فائدة ، والملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرة بعد أخرى ، حتى ترسخ صورته . وعلى نسبة الأصل تكون الملكة . ونقل المعاينة أوعب وأتم من نقل الخبر والعلم . فالملكة الحاصلة عنه أكل وأرسخ من الملكة الحاصلة عن الخبر . وعلى قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصول ملكته . ثم إن الصنائع منها البسيط ومنها المركب . والبسيط هو الذي يختص بالضروريات ، والمركب هو الذي يكون للكفايات . والمتقيد منها في التعليم هو البسيط ، لبساطته أولاً ، ولأنه يختص بالضروري الذي تتوفر الدواعي على نقله ، فيكون سابقاً في التعليم ويكون تعليمه لذلك ناقصاً . ولا يزال الفكر يخرج أصنافها ومركباتها من القوة الى الفعل ، بالاستنباط شيئاً فشيئاً على التدريج ، حتى تكمل . ولا يحصل ذلك دفعة وإنما يحصل في أزمان وأجيال ، إذ خروج الأشياء من القوة الى الفعل لا يكون دفعة ، لاسيما في الأمور الصناعية . فلا بد له إذن من زمان . ولهذا تجد الصنائع في الأمصار الصغيرة ناقصة ، ولا يوجد منها إلا البسيط ، فاذا ترايدت حضارتها ودعت أمور الترف فيها الى استعمال الصنائع ، خرجت من القوة الى الفعل .

وتنقسم الصنائع أيضاً : الى ما يختص بأمر المعاش ، ضرورياً كان أو غير ضروري ، وإلى ما يختص بالأفكار التي هي خاصية الإنسان ، من العلوم والصنائع والسياسة . ومن الأول الحياكة

والخزاةُ والنجادةُ والجدادةُ وأمثالها. ومن الثاني الوراقةُ، وهي معانةُ الكتبِ بالانتساحِ والتجليدِ، والفناءُ والشمرُ وتعليمُ العلمِ وأمثالُ ذلك. ومن الثالثِ الجنديةُ وأمثالها. واللهُ أعلم.

## الفصل السابع عشر

في أن الصنائع إنما تكمل بكمال الصبيان المضمون وكثيره

والسببُ في ذلك أن الناسَ، ما لم يُستوفَ العمرانُ الحضريُّ وتمتدُنْ المدينةُ إنما همُّهم في الصَّروريِّ من المعاشِ، وهو تحصيلُ الأقواتِ من الحنطةِ وغيرها. فإذا تمتدَّتْ المدينةُ وترايدتْ فيها الأعمالُ ووفت بالصَّروريِّ وزادت عليه، صُرفَ الزائدُ حينئذٍ إلى الكمالاتِ من المعاشِ. ثم إنَّ الصنائعَ والعلومَ إنما هي للانسانِ من حيثُ فكرُهُ الذي يتميزُ به عن الحيواناتِ، والقوتُ له من حيثُ الحيوانيةِ والغذائيةِ؛ فهو مقدَّمُ لضرورته على العلومِ والصنائعِ، وهي متأخرةٌ عن الصَّروريِّ. وعلى مقدارِ عُمرانِ البلدِ تكونُ جودةُ الصنائعِ للتأثُّقِ فيها حينئذٍ، واستجادةُ ما يطلبُ منها بحيثُ تتوفرُ دواعي الترفِ والثروة. وأما العُمرانُ البدويُّ أو القليلُ فلا يحتاجُ من الصنائعِ إلا البسيطَ، خاصةً المستعملَ في الضرورياتِ من نجارٍ أو حدَّادٍ أو خياطٍ أو حائكٍ أو جزَّار. وإذا وجدتْ هذه بعدُ، فلا توجدُ فيه كاملةٌ ولا مستجادةٌ. وإنما يوجدُ



منها بمقدار الضرورة ، إذ هي كلها وسائل إلى غيرها وليست مقصودة لذاتها .

وإذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات ، كان من جللتها التأثُّق في الصنائع واستجاذبتها ؛ فكمَلت بجميع متماتها وترايدت صنائع أخرى معها ، مما تدعو إليه عوائد الترفِّ وأحواله ، من جزائر ودُّبَاجٍ وخرايز وصانغٍ وأمثال ذلك . وقد تنتهي هذه الأصنافُ إذا استبحر العمرانُ إلى أن يوجدَ فيها كثيرٌ من الكمالات ، ويتأثَّق فيها في الغاية ، وتكونُ من وجوه المعاش في المضرِّ لمتعلِّطها . بل تكونُ فائدتُها من أعظم فوائد الأعمال ، لما يدعو إليه الترفُّ في المدينة مثل الدهانِ والصفارِ والحامِي والطِّبَاحِ والسَّجَّاجِ والمراسِ ومعلِّمِ الغناء والرقصِ وقرعِ الطبولِ على التوقييعِ ؛ ومثل الوردَّاقين الذين يعاونون صناعةَ انتساخِ الكتبِ وتجليدها وتصحيحها ، فإنَّ هذه الصناعة إنما يدعو إليها الترفُّ في المدينة من الاشتغال بالأمور الفكريةِ وأمثال ذلك . وقد تخرُجُ عن الحدِّ إذا كان العمرانُ خارجاً عن الحدِّ ، كما بلغنا عن أهل مصر ، أن فيهم من يُعلِّم الطيورَ النُجْمَ والحمرَ الإنسيَّةَ ، ويتخيَّلُ أشياء من العجائب بآيها قلب الأعيان وتعليم الخداه والرقصِ والمشي على الحيوطِ في الهواء ، ورفع الأثقالِ من الحيوانِ والجِجَارَةِ ، وغير ذلك من الصنائع التي لا توجدُ عندنا بالمغرب . لأنَّ عمران أمصاره لم يبلغْ عمران مصرَ والقاهرة . أدام الله عمراتها بالمسلمين . والله الحكيم العليم .

## الفصل الثامن عشر

في أن رسوم الصنائع في الأمصار إنما هو برسوم الحضارة وظهور أممها

والسبب في ذلك ظاهر ، وهو أن هذه كلها عوائد للممران والوأم<sup>(١)</sup> . والعوائد إنما ترسخ بكثرة التكرار وطول الأمد فتستحكم صيغة ذلك وترسخ في الأجيال . وإذا استحكمت الصيغة عسر زعمها . ولهذا فإننا نجد في الأمصار التي كانت استبحرت في الحضارة ، لما تراجع عمرائها وتناقص ، بقيت فيها آثار من هذه الصنائع ليست في غيرها من الأمصار المستحدثة الممران ، ولو بلغت مبادئها في الوفور والكثرة . وما ذلك إلا لأن أحوال تلك القديمة الممران مستحكمة راسخة بطول الأحقاب وتداول الأحوال وتكررها ، وهذه لم تبلغ الغاية بمد . وهذا كالحال في الاندلس لهذا العهد ، فإننا نجد فيها رسوم الصنائع قائمة وأحوالها مستحكمة راسخة في جميع ما تدعو إليه عوائد أمصارها ، كاللبناني والطبري وأصناف الفناء والهور من الآلات والأوتار والرقص وتنفيذ الفرش في القصور ، وحسن الترتيب والأوضاع في البناء ، وصوغ الآنية من المعادن والمخزف وجميع المواعين ، وإقامة الولائم والأعراس وسائر الصنائع التي يدعو إليها الترف وعوائده .

(١) البيت الدفيء .

فتجدُّهم أقومَ عليها وأبصرَ بها . وتجدُّ صنائعها مستحكمةً لديهم ؛ فهم على حصّةٍ موفورةٍ من ذلك وحظٍّ متميّزٍ بين جميعِ الأمصارِ . وإن كان عمرانُها قد تناقصَ ، والكثيرُ منه لا يساوي عمرانَ غيرها من بلادِ المُنوّةِ . وما ذاك إلا لما قدّمناه من رسوخِ الحضارةِ فيهم برسوخِ الدولةِ الأمويّةِ وما قبلها من دولةِ القوطِ ، وما بعدها من دولةِ الطوائفِ وهلمَّ جراً . فبلّغتِ الحضارةُ فيها مبلغاً لم تبلغه في قطرٍ ، إلا ما يُنقلُ عن العراقِ والشامِ ومصرَ أيضاً ، لطولِ أمدِ الدولِ فيها ؛ فاستحكمت فيها الصنائعُ وكملت جميعُ أصنافها على الاستجابةِ والتنميقِ . وبقيت صِبغُها ثابتةً في ذلك العمرانِ ، لا تفارقهُ إلى أن ينتقصَ بالكليّةِ ، حال الصبغِ إذا رسخَ في الثوبِ . وكذا أيضاً حالُ تونسَ فيما حصل فيها من الحضارةِ من الدولِ الصنهاجيّةِ والموحدينَ من بعدهم ، وما استكملَ لها في ذلك من الصنائعِ في سائرِ الأحوالِ ، وإن كان ذلك دونَ الأندلسِ . إلا أنه متضاعفٌ برسومِها منها تُنقلُ إليها من مصرَ لقربِ المسافةِ بينهما ، وتردُّدِ المسافرينَ من قطرِها إلى قطرِ مصرَ في كلّ سنةٍ . وربما سكن أهلُها هناك عصوراً ، فينقلونَ من عوائدِ ترفهِهم ومُحْكَمِ صنائعِهِم ما يَبْقَى لديهم موقعَ الاستحسانِ . فصارت أحوالُها في ذلك متشابهةً من أحوالِ مصرَ لما ذكرناه ، ومن أحوالِ الأندلسِ . لما أن أكثرَ ساكنيها من شرقِ الأندلسِ حينَ الجلاءِ لعهدي المائَةِ السابعةِ . ورسخَ فيها من ذلك أحوالٌ ، وإن كان عمرانُها ليس بمناسبٍ لذلك لهذا العهدِ . إلا أن الصبغةَ إذا استحكمتْ ، فقليلاً ما

تحويل إلا بزوال محلها . وكذا نجد بالقيروان ومراكش وقلعة ابن حماد أثراً باقياً من ذلك ، وإن كانت هذه كلها اليوم خراباً أو في حكم الخراب . ولا يتفطن لها إلا البصير من الناس ، فيجد من هذه الصنائع آثاراً تدلُّ على ما كان بها ، كأثر الخطِّ المحوَّر في الكتاب . ﴿رَبِّكَ هُوَ الْخَلَقُ الْعَلِيمُ﴾ .

## الفصل التاسع عشر

في أن الصانع إنما يتجدد وتكثر أثاره كلما كثرت طلبها

والسبب في ذلك ظاهر ، وهو أن الإنسان لا يَسْمَحُ بعمله أن يقع بجاناً ، لأنه كسبه ومنه معاشه . إذ لا فائدة له في جميع عمره في شيء مما سواه ، فلا يصرفه إلا فيما له قيمة في مصرو ليعود عليه بالنفع . وإن كانت الصناعة مطلوبة وتوجه إليها النفاق كانت حينئذ الصناعة بمثابة السلعة التي تنفق سوقها وتجلب للبيع ، فيجتهد الناس في المدينة لتعلم تلك الصناعة ليكون منها معاشهم . وإذا لم تكن الصناعة مطلوبة لم تنفق سوقها ، ولا يوجه قصد إلى تعلمها ، فاختصت بالترك وتفتت للاهالي . ولهذا يقال عن علي رضي الله عنه : « قيمة كل امرئ ما يحسن » . بمعنى أن صناعته هي قيمته ، أي قيمة عمله الذي هو معاشه . وأيضاً هنا سر آخر وهو أن الصنائع وإجادتها إنما تطلبها الدولة ، فهي التي تنفق

سوقها وتوجه الطلبات إليها . وما لم تطلبه الدولة ، وإنما يطلبها غيرها من أهل المصر ، فليس على نسبتها ؛ لأن الدولة هي السوق الأعظم ، وفيها نفاق كل شيء ، والقليل والكثير فيها على نسبة واحد . فما نفق فيها كان أكثرياً ضرورة . والسوقة وإن طلبوا الصناعة فليس طلبهم بعام ولا سؤهم بناقصة . والله سبحانه وتعالى قادر على ما يشاء

## الفصل العشرون

في أن الأمصار إذا قايت القلوب انتقضت منها الصنائع

وذلك لما يئناه من أن الصنائع إنما تستجد إذا احتيج إليها وكثر طالها . فإذا ضمفت أحوال المصر ، وأخذ في الهرم بانتقاص عمرائه وقلة ساكنيه تناقص فيه الترف ، ورجعوا إلى الإقتصار على الضروري من أحوالهم ؛ فتقل الصنائع التي كانت من توابع الترف . لأن صاحبها حينئذ لا يصح له بها معاشه ، فيفر إلى غيرها ، أو يموت ، ولا يكون خلف منه ، فيذهب رسم تلك الصنائع جملة ؛ كما يذهب النقاشون والصواغون والكتاب والنساج وأمثالهم من الصنائع لطجات الترف . ولا تزال الصناعات في التناقص ما زال المصر في التناقص ، إلى أن تصمحل . والله الخلاق العليم ؛ سبحانه وتعالى .

## الفصل الحادي والعشرون

في أن العرب لم يمد القس من الصنائع

والسبب في ذلك أنهم أعرق في البدو وأبعد عن الممران  
الحضري، وما يدعو إليه من الصنائع وغيرها. والعجم من أهل  
المشرق وأمم النصرانية غنوة البحر الرومي أقوم الناس عليها،  
لأنهم أعرق في الممران الحضري وأبعد عن البدو وعمرانه. حتى  
إن الإبل التي أعانت العرب على التوحش في القفر، والإعراق  
في البدو، مفقودة لديهم بالجملة، ومفقودة مراعيها، والرمال  
المهيئة لنتائجها. ولهذا نجد أوطان العرب وما ملكوه في الاسلام  
قليل الصنائع بالجملة، حتى تجلب اليه من قطر آخر. وانظر بلاد  
العجم، من الصين والهند وأرض الترك وأمم النصرانية، كيف  
استكثرت فيهم الصنائع، واستجلبها الأمم من عندهم.

عجم المغرب من البربر، مثل العرب في ذلك لرسوخهم في  
البدوة منذ أحقاب من السنين. ويشهد لك بذلك قلة الأمصار  
بقطرحم كما قدمناه. فالصنائع بالمغرب لذلك قليلة وغير مستحكة،  
إلا ما كان من صناعة الصوف في تسيجه، والجلد في خروجه ودينه.  
فإنهم لما استحصروا بلغوا فيها المبالغ، لموم البلوى بها، وكون  
هذين أغلب السلع في قطرحم، لما هم عليه من حال البدوة.  
وأما المشرق فقد رسخت الصنائع فيه منذ ملك الأمم الأقدمين

من القُرسِ والنَّبَطِ والقِبطِ وبني إسرائيلَ ويونانَ والرومِ أحقاباً مُتطاولةً ؛ فرسختَ فيهم أحوالَ الحضارةِ ، ومن جعلتها الصنائعُ كما قَدَّمناه ، فلم يُبحَ رسُّها . وأما اليمنُ والبحرينُ وعمانُ والجزيرةُ ، وإن مَلَكَه العربُ ؛ إلا أنهم تداولوا مُلكَهُ آلافاً من السنينَ في أُممٍ كثيرةٍ منهم ، واختطُّوا أمصارَهُ ومدنَهُ ، وبلغوا النائيةَ من الحضارةِ والتَرَفِ . مثل عادر وثمودَ والمالقةِ ونَجْدٍ من بعدهم والتابعةِ والأذواء ؛ فطال أمدُ المُلكِ والحضارةِ واستحكمتَ صِبغَتُها وتوفَّرتِ الصنائعُ ورسختَ ، فلم تَبَلَّ يبلى الدولةُ كما قَدَّمناه . فبقيت مستجدةً حتى الآنَ . واختصَّتْ بذلك للوطنِ ، كصناعةِ الوشجِ والعَصَبِ وما يُستجادُ من حَوَلي الثيابِ والحِرِّمِ فيها . واللهِ وإِثُّ الأرضِ ومن عليها ، وهو خيرُ الوارثين .

## الفصل الثاني والعشرون

في أن من حصلت له ملكة في صناعة فقل أن يجيد بعدها ملكة في أخرى

ومثال ذلك الحياطُ إذا أجادَ مَلَكةَ الحياطةِ وأحكَمَها ، ورسختَ في نفسه ، فلا يُجيدُ من بعدها مَلَكةَ التجارةِ أو البناءِ ؛ إلا أن تكون الأولى لم تستحكِمْ بعد ولم ترُسَخْ صِبغَتُها . والسببُ في ذلك أنَّ المُلُكاتِ صفاتُ النفسِ وألوانُ ؛ فلا تَرَدِّجُ دفعةً . ومن كانَ على الفطرةِ كانَ أسهلَ لقبولِ المُلُكاتِ وأحسنَ استعداداً لحصولها . فإذا تَلَوَّنتِ النفسُ بالمَلَكةِ الأخرى وخرجت عن الفطرةِ ضَعُفَ

فيها الاستعدادُ باللون الحاصل من هذه الملكة، فكان قبولها للملكة الأخرى أضعف. وهذا يَنْ يَشْهَدُ له الوجود. فقل أن تجدَ صاحبَ صناعةٍ يُحْكِمُها، ثم يُحْكِمُ من بعديها أخرى، ويكونَ فيها معاً على رتبةٍ واحدةٍ من الإجابة. حتى إن أهل العلم الذين مَلَكَتْهُمْ فِكْرِيَّةٌ فهم بهذه المثابة. ومن حصلَ منهم على ملكة علم من العلوم وأجادها في الناية؛ فقل أن يُجِدَ ملكة علم آخر على نسبته؛ بل يكونُ مقصراً فيه إن طلبه؛ إلا في الأقل النادر من الأحوال. ومبنيُّ سببه على ما ذكرناه من الاستعداد وتلويحه بلون الملكة الحاصلة في النفس. والله سبحانه وتعالى أعلم، وبه التوفيق، لا ربَّ سواه.

## الفصل الثالث والعشرون

في الإشارة إلى أصناف الصنائع

إعلم أن الصنائع في النوع الإنساني كثيرة، لكثرة الأعمال المتداولة في العمران. فهي بحيث تشدُّ عن الحصر ولا يأخذها العد. إلا أن منها ما هو ضروري في العمران أو شريف بالموضوع؛ فنحصرها بالذكر ونترك ما سواها: فأما الضروري فكالإفلاحة والبناء والحياطة والتجارة واليماكية؛ وأما الشريفة بالموضوع فكالإفلاحة والكتابة والوراقة والغناء والطب. فأما التوليد فإنها ضرورية في العمران وعامة البلوى، إذ بها تحصل حياة المولود ويتم غالباً.



وموضوعها مع ذلك المولودون وأهائهم . وأما الطبُّ فهو حفظُ  
الصِّحَّةِ للإنسانِ ودفعُ المَرَضِ عنه ، ويتفرَّعُ عن علمِ الطَّبِيعَةِ ،  
وموضوعه مع ذلك بدنُ الإنسانِ . وأما الكتابةُ وما يتبعها من  
الورَاقَةِ ، فهي حَافِظَةٌ على الإنسانِ حاجَتَهُ ومَقَبَلَةٌ لها عن النسيانِ ،  
ومُبَلِّغَةٌ ضَمائرَ النفسِ إلى البعيدِ الغائبِ ، ومُخَلِّدَةٌ نتائجَ الأفكارِ  
والعلومِ في الصُّحُفِ ، ورَافِعةٌ رُتَبَ الوجودِ للعاني . وأما الفناءُ  
فهو نِسْبُ الأصواتِ ومُظهِرُ جلالِها للأسماعِ . وكلُّ هذه الصَّناعاتِ  
الثلاثِ دَاعٍ إلى مخالطةِ الملوكِ الأعظمِ في خلواتهم ومجالسِ أنسِهِمْ ؛  
فلها بذلك شرفٌ ليس لغيرها . وما سوى ذلك من الصنائعِ  
فتابعةٌ وممتهنةٌ في الغالبِ . وقد يَخْتَلِفُ ذلك باختلافِ الأغراضِ  
والدواعي . واللهُ أعلمُ بالصوابِ .

## الفصل الرابع والعشرون

### في صناعة الفلاحة

هذه الصناعةُ ثمرُها اتخاذُ الأقواتِ والحبوبِ ، بالقيامِ على  
إِثارةِ الأرضِ لها وازدراعيها ، وعلاجِ نباتها ، وتعميدِها بالسقي  
والتنميةِ إلى بلوغِ غايتهِ ؛ ثم حَصَادِ سُنبُلِهِ واستخراجِ حَبِّهِ من  
غِلافِهِ وإحكامِ الأعمالِ لذلك ، وتحصيلِ أسبابِهِ ، ودواعيه . وهي  
أقدمُ الصنائعِ لما أَنَّها مُحصِلةٌ للقوتِ المَكْمَلِ لحياةِ الإنسانِ غالباً ،  
إذ يمكنُ وجودُهُ من دونِ جميعِ الأشياءِ إلا من دونِ القوتِ .

ولهذا اخْتُصَّتْ هذه الصنَاعَةُ بالبُيُوتِ. إذ قَدَّمْنَا أَنَّهُ أَقْدَمُ من الحَضَرِ وسابِقٌ عليه ؛ فكانت هذه الصَّنَاعَةُ لذلك بدوِيَّةً ، لا يقومُ عليها الحَضَرُ ولا يعرفونها ؛ لِأَنَّ أَحْوَالَهُمْ كُلَّهَا ثَانِيَّةٌ عن البِدَاوَةِ ؛ فصنائعُهُمْ ثَانِيَّةٌ عن صنائعِها وتابعةٌ لها . واللهُ سبحانه وتعالى مقِيمُ المبادئِ فيما أَرَادَ .

## الفَصْلُ الْخَامِسُ وَالْعِشْرُونَ

في صنعة الهند.

هذه الصَّنَاعَةُ أَوَّلُ صنائعِ العُمَرَاءِ الحَضَرِيِّ وَأَقْدَمُهَا ، وهي معرفةُ الْعَمَلِ في اتِّخَاذِ البيوتِ والمنازلِ لِلْكُنْ<sup>(١)</sup> والمأوى للأبدانِ في المَدُنِ. وذلك أَنَّ الإنسانَ لما جُبِلَ عليه من الفِكرِ في عواقبِ أَحْوَالِهِ ، [ لا بدَّ له أنْ يُفَكِّرَ فيما يدفعُ عنه الأذى من الحرِّ والبردِ ، كاتِّخَاذِ البيوتِ المكتَنَّةِ بالسُّقْفِ والحِيطَانِ من سائرِ جهاتِها ]<sup>(٢)</sup> . والبشرُ يختلفون في هذه الجِبَلَةِ الفِكرِيَّةِ التي هي معنى الانْسَانِيَّةِ ، فالْمَقِيْدُونَ فيها ، ولو على التفاوتِ ، يَتَّخِذُونَ ذلك باعتدالٍ ، كأهلِ الإقليمِ الثاني والثالثِ والرابعِ والخامسِ والسادسِ<sup>(٣)</sup> [ وأما أهلُ البِدْوِ فيبْعُدُونَ عن اتِّخَاذِ ذلك ، لِقُصُورِ أَفْكَارِهِمْ عن

(١) الكُنْ : وقاه كل شيءٍ وستره . وفي ب : للسكن .

(٢) كذا ، وما هو ضمن [ ] ، وقد ورد في نسخة ب هكذا : « لا بدَّ له أن يفكر في موانع إذابة الحر والبرد باتخاذ البيوت ذات الحيطان والسقف الحائلة دونه من جهاتها » .

(٣) كذا ، وفي ب : كأهل الإقليم الثاني وما بعده إلى الإقليم السادس » .

إدراك الصنائع البشريّة ؛ فيبادرون للغيران والكهوف الممتدة من غير علاج<sup>(١)</sup>. ثم المتدلون والمتخذون البيوت للمأوى قد يتكاثرون فتكثر بيوتهم في البسيط الواحد، بحيث يتناكرون ولا يتعارفون فيخشى من طروق بعضهم بعضاً بيئاً، فيحتاجون إلى حفظ مجتمعيهم بإدارة سياج الأسوار التي تحوطهم. ويصير جميعها مدينة واحدة ومصرأ واحداً يحوطهم فيها الحُكَّام بدفاع بعضهم عن بعض. وقد يحتاجون إلى الاعتصام من العدو ويتخذون المأوى والحصون لهم ولن تحت أيديهم. وهؤلاء مثل الملوك ومن في معانهم من الأمراء وكبار القبائل. ثم يختلف أحوال البناء في المدن، كلّ مدينة على ما يتعارفون ويصطليحون عليه، ويناسب زجاج أهوائهم واختلاف أحوالهم في الغنى والفقر. وكذا حال أهل المدينة الواحدة. فمنهم من يتخذ القصور والمصانع العظيمة الساحة المشتتة على عتق الدور والبيوت والغرف الكبيرة لكثرة ولدو وحشيه وعياليه وتابعه، ويؤسس جدرانها بالحجارة ويلحم بينها بالكلس، ويعالي عليها بالأصيفّة والجص، ويبلغ في كلّ ذلك بالتجديد والتنسيق، إظهاراً للبسطّة بالعناية في شأن المأوى. ويهيئ مع ذلك الأسراب والمطامير لاختزان أقواته، والاصطبلات لربط مُقرباته إذا كان من أهل الجنود وكثرة التابع والحاشية<sup>(٢)</sup>،

(١) كذا، وقد ورد ما هو ضمن [ ] في نسخة ب هكذا: «وأما أهل الأول والسابع، فيبعدون عن اتخاذ ذلك لانحرافهم وقصور أفكارهم عن كيفية العمل في الصنائع الإنسانية؛ فيأوون إلى الغيران والكهوف، كما يتناولون الأغذية من غير علاج ولا نفع».

(٢) كذا، وفي ب: والغاشية.

كالأمراد ومن في معناهم . ومنهم من يبنى الدُّورَةَ والبيوت<sup>(١)</sup> لنفسه وسكنه وولده لا يتغني ما وراء ذلك ، لقصور حاله عنه واقتصاره على الكِنِ الطَّبِيعِيِّ للبشر . وبين ذلك مراتبٌ غير منحصرة .

وقد يُحتاجُ لهذه الصَّنَاعَةِ أيضاً عند تأسيس الملوك وأهل الدول المدن العظيمة وأما كل المرتفعة ، وبيالغون في إتقان الأوضاع وعلو الأجرام مع الأحكام لتبلغ الصَّنَاعَةُ مبالتها . وهذه الصَّنَاعَةُ هي التي تحصل الدواعي لذلك كله . وأكثر ما تكون هذه الصَّنَاعَةُ في الأقاليم المعتدلة من الرابع وما حواليه ؛ إذ الأقاليم المنحرفة لا بناء فيها . وإنما يتخذون البيوت حظائر من القصب والطين أو يأوون إلى الكهوف والفيران . وأهل هذه الصَّنَاعَةِ القائمون عليها متفاوتون : فمنهم البصير الماهر ؛ ومنهم القاصر . ثم هي تتنوع أنواعاً كثيرة : فمنها البناء بالحجارة المنجدة أو بالآجر ، يُقامُ بها الجدران ملصقاً بعضها إلى بعض بالطين والكلس الذي يُعَدُّ معها فيلتحم كأنها جسم واحد ؛ ومنها البناء بالتراب خاصة تُقام منه حيطان بأن يُتخذ لها لوحان من الخشب مقدران طولاً وعرضاً باختلاف العادات في التقدير . وأوسطه أربع أذرع ، في ذراعين فينصبان على أساس ، وقد بُعِدَ ما بينهما على ما يراه صاحب البناء في عرض الأساس ، ويوصل بينهما بأذرع من الخشب يربط عليها بالجلال والجدل . ويسد الجمان الباقيتان من ذلك الخلاء بينهما

(١) كذا ، وفي ب : والبيوت .

بلوحيْنِ آخَرَيْنِ صَغِيرَيْنِ ؛ ثم يوضعُ فِيهِ الترابُ مختلطاً بالكلسِ ،  
وَيُكَزُّ بالمراكَزِ المَعْدُوْةِ لَذلكَ ، حتى ينعَمَ رَكَزُهُ وَيَخْتَلِطَ أَجْزَاؤُهُ  
بِالكلسِ . ثم يُزَادُ الترابُ ثانياً وثالثاً إلى أن يَمْتَلِئَ ذلكَ الخِلاَءُ بين  
اللوحَيْنِ ، وقد تَدَاخَلَت أَجْزَاءُ الكلسِ والترابِ وصارت جِسمًا  
واحدًا . ثم يُعَادُ تَصَبُّ اللوحَيْنِ على الصُورَةِ الأولى ، ويُرَكَّزُ  
كَذلكَ إلى أن يَتِمَّ وَتَنْتَظِمَ الْأَلْوَحُ كُلُّهَا سَطْرًا فوقَ سَطْرٍ ، إلى  
أن يَنْتَظِمَ الحائِطُ كُلُّهُ مُلتَحِمًا ، كَأَنَّهُ قِطْعَةٌ واحدةٌ ، وَيُسَمَّى الطائِيَّةُ  
وصانمَةُ الطَوَابِ . ومن صنائِعِ البِنَاءِ أَيضًا أن تُجَلَّلَ الحِيطَانُ  
بِالكلسِ ، بعد أن يُجَلَّ بالماءِ وَيُخَمَّرَ أُسْبوعًا أو أُسْبوعَيْنِ ، على قَدَرِ  
ما يَعتَدِلُ مُزَاجُهُ عن إفراطِ النَّارِيَّةِ المَفْسِدَةِ لِلإِطَامِ . فإذا تَمَّ لَهُ  
ما يَرْضَاهُ من ذلكَ عَلاَهُ من فوقِ الحائِطِ ، وذلكَ إلى أن يَلْتَحِمَ .  
ومن صنائِعِ البِنَاءِ عَمَلُ السَّقْفِ بِأن تُمدَّ الخَشْبُ الحَكْمَةُ النِّجَارَةُ  
أو السَادِجَةُ على حائِطِي البَيْتِ ، ومن فوقِهَا الْأَلْوَحُ كَذلكَ  
مُوصُولَةً بِالْإِسَارِ ، وَيَصَبُّ عَلَيْهَا الترابُ والكلسُ ، وَيُلَطُّ بالمراكَزِ  
حتى تَتَدَاخَلَ أَجْزَاؤُهَا وتَلْتَحِمَ وَيُعَالَى عَلَيْهَا الكِلْسُ كما عُولِيَ على  
الحائِطِ . ومن صِنَاعَةِ البِنَاءِ ما يَرجِعُ إلى التَّنْمِيقِ والتَّزْيِينِ ؛ كما  
يُصْنَعُ من فوقِ الحِيطَانِ الْأَشْكَالُ المَجَسَّمَةُ من الجِصِّ يُخَمَّرُ بالماءِ ،  
ثم يَرجِعُ جِسدًا<sup>(١)</sup> وفيهِ بَقِيَّةُ البَلَلِ ؛ فَيُشَكَّلُ على التَّنَاسُبِ تَحْزِيمًا  
بِمِثَاقِبِ الحَدِيدِ إلى أن يَبْقَى لَهُ رَوْنَقٌ وَرُوءَاءُ . وربما عُولِيَ على  
الحِيطَانِ أَيضًا بِقِطْعِ الرُّخَامِ أو الْأَجَرِ أو الخَزَفِ أو بِالصَّدَفِ أو

(١) كِلَاء ، وفي ب : ثم يرفع مجسداً .

السَّبِيح؛ يُفَصَّلُ أجزاءً متجانسةً أو مختلفةً، وتوضعُ في الكسْرِ على نِسْبٍ وأوضاعٍ مقلَّدةٍ عندهم، يبدو به الحائِطُ للعيانِ، كأنه قِطْعُ الرِياضِ المنعمَةِ. إلى غير ذلك من بناء الجبابِ والصهاريجِ لسبِحِ الماء، بعد أن تُعدَّ في البيوتِ قِصاعُ الرُّخامِ القوراءِ المحكَّةُ الحَرطِ بالفوهاتِ في وسطها لِنَبْعِ الماءِ الجاري الى الصَّهْرِيحِ، يُجَلَبُ إليها من خارجٍ في القنَوَاتِ المفضِيَةِ به إلى البيوتِ. وأمثالُ ذلك من أنواعِ البناءِ.

وتختلفُ الصُّنَاعُ في جميعِ ذلك باختلافِ الحِذْقِ والبَصَرِ، ويمظُمُ عمرانُ المدينةِ ويتَّسعُ فيكثرونَ. وربما يرجعُ الحُكَّامُ الى نَظَرِ هؤلاء فيما هم أبصَرُ به من أحوالِ البناءِ. وذلك أنَّ الناسَ في المدينِ الكثيرةِ الأزديحامِ والعُمرانِ، يتشاحون حتى في الفضاءِ والهواءِ للأعلى والأسفلِ، في الانتفاعِ بظاهِرِ البناءِ، ممَّا يُتَوَقَّعُ معه حصولُ الضررِ في الحيطانِ. فيمنعُ جاردَه من ذلك، إلا ما كانَ له فيه حقٌّ. ويختلفونَ أيضاً في استحقاقِ الطرُقِ والمنافذِ، للبيادِ الجاريةِ، والفضلاتِ المُسَرَّبةِ في القنَوَاتِ. وربما يدَّعي بعضهم حقَّ بعضٍ في حائِطِه أو علوِّه أو قناتِه لتضايِقِ الجوارِ، أو يدَّعي بعضهم على جاريهِ اعتلالَ حائِطِه وخشيَةَ سقوطِه، ويحتاجُ الى الحكمِ عليه بهدمِه ودفعِ ضررِه عن جاريهِ، عند مَنْ يراه؛ أو يحتاجُ الى قِسْمَةِ دارٍ أو عَرَصَةٍ بين شريكينِ، بحيثُ لا يقعُ معها فسادٌ في الدارِ ولا اِهمالٌ لمنفعتِها. وأمثالُ ذلك. وينفى جميعُ ذلك إلا على أهلِ البَصَرِ بالبناءِ العارفينِ بأحوالِه، المستدلينَّ عليها بالمعايِدِ والقَمَطِ

ومراكز الخشب وميلر الحيطان واعتدالها وقسم المساكن على نسبة أوضاعها ومنافعها، وتسريب المياه في القنوات مجلوبة ومرفوعة بحيث لا تضر بما مرت عليه من البيوت والحيطان وغير ذلك . فلم بهذا كله البصر والخبرة التي ليست لغيرهم . وهم مع ذلك يختلفون بالجودة والصور في الأجيال باعتبار الدول وقوتها .

فإنا قدمنا أن الصنائع، وكما لها إنما هو بكمال الحضارة، وكثرتها بكثرة الطالب لها . فلذلك عندما تكون الدولة بدوية في أول أمرها تفتقر في أمر البناء إلى غير قطرها . كما وقع للوليد بن عبد الملك ، حين أجمع على بناء مسجد المدينة والقدس ومسجد بالشام ؛ فبعث إلى ملك الروم بالأسطنطينية في القلعة المهرية في البناء ؛ فبعث إليه منهم من حصل<sup>(١)</sup> له غرضه من تلك المساجد . وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من الهندسة ، مثل تسوية الحيطان بالوزن وإجراء المياه بأخذ الارتفاع ، وأمثال ذلك ؛ فيحتاج إلى البصر بشيء من مسائله . وكذلك في جمر الأتقال بالهندام ؛ فإن الأجرام العظيمة إذا شيدت بالحجارة الكبيرة تحجز قدر القلعة عن رفعا إلى مكانها من الحائط ؛ فيتجلى لذلك بمضاعفة قووم الجبل ، بادخاله في المالحق من أنقاب مقدرة على نسب هندية ، تُصير الثقيل عند مُماناة الرقع خفيفا وتسمى آلة لذلك بالخال ؛ فيتم المراد من ذلك بغير كلفة . وهذا إنما يتم بأصول هندسية معروفة ، متداولة بين البشر . وبمثلها كان بناء

(١) كذا، وفي ب: من كمل له غرضه .

الهيكل المائتة لهذا العهد ، التي يحسب الناس أنها من بناء  
الجاهلية . وأن أبدانهم كانت على فسيتها في العظم الجسماني ،  
وليس كذلك ، وإنما تم لهم ذلك بالجِلد الهندسي كما ذكرناه .  
فتمم ذلك . والله يخلق ما يشاء سبحانه .

## الفصل السادس والعشرون

### في صنعة التجارة

هذه الصناعة من ضروريات العمران ومادتها الحشَبُ . وذلك  
أن الله سبحانه وتعالى جعل للأدمي في كل مكون من المكونات  
منافع تكمل بها ضروراته ، أو حاجاته ، وكان منها الشجر ، فإن  
له فيه من المنافع ما لا ينحصر بما هو معروف لكل أحد . ومن  
منافعها اتخاذها خشباً إذا ييسر . وأول منافع الحشَب أن يكون  
وقوداً للنيران في معاشهم ، وعصياً للاتكاء والنود ، وغيرهما من  
ضرورياتهم ، ودعائم لا يفتش ميله من أثقالهم . ثم بعد ذلك منافع  
أخرى لأهل البدو والحضر . فأما أهل البدو ، فيتخذون منها العمدة  
والأوتاد لحياهم ، واللدوج لظمائهم ، والرماح والسي والسهام  
لسلاحهم . وأما أهل الحضر فالسقف لبيوتهم والأغلاق لأبوابهم  
والكراسي للجلس . وكل واحد من هذه فالحشَب مادة لها ،  
ولا تصير إلى الصورة الخاصة بها إلا بالصناعة .



والصناعة المتكفلة بذلك ، المحصلة لكل واحد من صورها هي التجارة على اختلاف دُتيها . فيحتاج صاحبها الى تفصيل الحشيب أولا : إما بخشيب أصفر منه ؛ أو ألواح . ثم تُركب تلك الفصائل بحسب الصور المطلوبة . فهو في كل ذلك يحاول بصنعيه إعداد تلك الفصائل بالانتظام ، إلى أن تصير أعضاء لذلك الشكل المخصوص . والقائم على هذه الصناعة هو النجار وهو ضروري في الممران . ثم إذا عظمت الحضارة وجاء الترف ، وتأنق الناس فيما يتخذونه من كل صنف ، من سقف أو باب أو كرسي أو ماعون ، حدث التأنق في صناعة ذلك واستجادته بغرائب من الصناعة كالمية ، ليست من الضروري في شيء . مثل التخطيط في الأبواب والكراسي ، ومثل تهينة القطع من الحشيب بصناعة الخراط يحكم برؤيا وتشكيلها ؛ ثم تؤلف على نسب مقدرة ، وتلحم بالداستر فتبدو لمراى العين ملتحة ، وقد أخذ منها اختلاف الأشكال على تناسب . يصنع هذا في كل شيء يتخذ من الحشيب فيجيء آنق ما يكون . وكذلك في جميع ما يحتاج إليه من الآلات المتخذة من الحشيب ، من أي نوع كان .

وكذلك قد يحتاج الى هذه الصناعة في إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدسر ، وهي أجرام هندية صنعت على قالب الحوت واعتبار سبحه في الماء بقوايدهم وكلكله ، ليكون ذلك الشكل أعون لها على مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسماك تحريك الرياح . وربما أعينت

بحركة المجاذيف كما في الأساطيل . وهذه الصنعة من أصلها محتاجة الى جزء كبير من الهندسة في جميع أصنافها ، لأن إخراج الصور من القوة إلى الفعل على وجه الأحكام ، يحتاج الى معرفة التناسب في المقادير ، إما عموماً أو خصوصاً . وتناسب المقادير لا بد فيه من الرجوع الى المهندسين .

ولهذا كان أئمة الهندسة اليونانيون كلهم أئمة في هذه الصناعة ، فكان أوقليدس صاحب كتاب الأصول في الهندسة نجاراً وبها كان يُعرف . وكذلك أبلونيوس صاحب كتاب المخروطات وميلانوس وغيرهم . وفيما يقال : إن معلم هذه الصناعة في الخليقة هو نوح عليه السلام ، وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان . وهذا الخبر وإن كان ممكناً أعني كونه نجاراً ، إلا أن كونه أول من علمها أو تعلمها لا يقوم دليل من النقل عليه لبعده الآماد . وإنما معناه والله أعلم الإشارة الى قنم التجارة لأنه لم تصح حكاية عنها قبل خبر نوح عليه السلام ، فجعل كأنه أول من تعلمها . ففتحهم أسرار الصنائع في الخليقة . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

## الفصل السابع والعشرون

### في صناعة العباة والفاطة

إعلم أن المعتدلين من البشر في معنى الإنسانية لا بد لهم من الفكر في اليفه كالفكر في الكن . ويحصل الدفء باشتال المنسوج للوقاية من الحرّ والبرد . ولا بدّ لذلك من إلحام الغزل حتى يصير ثوباً واحداً ، وهو النسيج والحيطة . فإن كانوا باديةً اقتصروا عليه وإن مالوا إلى الحضارة فصلوا تلك المنسوجة قطعاً يقدرون منها ثوباً على البدن بشكله وتمتدّ أعضائه واختلاف نواحيها . ثم يلائمون بين تلك القطع بالوصلات حتى تصير ثوباً واحداً على البدن ويلبسونها . والصناعة المحصّلة لهذه الملاءمة هي الخياطة . وهاتان الصناعتان ضروريتان في العمران ، لما يحتاج إليه البشر من الرفق<sup>(١)</sup> . فالأولى لنسيج الغزل من الصوف والكتان والقطن إسداءً في الطول وإلحاماً في العرض وإحكاماً لذلك النسيج بالالتحام الشديد ، فيتم منها قطعٌ مقدّرة : فمنها الأكسية من الصوف للاشتال ، ومنها الثياب من القطن والكتان للباس . والصناعة الثانية لتقدير المنسوجات على اختلاف الأشكال والعوائد ، تُفصل أولاً بالمقراض قطعاً مناسبة للأعضاء البدنية ، ثم تلحم تلك القطع بالخياطة المحكمة وصلّاً أو جبكاً أو تنبيتاً أو تفتيحاً على حسب نوع الصناعة .

(١) كذا ، وفي ب : من الدفء .

وهذه الثانية مختصة بالعمران الحضري لما أن أهل البدو يستغنون عنها، وإنما يشتملون الأثواب اشتيالاً. وإنما تفصيل الثياب وتقديرها وإلحائها بالحياطة للباس من مذاهب الحضارة وفنونها. وتفهم هذا في سرّ تحريم الخيط في الحج، لما أن مشروعية الحج مشتملة على نبذ العلائق الدنيوية كلها والرجوع إلى الله تعالى. « كما خلقنا أول مرة ». حتى لا يُعلق العبد قلبه بشيء من عوائد ترفيه، لا طيباً ولا نساء ولا غبطة ولا خفاً، ولا يتعرض لصيد ولا لشيء من عوائد التي تكوّنت بها نفسه وحُلُقُه، مع أنه يفقدها بالموت ضرورة. وإنما يحیی كانه وابد على المحشر ضارِعاً بقلبه مخلصاً لربه، وكان جزاؤه إن تم له إخلاصه في ذلك أن يخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. سبحانه ما أرفقك بعبادك وأرحمك بهم في طلب هدايتهم إليك.

وهاتان الصنعتان قديمتان في الخليقة لما أن النّف ضروري للبشر في العمران المعتدل. وأما المنحرف إلى الحرّ فلا يحتاج أهله إلى دفء. ولهذا يُلْقَنَا عن أهل الاقليم الأول من السودان أنهم عراة في الغالب. ولقدّم هذه الصنائع ينسبها العامة إلى إدریس عليه السلام، وهو أقدم الانبياء. وربما ينسبونها إلى هرمس، وقد يقال: إن هرمس هو إدریس. والله سبحانه وتعالى هو الخلاق العليم.

## الفصل الثامن والعشرون

### في صناعة التوليد

وهي صناعة يُعرف بها العمل في استخراج المولود الآدمي من بطن أمه ، من الرفق في إخراجِه من رحمها وتهية أسباب ذلك . ثم ما يصلحُه بعد الخروج على ما نذكرُ . وهي مختصة بالنساء في غالب الأمر ، لما أنهن الظاهراتُ بعضهن على عوراتِ بعض . وتسمى القائمة على ذلك منهن القابلة . استعيرَ فيها معنى الإعطاء والقبول ، كأن النساء تُعطِي الجنين وكأنها تقبله . وذلك أن الجنين إذا استكملَ خَلْقَه في الرحم وأطواره وبلغَ الى غايته ، والمدة التي قدرَ الله لمكثِه ، وهي تسعة أشهر في الغالب ، فيطلبُ الخروج بما جعلَ الله في المولود من التزوع لذلك ، ويضيقُ عليه المنفذُ فيعسرُ . وربما مزقَ بعضَ جوانبِ الفرج بالضغط ، وربما انقطعَ بعضُ ما كان في الأغشية من الالتصاق والالتحام بالرحم . وهذه كلها آلامٌ يشتدُّ لها الوجعُ ، وهو معنى الطلق ؛ فتكونُ القابلةُ معينةً في ذلك بعضَ الشيء بغمزِ الظهر والوركين وما يجاذي الرحم من الأسافل ، تساوِقُ بذلك فعلَ الدافعة في إخراجِ الجنين ، وتسهِّلُ ما يصعبُ منه بما يُمكنُها ، وعلى ما تهتدي إلى معرفة عسره . ثم إذا خرجَ الجنينُ بقيتَ بينة وبينَ الرحم الوصلةُ حيثُ كان يتقدَّمُ منها متصلةً من سُرَّتِه بمعاها .

وتلك الوصلة عضو فضلي لتغذية المولود خاصة ، فقطعها القابلة من حيث لا تتعدى مكان الفضيلة ولا تُضرب بعماه ولا يرحم أمه ، ثم تدمل مكان الجراحة منه بالكثير أو بما تراه من وجوه الاندمال . ثم إن الجنين عند خروجه من ذلك المنفذ الضيق ، وهو رطب العظام سهل الانعطاف والانشاء ، فربما تتغير أشكال أعضائه وأوضاعها قرب التكوين ورطوبة المواد ، فتتناوله القابلة بالنمز والإصلاح ، حتى يرجع كل عضو إلى شكله الطبيعي ووضع المقدّر له ، ويرتد خلقه سوياً . ثم بعد ذلك تراجع النفس وتخاذلها بالنمز والملاينة لخروج أغشية الجنين ، لأنها ربما تتأخر عن خروجه قليلاً . ويخشى عند ذلك أن تراجع المايسة حالها الطبيعية قبل استكمال خروج الأغشية ، وهي فضلات ، فتتغفن ويسري عفنّها إلى الرحم فيقع الهلاك ، فتحاذر القابلة هذا وتحاول في إعانة الدفع إلى أن تخرج تلك الأغشية إن كانت قد تأخرت ، ثم ترجع إلى المولود فتمرخ<sup>(١)</sup> أعضائه بالأدهان والذرورات<sup>(٢)</sup> القابضة ، لتسده ، وتقيف رطوبات الرحم ، وتحيكه لرفع لهايته ، وتسعطه لاستفراغ نطوف دماغه ، وتفرغه بالمعوق لدفع السدد من معاه وتجويفها عن الالتصاق . ثم تدأوي النفساء بعد ذلك من الوهن الذي أصابها بالطلق ، وما يلحق رحمها من ألم الانفصال ، إذ

(١) مرخه : دهنه (قاموس).

(٢) الذرور : ما ينثر في العين أو الجرح من دواء أذرة ، والذرور بالفتح لغة في الذريرة (لسان العرب).

المولود وإن لم يكن عضواً طبيعياً فحالة التكوين في الرحم صيرته بالاتحام كالعضو المتصل؛ فلذلك كان في انفصاله ألم يقرب من ألم القطع. وتداوي مع ذلك ما يلحق الفرج من ألم، من جراحة التمزيق عند الضغط في الخروج. وهذه كلها أدواء نجد هؤلاء القوابل أبصر بدوائها. وكذلك ما يعرض للمولود مدة الرضاع من أدواء في بدنه إلى حين الفصال نجد أنها أبصر بها من الطبيب الماهر. وما ذاك إلا لأن بدن الانسان في تلك الحالة إنما هو بدن إنساني بالقوة فقط. فإذا جاوز الفصال صار بدنًا إنسانيًا بالفعل؛ فكانت حاجته حينئذ إلى الطبيب أشد. فهذه الصناعة كما تراه - ضرورية في العمران للنوع الانساني، لا يتم كون أشخاصه في الغالب دونها

وقد يعرض لبعض أشخاص النوع الاستغناء عن هذه الصناعة؛ إما بخلق الله ذلك لهم معجزة وخرقاً للعادة، كما في حق الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ أو بإلهام وهداية، يلهم لها المولود ويفطر عليها، فيتم وجودهم من دون هذه الصناعة. فأما شأن المعجزة من ذلك، فقد وقع كثيراً. ومنه ما روي أن النبي ﷺ ولد مسروراً محتوناً، واضماً يديه على الأرض شاخصاً ببصره إلى السماء. وكذلك شأن عيسى في المهد وغير ذلك. وأما شأن الإلهام فلا ينكر. وإذا كانت الحيوانات العجم تخصص بفرائب من الإلهامات كالنحل وغيرها، فما ظنك بالإنسان المفضل عليها. وخصوصاً من اخص بكرامة الله.

ثم الالهام العام للولودين في الإقبال على الثدي أوضحُ شاهدٍ على وجود الالهام العام لهم . فشانُ العناية الإلهية أعظمُ من أن يُحاطَ به . ومن هنا يُفهمُ بطلانُ رأي الفارابي وحكام الأندلس ، فيما احتجوا به لعدم انقراض الأنواع ، واستحالة انقطاع المكونات . وخصوصاً في النوع الانساني . وقالوا : لو انقطعت أشخاصه لاستحال وجودها بعد ذلك ، لتوقيه على وجود هذه الصناعة التي لا يتمُّ كون الإنسان إلا بها . إذ لو قدرنا مولوداً دون هذه الصناعة وكفائتها إلى حين الفصل<sup>(١)</sup> لم يتمُّ بقاؤه أصلاً . ووجود الصنائع دون الفكر ممتنعٌ لأنها ثمرته وتابعة له . وتكلف ابن سينا في الرد على هذا الرأي لمخالفته إياه ، وذهابه إلى إمكان انقطاع الأنواع ، وخراب عالم التكوين ، ثم عودوه ثانياً لاقتضائِ فلكية وأوضاع غريبة تندز في الأحقاب بزعمه ، فتقتضي تخمير طينة مناسبة لمزاجه بحرارة مناسبة ، فيتمُّ كونه إنساناً . ثم يقبض له حيوان يُخلق فيه إلهاماً لتربيته والحنو عليه ، إلى أن يتمَّ وجوده وفصله . وأطنب في بيان ذلك في الرسالة التي سماها رسالة حيي بن يقظان . وهذا الاستدلال غير صحيح ، وإن كنا نوافقه على انقطاع الأنواع ، لكن من غير ما استدلل به . فإن دليله مبني على إسناد الأفعال إلى العلة الموجبة . ودليل القول بالفاعل المختار يرد عليه ، ولا واسطة على القول بالفاعل المختار بين الأفعال والقدرة القديمة ، ولا حاجة إلى هذا التكلف .

(١) كذا، وفي ب: الانفصال.



ثم لو سلمناه جدلاً ، فغاية ما ينبغي عليه اطراد وجود هذا الشخص بتخلق الالهام لتربيته في الحيوان الأعجم . وما الضرورة الداعية لذلك ؟ وإذا كان الالهام يُخلق في الحيوان الأعجم ، فما المانع من خلقه للولودِ نفسه ، كما قرّره أولاً . وخلق الإلهام في شخص لمصالح نفسه أقرب من خلقه فيه لمصالح غيره ؛ فكل المذهبين شاهدان على أنفسهما بالبطلان في مناحيهما لما قرّرنه لك . والله تعالى أعلم

## الفصل التاسع والعشرون

في صناعة الطب وإنما يحتاج إليها في الحفاظ والمصارف من الحاجة

هذه الصناعة ضرورة في المدن والأمصار لما عرفت من فائدتها ؛ فإن ثمرتها حفظ الصحة للأصحاء ، ودفع المرض عن المرضى بالمداد ، حتى يحصل لهم البرء من أمراضهم . واعلم أن أصل الأمراض كلها إنما هو من الأغذية ، كما قال ﷺ في الحديث الجامع للطب كما ينقل بين أهل الصناعة ، وإن طعن فيه العلماء ، وهو قوله : « المدة بيت الداء والحية رأس الداء » وأصل كل داء البردة<sup>(١)</sup> . فأما قوله : المدة بيت الداء ، فهو ظاهر ؛ وأما قوله الحية رأس الداء ، فالحية الجوع وهو الاحتياج عن الطعام . والمعنى أن الجوع هو الدواء العظيم الذي هو أصل الأدوية ؛ وأما

(١) التخمّة .

قوله : أصل كل داء البردة ، فعني البردة إدخال الطعام على الطعام في الملتق ، قبل أن يتم هضم الأول .

وشرح هذا أن الله سبحانه خلق الانسان وحفظ حياته بالغذاء يستعمله بالأكل ، وينفذ فيه القوى الماضية والغازية إلى أن يصير دماً ملائماً لأجزاء البدن من اللحم والعظم . ثم تأخذ النامية فينقلب لحمًا وعظامًا . ومعنى المضم طبع الغذاء بالحرارة الغريزية طوراً بعد طور حتى يصير جزءاً بالفعل من البدن . وتفسيره أن الغذاء ، إذا حصل في الفم ولا كتله الأشدق ، أثرت فيه حرارة الفم طبعاً يسيراً ، وقلبت يزاجه بعض الشيء ، كما تراه في اللقمة إذا تناولتها طعاماً ، ثم أجدتها مضغاً ، فترى يزاجها غير يزاج الطعام . ثم يحصل في الملتق فتطبخه حرارة الملتق إلى أن يصير كيموساً وهو صفو ذلك المطبوخ ، وترسله إلى الكبد وترسل ما رسب منه في المعاء ثقلًا ، ثم ينفذ إلى المخرجين . ثم تطبخ حرارة الكبد ذلك الكيموس إلى أن يصير دماً عبيطاً<sup>(١)</sup> وتطفو عليه رغو من الطبخ هي الصفراء . وترسب منه أجزاء يابسة هي السوداء ، ويقصر الحار الغريزي بعض الشيء عن طبع الغليظ منه فهو البلم . ثم ترسلها الكبد كلها في العروق والجدول ، ويأخذها طبع الحار الغريزي هناك ، فيكون عن الدم الخالص بخار حار رطب يبدئ الروح الحيواني . وتأخذ النامية مأخذها في الدم فيكون لحمًا ، ثم غليظة عظاماً . ثم يرسل البدن ما يفضل عن حاجاته من

(١) دم عبيط : خالص طري (قاموس) .

ذلك فضلاتٍ مختلفةً من العرقِ واللعابِ والمخاطِ والدَّمعِ . هذه صورةُ الغذاءِ وخروجهِ من القوةِ الى الفعلِ حلاً .

ثم إنَّ أصلَ الأمراضِ ومُعظَمُها هي الحُمَيَاتُ . وسببُها أنَّ الحارَّ الغريزيَّ قد يضعفُ عن إتمامِ التَّضجِ في طَبخِهِ في كلِّ طورٍ من هذه ، فيبقى ذلك الغذاءُ دون نُضجٍ . وسببُهُ غالباً كثرةُ الغذاءِ في المعدةِ ، حتى يكونَ أغلبُ على الحارِّ الغريزيِّ ، أو إدخالُ الطعامِ الى المِعدةِ قبلَ أن تستوفيَ طَبخَ الأولِ ؛ فيشتغلُ به الحارُّ الغريزيُّ ويتركُ الأولُ بحالِهِ . أو يتوزَّعُ عليها فيقصرُ عن تمامِ الطَبخِ والتَّضجِ . وتُرسلُ المِعدةُ كذلك الى الكبدِ ، فلا تقوى حرارةُ الكبدِ أيضاً على إنضاجِهِ . وربما بقي في الكبدِ من الغذاءِ الأولِ فضلةٌ غيرُ ناضجةٍ . وتُرسلُ الكبدُ جميعَ ذلك الى العروقِ غيرِ ناضجٍ كما هو . فإذا أخذَ البدنُ حاجتَهُ الملائمةَ أرسلهُ مع الفضلاتِ الأخرى من العرقِ والدَّمعِ واللعابِ إن اقتدَرَ على ذلك . وربما يعجزُ عن الكثيرِ منه ، فيبقى في العروقِ والكبدِ والمعدةِ ، وتترايدُ مع الأيامِ . وكلُّ ذي رطوبةٍ من الممتزجاتِ إذا لم يأخذهُ الطَبخُ والتَّضجُ يعفنُ ؛ فيتعفنُ ذلك الغذاءُ غيرُ الناضجِ وهو المسمى بالخلطِ . وكلُّ متعفنٍ ففيهِ حرارةٌ غريبةٌ ، وتلك هي المسبَّاةُ في بدنِ الإنسانِ بالحمى .

واعتبر ذلك بالطعامِ إذا تُركَ حتى يتعفنَ وفي الزبلِ إذا تعفنَ أيضاً ، كيف تنبعثُ فيه الحرارةُ وتأخذُ مأخذَها . فهذا معنى الحُمَيَاتِ في الأبدانِ وهي رأسُ الأمراضِ ، وأصلُها كما وقعَ في

الحديث . ولهذه الحياتُ علاجاتُ بقطعِ الغذاءِ عن المريضِ أسابيحَ معلومةٌ ثم تناولُ الأغذيةِ الملائمةِ حتى يتمَّ برؤه . وكذلك في حالِ الصِّحَّةِ له علاجٌ في التحفُّظِ من هذا المرضِ وغيره ، وأصله كما وقع في الحديث . وقد يكونُ ذلك الغفُنُ في عُضْوٍ مخصوصٍ ، فيتولدُ عنه مرضٌ في ذلك العضو ، أو تحدثُ جراحاتٌ في البدنِ : إما في الاعضاءِ الرئيسيةِ ؛ أو في غيرها . وقد يمرضُ العضوُ ويحدثُ عنه مرضُ القوى الموجودةِ له . هذه كلها جماعُ الأمراضِ ، وأصلها في الغالبِ من الأغذيةِ ، وهذا كله مرفوعٌ إلى الطبيبِ .

ووقعُ هذه الأمراضِ في أهلِ الحضرةِ والأمصارِ أكثرُ ، لخصبِ عيشهم ، وكثرةِ مآكلهم ، وقلةِ اقتصارهم على نوعٍ واحدٍ من الأغذيةِ ، وعدمِ توقيتهم لتناولها . وكثيراً ما يخلطون بالأغذيةِ من التوابلِ والبقولِ والفواكهِ ، رطباً ويابساً ، في سبيلِ العلاجِ بالطبخِ ، ولا يقتصرونَ في ذلك على نوعٍ أو أنواعٍ . فربما عددنا في اللونِ الواحدِ من ألوانِ الطبخِ أربعين نوعاً من النباتِ والحيوانِ ، فيصيرُ للغذاءِ مزاجٌ غريبٌ . وربما يكونُ بعيداً عن ملاءمةِ البدنِ وأجزائه . ثم إنَّ الأهويةِ في الأمصارِ تفسدُ بمخالطةِ الأبخرةِ الغفنةِ من كثرةِ الفضلاتِ . والأهويةُ منشطَةٌ للأرواحِ ومقويةٌ بنشاطها لأثرِ الحارِّ الغريزيِّ في المضمِرِ . ثم الرياضةُ مفقودةٌ لأهلِ الأمصارِ ، إذ هم في الغالبِ وادعون ساكنونَ ، لا تأخذُ منهم الرياضةُ شيئاً ، ولا تتوزَّزُ فيهم أثراً ، فكانَ وقوعُ الأمراضِ كثيراً في المدنِ والأمصارِ ، وعلى قدرِ وقوعه كانت حاجتهم إلى هذه الصناعةِ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْبَدْوِ فَأَكُوهُمْ قَلِيلٌ فِي الْغَالِبِ ، وَالْجُوعُ أَغْلَبُ عَلَيْهِمْ لِقَلَّةِ الْحَبُوبِ ، حَتَّى صَارَ لَهُمْ ذَلِكَ عَادَةً . وَبِمَا يُظَنُّ أَنَّهَا جِلَّةٌ لَا سِتْمَارِهَا . ثُمَّ الْأَذْمُ قَلِيلَةٌ لَدَيْهِمْ أَوْ مَفْقُودَةٌ بِالْجِلَّةِ . وَعِلَاجُ الطَّبِخِ بِالتَّوَابِلِ وَالْفَوَاكِهِ إِنَّمَا يَدْعُو إِلَيْهِ تَرْفُ الْخِضَادَةِ الَّذِينَ هُمْ بِمَعَزَلٍ عَنْهُ ؛ فَيَتَنَاوَلُونَ أَغْذِيَتَهُمْ بِسِطَّةٍ بَعِيدَةٍ عَمَّا يَخَاطِبُهَا وَيَقْرُبُ مَزَاجَهَا مِنْ مُلَاءَمَةِ الْبَدَنِ . وَأَمَّا أَهْوِيَّتُهُمْ فَقَلِيلَةُ الْعَنَنِ ، لِقَلَّةِ الرُّطُوبَاتِ وَالْمَعُونَاتِ ، إِنْ كَانُوا أَهْلِينَ ؛ أَوْ لاختلافِ الْأَهْوِيَّةِ إِنْ كَانُوا ظُلُوعِينَ .

ثُمَّ إِنْ الرِّيَاضَةُ مَوْجُودَةٌ فِيهِمْ مِنْ كَثَرَةِ الْحَرَكَةِ فِي رَكْضِ الْخَيْلِ أَوْ الصَّيْدِ أَوْ طَلَبِ الْحَاجَاتِ أَوْ سَهَةِ أَنْفُسِهِمْ فِي حَاجَاتِهِمْ ؛ فَيَحْسُنُ بِذَلِكَ كُلُّهُ الْهَضْمُ وَيَجُودُ وَيُقَدُّ إِدْخَالُ الطَّعَامِ عَلَى الطَّعَامِ . فَتَكُونُ أَمْرَجَتُهُمْ أَصْلَحَ وَأَبْعَدَ عَنِ الْأَمْرَاضِ ، فَتَقْتُلُ حَاجَتَهُمْ إِلَى الطَّبِ . وَلِهَذَا لَا يَوْجَدُ الطَّبِيبُ فِي الْبَادِيَةِ بَوَاجٍ . وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِلِاسْتِغْنَاءِ عَنْهُ ، إِذْ لَوْ احتِيجَ إِلَيْهِ لَوُجِدَ . لِأَنَّهُ يَكُونُ لَهُ بِذَلِكَ فِي الْبَدْوِ مَعَاشٌ يَدْعُوهُ إِلَى مَسْكَنِهِ . ﴿ سُبْحَانَ اللَّهِ الَّذِي قَدْ خَلَقَ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْعَلَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ .

## الفصل الثالثون

في أن الخط والكتابة من عداد الصنائع الإنسانية

وهو رسوم وأشكال حرفية تدل على الكلمات المسموعة الدالة على ما في النفس . فهو ثاني رتبة عن الدلالة اللغوية ، وهو صناعة شريفة ، إذ الكتابة من خواص الإنسان التي يُمَيِّزُ بها عن الحيوان . وأيضاً فهي تُطْلِعُ على ما في الضمائر وتتأدَّى بها الأغراض إلى البلد البعيد ، فتَقْضِي الحاجات ، وقد دُفِعت مؤونة المباشرة لها ، ويُطْلَعُ بها على العلوم والمعارف وصُحِفَ الأولين ، وما كتبه في علومهم وأخبارهم ، فهي شريفة بجميع هذه الوجوه والمنافع . وخرجوا في الإنسان من القوة إلى الفعل إنما يكون بالتعليم ، وعلى قدر الاجتماع وال عمران والتناغم في الكمالات والطلب لذلك ، تكون جودة الخط في المدينة إذ هو من جملة الصنائع . وقد قَدَّمْنَا أَنَّ هذا شأنها وأنها تابعة لل عمران ، ولهذا نجد أكثر البدو أميين لا يكتبون ولا يقرأون ، ومن قرأ منهم أو كتب فيكون خطه قاصراً وقراءته غير نافذة . ونجد تعليم الخط في الأمصار الخارج عمرائها عن الحدة أبلغ وأحسن وأسهل طريقاً ، لاستحكام الصناعة فيها . كما يُحْكِي لنا عن مصر لهذا العهد ، وأنَّ بها معلمين مُتَمَيِّينَ لتعليم الخط يُلقون على المتعلم قوانين وأحكاماً في وضع كل حرف ، ويبدون إلى ذلك المباشرة بتعليم وضعه ،

فتمتدُّ لديه رتبة العلم والحسنة في التعليم ، وتأتي ملكته على أتم الوجوه .

وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وانفساح الأعمال . وليس الشأن في تعليم الخط بالأندلس والمغرب كذلك في تعلم كل حرف بانفراده ، على قوانين يلقيها المعلم للتعلم ، وإنما يتعلم بمحاكاة الخط من كتابة الكلمات جملة . ويكون ذلك من المتعلم ومطالعة المعلم له ، إلى أن يحصل له الاجادة ويتمكن في بنائه الملكة ؛ فيسمى مجيداً . وقد كان الخط العربي بالفا مبالغة من الإحكام والاتقان والجودة في دولة التباينة ، لما بلغت من الحضارة والترف ، وهو المسمى بالخط الجميري . وانتقل منها الى الحيرة لما كان بها من دولة آل المنذر نساء التباينة في العصبية ، والمجدين لملك العرب بأرض العراق . ولم يكن الخط عندهم من الاجادة كما كان عند التباينة ، لقصور ما بين الدولتين . فكانت الحضارة وتوابعها من الصنائع وغيرها قاصرة عن ذلك . ومن الحيرة لفته أهل الطائف وقريش فيما ذكر . ويقال : إن الذي تعلم الكتابة من الحيرة هو سُفيان بن أمية ويُقال حرب بن أمية ، وأخذها من أسلم بن سدة . وهو قول ممكن ، وأقرب ممن ذهب إلى أنهم تعلموها من إياد أهل العراق لقول شاعرهم :

قَوْمٌ لَّهُمْ سَاحَةُ الْعِرَاقِ ، إِذَا سَارُوا جَمِيعاً ، وَالْخَطُّ وَالْقَلَمُ

وهو قول بعيد ، لأن إياداً ، وإن تولوا ساحة العراق ؛ فلم

بذلوا على شأنهم من البدوة . والخط من الصنائع الحضريّة . وإنّا  
معنى قول الشاعر أنهم أقرب إلى الخط والقلم من غيرهم من  
العرب ، لقرّيبهم من ساحة الأمصار وضواحيها ؛ فالقول بأن أهل  
الحجاز إنّما لُقّنوها من الجيرة ، ولُقّنّا أهل الجيرة من التبابعة وحمير  
هو الأليق من الأقوال . ورأيت في كتاب التكملة لابن الأبار ،  
عند التعريف بابن فروخ القيرواني القاسي الأندلسي ، من أصحاب  
مالك رضي الله عنه ، واسمه عبدالله بن فروخ بن عبد الرحمن بن زياد  
ابن أنعم ، عن أبيه قال : قلت لعبدالله بن عباس : يا معشر قريش !  
خبروني عن هذا الكتاب العربي ، هل كنتم تكتبونه قبل أن  
يبعث الله محمداً ﷺ ، يجمعون منه ما اجتمع وتفرقون منه ما  
افترق ، مثل الألف واللام ، والميم والنون ؟ قال نعم قلت : وممن  
أخذتموه ؟ قال من حرب بن أمية . قلت : وممن أخذته حرب ؟ قال  
من عبدالله بن جدعان . قلت : وممن أخذته عبدالله بن جدعان ؟  
قال من أهل الأنبار . قلت : وممن أخذته أهل الأنبار ؟ قال من  
طارق طراً عليه من أهل اليمن . قلت : وممن أخذته ذلك الطارقي ؟  
قال من الحلجان بن القسم كاتب الوحي لهود النبي عليه السلام .  
وهو الذي يقول :

أفي كلّ عام سنة تُحدّثونها      ورأي على غير الطريق يُعبّر  
وللموت خير من حياة تسبنا      بها جرّهم فيمن يُسبّ وحمير

انتهى ما نقله ابن الأبار في كتاب التكملة . وزاد في آخره :



حدثني بذلك أبو بكر بن أبي حمزة في كتابه عن أبي بحر بن العاص  
عن أبي الوليد الوقشي عن أبي عمر الطنكي ابن أبي عبدالله ابن  
مفرح . ومن خطه نقلته عن أبي سعيد بن يونس عن محمد بن موسى  
ابن النعمان عن يحيى بن محمد بن حشيش بن عمر بن أيوب المغافري  
التونسي عن بهلول بن عبيدة الحمي عن عبدالله بن فروخ . انتهى .  
وكانَ لخيرَ كتابةٍ تسمى المسندَ حروفها منفصلةً ، وكانوا  
يَتَعَوَّنَ من تعلُّمِها إلا بإذنهم . ومن خيرَ تعلُّمٍ مُضَرُّ الكتابةِ  
العربيَّةِ ، إلا أنهم لم يَكُونُوا يجيدينَ لها شأْنَ الصنائعِ إذا وَقَعَتْ  
بالدوِ ، فلا تَكُونُ بحِكْمَةِ المذاهبِ ولا ماثلةً إلى الاتقانِ والتنسيقِ  
لبونِ ما بينَ البدوِ والصِّناعةِ واستغناء البدوِ عنها في الأكثرِ ،  
فكانتِ كتابةُ العربِ بدويَّةً مثلَ كتابَتِهِمْ أو قَريباً من كتابَتِهِمْ  
لهذا العهدِ ، أو نقولُ إنَّ كتابَتَهُمْ لهذا العهدِ أحسنُ صناعةً ، لأنَّ  
هؤلاء أقربُ إلى الحضارةِ وعاطلةِ الأمصارِ والدُّولِ . وأما مُضَرُّ  
فكانوا أَعْرَقَ في البدوِ وأبعدَ عن الحضَرِ من أهلِ اليمنِ وأهلِ  
العراقِ وأهلِ الشامِ ومصرَ ، فكانَ الخطُّ العربيُّ لأوَّلِ الإسلامِ  
غيرَ بالغٍ إلى الغايةِ من الإحكامِ والاتقانِ والإجادةِ ، ولا إلى  
التوسُّطِ لمكانِ العربِ من البداوةِ والتوحُّشِ وبعدهم عن الصنائعِ .  
وانظر ما وقعَ لأجلِ ذلك في رسمِهِم المصحفَ حيثُ رسمَهُ .  
الصِّحَابَةُ بِمُخَطَّوِطِهِمْ ، وكانت غيرَ مُستَحْكِمَةٍ في الإجادةِ ، فخالفتِ  
الكثيرُ من رسومِهِم ما اقتضتهُ أَقْسَمَةُ رسومِ صناعةِ الخطِّ عند  
أهلها . ثم اقتفى التَّايِعُونَ من السَّلَفِ رسمَهُمْ فيها تبرُّكاً بما رسمَهُ

أصحابُ رسول الله ﷺ ، وغيرُ الخلق من بعدي المتفنون لوحيه من كتاب الله وكلامه ، كما يُقتضى لهذا العهد خطٌ وليّ أو عالم تبرّكاً ، ويُنبِّئُ رسْمُه خطاً أو صواباً . وأيّ نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه ، فأتبع ذلك وأثبت رسماً ، ونبة العلماء بالرسم على مواضعه .

ولا تلتفت في ذلك إلى ما يزعمه بعض المتفليّن من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخلّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخلّل ؛ بل لكلها وجه . ويقولون في مثل زيادة الألف في لا أذبحته : إنه تنبيه على أنّ الذبح لم يقع ، وفي زيادة الباء في «بأيده» : إنه تنبيه على كمال القدرة الربّانية ، وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكّم المصنّ . وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أنّ في ذلك تنزيهاً للصناعة عن توهم النقص في قلة إجادته الخط . وحسبوا أن الخط كمال ، فنزّهوه عن نقصه ، ونسبوا إليهم الكمال بإجاده ، وطلبوا تعليل ما خالف الإجابة من رسمه ، وذلك ليس بصحيح . واعلم أنّ الخط ليس بكمال في حقهم ، إذ الخط من جملة الصنائع المديّة المعاشيّة كما رأيتُ فيما مرّ . والكمال في الصنائع إضافي ، وليس بكمال مطلق ، إذ لا يعود نقصه على الذات في الدين ولا في الحلال ، وإنما يعود على أسباب المعاش ، وبحسب الممران والتعاون عليه لاجل دلالة على ما في النفوس . وقد كان النبي ﷺ أمياً ، وكان ذلك كمالاً في حقه ، وبالنسبة إلى مقامه ، لشرفه وتنزيهه عن الصنائع العمليّة ، التي

هي أسبابُ المعاشِ والعُمرانِ كُلِّها . وليست الأُمِّيَّةُ كَمَلاً في حِصْنِنا نحنُ ، إذ هو منقطعٌ إلى رَبِّهِ ، ونحنُ متعاونونَ على الحياةِ الدُّنيا ، شأنُ الصنائعِ كُلِّها ، حتى العلومِ الاصطلاحيةِ . فإنَّ الكمالَ في حِجِّهِ هو تَتَرُّهُ عَنْهَا جَمَلَةٌ بِخِلَافِنا .

ثم لما جاء المُلْكُ للعربِ ، وَفَتَحُوا الْأَمْصَارَ ، وملكوا الممالكَ وَزَلُّوا البَصْرَةَ والكُوفَةَ ، واحتاجت الدولةُ إلى الكتابةِ ، استعملوا الحِطَّ وطلبوا صناعتَهُ وتعلَّمُوهُ وتداولُوهُ ، فَتَرَقَّتْ الإِجَادَةُ فيه ، واستَحْكَمَ ، وبلغَ في الكُوفَةِ والبَصْرَةِ رتبةً من الإتقانِ ، إلا أنَّها كانت دونَ النَاقِيَةِ . والحِطُّ الكُوفِيُّ معروفٌ الرِسمِ لهذا العهدِ . ثم انتشرتِ العربُ في الأقطارِ والممالكِ ، وافتتحوها إِفْرِيقَةً والأَنْدَلُسَ ، واختطَّ بنو العبَّاسِ ببغدادَ وَتَرَقَّتْ الحُطُوطُ فيها إلى النَاقِيَةِ ، لما استبَحَرَتْ في العُمرانِ ، وكانت دارُ الإسلامِ ومركزُ الدولةِ العربيَّةِ ، وخالفت أوضاعَ الحِطِّ ببغدادَ أوضاعه بالكُوفَةِ ، في الميلَ إلى إِجَادَةِ الرسومِ وجمالِ الرِونقِ وحسنِ الرِواءِ . واستحكمت هذه المِخالفةُ في الأمصارِ إلى أن رفعَ رايَتها ببغدادَ عليُّ بن مقلَّةَ الوِزيرِ ثم تَلاه في ذلك علي بن هلال ، الكاتبُ الشهيرُ بابن البوابِ ، ووقفَ سندَ تعليمها عليه في المِائةِ الثالثةِ وما بعدها . وَبَعُدَتْ رِسُومُ الحِطِّ البَغْدَادِيِّ وَأوضاعه عن الكُوفَةِ ، حتى انتهى إلى المِباينةِ . ثم ازدادت المِخالفةُ بعد تلك المِصورِ بتفَنُّنِ الجاهِلِيَّةِ في إِحْكامِ رِسُومِهِ وَأوضاعِهِ ، حتى انتهت إلى المتأخِّرينَ مثلَ ياقوتٍ والوَلِيِّ عَلِيِّ العِجْسيِّ . ووقفَ سندَ تعليمِ الحِطِّ عليهم ، وانتقلَ ذلك

إلى مصر ، وخالفت طريقة العراقي بمصر الشيء ، ولقينا العجم هنالك ؛ فظهرت مخالفة لخط أهل مصر أو مباينة . وكان الخط الإفريقي المعروف رسمه القديم لهذا العهد يقرب من أوضاع الخط المشرقي . وتميز ملك الأندلس بالأمويين ؛ فتميزوا بأحوالهم من الحضارة والصنائع والخطوط ؛ فتميز صنف خطهم الأندلسي ، كما هو معروف الرسم لهذا العهد . وطما بحر العُمران والحضارة في الدول الإسلامية في كل قطر . وعظم الملك ونفقت أسواق العلوم وانتسخت الكتب وأجيد كتبها وتجليدها <sup>(١)</sup> ، ومُلئت بها القصور والخزائن الملوكة بما لا كفاء له ، وتنافس أهل الأقطار في ذلك وتناغوا فيه .

ثم لما انحل نظام الدولة الإسلامية وتناقصت تناقص ذلك أجمع ، ودرست معالم بغداد بدروس الخلاف ؛ فانتقل شأنها من الخط والكتابة ، بل والعلم إلى مصر والقاهرة ؛ فلم تزل أسواقها بها نافذة لهذا العهد . وللخط بها معلمون يرُسُون للتعليم الحروف بقوانين في وضعها . وأشكالها متعارفة بينهم . فلا يلبث المتعلم أن يحكم أشكال تلك الحروف على تلك الأوضاع . وقد لقينا حسناً وحذيق فيها دربة وكتاباً ، وأخذها قوانين عملية ؛ فتجي أحسن ما يكون .

وأما أهل الأندلس ، فافترقوا في الأقطار ، عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر ، وتغلبت عليهم أمم النصرانية ،

(١) كذا ، وفي ب : وتجليدها .

فانتشروا في عُنُوقِ المغرب وإفريقية ، من لدن الدولة اللُمْتُونِيَّةِ إلى هذا العهد . وشاركوا أهلُ المُمرانِ بما لديهم من الصنائع ، وتعلقوا بأذيالِ الدولة ؛ فغلبَ خطُّهم على الخطِ الإفريقيِّ وعُني عليه . ونُسِيَ خطُ القَيْرَوَانِ والمهديَّة بنسيانِ عوائدها وصنائعِها . وصارت خُطوطُ أهلِ إفريقية كُلِّها على الرسمِ الأندلسيِّ بتونسَ وما إليها ، لتوفرِ أهلِ الأندلسِ بها عند الجالِيَّةِ من شرقِ الأندلسِ . وبقي منه رسمُ بِلادِ الجريدِ الذين لم يجالطوا كُتَّابَ الأندلسِ ولا تَمَرَّسوا بجوارِهم . إنَّما كانوا يقدِّمون على دَارِ المُلِكِ بتونسَ ؛ فصار خطُّ أهلِ إفريقية من أحسنِ خُطوطِ أهلِ الأندلسِ ؛ حتى إذا تقلَّصَ ظِلُّ الدولة الموحديَّةِ بعضَ الشيء ، وتراجعَ أمرُ الحضارةِ والتَّرفِ بتراجُعِ المُمرانِ ، نقصَ حينئذٍ حالُ الخطِّ وفُسِّدَتِ دُسوُمُهُ ، وجُهِلَ فيه وجهُ التحليمِ بفسادِ الحضارةِ وتناقصِ المُمرانِ . وبقيت فيه آثارُ الخطِ الأندلسيِّ ، تُشهدُ بما كان لهم من ذلك ، لما قدَّمناه من أنَّ الصنائعَ إذا رُسِخَتْ بالحضارةِ فيعسرُ محوُّها . وحصلَ في دولةِ بني رَينَ من بعدِ ذلك بالمغرب الأقصى لونٌ من الخطِّ الأندلسيِّ ، لقربِ جوارِهم وسقوطِ من خرجَ منهم إلى فاسَ قريبا ، واستمالهم إياهم سائرُ الدولة . ونُسِيَ عهدُ الخطِّ فيما بَعُدَ عن سُدَّةِ المُلِكِ ودَارِهِ كأنَّهُ لم يُعرف . فصارت لُحُوطُ بإفريقية والمغرب ماثلةً إلى الرداءِ بعيدةً عن الجودَةِ ، وصارت الكتبُ إذا انشِخَتْ فلا فائدةَ تحصيلُ لمُتصنِّعِها منها ، إلا العنايةُ والمُشَقَّةُ لكثرةِ ما يَمُغُّ فيها من الفسادِ والتصحيفِ وتغييرِ

الأشكال الخطية عن الجوقة ، حتى لا تكادُ تُقرأ إلا بعد عُسْر .  
 ووقع فيه ما وقع في سائر الصنائع ، بنقص الحضارة وفساد  
 الدول . والله يحكم لا معقب لحكمه .

وللاستاذ أبي الحسن علي بن هلال الكاتب البغدادى الشهير  
 بابن البواب قصيدة من بحر البسيط<sup>(١)</sup> على روي الرأه يذكر فيها  
 صناعة الخط وموادها من أحسن ما كتب في ذلك . رأيت إثباتها  
 في هذا الكتاب من هذا الباب لينتفع بها من يريد تعلم هذه  
 الصناعة . وأولها :

يا من يريد إجادة التحرير      يا من يريد حسن الخط والتصوير  
 إن كان عزمك في الكتابة صادقا      فإن كان عزمك في الخط والتصوير  
 أعلد من الأقلام كل مثقب      أعلد من الأقلام كل مثقب  
 وإذا عملت لبريه فتوخه      وإذا عملت لبريه فتوخه  
 أنظر الى طرفيه فاجمل برية      أنظر الى طرفيه فاجمل برية  
 واجمل يلفته قواما عادلا      واجمل يلفته قواما عادلا  
 والشق وسطه ليبقى برية      والشق وسطه ليبقى برية  
 حتى اذا انقست ذلك كله      حتى اذا انقست ذلك كله  
 لا نطمعن في أن أبوح بسره      لا نطمعن في أن أبوح بسره  
 لكن جملة ما أقول بأنه      لكن جملة ما أقول بأنه  
 وألق دوائك بالدخان مدبرا      وألق دوائك بالدخان مدبرا

(١) كذا بالأصل ، وهذه القصيدة هي من بحر الكامل .

وأضف إليه مغرةً قد صوّلت حتى إذا ما جُمِرت فاعمد إلى فاكبته بعد القطع بالمصاري كي ثم اجمل التمثيل دأبك صابراً ابداً به في اللوح مُتَتَبِعاً له لا تُحْجَلْنَ من الردى تُحْتَطَّه فالأمر يصعب ثم يرجع هيناً حتى إذا أدركت ما أملت فاشكر آلهك واتَّبِعْ رِضْوَانَهُ وارغب لكفك أن تُحْطَّ بِنَانِهَا فجميع فعل المرء يلقاهُ غداً

مع أصفر الزّذنيخ والكافور  
الوَرَقِ النقيّ الناعم المحبور  
ينأى عن التّشعير والتّغير  
ما أدرك المأمول مثل صبور  
عزماً تَجَرَّدَهُ عن التّشعير  
في أول التّمثيل والتّسطير  
ولربّ سهل جاء بعد عسير  
اضحيت ربّ مسرة وجبور  
إنّ الإله يجيب كلّ شكور  
خيراً تُحَقِّقُهُ بدارِ غُرور  
عند الشّقاء كُتَابَةُ المنشور

واعلم بأنّ الخطّ بيان عن القول والكلام ، كما أن القول والكلام بيان عما في النفس والضمير من المعاني ؛ فلا بد لكل منهما أن يكون واضح الدلالة .

قال الله تعالى : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ <sup>(١)</sup> وهو يشتمل بيان الأدلّة كلها . فالخط المجوّد كجمله أن تكون دلالته واضحة ، بإبانة حروفه المتواضعة وإجادة وضيمها ورسيمها كلّ واحد على حدة متميز عن الآخر ؛ إلّا ما اصطلاح عليه الكتاب من إيصال حرف الكلمة الواحدة بعضها ببعض ، سوى حروف اصطلاحوا

على قطعها ، مثل الألف المتقدمة في الكلمة ، وكذا الراء والزاي والذال والذال وغيرها ؛ بخلاف ما إذا كانت متأخرة ، وهكذا إلى آخرها . ثم إن المتأخرين من الكتاب اصطلمحوا على وصل كلمات ، بعضها ببعض ، وحذف حروف معروفة عندهم ، لا يعرفها إلا أهل مصطلحهم فتستعجم على غيرهم . وهؤلاء كتّاب دواوين السلطان وسجلات القضاة ؛ كأنهم انفردوا بهذا الاصطلاح عن غيرهم ، لكثرة موارد الكتابة عليهم ، وشهرة كتابتهم وإحاطة كثير من دونهم بمصطلحهم . فإن كتبوا ذلك لمن لا خبرة له بمصطلحهم فينبغي أن يعدلوا عن ذلك إلى البيان ما استطاعوه ؛ وإلا كان بمثابة الخطّ الأعجمي ، لأنها بمنزلة واحدة من عدم التواضع عليه . وليس بعذر في هذا القدر ؛ إلا كتاب الأعمال السلطانية في الأموال والجيش ، لأنهم مطلوبون بكتمان ذلك عن الناس ؛ فإنه من الاسرار السلطانية التي يجب إخفاؤها ، فيالفون في رسم اصطلاح خاص بهم ، ويصير بمثابة المعنى . وهو الاصطلاح على العبارة عن الحروف بكلمات من أسماء الطيب والفواكه والطيور أو الأزهار ، ووضع أشكال أخرى غير أشكال الحروف المتعارفة يصطلح عليها المتخاطبون لتأدية ما في ضمائرهم بالكتابة . وربما وضع الكتاب للثور على ذلك ، وإن لم يضعوه أولاً ، قوانين بمقاييس استخرجوها لذلك بمداركهم يسئونها فك المعنى . وللتأس في ذلك دواوين مشهورة . والله العليم الحكيم .



## الفصل الحادي والثلاثون

### في صناعة الحيلة

كانت العناية قديماً بالدواوين العلية والسجلات ، في نسخها وتجليدها وتصحيحها بالزواية والضبط . وكان سبب ذلك ما وقع من ضخامة الدولة وتوابع الحضارة . وقد ذهب ذلك لهذا العهد بذهاب الدولة وتناقص العمران ، بعد ان كان منه في الملة الاسلامية نحو زاهر بالعراق والأندلس ، إذ هو كله من توابع العمران واتساع نطاق الدولة ونطاق اسواق ذلك لديها . فكثرت التأليف العلية والدواوين ، وحرص الناس على تناقلها في الآفاق والأعصار ، فانثسخت وجلدت . وجاءت صناعة الوراقين المعانين للانتساح والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين ، واختصت بالأمصار العظيمة العمران . وكانت السجلات أولاً لانتساح العلوم ، وكتب الرسائل السلطانية والإقطاعات ، والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد ، لكثرة الرقعة وقلة التأليف صدر الملة كما نذكره ، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك ، فاقصروا على الكتاب في الرقعة تشريفاً للكتوبات وميلاً بها الى الصحة والاتقان .

ثم طما بجر التأليف والتدوين ، وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرقعة عن ذلك . فأشار الفضل بن يحيى بصناعة الكاغد ،

وَصَنَّمَهُ وَكَتَبَ فِيهِ رَسَائِلَ السُّلْطَانِ وَصُكُوكَهُ . وَخَازَنَهُ النَّاسُ مِنْ بَعْدِهِ صُحُفًا لِمَكْتُوباتِهِمُ السُّلْطَانِيَّةِ وَالْعِلْمِيَّةِ . وَبَلَغَتْ الْإِجَادَةُ فِي صِنَاعَتِهِ مَا شَاءَتْ . ثُمَّ وَقَفَتْ عِنَايَةُ أَهْلِ الْعُلُومِ وَهُمْ أَهْلُ الدُّوَلِ ، عَلَى ضَبْطِ الدُّوَاوِينِ الْعِلْمِيَّةِ وَتَصْحِيحِهَا بِالرَّوَايَةِ الْمُسْتَدَّةِ إِلَى مَوْثِقِهَا وَوَضْعِهَا ، لِأَنَّهُ الشَّأْنُ الْأَهَمُّ مِنَ التَّصْحِيحِ وَالضَّبْطِ ، فَبِذَلِكَ تُسْنَدُ الْأَقْوَالُ إِلَى قَائِلِهَا ، وَالْفُتْيَا إِلَى الْحَاكِمِ بِهَا الْمُجْتَهِدِ فِي طَرِيقِ اسْتِبْطَاطِهَا . وَمَا لَمْ يَكُنْ تَصْحِيحُ الْمَتُونِ بِإِسْنَادِهَا إِلَى مَدْرَسَتِهَا ، فَلَا يَصِحُّ إِسْنَادُ قَوْلٍ لَهُمْ وَلَا فُتْيَا . وَهَكَذَا كَانَ شَأْنُ أَهْلِ الْعِلْمِ وَحَمَلَتِهِ فِي الْعَصْرِ وَالْأَجْيَالِ وَالْآفَاقِ . حَتَّى لَقَدْ قُصِرَتْ فَائِدَةُ الْعِيَانَةِ الْحَدِيثِيَّةِ فِي الرَّوَايَةِ عَلَى هَذِهِ فَقَطْ ، إِذْ ثَمَرَتُهَا الْكُبْرَى مِنْ مَعْرِفَةِ صَحِيحِ الْأَحَادِيثِ وَحَسَنِهَا وَمُسْتَدِّهَا وَمُرْسَلِهَا وَمَقْطُوعِهَا وَمَوْقُوفِهَا مِنْ مَوْضُوعِهَا ، قَدْ ذَهَبَتْ وَتَمَحَّضَتْ زُبْدَةٌ فِي تِلْكَ الْأَهْآتِ الْمُتَلَقَّاتِ بِالْقَبُولِ عِنْدَ الْأُمَمِ . وَصَارَ الْقَصْدُ إِلَى ذَلِكَ لِنَوَافِ الْعَمَلِ . وَلَمْ تَبْقَ ثَمَرَةُ الرَّوَايَةِ وَالِاشْتِقَالِ بِهَا ، إِلَّا فِي تَصْحِيحِ تِلْكَ الْأَهْآتِ الْحَدِيثِيَّةِ ، وَسِوَاهَا مِنْ كُتُبِ النِّقْمَةِ لِلْفُتْيَا ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الدُّوَاوِينِ وَالتَّالِيفِ الْعِلْمِيَّةِ ، وَاتِّصَالَ سَنَدِهَا بِمُؤَلِّفِهَا ، لِيَصِحَّ النُّقْلُ عَنْهُمْ وَالْإِسْنَادُ إِلَيْهِمْ . وَكَانَتْ هَذِهِ الرُّسُومُ بِالْمَشْرِقِ وَالْأَنْدَلُسِ مَبْنِيَّةً الطَّرِيقَ وَاضِحَةً الْمَسَالِكَ . وَلِهَذَا نَجَدُ الدُّوَاوِينَ الْمُنْتَسَخَةَ لِذَلِكَ الْعَهْدِ فِي أَقْطَارِهِمْ عَلَى غَايَةِ مِنَ الْإِتْقَانِ وَالِإِحْكَامِ وَالصِّحَّةِ . وَمِنْهَا لِهَذَا الْعَهْدِ بِأَيْدِي النَّاسِ فِي الْعَالَمِ أَصُولٌ عَتِيقَةٌ تَشْهَدُ بِلَوْغِ النَّاْيَةِ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . وَأَهْلُ الْآفَاقِ يَتَنَاقَلُونَهَا إِلَى الْآنَ

ويشدون عليها يد الضانّة. ولقد ذهبت هذه الرسوم لهذا العهد جملةً بالمغرب وأهله، لانتقطاع صناعة الخط والضبط والرواية منه بانتقاص عمرانه وبداعة أهله. وصارت الأمهات والدواوين تُنسخ بالخطوط البدويّة، ينسخها طلبة البربر صحائف مستعجمة برداءة الخط وكثرة الفساد والتصحيف؛ فتستغرق على متصفحها، ولا يحصل منها فائدة إلا في الأقلر النادر.

وأيضاً فقد دخل الخلل من ذلك في الثّنيا؛ فإن غالب الأقوال المعروضة غير مروية عن أئمة المذهب، وإنما تُتلّى من تلك الدواوين على ما هي عليه. وتبع ذلك أيضاً ما يتصدى إليه بعض أئمتهم من التأليف لقلّة بصرهم بصناعته، وعدم الصنائع الوافية بمقاصده. ولم يبق من هذا الرسم بالأندلس، إلا اثاره خفية بالأندلس، وهي على الاضمحلال. فقد كاد العلم ينقطع بالكلية من المغرب. والله غالب على أمره.

وبلغنا لهذا العهد أن صناعة الرواية قائمة بالشرق، وتصحيح الدواوين لمن يرومه بذلك سهل على مبتغيه، لتفاق أسواق العلوم والصنائع كما نذكره بعد. إلا أن الخط الذي بقي من الإجادة في الانتساخ هنالك إنما هو للمجهر، وفي خطوطهم. وأما النسخ بمصر ففسد كما فسد بالمغرب وأشد. والله سبحانه وتعالى أعلم، وبه التوفيق.

## الفصل الثاني والثلاثون

### في صناعة الفن

هذه الصنعة هي تلحين' الأشعار الموزونة ، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة ، يقع على كل صوت منها توقفاً عند قطعه فيكون نغمة . ثم تؤلف تلك النغم بعضها إلى بعض على نسب متعارفة فيلذ سماعها لاجل ذلك التناسب ، وما يحدث عنه من الكيفية في تلك الأصوات . وذلك أنه تبين في علم الموسيقى أن الأصوات تتناسب ، فيكون : صوت ، نصف صوت ، ورابع آخر ، وخمس آخر ، وجزء من أحد عشر من آخر . واختلاف هذه النسب ، عند تأديتها إلى السمع ، يخرجها من البساطة إلى التركيب . وليس كل تركيب منها ملذوذاً عند السماع ، بل للملذوذ تركيب خاصة هي التي حصرها أهل علم الموسيقى ، وتكلموا عليها كما هو مذكور في موضعه . وقد يساوق ذلك التلحين في النغمات الغنائية بتقطيع أصوات أخرى من الجمادات ، إما بالقرع أو بالنفخ في آلات تتخذ لذلك ، فتزيدها لذة عند السماع . فمنها لهذا العهد بالمغرب أصناف : منها الزمار ويسمونه الشبابة ، وهي قسبة جوفاء بأبخاش في جوانبها معدودة ، يُنفخ فيها قصصوت . ويخرج الصوت من جوفها على سداقة من تلك الأبخاش . ويُقطع الصوت بوضع الأصابع من اليدين جميعاً على

تلك الأبخاش وضعاً متعارفاً ، حتى تحدث النسب بين الاصوات فيه ، وتصل كذلك متنايبةً ؛ فليتنّ السمع بأدراكها للتناسب الذي ذكرناه . ومن جنس هذه الآلة المزمار الذي يُسمى الزلامي ، وهو شكلُ القصبة منحوتة الجانبين من الحشيش ، جوفاء من غير تدوير لأجل ائتلافها من قطعتين منفوذتين كذلك بأبخاش معدودة ؛ ينفخ فيها بقبصة صغيرة توصل ؛ فينفذ النفخ بواسطتها إليها ، وتصوت بنغمة حادة . ويجري فيها من تقطيع الأصوات من تلك الأبخاش بالأصابع مثل ما يجري في الشبابة .

ومن أحسن آلات الزمر لهذا العهد البوق ، وهو بوق من نحاس ، أجوف في مقدار الذراع ، يتسع إلى ان يكون انفراج مخرجه في مقدار دور الكف في شكل بري القلم . وينفخ فيه بقبصة صغيرة تؤدي الرياح من الفم إليه ، فيخرج الصوت نخبناً دويّاً ، وفيه أبخاش أيضاً معدودة . وتقطع نغمة منها كذلك بالأصابع على التناسب ، فيكون ملذوذاً . ومنها آلات الأوتار وهي جوفاء كلها : إما على شكل قطعة من الكرة ، مثل البربط والرباب ؛ أو على شكل مربع كالكانون ، توضع الأوتار على بسائطها مشدودة في رأسها إلى دسّر جائلة ليتأق شد الأوتار ويخوها عند الحاجة إليه بإدارتها . ثم ترفع الأوتار إما بعود آخر أو بوتر مشدود بين طرفي قوس يمر عليها بعد ان يُطلى بالشمع والكندر . ويُقطع الصوت فيه بتخفيف اليد في إمراره أو نقله من وتر إلى وتر . واليد اليسرى مع ذلك في جميع آلات الأوتار توقع

بأصابعها على أطراف الأوتار ، فيما يُفَرِّعُ أو يُجَكُّ بالوتر ، فتحدث الأصوات متناسبةً ملذوذة . وقد يكون القرع في الطسوت بالقضبان أو في الأعواد بعضها ببعض ، على توقيع متناسب يحدث عنه التذاذ بالمسموع .

ولنين لك السبب في اللذة الناشئة عن الفناء . وذلك أن اللذة كما تقرر في موضعه هي إدراك الملائم ؛ والمحسوس إما تدرك منه كيفية . فإذا كانت مناسبةً للمدرك وملائمةً كانت ملذوذة ؛ وإذا كانت منافيةً له مُنافرةً كانت مؤلمة . فالملائم من العلوم ما ناسبت كفيته حاسةً الدوق في مزاجها ، وكذا الملائم من المسموعات ، وفي الروائح ، ما ناسب مزاج الروح القليد البخاري . لأنه المدرك ، وإليه تؤدّيه الحاسة . ولهذا كانت الرياحين والأزهار البطريات أحسن رائحةً وأشدّ ملاءمةً للروح ، لقلبة الحرارة فيها ، التي هي مزاج الروح القلي .

وأما المراثيات والمسموعات فالملائم فيها تناسبُ الاوضاع في أشكالها وكيفياتها ؛ فهو أنسب عند النفس وأشدّ ملاءمةً لها . فإذا كان المرنى متنايباً في أشكاله وتحاطيطه التي له بحسب مادته ، بحيث لا يخرج عما تقتضيه مادته الخاصة من كمال المناسبة والوضع ، وذلك هو معنى الجمال والحسن في كل مدرك ، كان ذلك حينئذ متنايباً للنفس المدركة فتلتذ بإدراك ملاءمها . ولهذا تجد العاشقين المستهترين<sup>(١)</sup> في المحبة يُعبرون عن غاية محبتهم وعشيقهم بامتزاج

(١) كذا ، وفي نسخة : للشهريين .

أرواحهم بروح المحبوب. وفي هذا سرٌ تفهمه إن كنت من أهله، وهو اتحاد البدن، وإن كل ما سواك إذا نظرته وتأملتة رأيت بينك وبينه اتحاداً في البداية، يشهد لك به اتحادكما في الكون. ومعناه من وجه آخر أن الوجود يُشرك بين الموجودات كما تقوله الحكماء. فتوّد أن تخرج بما شاهدت فيه الكمال لتتحد به، بل تروم النفس حينئذ الخروج عن الوهم إلى الحقيقة التي هي اتحاد البدن والكون. ولما كان أنسب الأشياء إلى الإنسان وأقربها إلى مدرك الكمال في تناسب موضوعها هو شكله الإنساني، فكان إدراكه للجمال والحسن في تحايطه وأصواته من المدارك التي هي أقرب إلى فطرته، فيلهج كل إنسان بالحسن في المرقى أو المسموع بمقتضى الفطرة. والحسن في المسموع أن تكون الأصوات متناسبة لا متنافرة. وذلك أن الأصوات لها كيفيات من المهر والمسر والجهر والرخاوة والشدّة والقلّة والضغط وغير ذلك، والتناسب فيها هو الذي يوجب لها الحسن.

فأولاً: أن لا يخرج من الصوت إلى ميم دفعة بل بتدرّج، ثم يرجع كذلك وهكذا إلى المثلر، بل لا بدّ من توسط المفاير بين الصوتين. وتأمل هذا من استقباح أهل اللسان التراكيب من الحروف المتنافرة أو المتقاربة الخارج، فانه من بابه.

وثانياً: تناسبها في الأجزاء كما مرّ أول الباب، فيخرج من الصوت إلى نصفه أو ثلثه أو جزء من كذا منه، على حسب ما يكون التنقل مناسِباً على ما حصره أهل صناعة الموسيقى. فإذا

كانت الأصوات على تناسب في الكيفيات كما ذكره أهل تلك الصناعة كانت ملائمة ملذوذة . ومن هذا التناسب ما يكون بسيطاً ، ويكون الكثير من الناس مطبوعين عليه ، لا يحتاجون فيه إلى تعليم ولا صناعة ، كما نجد المطبوعين على الموازين الشعرية وتوقيع الرقص وأمثال ذلك . وتسمي العامة هذه القابلية بالمضمار . وكثير من القراء بهذه المثابة ، يقرأون القرآن ، فيجيدون في تلاحين أصواتهم كأنها المزامير فيطربون بحسن مساقهم وتناسب نغماتهم . ومن هذا التناسب ما يحدث بالتركيب ، وليس كل الناس يستوي في معرفته ولا كل الطابع توافق صاحبها في العمل به إذا علم .

وهذا هو التلحين الذي يتكامل به علم الموسيقى ، كما نشرحهُ بعدُ عند ذكر العلوم . وقد أنكر مالك رحمه الله تعالى القراءة بالتلحين ، وأجازها الشافعي رضي الله تعالى عنه . وليس المرادُ تلحين الموسيقى الصناعي ، فإنه لا ينبغي أن يُختلف في حطره ، إذ صناعة النناء مباينة للقرآن بكل وجه ، لأن القراءة والأداء تحتاج إلى مقدار من الصوت لتمييز أداء الحروف من حيث إتيان الحركات في مواضعها ، ومقدار المد عند من يُطلقه أو يُقصره ، وأمثال ذلك . والتلحين أيضاً يتعين له مقدار من الصوت لا يتم إلا به من أجل التناسب الذي قلناه في حقيقة التلحين . فاعتبار أحدهما قد يُخل بالآخر إذا تعاديا . وتقديم التلاوة متميز فراراً من تغيير الرواية المنقولة في القرآن ، فلا يمكن اجتماع التلحين والأداء المعترف في



القرآن بوجه . وإنما المراد من اختلافهم التلحين البسيط الذي يهتدي إليه صاحب المضار بطبعه كما قدمناه ، فيردّد أصواته تردّداً على نسب يُذكرُهما العالمُ بالغناء وغيره ، ولا ينبغي ذلك بوجه كما قاله مالك . هذا هو محلُّ الخلاف . والظاهرُ تنزيهُ القرآن عن هذا كلّهُ كما ذهب إليه الإمامُ رحمه الله تعالى ، لأنَّ القرآنَ هو محلُّ خشوعٍ بذكر الموت وما بعده ، وليس مقامُ التذاذِ بإدراكِ الحسَن من الأصوات . وهكذا كانت قراءةُ الصحابة رضي الله عنهم كما في أخبارهم .

وأما قوله ﷺ : لقد أوتيَ مزامراً من مزامير آل داود ؛ فليس المرادُ به التريّة والتلحين ؛ إنّما معناه حسنُ الصوتِ وأداءُ القرائق والإيانة في غارِجِ الحروف والنطق بها . وإذا قد ذكرنا معنى الغناء ، فاعلم أنه يحدثُ في العُمرانِ ، إذا توفّرَ وتجاوزَ حدَّ الضروريِّ إلى الحاجيِّ ، ثم إلى الكمالِيِّ ، وتفننوا فيه ؛ فتحثُ هذه الصّناعةُ . لأنّه لا يستدعيها إلا من فرَغَ من جميع حاجاته الضرورية والمهمّة من المعاشِ والمزَلِ وغيره ، فلا يطلبها إلا الفارغون عن سائر أحوالهم تفتناً في مذاهبِ المذوّذات . وكان في سلطانِ العَجَم قبل المِلّة منها بحرٌ زاخرٌ في أمصارهم ومدنهم . وكان ملوكهم يتخذون ذلك ويولعون به ، حتى لقد كانَ لملوكِ الفرسِ اهتمامٌ بأهلِ هذه الصناعة ، ولهم مكانٌ في دولتهم ، وكانوا يحضرون مشاهدتهم وبجائمتهم ويُنتون فيها . وهذا شأنُ السّجَم لهذا العهد في كلّ أقر من آفاقهم ، ومملكة من ممالكهم .

وأما العربُ فكان لهم أولاً فنُّ الشعر ، يؤلفون فيه الكلامَ أجزاءً متساويةً على تناسُبِ بينها ، في عَدُّ حُرُوفِها المتحرِّكةِ والسَّاكنَةِ . ويفصِّلون الكلامَ في تلك الأجزاء تفصيلاً يكونُ كلُّ جزءٍ منها مستقلاً بالافادة ، لا ينقطعُ على الآخر . ويسمونه البيتَ . فيُلائِمُ الطَّبعَ بالتجزئةِ أولاً ؛ ثم بتناسُبِ الأجزاء في المقاطعِ والمبادئ ؛ ثم بتأديةِ المعنى المقصودِ وتطويقِ الكلامِ عليها . فلهجوا به ، فامتازَ من بينِ كلامهم بحظٍّ من الشرفِ ليس لغيره ، لأجلِ اختصاصه بهذا التناسُبِ . وجعلوه ديواناً لأخبارِهِم ويحكِّمهم وشرفهم ويحكمًا لقرائهم في إصابةِ المعاني وإجادةِ الأساليب . واستمروا على ذلك .

وهذا التناسُبُ الذي من أجلهِ الأجزاء والمتحرك والسَّاكن من الحروفِ ، قطرةٌ من بحرٍ من تناسُبِ الأصواتِ ، كما هو معروفٌ في كَتَبِ الموسيقى . إلا أنهم لم يشعروا بما سواه ، لأنهم حينئذٍ لم يتعلَّموا علماً ولا عرفوا صناعةً . وكانت اليدَاةُ أغلبَ يحلِّهم . ثم تَفَنَّى الحداةُ منهم في حُداةِ إيلهم ، والفتيانُ في قضاءِ خَلْواتِهِم ؛ فرجعوا الأصواتِ وترغوا . وكانوا يسمونَ الترتُّمَ إذا كان بالشعرِ غناءً ، وإذا كان بالتهليلِ أو نوعِ القراءةِ تغييراً بالنغمِ المعجمةِ والباءِ الموحدةِ . وعلمها أبو اسحقَ الزَّجاجُ بأنها تَدَكِّرُ بالفايرِ وهو الباقي ، أي بأحوالِ الآخرةِ . وربما ناسبوا في غنائهم بينَ النَمَاتِ مناسبةً بسيطةً ، كما ذكره ابنُ وشيْقٍ آخر كتابِ المُمدَّةِ وغيره . وكانوا يسمونه السَّنادَ ، وكان أكثرُ ما يكونُ منهم في الخفيفِ الذي

يُرَقَّصُ عليه ويمشي بالذِّفِّ والمزمارِ ؛ فيطربُ ويستخفُّ الحلوَمَ . وكانوا يسمُّون هذا المَرْجَ ، وهذا البسيطَ ، كله من التلاحين هو من أوائلها ، ولا يبعدُ أن تتفطَّنَ له الطباعُ من غير تعليم شأن البساطِ كُلِّها من الصنائع .

ولم يزل هذا شأنَ العربِ في بداوتهم وجاهليتهم . فلما جاء الاسلامُ ، واستولوا على ممالك الدنيا ، وحازوا سلطانَ العجمِ ، وغلبوهم عليه ، وكانوا من البداوة والفضاضة على الحال التي عرفت لهم مع غضارة الدين ويشدته في ترك أحوال الفراغ ، وما ليس بنافع في دين ولا معاش ؛ فهجروا ذلك شيئاً ما . ولم يكن المذودُ عندهم إلا ترجيع القراءة<sup>(١)</sup> والترنم بالشعر الذي كان دينهم ومذهبهم . فلما جاءهم الترفُّ وغلبَ عليهم الرفق بما حصل لهم من غنائم الأمم صاروا إلى تضادة العيش ورفقة الحاشية واستحلاء الفراغ . وافترق المتنون من الفرس والروم فوقعوا إلى الحجاز وصاروا موالى للعرب ، وغنوا جميعاً بالعيدان والطناير والمعازير والزماهير ، وسمع العرب تلحينهم للأصوات ولحنوا عليها أشعارهم . وظهر بالمدينة نسيط الفارسي وطويس وسائب وحاز<sup>(٢)</sup> مولى عبد الله بن جعفر ؛ فسمعوا شعر العرب ولحنوه وأجادوا فيه وطاز لهم ذكر . ثم أخذ عنهم معبد وطبقته وابن سريج وأنظاره . وما زالت صناعة الغناء تتدرجُ إلى أن كملت أيام بني العباس عند

(١) كذا، وفي نسخة : ترجيع القرآن .

(٢) كذا، وفي ب : خاتر مولى عبد الله بن جعفر .

إبراهيم بن المهدي ، وإبراهيم الموصلي وابنه اسحق وابنه حماد . وكان من ذلك في دولتهم ببغداد ، ما تبعه الحديث بعده به وبمجالسه لهذا العهد ، وأمنوا في اللهو واللعب ، واتخذت آلات الرقص في الملابس والفضبان والأشعار التي يترنم بها عليه . وجعل صنفاً وحده ، واتخذت آلات أخرى للرقص تسمى بالكرج<sup>(١)</sup> ، وهي تماثيل خيل مُسرَّجة من الخشب ، معلقة بأطراف أقبية يلبسها النسوان ، ويحاكين بها امتطاء الخيل فيكروُن ويفروُن ويتناقفون<sup>(٢)</sup> ، وأمثال ذلك من اللعب المدة للولائم والأعراس وأيام الأعياد ومجالس الفراغ واللهو .

وكثر ذلك ببغداد وأمصار العراق وانتشر منها إلى غيرها . وكان للموصلين غلام اسمه زوياب ، أخذ عنهم الغناء فأجاد ، وفصروه إلى المغرب غيرة منه ؛ فليق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس . فبالغ في تكميمه ، وركب للقائه واسن له الجواز والإقطاعات والجرايات ، وأحلّه من دولته وندمائه بمكان . فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف . وطما منها باشيئة بمرز آخر ، وتناقل منها بعد ذهاب غضايتها إلى بلاد المدوة بإفريقية والمغرب . وانقسم على أمصارها ، وبها الآن منها صباية على تراجع مُمرانها وتناقص دولها . وهذه الصناعة آخر ما يحصل في المُمران من الصنائع لأنها كاليّة في

(١) كذا ، وفي نسخة : بالكرج .

(٢) ناقه : لاجه بالسلاح .

غير وظيفة من الوظائف، إلا وظيفة الفراغ والفرح. وهي أيضاً أول ما ينقطع من العمران عند اختلاله وتراجعه. والله أعلم.

## الفصل الثالث والثلاثون

في أن الصانع تكسب صاحبها عقلاً وخصوصاً الكتابة والحساب

قد ذكرنا في الكتاب أن النفس الناطقة للإنسان، إنما توجد فيه بالقوة. وأن خروجها من القوة إلى الفعل إنما هو بتجدد العلوم والإدراكات عن المحسوسات أولاً؛ ثم ما يكتسب بعدها بالقوة النظرية إلى أن يصير إدراكاً بالفعل وعقلاً محضاً؛ فتكون ذاتاً روحانيةً وتستكمل حينئذ وجودها. فوجب لذلك أن يكون كل نوع من العلم والنظر يفيد عقلاً فريداً<sup>(١)</sup>، والصنائع أبداً يحصل عنها وعن ملكيتها قانون علمي مستفاد من تلك الملكة. فهذا كانت الحكمة في التجربة تفيد عقلاً، والملكات الصناعية تفيد عقلاً؛ والمضارة الكاملة تفيد عقلاً؛ لأنها مجتمعة من صنائع في شأن تدبير المنزل، ومعاشرة أبناء الجنس، وتحصيل الآداب في مخالطتهم؛ ثم القيام بأمور الدين واعتبار آدابها وشرائعها. وهذه كلها قوانين تنظم علومها، فيحصل منها زيادة عقل.

(١) كذا، وفي ب: عقلاً مزيداً.

والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة لذلك ، لأنها تشتمل  
على العلوم والأنظار بخلاف الصنائع . وبيان أن في الكتابة  
انتقالاً من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال ؛ ومن  
الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس ؛ فهو ينتقل  
أبداً من دليل إلى دليل ، ما دام ملتبساً بالكتابة وتعود النفس  
ذلك دائماً . فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات ،  
وهو معنى النظر العقلي الذي يكتسب به العلوم المجهولة ، فتكسب  
بذلك ملكة من التمثل تكون زيادة عقل . ويحصل به مزيد  
فطنة وكيسر في الأمور ، لما تعودوه من ذلك الانتقال . ولذلك  
قال كسرى في كتابه ، لما رآهم بتلك الفطنة والكيسر ، فقال :  
« ديوانه ؛ أي شياطين أو جنون » . قالوا : وذلك أصل اشتقاق  
الدوان لاهل الكتابة . ويلحق بذلك الحساب فإن في صناعة  
الحساب نوع تصرف في العدد بالضم والتفريق ، يحتاج فيه إلى  
استدلال كثير ؛ فيبقى متعوداً للاستدلال والنظر ، وهو معنى  
العقل . ﴿ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ  
السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾

# الْبَيِّنَاتُ لِلنَّبِيِّينَ

## من الكتاب الأول

في العلم والاعتماد والتعليم وطرقه وسائر هجوه وما يخص في ذلك  
كله من الأحوال وفيه مقدمة ولله

فالمقدمة في الفكر الانساني ، الذي تميز به البشر عن الحيوانات  
واهتدى به لتحصيل معاشه والتعاون عليه بأبناء جنسه والنظر  
في معبوده ، وما جاءت به الرسل من عنده ؛ فصار جميع الحيوانات  
في طاعته وملك قدرته وفضله به على كثير خلقه .

## الفصل الأول

في أن العلم والتعليم طبيعي في الحيوان البشري

وذلك أن الانسان قد شاركته جميع الحيوانات ، في حيوانيته  
من الحس والحركة والغذاء والكنز وغير ذلك . وإنما تميز عنها  
بالفكر الذي يهتدي به ، لتحصيل معاشه ، والتعاون عليه بأبناء  
جنسه ، والاجتماع المهية لذلك التعاون ، وقبول ما جاءت به  
الأنبياء عن الله تعالى ، والعمل به واتباع صلاح أخراؤه . فهو  
مفكر في ذلك كله دائماً ، لا يفتر عن الفكر فيه طرفة عين ،

بل اختلاجُ الفكرِ أسرعُ من لمحِ البصرِ . وعن هذا الفكرِ تنشأُ العلومُ وما قدَّمناه من الصنائعِ . ثم لأجل هذا الفكرِ وما جُبلَ عليه الإنسانُ بل الحيوانُ من تحصيلِ ما تستدعيهِ الطباعُ ؛ فيكونُ الفكرُ راجعاً في تحصيلِ ما ليس عندهُ من الإدراكاتِ ، فيرجعُ إلى من سبقه بعلمٍ ، أو زادَ عليه بمعرفةٍ أو إدراكٍ ، أو أخذهُ ممن تقدَّمه من الأنبياء الذين يبلِّغونه لمن تلقَّاه ؛ فيلقِّن ذلك عنهم ويحرِّصُ على أخذِهِ وعلمِهِ . ثم إنَّ فكرَهُ ونظرَهُ يتوجَّهُ إلى واحدٍ واحدٍ من الحقائقِ ، وينظرُ ما يعرِضُ له لذاتهِ واحداً بعد آخرٍ ، ويتمرَّنُ على ذلك حتى يصيرَ إلحاقُ العوارضِ بتلك الحقيقةِ ملكةً له ، فيكونُ حينئذٍ علمُهُ بما يعرِضُ لتلك الحقيقةِ علماً مخصوصاً . وتشوِّفُ نفوسُ أهلِ الجبلِ الناشيءِ إلى تحصيلِ ذلك ، فيفزعونَ إلى أهلِ معرفتهِ ويحييهِ التعليمُ من هذا . فقد تبَيَّنَ بذلك أنَّ العلمَ والتعليمَ طبعيٌّ في البشرِ . والله أعلم .

## الفصل الثاني

في أن تعليم العلم من جهة الصانع

وذلك أنَّ الخلقَ في العلم والتفنُّن فيه والاستيلاء عليه ، إنَّما هو بمجسولِ ملكةٍ في الإحاطةِ بمبادئه وقواعيدهِ والوقوفِ على مسائلِهِ واستنباطِ فروعهِ من أصولِهِ . وما لم تحصلْ هذه الملكةُ لم يكن الخلقُ في ذلك الفنِّ المتناولِ حاصلًا . وهذه الملكةُ هي في



غير الفهم والوعي. لأننا نجد فهم المسئلة الواحدة من الفن الواحد ووعياها ، مشتركا بين من شدا في ذلك الفن ، وبين من هو مبتدئ فيه ؛ وبين العامي الذي لم يحصل علماً ، وبين العالم التحرير . والملكة إنما هي للعالم أو الشادي في الفنون دون من سواها ، فدل على أن هذه الملكة غير الفهم والوعي . والملكات كلها جسمانية ، سواء كانت في البدن أو في الدماغ ، من الفكر وغيره ، كالحساب . والجماليات كلها محسوسة ، فتفتقر إلى التعليم . ولهذا كان السند في التعليم في كل علم أو صناعة يفتقر إلى مشاهير المعلمين فيها معتبراً عند كل أهل أفقر وجبل . ويدل أيضاً على أن تعليم العلم صناعة تختلف الاصطلاحات فيه . فلكل إمام من الأئمة المشاهير اصطلاح في التعليم يختص به ، شأن الصنائع كلها ؛ فدل على أن ذلك الاصطلاح ليس من العلم ، إذ لو كان من العلم لكان واحداً عند جميعهم . ألا ترى إلى علم الكلام كيف تخالف في تعليمه اصطلاح المتقدمين والمتأخرين ، وكذا أصول الفقه وكذا العربية ؛ وكذا كل علم يتوجه<sup>(١)</sup> إلى مطالعته ، تجد الاصطلاحات في تعليمه متخالفة ؛ فدل على أنها صناعات في التعليم . والعلم واحد في نفسه . وإذا تقرر ذلك ، فاعلم أن سند تعليم العلم لهذا العهد قد كاد أن يتقطع عن أهل المغرب ، باختلال عمرانه وتناقص الدول فيه . وما يحدث عن ذلك من نقص الصنائع وفقدانها كما مر . وذلك أن القيروان وقُرطبة كانتا حاضرتي المغرب

(١) كذا ، وفي ب: يحتاج .

والأندلس ، واستبحر عمرانها ، وكان فيها للعلوم والصنائع أسواقٌ نافقةٌ وبحورٌ زاخرةٌ . ورسخَ فيها التعليمَ لامتدادِ عصورها ، وما كانَ فيها من الحضارة . فلما خربنا انقطعَ التعليمُ من <sup>(١)</sup> المغربِ إلا قليلاً ، كان في دولةِ الموحدين بمرّاكش مستفاداً منها . ولم ترسخ الحضارة بمرّاكش لبداءة الدولة الموحدية في أولها ، وقرب عهد انقراضها بمبدها ؛ فلم تتصل أحوال الحضارة فيها إلا في الأخر .

وبعد انقراض الدولة بمرّاكش ، ارتحل إلى المشرق من إفريقية ، القاضي أبو القاسم بن زيتون ، لعهد أواسطِ المائة السابعة ؛ فأدرك تلميذَ الإمام ابن الخطيب ، فأخذَ عنهم ، ولقّنَ تعليمهم . وحنقَ في العقلياتِ والنقلياتِ ، ورجعَ إلى تونسَ بعلمٍ كثيرٍ وتعليمٍ حسنٍ . وجاء على أثره من المشرق أبو عبد الله ابنُ شعيب الدكالي . كان ارتحلَ إليه من المغرب ؛ فأخذَ عن مشيخةٍ مصرَ ورجعَ إلى تونسَ واستقرَّ بها . وكانت تعليمه مُفيداً ؛ فأخذَ عنها <sup>(٢)</sup> أهلُ تونسَ . واتصلَ سندُ تعليمهما في تلاميذهما جيلاً بعد جيلٍ ، حتى انتهى إلى القاضي محمد بن عبد السلام ، شارحِ ابنِ الحاجب ، وتلميذه ، وانتقلَ من تونسَ إلى تلمسانَ في ابنِ الإمام وتلميذه . فإنه قرأ مع ابنِ عبد السلام ، على مشيخةٍ واحدةٍ ، وفي مجالسَ بأعبائها ، وتلميذَ ابنِ عبد السلام بتونسَ ، وابنِ الإمام بتلمسانَ لهذا العهد ؛ إلا أنهم من القلةِ بحيثُ يُحصى انقطاعُ سندهم .

(١) كذا ، وفي نسخة باريس تحقيق (كاترمير M. Quatremère) : عن المغرب الخ .

(٢) أي عن القاضي أبي القاسم بن زيتون وأبي عبد الله بن شعيب الدكالي .

ثم ارتحل من زواوة في آخر المائة السابعة أبو علي ناصر الدين المشد إلى المشرق وأدرک تلميذ أبي عمرو بن الحاجب، وأخذ عنهم ولقن تعليمهم. وقرأ مع شهاب الدين القرافي في مجالس واحدة، وحقق في العقليات والنقليات. ورجع إلى المغرب يعلم كثير وتعليم مفيد، وزل إجابة وتصل سند تعليمه في طلبتها. وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشد إلى<sup>(١)</sup> تلمين وأوطنها وبث طريقته فيها. وتلميذه لهذا العهد بجاية وتلمسان قليل أو أقل من القليل.

وبقيت فاس وسائر أقطار المغرب خلوا من حسن التعليم من لدن انقراض تعليم قرطبة والقيروان، ولم يتصل سند التعليم فيهم، فسر عليهم حصول الملكة والحقق في العلوم. وأيسر طرق هذه الملكة قوة اللسان بالهاوذة والمناظرة في المسائل العلمية، فهو الذي يقرب شأنها ويحصل مرادها. فتجد طالب العلم منهم، بعد ذهاب الكثير من أعمالهم في ملازمة المجالس العلمية، سكوتا لا ينطقون ولا يفاضون، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة. فلا يحصلون على طائل من ملكة التصديق في العلم والتعليم. ثم بعد تحصيل من يرى منهم أنه قد حصل، تجد ملكة قاصرة في علمه إن فاض أو ناظر أو علم، وما أتاها القصور إلا من قبل التعليم وانقطاع سند. وإلا فحفظهم أبلغ

(١) كذا في الأصول، ولم نجد له ترجمة في معجم الأعلام. ويستفاد من كتب التراجم أن لفظة مشدالي أو مشداني نسبة إلى مشدالة من قبائل زواوة في المغرب. وهكذا تصبح العبارة كما يلي: وربما انتقل إلى تلمسان عمران المشدالي، تلميذه و... الخ.

من حفظ من سواهم ، لشدة عنايتهم به ، وظنهم أنه المقصود من الملكة العلمية وليس كذلك . وما يشهد بذلك في المغرب ، أن المدة المينة لسكنى طلبة العلم بالمدارس عندهم ست عشرة سنة ، وهي بتونس خمس سنين . وهذه المدة بالمدارس ، على المتعارفين ، هي أقل ما يتأتى فيها لطالبي العلم حصول مبتغاه من الملكة العلمية أو البأس من تحصيلها ؛ فطال أمدها في المغرب لهذه المصير لأجل عسرها من قلة الجودة في التعليم خاصة ، لا مما سوى ذلك . وأما أهل الأندلس ، فذهب رسم التعليم من بينهم ، وذهبت عنايتهم بالعلوم ، لتناقص عمران المسلمين بها منذ مئتين من السنين . ولم يبق من رسم العلم عندهم إلا فن العربية والأدب ، اقتصروا عليه ، وانحفظ سند تعليمهم بينهم ، فاحفظ بحفظه . وأما الفقه بينهم فرسم خلو وأثر بعد عين . وأما العقليات فلا أثر ولا عين ، وما ذاك إلا لانقطاع سند التعليم فيها بتناقص العمران ، وتغلب المدو على عامتها ، إلا قليلاً بسيف البحر شغلهم بمعايشهم أكثر من شغلهم بما بعدها . والله غالب على أمره .

وأما المشرق فلم ينقطع سند التعليم فيه ، بل أسواقه وافدة وبحوره زاخرة ، لاتصال العمران الموفور واتصال السند فيه . وإن كانت الأمصار العلمية التي كانت معادن العلم قد خربت ، مثل بغداد والبصرة والكوفة ؛ إلا أن الله تعالى قد أدال منها بأمصاير أعظم من تلك . وانتقل العلم منها إلى عراق الجهم بخراسان ، وما وراء النهر من المشرق ، ثم إلى القاهرة وما إليها من المغرب ، فلم

تزل موفورة وعمرانها متصلاً وسند التعليم بها قائماً . فأهل المشرق على الجملة أرسخ في صناعة تعليم العلم ، بل وفي سائر الصنائع . حتى إنه ليظن كثير من رحالة أهل المغرب إلى المشرق في طلب العلم ، أن عقولهم <sup>(١)</sup> على الجملة أكل من عقول أهل المغرب ، وأنهم أشد نباهة وأعظم كينساً بفطرتهم الأولى . وأن نفوسهم الناطقة أكل بفطرتها من نفوس أهل المغرب . ويمتقدون التفاوت بيننا وبينهم في حقيقة الإنسانية ويتشيعون لذلك ، ويولمون به ، لما يرون من كينسهم في العلوم والصنائع وليس كذلك .

وليس بين قطر المشرق والمغرب تفاوت بهذا المقدار الذي هو تفاوت في الحقيقة الواحدة ، اللهم إلا الأقاليم المنحرفة مثل الأول والسابع ، فإن الأمزجة فيها منحرفة والنفس على نسبتها كما مر . وإنما الذي فضل به أهل المشرق أهل المغرب ، هو ما يحصل في النفس من آثار الحضارة ، من العقل ، المزيد ، كما تقدم في الصنائع ، وزيدته الآن شرحاً وتحقيقاً . وذلك أن الحضرة لهم آداب في أحوالهم في المأش والمسكن والبناء وأمور الدين والدنيا ، وكذا سائر أعمالهم وعاداتهم ومأملاتهم ، وجميع تصرفاتهم . فلم في ذلك كله آداب يوقف عندها في جميع ما يتناولونه ويتلبسون <sup>(٢)</sup> به من أخذ وترك ، حتى كأنها حدود لا تُتعدى . وهي مع ذلك صنائع يتلقاها الآخر عن الأول منهم . ولا شك

(١) أي عقول أهل المشرق .

(٢) كذا ، وفي نسخة : يتكسبون .

أَنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ مُرْتَبَةٌ بِرُجْعِهَا إِلَى النَّفْسِ أَثَرُ يُكْسِبُهَا عَقْلًا  
جَدِيدًا ، تَسْتَعِذُّ بِهِ لِقَبُولِ صِنَاعَةٍ أُخْرَى ، وَيُنْهِيهَا بِهَا الْعَقْلُ بِسُرْعَةٍ  
الْإِدْرَاكِ لِلْمَعَارِفِ .

ولقد بلغنا في تعليم الصنائع عن أهل مصر غايات لا تُدرَكُ ،  
مثل أنهم يعلمون الحِرَّةَ الْإِنْسِيَّةَ وَالْحَيَوَانَاتِ الْعُجَمَ مِنَ الْمَاشِي وَالطَّائِرِ  
مَفْرَدَاتٍ مِنَ الْكَلَامِ وَالْأَفْعَالِ يُسْتَعْرَبُ نُدُورُهَا ، وَيَحْجُزُ أَهْلُ  
الْمَغْرِبِ عَنْ فِيْهَا فَضْلًا عَنْ تَعْلِيمِهَا . وَحَسَنُ الْمَلَكَاتِ فِي التَّعْلِيمِ  
وَالصَّنَائِعِ وَسَائِرُ الْأَحْوَالِ الْعَادِيَةِ ، تَرِيدُ الْإِنْسَانُ ذِكَاةً فِي عَقْلِهِ  
وَإِضَاءَةً فِي فِكْرِهِ بِكَثَرَةِ الْمَلَكَاتِ الْحَاصِلَةِ لِلنَّفْسِ . إِذْ قَدَّمْنَا أَنَّ  
النَّفْسَ إِنَّمَا تَنْشَأُ بِالْإِدْرَاكَاتِ وَمَا يُرْجَعُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَلَكَاتِ ، فَيَزِدَادُونَ  
بِذَلِكَ كَيْسًا لِّمَا يُرْجَعُ إِلَى النَّفْسِ مِنَ الْأَثَارِ الْعِلْمِيَّةِ ، فَيُظَنُّ الْعَامِّيُّ  
تَفَاوُتًا فِي الْحَقِيقَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ . أَلَا تَرَى إِلَى أَهْلِ  
الْحَضَرِ مَعَ أَهْلِ الْبَدْوِ ، كَيْفَ تَجِدُ الْحَضَرِيَّ مُحْتَلِيًّا بِالذِّكَاةِ مِمَّا تَلْتَمِزُ  
مِنَ الْكَيْسِ ، حَتَّى إِنَّ الْبَدْوِيَّ لَيُظَنُّ أَنَّهُ قَدْ فَاتَهُ فِي حَقِيقَةِ إِنْسَانِيَّتِهِ  
وَعَقْلِهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ . وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِجَادَتِهِ مِنْ مَلَكَاتِ الصَّنَائِعِ  
وَالْآدَابِ ، فِي الْمَوَائِدِ وَالْأَحْوَالِ الْحَضَرِيَّةِ ، مَا لَا يَعْرِفُهُ الْبَدْوِيُّ .  
فَلَمَّا امْتَلَأَ الْحَضَرِيُّ مِنَ الصَّنَائِعِ وَمَلَكَاتِهَا وَحَسَنَ تَعْلِيمِهَا ، ظَنَّ  
كُلُّ مَنْ قَصَرَ عَنْ تِلْكَ الْمَلَكَاتِ أَنَّهَا لِكِبَالٍ فِي عَقْلِهِ ، وَأَنَّ نَفْسَ  
أَهْلِ الْبَدْوِ قَاصِرَةٌ بِفَطَرَتِهَا وَجِبِلَّتِهَا عَنْ فَطَرَتِهِ ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ . فَإِنَّمَا  
تَجِدُ مِنْ أَهْلِ الْبَدْوِ مَنْ هُوَ فِي أَعْلَى رَتَبَةٍ مِنَ الْفَهْمِ وَالْكِبَالِ فِي  
عَقْلِهِ وَفَطَرَتِهِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي ظَهَرَ عَلَى أَهْلِ الْحَضَرِ مِنْ ذَلِكَ هُوَ

رونقُ الصنائع والتعليم؛ فإنَّ لها آثاراً ترجعُ إلى النفس كما قدَّمناه. وكذا أهلُ المشرق لما كانوا في التعليم والصنائع أرسخَ رتبةً وأعلى قدماً، وكان أهلُ المغرب أقربَ إلى البداوة، لما قدَّمناه في الفصل قبل هذا، ظنَّ المغفلون في بادي الرأي أنه لكمال في حقيقة الإنسانية اختصَّوا به عن أهلِ المغرب، وليس ذلك بصحيح ففهمه. واللهُ يزيدُ في الخلق ما يشاء، وهو إلهُ السماوات والأرض.

## الفصل الثالث

في أن العلوم إنما تكثر حيث يكثر العمران وتتعظم الحضارة

والسببُ في ذلك أنَّ تعليمَ العلم، كما قدَّمناه، من جملةِ الصنائع. وقد كنا قدَّمنا أن الصنائع إنما تكثرُ في الأمصار. وعلى نسبةِ عمرانها في الكثرة والقلَّة والحضارة والتَّرف، تكونُ نسبةُ الصنائع في الجودة والكثرة، لأنَّ أمرُ زائد على المعاش. فتي فضلتُ أعمالُ أهلِ العمران عن معاشهم، انصرفت إلى ما وراء المعاش من التصرف في خاصيةِ الإنسان، وهي العلوم والصنائع. ومن تشوَّف بفطرته إلى العلم، ممن نشأ في القرى والأمصار غير المتمدِّنة، فلا يجدُ فيها التعليم الذي هو صناعي، لفقدانِ الصنائع في أهلِ البدو كما قدَّمناه، ولا بدَّ له من الرحلة في طلبه إلى الأمصار المستبحرة، شأنَ الصنائع في أهلِ البدو.

واعتبر ما قَرَّرناه بحال بغداد وقُرْبَة والقَيْرَوان والبصرة والكوفة ، لما كَثُرَ عُمَرَاؤها صَدَرُ الإسلام ، واستَوَتْ فيها الحضارة ، كيف زَحَرَتْ فيها بِحَارُ العِلْمِ ، وتَفَنَّنوا في اصطلاحاتِ التعليم وأَصْنافِ العُلومِ ، واستَبَاطِ المسائلِ والفنونِ ؛ حتى أَدْرَبُوا على التَّقْدِيمِ وفاقوا المتأخِرِينَ . ولما تناقَصَ عُمَرَاؤها وابتَدَعَ سُكَّانُهَا ، انطوى ذلك البَساطُ بما عليه جِلَّةٌ ، وَفَقِدَ العِلْمُ بها والتعليمُ ، وانتَقَلَ إلى غيرِها من أَمْصارِ الإسلامِ . ونحنُ لهذا الهَدْيِ نرى أَنَّ العِلْمَ والتعليمَ إِنَّمَا هو بالقاهرة ، من بلادِ مصرَ ، لِمَا أَنَّ عُمَرَانَهَا مستَجِرٌ وحَضَارَتُهَا مستَحْكِمَةٌ منذُ آلافِ من السنينِ ؛ فاستَحَكَمَتْ فيها الصنائعُ وتَفَنَّنَتْ ، ومن جِلَّتْها تعليمُ العِلْمِ . وأَكَّدَ ذلك فيها وَحَفَظَهُ ما وقع لهذه العُصورِ بها ، منذُ مائَتَيْنِ من السنينِ في دولةِ التُّركِ من أيامِ صلاحِ الدينِ بنِ أَيْوْبَ وهلمْ جَرًا . وذلك أَنَّ أُمراءَ التُّركِ في دولَتِهِمْ يَحْشَوْنَ عَادِيَةَ سُلْطَانِهِمْ على من يَتَخَلَّفُونَهُ من ذُرِّيَّتِهِمْ ، لما لَهُ عليهم من الرِّقِّ أو الوَلَاءِ ، ولَمَّا يُحْشَى من معاطِبِ الملكِ ونَكَبَاتِهِ . فاستَكثَرُوا من بناءِ المدارسِ والزَوَايا والرُّبُطِ<sup>(١)</sup> ووقفوا عليها الأوقافَ المِثْلَةَ بِحَمَلُونِ فِيهَا شِرْكَاءَ<sup>(٢)</sup> لَوْلَدِهِمْ ، ينظَرُ عليها أو يُصِيبُ منها ، مع ما فيهم غالباً من الجُنُوحِ إلى الخَيْرِ والصَّلاحِ والتَّيسْرِ الأجودِ في المقاصِدِ والأَفْعالِ . فَكَثُرَتْ الأوقافُ لذلك

(١) ربط جمع رباط : الحصن أو المكان الذي يربط فيه الجيش . وردت هكذا في الأصل .  
والأنسب لسباق العبارة هنا كلمة رباطات ، وهي المعاهد المبنية والموقوفة للقراء .  
(٢) الشرك : الحصة .



وعظمت الثلاث والفوائد ، وكثر طالب العلم ومعلمه بكثرة  
جرايتهم منها ، وارتحل إليها الناس في طلب العلم من العراق  
والغرب ونفقت بها أسواق العلوم وزخرت بحارها . والله يخلق  
ما يشاء .

## الفصل الرابع

في أصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا العهد

إعلم أن العلوم التي يخوض فيها البشر ويتداولونها في الأمصار  
تخصيلاً وتعليماً ، هي على صنفين : صنف طبيعي للانسان يهتدي  
إليه بفكره ، وصنف نقلي يأخذ عن وضعه . والأول هي العلوم  
الملكية الفلسفية ، وهي التي يمكن أن يقف عليها الانسان بطبيعة  
فكره ، ويهتدي بمداركه البشرية الى موضوعاتها ومسائلها وانحاء  
براهينها ووجوه تعليمها ، حتى يقف<sup>(١)</sup> نظره ويحس على الصواب  
من الخطأ فيها ، من حيث هو إنسان ذو فكر . والثاني هي العلوم  
النقلية الوضعية ، وهي كلها مستمدة الى الخبر عن الواضع الشرعي .  
ولا مجال فيها للعقل ، إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول ؛  
لأن الجزئيات الحادثة المتعاقبة ، لا تندرج تحت النقل الكلي بمجرد  
وضعه ، فحتاج الى إلحاق بوجه قياسي . إلا أن هذا القياس

(١) علق الموريني في طبعة بولاق على هذه الكلمة بقوله : قوله ، حتى يقف نظره ، يستعمل  
وقف متعدياً ، فنقول : وقفه على كذا أي أطلمته عليه .

يُتَفَرَّعُ عن الخبر ، بثبوت الحكم في الأصل ، وهو نقلٌ ؛ فرجع هذا القياس إلى النقل لتفرعه عنه . وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشريعات ، من الكتاب والسنة التي هي مشروعة لنا من الله ورسوله ، وما يتعلق بذلك من العلوم التي تتأوها للافادة . ثم يستتبع ذلك علومُ اللسان العربي ، الذي هو لسانُ الملّة وبه يُرَلِّ القرآن . وأصناف هذه العلوم النقلية كثيرة ؛ لأنّ المكلف يجب عليه أن يعرف أحكام الله تعالى المفروضة عليه وعلى أبناء جنسه ، وهي مأخوذة من الكتاب والسنة بالنص أو بالإجماع أو بالخلق ، فلا بدّ من النظر في الكتاب : ببيان ألفاظه أولاً ، وهذا هو علم التفسير ؛ ثم باسناد نقله وروايته إلى النبي ﷺ الذي جاء به من عند الله ، واختلاف روايات القراء في قراءته ، وهذا هو علم القراءات ؛ ثم باسناد السنة إلى صاحبها ، والكلام في الرواة الناقلين لها ، ومعرفة أحوالهم وعدالتهم ليقع الوثوق بأخبارهم ، ويُعَمَلَ ما يجب العمل بمقتضاه من ذلك . وهذه هي علوم الحديث .

ثم لا بدّ في استنباط هذه الأحكام من أصولها من وجه قانوني ، يُفِيدُنَا العلم بكيفية هذا الاستنباط ، وهذا هو أصول الفقه . وبعد هذا تحصل الثمرة بمعرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، وهذا هو الفقه . ثم إنّ التكليف منها بدني ، ومنها قلبي ، وهو المختص بالإيمان وما يجب أن يمتدّ مما لا يُمتدّد . وهذه هي المقائد الإيمانية في الذات والصفات وأمور الحس والنعم والمذاب والقدر . والاحتياج عن هذه الأدلّة العقلية هو علم الكلام .

ثم النظر في القرآن والحديث لا بد أن تتقدمه العلوم اللسانية ،  
لأنه متوقف عليها وهي أصناف . فمنها علم اللغة وعلم النحو وعلم  
البيان وعلم الأدب ، حسبنا نتكلم عليها كلها . وهذه العلوم  
النقلية كلها مختصة بالملّة الاسلاميّة وأهلها ، وإن كانت كل ملّة  
على الجملة لا بد فيها من مثل ذلك ؛ فهي مشاركة لها في الجنس  
البعيد من حيث إنها علوم الشريعة المنزلة من عند الله تعالى على  
صاحب الشريعة المبلغ لها . وأما على الخصوص فباينة لجميع الملل  
لأنها ناسخة لها . وكل ما قبلها من علوم الملل فمجردة ، والنظر  
فيها محظور . فقد نهى الشرع عن النظر في الكتب المنزلة غير  
القرآن . وقال ﷺ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ،  
﴿ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ  
وَاحِدٌ ﴾ . ورأى النبي ﷺ في يد عمر رضي الله عنه ورقة من  
التوراة ؛ فغضب حتى تبين الغضب في وجهه ، ثم قال : ألم آتكم  
بها بيضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حياً ما وسعته إلا إتباعي .

ثم إن هذه العلوم الشرعية النقلية قد نفقت أسواقها ، في هذه  
الملّة بما لا مزيد عليه ، وانتهت فيها مدارك الناظرين الى الغاية  
التي لا شيء فوقها ، وهذبت الاصطلاحات ورُتبت الفنون ، فجاءت  
من وراء الغاية في الحسن والتنميق . وكان لكل فن رجال  
يرجع إليهم فيه وأوضاع يستفاد منها التعليم . واخص المشرق من  
ذلك والمغرب بما هو مشهور منها حسبنا نذكره الآن عند تعديد  
هذه الفنون . وقد كسّلت لهذا العهد أسواق العلم بالمغرب ،

لتنافس الممران فيه وانقطاع سني العلم والتعليم ، كما قدمناه في الفصل قبله . وما أدري ما فعل الله بالشرق ، والظن به نفاق العلم فيه واتصال التعليم في العلوم ، وفي سائر الصنائع الضرورية والكالية ، لكثرة عمرائه والخصارة ، ووجود الإعانة لطالب العلم بالجرية من الأوقاف التي اتسعت بها أرزاقهم . والله سبحانه وتعالى هو الفاعل لما يريد ، وبيده التوفيق والإعانة .

## الفصل الخامس

علم القهّان من التفسير والتجانيات

القرآن هو كلام الله المنزل على نبيه ، المكتوب بين دفتي المصحف . وهو متواتر بين الأمة ؛ إلا أن الصحابة رَوَوْه عن رسول الله ﷺ على طرق مختلفة في بعض ألفاظه وكميات الحروف في أداها . وتُنوَقَل ذلك واشتهر إلى أن استقرت منها سبع طرق معينة ، تواتر نقلها أيضاً بأداها ، واختصت بالانتساب إلى من اشتهر بروايتها من الجمة الفخيرة ؛ فصارت هذه القراءات السبع أصولاً للقراءة . وربما زيد بعد ذلك قرأت أخر لحقت بالسبع ؛ إلا أنها عند أئمة القراءة لا تقوى قوتها في النقل . وهذه القراءات السبع معروفة في كتبها . وقد خالف بعض الناس في تواتر طرقها لأنها عندهم كميات للأداء ، وهو غير منضبط . وليس ذلك

عندهم بقادحٍ في تواتر القرآن . وأباهُ الأكثرُ ، وقالوا بتواترها ؛ وقال آخرون بتواتر غير الأداء منها ، كالمَدِّ والتسهيل<sup>(١)</sup> ، لعدم الوقوفِ على كَيْفِيَّتِهِ بالسمع وهو الصحيح .

ولم يزل القراء يتداولون هذه القراءاتِ وروايتها ، إلى أن كتبت العلومُ ودُوِّنت فكتبت فيما كُتِبَ من العلومِ ، وصارت صناعةً مخصوصةً وعلماً منفرداً ، وتناقله الناسُ بالشرقِ والأندلسِ في جيلٍ بعد جيلٍ . إلى أن ملكَ بشرقِ الأندلسِ مجاهدٌ من موالي العاصريين ، وكان معتنياً بهذا الفنِ من بين فنونِ القرآنِ ، لما أخذه به مولاهُ المنصورُ بنُ أبي عايرٍ ، واجتهدَ في تعليمه وعرضه على من كان من أئمةِ القراءِ بمحضرتِهِ ؛ فكان سهماً في ذلك وافرأ . واخصَّ مجاهدٌ بعد ذلك بإمارةٍ دائيةٍ والجزائرِ الشرقيةِ ؛ فنفقتَ بها سوقُ القراءةِ ، لما كان هو من أئمتها ، وبما كان له من العنايةِ بسائرِ العلومِ عموماً والقراءاتِ خصوصاً . فظهر لعهده أبو عمرو الدانيُّ وبلغ الغايةَ فيها ، ووقفتَ عليه معرفتها . وانتهت إلى روايتهِ أسانيدُها ، وتمددت تآليفُها فيها . وعوَّلَ الناسُ عليها وعدلوا عن غيرها ، واعتمدوا من بينها كتابَ التيسيرِ له .

ثم ظهرَ بعد ذلك فيما يليه من المصورِ والأجيالِ أبو القاسمِ ابنُ فيره<sup>(٢)</sup> من أهلِ شاطِبَةَ ؛ فعمدَ إلى تهذيبِ ما دوَّته أبو عمرو

(١) كذا ، وفي نسخة : والتسهيل .

(٢) كذا بالأصل . وفي الأعلام للزركلي : القاسم بن فيره بن خلف بن أحمد الرعيني أبو عماد الشاطبي ، إمام القراء . كان ضريباً .

وتلخيصه.. فنظم ذلك كله في قصيدته لقرأ فيها أسماء القراء بحروف (أ ب ج د) ، على ترتيب أحكامه ليتيسر عليه ما قصده من الاختصار ، وليكون أسهل للحفظ لأجل نظمها . فاستوعب فيها الفن استيعاباً حسناً ، وعيى الناس بحفظها وتلقيها للولدان<sup>(١)</sup> المتعلمين ، وجرى العمل على ذلك في أمصار المغرب والأندلس .

وربما أضيف إلى فن القراءات فن الرسم أيضاً ، وهي أوضاع حروف القرآن في المصحف ورسومه الخطية ، لأن فيه حروفاً كثيرة وقع رسمها على غير المعروف من قياس الخط ، كزيادة الياء في يابيد وزيادة الألف في لا أذبحته ، ولا أوضوا ، والواو في جزاء الطالبين ، وحذف الألفات في مواضع دون أخرى ، وما رُسم فيه من التآت ممدوداً ، والأصل فيه مربوط على شكل الماء ، وغير ذلك . وقد سرت قليل هذا الرسم المصحفي عند الكلام في الخط . فلما جاءت هذه عائلة لأوضاع الخط وقانونه ، احتيج إلى حصرها ، فكتب الناس فيها أيضاً عن كتبهم في العلوم . وانتهت بالمغرب إلى أبي عمرو الداني المذكور ، فكتب فيها كتاباً من أشهرها : كتاب المقنع ، وأخذ به الناس وعوتلوا عليه . ونظمه أبو القاسم الشاطبي في قصيدته المشهورة على روي الراد ، وولع الناس بحفظها . ثم كثرت الخلاف في الرسم ، في كلمات وحروف أخرى ، ذكرها أبو داود سليمان بن نجاح من موالي مجاهد ، في

(١) كذا ، وفي ب : للولد .

كتبه، وهو من تلاميذ<sup>(١)</sup> أبي عمرو الداني، والمشتهر بجمل علومه ورواية كتبه. ثم نقل بعده خلاف آخر؛ فنظم الخراز من المتأخرين بالمغرب أرجوزة أخرى، زاد فيها على المقنع خلافاً كثيراً، وعزاه لناقله، واشتهرت بالمغرب، واقتصرت الناس على حفظها. وهجروا بها كتب أبي عمرو والشاطبي في الرسم.

### التفسير

وأما التفسير فاعلم أن القرآن نُزِّلَ بِلُغَةِ الْعَرَبِ وَعَلَى أَسَالِيبِ بِلَاغَتِهِمْ، فَكَانُوا كُلُّهُمْ يَفْهَمُونَهُ وَيَعْلَمُونَ مَعَانِيَهُ فِي مَفْرَدَاتِهِ وَتَرَائِكِهِ. وَكَانَ يُنْزَلُ جَلًّا جَلًّا، وَأَيَّاتٍ آيَّاتٍ، لِبَيَانِ التَّوْحِيدِ وَالْفُرُوضِ الدِّينِيَّةِ بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ. وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْعَقَائِدِ الْإِيمَانِيَّةِ، وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي أَحْكَامِ الْجَوَارِحِ، وَمِنْهَا مَا يَتَقَدَّمُ وَمِنْهَا مَا يَتَأَخَّرُ وَيَكُونُ نَاسِخًا لَهُ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ هُوَ الْمُبَيِّنُ لَذَلِكَ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَتُبَيِّنَنَّ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾<sup>(٢)</sup> ﴿فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَبَيِّنُ الْمَجْمَلَ وَيُمَيِّزُ النَّاسِخَ مِنَ الْمَنْسُوخِ، وَيَعْرِفُهُ أَصْحَابُهُ، فَعَرَفُوهُ، وَعَرَفُوا سَبَبَ نُزُولِ الْآيَاتِ وَمَقْتَضَى الْحَالِ مِنْهَا مَنْقُولًا عَنْهُ. كَمَا عَلِمَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾، أَنَّهَا نَعْيُ النَّبِيِّ ﷺ وَأَمْثَالُ ذَلِكَ وَنُقُلَ ذَلِكَ عَنِ الصَّحَابَةِ رِضْوَانُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ. وَتَدَاوَلَ ذَلِكَ التَّابِعُونَ مِنْ بَعْدِهِمْ، وَنُقِلَ ذَلِكَ

(١) كذا، وفي ب: وهو تلميذ... الخ.

(٢) من آية ٤٤ من سورة النحل.

عنهم . ولم يزل ذلك متناقلاً بين الصدر الأول والسلف ، حتى صارت المعارف علوماً ، ودونت الكتب ، فكتب الكثير من ذلك ، ونقلت الآثار الواردة فيه عن الصحابة والتابعين . وانتهى ذلك الى الطبري والواقدي والثعالبي وأمثالهم من المفسرين ؛ فكتبوا فيه ما شاء الله أن يكتبوه من الآثار .

ثم صارت علوم اللسان صناعة<sup>(١)</sup> من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب ؛ فوضعت الدواوين في ذلك ، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها الى نقل ولا كتاب ؛ فتوسى ذلك وصارت تُتلقى من كتب أهل اللسان . فاحتيج الى ذلك في تفسير القرآن ، لأنه بلسان العرب وعلى مناهج بلاغتهم . وصار التفسير على صنفين : تفسير نقلي مستند الى الآثار المنقولة عن السلف ، وهي معرفة الناسخ والمنسوخ وأسباب النزول ومقاصد الآتي . وكل ذلك لا يعرف الا بالنقل عن الصحابة والتابعين . وقد جمع المتقدمون في ذلك وأوعوا ، إلا أن كتبهم ومنقولاتهم تشتمل على الفتن والسمين والمقبول والمردود . والسبب في ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداءة والأمية . فإذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تشوق اليه النفوس البشرية<sup>(٢)</sup> في أسباب المكونات ، وبدء الخلق ، وأسرار الوجود ؛ فانما يسألون

(١) كذا ، وفي نسخة : صناعة .

(٢) في ب : النفوس الإنسانية .



عنه أهل الكتاب قبلهم ويستفيدونه منهم، وهم أهل التوراة من اليهود ومن تبع دينهم من النصارى . وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم، ولا يعرفون من ذلك إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب، ومعظمهم من حيرة الذين أخذوا بدين اليهودية . فلما أسلوا بقوا على ما كان عندهم، مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية التي يحتاطون لها، مثل أخبار بدء الخليقة وما يرجع إلى الجنان والملاحم وأمثال ذلك . وهؤلاء مثل كعب الأخبار ووهب بن منبه وعبد الله بن سلام وأمثالهم . فامتلات التفسير من المنقولات عندهم<sup>(١)</sup>، في أمثال هذه الأغراض، أخباراً موقوفة عليهم، وليس مما يرجع إلى الأحكام فيتحرى في الصحة التي يجب بها العمل. وتساهل المفسرون في مثل ذلك وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات . واسهل كما قلناه عن أهل التوراة الذين يسكنون البادية، ولا تحقيق عندهم بمعرفة ما ينقلونه من ذلك؛ إلا أنهم بعد صيغهم وعظمت أقدارهم، لما كانوا عليه من المقامات في الدين والملة، فلقيت بالقبول من يومئذ . فلما رجع الناس إلى التحقيق والتحصير، وجاء أبو محمد ابن عطية من المتأخرين بالمغرب؛ فلتخص تلك التفسير كلها، وتحرم ما هو أقرب إلى الصحة منها، ووضع ذلك في كتاب متداول بين أهل المغرب والأندلس حسن المنحى. وتبعه الفرطبي في تلك الطريقة على منهاج واحد في كتاب آخر مشهور بالشرق .

(١) في ب: من المنقولات عنهم.

والصنف الآخر من التفسير ، وهو ما يرجع إلى اللسان من معرفة اللغة والإعراب والبلاغة في تأدية المعنى بحسب المقاصد والأساليب . وهذا الصنف من التفسير قل أن ينفرد عن الأول ، إذ الأول هو المقصود بالذات . وإنا جاء هذا بعد أن صار اللسان وعلومه صناعات . نعم قد يكون في بعض التفاسير غالباً . ومن أحسن ما اشتمل عليه هذا الفن من التفسير ، كتاب الكشاف للزخشري من أهل خوارزم<sup>(١)</sup> العراقي ؛ إلا أن مؤلفه من أهل الاعتزال في العقائد ؛ فيأتي بالحجاج على مذاهبهم الفاسدة ، حيث تعرض له في آي القرآن من طرق البلاغة . فصار بذلك للمحققين من أهل السنة انحراف عنه وتحذير للجمهور من مكانه ، مع اقترابهم برسوخ قدمه فيما يتعلق باللسان والبلاغة . وإذا كان الناظر فيه واقفاً مع ذلك على المذاهب السنية ، محسناً للحجاج عنها ؛ فلا جرم أنه مأمون من غوائله ، فليقتنم مطالعته لغربة فنونه في اللسان .

ولقد وصل إلينا في هذه العصور تأليف لبعض العراقيين ، وهو شرف الدين الطيبي ، من أهل قورم من عراق العجم ، شرح فيه كتاب الزخشري هذا ، وتبع ألفاظه وتعرض لمذاهبه في الاعتزال بأدلة ترفيها<sup>(٢)</sup> . ويبين أن البلاغة إنما تقع في الآية

(١) ورد في معجم البلدان لياقوت : وخوارزم ليس اسماً للمدينة إنما هو اسم للناحية بجملتها . وورد في قاموس الاعلام للزركلي : الزخشري ولد في زخسر من قرى خوارزم .  
(٢) كذا ، وفي ب : وأدلته يزيفها .

على ما يراه أهل السنة ، لا على ما يراه<sup>(١)</sup> المعتزلة ، فأحسن في ذلك ما شاء ، مع إمتاعه في سائر فنون البلاغة . وفوق كل ذي علم علمهم

## الفصل السادس

### علوم الحديث

وأما علوم الحديث فهي كثيرة ومتنوعة ، لأن منها ما يُنظر في ناسخه ومنسوخه ، وذلك بما ثبت في شريعتنا من جوارح الفسخ ووقوعه لطفاً من الله بعباديه وتخفيفاً عنهم ، باعتبار مصالحهم التي تكفل الله لهم بها . قال تعالى : ﴿ مَا نَنْسَخْ مِنْ كَلِمَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلَهَا ﴾<sup>(٢)</sup> . [ومعرفة الناسخ والمنسوخ وإن كانت عاملاً للقرآن والحديث ، إلا أن الذي في القرآن منه اندرج في تفاسيره ، وبقي ما كان خاصاً بالحديث راجعاً إلى علومه ؛ فإذا تعاوض الخبران بالنفي والإثبات ، وتعذر الجمع بينهما يعض التأويل ، وعلم تقدم أحدهما ، تعين أن المتأخر ناسخ ] . وهو من أهم علوم الحديث وأصعبها . قال الزهري : « أعياء الفقهاء وأعجزهم أن يعرفوا ناسخ حديث رسول الله ﷺ من منسوخه » . وكان الشافعي رضي الله عنه فيه قدماً راسخة . [ومن علوم الحديث النظر في الأسانيد ،

(١) كذا ، وفي ب : لا على مذهب المعتزلة .

(٢) آية ١٠٦ من سورة البقرة .

ومعرفة ما يجب العمل به من الأحاديث بوقوعه على السند الكامل والشروط ؛ لأن العمل إما وجب بما يطلب على الظن صدقه من أخبار رسول الله ﷺ ؛ فيجتهد في الطريق التي تحصل ذلك الظن ، وهو بمعرفة رواة الحديث بالمدالة والضبط . وإنما يثبت ذلك بالنقل عن أعلام الدين بتعديلهم وبراءتهم من الجرح والفتنة ، ويكون لنا ذلك دليلاً على القبول أو الترتيب .

وكذلك مراتب هؤلاء الثقات من الصحابة والتابعين ، وتفاوتهم في ذلك وتمييزهم فيه واحداً واحداً . وكذلك الأسانيد تتفاوت باتصالها وانقطاعها ، بأن يكون الراوي لم يلق الراوي الذي نقل عنه ، وبسلامتها من العلل الموهنة لها ، وتنتهي بالتفاوت إلى طرفين فحكم<sup>(١)</sup> بقبول الأعلى وردي الأسفل . ويختلف في المتوسط بحسب الثمولوجي عن أئمة الشأن . ولهم في ذلك ألفاظ اصطلاحوا على وضعها لهذه المراتب المرتبة ، مثل الصحيح والحسن والضعيف والمرسل والمنقطع والمفضل والشاذ والغريب ، وغير ذلك من ألقابه المتداولة بينهم . ويؤو على كل واحد منها ونقلوا ما فيه من الخلاف لأئمة اللسان أو الوفاق . ثم النظر في كيفية أخذ الرواة بعضهم عن بعض بقرائنه أو كتابته أو مناولته أو إجازته ، وتفاوت رتبها ، وما للعلماء في ذلك من الخلاف بالقبول والرد .

ثم أتبعوا ذلك بكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق منها أو مختلف ، وما

(١) كذا ، وفي ب : إلى طرفين يحكم ... الخ .

يناسبُ ذلك . هذا معظمُ ما ينظرُ فيه أهلُ الحديث وغالبه . وكانت أحوالُ نقلِ الحديث في عصور السلف من الصحابة والتابعين معروفةً عند أهل بلده ؛ فثمهم بالحجاز ومنهم بالبصرة والكوفة من العراقي ؛ ومنهم بالشام ومصر . والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم . وكانت طريقة أهل الحجاز في أعصارهم في الأسانيد أعلى ممن سواهم وأمتن في الصحة ، لاشتدادهم في شروط النقل من العدالة والضبط ، وتجايفهم عن قبول المجهول الحال في ذلك .<sup>(١)</sup>

(١) إن المحصور بين [ ] ورد في النسخة البارسية على شكلين : ورد في الشرح كما ورد هنا في المتن . وورد في المتن على الوجه التالي ومن علوم الحديث معرفة القوانين التي وضعها أئمة المحققين ، لمعرفة الأسانيد والرواة وأساليبهم وكيفية أخذ بعضهم عن بعض ، وأحوالهم وطبقاتهم ، واختلاف اصطلاحاتهم . وتحصيل ذلك أن الإجماع واقع على وجود العمل بالخبر الثابت عن رسول الله (ص) ، وذلك بشرط أن يغلب على الظن صدقه فيجب على المجتهد تحقيق الطرق التي تحصل ذلك الظن . وذلك بالنظر في أسانيد الحديث ، معرفة رواته بالعدالة والضبط والافتان والبراءة من السهو والغفلة ، بوصف عدول الأمة لهم بذلك . ثم تساوت مراتبهم فيه ، ثم كيفية رواية بعضهم عن بعض ، يساع الراوي من الشيخ أو قرأته عليه أو سماعه يقرأ عليه . وكتابة الشيخ له أو مناولته أو إجازته في الصحة والقبول منقول عنهم . وأعلى مراتب المقبول عندهم الصحيح ثم الحسن ، وأدون مراتبها الضعيف ، ويشتمل على المرسل والمقطع والمفضل والمعلل والشاذ والغريب والمنكر : فمنها ما اختلفوا فيه ؛ ومنها ما اجتمعوا عليه . وذلك شأنهم في الصحيح : فمنه ما اجتمعوا على قبوله وصحته ، ومنه ما اختلفوا فيه . وبينهم في تفسير هذه الألقاب اختلاف كثير . ثم اتبعوا ذلك بالكلام في ألفاظ تقع في متون الحديث من غريب أو مشكل أو تصحيف أو مفترق . ووضعوا لهذه الفصول كلها قانوناً كبيراً يبين تلك المراتب والألقاب وسلامة الطرق عن دخول النقص فيها . وأول من وضع في هذا القانون من فقهاء أئمة الحديث أبو عبد الله الحاكم وهو الذي هذب وأظهر حسنة . وتوالت فيه مشهورة . ثم كتب أئمتهم فيه من بعده . وأشهر كتاب للمتأخرين فيه كتاب أبي عمر بن الصلاح ، كان في أوائل المائة السابعة وتلاه محيي الدين النووي يمثل ذلك . والفن شريف في مغزاه لأنه معرفة ما يحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة حتى يتبين قبولها أو ردها . واعلم أن رواية السنة من الصحابة والتابعين معروفون في أمصار الإسلام . منهم بالحجاز وبالكوفة والبصرة ثم بالشام ومصر . والجميع معروفون مشهورون في أعصارهم . وكانت طريقة أهل الحجاز في الأسانيد أعلى من سواهم وأمتن في الصحة ، لاشتدادهم في شروط النقل ، من العدالة والضبط ، بتجايفهم عن قبول المستورين المجهولة أحوالهم .

وسيد الطريقة الحجازية بعد السلف الإمام مالك عالم المدينة رضي الله تعالى عنه ، ثم أصحابه مثل الإمام أبي عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه وابن وهب وابن بكير والقعني ومحمد بن الحسن ومن بعدهم الامام أحمد بن حنبل في آخرين من أمثالهم . وكان علم الشريعة في مبداء هذا الامر نقلاً صرفاً ، شر لها السلف وتحروا الصحيح حتى أكلوها . وكتبه مالك رحمه الله كتاب الموطأ ، أودعه أصول الأحكام من الصحيح المتفق عليه ، ورثه على أبواب الفقه . ثم عني الحفاظ بمعرفة طرق الأحاديث وأسانيدها المختلفة . وربما يقع إسناد الحديث من طرق متعددة عن رواة مختلفين ، وقد يقع الحديث أيضاً في أبواب متعددة باختلاف المكاني التي اشتمل عليها . وجاء محمد بن اسماعيل البخاري إمام الحديثين في عصره ، فخرج أحاديث السنة على أبوابها في مسنده الصحيح بجميع الطرق التي للحجازيين واليراقين والشاميين . واعتمد منها ما أجمعوا عليه دون ما اختلفوا فيه ، وكرر الأحاديث يسوقها في كل باب ، بمعنى ذلك الباب الذي تضمنته الحديث ، فتكررت لذلك أحاديثه ، حتى يقال : إنه اشتمل على تسعة<sup>(١)</sup> آلاف حديث ومائتين ، منها ثلاثة آلاف متكررة ، وفرق الطرق والأسانيد عليها مختلفة في كل باب .

ثم جاء الإمام مسلم بن الحجاج الشيرازي رحمه الله تعالى ،

(١) علق الموريني في الطبعة البولاقية على هذا الحديث بقوله : قوله تسعة الذي في النووي عن مسلم أنها سبعة .

فألف مستند الصحيح ، هذا فيه حذو البخاري في نقل المجمع عليه ، وحذف المتكرر منها . وجمع الطرق والأسانيد ، وبوَّبه على أبواب الفقه وتراجمه . ومع ذلك فلم يستوعب الصحيح كله . وقد استدرك الناس عليها في ذلك . ثم كتب أبو داود السجستاني وأبو عيسى الترمذي وأبو عبد الرحمن النسائي ، في السنن بأوسع من الصحيح ، وقصدوا ما توفرت فيه شروط العمل : إما من الرتبة العالية في الأسانيد ، وهو الصحيح ، كما هو معروف ؛ وإما من الذي دونه من الحسن وغيره ، ليكون ذلك إماماً للسنن والعمل . وهذه هي المسانيد المشهورة في الامة ، وهي أتهات كتب الحديث في السنن ، فإنها وإن تعددت ترجع إلى هذه في الأغلب . ومعرفة هذه الشروط والاصطلاحات كلها هي علم الحديث ، وربما يفرد عنها الناسخ والنسوخ ؛ فيجعل فناً برأسه وكذا الغريب . وللناس فيه تأليف مشهورة ، ثم المؤلف والمختلف . وقد ألف الناس في علوم الحديث وأكثروا . ومن فحول علمائه وأتمتهم أبو عبد الله الحاكم ، وتأليفه فيه مشهورة ، وهو الذي هذب وأظهر بحاسنه . وأشهر كتاب للتأخرين فيه كتاب أبي عمرو بن الصلاح ، كان لهدى أوائل المائة السابعة ، وتلاه يحيى الدين النويري بثل ذلك . والفن شريف في مغزاه لأنه معرفة ما تحفظ به السنن المنقولة عن صاحب الشريعة . وقد انقطع لهذا العهد تحريج شيء من الأحاديث واستدراكها على المتقدمين ، إذ العادة تشهد بأن هؤلاء الأئمة ، على تعددهم وتلاحق عصورهم وكفائتهم واجتهادهم ، لم

يكونوا يُغفلوا شيئاً من السُّنة أو يتركوه حتى يعتز عليه المتأخر، هذا بعيد عنهم. وإنما تنصرفُ النِّتَايةُ لهذا السَّهْدِ إلى تصحيح الأُلهَاتِ المكتوبة، وضبطها بالرواية عن مصنفها، والنظر في أسانيدِها إلى مؤلفها، وعرض ذلك على ما تقرَّرَ في علم الحديث من الشروط والأحكام، لتتصلَّ الأسانيدُ بحكمة إلى مُنتهاها. ولم يؤيدوا في ذلك على النِّتَايةِ بأكثرَ من هذه الأُلهَاتِ الخمس إلا في القليل.

فأما البخاري، وهو أعلاها رتبة، فاستصعبَ الناسُ شرحه واستغلَّقوا مناه، من أجل ما يحتاجُ إليه من معرفة الطُّرقِ المتعدِّدة ورجالها من أهل الحجاز والشام والعراق، ومعرفة أحوالهم واختلافِ الناسِ فيهم. ولذلك يحتاجُ إلى إمعانِ النظر في التفقه في تراجمه؛ لأنه يترجمُ الترجمة ويوردُ فيها الحديث بسنده أو طريق، ثم يترجمُ أخرى ويوردُ فيها ذلك الحديث بعينه لما تضمنته من المعنى الذي ترجمَ به الباب. وكذلك في ترجمة و ترجمة إلى أن يتكرَّرَ الحديث، في أبواب كثيرة، بحسبِ معانيه واختلافها. ومن شرحه، ولم يستوفِ هذا فيه، فلم يوفِ حقَّ الشرح: كابن بطال وابن المهلب وابن التين ونحوهم. ولقد سمعتُ كثيراً من شيوخنا رحمهم الله يقولون: شرحُ كتابِ البخاري دينٌ على الأُمة، يعنون أن أحداً من علماء الأُمة لم يُوفِ ما يجبُ له من الشرح بهذا الاعتبار.

وأما صحيحُ مسلم فكثرَت عنايةُ علماء المغرب به، وأكثروا



عليه وأجمعوا على تفضيله على كتاب البخاري ، من غير الصحيح ، مما لم يكن على شرطه ، وأكثر ما وقع له في التراجم . وأملى الامام المارزي من فقهاء المالكية عليه شرحاً ، وسماه ( المعلم بفوائد مسلم ) . اشتمل على عيون من علم الحديث وفنون من الفقه . ثم أكله القاضي عياض من بعده وتّمعه ، وسماه إكمال المعلم . وتلاهما محيي الدين النووي ، بشرح استوفى ما في الكتابين ، وزاد عليهما ، فجاء شرحاً وافياً .

وأما كتب السنن الأخرى وفيها معظم ما أخذ الفقهاء ، فأكثر شرحها في كتب الفقه ، إلا ما يختص بعلم الحديث ؛ فكتب الناس عليها ، واستوفوا من ذلك ما يحتاج إليه من علم الحديث وموضوعاتها ، والاسانيد التي اشتملت على الأحاديث المعمول بها من السنة .

واعلم أن الأحاديث قد تميّزت مراتبها لهذا العهد ، بين صحيح وحسن وضعيف ومطلوب وغيرها ، تنزلها أئمة الحديث وجهابذنه وعرفوها . ولم يبق طريق في تصحيح ما يصح من قبل ولقد كان الأئمة في الحديث يعرفون الأحاديث بطرقها وأسانيدها ، بحيث لو روي حديث بغير سنن وطريقه يفتنون إلى أنه قد قلب عن وضعيه . ولقد وقع مثل ذلك للامام محمد بن اسماعيل البخاري ، حين ورد على بغداد ، وقصد المحدثون امتحانه فسالوه عن أحاديث قبلوا أسانيدها فقال : « لا أعرف هذه ، ولكن حدثني فلان » .

ثم أتى بجميع تلك الأحاديث على الوضع الصحيح ، ورد كل من إلى سندو ، وأقروا له بالإمامة .

واعلم أيضاً أن الأئمة المجتهدين تفاوتوا في الإكثار من هذه الصناعة والاقبال ، فأبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، يقال بلغت روايته إلى سبعة عشر حديثاً أو نحوها ، ومالك رحمه الله إنما صح عنه ما في كتاب الموطأ<sup>(١)</sup> وغايتها ثلثائة حديث أو نحوها ، وأحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في مسنده خمسون ألف حديث ، ولكل ما أذاه إليه اجتهاده في ذلك . وقد تقول بعض المبغضين المتسفين ، إلى أن منهم من كان قليل البضاعة في الحديث ؛ فهذا قلت روايته . ولا سبيل إلى هذا المتعدي في كبار الأئمة لأن الشريعة إنما تؤخذ من الكتاب والسنة . ومن كان قليل البضاعة من الحديث ؛ فيتمين عليه طلبه وروايته والجد والتشمير في ذلك ليأخذ الدين عن أصول صحيحة ، ويتلقى الأحكام عن صاحبها المبلغ لها . وإنما قلل منهم من قلل الرواية ، لاجل المطاعين التي تعترض فيها والعلم التي تعرض في طرقها ، سيما والجرح مقدم عند الأكثر ؛ فيؤديه الاجتهاد إلى ترك الأخذ بما يعرض مثل ذلك فيه من الأحاديث وطرق الأسانيد . ويكثر ذلك فتقل روايته لضعف الطرق .

(١) علق الموريني على هذه العبارة بقوله : الذي في شرح الزرقاني على الموطأ ، حكاية أقوال خمسة في عدة أحاديث : أولها خمسمائة ، ثانیها سبعمائة ، ثالثها ألف ونب ، رابعها ألف وسبعمائة وعشرون ، خامسها ستائة وستة وستون . وليس فيه قول بما في هذه النسخة .

هذا مع أن أهل الحجاز أكثر رواية للحديث من أهل العراق، لأن المدينة دار الهجرة ومأوى الصحابة، ومن انتقل منهم إلى العراق كان شغلهم بالجهاد أكثر. والامام أبو حنيفة إنما قلت روايته لما شدد في شروط الرواية والتحمل، وضعف رواية الحديث اليقيني إذا عارضها الفعل النفسي. وقلت من أجلها روايته فقل حديثه. لا أنه ترك رواية الحديث متميذاً، فحاشاه من ذلك. ويدل على أنه من كبار المجتهدين في علم الحديث اعتماد مذهبه بينهم، والتمويل عليه واعتباره رداً وقبولاً. وأما غيره من الحديثين وهم الجمهور، فتوسعوا في الشروط وكثر حديثهم، والكل عن اجتهاد. وقد توسع أصحابه من بعده في الشروط وكثرت روايتهم.

وروى الطحاوي فاكثرت وكتب مسنده، وهو جليل القدر؛ إلا أنه لا يغلل الصحيحين، لأن الشروط التي اعتمدها البخاري ومسلم في كتابيهما تجمع عليها بين الأئمة كما قالوه. وشروط الطحاوي غير متفق عليها، كالرواية عن المستور الحال وغيره؛ فهذا قُيِّم الصحيحان، بل وكتب السنن المرفوعة قُدمت عليه لتأخر شروطه عن شروطهم. ومن أجل هذا قيل في الصحيحين بالإجماع على قبولهما من جهة الإجماع على صحة ما فيها من الشروط المتفق عليها. فلا تأخذك رية في ذلك؛ فالقوم أحق الناس بالظن الجليل بهم، والتماس الخارج الصحيحة لهم. والله سبحانه وتعالى أعلم بما في حقائق الأمور.

## الفصل السابع

علم الفقه وما يتبعه من المناقض

الفقه هو معرفة أحكام الله تعالى في أفعال المكلفين ، بالوجوب والحظر والندب والكرهية والإباحة ، وهي متلقة من الكتاب والسنة وما نصبه الشارع لمعرفتها من الأدلة ، فإذا استخرجت الأحكام من تلك الأدلة قيل لها فقه . وكان السلف يستخرجونها من تلك الأدلة على اختلاف فيها بينهم . ولا بد من وقوعه ضرورة . فإن الأدلة من النصوص وهي بلغة العرب ، وفي اقتضات ألفاظها لكثير من معانيها وخصوصاً الأحكام الشرعية اختلاف بينهم معروف . وأيضاً فالسنة مختلفة الطرق في الثبوت وتعارض في الأكثر أحكامها ، فتحتمل إلى الترجيح وهو مختلف أيضاً . فالأدلة من غير النصوص مختلفة فيها ، وأيضاً فالوقائع المتجيدة لا توفي بها النصوص . وما كان منها غير ظاهر في النصوص فيحمل على منصوص لمشابهة بينها ، وهذه كلها مشاركات للخلاف ضرورة الوقوع . ومن هنا وقع الخلاف بين السلف والأئمة من بعدهم . ثم إن الصحابة لم يكونوا كلهم أهل فتن ، ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم ، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاقلين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه ومتشابهه ومحكيه وسائر دلالاته بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم من عليتهم ، وكانوا يسمون لذلك

القرآن ، أي الذين يقرأون الكتاب لأن العرب كانوا أمة أمية ،  
فاختص من كان منهم قارئاً للكتاب بهذا الاسم لفرايته يومئذ .  
وبقي الأمر كذلك صدر الملة . ثم عظمت أمصار الإسلام وذهبت  
الأمية من العرب بممارسة الكتاب ، وتمكن الاستنباط وكل الفقه  
وأصبح صناعة وعلماً فبدلوا باسم الفقهاء والعلماء من القراء . وانقسم  
الفقه فيهم الى طريقتين : طريقة أهل الرأي والقياس ، وهم أهل  
العراق ، وطريقة أهل الحديث ، وهم أهل الحجاز . وكان الحديث  
قليلاً في أهل العراق كما قدمناه ، فاستكتفوا من القياس ومروا  
فيه ، فذلك قيل أهل الرأي . ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب  
فيه وفي أصحابه أبو حنيفة ، وإمام أهل الحجاز مالك بن أنس  
والشافعي من بعده .

ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا السل به ، وهم  
الظاهرية . وجعلوا مدارك الشرع كلها منحصرة في النصوص  
والإجماع وردوا القياس الجلي والملة المنصوصة إلى النص ، لأن  
النص على الملة نص على الحكم في جميع محالها . وكان إمام هذا  
المذهب داود بن علي وابنه وأصحابها . وكانت هذه المذاهب  
الثلاثة هي مذاهب الجمهور المشتهرة بين الأمة . وشذ أهل البيت  
بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به ، وبنوه على مذهبه في تناول  
بعض الصحابة بالقدح ، وعلى قولهم بمصمة الأئمة ورفع الخلاف  
عن أقوالهم ، وهي كلها أصول واهية<sup>(١)</sup> . وشذ بمثل ذلك الخوارج .

(١) قال الله سبحانه : ورحة الله وبركاته عليكم أهل البيت - هود ٧٣ - إنما يريد الله ليذهب =

ولم يحفل الجهور بمذاهبهم بل أوسعوها جانب الإنكار والقبح . فلا نعرف شيئاً من مذاهبهم ولا زوي كتبهم ، ولا أثر شيء منها إلا في مواطنهم . فكتب الشيعة في بلادهم وحيث كانت دوتهم قائمة في المغرب والشرق واليمن ، والحوارج كذلك . ولكلهم منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة . ثم درس مذهب أهل الظاهر اليوم بدروس أثبتوا وإنكار الجهور على منتهيه ، ولم يبق إلا في الكتب المجلدة<sup>(١)</sup> . وربما يكف كثير من الطالبين ،

عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيراً - الأحزاب ٣٣ - . ويقول صاحب المقدمة : وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وجاء في مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رسول الله (ص) أنه قال : والنجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت ذهبوا ، وأهل بيتي أمان لأهل الأرض ، فإذا ذهب أهل بيتي فذل أهل الأرض . وجاء في صحيح مسلم أن رسول الله قال : «إني نارك فيكم الثقلين : أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به . . . تم قال : أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي» . ومحال أن يثبت النبي (ص) على التمسك بأهل البيت .

أما فقه أهل البيت فلا مصدر له إلا كتاب الله وسنة الرسول . جاء في كتاب «الكافي» ، وهو من أهمها كتب الحديث عن الإمامية أن الإمام جعفر الصادق قال : «كل شيء مردود إلى كتاب الله والسنة ، وكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زعير» . وفي كتاب «الحدائق» وهو من كتب الفقه المعتزلة عند الإمامية أن الإمام الصادق قال : «لا تقبلوا علينا خلاف القرآن فإننا إن تحدثنا حدثنا بموافقة القرآن والسنة ، إنا عن الله وعن رسوله نتحدث . . . فإذا أتاكم من يحدثكم بخلاف ذلك فردوه . إن لكلنا حقيقة ، وعليه نوراً ، فما لا حقيقة له ، ولا نور عليه فلذلك قول الشيطان» .

أما عصمة الأئمة فإن أهل البيت قالوا : لا تجوز إمامة الفساق والعصاة والسراق ، هذا إلى أن الله سبحانه قد طهرهم من الرجس والإثم : وعهد النبي بأنهم أمان لأهل الأرض ، ومن كان أماناً للناس كافة يجب أن يكون معصوماً من الزلل . أما نفي الخلاف عن أقوالهم فليس بأغرب من القول بعدالة جميع الصحابة . قال الشيخ محمد الحضي في كتابه «أصول الفقه» باب عدالة الصحابة «الصحابة جميعاً عنون لا يسأل عنهم ، ولا تطلب تركيبتهم» . وإن كثيراً من أهل السنة جعلوا قول الصحابي دليلاً شرعياً يجب العمل به فنقول أهل البيت أولى بالعمل والاتباع ، حيث لا يقاس بهم أحد ، كما جاء في الحديث الشريف .

(١) كذا ، وفي ب : في الكتب المخلدة .

ممن تكلف بانتحال مذهبيهم ، على تلك الكتب ، يوم أخذ فقيهيهم منها ومذهبيهم ، فلا يحلو بطائل ، ويصير الى مخالفة الجمهور وإنكارهم عليه . وربما عُدَّ بهذه النحلة من أهل البدع بتلقيه العلم من الكتب ، من غير مفتاح المعلمين .

وقد قلَّ ذلك ابن حزم بالأندلس ، على علو رتبته في حفظ الحديث ، وصار الى مذهب أهل الظاهر ، ونهر فيه ، باجتihad زعمه في أقوالهم . وخالف إمامهم داود وتعرض للكثير من أئمة المسلمين ؛ فنقم الناس ذلك عليه ، وأوسعوا مذهبه استيجاناً وإنكاراً ، وتلقوا كتبه بالاغفال والترك ، حتى إنها يُحظرُ بيعها بالأسواق ، وربما تُزقُّ في بعض الأحيان . ولم يبق إلا مذهب أهل الرأي من العراق وأهل الحديث من الحجاز .

فأما أهل العراق فإمامهم الذي استقرت عنده مذهبهم أبو حنيفة الثَّمان بن ثابت ، ومقامه في الفقه لا يلحق ، شهد له بذلك أهل جلدته وخصوصاً مالك والشافعي .

وأما أهل الحجاز فكان إمامهم مالك بن أنس الأصبحي إمام دار الهجرة رحمه الله تعالى . واختص بزيادة مدرِّك آخر للأحكام غير المدارك المعتبرة عند غيره ، وهو عمل أهل المدينة . لأنه رأى أنهم ، فيما يتفقون عليه ، من فعل أو ترك ، متابعون لمن قبلهم ، ضرورة لدينهم واقتنائهم ، وهكذا الى الجيل المباشر لفعل النبي ﷺ الآخذين ذلك عنه . وصار ذلك عنده من أصول الأدلة الشرعية . وظن كثير أن ذلك من مسائل الإجماع فانكره ،

لأنَّ دليلاً الإجماع لا يخصُّ أهل المدينة من سواهم ، بل هو شاملٌ للأمة .

واعلم أن الإجماع إما هو الاتفاقُ على الأمر الدينيّ عن اجتهادٍ . ومالكٌ رحمه الله تعالى لم يعتزَّ عملَ أهل المدينة من هذا المعنى ، وإما اعتبره من حيثُ اتباعُ الجيلِ بالمُشاهدة للجيلِ إلى أن ينتهيَ إلى الشارعِ صلوات الله وسلامه عليه . وضرورةُ اقتدائهم [ بعينِ ذلك يُعمُّ الملة <sup>(١)</sup> ] . ذُكرت في بابِ الإجماع لأنها أُلقيتْ الأبوابُ بها ، من حيثُ ما فيها من الاتفاقِ الجامعِ بينها وبين الإجماع . إلا أنَّ اتفاقَ أهل الإجماع عن نظره واجتهاده في الأدلّة ، واتفاق هؤلاء في فعلٍ أو تركٍ مستندين إلى مُشاهدته من قبلهم . ولو ذُكرت المسئلةُ في بابِ فعلِ النبي ﷺ وتقريره ، أو مع الأدلّة المختلفِ فيها مثلُ مذهبِ الصحابيِّ وشرع من قبلنا والاستصحابِ لكان أليقُ بها .

ثم كان من بعدِ مالك بن أنسٍ محدثُ إدريسَ المُطَّلبيّ الشافعيّ رحمه الله تعالى . رحلَ إلى العراقِ من بعدِ مالكٍ ولقيَ أصحابَ الإمامِ أبي حنيفةٍ وأخذَ عنهم ، ومزجَ طريقةَ أهلِ الحجازِ بطريقةَ أهلِ العراقِ ، واختصَّ بمذهبٍ . وخالفَ ما لكَ رحمه الله تعالى في كثيرٍ من مذهبه . وجاء من بعدهما أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله . وكان من عليّةِ الحديثين . وقرأ أصحابُه على أصحابِ الإمامِ أبي حنيفةٍ مع وفودِ بضاعتهم من الحديثِ ، فاخُصُّوا بمذهبٍ آخر . ووقفَ

(١) للمصوريين [ ورد في نسخة ب : «تعين ذلك نعم المسئلة وأظنه تحريفاً.



التقليدُ في الأمصارِ عند هؤلاء الأربعة ، ودرسَ المقلِّدونَ لمن سواهم . وسدَّ الناسُ بابَ الخلافِ وطرقَهُ لما كثرَ تشعُّبُ الاصطلاحاتِ في العلومِ . ولما عاقَ عن الوصولِ إلى ذنبَةِ الاجتهادِ ، ولما خشي من إسنادِ ذلك إلى غيرِ أهله ، ومن لا يوثقُ برأيه ولا بدينه ، فصرَّحوا بالمعز والإعوازِ ، وردَّوا الناسَ إلى تقليدِ هؤلاء ، كلُّ من اختصَّ به من المقلِّدينَ . وحظروا أن يُتداولَ تقليدُهم لما فيه من التلاعبِ . ولم يبقَ إلا نقلُ مذاهبهم . وعَمِلَ كلُّ مقلِّدٍ بمذهبٍ من قلَّةٍ منهم بعدَ تصحيحِ الأصولِ واتصالِ سندِها بالروايةِ ، لا حصولِ اليومِ للفقهِ غيرُ هذا .

ومدَّعي الاجتهادِ لهذا العهدِ مردودٌ منكوص على عقبيه هجورٌ تقليدُهُ . وقد صادَ أهلُ الاسلامِ اليومَ على تقليدِ هؤلاء الأئمةِ الأربعةِ . فأما أحمدُ بنُ حنبلٍ ، فقلدوه قليلٌ بعدَ مذهبه عن الاجتهادِ واصالتهِ في معاصنَةِ الروايةِ ، وللأخبارِ بعضها ببعضٍ . وأكثرُهم بالشامِ والعراقِ من بغدادَ ونواحيها ، وهم أكثرُ الناسِ حفظاً للسنةِ وروايةِ الحديثِ وميلًا بالاستنباطِ إليه عن القياسِ ما أمكنَ ، وكان لهم ببغدادِ صولةٌ وكثرةٌ ، حتى كانوا يتواقعون مع الشيعةِ في نواحيها . وعظمت الفتنة من أجل ذلك ، ثم انقطع ذلك عند استيلاء التترِ عليها . ولم يراجع وصارت كثرتهم بالشامِ . وأما أبو حنيفةَ فقلدَهُ اليومَ أهلُ العراقِ ومُسلمةُ الهندِ والصينِ ، وما وراءَ النهرِ وبلادُ المعجمِ كُلِّها . ولما كان مذهبُهُ أخصَّ بالعراقِ ودارِ السلامِ ، وكان تلاميذُهُ صحابةَ الخلفاء من بني العبَّاسِ ، فكثرت

تأليفهم ومناظراتهم مع الشافعية وحصلت مباحثهم في الخلافات ، وجاؤوا منها بعلم مستطرف وأنظار غريبة وهي بين أيدي الناس . وبالمغرب منها شيء قليل نقله إليه القاضي ابن العربي وأبو الوليد الباجي في رحلتها .

وأما الشافعي فقلده بمصر أكثر مما سواها ، وقد كان انتشر مذهبه بالعراق وخراسان وما وراء النهر ، وقاسموا الحنفية في الفتوى والتدريس في جميع الأمصار . وعظمت مجالس المناظرات بينهم وشيخت كتب الخلافات بأنواع استدلالهم . ثم درس ذلك كله بدروس المشرق وأقطاره . وكان الامام محمد بن إدريس الشافعي لما زل على بني عبد الحكم بمصر ، أخذ عنه جماعة منهم . وكان من تلميذه بها : البويطي والزني وغيرهم ، وكان بها من المالكية جماعة من بني عبد الحكم وأشهب وابن القاسم وابن المواز وغيرهم . ثم الحرث بن مسكين وبنوه ، ثم القاضي أبو اسحق بن شعبان وأصحابه .

ثم انقرض فقه أهل السنة والجماعة من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها <sup>(١)</sup> فقه أهل البيت وكاد من سواهم يتلاشوا ويذهبوا . وانتقل إليها القاضي عبد الوهاب من بغداد ، آخر المائة الرابعة ، على ما أعلم ، من الحاجة والتقلب في المعاش . فتأذن خلفاء العبيدين باكرامه ، وإظهار فضله نعيًا على بني العباس في أطراح مثل هذا الامام ، والاغتباط به . فنفتت سوق المالكية

(١) كذا في الأصل ومقتضى السياق : وتداول الناس بها فقه أهل البيت .

بمصر قليلاً ، إلى أن ذهبت دولة الميدين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ؛ فذهب منها فقه أهل البيت وعاد فقه الجماعة إلى الظهور بينهم ورجع إليهم فقه الشافعي وأصحابه من أهل العراق والشام ؛ فماد إلى أحسن ما كان ونفقت سوقه . واشتهر فيهم محيي الدين النوي من الحلبة التي ربيت في ظل الدولة الأيوبي بالشام وعز الدين بن عبد السلام أيضاً ، ثم ابن الرفعة بمصر وتقي الدين بن دقيق العيد ، ثم تقي الدين السبكي بعدهما . إلى أن انتهى ذلك إلى شيخ الاسلام بمصر لهذا العهد ، وهو سراج الدين البلقيني ؛ فهو اليوم كبير الشافعية بمصر ، لا بل كبير العلماء من أهل مصر .

وأما مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه أهل المغرب والأندلس . وإن كان يوجد في غيرهم ؛ إلا أنهم لم يقلدوا غيره إلا في القليل ، لما ان رحلتهم كانت غالباً إلى الحجاز ، وهو منتهى سفرهم . والمدينة يومئذ دأب العلم ، ومنها خرج إلى العراق ، ولم يكن العراق في طريقهم ، فاقصروا على الأخذ عن علماء المدينة . وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك وشيوخه من قبله وتلميذته من بعده . فرجع إليه أهل المغرب والأندلس وقلده دون غيره ، ممن لم تصل إليهم طريقته . وأيضاً فالداوة كانت غالباً على أهل المغرب والأندلس ، ولم يكونوا يعاون الحضارة التي لأهل العراق ؛ فكلوا إلى أهل الحجاز أميل لمناسبة الداوة . ولهذا لم يزل المذهب المالكي غصاً عندهم ، ولم يأخذ تنقيح الحضارة وتهذيبها كما وقع

في غيره من المذاهب . ولما صارَ مذهبُ كلِّ إمامٍ عالماً مخصوصاً عند أهل مذهبِهِ ، ولم يكن لهم سبيلٌ إلى الاجتهاد والقياس ؛ فاحتاجوا الى تنظير المسائل في الالحاق وتفريقها عند الاشتباه ، بعد الاستناد الى الأصول المقررة من مذهب إمامهم . وصارَ ذلك كله يحتاجُ الى ملكةٍ راسخة ، يُقَدِّرُ بها على ذلك النوع من التنظير أو التفرقة ، واتباع مذهب إمامهم فيها ما استطاعوا .

وهذه الملكةُ هي علمُ الفقه لهذا العهد . وأهل المغرب جميعاً مقلدون لما لكِ رحمه الله . وقد كان تلاميذه افترقوا بمصر والعراق ؛ فكان بالIraq منهم القاضي اسماعيلُ وطبقته مثلُ ابنِ خُوَيْرِزْمَدَادَ وابنِ اللَّبَّانِ<sup>(١)</sup> والقاضي أبو بكر الأبهري<sup>(٢)</sup> ، والقاضي أبو الحسين<sup>(٣)</sup> ابن القصار والقاضي عبد الوهاب ومن بعدهم . وكان بمصر ابن القاسم وأشهب وابن عبد الحكم والحارث<sup>(٤)</sup> بن مسكين وطبقتهم . ورحل من الأندلس يحيى بن يحيى الليثي ، وتقي مالكا . وروى عنه كتاب الموطأ ، وكان من جملة أصحابه . ورحل بعده عبد الملك ابن حبيب ؛ فأخذ عن ابن القاسم وطبقته ، وبث مذهب مالكا في الأندلس . ودون فيه كتاب الواضحة . ثم دون التتية من تلامذته كتاب التتية . ورحل من إفريقية أسد بن القرات ؛ فكتب عن أصحاب أبي حنيفة أولاً ، ثم انتقل الى مذهب مالكا . وكتب

(١) كذا ، وفي ب : ابن المتنب .

(٢) كذا ، وفي ب : أبو الحسن .

(٣) كذا ، وفي ب : الحارث .

علي ابن<sup>(١)</sup> القاسم في سائر أبواب الفقه، وجاء الى القيروان بكتابه  
 وُسَيِّ الأَسَدِيَّة نسبةً الى أَسَدِ بْنِ الْفَرَاتِ، فقرأ بها سُحْنُونُ  
 على أَسَدٍ ثُمَّ ارْتَحَلَ الى المَشْرِقِ ولقي ابنَ القاسم وأخذ عنه،  
 وعارضه بمسائل الأَسَدِيَّة؛ فَرَجَعَ عن كثير منها. وكتب سُحْنُونُ  
 مسائلها ودونها وأثبت ما رجع عنه منها، وكتب معه ابن القاسم  
 إلى أَسَدٍ أَنْ يَحْوِ مِنْ أَسَدِيَّتِهِ مَا رَجَعَ عَنْهُ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِكِتَابِ  
 سُحْنُونِ فَأَنْفَتَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَتَرَكَ النَّاسُ كِتَابَهُ وَاتَّبَعُوا مَدُونَةَ  
 سُحْنُونِ، عَلَى مَا كَانَ فِيهَا مِنْ اخْتِلَافِ الْمَسَائِلِ فِي الْأَبْوَابِ  
 فَكَانَتْ تَسَمَّى الْمَدُونَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ. وَعَكَفَ أَهْلُ الْقَيْرَوَانِ عَلَى هَذِهِ  
 الْمَدُونَةِ وَأَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْوَاضِحَةِ وَالْمُتَّبِعَةِ. ثُمَّ اخْتَصَرَ ابْنُ أَبِي  
 زَيْدٍ الْمَدُونَةَ وَالْمُخْتَلِطَةَ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْمُخْتَصَرِ وَحُصَّةٍ أَيْضًا  
 أَبُو سَعِيدٍ الْبَرَادَعِيُّ مِنْ فُقَهَاءِ الْقَيْرَوَانِ فِي كِتَابِهِ الْمُسَمَّى بِالْتَهْذِيبِ،  
 وَاعْتَمَدَ الشَّيْخَةُ مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةٍ وَأَخَذُوا بِهِ، وَتَرَكُوا مَا سِوَاهُ.  
 وَكَذَلِكَ اعْتَمَدَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ كِتَابَ الْمُتَّبِعَةِ وَهَجَرُوا الْوَاضِحَةَ  
 وَمَا سِوَاهَا. وَلَمْ يَزَلْ عَلَيْهِ الْمَذْهَبُ يَتَعَاهَدُونَ هَذِهِ الْأُمُتَاتِ بِالْشَّرْحِ  
 وَالْإِيضَاحِ وَالْجَمْعِ؛ فَكَتَبَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةٍ عَلَى الْمَدُونَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ  
 أَنْ يَكْتُبُوا مِثْلَ ابْنِ يُونُسَ وَالْخَمِيرِ وَابْنِ مُحَرِّزٍ وَالتَّوْنِسِيِّ وَابْنِ  
 بَشِيرٍ وَأَمْثَالِهِمْ. وَكَتَبَ أَهْلُ الْأَنْدَلُسِ عَلَى الْمُتَّبِعَةِ مَا شَاءَ اللَّهُ  
 أَنْ يَكْتُبُوا، مِثْلَ ابْنِ رَشْدٍ وَأَمْثَالِهِ. وَجَمَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ جَمِيعَ مَا  
 فِي الْأُمُتَاتِ مِنَ الْمَسَائِلِ وَالْخِلَافِ وَالْأَقْوَالِ فِي كِتَابِ النُّوَادِرِ،

(١) كذا، وفي ب: وكتب عن أبي القاسم.

فاشتمل عين جميع أقوال المذاهب، وفرع الأسماء كلها في هذا الكتاب. ونقل ابن يونس مُعْظَمَهُ في كتابه على المدونة، وزخرت بحار المذهب المالكي في الأقفان إلى انقراض دولة قُرْطَبَة والقُرْوان. ثم تَمَسَّكَ بها أهل المغرب بعد ذلك، [إلى أن جاء كتاب أبي عمرو ابن الحاجب، تَخَصَّصَ فيه طُرُقَ أهل المذهب في كل باب، وتعدد أقوالهم في كل مسألة، فجاء كالبرقاج للمذهب. وكانت الطريقة المالكية بقيت في مصر من لدن الحارث بن مسكين، وابن البشر وابن اللُّثَمِيَّ وابن رَشِيقٍ وابن شاس. وكانت بالاسكندرية في بني عوف وبني سَندٍ وابن عطاء الله. ولم أدرِ مَنْ أخذها أبو عمرو ابن الحاجب، لكنه جاء بعد انقراض دولة السَّيْديَّين، وذهاب فقه أهل البيت وظهور فقهاء السُّنَّة من الشافعية والمالكية. ولما جاء كتابه إلى المغرب آخر المائة السابعة<sup>(١)</sup>] عكف عليه الكثير

(١) إن المحصورين [ وود في نسخة ب هكذا:

وتميزت للمذهب المالكي ثلاث طرق: (للقرويين) وكبيرهم سحنون، الأخذ عن أبي القسم؛ و (للقرطيين) وكبيرهم ابن حبيب، الأخذ عن مالك ومطرف وابن المحشون وأصبغ؛ و (للعراقيين) وكبيرهم القاضي إسماعيل وأصحابه. وكانت طريقة المصريين تابعة للعراقيين وإن القاضي عبد الوهاب انتقل إليها من بغداد آخر المائة الرابعة وأخذ أهلها عنه. وكانت للطريقة المالكية بمصر من لدن الحارث بن مسكين وابن ميسر وابن اللُّثَمِيَّ وابن رَشِيقٍ وكانت خافية بسبب ظهور الرافضة وفقه أهل البيت. وأما طريقة العراقيين، فكانت مهجورة عند أهل القيروان والأندلس لبعدها وخفاء متركها وقلة اطلاعهم على ما تخضع فيها. والقوم أهل اجتهد، وإن كان خاصاً، لا يرون التقليد ولا يرضونه طريقاً. وكذلك نجد أهل المغرب والأندلس لا يأخذون برأي العراقيين، فيما لا يجدون فيه رواية عن الإمام أو أحد من أصحابه. ثم امتزجت الطرق بعد ذلك، ورحل أبو بكر الطرطوشي من الأندلس في المائة السادسة، ونزل البيت المقدس وأوطنه. وأخذ عنه أهل مصر والاسكندرية ومزجوا طريقة الأندلسية بطريقتهم المصرية. وكان من جملة أصحابه الفقيه سند صاحب الطراز وأصحابه، وأخذ عنهم جماعة، كان منهم بنو عوف وأصحابهم. وأخذ عنهم أبو=

من طلبية المغرب، وخصوصاً أهل نيجية، لما كان كبير مشيختهم أبو علي ناصر الدين الزواوي هو الذي جلبه الى المغرب. فإنه كان قرأ على أصحابه بمصر ونسخ مختصره ذلك، فجاء به وانتشر بقطر نيجية في تليذه، ومنهم انتقل الى سائر الأمصار المغربية. وطلبية الفقه بالمغرب لهذا العهد يتداولون قراءته ويتدارسونه، لما يؤثّر عن الشيخ ناصر الدين من الترغيب فيه. وقد شرحه جماعة من شيوخهم كابن عبد السلام وابن رشد<sup>(١)</sup> وابن هارون، وكلهم من مشيخة أهل تونس، وسابق حلبتهم في الإجابة في ذلك ابن عبد السلام، وهم مع ذلك يتأهّدون كتاب التهذيب في دروسهم. والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

عمرو بن الحاجب ويعلمه شهاب الدين القرافي. واتصل ذلك في تلك الأمصار. وكان فقه الشافعية أيضاً قد انقرض بمصر منذ دولة العبيدين من أهل البيت، فظهر بعدهم في الفقهاء الذين جددوه الرافعي فقيه خراسان منهم. وظهر بالشام محيي الدين النووي من تلك الحلة ثم استرجت طريقة المغاربة من المالكية أيضاً بطريقة العراقيين، من لدن الشرماسي. كان بالإسكندرية ظاهراً في الطريقة المغربية والمصرية؛ فبنى المستنصر العباسي أبو المعتمد وابن الظاهر مدرسته ببغداد واستدعاه لها من خلفاء العبيدين الذين كانوا يومئذ بالقاهرة؛ فأذنوا له في الرحيل إليه. فلما قدم ببغداد ولّاه تدريس المستنصرية، وأقام هنالك إلى أن استولى هولاكو على بغداد سنة ست وخمسين من المائة السابعة. وخلص من تيار تلك النكبة وخلا سبيله؛ فعاش هنالك، إلى أن مات في أيام ابنه أحمد أيقا. وتلخصت طرق هؤلاء المصريين بمنزلة بطرق المغاربة، كما ذكرناه، في مختصر أبي عمرو بن الحاجب، بذكر فقه الباب في مسائله المتفرقة، ويذكر الأقوال في كل مسألة على تعدادها؛ فجاء كالبرنامج للمذهب. ولما ظهر بالمغرب آخر المائة السابعة.

(١) كذا، وفي ب: ابن راشد.

## الفصل الثامن

### علم الفرائض

وأما علم الفرائض ، وهو معرفة فروض الوراثة وتصحيح سهام الفريضة ، من كم تصح ، باعتبار فروضها الأصول أو مناسبتها . وذلك إذا هلك أحد الورثة وانكسرت سهامه على فروض ورثته ، فانه حينئذ يحتاج إلى حساب يصحح الفريضة الأولى حتى يصل أهل الفروض جميعاً في الفريضة إلى فروضهم من غير تجزئة . وقد تكون هذه المناسبات أكثر من واحد واثنين ، وتتمدد كذلك بحد أكثر . ويقدر ما تتمدد تحتاج إلى الحساب ، وكذلك إذا كانت فريضة ذات وجهين ، مثل أن يُقر بعض الورثة بوارث وينكره الآخر فتصحح على الوجهين حينئذ . وينظر مبلغ السهام ، ثم تقسم التركة على نسب سهام الورثة من أصل الفريضة . وكل ذلك يحتاج إلى الحساب ، فافردوا هذا الباب من أبواب الفقه ، لما اجتمع فيه إلى الفقه من الحساب . وكان غالباً فيه ، وجعلوه فناً مفرداً . والناس فيه تأليف كثيرة ، أشهرها عند المالكية من متأخري الأندلس كتاب ابن ثابت ، وعنصر القاضي أبي القاسم الحوفي ثم الجعدي ، ومن متأخري إفريقية ابن النير<sup>(١)</sup> الطرابلسي وأمثالهم .

(١) كذا ، وفي ب : ابن المنير .



وأما الشَّافِعِيُّ والحَنَفِيُّ والخَنَابِلَةُ، فلهُم فيه تَأْلِيفٌ كَثِيرَةٌ  
وأَعْمَالٌ عَظِيمَةٌ صَعْبَةٌ، شَاهِدَةٌ لَهُم بِاتِّسَاعِ الْبَاعِ فِي الْفِقْهِ وَالْحِسَابِ،  
وخصوصاً أَبَا الْمَعَالِي رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَأَمَثَالُهُ مِنْ أَهْلِ الْمَذْهَبِ.  
وهو فَنٌّ شَرِيفٌ جَلِيهٌ بَيْنَ الْمَقُولِ وَالْمَنْقُولِ، وَالْوَصُولِ بِهِ إِلَى  
الْحَقُوقِ فِي الْوَرَاثَاتِ، بِوُجُودِ صَحِيحَةٍ يَقِينَةٍ، عِنْدَمَا يُجْهَلُ الْخَطُوطُ  
وَتَشْكِيلُ عَلَى الْقَاسِمِينَ. وَلِلْعُلَمَاءِ مِنْ أَهْلِ الْأَمْصَارِ بِهَا عَنَاءٌ.  
وَمِنَ الْمُصَنِّفِينَ مَنْ يَحْتَاجُ فِيهَا إِلَى الْعُلُوقِ فِي الْحِسَابِ، وَفَرْضِ  
الْمَسَائِلِ الَّتِي تَحْتَاجُ إِلَى اسْتِخْرَاجِ الْمَجْهُولَاتِ مِنْ فُنُونِ الْحِسَابِ:  
كَالْجَبْرِ وَالْمَقَابَلَةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْجُذُورِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ، فَيَمْلَأُونَ بِهَا  
تَأْلِيفَهُمْ. وَهُوَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مُتَدَاوِلًا بَيْنَ النَّاسِ، وَلَا يَفِيدُ فِيهَا  
يَتَدَاوَلُونَهُ مِنْ وَرَاثَتِهِمْ لِقُرَابَتِهِ وَقَلَّةِ وَقُوعِهِ، هُوَ يَفِيدُ الْمِرَانَ  
وَتَحْصِيلَ الْمَلَكََةِ فِي التَّدَاوُلِ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُودِ.

وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْأَكْثَرُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْفَنِّ عَلَى فَضْلِهِ، بِالْحَدِيثِ  
الْمَنْقُولِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ الْفَرَاغِضَ ثَلَاثُ الْعِلْمِ  
وَأَنَّهَا أَوَّلُ مَا يُنْسَى، وَفِي رِوَايَةٍ: نَصْفُ الْعِلْمِ، خُرْجَةُ أَبُو نَعِيمٍ  
الْحَافِظُ. وَاحْتِجَّ بِهِ أَهْلُ الْفَرَاغِضِ، بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْمَرَادَ بِالْفَرَاغِضِ  
فُرُوضُ الْوَرَاثَةِ. وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ هَذَا الْحَمْلَ بَعِيدٌ، وَإِنَّ الْمَرَادَ  
بِالْفَرَاغِضِ إِنَّمَا هِيَ الْفَرَاغِضُ التَّكْلِيفِيَّةُ فِي الْعِبَادَاتِ وَالْعَادَاتِ  
وَالْمَوَارِيثِ وَغَيْرِهَا. وَبِهَذَا الْمَعْنَى يَصِحُّ فِيهَا التَّصْفِيَّةُ وَالثَّلَاثِيَّةُ.

وَأَمَّا فُرُوضُ الْوَرَاثَةِ فَهِيَ أَقْلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى  
عُلُومِ الشَّرِيعَةِ كُلِّهَا. وَيَعْنِي هَذَا الْمَرَادُ أَنَّ حَمْلَ لَفْظِ الْفَرَاغِضِ عَلَى

هذا الفن المخصوص ، أو تخصيصه بفروض الوراثة ، إنما هو اصطلاح ناشئ للفقهاء عند حدوث الفنون والاصطلاحات . ولم يكن ، صدر الاسلام ، يُطلق هذا اللفظ إلا على عموميه مشتقاً من الفرض الذي هو ، لغة ، التقدير أو القطع . وما كان المراد به في إطلاقه إلا جميع الفروض كما قلناه ، وهي حقيقتها الشرعية ، فلا ينبغي أن يُحمل إلا على ما كان يُحمل في عصرهم فهو أليق برآدهم منه . والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق .

## الفصل التاسع

أصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والمناظرات

إعلم أن أصول الفقه من أعظم العلوم الشرعية وأجلها قدراً وأكثرها فائدة ، وهو النظر في الأدلة الشرعية من حيث تؤخذ منها الأحكام والتكاليف . وأصول الأدلة الشرعية هي الكتاب الذي هو القرآن ، ثم السنة المبيّنة له . فعلى عهد النبي ﷺ كانت الأحكام تُنتقى منه ، بما يوحى إليه من القرآن ويبينه بقوله وفعله ، بخطاب ينفاهي لا يحتاج إلى نقل ولا إلى نظر وقياس . ومن بعده صلوات الله وسلامه عليه تعذر الخطاب الشفاهي وانحفظ القرآن بالتواتر . وأما السنة فأجمع الصحابة رضوان الله تعالى عليهم على وجوب العمل بما يصل إلينا منها ، قولاً أو فعلاً ،

بالتقلد الصحيح ، الذي يُلَبَّ على الظن صدقهُ . وتعين دَلَالَةُ  
الشرع في الكتاب والسنة بهذا الاعتبار ، ثم تنزل الاجماع منزلتها  
لاجماع الصحابة على التكثير على مخالفهم . ولا يكون ذلك إلا  
عن مستند لأنّ مثلهم لا يتفقون من غير دليل ثابت ، مع شهادة  
الأدلة بمصّة الجماعة ؛ فصارت الاجماع دليلاً ثابتاً في الشرعيات .

ثم نظرنا في طرق استدلال الصحابة والسلف بالكتاب والسنة ؛  
فإذا هم يقيسون الأشياء منها بالأشياء . وينظرون الأمثال  
بالأمثال باجماع منهم ، وتسليم بعضهم لبعض في ذلك . فإن كثيراً  
من الواقيات بعده صلوات الله وسلامه عليه ، لم تندرج في  
النصوص الثابتة ؛ ففاسوها بما ثبت ، وألحقوها بما نص عليه ،  
بشروط في ذلك اللاحق ، تصحح تلك المساواة بين الشبهين أو  
المثلين . حتى يُلَبَّ على الظن أنّ حكم الله تعالى فيهما واحد ،  
وصارت ذلك دليلاً شرعياً باجماعهم عليه ، وهو القياس ، وهو رابع الأدلة .

واتفق جمهور العلماء على أنّ هذه هي أصول الأدلة ، وإن  
خالف بعضهم في الإجماع والقياس ، إلا أنه شذوذ . وألحق  
بعضهم بهذه الأدلة الأربعة أدلة أخرى لا حاجة بنا إلى ذكرها ،  
لضعف مداركها وشذوذ القول فيها . فكان من أول مباحث هذا  
الفن النظر في كون هذه أدلة . فأما الكتاب فدليله المعجزة  
القاطعة في متبه ، والنوازل في نقله ؛ فلم يبق فيه مجال للاحتمال .  
وأما السنة وما نُقِلَ إلينا منها ؛ فالاجماع على وجوب العمل بما  
يصح منها كما قلناه ، معتزداً بما كان عليه العمل في حياته صلوات

الله وسلامه عليه ، من إنفاذِ الكُتُبِ والرُّسلِ الى النواحي بالأحكامِ والشرائعِ آيراً وناهياً . وأما الاجماعُ فلا تفاقيمَ رضوانُ الله تعالى عليهم على إنكارِ مخالفتهم مع العصمةِ الثابتةِ للأمةِ . وأما القياسُ فإجماعُ الصحابةِ رضي الله عنهم عليه كما قدَّمناه . هذه أصولُ الأدلةِ . ثم إنَّ المنقولَ من السُّنةِ محتاجٌ إلى تصحيحِ الخبرِ ، بالنظرِ في طُرُقِ النقلِ وعدالةِ الناقلينَ ، لتتميُّزِ الحالةِ المحصلةِ للظنِّ بصدقيهِ ، الذي هو مناطُ وجوبِ العملِ بالخبرِ . وهذه أيضاً من قواعدِ الفنِّ .

ويُلحقُ بذلك ، عندَ التمازُجِ بينَ الخبرينِ ، وطلبِ المتقَيِّمِ منهما ، معرفةُ الناسخِ والمنسوخِ ، وهي من فصوله أيضاً وأبوابه . ثم بعد ذلك يتعيَّنُ النظرُ في دلالاتِ الألفاظِ ؛ وذلك أنَّ الاستفادةَ المعاني على الإطلاقِ ، من تراكيبِ الكلامِ على الإطلاقِ ، يتوقَّفُ على معرفةِ الدلالاتِ الوضعيةِ مفردةً ومركبةً . والقوانينُ السائبةُ في ذلك هي علومُ النحرِ والتصريفِ والبيانِ . وحينَ كانَ الكلامُ (١) ملكةً لأهلِهِ لم تكن هذه علوماً ولا قوانينَ ، ولم يكنِ الفقهُ حينئذٍ محتاجاً إليها ، لأنها جيلةٌ وملكةٌ . فلما فسدتِ الملكةُ في لسانِ الرِّبِّ ، قيَّدها الجهايذةُ المتجرِّدونَ لذلك ، بنقلِ صحيحِ ومقاييسَ مستنبطةٍ صحيحةٍ ، وصارت علوماً محتاجاً إليها الفقيهُ في معرفةِ أحكامِ الله تعالى . ثم إنَّ هناكِ استفاداتٍ أخرى خاصةً من تراكيبِ الكلامِ ، وهي استفادةُ الأحكامِ الشرعيةِ بينَ المعاني من

(١) كذا ، وفي ب : اللسان .

أدلتها الخاصة بين تراكيب الكلام وهو الفقه.

ولا يكفي فيه معرفة الدلالات الوضعية على الإطلاق، بل لابد من معرفة أمور أخرى تتوقف عليها تلك الدلالات الخاصة، وبها تستفاد الأحكام بحسب ما أصل أهل الشرع وجابذة العلم من ذلك، وجعلوه قوانين لهذه الاستفاد. مثل أن اللغة لا تثبت قياساً، والمشارك لا يراد به معناه معاً، والواو لا تقتضي الترتيب، والعام إذا أخرجت أفراد الخاص منه هل يبقى حجة فيما عداها؟ والأمر للوجوب أو الندب وللغور أو التراخي، والنهي يقتضي الفساد أو الصحة، والمطلق هل يحمل على المقيد؟ والنص على العلة كافر في التعدد أم لا<sup>(١)</sup>؟ وأمثال هذه. فكانت كلها من قواعد هذا الفن. ولكونها من مباحث الدلالة كانت لغوية. ثم إن النظر في القياس من أعظم قواعد هذا الفن، لأن فيه تحقيق الأصل والفرع فيما يقاس وبماثل من الأحكام وتنقيح الوصف الذي يغلب على الظن أن الحكم علق به في الأصل، من تبين أوصاف ذلك المثل، أو وجود ذلك الوصف في الفرع، من غير معارض يمنع من ترتيب الحكم عليه إلى مسائل أخرى من قواعد ذلك، كلها قواعد لهذا الفن.

واعلم أن هذا الفن من الفنون المستحدثة في اللغة، وكان السلف في غيبة عنه، بما أن استفادة المعاني من الألفاظ لا يحتاج فيها إلى أزيد مما عندهم من الملكية اللسانية. وأما القوانين التي

(١) كذا، ب: في التعليق أولاً.

يُحتاجُ إليها في استفادة الأحكام خصوصاً ، فعنهم أخذَ معظمها .  
وأما الاسانيدُ فلم يكونوا يحتاجون إلى النظر فيها ، لقربِ العصرِ  
وممارسةِ النقلةِ وخبرتهم بهم . فلما انقضى السلفُ ، وذهبَ الصدرُ  
الأوّلُ وانقلبت العلومُ كلّها صناعةً كما قرّرناه من قبل ، احتاجَ  
الفقهاءُ والمجتهدون إلى تحصيلِ هذه القوانين والقواعد ، لاستفادةِ  
الأحكام من الأدلّة ؛ فكتبوها فناً قائماً برأيه سنوّهُ أصولُ الفقه .  
وكان أوّل من كتبَ فيه الشافعيّ رضي الله تعالى عنه . أملى فيه  
رسائله المشهورة ، تكلمَ فيها في الأوامر والنواهي والبيان والخبرِ  
والنسخ وحكمِ العِلّة المنصوصة من القياس . ثم كتبَ فقهاء الحنفيّة  
فيه وحَقّقوا تلك القواعد وأوسّعوا القولَ فيها . وكتبَ المتكلمونُ  
أيضاً كذلك ؛ إلا أن كتابة الفقهاء فيها أمسّ بالفقه وأليقُ بالفروع ،  
لكثرة الأمثلة منها والشواهد ، وبناء المسائل فيها على النكتِ  
الفقهية . والمتكلمونُ يجرّدون صورَ تلك المسائل عن الفقه ، ويميلونَ  
إلى الاستدلالِ العقليّ ما أمكن ، لأنه غالبُ فنونهم ومقتضى  
طريقتهم ؛ فكانَ لفقهاء الحنفيّة فيها اليدُ الطولى من الفوصِ على  
النكتِ الفقهية ، والتقاطِ هذه القوانين من مسائل الفقه ما أمكن .  
وجاء أبو زيد الدبوسيُّ من أئمتهم ؛ فكتبَ في القياس بأوسع  
من جميعهم ، وتَمَّ الأبحاث والشروط التي يحتاجُ إليها فيه ، وكتبت  
صناعةُ أصول الفقه بكامله ، وتهذبت مسائله وتمهدت قواعده ، وعُنيَ  
الناسُ بطريقتِ المتكلمين فيه . وكان من أحسن ما كتبَ فيه  
المتكلمون ، كتابُ البرهان للإمام الحرميّ ، والمستصفي للغزاليّ ،

وهما من الأشعرية. وكتاب العهد<sup>(١)</sup> لعبد الجبار ، وشرحه المعتد  
لأبي الحسين البصري ، وهما من المعتزلة . وكانت الأربعة ، قواعد  
هذا الفن وأركانه . ثم لخص هذه الكتب الأربعة فحلان من  
التكلمين ، المتأخرين ، وهما الامام فخر الدين بن الخطيب في  
كتاب الحصول ، وسيف الدين الأيماني في كتاب الأحكام .  
واختلف طرائقهما في الفن بين التحقيق والاحتجاج . فابن الخطيب  
أميل الى الاستكثار من الأدلة والاحتجاج ، والأيماني مولع  
بتحقيق المذاهب وتفريغ المسائل . وأما كتاب الحصول ، فاختصره  
تلميذ الامام مثل سراج الدين الأرموي في كتاب التحصيل ،  
وتاج الدين الأرموي في كتاب الحاصل . واقتطف شهاب الدين  
القراي منهما مقدمات وقواعد في كتاب صغير سماه التنقيحات .  
وكذلك فعل البيضاوي في كتاب المنهاج . وعني الابتدئون بهذين  
الكتابين ، وشرحهما كثير من الناس . وأما كتاب الأحكام للأيماني  
وهو أكثر تحقيقاً في المسائل ، فلخصه أبو عمرو بن الحاجب في  
كتابه المعروف بالمختصر الكبير . ثم اختصره في كتاب آخر  
تداوله طلبة العلم ، وعني أهل المشرق والمغرب به وبمطالعته  
وشرحه . وحصلت زبدة طريقة التكلمين في هذا الفن في هذه  
المختصرات .

وأما طريقة الحنيفة فكتبوا فيها كثيراً ، وكان من أحسن  
كتابة المتقدمين فيها تأليف أبي زيد الدبوسي ؛ وأحسن كتابة

(١) كذا ، وفي ب : كتاب العهد .

المتأخرين فيها تأليف سيف الإسلام البزدوي من أئمتهم ، وهو مستوعب . وجاء ابن الساعاتي من فقهاء الحنفية فجمع بين كتاب الأحكام وكتاب البزدوي في الطريقتين ، وسمى كتابه بالبدائع ؛ فجاء من أحسن الأوضاح وأبدعها ، وأثمة العلماء لهذا الهدى تداولونه قراءةً وبجثاً . وأولع كثير من علماء الصّحـم بشرحه . والحال على ذلك لهذا الهدى .

هذه حقيقة هذا الفن وتعيين موضوعاته وتعدد التأليف المشهورة لهذا الهدى فيه . والله ينعمنا بالعلم ، ويحسنا من أهله ، بمنه وكرمه ، إنّه على كل شيء قدير .

### الخاتمة

وأما الخلافات فاعلم أن هذا النّعة المستنبط من الأدلة الشرعية كثير فيه الخلاف بين المجتهدين ، باختلاف مداركهم وأنظاريهم ، خلافاً لا بدّ من وقوعه لما قدّمناه . واتسع ذلك في الملّة اتّساعاً عظيماً ، وكان للمقلّدين أن يقلّدوا من شاؤوا منهم . ثم لما انتهى ذلك إلى الأئمة الأربعة من علماء الأمصار ، وكانوا بمكان من حسن الظنّ بهم ، اقتصر الناس على تقليديهم ، ومنعوا<sup>(١)</sup> من

(١) الضمير في منعوا يعود إلى : «الناس» أي ، ومنع الناس . . . الخ . وهل يجوز أن يصدر منع يخص بأمر ديني مهم عن غير الله أو رسوله ؟ روي أن أحد المعتمدين قال للإمام المصلح الشيخ محمد عبده : «إن باب الاجتهاد مسدود ، وإنّا نراك تحتهد» فأجاب الشيخ جوابه التاريخي قائلاً : «ومن سده ؟» فارتج على السائل ولم يحجر جواباً . يجب أن تصدر المسائل الدينية الإسلامية عن ينبوعين أساسيين هما : القرآن الكريم وكلام الرسول وهو السنة النبوية .



تقليد سوانهم ، لذهاب الاجتهاد ، لصعوبته وتشعب العلوم التي هي مواده ، باتصال الزمان واقتاد من يقوم على سوى هذه المذاهب الأربعة . فأقيمت هذه المذاهب الأربعة على أصول الملة ، وأجريت الخلاف بين المتمسكين بها ، والآخذين بأحكامها مجرى الخلاف في النصوص الشرعية والأصول الفقهية .

وجرت بينهم المناظرات في تصحيح كل منهم مذهب إمامه ، تجري على أصول صحيحة وطرائق قوية ، يحتاج بها كل على صحة مذهبه الذي قلده وتمسك به . وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه : فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك ، وأبو حنيفة يوافق أحدهما وتارة بين مالك وأبي حنيفة ، والشافعي يوافق أحدهما وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة ، ومالك يوافق أحدهما . وكان في هذه المناظرات بيان مأخذ هؤلاء الأئمة ، ومنازل اختلافهم ومواقع اجتهادهم . كان هذا الصنف من العلم يسمى بالخلافات . ولا بد لصاحبه من معرفة القواعد التي يتوصل بها إلى استنباط الأحكام كما يحتاج إليها المجتهد ؛ إلا أن المجتهد يحتاج إليها للاستنباط ، وصاحب الخلافات يحتاج إليها لحفظ تلك المسائل المستنبطة من أن يهدمها المخالف بادلته .

وهو لمعري علم جليل الفائدة في معرفة مأخذ الأئمة وأدلتهم ، ويران<sup>(١)</sup> المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه . وتأليف الحنفية والشافعية فيه أكثر من تأليف المالكية ؛ لأن

(١) كذا ، وفي ب : وميزات .

القياس عند الحنفية أصل للكثير من فروع مذهبهم كما عرفت ، فهم لذلك أهل النظر والبحث . وأما المالكية فالآثر أكثر معتمديهم وليسوا بأهل نظر . وأيضاً فأكثرتهم أهل المغرب ، وهم بادية غفل من الصنائع إلا في الأقل . وللغزالي رحمه الله تعالى فيه كتاب المآخذ ، ولأبي بكر العربي من المالكية كتاب التلخيص جلبه من المشرق ، ولأبي زيد الدبوسي كتاب التعليق ، ولابن القصار من شيوخ المالكية عيون الأدلة ، وقد جمع ابن الساعاتي في مختصره في أصول الفقه جميع ما ينبنى عليها من الفقه الخلافية ، مُدرجاً في كل مسألة منه ما ينبنى عليها من الخلافات .

### البطل

وأما الجدل وهو معرفة آداب المناظرة التي تجري بين أهل المذاهب الفقهية وغيرهم ، فانه لما كان باب المناظرة في الرد والقبول متبوعاً ، وكل واحد من المتناظرين في الاستدلال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج . ومنه ما يكون صواباً ومنه ما يكون خطأ ، فاحتاج الأئمة إلى أن يضعوا آداباً وأحكاماً يقف المتناظران عند حدودها في الرد والقبول ، وكيف يكون حال المستدل والمجيب ، وحيث يسوغ له أن يكون مستدلاً ، وكيف يكون مخصوصاً منقطعاً ، وعمل اعتراضه أو معارضته ، وأين يجب عليه السكوت لخصه الكلام والاستدلال . ولذلك قيل فيه إنه معرفة بالقواعد ،

من الحدود والآداب ، في الاستدلال ، التي يتوصل بها الى حفظ رأي أو هدمه ، كان ذلك الرأي من الفقه أو غيره . وهي طريقتان : طريقة البردوي ، وهي خاصة بالأدلة الشرعية من النص والاجماع والاستدلال ؛ وطريقة العميدي ، وهي عامة في كل دليل يستدل به من أي علم كان ، وأكثره استدلال . وهو من المناحي الحسنة ، والمغالطات فيه في نفس الأمر كثيرة . وإذا اعتبرنا النظر المنطقي كان في الغالب أشبه بالقياس المغالطي والسوفسطائي . إلا أن صورة الأدلة والأقيسة فيه محفوظة مراعاةً يُتحرى فيها طرق الاستدلال كما ينبغي . وهذا العميدي هو أول من كتب فيها ونُسبت الطريقة إليه . وضع الكتاب المسمى بالارشاد مختصراً ، وتبعه من بعده من المتأخرين كالنسي وغيره ، جاؤا على أثره وسلكوا مسلكه وكثرت في الطريقة التأليف . وهي لهذا العهد مهجورة لنقص العلم والتعليم في الأمصار الإسلامية . وهي مع ذلك كالأية وليست ضرورية . والله سبحانه وتعالى أعلمُ وبه التوفيق .

## الفصل العاشر

### علم الكلام

وهو علم يتصنعُ الججاج عن العقائد الإيمانية ، بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعة المنحرفين في الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة . وسرُّ هذه العقائد الإيمانية هو التوحيد . فلنقدم هنا

لطيفة في برهان عقلي. يكشف لنا عن التوحيد على أقرب الطرق والمآخذ، ثم ترجع الى تحقيق علم الكلام وفيما ينظر ونشير الى حدوثه في الملة، وما دعا الى وضعه فنقول: إعلم أن الحوادث في عالم الكائنات سواء كانت من الدوات أو من الأفعال البشرية أو الحيوانية فلا بد لها من أسباب متقدمة عليها بها تقع في مستقر العادة، وعنها يتم كونه. وكل واحد من تلك الأسباب حادث أيضاً، فلا بد له من أسباب أخرى. ولا تال تلك الأسباب مرتبة حتى تنتهي إلى مسبب الأسباب وموجدها وخالقها. لا إله إلا هو سبحانه.

وتلك الأسباب في ارتقاها تتضاعف فتتفسح طولا وعرضا، ويحار العقل في إدراكها وتعديدها. فإذا لا يحصرها إلا العلم المحيط، سيما الأفعال البشرية والحيوانية؛ فإن من جملة أسبابها في الشاهد الفسوة والإرادات، إذ لا يتم كون الفعل إلا بإرادته والقصد إليه. والقصود والإرادات أمور نفسانية ناشئة في الغالب عن تصورات سابقة، يتلو بعضها بعضاً. وتلك التصورات هي أسباب قصد الفعل. وقد تكون أسباب تلك التصورات تصورات أخرى، وكل ما يقع في النفس من التصورات فبحول سببه، إذ لا يطلع أحد على مبادئ الأمور النفسانية، ولا على ترتيبها. إنما هي أشياء يلقيها الله في الفكر، يتبع بعضها بعضاً، والانسان عاجز عن معرفة مبادئها وغاياتها. وإنما يحيط علماً في الغالب بالأسباب التي هي طبيعة ظاهرة، وتقع في مداركها على

نظام وترتيب، لأن الطبيعة محصورة للنفس وتحت طورها . وأما التصورات فبساطتها أوسع من النفس ، لأنها للعقل الذي هو فوق طور النفس ، فلا تكاد النفس تدرك الكثير منها فضلاً عن الإحاطة . وتأمل من ذلك حكمة الشارع في نهيه عن النظر إلى الأسباب والوقوف معها ، فإنه وإدبهم فيه الفكر ولا يتجول<sup>(١)</sup> منه بظائله ، ولا يظفر بحقيقة . قل الله ، ثم ذرهم في خوضهم يلعبون . وربما انقطع في وقوفه عن الارتقاء الى ما فوقه فزلت قدمه ، وأصبح من الضالين الهالكين . نعوذ بالله من الحرمان والحسران المبين .

ولا تحسبن أن هذا الوقوف أو الرجوع عنه في قدرتك أو اختيارك ؛ بل هو لون يحصل للنفس وصبغة تستحكم من الخوض في الأسباب على نسبة لا نعلمها . إذ لو علمناها لحررتنا منها . فلنتحرر من ذلك بقطع النظر عنها جملة . وأيضاً فوجه تأثير هذه الأسباب في الكثير من مسبباتها مجهول ؛ لأنها إنما يوقف عليها بالعادة ، وقضية الاقتراحين الشاهدين بالاستناد إلى الظاهر . وحقيقة التأثير وكيفية مجهولة ، ﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ، فذلك أمرنا بقطع النظر عنها وإلغائها جملة ، والتوجه إلى مسبب الأسباب كلها وفاعلها وموجدتها ؛ لترسخ صبغة التوحيد في النفس ، على ما علمنا الشارع الذي هو أعرف بمصالح ديننا ، وطرق سعادتنا ، لإطلاعه على ما وراء الحس .

(١) ورد في لسان العرب : « قال ابن بري : وقولهم لم يجل بالظائل أي لم يظفر ولم يستفد . »



أوسع نطاقاً من ذلك ، والله من ورائهم محيط . فأتهم إدراكك ومدركاتك في الحصر ، وأتبع ما أمرك الشارع به في اعتقادك وعملك ؛ فهو أحرص على سعادتك ، وأعلم بما ينفعك ؛ لأنه من طورٍ فوق إدراكك ، ومن نطاقٍ أوسع من نطاق عقلك . وليس ذلك بقادح في العقل ومداركه ؛ بل العقل ميزانٌ صحيحٌ ، فأحكامه يقينية لا كذب فيها . غير أنك لا تطمع أن ترين به أمور التوحيد والآخرة ، وحقيقة النبوة ، وحقائق الصفات الإلهية ، وكل ما وراء طوريه ، فإن ذلك طمعٌ في محال .

ومثال ذلك مثال رجل رأى الميزان الذي يوزن به الذهب ؛ فطمع أن يزن به الجبال ، وهذا لا يدرك . على أن الميزان في أحكامه غير صادق ؛ لكن للعقل حدٌ يقف عنده ولا يتعدى طوره ، حتى يكون له أن يحيط بالله وبصفاته ، فانه ذرة من ذرات الوجود الحاصل منه . وتقفن من هذا النقط من يقدم العقل على السمع في أمثال هذه القضايا ، وقصور فهمه واضمحلال رأيه ؛ فقد تبين لك الحق من ذلك . وإذا تبين ذلك ، فلعل الأسباب إذا تجاوزت في الارتقاء نطاق إدراكنا ووجودنا ، خرجت عن أن تكون مذكرة ؛ فيضل العقل في بیداء الأوهام ، ويجاز وينقطع . فإذا : التوحيد هو العجز عن إدراك الأسباب وكيفيات تأثيراتها ، وتفويض ذلك إلى خالقها المحيط بها ، إذ لا فاعل غيره . وكلها ترتقي إليه وترجع إلى قدرته ، وعلتنا به إنما هو من حيث صدورنا عنه لا غير .

وهذا هو معنى ما نُقِلَ عن بعض الصديقين : « العجزُ عن الادراكِ ادراكٌ ». ثم إنَّ المعتبرَ في هذا التوحيدِ ليس هو الإيمانُ فقط ، الذي هو تصديقُ حُكيٍّ ؛ فإنَّ ذلك من حديثِ النفس . وإنما الكمالُ فيه حصولُ صفةٍ منه ، تتكَيَّفُ بها النفسُ . كما أنَّ المطلوبَ من الأعمالِ والعباداتِ أيضاً حصولُ ملكةِ الطاعةِ والانتباهِ ، وتزْيِغِ القلبِ عن شواغلِ ما سوى المعبودِ ، حتى ينقلبَ المريدُ السالكَ ربانياً . والفرقُ بينَ الحالِ والعلمِ في العقائدِ فرقٌ ما بينَ القولِ والاتِّصافِ . وشرحه أنَّ كثيراً من الناسِ يعلمُ أنَّ رحمةَ اليتيمِ والمسكينِ ، قربَةٌ إلى الله تعالى ، مندوبٌ إليها ، ويقولُ بذلك ويعترفُ به ويدكُرُ مأخذَهُ من الشريعةِ ، وهو لو رأى يتيماً أو مسكيناً من أبناءِ المستضعفينِ ، لقرَّ عنه ، واستنكفَ أن يباشرَهُ ، فضلاً عن التمسُّحِ عليه للرحمةِ ، وما بعدَ ذلك من مقاماتِ العطفِ والحنوِّ والصدقةِ . فهذا إنما حصلَ له من رحمةِ اليتيمِ مقامُ العلمِ ، ولم يحصلْ له مقامُ الحالِ والاتِّصافِ . ومن الناسِ من يحصلُ له مع مقامِ العلمِ والاعترافِ بأنَّ رحمةَ المسكينِ قربَةٌ إلى الله تعالى مقامٌ آخرُ أعلى من الأوَّلِ ، وهو الاتِّصافُ بالرحمةِ وحصولُ ملكتها . ففى رأى يتيماً أو مسكيناً باذَرَّ إليه ومسحَ عليه و التمسَ الثوابَ في الشفقةِ عليه ، لا يكاد يصبرُ عن ذلك ، ولو دُفِعَ عنه . ثم يتصلَّقُ عليه بما حضرَهُ من ذاتِ يده . وكذا علمكُ بالتوحيدِ مع اتِّصافكُ به ، والعلمُ الحاصلُ عن الاتِّصافِ ضرورةً ، هو أوثقُ مبنى من العلمِ الحاصلِ قبل الاتِّصافِ . وليس



الاتصافُ بمحصلٍ عن مجردِ العلم ، حتى يقعَ العملُ ويتكرَّرَ مراراً غيرَ منحصرةٍ ، فترسُخَ الملكةُ ويحصلَ الاتِّصافُ والتحقيقُ ، وبجيءِ العلمِ الثاني النافعُ في الآخرة . فإنَّ العلمَ الأوَّلَ المجرَّدَ عن الاتِّصافِ قليلُ الجدوى والنفعِ ، وهذا علمُ أكثرِ النظائرِ ، والمطلوبُ إنما هو العلمُ الحاليُّ الناشئُ عن العادة .

واعلم أنَّ الكمالَ عندَ الشارعِ في كلِّ ما كلفَ به إنما هو في هذا : فما طَلَبَ اعتقادهُ فالكمالُ فيه في العلمِ الثاني الحاصلِ عن الاتِّصافِ ، وما طَلَبَ عمله من العباداتِ ، فالكمالُ فيها في حصولِ الاتِّصافِ والتحقيقِ بها . ثم إنَّ الاقبالَ على العباداتِ والمواظبةَ عليها هو المحصلُ لهذه الثمرةِ الشريفة . قالَ ﷺ : « في رأسِ العباداتِ جعلتُ قرَّةَ عيني في الصلاة » ؛ فإنَّ الصلاةَ صارتَ له صفةً وحالاً يجذبُ فيها منتهى لذَّته وقرَّةَ عينه ، وأينَ هذا من صلاحِ الناسِ ومن لهم بها ؟ « قَوَّيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ » <sup>(١)</sup> . اللهم وفقنا ، ﴿ صِرْطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ خَيْرَ الْمَفْضُولِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴾ <sup>(٢)</sup> .

فقد تبينَ لك من جميعِ ما فرَّدناه ، أنَّ المطلوبَ في التكليفِ كُلِّها حصولُ ملكةٍ راسخةٍ في النفسِ ، ينشأ عنها علمٌ اضطراريٌّ للنفسِ ، هو التوحيدُ ، وهو العقيدةُ الإيمانيةُ ، وهو الذي تحصلُ به السعادةُ ، وأنَّ ذلكَ سواءٌ في التكليفِ القلبيِّ والبدنيِّ .

(١) الآيتان : ٤ و ٥ من سورة (الماعون) .

(٢) الآيتان : ٥ و ٦ من سورة (الفاتحة) .

ويتفهم منه أَنَّ الإيمان الذي هو أصلُ التكليفِ كُلِّها وَيَبْوَغُها، هو بهذه المثابة وأنه ذو مراتبٍ : أَوَّلُها التصديقُ القلبيُّ الموافقُ لِّلسانِ، وأَعْلَاهَا حصولُ كَيْفِيَةٍ، من ذلك الاعتقادِ القلبيِّ، وما يتبعهُ من العملِ، مستوليةً على القلبِ، فيستتبعُ الجوارحَ . وتندرجُ في طاعتها جميعُ التصرفاتِ، حتى تنخرطَ الأفعالُ كُلُّها في طاعةِ ذلك التصديقِ الإيمانيِّ . وهذا أَدْفَعُ مراتبِ الإيمانِ، وهو الإيمانُ الكامِلُ الذي لا يقارِفُ المؤمنُ معه صغيرةً ولا كبيرةً . إذ حصولُ الملكةِ ورسوخها مانِعٌ من الانحرافِ عن مناهجهِ طرفةَ عينٍ . قال ﷺ : « لا يزني الزاني حينَ يزني وهو مؤمنٌ » . وفي حديثِ هِرَقْلَ، لما سألَ أبا سفيانَ بنَ حربٍ عن النبيِّ ﷺ وأحوالِهِ، فقال في أصحابِهِ : هل يَرْتَدُّ أَحَدٌ منهم سَخَطَةً لدينه بعد أن يدخلَ فيه ؟ قال لا ! قال وكذلك الإيمانُ حينَ تحلِطُ بِشائئِهِ القلوبَ . ومعناه أَنَّ ملكةَ الإيمانِ إذا استقرَّتْ عَسَرَ على النفسِ مخالفتُها، شأنَ الملكاتِ إذا استقرَّتْ، فإنها تحصلُ بمثابةِ الجِلَّةِ والفِطَرَةِ . وهذه هي المرتبةُ العالِيَةُ من الإيمانِ، وهي في المرتبةِ الثانيةِ مِنَ الْعِصَةِ . لَأَنَّ الْعِصَّةَ واجبةٌ للأنبياءِ وجوباً سابقاً، وهذه حاصلةُ المؤمنينَ حصولاً تاملاً لأعمالِهِم وتصديقِهِم . فبهذه الملكةِ ورسوخها، يقعُ التفاوتُ في الإيمانِ، كالذي يُتلى عليك من أقاويلِ السَّلفِ .

وفي تراجمِ البخاريِّ رضيَ اللهُ عنه، في بابِ الإيمانِ، كثيرٌ منه، مثلُ : أَنَّ الإيمانَ قولٌ وعملٌ وأنه يزيدُ وينقصُ؛ وَأَنَّ الصلاةَ

والصيام من الايمان ؛ وأن تطوَّعَ رَمَضانَ من الايمان ، والحياة من الايمان . والمرادُ بهذا كِلَهُ الايمان الكامل ، الذي أشرنا اليه وإلى ملكته ، وهو فعلي<sup>١</sup> . وأما التصديقُ الذي هو أولُ مراتبه فلا تفاوتَ فيه . فمن اعتبرَ أوائلَ الأسماء ، وحمله على التصديق مُنَعَ من التفاوتِ ، كما قال أئمةُ المتكلمين ؛ ومن اعتبرَ أواخرَ الأسماء ، وحمله على هذه الملكة التي هي الايمانُ الكاملُ ظهرَ له التفاوتُ . وليس ذلك بقادحٍ في اتحادِ حقيقته الأولى التي هي التصديقُ ، إذ التصديقُ موجودٌ في جميعِ رتبهِ ، لأنه أولُ ما يُطلقُ عليه اسمُ الايمانِ ؛ وهو المختصُّ من عَهْدَةِ الكُفْرِ ، والفيصلُ<sup>(١)</sup> بينَ الكافرِ والمؤمنِ ؛ فلا يجزي أقلُّ منه . وهو في نفسه حقيقةٌ واحدةٌ لا تفاوتُ ، وإنما التفاوتُ في الحالِ الحاصِلَةِ عن الاعمالِ كما قلناه ، فافهم . واعلم أنَّ الشارعَ وصفَ لنا هذا الايمانَ ، الذي في المرتبةِ الأولى ، الذي هو تصديقٌ ؛ وعيَّنَ أموراً مخصوصةً ، كلفنا التصديقَ بها بقلوبنا ، واعتقادها في أنفسنا مع الاقرارِ بها بألسنتنا ؛ وهي العقائدُ التي تَقَرَّرَت في الدينِ . قال ﷺ ، حين سئلَ عن الايمانِ فقال : « أن تؤمنَ باللهِ وملائكتهِ وكتبهِ ورسلِهِ واليومِ والآخرِ ، وتؤمنَ بالقدرِ : خيرِهِ وشرِّهِ » .

وهذه هي العقائدُ الايمانيةُ المقرَّرةُ في علم الكلام . ولنشرِّحَ إليها مُجْمَلَةً لتبينَ لك حقيقةَ هذا الفنِ وكيفيةَ حدوثِهِ ، فنقول : اعلم أنَّ الشارعَ لما آمَرنا بالإيمانِ بهذا الخالقِ ، الذي رَدُّ الأفعالِ

كلها إليه ، وأفرده بها كما قدمناه ، وعرفنا أن في هذا الايمان  
نجاة عند الموت إذا حُضرنا ، لم يعرفنا بكنه حقيقة هذا الخالق  
المعبود ؛ إذ ذلك متميز على إدراكنا ومن فوق طورنا . فكلفنا :  
أولاً ، اعتقاد تنزيهه في ذاته عن مشابهة المخلوقين ، وإلا لما صح  
أنه خالق لهم ، لعدم القارقي على هذا التقدير ؛ ثم تنزيهه عن  
صفات النقص ، وإلا لشابه المخلوقين ؛ ثم توحيد بالإنحداد ، وإلا  
لم يتم الخلق للتمانع ؛ ثم اعتقاد أنه عالم قادر ، فبذلك تتم الأفعال  
شاهدة قضيته لكمال الإيجاد والخلق ، ومريد وإلا لم يُخصص شيء  
من المخلوقات ، ومتميز لكل كائن ، وإلا فالارادة حادثة . وأنه  
بعيدنا بعد الموت تكميلاً لعنايته بالإيجاد ، ولو كان للفناء الصرف  
كان عبثاً ، فهو للبقاء السرمدي بعد الموت . ثم اعتقاد بعثة الرسل  
للنجاؤ من شقاء هذا المعاد ، لاختلاف أحواله بالشقاء والسعادة ،  
وعدم معرفتنا بذلك ، وقام لطفه بنا في الإنباء بذلك ، وبيان  
الطريقين . وأن الجنة للنعيم وجهنم للعذاب . هذه أمهات العقائد  
الايمانية ، معللة بأدلتها العقلية ؛ وأدلتها من الكتاب والسنة  
كثيرة . وعن تلك الأدلة أخذها السلف وأرشد إليها العلماء  
وحققها الأئمة ؛ إلا أنه عرض بعد ذلك خلاف في تفاصيل  
هذه العقائد ، أكثر مثارها من الآي المتشابهة ؛ فدعا ذلك إلى  
الحصام والتناظر والاستدلال بالعقل زيادة إلى النقل . فحدث  
بذلك علم الكلام .

ولنبين لك تفصيل هذا المجلد . وذلك أن القرآن ورد فيه

وصفُ المعبود ، بالتنزيه المطلق ، الظاهر الدلالة من غير تأويل في آي كثيرة ، وهي سلوب<sup>(١)</sup> كلها وصريحة في بابها ؛ فوجب الايمان بها . ووقع في كلام الشارع صلوات الله عليه وكلام الصحابة والتابعين تفسيرها على ظاهرها ثم وردت في القرآن آي أخرى قليلة توهم التشدد ، مرة في الذات وأخرى في الصفات . فأما السلف فغلبوا أدلة التنزيه لكثرتها ووضوح دلالتها ، وعلموا استحالة التشبيه . وقصّوا بأن الآيات من كلام الله ؛ فأمنوا بها ولم يتعرضوا لمعناها ، ببحث ولا تأويل . وهذا معنى قول الكثير منهم : اقرأوها كما جاءت ، أي آمنوا بأنها من عند الله . ولا تتعرضوا لتأويلها ولا تفسيرها ، لجواز أن يكون ابتلاء ، فيجب الوقف والإذعان له . وشذّ لعصرهم مبتدعة اتبعوا ما تشابه من الآيات ، وتوغلوا في التشبيه : ففريق شبهوا في الذات باعتقاد اليد والقدم والوجه ، عملاً بطواهر وردت بذلك ؛ فوقعوا في التجسيم الصريح ومخالفة آي التنزيه المطلق ، لأنّ مقولة الجسم تقتضي النقص والافتقار . وتغليب آيات السلوب في التنزيه المطلق ، التي هي أكثر موارد وأوضح دلالة ، أولى من التعلّق بطواهر هذه التي لنا عنها غنية ، وجمع بين الدليلين بتأويلها . ثم يفرّون من شناعة ذلك بقولهم جسم لا كالأجسام . وليس ذلك بدافع عنهم ، لأنّ قول متناقض ، وتجمع بين نفي وإثبات : إن كانا لمقولة

(١) ورد في لسان العرب : والسلوب من التوق : التي ألقت ولدها لغير تمام . وظنية سلوب ومالسب : سلبت ولدها . واستعمال الكلمة هنا على اللجاز بمعنى : ينقصها التأويل .

واحدة من الجسم ؛ وإن خالفوا بينها ونفوا المعقولة المتعارفة ، فقد وافقونا في التنزيه ، ولم يبقَ إلا جعلهم لفظَ الجسم اسماً من اسمائه . ويتوقف مثله على الإذن . وفريقٌ منهم ذهبوا إلى التشبيه في الصفات ، كإثباتِ الجهة والاستواء والنزول والصوت والحرف وأمثال ذلك . وآل قولهم إلى التجسيم ؛ فترعوا مثل الأولين إلى قولهم صوتٌ لا كالأصوات ، جهةٌ لا كالجئات ، زولٌ لا كالزول ، يعنون من الأجسام .

واندفع ذلك بما اندفع به الأول ، ولم يبقَ في هذه الظواهر إلا اعتقادات السلف ومذاهبهم والایمانُ بها كما هي ؛ لتلايكر<sup>(١)</sup> النفي على معانيها بنفيها ، مع أنها صحيحة ثابتة من القرآن . ولهذا تنظر ما تراه في عقيدة الرسالة لابن أبي زيد وكتاب المختصر له ، وفي كتاب الحافظ بن عبد البر وغيرهم ، فانهم يحومون على هذا المعنى . ولا تُغَيِّضُ عينك عن القرائن الدالة على ذلك في غضون كلامهم . ثم لما كثرت العلوم والصنائع وولع الناس بالتدوين والبحث في سائر الأنحاء ، وألفت المتكلمون في التنزيه ، حدثت بدعة المتزلة ، في تعميم هذا التنزيه في أي السلوب ؛ فقصوا بنفي صفات المعاني من العلم والقدرة والارادة والحياة ، زائدة على أحكامها ؛ لما يلزم ذلك من تعدد القديم بزعمهم ، وهو مردود بأن الصفات ليست عين الذات ولا غيرها ، وقصوا بنفي صفة الارادة فزعمهم نفي القدر لأن معناه سبق الارادة للكائنات

(١) بمعنى يعود .

وقضوا بنفي السمع والبصر لكونها من عوارض الأجسام . وهو مردود لعدم اشتراط اليقينية في مدلول هذا اللفظ ، وإنما هو ادراكٌ للسموع أو البصر . وقضوا بنفي الكلام لشبه ما في السمع والبصر ، ولم يعقلوا صفة الكلام التي تقوم بالنفس ؛ فقضوا بأن القرآن مخلوق ، وذلك بدعة صرح السلف بخلافها وعظم ضرر هذه البدعة ، ولقننا بعض الخلفاء عن أئمتهم ؛ فحيل الناس عليها . وخالفهم أئمة السلف ، فاستحل لخلافهم إيسار<sup>(١)</sup> كثير منهم ودمادهم .

وكان ذلك سبباً لانتهاض أهل السنة بالأدلة العقلية على هذه العقائد ، دفعا في صدور هذه البدع . وقام بذلك الشيخ أبو الحسن الأشعري إمام المتكلمين ؛ فتوسط بين الطريقي ونفى التشبيه . وأثبت الصفات المعنوية وقصر التنزيه على ما قصره عليه السلف . وشهدت له الأدلة المخصصة لمعومه ؛ فأثبت الصفات الأربع المعنوية والسمع والبصر والكلام القائم بالنفس بطريق العقل والنقل . ورد على المبتدعة في ذلك كله ، وتكلم معهم فيما هدوه لهديه البدع من القول بالصلاح والأصلح والتحسين والتقيح ، وكمل العقائد في اليقنة وأحوال المعاد والجنة والنار والثواب والعقاب . وألحق بذلك الكلام في الإمامة ، لما ظهر حينئذ من بدعة

(١) إيسار هنا بمعنى : أموال ، على المجاز . ورد في لسان العرب : وإيسار : الجزور نفسه ، واليامر : الجازر ، جمعه : إيسار . وفي نسخة ب : إيساره .

الإمامية، في قولهم إنها من عقائد الإيمان<sup>(١)</sup>. وإنما يجب على النبي تبيينها والخروج عن المهمة فيها لمن هي له، وكذلك على الأمة. وقصارى أمر الإمامة أنها قضية مصلحة إجماعية، ولا تلحق بالعقائد، فلذلك ألحقوها بمسائل هذا الفن وسموا مجموعة علم الكلام: إما لما فيه من المناظرة على البدع، وهي كلام صرف، وليست براجعة إلى عمل؛ وإما لأن سبب وضعه والخوض فيه هو تنازعهم في إثبات الكلام النفسي. وكثر أتباع الشيخ أبي الحسن الأشعري، واقتفى طريقته من بعده تلميذه، كإبي مجاهد وغيره. وأخذ عنهم القاضي أبو بكر الباقلاني فتصنر للإمامة في طريقتهم، وهدبها ووضع المقدمات العقلية، التي توقفت عليها الأدلة والأنظار، وذلك مثل: إثبات الجوهر الفرد والحلاء،

(١) ورد في كتاب (أصل الشيعة وأصولها) للإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء

النجفي ما يلي:

الإمامة: قد أنبأناك أن هذا هو الأصل الذي امتازت به الإمامية، واقتربت عن سائر فرق المسلمين، وهو فرق جوهري أصلي، وما عداه من الفروق فرعية عرضية، كالفروق التي تقع بين أئمة الاجتهاد عندهم كالخنفي والشافعي وغيرهما، وعرفت أن مرادهم بالإمامة كونها منصباً إلهياً يختاره الله بسابق علمه بعباده كما يختار النبي، ويأمر النبي بأن يدل الأمة عليه ويأمرهم باتباعه. ويعتقدون أن الله سبحانه أمر نبيه بأن ينص على علي وينصبه علماً للناس من بعده، وكان النبي يعلم أن ذلك سوف يتقل على الناس، وقد يحملونه على المحاباة والمحبة لابن عمه وصهره. ومن المعلوم أن الناس ذلك اليوم وإلى اليوم ليسوا في مستوى واحد من الإيمان واليقين بنزاهة النبي وعصمته عن الهوى والغرض؛ ولكن الله سبحانه لم يعذره في ذلك فأوحى إليه: «يا أيها النبي بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فإي بلغت أرسالته». فلم يجد بداً من الامتثال بعد هذا الإنذار الشديد، فخطب الناس عند منصرفه من حجة الوداع في غدیر خم فنادى وجلهم يسمعون: «أولست أولى بالؤمنين من أنفسهم؟ فقالوا اللهم نعم». فقال: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه»، إلى آخر ما قال. ثم أكد ذلك في مواطن أخرى تلويحاً وتصريحاً، وإشارة ونصحاً حتى أدى الوظيفة، وبلغ عند الله المعلقة. (انظر صفحة ١٠٧ و ١٠٨ طبع بيروت، دار البحار).



وَأَنَّ الرَّضَ لَا يَقُومُ بِالرَّضِ ، وَأَنَّهُ لَا يَبْقَى رَمَائِيْن . وَأَمَّا  
 ذَلِكَ مِمَّا تَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ أَذِلَّتُهُمْ . وَجَعَلَ هَذِهِ الْقَوَاعِدَ تَبْعاً لِّلْعَقَائِدِ  
 الْإِيمَانِيَّةِ فِي وَجُوبِ اعْتِقَادِهَا ، لِتَوَقَّفِ تِلْكَ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهَا ، وَأَنَّ  
 بَطْلَانَ الدَّلِيلِ يُؤْذِنُ بِبَطْلَانِ الْمَدْلُولِ . فَكَمَلَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ وَجَاءَتْ  
 مِنْ أَحْسَنِ الْفُنُونِ النَّظَرِيَّةِ وَالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ . إِلَّا أَنَّ صُورَةَ الْأَدِلَّةِ  
 فِيهَا بَعْضُ الْأَحْيَانِ ، عَلَى غَيْرِ الْوَجْهِ الصَّنَاعِيِّ لِسَدَاجَةِ الْقَوْمِ ،  
 وَلِأَنَّ صِنَاعَةَ الْمُنْطِقِ الَّتِي تَسِيرُ بِهَا الْأَدِلَّةُ وَتَعْتَبَرُ بِهَا الْأَقْبَسَةُ ،  
 لَمْ تَكُنْ حَيْثُذَرُ ظَاهِرَةً فِي الْمِلَّةِ ، وَلَوْ ظَهَرَ مِنْهَا بَعْضُ الشَّيْءِ ؛ فَلَمْ  
 يَأْخُذْ بِهِ الْمُتَكَلِّمُونَ لِلْمَلَابَسَةِ لِلْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ الْمُبَايِنَةِ لِلْعَقَائِدِ الشَّرْعِيَّةِ  
 بِالْجَمَلَةِ ، فَكَانَتْ مَهْجُورَةً عِنْدَهُمْ لِذَلِكَ .

ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ الْقَاضِي أَبِي بَكْرٍ الْبَاقِلَانِي مِنْ أَئِمَّةِ الْأَشْعَرِيَّةِ إِمَامُ  
 الْحَرَمَيْنِ أَبُو الْمَعَالِي ؛ فَأَمَلَى فِي الطَّرِيقَةِ كِتَابَ الشَّامِلِ وَأَوْسَعَ  
 الْقَوْلَ فِيهِ . ثُمَّ لَخَّصَهُ فِي كِتَابِ الْإِرْشَادِ وَاتَّخَذَهُ النَّاسُ إِمَاماً  
 لِّعَقَائِدِهِمْ . ثُمَّ انْتَشَرَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عِلْمُ الْمُنْطِقِ فِي الْمِلَّةِ . وَقَرَأَهُ النَّاسُ  
 وَفَرَّقُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْفَلَسَفِيَّةِ ، بِأَنَّهُ قَانُونٌ وَمَعْيَارٌ لِلْأَدِلَّةِ فَقَطْ ،  
 يُسَبِّرُ بِهِ الْأَدِلَّةُ مِنْهَا كَمَا يُسَبِّرُ مِنْ سِوَاهَا . ثُمَّ نَظَرُوا فِي تِلْكَ  
 الْقَوَاعِدِ وَالْمَقْدِمَاتِ فِي فَنِّ الْكَلَامِ لِلْأَقْدَمِينَ ؛ فَخَالَفُوا الْكَثِيرَ  
 مِنْهَا بِالْبَرَاهِينِ الَّتِي أَذْهَبَتْ إِلَى ذَلِكَ . وَبِمَا أَنَّ كَثِيراً مِنْهَا مُقْتَبَسٌ  
 مِنْ كَلَامِ الْفَلَسَفَةِ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ . فَلَمَّا سَبَّوْهَا بِمَعْيَارِ  
 الْمُنْطِقِ رَدُّهُمْ إِلَى ذَلِكَ . فِيهَا ، وَلَمْ يَعْتَقِدُوا بَطْلَانَ الْمَدْلُولِ مِنْ بَطْلَانِ  
 دَلِيلِهِ ، كَمَا صَارَ إِلَيْهِ الْقَاضِي ؛ فَصَارَتْ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ فِي مَصْطَلَحِهِمْ

مباينة للطريقة الأولى ، وتسمى طريقة المتأخرين . وربما أدخلوا فيها الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه من العقائد الايمانية ، وجعلوهم من خصوم العقائد ، لتناسب الكثير من مذاهب المبتدعة ومذاهبهم . وأول من كتب في طريقة الكلام على هذا المنحى الغزالي رحمه الله ، وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قوّوا أثرهم واعتمدوا تقليدّهم . ثم توَعَّلَ المتأخرون من بعدهم في غنّاطة كتب الفلسفة ، والتبس عليهم شأن الموضوع في العلمين فحسبوه فيها واحداً ، من اشتباه المسائل فيها .

واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلّون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته ، وهو نوع استدلالهم غالباً . فالجسم الطبيعي الذي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات ، هو بعض من هذه الكائنات . إلا أن نظره فيها غالف لنظر المتكلم ، وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن ، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدلُّ على الفاعل . وكذا نظر الفيلسوف في الإلهيات إنما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ، ونظر المتكلم في الوجود من حيث إنه يدلُّ على الموجد . وبالجملة فموضوع علم الكلام عند أهلنا هو العقائد الايمانية بعد فروضها صحيحة من الشرع ، من حيث يمكن أن يستدلَّ عليها بالأدلة العقلية ، فنزَعُ البدع وترال الشكوك والشبه عن تلك العقائد . وإذا تأملت حال الفتن في حدوده ، وكيف تدرج كلام الناس فيه صدرأ بعد صدر ، وكلهم يفرض العقائد صحيحة ويستنهض الحبيج والأدلة ،

علت حيثئذ ما قررناه لك في موضوع الفزع ، وأنه لا يعدوه .  
ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ، والتبسَت  
مسائل الكلام ، بمسائل الفلسفة ، بحيث لا يتميز أحد الفئتين عن  
الآخر . ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم كما فعله البيضاوي في  
الطوابع ، ومن جاء بعده من علماء المعجم في جميع تأليفهم . إلا  
أن هذه الطريقة ، قد يُعنى بها بعض طلبة العلم ، للاطلاع على  
المذاهب والاعراق في معرفة الحجاج ، لوفور ذلك فيها . وأما  
محاذاة طريقة السلف بعقائد علم الكلام ، فإنما هو في الطريقة  
القديمة للمتكلمين ، وأصلها كتاب الإرشاد ، وما حذا حذوه .

ومن أراد إدخال الرد على الفلاسفة في عقائدهم ، فعليه بكتب  
النزالي والإمام ابن الخطيب ؛ فإنها وإن وقع فيها مخالفة  
للاصطلاح القديم ، فليس فيها من الاختلاط في المسائل والالتباس  
في الموضوع ، ما في طريقة هؤلاء المتأخرين من بعدهم . وعلى  
الجملة ، فينبغي أن يُعلم أن هذا العلم الذي هو علم الكلام غير  
ضروري لهذا العهد على طالب العلم ، إذ المصلحة والمبتدعة قد  
انقرضوا ، والأئمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودوتوا ،  
والأدلة العقلية إنما احتاجوا إليها حين دافعوا ونصروا . وأما  
الآن ، فلم يبق منها إلا كلام تنزه الباري عن الكثير من  
إيهاماته وإطلاقاته . ولقد سئل الجنيد رحمه الله ، عن قوم مر بهم من  
المتكلمين يفيضون فيه ، فقال : ما هؤلاء ؟ فقل : قوم يتزهدون  
الله بالأدلة عن صفات الحدوث وسمات النقص ، فقال : « نفى

العيب حيث يستحيل العيب عيباً. لكن فائدته في آحاد الناس وطلبه العلم فائدة معتبرة، إذ لا يحسن بحامل السنة الجمل بالحجج النظرية على عقائدها. والله ولي المؤمنين.

## الفصل الحادي عشر

في أن عالم الحوادث الكلية إنما يتم بالفكر<sup>(١)</sup>

إعلم أن عالم الكائنات يشتمل على ذوات محضة، كالعناصر وأثارها والمكونات الثلاثة عنها، التي هي الملمين والنبات والحيوان. وهذه كلها متعلقات القدرة الإلهية وعلى أفعال صادرة عن الحيوانات، واقمة بمصودها؛ متعلقة بالقدرة التي جعل الله لها عليها؛ فيها منتظم مرتب، وهي الأفعال البشرية؛ ومنها غير منتظم ولا مرتب؛ وهي أفعال الحيوانات غير البشر. وذلك الفكر يدرك الترتيب بين الحوادث بالطبع أو بالوضع؛ فإذا قصد إيجاد شيء من الأشياء، فلأجل الترتيب بين الحوادث لا بد من التفطن بسببه أو علته أو شرطه، وهي على الجملة مبادئه؛ إذ لا يوجد إلا ثانياً عنها ولا يمكن إيقاع المتقدم متأخراً ولا المتأخر متقدماً. وذلك المبدأ قد يكون له مبدأ آخر من تلك المبادئ لا يوجد إلا متأخراً

(١) هذا الفصل غير موجود في طبعة بولاق وبعض الطبعات الأخرى. نقلناه عن الطبعة الباريسية تحقيق M. Quatremère. وردت بعد: «فصل في الفكر الإنساني».

عنه ؛ وقد يرتقي ذلك أو ينتهي . فإذا انتهى إلى آخر المبادئ في مرتبتين أو ثلاث أو أزيد ، وشرع في العمل الذي يوجد به ذلك الشيء ، بدأ بالمبدأ الأخير الذي انتهى إليه الفكر ؛ فكان أول عمله . ثم تابع ما بعده إلى آخر المسببات التي كانت أول فكرته مثلاً : لو فكر في إيجاد سقف يُكُنّه انتقل بذهنه إلى الحائط الذي يدعّمه ، ثم إلى الأساس الذي يقف عليه الحائط فهو آخر الفكر ثم يبدأ في العمل بالأساس ، ثم بالحائط ، ثم بالسقف ، وهو آخر العمل . وهذا معنى قولهم : أول العمل آخر الفكر ، وأول الفكرة آخر العمل ؛ فلا يتم فعل الإنسان في الخارج إلا بالفكر في هذه المرتبات لتوقف بعضها على بعض . ثم يشرع في فعلها . وأول هذا الفكر هو المسبب الأخير ، وهو آخرها في العمل . وأولها في العمل هو المسبب الأول وهو آخرها في الفكر . ولأجل الثور على هذا الترتيب يحصل الانتظام في الأفعال البشرية .

وأما الأفعال الحيوانية لغير البشر فليس فيها انتظام لعدم الفكر الذي يعثر به الفاعل على الترتيب فيما يفعل ، إذ الحيوانات إنما تُدرك بالحواس ومدركاتها متفرقة خلية من الربط لأنه لا يكون إلا بالفكر . ولما كانت الحواس المتبعة في عالم الكائنات هي المنتظمة ؛ وغير المنتظمة إنما هي تتبع لها ، اندرجت حينئذ أفعال الحيوانات فيها ؛ فكانت مسخرة للبشر . واستولت أفعال البشر على عالم الحوادث ، بما فيه ؛ فكان كله في طاعته وتسخره . وهذا معنى الاستخلاف المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ حَلِيفَةً ﴿١﴾ هذا الفكرُ هو الخاصَّةُ البشريَّةُ التي تميَّز بها البشر عن غيره من الحيوان . وعلى قدر حصول الأسبابِ والمسبَّباتِ في الفكر مرتبةً تكون إنسانيَّتهُ . فمن الناس من تتوالى له السببيَّةُ في مرتبتين أو ثلاث ؛ ومنهم من لا يتجاوزُها ، ومنهم من ينتهي إلى خمس أو ست فتكون إنسانيَّتهُ أعلى . واعتبر ذلك بلاعب الشطرنج : فإنَّ في اللاعبين من يتصوَّرُ الثلاثَ حركاتٍ والخمس الذي تربيها وضعيُّ ؛ ومنهم من يقصِّر عن ذلك لقصور ذهنه . وإن كان هذا المثالُ غير مطابقٍ ، لأنَّ لعب الشطرنج بالملكة ، ومعرفة الأسبابِ والمسبَّباتِ بالطبع ، لكهُ مثالٌ يَحْتَذي به الناظرُ في تعقُّل ما يورد عليه من القواعد . واللهُ خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَفَضَّلَهُ على كثيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلاً .

## الفصل الثاني عشر

في العقل القويبي وكيفية صحته <sup>(٢)</sup>

إنَّكَ تَسْمَعُ في كتب الحكماء قولهم أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ مَدْنِيٌّ الطَّبْعُ ، يذكرونه في إثبات النبواتِ وغيرها . والنسبةُ فيه إلى المدينة ، وهي عندهم كنايةٌ عن الاجتماعِ البشريِّ . ومعنى هذا القول ، أَنَّهُ لَا تَمَكُنُ حَيَاةُ الْمُتَفَرِّدِ مِنَ الْبَشَرِ ، وَلَا يَتِمُّ وجودُهُ

(١) من آية (٣٠) من سورة البقرة .

(٢) نقل هذا الفصل أيضاً عن الطبعة الباريسية .

إلا مع أبناء جنسه . وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته ، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبعه . وتلك المعاونة لا بد فيها من المفاوضة أولاً ، ثم المشاركة وما بعدها . وربما تفضي المعاملة عند اتحاد الأعراس إلى المنازعة والمشاجرة فتنشأ المنافرة والمؤالفة ، والصداقة والعداوة . ويؤول إلى الحرب والسلم بين الأمم والقبائل . وليس ذلك على أي وجه اتفق ، كما بين الفعل من الحيوانات ؛ بل للبشر بما جعل الله فيهم من انتظام الأفعال وترتيبها بالفكر ، كما تقدم . جعل منتظماً فيهم ، وبسرهم لابقاعه على وجوده سياسية وقوانين حكيمية ، ينكبون فيها عن المفسد إلى المصالح ، وعن الحسن إلى القبيح ، بعد أن يميزوا القبائح والمفسدة ، بما ينشأ عن الفعل من ذلك عن تجربة صحيحة ؛ وعوائد معروفة بينهم ؛ فيفارقون العمل من الحيوان ، وتظهر عليهم نتيجة الفكر في انتظام الأفعال وبعدها عن المفسد .

هذه المعاني التي يحصل بها ذلك لا تبعد عن الحسن كل البعد ولا يتمتع فيها الناظر ؛ بل كلها تذرك بالتجربة وبها يستفاد ، لأنها معان جزئية تتعلق بالحواس وصدقها وكذبها ، يظهر قريباً في الواقع ؛ فيستفيد طالبها حصول العلم بها من ذلك . ويستفيد كل واحد من البشر القند الذي يُسر له منها مقتضياً له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه ، حتى يتعين له ما يحب وينبغي ، فعلاً وتركاً . وتحصل في ملابسة الملكة في معاملة أبناء جنسه . ومن تدبج ذلك سائر عمره حصل له العثور على كل قضية قضية .

ولا بدّ بما تسمعه التجربة من الزّمن . وقد يسهلُ الله على كثير من البشر تحصيل ذلك في أقرب زمن التجربة ، إذ قلّد فيها الآباء والمشيخة والأكابر ، ولقّن عنهم ووعى تعلیمهم ، فيستغني عن طول المعاناة في تتبع الوقائع واقتناص هذا المعنى من بينها . ومن فقد العلم في ذلك والتقليد فيه أو أعرض عن حُسن استماعه وإتباعه ، طالّ عناؤه في التأديب بذلك ؛ فيجري في غير مألوف ويُذركها على غير نسبة ؛ فتوجد أدابُه ومعاملاتُه سيئة الأوضاع بادية الخلل ، ويفسدُ حالُه في معاشه بين أبناء جنسه . وهذا معنى القول المشهور : « من لم يؤدّبهُ والده أدّبهُ الزّمان » . أي من لم يُلقّن الآداب في معاملته البشَر من والديه — وفي معناها المشيخة والأكابر — ويتعلّم ذلك منهم ، رجع إلى تعلّمه بالطبع من الوقائع على توالي الأيام ؛ فيكون الزّمانُ معلّمه ومؤدّبهُ لضرورة ذلك بضرورة المعاونة التي في طبعه .

وهذا هو العقل التجريبيُّ ، وهو يحصل بعد العقل التمييزي الذي تقع به الأفعال كما ينشأ . وبعد هذين مرتبة العقل النظريُّ الذي تكفل بتفسيره أهلُ العلوم ؛ فلا يُحتاج إلى تفسيره في هذا الكتاب . ﴿ وَاللّٰهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .



## الفصل الثالث عشر

### في علوم البشر وعلوم الملائكة

إِنَّا نشهدُ في أنفُسِنَا بالوجدانِ الصحيحِ وجودَ ثلاثةِ عوالمَ :  
 أوَّلُهَا : عالمُ الحسِّ ، ونعتبرُهُ بمداركِ الحسِّ الذي شارَكْنَا فيه  
 الحيواناتُ بالاذراكِ ، ثم نعتبرُ الفكرَ الذي اُخْتُصَّ به البَشَرُ فنعلمُ  
 منه وجودَ النفسِ الإنسانيَّةِ علماً ضرورياً بما بين جنبَتينا من مداركِ  
 العِلْمِيَّةِ التي هي فوقَ مداركِ الحسِّ ، فتراهُ عالِماً آخرَ فوقَ عالمِ  
 الحسِّ . ثم نستدلُّ على عالمِ ثالثٍ فوقَنَا بما نجدُ فينا من آثارِهِ الَّتِي  
 تُلقَى في أَقْدَتِنَا كالإراداتِ والوجهاتِ ، نحو الحركاتِ الفِعْلِيَّةِ ،  
 فنعلمُ أَنَّ هناكَ فاعلاً يبعثُنا عليها من عالمٍ فوقَ عالِمِنَا وهو عالمُ  
 الأزواجِ والملائكةِ . وفيهِ ذواتٌ مُذكَّرةٌ لوجودِ آثارِها فينا مع  
 ما بيننا وبينها من المفاوِزِ . وربما يُستدلُّ على هذا العالمِ الأعلى  
 الروحانيِّ وذواتِهِ بالرُّؤْيَا وما نجدُ في النومِ ، ويُلقى إلينا فيه من  
 الأمورِ الَّتِي نَحْنُ في غَفْلَةٍ عنها في اليَقَظَةِ ، وتطابقِ الواقعِ في  
 الصحيحَةِ منها ؛ فنعلمُ أَنَّها حقٌّ ومن عالمِ الحقِّ . وأما أَصْغَاتُ  
 الأحلامِ فصورٌ خياليَّةٌ يَخْزُنُهَا الإدراكُ في الباطنِ ويحولُ فيها الفكرُ  
 بعدَ الغيبَةِ عن الحسِّ . ولا نجدُ على هذا العالمِ الروحانيِّ برهاناً  
 أوضحَ من هذا ؛ فنعلمه كذلك على الجملةِ ولا ندركُ له تفصيلاً .  
 وما يُزَعَّمُ الحكماةُ الإلهيُّونَ في تفصيلِ ذواتِهِ وترتيبِها ، السَّمَوِ

عندهم بالعقول، فليس شيء من ذلك يبقيني لاختلال شرط البرهان النظري فيه، كما هو مقرر في كلامهم في المنطق. لأن من شرطه أن تكون قضاياه أولية ذاتية. وهذه الذوات الروحية مجهولة الذاتيات، فلا سبيل للبرهان فيها. ولا يبقى لنا مدرك في تفاصيل هذه العوالم إلا ما نقتبس من الشريعات التي يوضحها الإيمان ويحكمها. وأعتقد هذه العوالم في مدركنا عالم البشر؛ لأنه وجداني مشهود في مداركنا الجسائية والروحية. ويشارك في عالم الحس مع الحيوانات وفي عالم العقل والأزواج مع الملائكة الذين ذواتهم من جنس ذواته، وهي ذوات مجردة عن الجسائية والمادة، وعقل صرف يتحد فيه العقل والعاقل والمقول، وكأنه ذات حقيقتها الإدراك والعقل، فلوهم حاصل دائماً مطابقة بالطبع لمعلوماتهم لا يقع فيها خلل البتة.

وعلم البشر هو حصول صورة المعلوم في ذواتهم بعد أن لا تكون حاصلة. فهو كله مكتسب، والذات التي يحصل فيها صور المعلومات وهي النفس مادة هيولانية تلبس صور الوجود بصور المعلومات الحاصلة فيها شيئاً شيئاً، حتى تستكمل، ويصح وجودها بالموت في مادتها وصورها. فالمطلوبات فيها مترددة بين النفي والاثبات دائماً، بطلب أحدهما بالوسط الرابط بين الطرفين. فإذا حصل وصار معلوماً افتقر إلى بيان المطابقة، وربما أوضحها البرهان الصناعي، لكنه من وراء الحجاب. وليس كالمآينة التي في علوم الملائكة. وقد ينكشف ذلك الحجاب فيصير إلى المطابقة بالبيان

الإدراكيّ . فقد تبين أنّ البشرَ جاهلٌ بالطبع للتردّد الذي في علمه ، وعالمٌ بالكسب والصناعة لتحصيله المطلوب بفكرة الشروط الصناعية . وكشفُ الحجاب الذي أشرنا إليه إنّما هو بالرياضة بالاذكار التي أفضلها صلاةٌ تنهى عن الفحشاء والمنكر ، وبالتنزُّوع عن المتاولات المهمة ورأسها الصومُ ، وبالوجهة إلى الله بجميع قواه . والله علّم الإنسان ما لم يعلم .

## الفصل الرابع عشر

في علوم الأنبياء . عليهم الصلاة والسلام

إنّا نجدُ هذا الصنفَ من البشرِ تمرّ بهم حالةٌ إلهيّةٌ خارجةٌ عن منازعِ البشرِ وأحوالهم فتغلبُ الوجهةُ الربّانيّةُ فيهم على البشريّةِ في القوى الإدراكيّةِ والزويعيّةِ من الشهوةِ والنفسِ وسائرِ الأحوال البدنيّةِ ، فتجدهم متترّفين عن الأحوال الربّانيّةِ ، من العبادة . والذكر لله بما يقتضي معرفتهم به ، مخبرين عنه بما يوحى إليهم في تلك الحالة ، من هدايةِ الأُمّةِ على طريقة واحدة وسنن ممهودة منهم لا يتبدّلُ فيهم كأنّه جيلةٌ فطرهم الله عليها . وقد تقدّم لنا الكلامُ في الوحي أولَ الكتاب في فصل المدرّكين للغيب . ويتّأهنا لك أنّ الوجودَ كلّهُ في عوالمِ البسيطةِ والمركّبةِ على تركيبٍ طبيعيٍّ من أعلاها وأسفلها متّصلةٌ كلّها اتّصالاً لا ينخرم . وأنّ الذات التي في آخر كلِّ أفقٍ من العوالمِ مستعدّةٌ لأنّ تنقلبَ إلى الذات

التي تجاورها من الأسفل والأعلى ، استعداداً طبيعياً ، كما في العناصر  
الجسدية البسيطة ، وكما في النخل والكرم من آخر أفرق النبات  
مع الحزوين والصدف من أفرق الحيوان وكما في القردة التي استجمع  
فيها الكيس والإدراك مع الإنسان صاحب الفكر والروية . وهذا  
الاستعداد الذي في جانبي كل أفرق من العوالم هو معنى للاتصال فيها .

وفوق العالم البشري عالمٌ روحانيٌّ ، شهدت لنا به الآثار التي  
فيها منه ، بما يعطينا من قوى الإدراك والارادة فذوات العلم  
العالم إدراكٌ صرف وتعلُّلٌ محضٌ ، وهو عالم الملائكة ؛ فوجب من  
ذلك كَلَّةٌ أن يكون للنفس الإنسانية استعدادٌ للانسلاخ من  
البشرية إلى الملكية ، لتصيرَ بالفعل من جنس الملائكة وقتاً من  
الأوقات ، وفي لحظة من اللحظات . ثم تراجع بشريتها وقد تَلَقَّتْ في  
عالم الملكية ما كَلِّفَتْ بتبليغِهِ إلى أبناء جنسها من البشر . وهذا  
هو معنى الوحي وخطاب الملائكة . والأنبياء كلهم مفلطرون  
عليه ، كأنَّهُ جِلَّةٌ لهم ويمالجون في ذلك الانسلاخ من الشدة  
والنطيطة ما هو معروف عنهم . وعلوُّهم في تلك الحالة علم شهادة  
وعيان ، لا يلحظه الخطأ والزلل ، ولا يقع فيه الغلط والوهم ، بل  
المطابقة فيه ذاتيةٌ لزوال حجاب الغيب وحصول الشهادة الواضحة ،  
عند مفارقة هذه الحالة إلى البشرية ، لا يفارق علمهم الوضوح ،  
استصحاباً له من تلك الحالة الأولى ، ولما هم عليه من الذكاء المفضي  
بهم إليها ، يتردد ذلك فيهم دائماً إلى أن تكمل هداية الأمة التي  
بعثوا لها ، كما في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ

إِلَهُ وَيَجِدُ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوا ﴿٦٠﴾ فافهم ذلك وراجع ما قدمناه لك أول الكتاب ، في أصناف المدرّكين للقيّ ، يتّضح لك شرحه وبيانّه ، فقد بسطنا ههناك بسطاً شافياً . والله الموفق .

## الفصل الخامس عشر

في أن النّصل لجلل بالذات عالم بالكسب

قد بينّا أول هذه الفصول أنّ الإنسان من جنس الحيوانات ، وأن الله تعالى ميّزه عنها بالفكر الذي جعل له ، يوقع به أفعاله على انتظام وهو العقل التمييزي أو يقتنص به العلم بالآراء والمصالح والمفاسد من أبناء جنسه ، وهو العقل التجريبي ، أو يحصل به في تصوّر الموجودات غائباً وشاهداً ، على ما هي عليه ، وهو العقل النظري . وهذا الفكر إنّما يحصل له بعد كمال الحيوانية فيه ، ويبدأ من التمييز ؛ فهو قبل التمييز خلوّ من العلم بالجملة ، معدود من الحيوانات ، لاحقٌ بمبدئه في التكوين ، من النطفة والمعلقة والمضغّة . وما حصل له بعد ذلك فهو بما جعل الله له من مدارك الحسّ والأفئدة التي هي الفكر . قال تعالى في الامتّنان علينا : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ ﴾ فهو في الحالة الأولى قبل التمييز هيولاً فقط ، لجملة يجمع المعارف . ثم تستكمل صورته بالعلم الذي يكتسبه بالآلوه ، فكمّل ذاته الإنسانية في وجودها . وانظر إلى

قوله تعالى مبدأ الوحي على نبيه «اقرأ باسم ربك الذي خلق» ،  
 خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم ،  
 علم الإنسان ما لم يعلم » أي أكسبه من العلم ما لم يكن حاصلاً  
 له بعد أن كان علقاً ومضغاً فقد كشفت لنا طبيعته وذاته ما هو  
 عليه من الجهل الذاتي والعلم الكسبي وأشارت إليه الآية  
 الكريمة تقرّد فيه الامتحان عليه بأول مراتب وجوده ، وهي  
 الإنسانية . وحالناه الفطرية والكسبية في أول التنزيل ومبدأ  
 الوحي . وكان الله عليمًا حكيمًا .

## الفصل السادس عشر

في كشف الخطأ عن التشابه من الكتاب والسنة

وما حدث إلّا ذلك من طوائف السنية والبتحة في الاعتقادات

إعلم أن الله سبحانه بعث إلينا نبيًا محمدًا ﷺ يدعونا إلى  
 النجاة والفوز بالتعم ، وأزل عليه الكتاب الكريم باللسان العربي  
 المبين ، يخاطبنا فيه بالكاليب المفضية بنا إلى ذلك . وكان في خلال  
 هذا الخطاب ، ومن ضروراته ، ذكر صفاته سبحانه وأسائه ،  
 ليعرفنا بذاته ، وذكر الروح المتعلّقة بنا ؛ وذكر الوحي والملائكة ،  
 الوسائط بينه وبين رسله إلينا . وذكر لنا يوم البعث وإنذاراته  
 ولم يعين لنا الوقت في شيء منه . وثبت في هذا القرآن الكريم  
 حروفًا من الهجاء مقطعة في أوائل بعض سورته ، لا سبيل لنا

إلى فهم المراد بها . وسَمَى هذه الْأَنْوَاعَ كُلَّهَا من الكتابِ مُتَشَابِهًا .  
 وذَمَّ على أتباعها فقال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ  
 تُحْكِمُكُمُ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا  
 تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي  
 الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ <sup>(١)</sup> « وحمل العلماءُ  
 من سَلَفِ الصحابةِ والتابعين هذه الآيةَ على أَنَّ الْمُحْكَمَاتِ هي المَبِينَاتُ  
 الثابتةُ الْأَحْكَامِ . ولذا قال الفقهاءُ في اصطلاحِهِمْ : « الْمُحْكَمُ الْمُتَّصِحُّ  
 الْمَعْنَى . وَأَمَّا الْمُتَشَابِهَاتُ فَهِيَ عباراتٌ . فَقِيلَ هي التي تفتقرُ  
 إلى نظيرٍ وتفسيرٍ يُصَحِّحُ معناها ، لتعارضها مع آيةٍ أُخرى أو مع  
 المقرر ، فتخفى دَلَالَتُهَا وَتَشْبِهُهُ . وعلى هذا قال ابنُ عَبَّاسٍ :  
 « الْمُتَشَابِهُ يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ » وقال مجاهدٌ وعكرمةٌ : « كُلُّهَا  
 سِوَى آيَاتِ الْأَحْكَامِ وَالْقَصَصِ مُتَشَابِهٌ » وعليه القاضي أَبُو بَكْرٍ  
 وإمامُ الْحَرَمَيْنِ . وقال الثوريُّ والشَّعْبِيُّ وجماعةٌ من علماءِ السلفِ :  
 « الْمُتَشَابِهُ ، مَا لَمْ يَكُنْ سَبِيلُ إِلَى عِلْمِهِ ، كَشُرُوطِ السَّاعَةِ وَأَوْقَاتِ  
 الْإِنْذَارَاتِ وَحُرُوفِ الْهَجَاءِ فِي أَوَائِلِ السُّورِ ؛ وَقَوْلُهُ فِي الْآيَةِ  
 « هَذِهِ أُمُّ الْكِتَابِ » أَيُ مُنْظَمَةٌ وَغَائِبَةٌ وَالْمُتَشَابِهُ أَقْلُهُ ، وَقَدْ يَرُدُّ  
 إِلَى الْمُحْكَمِ . ثُمَّ ذَمَّ الْمُتَّبِعِينَ لِلْمُتَشَابِهِ بِالتَّأْوِيلِ أَوْ بِحَمْلِهِ عَلَى مَعَانٍ  
 لَا تُقْبَلُ مِنْهَا فِي لِسَانِ الْعَرَبِ الَّذِي خُوِطِبْنَا بِهِ . وسأهمُ أَهْلُ زَيْغٍ ،  
 أَيُ مِيلٍ عَنِ الْحَقِّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالزَّادِقَةِ وَجَهْلَةِ أَهْلِ الْبِدْعِ .

(١) الآية ٧ من سورة آل عمران .

وَأَنَّ فَعْلَهُمْ ذَلِكَ قَصْدُ الْفِتْنَةِ الَّتِي هِيَ الشِّرْكُ أَوْ اللَّبْسُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ  
أَوْ قَصْداً لِتَأْوِيلِهَا بِمَا يَشْتَهَوْنَهُ فَيَقْتَدُونَ بِهِ فِي يَدْعَتِهِمْ .

ثم أخبر سبحانه بأنه استأثر بتأويلها ولا يَعْلَمُهُ إِلَّا هُوَ فَقَالَ:  
وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ . ثم أثنى على العلماء بالإيمان بها فقط . فقال:  
وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ . وَلِهَذَا جُعِلَ السَّلَفُ وَالرَّاسِخُونَ  
مُسْتَأْنَفًا ، وَرَجَّحُوهُ عَلَى الْعَظْفِ لِأَنَّ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ أُبْلَغَ فِي الشَّعَاءِ  
وَمَعَ عَظْفِهِ إِنَّمَا يَكُونُ إِيمَانًا بِالشَّاهِدِ ، لِأَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ التَّأْوِيلَ حِينَئِذٍ  
فَلَا يَكُونُ غَيْبًا . وَيَعْضُدُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : « كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبَّنَا » وَيَدُلُّ  
عَلَى أَنَّ التَّأْوِيلَ فِيهَا غَيْرُ مَعْلُومٍ لِلْبَشَرِ . إِنَّ الْأَلْفَاظَ الْقَوِيَّةَ إِنَّمَا يَفْهَمُ  
مِنْهَا الْمَعَانِي الَّتِي وَضَعَهَا الْعَرَبُ لَهَا ، فَإِذَا اسْتَحَالَ إِسْنَادُ الْخَبَرِ إِلَى  
غَيْرِهِ عَنْ جِهَلِنَا مَدْلُولَ الْكَلَامِ حِينَئِذٍ ؛ وَإِنْ جَاءَنَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ  
فَوَضَعْنَا عِلْمَهُ إِلَيْهِ وَلَا نُشْغِلُ أَنْفُسَنَا بِمَدْلُولِ نَلْتَمِسُهُ ؛ فَلَا سَبِيلَ لَنَا  
إِلَى ذَلِكَ . وَهِيَ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : « إِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ  
يُحَادِّثُونَ فِي الْقُرْآنِ ، فَهَمُّ الَّذِينَ عَنِ اللَّهِ » ، فَاحْذَرُوهُمْ . هَذَا مَذْهَبُ  
السَّلَفِ فِي الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَةِ . وَجَاءَ فِي السَّنَةِ أَلْفَاظٌ مِثْلُ ذَلِكَ مَحْمُولُهَا  
عِنْدَهُمْ عَلَى الْآيَاتِ لِأَنَّ الْمُنْبَغَ وَاحِدٌ .

وَإِذَا تَقَرَّرَتْ أَصْنَافُ الْمُتَشَابِهَاتِ عَلَى مَا قُلْنَا ، فَلَنَرْجِعْ إِلَى  
اِخْتِلَافِ النَّاسِ فِيهَا . فَأَمَّا مَا يَرْجِعُ مِنْهَا عَلَى مَا ذَكَرُوهُ إِلَى السَّاعَةِ  
وَأَشْرَاطِهَا وَأَوْقَاتِ الْإِنْذَارَاتِ وَعِدَدِ الزَّيَاقَةِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ ، فَلَيْسَ  
هَذَا وَاللَّهُ أَعْلَمُ مِنَ الْمُتَشَابِهَةِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِيهِ لَفْظٌ بِمَجْلٍ وَلَا غَيْرِهِ



وإنما هي أزمنة لحادثات استأثر الله بعلمها بنصه<sup>(١)</sup> في كتابه وعلى لسان نبيه. وقال : « إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ ». والعجب بمن عدها من المتشابه. وأما الحروف المقطعة في أوائل السور فحقيقتها حروف الهجاء وليس بعيد أن تكون مرادة. وقد قال الزمخشري : فيها إشارة إلى بعد الغاية في الإعجاز، لأن القرآن المنزل مؤلف منها، والبشر فيها سواء، والتفاوت موجود في دلالتها بعد التأليف. وإن عدل عن هذا الوجه الذي يتضمن الدلالة على الحقيقة فإنما يكون بنقل صحيح، كقولهم في طه، إنه نداه من طاهر وهادي وأمثال ذلك. والنقل الصحيح متعذر، فيجيء التشابه فيها من هذا الوجه. وأما الوحي والملائكة والروح والجن، فاشتباها من خفاء دلالتها الحقيقية لأنها غير متعارفة؛ فجاء التشابه فيها من أجل ذلك. وقد ألحق بعض الناس بها كل ما في معناها من أحوال القيامة والجنة والدجال والفتن والشروط، وما هو بخلاف الموائد المألوفة، وهو غير بعيد؛ إلا أن الجمهور لا يوافقونهم عليه. وسيا المتكلمون فقد عینوا محاملتها على ما تراه في كتبهم، ولم يبق من التشابه إلا الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه، مما يوهم ظاهره نقصاً أو تعجزاً. وقد اختلف الناس في هذه الظواهر من بعد السلف الذين قرؤنا مذاهبهم. وتنازعوا وتطرق البدع إلى العقائد. فلنشر إلى بيان مذاهبهم وإثبات الصحيح منه على القاسد فنقول، « وما توفيقي إلا بالله » : أعلم أن الله سبحانه وصف نفسه

في كتابه بأنه عالمٌ ، قادرٌ ، مريدٌ ، حيٌ ، سميعٌ ، بصيرٌ ، متكلمٌ ، جليلٌ ، كريمٌ ، جوادٌ ، مُنعمٌ ، عزيزٌ ، عظيمٌ . وكذا أثبت لنفسه اليدين والعينين والوجهَ والقدمَ واللسانَ ، إلى غير ذلك من الصفات : فمنها ما يقتضي صفةً ألوهيةً ، مثل العلمِ والقُدرةِ والارادةِ ، ثم الحياة التي هي شرط جميعها ؛ ومنها ما هي صفة كمالٍ ، كالسمعِ والبصرِ والكلامِ ؛ ومنها ما يوهم النقصَ كالاستواءَ والنزولَ والحجبَ ، وكالوجهِ واليدَينِ والعينَينِ التي هي صفاتُ المحدثاتِ . ثم أخبر الشارحُ أنا نرى ربنا يوم القيامة كالقمر ليلة البدر ، لا نضام في رؤيته كما ثبت في الصحيح .

فأما السلف من الصحابة والتابعين فأثبتوا له صفات الألوهية والكمال وفوضوا إليه ما يوهمُ النقص ساكتين عن مدلوله . ثم اختلف الناس من بعدهم ، وجاء المتزلة فأثبتوا هذه الصفات أحكاماً ذهنيةً مجردةً ؛ ولم يثبتوا صفةً تقوم بذاته ، وسوّوا ذلك توحيداً ، وجعلوا الإنسان خالقاً لأفعاله ، ولا تتعلق بها قدرة الله تعالى ، سيما الشرور والمعاصي منها ؛ إذ يمتنع على الحكمِ فعلها . وجعلوا مراعاة الأصلح للعباد واجبة عليه . وسوّوا ذلك عدلاً ، بعد أن كانوا أولاً يقولون بنفي القدرِ ، وأنَّ الأمرَ كله مستأنفٌ بعلمِ حادثٍ وقدرٍ وإرادةٍ كذلك ، كما ورد في الصحيح . وان عبد الله بن عمر تبرأ من مَعْبِدِ الْجَنِيِّ وأصحابِهِ القائلين بذلك . وانتهى نفي القدرِ إلى وإصلِ بنِ عطاء الغزالي ، منهم ، تلميذ الحسن البصري ، لهدد عبد الملك بن مروان . ثم أخيراً إلى معمر

السَّلَيمِيَّ ، ورجعوا عن القولِ به . وكان منهم أَبُو الهَذِيلِ العَلَّافُ ، وهو شَيْخُ الْمُعْتَزَلَةِ . أَخَذَ الطَّرِيقَةَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ خَالِدِ الطَّوِيلِ عَنْ وَاِصْل . وكان من نُفَاتِ الْقَدَرِ ، وَاتَّبَعَ رَأْيَ الْفَلَايِصَةِ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ الْوُجُودِيَّةِ لظُهُورِ مَذَاهِبِهِمْ يَوْمَئِذٍ .

ثُمَّ جَاءَ إِبرَاهِيمُ النِّظَّامُ ، وَقَالَ بِالْقَدَرِ ، وَاتَّبَعُوهُ . وَطَالَعَ كُتُبَ الْفَلَايِصَةِ وَشَدَّدَ فِي نَفْيِ الصِّفَاتِ وَقَرَّرَ قَوَاعِدَ الْاِعتِرَالِ . ثُمَّ جَاءَ الْجَاحِظُ وَالْكَمِينِيُّ وَالْجُبَّارِيُّ ، وَكَانَتْ طَرِيقَتُهُمْ تَسْمَى عِلْمَ الْكَلَامِ : إِمَّا لِمَا فِيهَا مِنَ الْجَبَاحِ وَالْجِدَالِ ، وَهُوَ الَّذِي يَسْمَى كَلَامًا ؛ وَإِمَّا أَنْ أَصْلَ طَرِيقَتِهِمْ نَفْيُ صِفَةِ الْكَلَامِ . فَلِهَذَا كَانَ الشَّافِعِيُّ يَقُولُ : حَقَّقَهُمْ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ وَيَطَافَ بِهِمْ . وَقَرَّرَ هَؤُلَاءِ طَرِيقَتَهُمْ وَأَثْبَتُوا مِنْهَا وَرَدُّوهُ ، إِلَى أَنْ ظَهَرَ الشَّيْخُ أَبُو الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيُّ وَنَازَلَ بِبَعْضِ مَشِخَّتِهِمْ فِي مَسَائِلِ الصَّلَاحِ وَالْأَصْلَاحِ ؛ فَرَفَضَ طَرِيقَتَهُمْ ، وَكَانَ عَلَى رَأْيِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ كَلَابٍ وَأَبِي الْعَبَّاسِ الْقَلَانِسِيِّ وَالْحَرْثِ بْنِ أَسَدِ الْحَاطِمِيِّ . مِنْ أَتْبَاعِ السَّلَفِ وَعَلَى طَرِيقَةِ السُّنَّةِ . فَأَيَّدَ مَقَالَتَهُمْ بِالْجَبِيجِ الْكَلَامِيَّةِ وَأَثْبَتَ الصِّفَاتِ الْقَائِمَةَ بِذَاتِ اللَّهِ تَعَالَى ، مِنْ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ وَالْإِرَادَةِ الَّتِي يَتِمُّ بِهَا دَلِيلُ التَّائِعِ وَتَصِحُّ الْمَعْجَزَاتُ لِلْأَنْبِيَاءِ . وَكَانَ مِنْ مَذَاهِبِهِمْ إِبْثَاتُ الْكَلَامِ وَالسَّمْعِ وَالْبَصَرِ لِأَنَّهَا وَإِنْ أُوْهُمْ ظَاهِرًا النِّقْصُ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ الْجِسْمَانِيِّينَ ؛ فَقَدْ وَجِدَ لِلْكَلَامِ عِنْدَ الْعَرَبِ مَدْلُولٌ آخَرُ غَيْرَ الْحُرُوفِ وَالصَّوْتِ ، وَهُوَ مَا يَدُورُ فِي الْخَلْقِ . وَالْكَلَامُ حَقِيقَةٌ فِيهِ دُونَ الْأَوَّلِ ؛ فَاتَّبَعُوهَا لِلَّهِ تَعَالَى وَانْتَفَى إِيهَامُ النِّقْصِ . وَأَثْبَتُوا هَذِهِ الصِّفَةَ قَدِيمَةً عَامَّةً التَّعَلُّقِ

بشأن الصفات الأخرى . وصار القرآن اسماً مشتركاً بين القديم بذات الله تعالى ، وهو الكلام النفسي والحدث الذي هو الحروف المؤلفة المقروءة بالأصوات . فإذا قيل قديم ، فالمراد الأول ؛ وإذا قيل مقروء ، مسموع ، فلدلالة القراءة والكتابة عليه . وتورع الإمام أحمد بن حنبل من إطلاق لفظ الحدوث عليه ، لأنه لم يسمع من السلف قبله : لا إنه يقول أن المصاحف المكتوبة قديمة ؛ ولا أن القراءة الجارية على السنة قديمة ، وهو شاهدها محدثة . وإنما منعه من ذلك الورع الذي كان عليه . وأما غير ذلك فإنكاراً للضروريات ، وحاشاه منه . وأما السمع والبصر ، وإن كان يؤهم إدراك الجارية ، فهو يدل أيضاً لغة على إدراك المسموع والبصر ، وينفي إيهام النقص حينئذ لأنه حقيقة لغوية فيهما . وأما لفظ الاستواء والهيء والنزول والوجه واليدن والعينين وأمثال ذلك ؛ فعدلوا عن حقائقها اللغوية لما فيها من إيهام النقص بالتشبيه إلى مجازاتها ، على طريقة العرب ، حيث تتعلم حقائق الألفاظ ؛ فيرجعون إلى المجاز . كما في قوله تعالى : « يُريدُ أن يَنْقُصَ » وأمثاله ، طريقة معروفة لهم غير منكورة ولا مبتدعة . وحملهم على هذا التأويل ، وإن كان مخالفاً لمذهب السلف في التفويض أن جماعة من أتباع السلف وهم الحديثون والمتأخرون من الحنابلة ارتكبوا<sup>(١)</sup> في محمل هذه الصفات فحملوها على صفات ثابتة لله تعالى ، بمجولة الكيفية . فيقولون في « استوى على العرش » ثبت له استواء ،

(١) كذا ، ومقتضى سياق العبارة : ارتكبوا .

بحيث مدلول اللفظة ، فراراً من تعطيله . ولا نقول بكيفيته فراراً من القول بالتشبيه الذي تنفيه آياتُ السلوب ، من قوله « ليس كمثل شي » ، سبحانه الله عما يصفون ، تعالى الله عما يقول الظالمون ، لم يلد ولم يولد » ولا يعلمون مع ذلك أنهم ولجوا من باب التشبيه في قولهم بآثبات استواء ، والاستواء عند أهل اللغة إنما موضوعه الاستقرار والتمكن ، وهو جسماني . وأما التعطيل الذي يشتعون بالزامية ، وهو تعطيل اللفظ ، فلا محذور فيه . وإنما المحذور في تعطيل الآلة . وكذلك يشتعون بالزام التكليف بما لا يطاق ، وهو تمويه . لأن التشابه لم يقع في التكليف . ثم يدعون أن هذا مذهب السلف ، وحاشا لله من ذلك . وإنما مذهب السلف ما قرأناه أولاً من تفويض المراد بها إلى الله ، والسكوت عن فهمها . وقد يحتجون لآثبات الاستواء لله بقول مالك : « ان الاستواء معلوم الثبوت لله » وحاشاه من ذلك ، لأنه يعلم مدلول الاستواء . وإنما أراد أن الاستواء معلوم من اللغة ، وهو الجسماني ، وكيفية أي حقيقته . لأن حقائق الصفات كلها كفيات ، وهي مجهولة الثبوت لله . وكذلك يحتجون على إثبات المكان بحديث السوداء ، وأنها لما قال لها النبي ﷺ : أين الله ؟ وقالت في السماء ، فقال أعتقها فإنها مؤمنة . والنبي ﷺ لم يثبت لها الإيمان بآثباتها المكان لله ، بل لأنها آمنت بما جاء به من ظواهر ، أن الله في السماء ، فدخلت في جملة الراسخين الذين يؤمنون بالمتشابه من غير كشف عن معناه . والقطع بنفي المكان حاصل من دليل العقل الثافي للافتقار . ومن أدلة السلوب

المؤذنة بالتزيه مثل « ليس كمثل شي » وأشباهه . ومن قوله : « وهو الله في السموات وفي الأرض » ، إذ الوجود لا يكون في مكانين ، فليست في هذا المكان قطعاً ، والمراد غيره . ثم طردوا ذلك الحمل الذي ابتدعوه في ظواهر الوجه والعينين واليدين ، والزول والكلام بالحرف والصوت يحملون لها مدلولات أعم من الجسمانية ويتزهونه عن مدلول الجسماني منها . وهذا شيء لا يعرف في اللغة . وقد درج على ذلك الأول والآخر منهم . ووافرهم أهل السنة من المتكلمين الأشعرية والحنفية . ورفضوا عقائدهم في ذلك ، ووقع بين متكلمي الحنفية ببخارى وبين الإمام محمد بن اسماعيل البخاري ما هو معروف . وأما المجسمة ففعلوا مثل ذلك في إثبات الجسمية ، وأنها لا كالأجسام . ولفظ الجسم له يثبت في منقول الشرعيات . وإنما جرأهم عليه إثبات هذه الظواهر ، فلم يقتصروا عليه ، بل توعدوا وأثبتوا الجسمية ، يزعمون فيها مثل ذلك ويتزهونه بقول متناقض سفساف ، وهو قولهم : « جسم لا كالأجسام » . والجسم في لغة العرب هو العميق المحدود وغير هذا التفسير من أنه القائم بالذات أو المركب من الجواهر وغير ذلك ، فاصطلاحات للمتكلمين يريدون بها غير المدلول اللغوي . فلهذا كان المجسمة أوغل في البدعة بل والكفر . حيث اثبتوا لله وصفاً موهماً يوهم النقص لم يرد في كلامه ، ولا كلام نبيه . فقد تبين لك الفرق بين مذاهب السلف والمتكلمين السنية والمحدثين والابتدعة من المعتزلة والمجسمة بما أطلعناك عليه . وفي المحدثين غلاة يسمون المشبه لتصريحهم

بالتشبيه ، حتى إنه يحكى عن بعضهم أنه قال : اعفوني من اللّجة والفرج وسلوا عما بدا لكم من سواها . وإن لم يتأول ذلك لهم ، بأنهم يريدون حصرَ ما وردَ من هذه الظواهر الموهمة ، وحملها على ذلك الحمل الذي لانتهم ؛ وإلا فهو كفرٌ صريح والعياذ بالله . وكتب أهل السنة مشحونة بالحجاج على هذه البدع ، وبسط الردّ عليهم بالأدلة الصحيحة . وإنما أومأنا إلى ذلك إيماءً يتميز به فصول المقالات وجملها . والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وأما الظواهرُ الخفيةُ الأدلةُ والدلالةُ ، كالوحي والملائكة والروح والجن والبرزخ وأحوال القيامة والنّجال والقيّن والشروط ، وسائر ما هو متعذّرٌ على الفهم أو مخالف للعادات ؛ فإن حملناه على ما يذهب إليه الأشعرية في تفاصيله ، وهم أهل السنة ، فلا تشابه ؛ وإن قلنا فيه بالتشابه ، فلنوضح القول فيه بكشف الحجاب عنه فنقول : اعلم أن العالمَ البشريّ أشرفُ العوالم من الموجودات ، وأرفعها . وهو وإن اتحدت حقيقة الانسانية فيه فله أطوارٌ يُخالف كلُّ واحدٍ منها الآخرَ بأحوالٍ تختصُّ به حتى كأنّ الحقائق فيها مختلفة .

فالطّورُ الأوّل : عالمُ الجسائيّ بحجّة الظاهر وفكره الماشي . وسائر تصرّفاتِه التي أعطاه إياها وجوده الحاضر .

الطور الثاني : عالمُ النوم ، وهو تصوّرُ الخيالِ بانفاذِ تصوّراتِه جائئة في باطنه فيدركُ منها بجواسبه الظاهرة مجرّدة عن الأزمنة

والأمكنة وسائر الأحوال الجسمانية، ويشاهدها في إمكان ليس هو فيه. ويحدث للصالح منها البشري بما يترقب من مسراته الدنيوية والأخروية، كما وعد به الصادق صلوات الله عليه. وهذان الطوران عامان في جميع أشخاص البشر، وهما مختلفان في المدارك كما تراه.

الطور الثالث: طور النبوة، وهو خاص بأشراف صنف البشر بما خصهم الله به من معرفته وتوحيده، وتنزل ملائكته عليهم بوحيه، وتكليفهم بإصلاح البشر في أحوال كلها مغايرة للأحوال البشرية الظاهرة.

الطور الرابع: طور الموت الذي تفارق أشخاص البشر فيه حياتهم الظاهرة إلى وجود قبل القيامة يسمى البرزخ يتمتعون فيه ويمتدبون على حسب أعمالهم ثم يفضون إلى يوم القيامة الكبرى، وهي دار الجزاء الأكبر نعيما وعذاباً في الجنة أو في النار.

والطوران الأولان شاهدهما وجداني، والطور الثالث النبوي شاهده المعجزة والأحوال المختصة بالأنبياء، والطور الرابع شاهده ما تنزل على الأنبياء، من وحي الله تعالى في المبادئ وأحوال البرزخ والقيامة، مع أن العقل يقتضي به، كما نبهنا الله عليه، في كثير من آيات البعثة. ومن أوضح الدلالة على صحتها أن أشخاص الإنسان لو لم يكن لهم وجود آخر بعد الموت غير هذه المشاهد يتلقى فيه أحوالاً تليق به، لكان إيجاد الأول عبثاً. إذ الموت إذا كان عدماً كان مألً الشخص إلى المدم، فلا يكون لوجوده



الأوّل حكمة . والعَبَثُ على الحكيم محال . وإذا تَقَرَّرَتْ هذه الأحوال الأربعة ، فلنأخذ في بيان مدارك الإنسان فيها كيف تختلف اختلافًا يَنبَأُ يكشف لك غور المُتَشَايِهِ . فأما مداركه في الطور الأوّل فواضحة جلية . قال الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَٱلْأَبْصَرَ وَٱلْأَفْئِدَةَ ۗ ﴾ . فهذه المدارك يستولي على ملكات المعارف ويستكمل حقيقة إنسانية ويوفي حق العادة المُفَضِّية به إلى النجاة .

وأما مداركه في الطور الثاني ، وهو طور النوم ، فهي المدارك التي في الحسّ الظاهر بعينها . لكن ليست في الجوارح كما هي في اليَقَظَةِ . لكن الرأي يتيقن كل شيء أدركه في نومه لا يشك فيه ولا يرتاب ، مع خلو الجوارح عن الاستعمال العادي لها . والناس في حقيقة هذه الحال فريقان : الحكماء ، ويؤمنون أن الصور الخيالية يدفعها الخيال بحركة الفكر إلى الحسّ المشترك الذي هو الفصل المشترك بين الحسّ الظاهر والحسّ الباطن ، فتصور محسوسه بالظاهر في الحواس كلها . ويشكل عليهم هذا بأن المراتي الصادقة التي هي من الله تعالى أو من الملك أثبت وأرسخ في الإدراك من المراتي الخيالية الشيطانية ، مع أن الخيال فيها على ما قرروه واحد .

الفريق الثاني : المتكلمون ، أجزلوا فيها القول ، وقالوا : هو إدراك يخلقه الله في الحاسة فيقع كما يقع في اليَقَظَةِ ، وهذا آليق ،

وإن كنا لا نتصور كيفيته . وهذا الإدراك النوبي أوضح شاهد على ما يقع بعده من المداير الحسية في الأطوار .

وأما الطور الثالث ، وهو طور الأنبياء ، فالمداير الحسية فيها مجهولة الكيفية عند وجدانيتها عندهم بأوضح من اليقين . فيرى النبيُّ الله والملائكة ، ويسمع كلام الله منه أو من الملائكة ، ويرى الجنة والنار ، والعرش والكرسي ، ويخترق السموات السبع في إسرائه ويركب البراق فيها ، ويلقى النبيين هنالك ، ويصلي بهم ، ويدرك أنواع المداير الحسية ، كما يدرك في طوره الجسماني والنومي ، بعلم ضروري يخلقه الله له ، لا بالإدراك العادي للبشر في الجوارح ، ولا يلتفت في ذلك إلى ما يقوله ابن سينا من تنزيله أمر النبوة على أمر النوم في دفع الخيال صورة إلى الحس المشترك . فإن الكلام عليهم هنا أشد من الكلام في النوم ، لأن هذا التنزيل طبيعة واحدة كما قرأناه ، فيكون على هذا حقيقة الوحي والرؤيا من النبي واحدة في يقينها وحقيقتها ، وليست كذلك على ما علت من رؤيا النبي ﷺ قبل الوحي ستة أشهر وأنها كانت بملء الوحي ومقدمته ، ويشعر ذلك بأنه رؤيته<sup>(١)</sup> في الحقيقة . وكذلك حال الوحي في نفسه فقد كان يصعب عليه ويقاسي منه شدة كما هي في الصحيح ، حتى كان القرآن يتزل عليه آيات مقطعات . وبعد ذلك زل عليه (براءة)<sup>(٢)</sup> في غزوة (تبوك)

(١) كذا ، وفي نسخة : دونه .

(٢) هي السورة التاسعة من القرآن الكريم . وهي سورة (التوبة) .

جَلَّةٌ وَاحِدَةٌ، وهو يسيرُ على نَاقَتِهِ . فلو كان ذلك من تنزّل الفكر إلى الخيال فقط ، ومن الخيال إلى الحسّ المشترك ، لم يكن بين هذه الحالات فرق . وأمّا الطورُ الرابع ، وهو طورُ الأمواتِ في برزخهم الذي أوله القبر ، وهم مجردون عن البدن ، أو في بعثتهم عندما يرجعون إلى الأجسام ، فداركهم الحسيةُ موجودةٌ ، فيرى الميتُ في قبرهِ المكانَ يسائرَ لَازِمِهِ ، ويرى مقعدهُ من الجنة أو النار بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ ، ويرى شهوةَ الجنّازَةِ ويسمعُ كلامَهُمْ وخفقَ نِعالِهِمْ في الانصرافِ عنه ، ويسمع ما يذكرونه به من التوحيد أو من تقريرِ الشهادتين ، وغير ذلك . وفي الصحيح أنَّ رسولَ الله ﷺ وقف على قلبِ بَذْرٍ<sup>(١)</sup> ، وفيه قتلى المشركين من قريش ، وناداهم بأسمائهم ، فقال عمر : يا رسول الله ! أتكلم هؤلاء الخلفِ؟ فقال ﷺ : والذي نفسي بيده ، ما أنتم بأسمع منهم لما أقول . ثم في البعثِ يومَ القيامةِ يعاينون بأسمائهم وأبصارِهِمْ - كما كانوا يعاينون في الحياة - من نعيم الجنة على مراتبه وعذاب النار على مراتبه ، ويرون الملائكة ويرون ربَّهُمْ ، كما ورد في الصحيح : إنكم ترون ربكم يوم القيامة ، كالقمر ليلة البدر لا تضامون في رؤيته . وهذه المداركُ لم تكن لهم في الحياة الدنيا وهي حسيّةٌ مثلها ، وتقع في الجوارح بالعلم الضروري الذي يخلقه الله كما قلناه . وسرّ هذا أن تعلمَ أنَّ النفس الإنسانية هي تنشأ بالبدن وبمداركه ؛

(١) كان ذلك إثر انتهاء وقعة بدر الكبرى التي أظهر الله بها دين الإسلام على المشركين .

انظر ابن خلدون ط دار الكتاب اللبناني - بيروت م ٢ ص ٧٤٤ - ٧٤٦ .

فاذا فارقت البدن بنومٍ أو بموتٍ أو صار النبيُّ حالةً الوحيد من المدايرِ البشرية إلى المدايرِ الملكية ، فقد استصحبَت ما كان معها من المدايرِ البشرية مجردةً عن الجوارح ، فيُنْزَلُ بها في ذلك الطورِ أي إدراكِ شأئِ منها ، أذْفَعُ من إدراكها ، وهي في الجسد . قاله التزالي رحمه الله ، وزاد على ذلك أنَّ النفسَ الإنسانية صورةً تبقى لها ، بعد المفارقة فيها العيان والأذنان وسائر الجوارح المدركة أمثالاً لها ، كان في البدن وصوراً .

وأنا أقول : إنما يشيرُ بذلك إلى الملكاتِ الحاصلة من تصريف هذه الجوارح في بدنِها زيادةً على الإدراك . فاذا تَقَطَّعَتْ لهذا كله عَلِمْتَ أنَّ هذه المدايرَ موجودةٌ في الأطوارِ الأربعة ، لكن ليس على ما كانت في الحياة الدنيا ؛ وإنما هي تختلفُ بالقوة والضعف بحسب ما يعرضُ لها من الأحوال . ويشير المتكلمون إلى ذلك إشارةً مجملَةً بأنَّ اللهَ يَخْلُقُ فيها علماً ضرورياً بتلك المدايرِ ، أي مدركٍ كان ، ويعنون به هذا القَدْر الذي أوضحناه . وهذه نبذة أو مائتاها إلى ما بوضوح القول في المتشابه . ولو أوسعنا الكلام فيه لقصرت المدايرُ عنه . فلنفرغ إلى الله سبحانه في الهداية والقهر عن أنبيائه وكتابه ، بما يحصلُ به الحقُّ في توحيدنا ، والظفر بنجاتنا والله يَهْدِي من يشاء .

## الفصل السابع عشر

### في علم التصوف

هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الأمة . وأصله أن طريقة هؤلاء القوم ، لم تزل عند سلف الأمة وكبارها من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم ، طريقة الحق والهداية وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى ، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيما يُقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجام ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة ، وكان ذلك عاماً في الصحابة والسلف . فلما فشا الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده ، وجنح الناس إلى غناطة الدنيا ، اخصّ المصلون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة . وقال الشيرازي رحمه الله : ولا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس . والظاهر أنه لقب . ومن قال : اشتقاقه من الصفاء ، أو من الصفة ؛ فبعد من جهة القياس اللغوي ، قال : وكذلك من الصوف لأنهم لم يختصوا بلبسه .

قلت : والأظهر أن قيل بالاشتقاق أنه من الصوف ، وهم في الغالب يختصون بلبسه ، لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب إلى لبس الصوف . فلما اخصّ هؤلاء بذهب الزهد والانفراد عن الخلق والاقبال على العبادة ، اخصّوا بماخذ مدركة لهم ؛ وذلك أن الانسان بما هو انسان إنما يتميز عن سائر الحيوان

بالادراك ، وإدراكه نوعان : ادراك للعلوم والمعارف من اليقين والظن والشك والوهم ، وإدراك للأحوال القائمة من الفرح والحزن والقبض والبسط والرضا والغضب والصبر والشكر ، وأمثال ذلك. فالروح العاقل والمتصرف في البدن تنشأ<sup>(١)</sup> من إدراكات وإرادات وأحوال ، وهي التي تميز بها الانسان . وبعضها ينشأ من بعض ، كما ينشأ العلم عن الأدلة ، والفرح والحزن عن ادراك المؤلم أو المتلذذ به ، والنشاط عن الحمايم ، والكسل عن الاعياء . وكذلك المريد في مجاهدته وعبادته ، لا بد وأن ينشأ له عن كل مجاهدة حال نتيجة تلك المجاهدة . وتلك الحالة إما أن تكون نوع عبادة ، فترسخ وتصير مقاماً للمريد ، وإما أن لا تكون عبادة ، وإنما تكون صفة حاصلة للنفس ، من حزن أو سرور أو نشاط أو كسل أو غير ذلك من المقامات . ولا يزال المريد يترقى من مقام الى مقام ، الى أن ينتهي الى التوحيد والمعرفة التي هي الغاية المطلوبة للسعادة . قال عليه السلام : « من مات يشهد أن لا إله الا الله دخل الجنة » . فالمريد لا بد له من الترقى في هذه الأطوار ، وأصلها كلها الطاعة والاخلاص ، ويتقدمها الايمان ويصاحبها ، وتنشأ عنها الأحوال والصفات نتائج وثمرات . ثم تنشأ عنها أخرى وأخرى الى مقام التوحيد والعرفان . وإذا وقع تقصير في النتيجة أو خلل فنعلم أنه انما أتى من قبل التقصير في الذي قبله . وكذلك في الخواطر النفسانية والواردات القلبية . فلذا يحتاج المريد الى محاسبة نفسه

(١) كذا، وفي ب: فالعلمي العاقل والمتصرف في البدن ينشأ... الخ .

في سائر أعماله ، وينظر في حقائقها ؛ لأنَّ حصولَ النتائجِ عن الأعمالِ ضروريٌّ وقصورها من الخلل فيها كذلك . والمريدُ يجدُ ذلك بذوقه ويحاسبُ نفسه على أسبابه . ولا يشاركهم في ذلك الا القليلُ من الناس ، لأنَّ الغفلةَ عن هذا كأنها شاملةٌ .

وغايةُ أهلِ العباداتِ ، إذا لم ينتهوا الى هذا النوع ، أنهم يأتون بالطاعاتِ مخلصَةً من نظرِ الفقه في الأجزاء والامثال . وهؤلاء يبحثون عن نتائجها بالأذواق والمواجد ، ليطلعوا على أنها خالصةٌ من التشهيرِ أولاً ؛ فظهرَ أنَّ أصلَ طريقَتهم كلها محاسبةُ النفسِ على الأفعالِ والتروكِ ، والكلامِ في هذه الأذواقِ والمواجدِ التي تحصلُ عن المجاهداتِ ؛ ثم تستقرُّ للرَّيدِ مقاماً ، ويرتقى منها الى غيرها . ثم لهم مع ذلك آدابٌ مخصوصةٌ بهم واصطلاحاتٌ في ألفاظِ تدورُ بينهم ، إذ الأوضاعُ اللغويةُ إنما هي للمعاني المتعارفة . فاذا عرضَ من المعاني ما هو غيرُ متعارفٍ ، اصطالحنا عن التعبيرِ عنه بلفظٍ يتيسرُ فهمه منه . فلهذا اختصَّ هؤلاء بهذا النوعِ من العلمِ الذي ليسَ لواحدٍ غيرهم من أهلِ الشريعةِ الكلامُ فيه . وصار علمُ الشريعةِ على صنفين : صنفٍ مخصوصٍ بالفقهاء وأهلِ الفُتيا ، وهي الاحكامُ العامةُ في العباداتِ والعاداتِ والمعاملاتِ ؛ وصنفٍ مخصوصٍ بالقومِ في القيامِ بهذه المجاهدةِ ومحاسبةِ النفسِ عليها ، والكلامِ في الاذواقِ والمواجدِ العارضةِ في طريقها ، وكيفيةِ الترقى منها من ذوقٍ الى ذوقٍ ، وشرحِ الاصطلاحاتِ التي تدورُ بينهم في ذلك .

فلما كُتِبَت العلومُ ودُوِّنَت ، وأُلِفَ الفقهاءُ في الفقه وأصوله والكلام والتفسير وغير ذلك ، كتب رجالٌ من أهل هذه الطريقة في طريقتهم . فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الأخذ والتترك ، كما فعله الحاسبيُّ في كتاب الرعاية له ؛ ومنهم من كتب في آداب الطريقة وأذواق أهلها ومواجدهم في الأحوال كما فعله القُشَيْرِيُّ في كتاب الرسالة ، والسهروزيُّ في كتاب عواريف المعارف وأمثالهم . وجع الغزاليُّ رحمه الله بين الأمرين في كتاب الإحياء ، فدوّن فيه أحكام الورع والاقتداء ، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وصار علم التصوف في الملة علماً مدوّنًا ، بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط وكانت أحكامها إنما تُتلقَى من صدور الرجال ، كما وقع في سائر العلوم التي دُوِّنَت بالكتاب من التفسير والحديث والفقه والأصول وغير ذلك .

ثم إن هذه المجاهدة والخلاوة والذكر يتبعها غالباً كشف حجاب الحس ، والاطلاع على عوالم من أمر الله ، ليس لصاحب الحس ادراك شيء منها . والروح من تلك العوالم . وسبب هذا الكشف أن الروح إذا رجع عن الحس الظاهر إلى الباطن ضمّت أحوال الحس ، وقويت أحوال الروح ، وغلب سلطانُه وتجدّد نشوؤه ، وأعان على ذلك الذكر ؛ فإنه كالغذاء لتنمية الروح ، ولا يزال في نور وتزْيُد ، إلى أن يصير شهوداً بعد أن كان علماً . ويكشف حجاب الحس ، ويتم وجود النفس الذي لها من ذاتها ، وهو عين



الادراك . فيعرض حينئذ للمواهب الربانية والعلوم الدنية والفتح  
الالهي ، وتقرب ذاته في تحقق حقيقتها من الأفقر الأعلى ، أفقر  
الملائكة . وهذا الكشف كثيراً ما يعرض لأهل المجاهدة  
فيدركون من حقائق الوجود ما لا يدرك سواهم . وكذلك  
يدركون كثيراً من الواقيات قبل وقوعها ويتصرفون بهم  
وقوى نفوسهم في الموجودات السفلية ، وتصير طوع إرادتهم .  
فالعلماء منهم لا يعتبرون هذا الكشف ولا يتصرفون ، ولا يجبرون  
عن حقيقة شيء لم يؤمروا بالتكلم فيه ، بل يعدون ما يقع لهم من  
ذلك محنة ، ويتعذرون منه إذا هاجمهم . وقد كان الصحابة رضي  
الله عنهم على مثل هذه المجاهدة ، وكان حظهم من هذه الكرامات  
أوفر الخطوط ؛ لكنهم لم يقع لهم بها عناية . وفي فضائل أبي بكر  
وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم كثير منها . وتبهم في ذلك  
أهل الطريقة ، ممن اشتملت رسالة الشيرازي على ذكرهم ، ومن  
تبع طريقته من بعدهم .

ثم إن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب  
والكلام في المدارك التي وراءه ، واختلقت طرق الرياضة عنهم في  
ذلك ، باختلاف تعليمهم في مائة الف الف الحسية وتغذية الروح  
العاقل بالذكر ، حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام  
نشوتها وتغذيتها . فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في  
مداريها حينئذ ؛ وأنهم كشفوا ذوات الوجود وتصوروا حقائقها  
كلها من العرش إلى الطش . هكذا قال الغزالي رحمه الله في

كتاب الإحياء بعد أن ذكر صورة الرياضة.

ثم إن هذا الكشف لا يكون صحيحاً كاملاً عندهم ، إلا إذا كان ناشئاً عن الاستقامة ؛ لأن الكشف قد يحصل لصاحب الجوع والخلو ، وإن لم يكن هناك استقامة كالسحرة وغيرهم من المرتاضين . وليس مرادنا إلا الكشف الناشئ عن الاستقامة . ومثاله أن المرأة الصغيلة إذا كانت محدبة أو مقعرة ، وحوذي بها جهة الرمي ، فإنه يتشكل فيه معوجاً على غير صورته . وإن كانت مسطحة لتشكل فيها الرمي صحيحاً . فالاستقامة للنفس ، كالانبساط للمرأة ، فيما ينطبق فيها من الأحوال . ولما عني المتأخرون بهذا النوع من الكشف ، تكلّموا في حقائق الموجودات الملوّنة والسفلية ، وحقائق الملك والروح والعرش والكريسي . وأمثال ذلك . وقصرت مدارك من لم يشاركهم في طريقهم عن فهم أذواقهم ومواجدهم في ذلك . وأهل الفتيا بين منكر عليهم ومسلم لهم . وليس البرهان والدليل بنافع في هذه الطريق ، ردّاً وقبولاً ؛ إذ هي من قبيل الوجدانيات .

تفصيل وتحقيق : يقع كثيراً في كلام أهل العقائد ، من علماء الحديث والفقه أن الله تعالى مبينٌ لمخلوقاته . ويقع للتكلمين أنه لا مبين ولا متّصل . ويقع للفلاسفة أنه لا داخل العالم ولا خارجة . ويقع للتأخرين من المتصوّفة أنه مُتَّحِدٌ بالمخلوقات : إما بمعنى الحلول فيها ؛ أو بمعنى إنه هو عينها ، وليس هناك غيره جملة ولا تفصيلاً . فلتبين تفصيل هذه المذاهب ونشر حقيقة كل واحد منها ، حتى

تَتَضَيَّحُ مَعَانِيهَا فَنَقُولُ ، إِنَّ الْمُبَايَنَةَ تَقَالُ لِمَتَيْنِ :

أحدهما المُبَايَنَةُ فِي الْحِزْرِ وَالْجَهَةِ ، وَيُقَابَلُهُ الْإِتِّصَالُ . وَتَشْعُرُ هَذِهِ الْمَقَابَلَةُ عَلَى هَذِهِ التَّقِيدِ بِالْمَكَانِ : إِمَّا صَرِيحاً ، وَهُوَ تَجْسِيمٌ ؛ أَوْ لُزوماً وَهُوَ تَشْبِيهِ مِنْ قَبِيلِ الْقَوْلِ بِالْجَهَةِ . وَقَدْ نَقَلَ مِثْلَهُ عَنْ بَعْضِ عُلَمَاءِ السَّلَفِ مِنَ التَّصْرِيحِ بِهَذِهِ الْمُبَايَنَةِ ، فَيَحْتَمِلُ غَيْرَ هَذَا الْمَعْنَى . وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْكَرَ الْمُتَكَلِّمُونَ هَذِهِ الْمُبَايَنَةَ وَقَالُوا : لَا يُقَالُ فِي الْبَارِي . أَنَّهُ مُبَايِنٌ مُخْلوقاتُهُ ، وَلَا مُتَّصِلٌ بِهَا ، لِأَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَكُونُ لِلْمُتَحَيِّزَاتِ . وَمَا يُقَالُ مِنْ أَنَّ الْحُلَّ لَا يَجْلُو عَنِ الْإِتِّصَافِ بِالْمَعْنَى وَضِدِّهِ ، فَهُوَ مُشْرُوطٌ بِصَحَّةِ الْإِتِّصَافِ أَوَّلًا ، وَأَمَّا مَعَ امْتِنَاعِهِ فَلَا ، بَلْ يَجُوزُ الْخَلْوُ عَنِ الْمَعْنَى وَضِدِّهِ ، كَمَا يُقَالُ فِي الْحِمَادِ ، لَا عَالَمٌ وَلَا جَاهِلٌ وَلَا قَادِرٌ وَلَا عَاجِزٌ وَلَا كَاتِبٌ وَلَا أَمِيٌّ . وَصِحَّةُ الْإِتِّصَافِ بِهَذِهِ الْمُبَايَنَةِ مُشْرُوطٌ بِالْحَصُولِ فِي الْجَهَةِ عَلَى مَا تَقَرَّرَ مِنْ مَذْلُولِهَا . وَالْبَارِي . سَبْطَانُهُ مَنَزَّهُ عَنْ ذَلِكَ . ذَكَرَهُ ابْنُ التِّلِمَسَانِيِّ فِي شَرْحِ اللَّعْمِ لِإِمَامِ الْحَرَمَيْنِ وَقَالَ : « وَلَا يُقَالُ فِي الْبَارِي . مُبَايِنٌ لِلْعَالَمِ وَلَا مُتَّصِلٌ بِهِ ، وَلَا دَاخِلٌ فِيهِ وَلَا خَارِجٌ عَنْهُ . وَهُوَ مَعْنَى مَا يَقُولُهُ الْفَلَاسِفَةُ أَنَّهُ لَا دَاخِلُ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجُهُ ، بِنَاءً عَلَى وَجُودِ الْجَوَاهِرِ غَيْرِ الْمُتَحَيِّزَةِ . وَأَنْكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ لِأَنَّهُ يُلْزَمُ مِنْ مَسَاوَاتِهَا لِلْبَارِي . فِي أَحْصَى الصِّفَاتِ ، وَهُوَ مَبْسُوطٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ .

وَأَمَّا الْمَعْنَى الْآخَرُ لِلْمُبَايَنَةِ ، فَهُوَ الْمُنَافَاةُ وَالْمُخَالَفَةُ ؛ فَيُقَالُ : الْبَارِي . مُبَايِنٌ لِمُخْلوقاتِهِ فِي ذَاتِهِ وَهُوِيَّتِهِ وَوُجُودِهِ وَصِفَاتِهِ . وَيُقَابَلُهُ الْإِتِّحَادُ وَالْإِمْتِزَاجُ وَالْإِخْتِلَاطُ . وَهَذِهِ الْمُبَايَنَةُ هِيَ مَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ

كلّهم من جمهور السلفِ وعلماء الشرائع والمتكلمين والمتصوّفة  
الأقدمين كأهل الرسالة ومن نحا منحاهم . وذهب جماعة من  
المتصوّفة المتأخّرين الذين صيروا المدايرَ الوجدانيّةَ علميّةً نظريّةً ،  
إلى أنّ الباري تعالى متّحدٌ بمخلوقاتِهِ في هويّتهِ ووجودِهِ وصفاتِهِ .  
وربّما زعموا أنّه مذهبُ الفلاسفةِ قبل أرسطو ، مثل أفلاطون  
وسُقراط ؛ وهو الذي يميّنه المتكلّمون حيث ينقلونه في علم الكلام  
عن المتصوّفة ويجاولون الردّ عليه لأنّه ذاتان ، تنتفي إحداها ، أو  
تندرجُ اندراجَ الجزء ؛ فإن تلكَ منازعةٌ صريحةٌ ، ولا يقولونَ بذلك .  
وهذا الاتّحادُ هو الحلُّ الذي تدّعيه النصارى في المسيح عليه  
السلام ، وهو أغربُ لأنّه حلولٌ قديمٌ في محدثٍ أو اتّحادٌ به .  
وهو أيضاً عينُ ما تقولهُ الإماميّةُ من الشيعة في الأئمة . وتقرير  
هذا الاتّحادِ في كلامهم على طريقين :

الأوّل : أنّ ذاتَ القديمِ كائنةٌ في المحدّثاتِ محسوسها ومعقولها ،  
متّحدةٌ بها في المتصورين ، وهي كلّها مظاهر له ، وهو القائمُ عليها ،  
أي المقومُ لوجودها ، بمعنى لولاه كانتَ عدماً وهو رأيُ أهلِ الحلُولِ .

الثانية : طريقُ أهلِ الوحْدَةِ المطلّقةِ وكأَنَّهُمْ استشعروا من  
تقريرِ أهلِ الحلُولِ النيريّةِ المنافيةِ لمعقُولِ الاتّحادِ ؛ فنوها بين القديمِ  
وبين المخلوقاتِ في الذاتِ والوجودِ والصفاتِ . وغالطوا في غيريّةِ  
المظاهرِ المدركةِ بالحوسِ والعقلِ بأنّ ذلكَ من المدايرِ البشريّةِ ،  
وهي أوهامٌ . ولا يريدونَ الوهمَ الذي هو قَسمُ العِلْمِ والظنِّ  
والشكِّ ؛ وإنّما يريدونَ أنّها كلّها عدَمٌ في الحقيقةِ ، وجودٌ في

المدرِكِ البشريّ فقط . ولا وجود بالحقيّة إلّا للقديم ، لا في الظاهر ولا في الباطن كما نفردّه بعد ، بحسب الإمكان . والتحويل في تمثّل ذلك على النظر والاستدلال ، كما في المدارك البشرية ، غير مفيد ؛ لأنّ ذلك إنّما ينتقل من المدارك المملّكية ؛ وإنّما هي حاصلة للأنبياء بالطّيرة ومن بعدهم للأولياء بهدّيتهم . وقصدُ من يقصدُ الحصول عليها بالطريقة العلميّة ضلال . وربّما قصد بعض المصنّفين ذلك في كشف الموجودات وترتيب حقائقه على طريق أهل الظاهر فأثى بالأغضض فالأغضض .

وربما قصد بعض المصنّفين بيان مذهبهم في كشف الوجود وترتيب حقائقه ، فأثى بالأغضض فالأغضض ، بالنسبة إلى أهل النظر والاصطلاحات والعلوم . كما فعل الفرغاني ، شارح قصيدته ابن الفارض ، في الديباجة التي كتبها في صدر ذلك الشرح ؛ فإنه ذكر في صدور الوجود عن الفاعل وترتيبه ، أنّ الوجود كلّهُ صادرٌ عن صفة الوحدانية ، التي هي مظهر<sup>(١)</sup> الأحديّة ، وهما معاً صادران عن الذات الكريمة التي هي عينُ الوحدان لا غير . ويسئون هذا الصدور بالتجلي .

وأول مراتب التجليات عندهم تجلي الذات على نفسه ، وهو يتضمّن الكمال بإفاضة الإيجاد والظهور ، لقوله في الحديث الذي يتناقلونه : « كنت كنزاً مخفياً ، فأحببت أن أعرف ، فخلقت الخلق »

(١) كذلك ، وفي نسخة ب : مصدر الأحديّة .

ليعرفوني». وهذا الكمال في الانحياز المتوزل<sup>(١)</sup> في الوجود وتفصيل الحقائق، وهو عندهم عالم المعاني والحضرة الكمالية<sup>(٢)</sup> والحقيقة المحمدية، وفيها حقائق الصفات واللوح والقلم وحقائق الأنبياء والرسل أجمعين، والكمل من أهل الملة المحمدية. وهذا كله تفصيل الحقيقة المحمدية. ويصد عن هذه الحقائق حقائق أخرى في الحضرة الهباتية، وهي مرتبة المثال، ثم عنها العرش، ثم الكرسي، ثم الافلاك، ثم عالم العناصر، ثم عالم التركيب. هذا في عالم الرتبة، فإذا تجلت، فهي في عالم الفتور. انتهى

ويسمى هذا المذهب مذهب أهل التجلي والمظاهر والحضرات، وهو كلام لا يقدر أهل النظر على تحصيل مقتضاه لنموذجه وانفلاقيه، وبعد ما بين كلام صاحب المشاهدة<sup>(٣)</sup> والوجدان وصاحب الدليل. وربما أنكر بظاهر الشرع هذا الترتيب فإنه لا يُعرف في شيء من مناحيه. وكذلك ذهب آخرون منهم إلى القول بالوحدة المطلقة، وهو رأي أغرب من الأول في تمثله وتفاريبه، يزعمون فيه أن الوجود له قوى في تفاصيله، بها كانت حقائق الموجودات وصورتها وموادها.

والعناصر إنما كانت بما فيها من القوى، وكذلك مادتها لها في نفسها قوة بها كان وجودها. ثم إن المركبات فيها تلك القوى

(١) كذا، وفي إحدى النسخ: المشترك.

(٢) كذا، وفي ب: والحضرة المعالية، وفي نسخة أخرى: والحضرة العبادية.

(٣) كذا، وفي ب: صاحب المشاهد.

مُتَضَمِّنَةٌ فِي الْقُوَّةِ الَّتِي كَانَ بِهَا التَّرَكِيبُ . كَالْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ فِيهَا قُوَى  
الْعُنَاصِرِ بِهَيُولَاهَا ، وَزِيَادَةِ الْقُوَّةِ الْمَعْدِنِيَّةِ ؛ ثُمَّ الْقُوَّةُ الْحَيَوَانِيَّةُ  
تَتَضَمَّنُ الْقُوَّةَ الْمَعْدِنِيَّةَ وَزِيَادَةَ قُوَّتِهَا فِي نَفْسِهَا ؛ وَكَذَا الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةُ  
مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ ؛ ثُمَّ الْفَلَكَ يُتَضَمَّنُ الْقُوَّةُ الْإِنْسَانِيَّةَ وَزِيَادَةَ . وَكَذَا  
الذَّوَاتُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالْقُوَّةُ الْجَامِعَةُ لِلْكَلِّ مِنْ غَيْرِ تَفْصِيلٍ ، هِيَ  
الْقُوَّةُ الْإِلَهِيَّةُ الَّتِي انْبَثَتْ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ كَلِيَّةٌ وَجُزْئِيَّةٌ ،  
وَجَمْعُهَا وَأَحَاطَتْ بِهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ ، لَا مِنْ جِهَةِ الظُّهُورِ وَلَا مِنْ  
جِهَةِ الْخَفَاءِ وَلَا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ ، وَلَا مِنْ جِهَةِ الْمَادَّةِ ؛ فَالْكَلُّ  
وَاحِدٌ وَهُوَ نَفْسُ الذَّاتِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَهِيَ فِي الْحَقِيقَةِ وَاحِدَةٌ بَسِيطَةٌ ،  
وَالْإِعْتِبَارُ هُوَ الْفَصْلُ لَهَا ؛ كَالْإِنْسَانِيَّةِ مَعَ الْحَيَوَانِيَّةِ . أَلَا تَرَى أَنَّهَا  
مَنْدَرَجَةٌ فِيهَا وَكَائِنَةٌ بِكُونِهَا . فَتَارَةً يَتَّخِذُهَا بِالْجَنَسِ مَعَ النَّوعِ ،  
فِي كُلِّ مَوْجُودٍ كَمَا ذَكَرْنَاهُ ؛ وَتَارَةً بِالْكَلِّ مَعَ الْجُزْءِ ، عَلَى طَرِيقَةِ  
الْإِثْبَالِ . وَهُمْ فِي هَذَا كَلِّهِ يَفْرُقُونَ مِنَ التَّرَكِيبِ وَالْكَثَرَةِ بَوَجْهِهِ مِنَ  
الْوُجُوهِ ، وَإِنَّمَا أَوْجَبَهَا عَنْدهُمْ الْوَهْمُ وَالْخِيَالُ . وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ كَلَامِ  
ابْنِ دَهْقَانَ فِي تَقْرِيرِ هَذَا الْمَذْهَبِ ، أَنَّ حَقِيقَةَ مَا يَقُولُونَهُ فِي الْوَحْدَةِ  
شَبِيهُ بِمَا يَقُولُهُ الْحُكَمَاءُ فِي الْأَلْوَانِ ، مِنْ أَنَّ وُجُودَهَا مَشْرُوطٌ  
بِالضُّوءِ ؛ فَإِذَا عُلِمَ الضُّوءُ لَمْ تَكُنِ الْأَلْوَانُ مَوْجُودَةً بِوَجْهِهِ .

وَكَذَا عَنْدهُمْ الْمَوْجُودَاتُ الْمَحْسُوسَةُ كُلُّهَا مَشْرُوطَةٌ بِوُجُودِ  
الْمُدْرِكِ الْحَسِيِّ ؛ بَلِ وَالْمَوْجُودَاتُ الْمَعْقُولَةُ وَالْمُتَوَهَّمَةُ أَيْضاً مَشْرُوطَةٌ  
بِوُجُودِ الْمُدْرِكِ الْعَقْلِيِّ ؛ فَإِذَا ، الْوُجُودُ الْمَفْصَّلُ كُلُّهُ مَشْرُوطٌ بِوُجُودِ  
الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ . فَلَوْ فَرَضْنَا عِلْمَ الْمُدْرِكِ الْبَشَرِيِّ جَمَلَةً لَمْ يَكُنْ

هناك تفصيل في الوجود ، بل هو بسيط واحد . فالحر والبرد ،  
والصلابة واللين ، بل والأرض والماء ، والنار والسماء والكواكب ،  
إنما وجدت لوجود الحواس المدركة لها ؛ لما جيل في المدرك من  
التفصيل ، الذي ليس في الموجود ، وإنما هو في المدرك فقط . فإذا  
فقدت المدرك المفصلة فلا تفصيل ، إنما هو ادراك واحد ، وهو  
أنا لا غيره . ويعتبرون ذلك بحال النائم ؛ فإنه إذا نام وفقد الحس  
الظاهر ، فقد كل محسوس ، وهو في تلك الحالة ؛ إلا ما يفصله  
له الخيال . قالوا : فكذلك اليقظان إنما يعتبر تلك المدركات كلها  
على التفصيل بنوع مدركه البشري ، ولو قلنا فقد مدركه فقد  
التفصيل ؛ وهذا هو معنى قولهم : الوهم ، لا الوهم الذي هو من  
جملة المدرك البشرية .

هذا ملخص رأيهم على ما يفهم من كلام ابن دهمان ، وهو  
في غاية السقوط ؛ لأننا نقطع بوجود البلد الذي نحن مسافرون  
إليه يقيناً مع غيبته عن أعيننا ، وبوجود السماء المظلمة والكواكب  
وسائر الأشياء الغائبة عنا . والإنسان قاطع بذلك ، ولا يكابر  
أحد نفسه في اليقين ، مع أن المحققين من المتصوفة المتأخرين  
يقولون : إن المريد عند الكشف ربما يمرض له توهم هذه الوحدة ،  
ويسمى ذلك عندهم مقام الجمع ثم يترقى عنه إلى التمييز بين  
الموجودات ، ويعبرون عن ذلك بمقام الفرق ، وهو مقام العارف  
الحقيق . ولا بد للمريد عندهم من عقبة الجمع ، وهي عقبة صعبة ؛  
لأنه يُخشى على المريد من وقوفه عندها ، فتخسر صفقته . فقد



تَبَيَّنَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ .

ثُمَّ إِنَّ هَؤُلَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي الْكَشْفِ وَفِيمَا وَرَاءَ الْحِسِّ ، تَوَغَّلُوا فِي ذَلِكَ ؛ فَذَهَبَ الْكَثِيرُ مِنْهُمْ إِلَى الْخُلُولِ وَالْوَحْدَةِ كَمَا أَشْرَأْنَا إِلَيْهِ ، وَمَلَأُوا الصُّفْ مِنْهُ ، مِثْلَ الْهَرَوِيِّ ، فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ لَهُ ، وَغَيْرِهِ . وَتَبِعَهُمْ ابْنُ الْعَرَبِيِّ وَابْنُ سَبْعِينَ وَتَلِيدُهُمَا ثُمَّ ابْنُ الْغَيْثِ وَابْنُ الْقَارِضِ وَالنَّجْمُ الْإِسْرَائِيلِيُّ فِي قِصَائِهِمْ . وَكَانَ سَلْطَنُهُمْ مَخَالِطِينَ لِلنَّسَاعِيَلِيَّةِ الْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الرَّافِضَةِ الدَّائِنِينَ أَيْضًا بِالْخُلُولِ وَالْهَيْمَةِ الْأَثَمَةِ ، مَذْهَبًا لَمْ يُعْرِفْ لِأَوَّلِهِمْ ؛ فَأَثْرَبَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَرِيبَيْنِ مَذْهَبَ الْآخَرِ . وَاخْتَلَطَ كَلَامُهُمْ وَتَشَابَهَتْ عَقَائِدُهُمْ . وَظَهَرَ فِي كَلَامِ الْمُتَصَوِّفَةِ الْقَوْلُ بِالْقُطْبِ ، وَمَعْنَاهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ . يَزْعُمُونَ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَسَاوِيَهُ أَحَدٌ فِي مَقَامِهِ فِي الْمَعْرِفَةِ ، حَتَّى يَقْبِضَهُ اللَّهُ . ثُمَّ يُوَرِّثُ مَقَامَهُ لْآخَرَ مِنْ أَهْلِ الْعِرْفَانِ . وَقَدْ أَشَارَ إِلَى ذَلِكَ ابْنُ سِينَا فِي كِتَابِ الْإِشَارَاتِ ، فِي فُصُولِ التَّصَوُّفِ مِنْهَا ، فَقَالَ : « جَلَّ جَنَابُ الْحَقِّ أَنْ يَكُونَ شِرْعَةً لِكُلِّ وَارِدٍ ، أَوْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ إِلَّا الْوَاحِدُ بَعْدَ الْوَاحِدِ » . وَهَذَا كَلَامٌ لَا تَقُومُ عَلَيْهِ حُجَّةٌ عَقْلِيَّةٌ وَلَا دَلِيلٌ شَرْعِيٌّ ؛ وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ أَنْوَاعِ الْخَطَابَةِ ، وَهُوَ بَعِينُهُ مَا تَقُولُهُ الرَّافِضَةُ فِي تَوَارِثِ الْأَيُّمَةِ عَنْهُمْ . فَانْظُرْ كَيْفَ سَرَقَتْ طَبَاعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ هَذَا الرَّأْيَ مِنَ الرَّافِضَةِ وَدَانُوا بِهِ . ثُمَّ قَالُوا بِتَرْتِيبِ وَجُودِ الْأَبْدَالِ بَعْدَ هَذَا الْقُطْبِ ، كَمَا قَالَ الشَّيْبَةُ فِي النُّقْبَاءِ . حَتَّى إِنَّهُمْ لَمَّا أَسْنَدُوا لِبَاسَ خِرْقَةِ التَّصَوُّفِ ، لِيَجْعَلُوهُ أَصْلًا

لَطَرِيْقَتِهِمْ وَنَحْلَتِهِمْ ، رَفَعُوهُ <sup>(١)</sup> إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وَهُوَ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى أَيْضاً . وَإِلَّا فَعَلِيٌّ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، لَمْ يُخْتَصَّ مِنْ بَيْنِ الصَّحَابَةِ بِنَحْلَةٍ وَلَا طَرِيقَةٍ فِي لِبَاسٍ وَلَا حَالٍ . بَلْ كَانَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَزْهَدَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَكْثَرُهُمْ عِبَادَةً . وَلَمْ يُخْتَصَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ فِي الدِّينِ بِشَيْءٍ يُوَثِّرُ عَنْهُ عَلَى الْخُصُوصِ ، بَلْ كَانَ الصَّحَابَةُ كُلُّهُمْ أَسْوَةً فِي الدِّينِ وَالزُّهْدِ وَالْمُجَاهَدَةِ .

تَشْهَدُ بِذَلِكَ سِيرَتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ . نَعَمْ إِنَّ الشَّيْعَةَ يَخْتَلُونَ بِمَا يَنْقُلُونَ مِنْ ذَلِكَ اخْتِصَاصَ عَلِيٍّ بِالْفَضَائِلِ دُونَ مَنْ سِوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ ذَهَاباً مَعَ عَقَائِدِ التَّشْيِيعِ الْمَعْرُوفَةِ لَهُمْ . وَالَّذِي يَظْهَرُ أَنَّ الْمُتَصَوِّفَةَ بِالْعِرَاقِ ، لَمَّا ظَهَرَتِ الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ ، وَظَهَرَ كَلَامُهُمْ فِي الْإِمَامَةِ وَمَا يَرْجِعُ إِلَيْهَا مَا هُوَ مَعْرُوفٌ ، فَاقْتَبَسُوا مِنْ ذَلِكَ الْمَوَازِنَةَ بَيْنَ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ وَجَعَلُوا الْإِمَامَةَ لِسِيَاسَةِ الْخَلْقِ فِي الْإِنْقِيَادِ إِلَى الشَّرْعِ ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ أَنْ لَا يَمِيعَ اخْتِلَافٌ كَمَا تَمَرَّرَ فِي الشَّرْعِ . ثُمَّ جَعَلُوا الْقُطْبَ لِتَعْلِيمِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ لِأَنَّهُ رَأْسُ الْعَارِفِينَ ، وَأَفْرَدُوهُ بِذَلِكَ تَشْبِيهاً بِالْإِمَامِ فِي الظَّاهِرِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَلَى وَزَانِهِ فِي الْبَاطِنِ وَسُوءُهُ قُطْباً لِمَدَارِ الْمَعْرِفَةِ عَلَيْهِ ، وَجَعَلُوا الْأَبْدَالَ كَالْتَّقَبَاءِ مَبَالغةً فِي التَّشْبِيهِ . فَتَأَمَّلْ ذَلِكَ .

يَشْهَدُ بِذَلِكَ كَلَامُ هَؤُلَاءِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِي أَمْرِ الْفَاطِمِيِّ ، وَمَا شَحَنُوا بِهِ كِتَابَهُمْ فِي ذَلِكَ ، مِمَّا لَيْسَ لِسَلَفِ الْمُتَصَوِّفَةِ فِيهِ كَلَامٌ

(١) كَذَا ، وَفِي ب : وَقَفُوهُ عَلَى عَلِيٍّ . الخ .

بنفيهِر أو إثباتٍ ؟ وإنما هو مأخوذٌ من كلامِ الشَّيعَةِ والرافضةِ ومذاهبهم في كتبهم . والله يَهْدِي إلى الحقِّ .

تذييل : وقد رأيتُ أن أجلبَ هنا فصلاً من كلام شيخنا العارِف ، كبيرِ الأولياء بالأندلس ، أبي هَدي عيسى بن الزَّيَّات ، كان يَعمُّ له أكثر الأوقاتِ على أبياتِ المَرْوِيِّ التي وقعت له في كتابِ المَآمَاتِ تَويهِمُ القَوْلَ بالوَحْدَةِ المطلَّعةِ أو يكادُ يصرِّحُ بها وهي قوله :

ما وَحدَ الواحدَ من واحدٍ    إذْ كلُّ من وَحدَهُ جَاحِدُ  
توحيدُ من يَنطِقُ عن نَعْتِهِ    تثنِيَةٌ أَبطلها الواحدُ  
توحيدُهُ إِيَّاهُ تَوحيدُهُ    ونعتُ من ينعته لا جِدُ

فيقول رحمه الله على سبيلِ المُدرِ عنه : « استشكَل الناسُ إطلاقَ لفظِ الجُحودِ على كلِّ من وَحدَ الواحدَ وَلَقَطَ الإِلْحَادَ على من نَعَتَهُ وَوصَفَهُ . واستشعوا هذه الأبياتِ وحلوا قائلها على الكفرِ واستخفَّوه . ونحن نقول على رأي هذه الطائفةِ أنَّ معنى التوحيدِ عندهم انتفاءُ عَيْنِ الحُدُوثِ بَبُيُوتِ عَيْنِ القِدَمِ . وأنَّ الوجودَ كُلَّهُ حَقِيقَةٌ واحدةٌ وَاوِيَّةٌ واحدةٌ . وقد قال أبو سَعيدِ الجُزَّارُ من كبارِ القومِ : الحقُّ عَيْنُ ما ظهر وعَيْنُ ما بطن . ويرون أنَّ وقوعَ التعدُّدِ في تلكِ الحَقِيقَةِ وجودُ الاثْنَيْنِ . وهم باعتبارِ حضراتِ الحَسِّ بِمَنزِلَةِ صُورِ الضلالِ والصدا والمُرائي . وأنَّ كلَّ ما سوى عَيْنِ القِدَمِ ، إذا اسْتَجَبَ فهو عَدم . وهذا معنى : كان الله ؟ ولا شيء معه ؟ وهو الآن على

ما هو عليه ، كان عندهم . ومعنى قول لبيد الذي صدّقه رسول الله ﷺ في قوله : « ألا كل شيء ، ما خلا الله ، باطل » . قالوا فن وحدّ ونعت ، فقد قال بموجد محدث ، هو نفسه ؛ وتوحيد محدث هو فعله ، موجد قديم ، هو معبود .

وقد تقدّم معنى التوحيد انتفاء عين الحدوث ، وعين الحدوث الآن ثابتة بل متعدّدة ، والتوحيد بمحدود ، والدعوى كاذبة . كمن يقول لنيره ، وهما ممّا في بيت واحد : ليس في البيت غيرك ا فيقول الآخر بلسان حاله : لا يصحّ هذا إلا لو عُذِمَتْ أنت . . . . . وقد قال بعض المحقّقين في قولهم : « خلق الله الزمان » ، هذه ألفاظ تناقض أصولها ، لأنّ خلق الزمان مُتَقَيِّمٌ على الزمان ، وهو فعل لا بدّ من وقوعه في الزمان ، وإلّا ما حلّ ذلك ضيق العبارة عن الحقائق وعجزُ اللغات عن تأديّة الحقّ فيها وبها . فإذا تحقّق أنّ الموحّد هو الموحّد ، وعلم ما سواه جملة ، صحّ التوحيد حقيقة . وهذا معنى قولهم : « لا يعرف الله إلا الله » . ولا حرج على من وحدّ الحقّ مع بقاء الرسوم والآثار ؛ وإلّا ما هو من باب : « حسنات الأبرار سيئات المقرّين » . لأنّ ذلك لازم التقييد والعبودية والشفعية . ومن ترقى إلى مقام الجمع كان في حقه نقصاً ، مع علمه برتبته ، وألّه تلبس تستلزمه العبوديّة ورفعه الشهود ، ويطهر من دنس حدوثه عين الجمع . وأغرق الأصناف في هذا الزعم القائلون بالوحدية المطلقة . ومدار المعرفة بكلّ اعتبار على الانتهاء إلى الواحد ؛ وإلّا صدّر هذا القول من الناظم على سبيل التحريض

والتنبيه والتفتين ، لمقام أعلى ، ترتفع فيه الشفعية ويحصل التوحيد المطلق ، عيناً لا خطاباً . وعبارة فن سلم استراح ، ومن نازعته حقيقة أليس بقوله : كنت سيمه وبصره . وإذا عرفت المعاني لا مشاحة في الألفاظ . والذي يفيد هذا كله تحقق أمر فوق هذا الطور ، لا نطق فيه ولا خبر عنه . وهذا المقدار من الإشارة كافٍ . والتحقق في مثل هذا حجاب ، وهو الذي أوقع في المقالات المعروفة . انتهى كلام الشيخ أبي مهدي الزيات ، ونقلته من كتاب الوزير ابن الخطيب الذي ألفه في الحجة ، وسماه التعريف بالحبيب الشريف . وقد سمعته من شيخنا أبي مهدي يراد ! إلا أنني رأيت رسوم الكتاب أوعى له ، لطول عهدي به . والله الموفق .

ثم إن كثيراً من الفناء وأهل الفتيا ، انتدبوا للرد على هؤلاء المتأخرين في هذه المقالات وأمثالها ، وشملوا بالكبير سائر ما وقع لهم في الطريقة . والحق أن كلامهم معهم فيه تفصيل ، فإن كلامهم في أربعة مواضع : أحدها الكلام على المجاهدات وما يحصل من الأدواق والمواجيد ومحاسبة النفس على الأعمال ، لتحصل تلك الأدواق ، التي تصير مقاماً ويترقى منه إلى غيره كما قلناه ؛ وثانيها الكلام في الكشف والحقيقة المدركة من عالم الغيب ، مثل الصفات الربانية والعرش والكرسي والملائكة والوحي والنبوة والروح وحقائق كل موجود غائب أو شاهد ، وتركيب الأكوان في صدورهما عن موجدتها ومكونها كما مر ؛ وثالثها التصرفات في العوالم والأكوان بأنواع الكرامات ؛ ورابعها ألفاظ موهمة الظاهر

صدرت من الكثير من أئمة القوم ، يعبرون عنها في اصطلاحهم بالشطحات ، تستشكل ظواهرها ، فتكرّ ويحسن ومتأول . فأما الكلام في المجاهدات والمقامات ، وما يحصل من الأذواق والمواجد في نتائجها ، ومحاسبة النفس على التقصير في أسبابها ، فأمر لا مدفع فيه لأحد ، وأذواقهم فيه صحيحة ، والتحقيق بها هو عين السعادة ؛ وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات وتصرفهم في الكائنات ، فأمر صحيح غير منكر . وإن مال بعض العلماء الى إنكارها فليس ذلك من الحق . وما احتج به الاستاذ أبو اسحاق الاسفرايني من أئمة الأشعرية على إنكارها ، لالتباسها بالمعجزة ، فقد فرق المحققون من أهل السنة بينهما بالتحدي ، وهو دعوى وقوع المعجزة على وفق ما جاء به . قالوا : ثم إن وقوعها على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، لأن دلالة المعجزة على الصدق عقلية ؛ فإن صفة نفسها التصديق . فلو وقعت مع الكاذب لتبدلت صفة نفسها وهو محال . هذا مع أن الوجود شاهد بوقوع الكثير من هذه الكرامات ، وإنكارها نوع مكابرة .

وقد وقع للصحابة وأكابر السلف كثير من ذلك ، وسر معلوم مشهور . وأما الكلام في الكشف وإعطاء حقائق الملوّيات وترتيب صدور الكائنات ؛ فأكثر كلامهم فيه نوع من التشابه ، لما أنه وجداني عندهم ؛ وفاقد الوجدان عندهم بمنزلة عن أذواقهم فيه . واللغات لا تعطي دلالة على مرادهم منه ؛ لأنها لم توضع إلا للتعارف ، وأكثره من المحسوسات . فيبغى أن لا نتعرض لكلامهم

في ذلك ، وتركه فيما تركناه من المتشابه . ومن رزقه الله فهم شيء من هذه الكلمات ، على الوجه الموافق لظاهر الشريعة ؛ فأكرم بها سعادة . وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ، ويؤاخذهم بها أهل الشرع ، فاعلم أن الإنصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس ، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه ، وصاحب الغيبة غير مخاطب ، والمجور معذور .

فمن علم منهم فضله واقتداؤه ، همل على القصيد الجليل من هذا وأمثاله . وإن العبارة عن المواجد صعبة لفقدان الوضع لها ، كما وقع لأبي يزيد البسطامي وأمثاله . ومن لم يعلم فضله ولا اشتهر ، فواخذ بما صدر عنه من ذلك ، إذا لم يتبين لنا ما يحملنا على تأويل كلامه . وأما من تكلم بمثلها ، وهو حاضراً في جسده ، ولم يملكه الحال ، فواخذ أيضاً . ولهذا أفتى الفقهاء وأكابر المتصوفة بقتل الخلاج ، لأنه تكلم في حضوره ، وهو مالك لحاله . والله أعلم .

وسلف المتصوفة من أهل الرسالة أعلام الملّة الذين أشرنا إليهم من قبل ، لم يكن لهم حرص على كشف الحجاب ، ولا هذا النوع من الإدراك ؛ إنما همم الاتباع والافتداء ما استطاعوا . ومن عرض له شيء من ذلك عرض عنه ولم يحفل به ، بل يفرّون منه ويرون أنه من العوائق واليأس . وأنه إدراك من ادراكات النفس مخلوق حادث ، وأن الموجودات لا تنحصر في مدارك الإنسان . وعلم الله أوسع وخلفه أكبر ، وشريعته بالهداية أملك ؛ فلم ينطقوا بشيء مما يدرّكون . بل حظروا الخوض في ذلك ومنعوا من

يُكشَفُ له الحجابُ من أصحابهم من الخوض فيه والوقوف عنده، بل يلتزمون طريقتهم كما كانوا في عالم الحس قبل الكشف من الاتباع والافتداء، ويأمرون أصحابهم بالتزامها. وهكذا ينبغي أن يكون حال المريد. والله الموفق للصواب.

## الفصل الثامن عشر

### علم تصوير الرؤيا

هذا العلم من العلوم الشرعية وهو حادث في الملة عندما صارت العلوم صنائع، وكتب الناس فيها. وأما الرؤيا والتعبير لها، فقد كان موجوداً في السلف كما هو في الخلف. وربما كان في الملوك<sup>(١)</sup> والأمم من قبل؛ إلا أنه لم يصل إلينا للاكتفاء فيه بكلام المعبرين من أهل الإسلام. وإلا فالرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها. فلقد كان يوسف الصديق صلوات الله عليه يُعبر الرؤيا، كما وقع في القرآن. وكذلك ثبت في الصحيح، عن النبي ﷺ، وعن أبي بكر رضي الله عنه. والرؤيا مُدرك من مدارك النيب. وقال ﷺ: «الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». وقال: «لم يبق من المبشرات إلا الرؤيا الصالحة، يراها الرجل الصالح، أو تُرى له».

(١) كذا، وفي ب: في الملل والأمم.



وأول ما بُدِيَ، به النبي ﷺ من الوحي الرؤيا؛ فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. وكان النبي ﷺ، إذا انتقل<sup>(١)</sup> من صلاة الغداة يقول لأصحابه: «هل رأى أحدُ منكم الليلة رؤيا؟» يسألهم عن ذلك ليستبشروا بما وقع من ذلك، مما فيه ظهور الدين وإعزازه.

وأما السبب في كون الرؤيا مُذَكِّراً للغيب فهو أن الروح القلبي، وهو البخار اللطيف المنبعث من تجويف القلب للحميد، ينتشر في الشريانات ومع الدم في سائر البدن، وبه تكمل أفعال القوى الحيوانية وإحساسها. فإذا أدركه الملأل بكثرة التصرف في الاحساس بالحواس الخمس، وتصريف القوى الظاهرة، وغشي سطح البدن ما يغشاه من برد الليل، انخس الروح من سائر أقطار البدن إلى مركزه القلبي؛ فيستجم بذلك لما ودعه فعله، فتعطلت الحواس الظاهرة كلها، وذلك هو معنى النوم كما تقدم في أول الكتاب. ثم إن هذا الروح القلبي هو مطية للروح العاقل من الانسان، والروح العاقل مدرك لجميع ما في عالم الأمر بذاته، إذ حقيقته وذاته عين الإدراك. وإنما ينبع من تعمله لمدارك الغيبة، ما هو فيه من حجاب الاشتغال بالبدن وقواه وحواسه. فلو قد خلا من هذا الحجاب وتجرد عنه، لرجع إلى حقيقته وهو عين الإدراك، فيعمل كل مدرك. فإذا تجرد عن بعضها خفت شواغلها؛ فلا بد له من إدراك لحظة من عالمه بقدر ما تجرد له، وهو في

(١) كذا، وفي نسخة: انتقل.

هذه الحالة قد خفت شواغل الحس الظاهر كلها ، وهي الشاغل الأعظم ؛ فاستعد لقبول ما هنالك من المدارك اللاتمة به من علمه . وإذا أدرك ما يدرك من عوالمه رجع به إلى بدنه . إذ هو ما دام في بدنه جسماني ، لا يمكنه التصرف إلا بالمدارك الجسمانية . والمدارك الجسمانية للعلم إنما هي الدماغية ، والمتصرف منها هو الخيال . فانه ينتزع من الصور المحسوسة صوراً خيالية ، ثم يدفعها إلى الحافظة تحفظها له إلى وقت الحاجة إليها عند النظر والاستدلال . وكذلك تجرد النفس منها صوراً أخرى نفسانية عقلية ؛ فيترقى التجريد من المحسوس إلى العقول ، والخيال واسطة بينهما . وكذلك إذا أدركت النفس من عالمها ما تدركه ، ألقت إلى الخيال فيصوره بالصورة المناسبة له ، ويدفعه إلى الحس المشترك ، فيراه النائم كأنه محسوس ؛ فيتزّل المدرك من الروح العقلي إلى الحسي . والخيال أيضاً واسطة . هذه حقيقة الرؤيا .

ومن هذا التقرير يظهر لك الفرق بين الرؤيا الصادقة وأضغاث الأحلام الكاذبة ؛ فإنها كلها صور في الخيال حالة النوم . لكن إن كانت تلك الصور متزلة من الروح العقلي المدرك فهي رؤيا ؛ وإن كانت مأخوذة من الصور التي في الحافظة التي كان الخيال أودعها إياها ، منذ البقطة ، فهي أضغاث أحلام .

واعلم أن للرؤيا الصادقة علامات تؤذن بصديقتها وتشهد بصحتها ؛ فيستشير الرائي البشارة من الله بما ألقى إليه في نومه ؛ فمنها سرعة انتباه الرائي عندما يُدرك الرؤيا ، كأنه يعاجل الرجوع إلى الحس .

بِالْيَقَظَةِ ، ولو كان مستغرقاً في نومه ، لثقل ما أُلقيَ عليه من ذلك الإدراك فيفتر من تلك الحالة إلى حالة الحس التي تبقى النفس فيها منغمسةً بالبدن وعوارضه ، ومنها ثبوت ذلك الإدراك ودوامه بانطباع تلك الرؤيا بتفاصيلها في حفظه ، فلا يتخللها سهر ولا نسيان. ولا يحتاج إلى إحضارها بالفكر والتذكر ، بل تبقى متصورةً في ذهنه إذا انتبه . ولا يغرب عنه شيء منها ، لأن الإدراك النفساني ليس بزماني ولا يلحقه ترتيب ، بل يدركه دفعةً في زمن فرد. وأضغاث الأحلام زمانية ، لأنها في القوى الدماغية يستخرجها الخيال من الحافظة إلى الحس المشترك كما قلناه. وأفعال البدن كلها زمانية فيلحقها الترتيب في الإدراك والمتتبع والمتأخر. ويعرض النسيان العارض للقوى الدماغية . وليس كذلك مدارك النفس الناطقة إذ ليست زمانية ، ولا ترتيب فيها . وما ينطبع فيها من الادراكات فينطبع دفعةً واحدةً في أقرب من لمح البصر . وقد تبقى الرؤيا بعد الانتباه حاضرةً في الحفظ أياماً من العمر ، لا تشذ بالفتلة عن الفكر بوجه ، إذا كان الإدراك الأول قوياً ، وإذا كان إنما يتذكر الرؤيا بعد الانتباه من النوم بإعمال الفكر والوجه إليها ، وينسى الكثير من تفاصيلها حتى يتذكرها فليست الرؤيا بصادقة ؛ وإنما هي من أضغاث الأحلام . وهذه العلامات من خواص الوحي . قال الله تعالى لَنَبْهِيَنَّكَ ﴿١﴾ لَا تُحَرِّكُ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَالْعَبَّ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿٢﴾

والرؤيا لها نسبة من النبوة والوحي كما في الصحيح. قال عليه السلام: «الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة» فلخواصها أيضاً نسبة إلى خواص النبوة، بذلك القدر؛ فلا تستبعد ذلك، فهذا وجه الحق. والله الخالق لما يشاء».

وأما معنى التعبير، فاعلم أن الروح العقلي إذا أدرك مدركه وألقاه إلى الخيال، فصورته؛ فانما يصوره في الصور المناسبة لذلك المعنى بعض الشيء، كما يدرك معنى السلطان الأعظم، فيصوره الخيال بصورة البحر؛ أو يدرك العداوة فيصورها الخيال في صورة الحية. فإذا استيقظ، وهو لم يعلم من أمره، إلا أنه رأى البحر أو الحية؛ فينظر المعبر بقوة التشبيه، بعد أن يتيقن أن البحر صورة محسوسة، وأن المدرك وراءها، وهو يفتدي بقرائن أخرى تعين له المدرك؛ فيقول مثلاً هو السلطان؛ لأن البحر خلق عظيم يناسب أن يشبه به السلطان؛ وكذلك الحية، يناسب أن تشبه بالعدو لعظم ضررها؛ وكذا الأواني تشبه بالنساء لأنهن أوعية؛ وأمثال ذلك. ومن المرنى ما يكون صريحاً، لا يفتقر إلى تعبير، لجلاتها ووضوحها أو لقرب النسبة فيها بين المدرك وشبهه. ولهذا وقع في الصحيح، الرؤيا ثلاث: رؤيا من الله ورؤيا من الملك ورؤيا من الشيطان. فالرؤيا التي من الله هي الصريحة التي لا تفتقر إلى تأويل، والتي من الملك هي الرؤيا الصادقة تفتقر إلى التعبير<sup>(١)</sup>،

(١) كذا، وفي ب: إلى تأويل.

والرؤيا التي من الشيطان هي الأضغاث.

واعلم أيضاً أن الخيال إذا ألقى إليه الروح مُذَكِّكاً ، فإنما يصورُهُ في القوالب المعتادة للحس ، وما لم يكن الحس أدركه قطُّ من القوالب فلا يصور فيه شيئاً . فلا يمكن من ولد أعمى أكله أن يصور له السلطان بالبحر ، ولا العلو بالحية ، ولا النساء بالأواني ؛ لأنه لم يُذكر شيئاً من هذه . وإنما يصورُ له الخيال أمثال هذه ، في شُبُهها ومُناسِبها من جنس مداركه التي هي المسموعات والمشمومات . وَلِتَحْفَظَ المعبر من مثل هذا ، فربما اختلطَ به التعبيرُ وقُصدَ قانونُهُ .

ثم إن علم التعبير ، علم بقوانين كلية ، يبني عليها المعبرُ عبادة ما يُعصُّ عليه . وتأويلُهُ كما يقولون : البحرُ يدلُّ على السلطان ، وفي موضع آخر يقولون : البحرُ يدلُّ على النبط ، وفي موضع آخر على المهمل والأمر الفادح . ومثل ما يقولون : الحية تدلُّ على العلو ؛ وفي موضع آخر يقولون تدلُّ على الحياة وفي موضع آخر هي كاتم سرٍّ . وأمثال ذلك . فيحفظُ المعبرُ هذه القوانين الكلية . ويُعبرُ في كل موضع بما تقتضيه القرائن التي تعين من هذه القوانين ما هو أليقُّ بالرؤيا . وتلك القرائن منها في اليقظة ومنها في النوم ، ومنها ما يندحُّ في نفس المعبر بالخاصية التي خلقت فيه ، وكلُّ ميسر لما خُلِقَ له . ولم يزل هذا العلم متناقلاً بين السلف . وكان محمد بن سيرين فيه من أشهر العلماء ، وكُتِبَتْ عنه في ذلك قوانين ، وتناقلها الناس لهذا العهد . وألفَ الكرماني فيه من بعده . ثم ألفَ

المتكلمون المتأخرون وأكثروا. والمتداول بين أهل المغرب لهذا العهد كتب ابن أبي طالب القيرواني ، من علماء القيروان ، مثل الممتع وغيره ، وكتاب الإشارة للسالمي من أنفع الكتب فيه وأحضرها. وكذلك كتاب المرقبة العليا لابن راشد من مشيختنا بتونس. وهو علم مضي بنور النبوة للناسبة التي بينها ولكونها كانت من مدارك الوحي ، كما وقع في الصحيح. والله أعلم بالثيوب.

## الفصل التاسع عشر

### العلوم العقلية وأصنافها

وأما العلوم العقلية التي هي طبيعية للإنسان ، من حيث إنه ذو فكر فهي غير مختصة ببلد ، بل يوجد النظر فيها لأهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها. وهي موجودة في النوع الإنساني ، منذ كان عمران الخليفة . وتسمى هذه العلوم علوم الفلسفة والحكمة ، وهي مشتقة على أربعة علوم :

الأول علم المنطق ، وهو علم يصمم الذهن عن الخطأ في اقتناص المطالب المجهولة من الأمور الحاصلة المعلومة ، وفائدته تمييز الخطأ من الصواب ، فيما يلتبس الناظر [ في الموجودات وعوارضها<sup>(١)</sup> ] ، ليقف على تحقيق الحق في الكائنات نفيًا وثبوتًا

(١) كذا ، وفي ب : في التصورات والتصلقات الذاتية والعرضية .

بمنتهى فكره . ثم النظرُ بعد ذلك عندهم إما في المحسوسات من الأجسام العنصرية والمكوّنة عنها من المعدن والنبات والحيوان والأجسام الفلكية والحركات الطبيعية . أو النفس التي تنبعثُ عنها الحركات وغير ذلك ، ويُسمى هذا الفن بالعلم الطبيعي وهو العلم الثاني منها . وإما أن يكونَ النظرُ في الأمور التي وراء الطبيعة من الروحانيات ، ويسمونه العلم الإلهي وهو العلم الثالث منها . والعلم الرابع وهو الناظرُ في المقادير ، ويشتملُ على أربعة علومٍ ، وهي تسمى التعاليم .

أولها : علمُ الهندسة ، وهو النظرُ في المقادير على الإطلاق . إما المنفصلة من حيث كونها معدودة ؛ أو المتصلة ، وهي إما ذو بعد واحد وهو الخط ، أو ذو بعدين وهو السطح ، أو ذو أبعاد ثلاثة وهو الجسم التعليمي . ينظرُ في هذه المقادير وما يعرضُ لها ، إما من حيث ذاتها ، أو من حيث نسبة بعضها إلى بعض . وثانيها : علمُ الأرقامطيق ، وهو معرفة ما يعرضُ للكم المنفصل الذي هو العدد ، ويؤخذُ له من الخواص والعوارض اللاحقة .

وثالثها : علمُ الموسيقى ، وهو معرفة نسب الأصوات والنغم بعضها من بعض وتقديرها بالعدد ، وثمرته معرفة تلاحين الغناء . ورابعها : علمُ الهيئة وهو تعيين الأشكال للأفلاك ، وحصر أوضاعها وتعددها لكل كوكب من السيارَةِ والثابتة ، والقيام

على معرفة ذلك من قبَل الحركات السماوية المشاهدة الموجودة لكل واحد منها ، ومن رجوعها واستقامتها وإقبالها وإدبارها .  
فهذه أصول العلوم الفلسفية وهي سبعة : المنطق وهو المقدم منها وبعده التعاليم ، فالارتماطيقي أولاً ثم الهندسة ثم الهيئة ثم الموسيقى ، ثم الطبيعيات ، ثم الإلهيات ، ولكل واحد منها فروع تنفر عنده . فن فروع الطبيعيات الطب ؛ ومن فروع علم السد علم الحساب والفرائض والمعاملات ومن فروع الهيئة الأزياج ، وهي قوانين لحسابات حركات الكواكب وتعديلها ، للوقوف على مواضعها متى قصِد ذلك ؛ ومن فروع النظر في النجوم علم الأحكام النجومية . ونحن نتكلم عليها واحداً بعد واحد إلى آخرها .

واعلم أن أكثر من غني بها في الأجيال الذين عرفنا أخبارهم الأمتان العظيمتان في الدولة قبل الإسلام ، وهما فارس والروم ؛ فكانت أسواق العلوم نافقة لديهم على ما بلغنا لما كان العمران موفوراً فيهم ، والدولة والسلطان قبل الإسلام وعصرهم ؛ فكان لهذه العلوم بحورٌ زاخرة في آفاقهم وأمصارهم . وكان للكلدانيين ومن قبلهم من السريانيين ومن عاصرهم من القبط عناية بالسحر والتنجامة وما يتبعها من الطلاسم<sup>(١)</sup> . وأخذ ذلك عنهم الأمم من فارس ويونان ؛ فاخص بها القبط ، وطمى بحرهما فيهم ، كما وقع في المتلور من خبر هاروت وماروت ، وشأن السحرة ، وما نقله أهل

(١) كذا ، وفي ب : من التأثيرات والطلاسم .



العلم من شأن البرائي بصعيد مصر . ثم تباينت الملل بحظر ذلك وتحريمه ، فدرست علومه وبطلت كأن لم تكن ، إلا بقايا يتناقلها متتجو هذه الصنائع . الله أعلم بصحتها . مع أن سيوف الشرع قائمة على ظهورها ، مانعة من اختبارها .

وأما الفرس ، فكان شأن هذه العلوم العقلية عندهم عظيماً ، ونطاقها متسعاً ، لما كانت عليه دولتهم من الضخامة واتصال الملك . ولقد يقال : إن هذه العلوم ، إنما وصلت إلى يونان منهم ، حين قتل الإسكندر دارا وغلب على مملكة الكبيئة ، فاستولى على كتبهم وعلومهم . إلا أن المسلمين لما افتتحوا بلاد فارس ، وأصابوا من كتبهم وصحائف علومهم ، ما لا يأخذ الحصر ، كتب سعد ابن أبي وقاص إلى عمر بن الخطاب يستأذنه في شأنها وتنقلها للمسلمين . فكتب إليه عمر أن اطرحوها في الماء . فإن يكن ما فيها هدى ، فقد هدانا الله بأهدى منه ، وإن يكن ضللاً فقد كفانا الله . فطرحوها في الماء أو في النار ، وذهبت علوم الفرس فيها عن أن تصل إلينا .

وأما الروم فكانت الدولة منهم ليونان أولاً ، وكان لهذه العلوم بينهم مجال رحب ، وحملها مشاهير من رجالهم مثل أساطين الحكمة وغيرهم . واختص فيها المشاؤون منهم ، أصحاب الرواق بطريقة حسنة في التعليم . كانوا يقرأون في رواق يظللهم من الشمس والبرد على ما زعموا . واتصل فيها سند تعليمهم على ما يزعمون ، من لدن لقمان الحكيم في تلميذه إلى سُقراط الدين ، ثم

إلى تلميذ أفلاطون ، ثم إلى تلميذ أرسطو ، ثم إلى تلميذ الإسكندر الأفردوسي وتامسطيوس وغيرهم . وكان أرسطو معلماً للإسكندر ملكهم ، الذي غلب الفرس على ملكهم ، وانتزع الملك من أيديهم . وكان أرسطو في هذه العلوم قدماً وأبندهم فيها صيتاً وشهرة . وكان يسمى المعلم الأول ، فطار له في العالم ذكر .

ولما انقرض أمر اليونان ، وصار الأمر للقيصرية وأخذوا بدين النصرانية ، هجروا تلك العلوم كما تقتضيه الملل والشرائع فيها . وبقيت في صُفْهِها ودواوينها مخلّدة باقية في خزائنها . ثم ملكوا الشام ، وكتب هذه العلوم باقية فيهم .

ثم جاء الله بالاسلام ، وكان لأهله الظهور الذي لا يكفأ له ، وابتزوا الروم ملكهم فيما ابتزوه للأمم . وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع ، حتى إذا تبصّر<sup>(١)</sup> السلطان والدولة ، وأخذوا من الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الأمم ، وتفتنوا في الصنائع والعلوم . تشوّفوا إلى الإطلاع على هذه العلوم الحكيمة ، بما سمعوا من الأساقفة والأقسة المأهدين بعض ذكر منها ، وبما تسمو إليه أفكار الإنسان فيها . فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم ، أن يبعث إليه بكتب التحاليم مترجمة ، فبعث إليه بكتاب أوقليدس وبعض كتب الطبيعيات . فقرأها المسلمون وأطلعوا على ما فيها ، وازدادوا حرصاً على التفرّج بما بقي منها . وجاء المأمون بعد ذلك ، وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتج له ، فأنبعث لهذه

(١) تبصّر : تمكن في المقام والحلول . وفي ب : انتجع .

العلوم حرصاً ، وأوفد الرُّسلَ على ملوكِ الرومِ في استخراجِ علومِ  
اليونانيين وانتساخها بالخطِّ العربيّ . وبمَثِّ المترجمينَ لذلك ، فأوعى  
منه واستوعب . وعكفَ عليها النُّظارُ من أهلِ الإسلامِ وحذقوا  
في فنونها ، وانتهت إلى الغاية أنظارُهم فيها . وخالفوا كثيراً من  
آراءِ المُعلِّمِ الأوَّلِ ، واختصُّوه بالردِّ والمُبولِ ، لوقوفِ الشهرةِ عندهُ .  
ودوّنوا في ذلك الدواوينَ ، وأربّوا على من تقدَّسهم في هذه العلومِ .  
وكانَ من أكابرهم في المِلَّةِ أبو نصرَ الفارابيّ ، وأبو عليّ بن سينا  
بالمشرق ، والقاضي أبو الوليد ابنُ رشدٍ ، والوزيرُ أبو بكر بنُ  
الصائغِ بالأندلسِ ، إلى آخرينَ بلغوا الغايةَ في هذه العلومِ . واختصَّ  
هؤلاء بالشهرةِ والذكرِ ، واقتصرَ كثيرون على انتحالِ التعاليمِ ،  
وما ينضافُ إليها من علومِ النِجامةِ والسَّحَرِ والطَّلسماتِ . ووقفتِ  
الشُّهرةُ في هذا المنتحلِ على جابر بن حيانَ من أهلِ المشرقِ وعلى  
مسلمةَ بن أحمدَ المجرطيّ ، من أهلِ الأندلسِ وتلميذِهِ . ودخلَ  
على المِلَّةِ من هذه العلومِ وأهلُها داخلةٌ ، واستهوتِ الكثيرَ من  
الناسِ بما جنحوا إليها وقلّدوا آراءَها ، والذنبُ في ذلك لمن ارتكبه .  
ولو شاء ربُّكَ ما قُتلوه .

ثم إنَّ المغربَ والأندلسَ ، لما ركدت ريحُ العُمرانِ بهما ،  
وتناقصتِ العلومُ بتناقضِهِ ، اضمحلَّ ذلك منها ، إلا قليلاً من  
رسومه تجدها في تفاريقِ من الناسِ ، وتحت رِقَبَةٍ من علماء السُّنةِ .  
ويُلبَّسُ عن أهلِ المشرقِ أنَّ بضائعَ هذه العلومِ لم تزل عندهم  
موفورةً ، وخصوصاً في عِراقِ العَجَمِ وما بعده فيما وراءَ النهرِ ،

وأَنَّهُمْ عَلَى نَبِيح<sup>(١)</sup> مِنَ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالنَّقْلِيَّةِ ، لِتَوْفُرِ عَمَرَانِهِمْ  
وَاسْتِحْكَامِ الْخِطَابَةِ فِيهِمْ . وَلَقَدْ وَقَفْتُ بِمَصْرَ عَلَى تَأْلِيْفِ فِي الْمَقُولِ  
مُتَعَدِّدَةٍ ، لِرَجُلٍ مِنْ عِظَاءِ هَرَاةَ ، مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ ، يَشْتَهَرُ  
بِسَعْدِ الدِّينِ التَّفْتَازَانِيِّ ، مِنْهَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَأَصُولِ الْفَقْهِ وَالْبَيَانِ ،  
تَشْهَدُ بِأَنَّهُ لَهُ مَلَكَةٌ رَاسِخَةٌ فِي هَذِهِ الْعُلُومِ . وَفِي أَثْنَانِهَا مَا يَدُلُّ  
لَهُ عَلَى أَنَّ لَهُ إِطْلَاعًا عَلَى الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ وَتَضَلُّعًا بِهَا وَقَدَمًا عَالِيَةً  
فِي سَائِرِ الْفُنُونِ الْعَقْلِيَّةِ . وَاللَّهُ يُرِيدُ بِنَصْرِهِ مِنْ يَشَاءُ .  
وَكَذَلِكَ بَلَّغْنَا لِهَذَا الْعَهْدِ أَنَّ هَذِهِ الْعُلُومَ الْفَلَسَفِيَّةَ بِبِلَادِ الْإِفْرَنْجِيَّةِ ،  
مِنْ أَرْضِ رُومَةٍ وَمَا إِلَيْهَا مِنَ الْعُدُودِ الشَّمَالِيَّةِ نَافِقَةُ الْأَسْوَاقِ ،  
وَأَنَّ رُسُومَهَا هُنَاكَ مُتَجِدِّدَةٌ ، وَجَالِسَ تَعْلِيمِهَا مُتَعَدِّدَةٌ ، وَدَوَابِهَا  
جَامِعَةٌ وَحَمَلَتَهَا مُتَوَفِّرُونَ ، وَطَلَبَتَهَا مُتَكَثِّرُونَ . وَاللَّهُ أَعْلَمُ مَا هُنَاكَ ،  
وَهُوَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ .

## الفصل العشرون

### العلم الصحي

وَأَوَّلُهَا الْأَرِثِمَاتِيْقِيُّ ، وَهُوَ مَعْرِفَةُ خَوَاصِرِ الْأَعْدَادِ مِنْ حَيْثُ  
التَّأْلِيفُ ، إِمَّا عَلَى التَّوَالِي أَوْ بِالتَّضْمِيْفِ . مِثْلُ أَنَّ الْأَعْدَادَ إِذَا  
تَوَالَتْ مُتَفَاضِلَةً بِمَدَدٍ وَاحِدٍ : فَإِنَّ جَمْعَ الطَّرْقَيْنِ مِنْهَا مَسَاوِي لِمَجْمُوعِ كُلِّ

(١) نبيح كل شيء : أعلاه ، وفي ب : على نبيح .

عددين بعدهما من الطرفين بعد واحد ، ومثل ضعف الواسطة ،  
 إن كانت عدته تلك الأعداد فرداً مثل الأعداد على تواليها والأزواج  
 على تواليها والأفراد على تواليها . ومثل أن الأعداد إذا توالى على  
 نسبة واحدة بأن يكون أولها نصف ثانيها ، وثانيها نصف ثالثها الخ ،  
 أو يكون أولها ثلث ثانيها وثانيها ثلث ثالثها الخ . فإن ضرب الطرفين  
 أحدهما في الآخر كضرب كل عددين بعدهما من الطرفين بعد  
 واحد أحدهما في الآخر . ومثل مربع الواسطة إن كانت العدة  
 فرداً ، وذلك مثل أعداد زوج الزوج المتوالية من اثنين فأربعة  
 فثمانية فستة عشر . ومثل ما يحدث من الخواص العددية في وضع  
 المثلثات العددية والمربعات والمخمسات والمستطيات إذا وضعت  
 متتالية في سطورها بأن تجمع من الواحد إلى العدد الأخير ،  
 فتكون مثلثة . وتتوالى المثلثات هكذا في سطر تحت الأضلاع ،  
 ثم تريد على كل مثلث تلك الضلع الذي قبله ، فتكون مربعة .  
 وتريد على كل مربع مثلث<sup>(١)</sup> الضلع الذي قبله فتكون خمسة  
 وهلم جرا . وتتوالى الأشكال على توالي الأضلاع ويحدث جدول  
 ذو طول وعرض . ففي عرضه الأعداد على تواليها ، ثم المثلثات  
 على تواليها ، ثم المربعات ، ثم الخمسات الخ ، وفي طوله كل عدد  
 وأشكاله بالنفا ما بلغ . ويحدث في جميعها وقسم بعضها على بعض  
 طولاً وعرضاً خواص غريبة ، استخرجت منها ، وتقررت في دواوينهم  
 مسائلها . وكذلك ما يحدث للزوج والفرد ، وزوج الزوج وزوج

(١) كذا ، وفي ب: مثل الضلع ... الخ .

الفرد، وزوج الزوج، والفرد؛ فإن لكل منها خواص مختصة به تضمنها هذا الفن وليست في غيره .

وهذا الفن أول أجزاء التعاليم وأثبتها ، ويدخل في براهين الحساب . وللكهلاء المتقدمين والمتأخرين فيه تأليف ، وأكثرهم يُدرجونه في التعاليم ولا يُفردونه بالتأليف . فعل ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة وغيره من المتقدمين . وأما المتأخرون فهو عندهم مهجور إذ هو غير متداول ، ومنفصل في البراهين لا في الحساب ، فهجروه لذلك بعد أن استخلصوا زبدته في البراهين الحسابية ، كما فعله ابن البناء في كتاب رفع الحجاب وغيره والله سبحانه وتعالى أعلم .

### علم الحساب

ومن فروع علم العدد صناعة الحساب ، وهي صناعة عملية في حساب الأعداد بالضم والتفريق . فالضم يكون في الأعداد بالافراد وهو الجمع . وبالتضعيف ، أي بضاعف عدد بأحد عدد آخر ، وهذا هو الضرب ، والتفريق أيضاً يكون في الأعداد ، إما بالافراد ، مثل إزالة عدد من عدد ومعرفة الباقي وهو الطرح ، أو تفصيل عدد بأجزاء متسوية ، تكون عدتها محصلة وهو القسمة . وسواء كان هذا الضم والتفريق في الصحيح من العدد أو الكسر . ومعنى الكسر نسبة عدد إلى عدد ، وتلك النسبة تسمى كسراً .

وكذلك يكون الضم والتفريق في الجذور، ومعناها العدد الذي يُضرب في مثله، فيكون منه العدد المربع. والعدد الذي يكون مصرحاً به يسمى المنطق، ومربعه كذلك، ولا يحتاج فيه إلى تكلفٍ عمل بالحسبان. والذي لا يكون مصرحاً به يسمى الأصم ومربعه: إما منطق مثل جذر ثلاثة الذي مربعه ثلاثة، وإما أصم، مثل جذر ثلاثة الذي مربعه جذر ثلاثة، وهو أصم، ويحتاج إلى عمل من الحسبان. فإن تلك الجذور أيضاً يدخلها الضم والتفريق. وهذه الصناعة الحسابية حادثة احتيج إليها للحسبان في المعاملات، وألف الناس فيها كثيراً وتداولوها في الأمصار بالتعليم للولدان. ومن أحسن التعليم عندهم الابتداء بها لأنها معارف متضمنة وبراهينها منتظمة، فينشأ عنها في الغالب عقل مضيّ، درب على الصواب. وقد يُقال من أخذ نفسه بتعليم الحساب أول أمره، إنه يغلب عليه الصدق لما في الحساب من صحة المباني ومناقشة النفس؛ فيصير ذلك له خلقاً ويتعود الصدق ويلزمه مذهباً. ومن أحسن التأليف المبسوط فيها لهذا العهد بالمغرب كتاب الحصار الصغير. ولابن البناء المراكشي فيه تلخيص ضابط لقوانين أعماله مفيد، ثم شرحه بكتاب سماه رفع الحجاب وهو مستغلق على المتدي، بما فيه من البراهين الوثيقة المباني، وهو كتاب جليل القدر أدر كنا المشيخة تعظمه، وهو كتاب جدير بذلك. وساق فيه المؤلف رحمه الله كتاب فقه الحساب، لابن منيم، والكامل للأحدب، ولخص براهينها وغيرها عن اصطلاح الحروف فيها، إلى غير

معنوية ظاهرة ، هي سرُّ الإشارة بالحروف وزُبدتها . وهي كلها مستفلة ؛ وإنما جاءها الاستفلاق من طريق البرهان شأن علوم التعاليم ، لأنَّ مسائلها وأعمالها واضحة كلها . وإذا قُصِدَ شرحها ، فإنما هو إعطاء الملل في تلك الأعمال . وفي ذلك من السرِّ على الفهم ، ما لا يوجد في أعمال المسائل ، فتأملهُ . والله يهدي بنوَّه من يشاء ، وهو القويُّ المتين .

### علم الجبر

ومن فروعه الجبر والمقابلة ، وهي صناعة يُستخرجُ بها العدُّ المجهولُ من قِلَّةِ المعلومِ المفروضِ ، إذا كان بينهما نسبةٌ تقتضي ذلك . فاصطلحوا فيها على أن جعلوا للمجهولاتِ مراتبَ من طريق التضعيفِ بالضربِ : أوَّلُها العدُّ لأنَّ به يتعيَّنُ المطلوبُ المجهولُ باستخراجه من نسبةِ المجهولِ إليه ؛ وثانيها الشيء ؛ لأنَّ كلَّ مجهولٍ فهو من جهةِ إيهامه شيءٌ ، وهو أيضاً جذرٌ لما يلزمُ من تضعيفه في المرتبةِ الثانيةِ ؛ وثالثها المالُ وهو أمرٌ مبهمٌ ، وما بعد ذلك فعلى نسبةِ الأسِّ في المضروبين . ثم يقعُ العملُ المفروضُ في المسئلة فيخرجُ إلى معادلةٍ بين مختلفين أو أكثرَ من هذه الأجناسِ ؛ فيقابلون بعضها ببعضٍ . ويجبرون ما فيها من الكسرِ ، حتى يصيرَ صحيحاً . ويحطُّون المراتبَ إلى أقلِّ الأسوسِ إن أمكن ، حتى يصيرَ إلى الثلاثة التي عليها مدارُ الجبرِ عندهم ، وهي العدُّ والشيءُ



والمال . فان كانت المِعادلةُ بين واحدٍ وواحدٍ ، تَعَيَّنَ ؛ فالمالُ والجذرُ يزولُ إِبْهَامُهُ بِمِعادلةِ العددِ وَيَتَعَيَّنُ . والمالُ إن عادَلَ الجُذورَ فَيَتَعَيَّنُ بِعِدَّتِهَا . وإن كانت المِعادلةُ بين واحدٍ واثنينِ أَخْرَجَهُ العَمَلُ الهندسيُّ من طريقِ تفصيلِ الضربِ في الاثنينِ ، وهي مبْهَمَةٌ ؛ فَيَعَيَّنُها ذلك الضربُ المِفْصَلُ . ولا يَمْكَنُ المِعادلةُ بين اثنينِ واثنينِ . وأكثرُ ما انتهت المِعادلةُ عندهم إلى ستِ مسائلٍ ، لأنَّ المِعادلةَ بين عددٍ وجذرٍ ومالٍ مُفْرَدَةً أو مُرَكَّبَةً فَحَسْبُ ستَةٍ . وأوَّلُ من كَتَبَ في هذا الفنِ أبو عبدِ اللَّهِ الخَوارِزْمِيُّ وبعده أبو كاملٍ شِجَاعُ بْنُ أَسْلَمَ ، وجاءَ النَّاسُ على أثرِهِ فيه . وكتابُهُ في مسائلِهِ الستِ من أَحْسَنِ الكُتُبِ المَوْضُوعَةِ فيه . وَشَرَحَهُ كَثِيرٌ من أَهْلِ الأَنْدَلُسِ فَأَجَادُوا . ومن أَحْسَنِ شُرُوحَاتِهِ كتابُ الرُّشَيْدِ . وقد بَلَّغْنَا أَنَّ بَعْضَ أَعْيُنِ التَّعَالِمِ من أَهْلِ المَشْرِقِ أَنهِيَ المِعادلاتِ إلى أَكْثَرِ من هَذِهِ السَّتَةِ الأَجْنَاسِ ، وَبَلَّغْنَا إلى فَوْقِ العِشْرِينَ ، واستَخْرَجَ لَهَا كُلِّهَا أَعْمَالًا وَثِيقَةً وَأَتْبَعَهَا بِإِبراهيمَ هِنْدَسِيَّةٍ . وَاللهُ يَزِيدُ في الخَلْقِ ما يَشَاءُ ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

### المعاملات والفرائض

ومن فروعِهِ أيضاً المِعامَلاتُ ، وهو تَصْرِيفُ الحِسابِ ، في مِعامَلاتِ المُدْنِ ، في البِيعاتِ والمِساخاتِ والزِكواتِ وسائرِ ما يَمْرُضُ فيه العَدَدُ مِنَ المِعامَلاتِ ، تَصَرَّفُ في ذلك صِناعَتا الحِسابِ في المِجهولِ والمِعلومِ والكسْرِ والصَّحِيحِ والجُذورِ وغيرها . والغرضُ

من تكثير المسائل المفروضة فيها حصول المراتب والدربة بتكرار العمل، حتى ترسخ الملكة في صناعة الحساب . ولأهل الصناعة الحسابة من أهل الأندلس تأليف فيها متعددة ، من أشهرها معاملات الزهراوي وابن السّمح وأي مسلم بن خلدون من تلميذ مسلمة الجريطي وأمثالهم .

ومن فروعه أيضاً الفرائض : وهي صناعة حسابة ، في تصحيح السهام لذوي الفروض ، في الوراثة إذا تعددت ، وهلك بعض الوارثين وانكسرت سهامه على ورثته ؛ أو زادت الفروض عند اجتماعها وتراجها على المال كله ؛ أو كان في الفريضة إقرار أو إنكار من بعض الورثة دون بعض ، فيحتاج في ذلك كله إلى عمل يُعين به سهام الفريضة إلى كم تصح ، وسهام الورثة من كل بطن مصححاً ، حتى تكون حظوظ الوارثين من المال على نسبة سهامهم من حصة سهام الفريضة . فيدخلها من صناعة الحساب جزء كبير من صحيحه وكسوره وجذوره ومعلومه ومجهوله ، ويترتب على ترتيب أبواب الفرائض الفقهية ومسائلها . فنستعمل حينئذ هذه الصناعة على جزء من الفقه ، وهو أحكام الوراثة في الفروض ، والعول والإقراء والإنكلا والصايا والتدبير وغير ذلك من مسائلها ، وعلى جزء من الحساب في تصحيح السهام باعتبار الحكم الفقهي ، وهي من أجل العلوم . وقد يورد أهلها أحاديث نبوية تشهد بفضلها ، مثل : الفرائض ثلث العلم ، وإنما أول ما يرفع من العلوم ، وغير ذلك . وعندي أن ظواهير تلك الأحاديث كلها إنما هي في الفرائض

الْبَيْئَةِ كَمَا تَقَدَّمَ لَا فَرَائِضَ الْوِرَاثَاتِ ، فَإِنَّمَا أَقَلُّ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي كِتَابِهَا ثَلَاثُ الْعِلْمِ . وَأَمَّا الْفَرَائِضُ الْبَيْئَةُ فَكَثِيرَةٌ ، وَقَدْ أَلْفَ النَّاسُ فِي هَذَا الْفَنِّ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَأَوْعَبُوا . وَمَنْ أَحْسَنَ التَّأْلِيفِ فِيهِ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى كِتَابُ ابْنِ ثَابِتٍ وَمَخْتَصَرُ الْقَاضِي أَبِي الْقَاسِمِ الْحَوْفِيِّ ، وَكِتَابُ ابْنِ الْمُثَنَّى وَالْجَمْدِيِّ وَالصُّرْدِيِّ (١) وَغَيْرِهِمْ . لَكِنَّ الْفَضْلَ لِلْحَوْفِيِّ ، فَكِتَابُهُ مُقَدَّمٌ عَلَى جَمِيعِهَا . وَقَدْ شَرَحَهُ مِنْ شَيْوَعْنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ سُلَيْمَانَ الشَّطِيطِيُّ كَبِيرُ مُشَيْخَةِ خَاسٍ ، فَأَوْضَحَ وَأَوْعَبَ . وَلِلْإِمَامِ الْحَرَمِيِّ فِيهَا تَأْلِيفٌ عَلَى مَذْهَبِ الشَّافِعِيِّ ، تَشْهَدُ بِاتِّسَاعِ بَإِعْوِ فِي الْعُلُومِ ، وَرُسُوخِ قَدِيمِهِ ، وَكَذَا لِلْحَنْفِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ . وَمَقَامَاتُ النَّاسِ فِي الْعُلُومِ مُخْتَلِفَةٌ . وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ بِحَيْثُ وَكَرِيمِهِ ، لَا رَبَّ سِوَاهُ .

## الفصل الحادي والعشرون

### العلوم الهندسية

هَذَا الْعِلْمُ هُوَ النَّظَرُ فِي الْمَقَادِيرِ : إِمَّا الْمُتَّصِلَةَ كَالْخَطِّ وَالسَّطْحِ وَالْجَسْمِ ، وَإِمَّا الْمُنْفَصِلَةَ ، كَالْأَعْدَادِ فِيمَا يَمْرُضُ لَهَا مِنَ الْعَوَارِضِ الذَّائِتَةِ . مِثْلُ أَنْ كُلَّ مِثْلٍ فَرْوَايَاهُ مِثْلُ قَائِمَتَيْنِ . وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَوَازِيَيْنِ لَا يَلْتَقِيَانِ فِي جِهَةٍ وَلَوْ خَرَجَا إِلَى غَيْرِ نَهَائِهِ . وَمِثْلُ أَنْ كُلَّ خَطَّيْنِ مُتَقَاطِعَيْنِ ، فَالزَّائِغَتَانِ الْمُتَقَابِلَتَانِ مِنْهَا

(١) كَذَا، وَفِي ب: وَالصُّرْدِيِّ .

متساويتان. ومثل أن الأربعة مقادير التناسبة، ضرب الأول منها في الثالث كضرب الثاني في الرابع، وأمثال ذلك. والكتاب المترجم لليونانيين في هذه الصناعة كتاب أوقليس، ويسمى كتاب الأصول الأركان، وهو أبسط ما وضع فيها للتعليم، وأول ما ترجم من كتب اليونانيين في الملة أيام أبي جعفر المنصور، ونسخة مختلفة باختلاف المترجمين. فمنها الخنيزاري اسحاق، وثابت ابن قرّة، وليوسف بن الججاج، ويشتمل على خمس عشرة مقالة. أربعة في السطوح، وواحدة في الأقدار التناسبية، وواحدة في نسبة السطوح بعضها إلى بعض، وثلاثة في المدد، والعاشر في المنطق والقوى على المنطقات، ومعناه الجنود، وخمس في الجسات. وقد اختصره الناس مختصرات كثيرة، كما فعله ابن سينا في تعاليم الشفاء. أفرده له جزءا منها اختصه به. وكذلك ابن أبي الصلت في كتاب الاقتصاد وغيرهم. وشرحه آخرون شروحا كثيرة وهو مبدأ العلوم الهندسية باطلاق.

واعلم أن الهندسة تفيد صاحبها إضاءة في عقله واستقامة في فكره، لأن براهينها كلها بيّنة الانتظام جلية الترتيب، لا يكاد الغلط يدخل أقيستها لترتيبها وانتظامها، فيبعد الفكر بمارستها عن الخطأ وينشأ لصاحبها عقل على ذلك المهيّج. وقد زعموا أنه كان مكتوبا على باب أفلاطون: «من لم يكن هنيئاً، فلا يدخلن منزلاًنا». وكان شيوخنا رحمهم الله يقولون: «ممارسة علم الهندسة للفكر، بمثابة الصابون للشوب الذي يغسل منه الأقدار وينقي من

الأوضاع والأدران». وإنما ذلك لما أشرنا إليه من ترتيبه وانتظامه. ومن فروع هذا الفن الهندسة المخصوصة بالأشكال الكرية والمخروطات. أما الأشكال الكرية، ففيها كتابان من كتب اليونانيين ثاودوسيوس وميلاوش في سطوحها وقطوعها. وكتاب ثاودوسيوس مقدم في التعليم على كتاب ميلاوش، لتوقف كثير من براهينه عليه. ولا بدّ منها لمن يريد الخوض في علم الهيئة؛ لأنّ براهينها متوقفة عليها. فالكلام في الهيئة كلّ كلام في الكرات السماوية، وما يعرض فيها من القطوع والدوائر بأسباب الحركات كما نذكره، فقد يتوقف على معرفة أحكام الأشكال الكرية سطوحها وقطوعها. وأما المخروطات، فهو من فروع الهندسة أيضاً. وهو علم ينظر فيما يقع في الأجسام المخروطية من الأشكال والقطوع، ويبرهن على ما يعرض لذلك من المواضع، يبرهن هندسية، متوقفة على التعليم الأول. وفائدتها تظهر في الصنائع العملية التي موادها الأجسام، مثل التجارة والبناء، وكيف تُصنع التماثيل الغريبة والمباكل النادرة؛ وكيف يُتحيل على جرّ الاثقال ونقل المباكل بالهندام والمخال وأمثال ذلك. وقد أفرد بعض المؤلفين في هذا الفن كتاباً في الحيل العملية، يتضمن من الصناعات الغريبة والحيل المستترفة كل عجيبة. وربما استفلق على التهور لصعوبة براهينه الهندسية، وهو موجود بأيدي الناس، ينسبونه إلى بني شاكر. والله تعالى اعلم.

### المسألة

ومن فروع الهندسة المساحة، وهو فنٌ يُحتاجُ إليه في مسح الأرض، ومعناه استخراج مقدار الأرض المعلومَة بنسبةٍ شبرٍ أو ذراعٍ أو غيرهما، أو نسبة أرضٍ من أرضٍ إذا قولستُ بمثل ذلك. ويُحتاجُ إلى ذلك : في توظيفِ الحراجِ على المزارعِ والقُدنِ وبساتينِ النِراسَةِ، وفي قسمةِ الحوائِطِ والأراضي بينَ الشركاءِ أو الورثةِ وأمثالِ ذلك. وللناسِ فيها موضوعاتٌ حسنةٌ وكثيرةٌ. واللهُ الموفقُ للصوابِ بِتَمِّهِ وكرمه.

المنظرة من فروع الهندسة : وهو علمٌ يُقَيَّنُ به أسبابُ الظُّلِّ في الاذراكِ البَصَرِيَّةِ، بِمعرفةِ كيفيةِ وقوعها، بناءً على أنَّ إدراكَ البصرِ يكونُ بخروطٍ شُعاعيٍّ، رأسُه نقطةُ الباصِرِ وقاعدتُه المرئيُّ. ثم يقعُ الظلُّ كثيراً في رؤيةِ القريبِ كثيراً والبعيدِ صغيراً. وكذا رؤيةُ الأشباحِ الصغيرةِ تحتِ الماءِ وراءِ الأجسامِ الشفافةِ كبيرةٌ ورؤيةُ النقطِ النازلةِ من المطرِ خطاً مستقيماً، والسُّلْقَةُ<sup>(١)</sup> دائرةٌ وأمثالُ ذلك. فيتبيَّنُ في هذا العلمِ أسبابُ ذلك وكيفياتُه بالبراهينِ الهندسيةِ، ويتبيَّنُ به أيضاً اختلافُ المنظرِ في القمرِ، باختلافِ العُرُوضِ<sup>(٢)</sup> الذي ينبني عليه معرفةُ رؤيةِ الأهلةِ وحصولُ

(١) ورد في لسان العرب: «ابن شميل: السلق القاع المظلم المستوي لا شجر فيه». ولم ترد فيه كلمة (سلقة). فربما كانت هنا كلمة سلقة محرفة عن السلق. وفي ب: والشعلة.

(٢) ورد في لسان العرب: «العرض خلاف الطول والجمع أعراض؛ وفي الكثير عروض وعراض». إذا عروض جمع عرض، ويعني بها خطوط العرض. لذلك كان مقتضى السياق أن يقول: باختلاف العروض التي تبني عليها معرفة رؤية الأهلة... الخ.

الكسوفات وكثير من أمثال هذا. وقد أُلّف في هذا الفن كثير من اليونانيين. وأشهر من أُلّف فيه من الإسلاميين ابنُ الهيثم. ولغيره فيه أيضاً تأليف وهو من هذه العلوم الرياضية وتقاريعها.

## الفصل الثاني والعشرون

### علم الهيئة

وهو علمٌ ينظرُ في حركات الكواكب الثابتة والمتحركة والمتحركة. ويُستدلُّ بكيفيات تلك الحركات على أشكال وأوضاع للأفلاك، لُزمت عنها هذه الحركات المحسوسة بطرق هندسية. كما يُبرهنُ على أنَّ مركز الأرض مباينٌ لمركز قَلَكِ الشمس، بوجود حركة الإقبال والإدبار؛ وكما يُستدلُّ بالرجوع والاستقامة للكواكب، على وجود أفلاكٍ صغيرة، حاملة لها، متحركة داخل قَلَكِها الأعظم؛ وكما يُبرهنُ على وجود القَلَكِ الثامن بحركة الكواكب الثابتة؛ وكما يُبرهنُ على تعدُّد الأفلاك للكوكب الواحد بتعداد الميول له، وأمثال ذلك. وإدراكُ الموجود من الحركات وكيفياتها وأجnasها إنما هو بالرصد، فأما علمنا حركات الإقبال والإدبار به. وكذا تركيبُ الأفلاك في طبقاتها وكذا الرجوع والاستقامة وأمثال ذلك.

وكان اليونانيون يمتنون بالرصد كثيراً، ويتخذون له

الآلات التي توضع لرصد بها حركة الكواكب الميّن . وكانت تُسمى عندهم ذاتُ الخلق . وصناعةُ عملها والبراهينُ عليه في مطابقة حركتها بحركة الفلك منقولُ بأيدي الناس . وأما في الاسلام فلم تقع به عنايةٌ إلا في القليل . وكان في أيام المأمون شيء منه ، وصنع هذه الآلة المروفة للرصد المسماة ذات الخلق . وشرع في ذلك قام يتم . ولما مات ذهب رسمه وأُغفل ، واعتُمد من بعده على الأرصاد القديمة ، وليست بمغنية لاختلاف الحركات باتصال الأحقاب . وإن مطابقة حركة الآلة في الرصد لحركة الأفلاك والكواكب إنما هو بالتقريب ولا يعطي التحقيق ؛ فإذا طال الزمان ظهر تفاوت ذلك التقريب . وهذه الهيئة صناعة شريفة ؛ وليست على ما يُفهم في المشهور أنها تعطي صورة السموات وترتيب الأفلاك والكواكب بالحقيقة ؛ بل إنما تعطي أن هذه الصور والهيئات للأفلاك لُزمت عن هذه الحركات . وأنت تعلم أنه لا يبعد أن يكون الشيء الواحد لازماً لمختلفين ، وإن قلنا إن الحركات لازمة فهو استدلالٌ باللازم على وجود الملزوم ، ولا يعطي الحقيقة بوجه ، على أنه علمٌ جليل ، وهو أحد أركان التعاليم . ومن أحسن التأليف فيه كتاب المصطفي ، منسوباً لبطليموس . وليس من ملوك اليونان الذين أساؤهم بطليموس على ما حَقَّقهُ شراح الكتاب وقد اختصره الأئمة من حكماء الاسلام كما فعله ابن سينا ، وأدرجه في تعاليم الشفاء . ولخصه ابن رشد أيضاً من حكماء الأندلس ، وابن السّمح ، وابن أبي الصلت في كتاب الاقتصاد . ولابن الفرغاني



هيئةً ملخّصةً قريباً وحذفَ براهينها الهندسيّة . واللهُ علّمَ الإنسانَ ما لم يعلم . سبحانه لا إلهَ إلا هو ربُّ العالمين .

### علم الأزياج

ومن فروع علم الأزياج<sup>(١)</sup> ، وهو صناعةٌ حسابيّةٌ على قوانينٍ عدديّةٍ ، فبما ينحصرُ كلُّ كوكبٍ من طريق حركته ، وما أدّى إليه برهانُ الهيئةِ في وضعه من سرعةٍ وبُطءٍ واستقامةٍ ورجوعٍ وغير ذلك ، يُعرفُ به مواضعُ الكواكبِ في أفلاكها لأيّ وقتٍ فُرضَ من قبلِ حسابِ حركاتها ، على تلكَ القوانينِ المستخرجةِ من كتبِ الهيئةِ .

ولهذه الصناعةُ قوانينٌ ؛ كالمقدّماتِ والأصولِ ، لها في معرفةِ الشهورِ والأيامِ والتواريخِ الماضيةِ ؛ وأصولٌ متقرّرةٌ من معرفةِ الأوجِ والحضيضِ والميولِ وأصنافِ الحركاتِ ، واستخراجِ بعضها من بعضٍ يضعونها في جداولٍ مرتبةٍ تسهلاً على المتعلّمينَ ، وتسمّى الأزياجُ . ويسمّى استخراجُ مواضعِ الكواكبِ للوقتِ المفروضِ لهذه الصناعةِ تمديلاً وتقويماً . وللناسِ فيه تأليفٌ كثيرةٌ للمتّبعينَ والمتأخّرينَ ، مثل البتّاني<sup>(٢)</sup> وابنِ الكمادِ . وقد عولَ المتأخّرونَ لهذا العهدِ بالغربِ على زيحٍ منسوبٍ لابنِ اسحاق

(١) كذا، وفي ب: حساب الأزياج، وفي نسخة أخرى: حساب الزيح .

(٢) علق الهريفي على هذه الكلمة بقوله : وقوله البتاني يفتح الموحدة وتشدد المثناة كما ضبطه ابن خلكان في ترجمته قبل آخر المحملين ؛ ١ هـ . وكذا ورد في موسوعة الأعلام للزركلي .

من منجمي تونس في أول المائة السابعة . ويزعمون أن ابن اسحاق عول فيه على الرصد . وأن يهودياً كان بصقلية ماهراً في الهيئة والتأليم ، وكان قد عُني بالرصد وكان يَبْتَثُ إليه بما يَبْعُ في ذلك<sup>(١)</sup> من أحوال الكواكب وحركاتها ، فكان أهل المغرب لذلك عُنوا به لوثاقه مبناء على ما يزعمون . ولخصه ابن البناء في آخر سباه المنهاج ، فويلع به الناس لما سهل من الأعمال فيه ، وإنما يحتاج إلى مواضع الكواكب من القللك لتبنى عليها الأحكام النجومية ، وهو مرفقة الآثار التي تحدث عنها بأوضاعها في عالم الإنسان من الملك والدول والمواليد البشرية والكوائن الحادثة كما نبهت بعد ، ونوضح فيه أدلتهم إن شاء الله تعالى . والله الموفق لما يجبه ويرضاه ، لا معبود سواه .

## الفصل الثالث والعشرون

### علم المنطق

وهو قوانين يُعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات ، والحجج المفيدة للتصديقات ؛ وذلك لأن الأصل في الإدراك إنما هو المحسوسات بالحواس الخمس . وجميع الحيوانات مشتركة في هذا الإدراك من الناطق وغيره ؛ وإنما يتميز الإنسان عنها بإدراك الكليات وهي مجردة من المحسوسات . وذلك بأن يحصل

(١) كذا ، وفي ب : بما يصح له من ذلك ... الخ .

في الخيال من الأشخاص المثقفة صورة منطقية على جميع تلك الأشخاص المحسوسة ، وهي الكلّي . ثم ينظر الذهن بين تلك الأشخاص المثقفة وأشخاص أخرى ، توافقها في بعض ، فيحصل له صورة تنطبق أيضاً عليها باعتبار ما اتفقا فيه . ولا يزال يرتقي في التجريد إلى الكلّي الذي لا يجد كلياً آخر معه يوافقه ؛ فيكون لاجل ذلك بسيطاً . وهذا مثل ما يجرّد من أشخاص الانسان صورة النوع المنطقية عليها . ثم ينظر بينه وبين الحيوان ويجرّد صورة الجنس المنطقية عليهما ، ثم ينظر بينها وبين النبات إلى أن ينتهي إلى الجنس العالي ، وهو الجوهر ؛ فلا يجد كلياً يوافقه في شيء ؛ فيقف العقل هنالك عن التجريد . ثم إن الانسان لما خلق الله له الفكر الذي به يدرك العلوم والصنائع ، وكان العلم ؛ إما تصوراً للماهيات ، ويعني به إدراك ساذج من غير حكم معه ؛ وإما تصديقاً ، أي حكماً بثبوت أمر لأمر ؛ فصارت سمي الفكر في تحصيل المطالبات ؛ إما بأن تجمع تلك الكليات بعضها إلى بعض على جهة التأليف ، فتحصل صورة في الذهن كلية منطقية على أفراد في الخارج ، فتكون تلك الصورة الذهنية مفيدة لمعرفة ماهية تلك الأشخاص ؛ وإما بأن يحكم بأمر على أمر فيثبت له ويكون ذلك تصديقاً . وغايته في الحقيقة راجعة إلى التصور ، لأن فائدة ذلك إذا حصل ، فإنما هي معرفة حقائق الأشياء التي هي مقتضى العلم الحكمي . وهذا السعي من الفكر قد يكون بطريق صحيح وقد يكون بطريق فاسد ؛ فاقضى ذلك تمييز الطريق

الذي يسمى به الفكر في تحصيل الطالب العلمية ، ليمتد فيها الصحيح من الفاسد ، فكان ذلك قانون المنطق . وتكلم فيه المتقدمون أول ما تكلموا به جملاً جملاً ومتفرقاً متفرقاً . ولم تهذب طرقة ولم تجمع مسائله ، حتى ظهر في يونان أرسطو ، فهذب مباحثه<sup>(١)</sup> ورتب مسائله وفصوله ، وجعله أول العلوم الحكيمية وافتتحها . ولذلك يسمى بالعلم الأول ، وكتابته المخصوص بالمنطق يسمى النص ، وهو يشتمل على ثمانية كتب : أربعة منها في صورة القياس ، وأربعة<sup>(٢)</sup> في مادته . وذلك أن الطالب التصديقية على أخصاء :

فما ما يكون المطلوب فيه اليقين بطبعه ، ومنها ما يكون المطلوب فيه الظن ، وهو على مراتب . فيُنظر في القياس من حيث المطلوب الذي يفيد ، وما ينبغي أن تكون مقدماته بذلك الاعتبار ، ومن أي جنس يكون من العلم أو من الظن . وقد يُنظر في القياس ، لا باعتبار مطلوب مخصوص ، بل من جهة إنتاجه خاصة . ويقال للنظر الأول إنه من حيث المادة ، ونعني به المادة المنتجة للمطلوب المخصوص من يقين أو ظن ، ويقال للنظر الثاني إنه من حيث الصورة وإنتاج القياس على الإطلاق ، فكانت لذلك كتب المنطق ثمانية :

الأول : في الاجتناس العاليية التي ينتهي إليها تجريد المحسوسات

(١) كذا ، وفي ب : مناجيه .

(٢) كذا ، وفي ب : وخمسة .

في الذهن، وهي التي ليس فوقها جنس، ويسمى كتاب المقولات.  
والثاني: في القضايا التصديقية وأصنافها، ويسمى كتاب العبارة.  
والثالث: في القياس وصوره إنتاجه على الإطلاق، ويسمى  
كتاب القياس، وهذا آخر النظر من حيث الصورة.

ثم الرابع: كتاب البرهان، وهو النظر في القياس المنتج  
لاليقين، وكيف يجب أن تكون مقدماته يقينية. ويختص بشروط  
أخرى لإفادة اليقين المذكورة فيه، مثل كونها ذاتية وأولية  
وغير ذلك. وفي هذا الكتاب الكلام في المعرفة والحدود، إذ  
المطلوب فيها إنما هو اليقين لوجوب المطابقة بين الحد والمحدود لا  
يتمثل غيرها، فلذلك اختصت عند المتقدمين بهذا الكتاب.

والخامس: كتاب الجدل وهو القياس المفيد قطع المشايب  
وإفحام الخصم، وما يجب أن يستعمل فيه من المشهورات،  
ويختص أيضاً من جهة إفادته لهذا الغرض بشروط أخرى، وهي  
مذكورة هنالك. وفي هذا الكتاب يذكر المواضع التي يستنبط  
منها صاحب القياس قياسه، بتميز الجامع بين طرفي المطلوب  
المسمى بالوسط وفيه عكوس القضايا.

والسادس: كتاب السفسطة وهو القياس الذي يفيد خلاف  
الحق، وينالط به المناظر صاحب وهو فاسد، وهذا إنما كتب  
ليعرف به القياس المألطي فيحذر منه.

والسابع: كتاب الخطابة وهو القياس المفيد ترغيب الجمهور

وحملهم على المراد منهم ، وما يجب أن يستعمل في ذلك من المقالات .  
والثامن : كتاب الشعر ، وهو القياس الذي يفيد التمثيل  
والتشبيه خاصةً للآقبال على الشيء أو النفرة عنه ، وما يجب أن  
يُستعمل فيه من القضايا التخيلية .

هذه هي كتب المنطق الثمانية عند المتقدمين . ثم إن حكماء  
اليونانيين ، بعد أن تهذبت الصناعة ورُبّت ، رأوا أنه لا بد من  
الكلام في الكليات الخمس المفيدة للتصور المطابق للماهيات في  
الخارج ، أو لأجزائها أو عوارضها وهي الجنس والفصل والنوع  
والخاص والعرض العام ، فاستدركوا فيها مقالة ، تختص بها مقدمة  
بين يدي الفن ، فصارت مقالاته تسعاً ، وترجمت كلها في اللغة  
الإسلامية . وكتبها وتناولها فلاسفة الاسلام بالشرح والتلخيص ،  
كما فعله الفارابي وابن سينا ، ثم ابن رشد من فلاسفة الأندلس .  
ولابن سينا كتاب الشفاء ، استوعب فيه علوم الفلسفة السبعة  
كلها . ثم جاء المتأخرون فغيروا اصطلاح المنطق ، وألحقوا بالنظر  
في الكليات الخمس ثمرته ، وهي الكلام في الحدود والرسوم ،  
نقلوها من كتاب البرهان . وحذفوا كتاب المقولات ، لأن نظره  
المنطقي فيه بالعرض لا بالذات . وألحقوا في كتاب العبارة الكلام  
في العكس <sup>(١)</sup> ، وإن كان من كتاب الجدل في كتب المتقدمين  
لكنه من قوايع الكلام في القضايا ببعض الوجود . ثم تكلموا

(١) من الموضوعات المنطقية .

في القياس ، من حيث إنتاجه للمطالب على العموم ، لا بحسب ماذن . وحققوا النظر فيه بحسب الماذن ، وهي الكتب الخمسة : البرهان والجلل والخطابة والشعر والسفسطة . وربما يلزم بعضهم باليسير منها إلاماً وأغفلوها كأن لم تكن ، وهي المهم المعتمد في الفن . ثم تكلموا فيما وضعوه من ذلك كلاماً مستبحراً ونظروا فيه من حيث إنه فن برأسه لا من حيث إنه آلة للعلوم ، فطال الكلام فيه واتسع . وأول من فعل ذلك الإمام فخر الدين ابن الخطيب ، ومن بعده أفضل الدين الحونجي ، وعلى كتبه معتد المشاركة لهذا العهد . وله في هذه الصناعة كتاب كشف الأسرار وهو طويل ، ومختصر الموجز وهو حسن في التعليم ، ثم مختصر الجمل في قدر أربعة أوراق ، أخذ بمجامع الفن وأصوله ؛ يتداوله المتعلمون لهذا العهد فينتفعون به . وهجرت كتب المتقدمين وطرفهم كأن لم تكن ، وهي ممثلة من ثمرة المنطق وفائديته كما قلناه . والله الهادي للصواب .

اعلم أن هذا الفن قد اشتد التكبر على انتحاله من متقدمي السلف والمتكلمين . وبالفوا في الطعن عليه والتحذير منه وحظروا تعلمه وتعليمه . وجاء المتأخرون من بعدهم من لدن الغزالي والإمام ابن الخطيب ؛ فسأحوا في ذلك بعض الشيء . وأكبت الناس على انتحاله من يومئذ إلا قليلاً ، يحنون فيه إلى رأي المتقدمين ؛ فينفرون عنه ويبالغون في إنكاره . فلنبيّن لك نكتة القبول والرد في ذلك ، لتعلم مقاصد العلماء في مذاهبهم ، وذلك أن المتكلمين

لما وضعوا علم الكلام ، لنصر العقائد الإيمانية بالحجج العقلية ، كانت طريقتهم في ذلك بأدلة خاصة وذكروها في كتبهم كالدليل على حدث العالم بإثبات الأعراض وحدوثها ، وامتناع خلو الأجسام عنها ، وما لا يخلو عن الحوادث حادث . وكأثبات التوحيد بدليل التامع وإثبات الصفات القديمة بالجوامع الأربعة إلحاقاً للغائب بالشاهد ، وغير ذلك من أدلتهم المذكورة في كتبهم . ثم قرروا تلك الأدلة بتمهيد قواعد وأصول هي كالمقدمات لها مثل إثبات الجوهر الفرد والزمن الفرد والحلا بين الأجسام ونفي الطبيعة والتركيب العقلي للماهيات . وأن العرض لا يبقى زمين وإثبات الحال ، وهي صفة لموجود ، لا موجودة ولا معدومة وغير ذلك من قواعدهم التي بنوا عليها أدلتهم الخاصة . ثم ذهب الشيخ أبو الحسن ، والقاضي أبو بكر والاستاذ أبو إسحق إلى أن أدلة العقائد منعكسة بمعنى أنها إذا بطلت بطل مدلولها . ولهذا رأى القاضي أبو بكر أنها بمثابة العقائد ، والقدح فيها قدح في العقائد لابتنائها عليها . وإذا تأملت المنطق وجدته كله يدور على التركيب العقلي وإثبات الكلّي الطبيعي في الخارج لينطبق عليه الكلّي الذهني المنقسم إلى الكليات الخمس ، التي هي الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض العام ، وهذا باطل عند المتكلمين . والكلّي والذاتي عندهم إنما هو اعتبار ذهني ليس في الخارج ما يطابقه ، أو حال عند من يقول بها فتبطل الكليات الخمس والتعريف المبني عليها والمقولات العشر ، ويبطل العرض الذاتي ؛ فتبطل بطلانه القضايا



الضرورية الذاتية المشروطة في البرهان وتبطل المواضع التي هي لبابُ كتابِ الجَلَلِ . وهي التي يؤخذُ منها الوسط الجامع بين الطرفين في القياس ، ولا يبقى إلا القياس الصُّوريُّ . ومن التعريفات المساويُّ في الصادقة على افراد المحمود ، لا يكون أعمَّ منها ، فيدخل غيرها ، ولا أخصَّ فيخرج بعضها ، وهو الذي يعبّر عنه النحاة بالجمع والمنع ، والمتكلمون بالطرد والعكس ، وتندمُ أركانُ المنطقِ جملةً . وإن أثبتنا هذه كما في علم المنطقِ أبطلنا كثيراً من مقدمات المتكلمين فيؤدّي إلى إبطال أدلّتهم على العقائد كما مرَّ ، فهذا بالغ المتقدمون من المتكلمين في التكبير على انتحال المنطق ، وعدّوه بدعةً أو كفراً على نسبة الدليل الذي يبطل . والمتأخرون من لدن الغزالي لما أنكروا انعكاس الأدلة ، ولم يلزمَ عندهم من بطلان الدليل بطلان مدلوله ، وصحَّ عندهم رأيُ أهل المنطق في التركيب العقليّ ووجود الماهيات الطبيعية وكيانها في الخارج ، قضوا بأن المنطق غير منافٍ للعقائد الإيمانية ، وإن كان منافياً لبعض أدلّتها ، بل قد يستدلّون على إبطال كثير من تلك المقدمات الكلاميّة ، كنفي الجوهر الفرد والخلا وبقاء الأعراض وغيرها ، ويستبدلون من أدلة المتكلمين على العقائد بأدلة أخرى يصحّحونها بالنظر والقياس العقليّ . ولم يقدح ذلك عندهم في العقائد السيئة بوجه ، وهذا رأي الإمام والغزاليّ وتابعهما لهذا العهد ، فتأمل ذلك واعرف مدارك العلماء وماخذهم فيما يذهبون إليه . والله الهادي والموفق للصواب .

## الفصل الرابع والعشرون

### الطبيبات

وهو علم يبحث عن الجسم من جهة ما يلحقه من الحركة والسكون ؛ فينظر في الأجسام السائلة والصلبة وما يتولد عنها من إنسان وحيوان ونبات ومعدين ، وما يتكون في الأرض من الميون والزلازل ، وفي الجو من السحاب والبحار والرعد والبرق والصواعق وغير ذلك . وفي مبداء الحركة للأجسام وهو النفس على تنوعها في الانسان والحيوان والنبات . وكتب أرسطو فيه موجودة بين أيدي الناس ترجمت مع ما ترجم من علوم الفلسفة ، أيام المأمون ، وألف الناس على حذوها مستبعين لها بالبيان والشرح . وأوعب من ألف في ذلك ابن سينا في كتاب الشفاء ، جمع فيه العلوم السبعة للفلاسة كما قدما ؛ ثم لخصه في كتاب النجاة وفي كتاب الإشارات ، وكأنه يخالف أرسطو في الكثير من مسائلها ويقول برأيه فيها . وأما ابن رشد فلخص كتب أرسطو وشرحا متجما له غير مخالف . وألف الناس بعده في ذلك كثيرا ، لكن هذه هي المشهورة لهذا العهد والمعتبرة في الصناعة . ولأهل المشرق عناية بكتاب الإشارات لابن سينا ، وللامام ابن الخطيب عليه شرح حسن ، وكذا الأبيدي . وشرحه أيضا نصير الدين

الطوسي المعروف بخواجه، من أهل المشرق<sup>(١)</sup>، وبجث مع الامام في كثير من مسائله؛ فأوفى على أنظاره وبحوثه. وفوق كل ذي علم عليم؛ والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

## الفصل الخامس والعشرون

### علم الطب

ومن فروع الطبييات صناعة الطب، وهي صناعة تنظر في بدن الإنسان من حيث يمرض ويصح؛ فيحاول صاحبها حفظ الصحة وبرء المرض بالأدوية والأغذية، بعد أن يُبين المرض الذي يُخص كل عضو من أعضاء البدن، وأسباب تلك الأمراض التي تنشأ عنها، وما يكثر مرض من الأدوية؛ مستدلين على ذلك بأمرجة الأدوية وقواها، وعلى المرض بالعلامات المؤذنة بنضجه وقبوله للدواء، أولاً: في السجية والفضلات والنبس، محاذين لذلك قوة الطبيعة، فإنها المدبرة في حالتي الصحة والمرض. وإنما الطبيب يجاذبها ويُمينها بعض الشيء، بحسب ما تقتضيه طبيعة المادّة والفصل والسين، ويسمى العلم الجامع لهذا كله علم الطب. وربما أفردوا بعض الأعضاء بالكلام وجعلوه علماً خاصاً، كالعين وعلها وأكحالها. وكذلك ألحقوا بالفن منافع الأعضاء ومعناه المنفعة التي خلق

(١) كذا، وفي ب: من أهل العراق. ومقتضى السياق: المعروف بين أهل العراق بخواجه. فالذكر ولد بطوس من أعمال إيران وتوفي ببغداد. انظر قاموس الأعلام للزركلي.

لاجلها كلُّ عضوٍ من أعضاء البدن الحيواني . وإن لم يكن ذلك من موضوع علم الطب ، إلا أنهم جعلوه من لواحقه وقوابيه .

ولجالينوس في هذا الفن كتابٌ جليلٌ ، عظيمُ المنفعة ، وهو إمامُ هذه الصناعة التي تُزجَّت كُتُبُه فيها من الأقدمين ؛ يقالُ إنه كان معاصراً ليعسى عليه السلام ، ويُقالُ إنه مات بصِيلةٍ في سبيل تغلب<sup>(١)</sup> ومطاوعة اغتراب . وتألَّفَ فيها هي الأُنهات التي اقتدى بها جميعُ الأطباء من بعده . وكان في الاسلام في هذه الصناعة أئمةٌ جاءوا من وراء الفايقة ، مثل الرازي والمجوسي وابن سينا ، ومن أهل الأندلس أيضاً كثيرٌ . وأشهرهم ابنُ زهرٍ . وهي لهذا العهد في المدن الاسلامية كأنها نقصت لوقوف العمران وتناقصه ، وهي من الصنائع التي لا تستدعيها إلا الحضارة والترف كما نُسِئتُ بعد .

وللبادية من أهل العمران طبٌ ينونهُ في غالب الأمر على تجربةٍ قاصرةٍ على بعض الأشخاص ، ويتداولونه متوارثاً عن مشايخ الحي وعجائزهم ؛ وربما يصحُّ منه البعض ، إلا أنه ليس على قانونٍ طبيعيٍّ ، ولا عن موافقة المزاج . وكان عند العرب من هذا الطب كثيرٌ ، وكان فيهم أطباء معروفون : كالحرث<sup>(٢)</sup> بن كَلثة وغيره . والطبُ المنقولُ في الشرعيات<sup>(٣)</sup> من هذا القبيل ،

(١) كذا ، وفي ب : تغلب .

(٢) كذا ، وفي ب : كالحارث . وهكذا ورد في قلموس الاعلام .

(٣) كذا ، وفي ب : في النبوات .

وليس من الوحي في شيء، وإنما هو أمرٌ كان عادياً للربِّ . ووقع في ذكرِ أحوالِ النبي ﷺ ، من نوعِ ذكرِ أحواله التي هي عادةٌ وجيلةٌ ، لا من جهةٍ أنَّ ذلك مشروعٌ على ذلك النحورِ من العملِ . فانه ﷺ إنما بُعثَ ليعلمنا الشرائعَ ، ولم يُبعثْ لتعريفِ الطبِّ ولا غيره من العادياتِ . وقد وقعَ له في شأنِ تلقيحِ النخلِ ما وقعَ ، فقال : « أنتم أعلمُ بأمورِ دنياكم » . فلا ينبغي أن يُحملَ شيءٌ من الذي وقعَ من الطبِّ الذي وقعَ في الأحاديثِ الصحيحةِ المنقولةِ على أنه مشروعٌ ، فليس هناك ما يدلُّ عليه ؛ اللهم إلا إن استعملَ على جهةِ التبرُّكِ وصدقِ العقيدِ الإيمانيِّ ؛ فيكونُ له أثرٌ عظيمٌ في النفعِ . وليس ذلك من الطبِّ المزاجيِّ وإنما هو من آثارِ الكلمةِ الإيمانيَّةِ ، كما وقعَ في مداواةِ المبطلينِ بالسِّلِ ونحوه . والله الهادي إلى الصوابِ لا ربَّ سواه .

## الفصل السادس والعشرون

### الفلاحة

هذه الصناعاتُ من فروعِ الطبيعياتِ ، وهي النَّظَرُ في النَّباتِ من حيثِ تنميتهُ ونشوؤه بالسَّقيِّ والعلاجِ واستِجادةِ المنبتِ وصلاحيَّةِ الفصلِ وتعاهده بما يُصلحُه ويتَّبعُه من ذلك كُلِّه . وكان للمتقديمينَ بها عنايةٌ كثيرةٌ ، وكان النَّظَرُ فيها عندهم عاماً في النَّباتِ من جهةِ غريبه وتنميتهِ ومن جهةِ خواصه وروحانيتهِ ومشاكلتها لروحانياتِ

الكواكب والهياكل المستعمل ذلك كله في باب السحر؛ فظنمت عنايتهم به لأجل ذلك. وترجم من كتب اليونانيين، كتاب الفلاحة النبطية، منسوبة لعلاء النبط، مشتلة من ذلك على علم كبير. ولا نظر أهل الملة فيما اشتمل عليه هذا الكتاب، وكان باب السحر مسدوداً، والنظر فيه محظوراً؛ فاقصروا منه على الكلام في النبات من جهة غريبه وعلاجه وما يعرض له في ذلك، وحذفوا الكلام في الفن الآخر منه جملة. واختصر ابن العوام كتاب الفلاحة النبطية على هذا المنهج، وبقي الفن الآخر منه مغفلاً. نقل منه مسملة في كتبه السحرية آهات من مسائله كما نذكره عند الكلام على السحر إن شاء الله تعالى.

وكتب المتأخرين في الفلاحة كثيرة، ولا يعدون فيها الكلام في الفراس والعلاج وحفظ النبات من حوائجه وعوائقه، وما يعرض في ذلك كله وهي موجودة.

## الفصل السابع والعشرون

### علم العقول

وهو علم ينظر في الوجود المطلق. فأولاً في الأمور العامة للجسمانيات والروحانيات، من الماهيات والوحدات والكمات والوجود والإمكان وغير ذلك؛ ثم ينظر في مبادي الموجودات وأنها روحانيات، ثم في كيفية صدور الموجودات عنها ومراتبها<sup>(١)</sup>، ثم

(١) كذا، وفي ب: وترتيبها.

في أحوال النفس بعد مفارقة الأجسام وعودها إلى البدن. وهو عندهم علم شريف يزعمون أنه يوقفهم على معرفة الوجود على ما هو عليه، وأن ذلك عين السعادة في زعمهم. وسيأتي الرد عليهم بعد. وهو نال للطبيعات في ترتيبهم، ولذلك يسمونه علم ما وراء الطبيعة. وكتب المعلم الأول فيه موجودة بين أيدي الناس. ولخصه<sup>(١)</sup> ابن سينا في كتاب الشفاء والنجاة، وكذلك لخصها<sup>(٢)</sup> ابن رشد من حكماء الاندلس. ولما وضع المتأخرون في علوم القوم ودوتوا فيها، ورد عليهم الغزالي ما رده منها، ثم خلط المتأخرون من المتكلمين مسائل علم الكلام بمسائل الفلسفة لاشتراكهما في الباحث؛ وتشابه موضوع علم الكلام بموضوع الآلهيات ومسائله بمسائلها، فصارت كأنها فن واحد. ثم غيروا ترتيب الحكماء في مسائل الطبيعات والآلهيات وخلطوها فناً واحداً، قدموا فيه الكلام في الأمور العامة؛ ثم أتبعوه بالجسمانيات وتوابعها ثم بالروحانيات وتوابعها، إلى آخر العلم، كما فعله الامام ابن الخطيب في المباحث الشرقية، وجميع من بعده من علماء الكلام.

وصار علم الكلام مختلطاً بمسائل الحكمة، وكتبه محشوة بها، كأن الفرض من موضوعها ومسائلها واحد. والتبس ذلك على الناس، وهو صواب؛ لأن مسائل علم الكلام إنما هي عقائد متلقاة من الشريعة، كما نقلها السلف من غير رجوع فيها

(١) أي لخص علم ما وراء الطبيعة، وفي ب: ولخصها، أي لخص الكتب.

(٢) أي لخص كتب المعلم الأول.

إلى العقل ولا تعويل عليه ، بمعنى أنها لا تثبت إلا به . فإنَّ العقل معزولٌ عن الشرع وأنظاره . وما تحدث فيه المتكلمون من إقامة الحجج ، فليس بحثاً عن الحق فيها ليُعلم بالدليل بعد أن لم يكن معلوماً هو شأنُ الفلسفة ؛ بل إنما هو التماسُ حجة عقلية تعضد عقائد الإيمان ومذاهب السلف فيها ، وتدفع شبه أهل البدع عنها ، الذين زعموا أنَّ مداركهم فيها عقلية . وذلك بعد أن تُفرض صحة بالأدلة العقلية كما تلقاها السلف واعتقدوها ؛ وكثير ما بين المقامين . وذلك أنَّ مدارك صاحب الشريعة أوسع لاتساع نطاقها عن مدارك الأنظار العقلية ، فهي فوقها ومحيط بها لاستمدادها من الأنوار الإلهية ؛ فلا تدخل تحت قانون النظر الضعيف والمدارك الخاطئة بها . فإذا هدانا الشارعُ إلى مُدرك ، فينبغي أن نقدِّمه على مداركنا ونثق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ولو عارضه ؛ بل نعتقد ما أمرنا به اعتقاداً وعلماً ، ونسكت عما لم نفهم من ذلك ونفوضه إلى الشارع ونزول العقل عنه .

والمتكلمون إنما دعاهم إلى ذلك كلامُ أهل الإلحاد في معارضات العقائد السلفية بالبدع النظرية ؛ فاحتاجوا إلى الردِّ عليهم من جنس معارضتهم ، واستدعى ذلك الحجج النظرية ، وعادة العقائد السلفية بها . وأما النظرُ في مسائل الطبيعيات والإلهيات بالتصحيح والبطالان ، فليس من موضوع علم الكلام ، ولا من جنس أنظار المتكلمين . فاعلم ذلك لتمييز به بين الفئتين فإنَّهما مختلفتان عند المتأخرين في الوضع والتأليف . والحق ، مغايرة كلِّ منهما لصاحبه



بالموضوع والمسائل . وإنما جاء الالتباس من اتحاد المطالب عند الاستدلال ، وصار احتجاج أهل الكلام كأنه إنشاء لطلب الاعتقاد بالدليل ، وليس كذلك . بل إنما هو ردُّ على الملحدين ، والمطلوب مفروضُ الصِّدْقِ معلومُهُ .

وكذا جاء المتأخرون من غلاة المتصوفة المتكلمين بالواجب أيضاً ، فخلطوا مسائل الفَيْنِ بفنِّهم وجعلوا الكلام واحداً فيها كليهما . مثل كلامهم في النبوات والاتحاد والخلول والوحدة وغير ذلك . والمدارك في هذه الفنون الثلاثة متفارقة مختلفة ، وأبعدها من جنس الفنون والعلوم مدارك المتصوفة ، لأنهم يدعون فيها الوجدان ويفرِّقون عن الدليل . والوجدان بعيد عن المدارك العلية وأبحاثها<sup>(١)</sup> وتوابعها كما بيناه ونبيَّه . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم . والله أعلم بالصواب .

## الفصل الثامن والعشرون

### علوم السحر والطلسيات

هي علوم بكيفية استعدادات ، تقتدِرُ النفوسُ البشريةُ بها على التأثيرات في عالم العناصر : إما بغير مُعين ، أو بـمُعينٍ من الأمور السَّابِقَةِ ؛ والاول هو السَّحَرُ ، والثاني هو الطَّلَسَاتُ . ولما كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع ، لما فيها من الضَّرَرِ ، ولما يَشْتَرِطُ

(١) كذا، وفي ب: وأنحائها.

فيها من الوجهة إلى غير الله من كوكب أو غيره ، كانت كتبها كالمفقودة بين الناس . إلا ما وُجد في كُتب الأُمم الأقدمين فيها قبل نبوة موسى عليه السلام ، مثل النبط والكلدانيين ؛ فإن جميع من تقدمه من الأنبياء لم يُشرعوا الشرائع ولا جاءوا بالأحكام ؛ إنما كانت كتبهم مواعظ وتوحيداً لله وتذكيراً بالجنة والنار . وكانت هذه العلوم في أهل بابل من السريانيين والكلدانيين ، وفي أهل مصر من القبط وغيرهم . وكان لهم فيها التأليف والآثار . ولم يُترجم لنا من كتبهم فيها إلا القليل ، مثل الفلاحية النبطية لابن وحشية من أوضاع أهل بابل ؛ فأخذ الناس منها هذا العلم وتفننوا فيه . ووضعت بعد ذلك الأوضاع ، مثل مصاحف الكواكب السبعة ، وكتاب طلمطم الهندي في صور الدرج والكواكب وغيرها . ثم ظهر بالشرق جابر بن حيان كبير السحرة في هذه الملة ؛ فتصفح كتب القوم واستخرج الصناعة ، وغاص في زبدتها واستخرجها ووضع فيها عدة من التأليف . واكثر الكلام فيها وفي صناعة السيماء<sup>(١)</sup> ، لأنها من توابعها ، ولأنَّ إحالة الأجسام النوعية من صورة إلى أخرى إنما تكون بالقوة النفسية لا بالصناعة العملية ؛ فهو من قِيل السحر كما نذكره في موضعه .

ثم جاء مسلمة بن أحمد الجريطي إمام أهل الأندلس في التعاليم والسحريات ؛ فلخص جميع تلك الكتب وهدبها ، وجمع

(١) كلأ ، وفي ب : الكيمياء .

طرقها في كتابه الذي سماه غاية الحكيم ، ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده .

ولنقدم هنا مقدمة يتبين لك منها حقيقة السحر ، وذلك أن النفوس البشرية وإن كانت واحدة بالتّوع ، فهي مختلفة بالخواص . وهي أصناف ، كل صنف يختص بخاصية واحدة بالتّوع لا توجد في الصنف الآخر . وصارت تلك الخواص فطرة وجيلة لصنفها . فنفس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لها خاصية تستعد بها للانسالخ من الروحانية البشرية إلى الروحانية الملكية ، حتى يصير ملكاً في تلك اللحظة التي انسلخت فيها . وهذا هو معنى الوحي كما مر في موضعه ، وهي في تلك الحالة محصلة للمعرفة الربانية ومخاطبة الملائكة عليهم السلام عن الله سبحانه وتعالى كما مر . وما يتبع ذلك من التأثير في الأكوان . ونفوس السحرة لها خاصية التأثير في الأكوان واستجلاب روحانية الكواكب ، للتصرف فيها ، والتأثير بقوة نفسانية أو شيطانية . فأما تأثير الأنبياء فلدّ إلهي و خاصية ربانية . ونفوس الكهنة لها خاصية الاطلاع على الغيبات بقوى شيطانية . وهكذا كل صنف يختص بخاصية لا توجد في الآخر .

والنفوس السّاحرة على مراتب ثلاثة يأتي شرحها : فأولها المؤثرة بالهمة فقط من غير آلة ولا معين ، وهذا هو الذي تسميه الفلاسفة السحر ، والثاني بمعين من يزاج الأفلاك أو العناصر أو خواص الأعداد ، ويسمونه الطلسمات ، وهو أضعف رتبة من الأول ،

والثالثُ تأثيرٌ في القوى المتخيلة . يعمدُ صاحبُ هذا التأثيرِ إلى القوى المتخيلة ، فيتصرفُ فيها بنوعٍ من التصرفِ ويلقي فيها أنواعاً من الحياتِ والمحاكاةِ وصوراً مما يقصدهُ من ذلك ، ثم يتركها إلى الجلسِ من الرائيينَ بقوةِ نفسِهِ المؤثرةِ فيه ، فينظرُها الراؤون كأنها في الخارجِ ، وليس هناك شيءٌ من ذلك ، كما يحكي عن بعضهم أنه يُري البساتينَ والأنهارَ والقصورَ وليس هناك شيءٌ من ذلك . ويسمى هذا عندَ الفلاسفةِ السَّعْوَدَةَ أو السَّعْبَةَ .

هذا تفصيلُ مراتبه . ثم هذه الخاصيةُ تكونُ في السَّاحِرِ بالقوةِ شأنَ القوى البشريَّةِ كلها . وإنما تخرجُ إلى الفعلِ بالرياضةِ . ورياضةُ السَّحْرِ كلها إنما تكونُ بالتوجُّهِ إلى الأفلاكِ والكواكبِ والعوالمِ العلويةِ والشَّيطانيِّ بأنواعِ التَّعْظِيمِ والعبادةِ والخضوعِ والتذللِ ، فهي لذلك وُجْهَةٌ إلى غيرِ الله وسجودٌ له . والوجهَةُ إلى غيرِ الله كفرٌ . فلهذا كان السَّحَرُ كفراً والكفرُ من موادِّه وأسبابه كما رأيتَ . ولهذا اختلفَ الفقهاءُ في قتلِ السَّاحِرِ ، هل هو لكفرِهِ السَّابِقِ على فعلِهِ ، أو لتصرفِهِ بالإفسادِ وما ينشأ عنه من الفسادِ في الأكوانِ ، والكلُّ حاصلٌ منه . ولما كانت المرتبتانِ الأوليانِ من السَّحْرِ لها حقيقةٌ في الخارجِ ، والمرتبةُ الأخيرةُ الثالثةُ لا حقيقةَ لها اختلفَ العلماءُ في السَّحْرِ : هل هو حقيقةٌ أو إنما هو تخيلٌ ؟ فالقائلونَ بأنَّ له حقيقةً نظروا إلى المرتبتينِ الأوليَّينِ ، والقائلونَ بأنَّ لا حقيقةَ له نظروا إلى المرتبةِ الثالثةِ الأخيرةِ . فليس بينهم اختلافٌ في نفسِ الأمرِ ، بل إنما جاء من قبْلِ اشتباهِ هذه

المراتب . والله أعلم .

واعلم أن وجود السحر لا يرثى فيه بين العقلاء من أجل التأثير الذي ذكرناه ، وقد نطق به القرآن . قال الله تعالى : ﴿ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَائِكِينَ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يَلْمِزَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَأْذِنُ اللَّهُ ﴾ <sup>(١)</sup> . وفي الصحيح أن رسول الله ﷺ سحر ، حتى كان يُخِيلُ إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله ، وجعل سحره في مشطٍ ومُشَاقَةٍ وجُفٍ طَلْعَةٍ وذُبُنٍ في بئرِ ذِرْوَانَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عليه في الموعودتين : ﴿ وَمِنْ مَكْرٍ أَنْتَفِشْتُمْ فِي الْعَقْدِ ﴾ <sup>(٢)</sup> . قالت عائشة رضي الله عنها : فكان لا يقرأ على عُقْدَةٍ من تلك العُقَدِ التي سحرَ فيها إلا انحلَّت .

وأما وجود السحر في أهل بابل ، وهم الكلدانيون من النبطِ والسريانيين فكثير ، ونطق به القرآن وجاءت به الأخبار . وكان للسحر في بابل ومصرَ أزمانَ بعثَ موسى عليه السلام أسواقُ نافقة . ولهذا كان مُعْجِزَةُ موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه وبقي من آثار ذلك في البرابي بصعيد مصر شواهدُ دالة على ذلك . ورأينا بالبيان من يصورُ صورةَ الشخصِ المسحورِ بخواصِ أشياءٍ مقابلةٍ لما نواه وحاوله موجودةً بالمسحور ، وأمثال تلك

(١) من آية ١٠٢ من سورة البقرة .

(٢) آية ٤ من سورة الفلق .

المعاني من أساء وصفات في التأليف والتفريق . ثم يتكلم على تلك الصودرة التي أقامها مقام الشخص المسحور عيناً أو معنى . ثم ينثث من ريقه بعد اجتماعه في فيه بتكرير مخارج تلك الحروف من الكلام السوء ، ويمقد على ذلك المعنى في سبب أعداءه لذلك تفاؤلاً بالمقد والزام ، وأخذ العهد على من أشرك به من الجز في نفسه في فعله ذلك ، استسعاراً للزينة بالزم . ولتلك البنية والأساء السنية روح خبيثة ، تخرج منه مع النفخ ، متعلقة بريقه الخارج من فيه بالنفس ، فتزل عنها أرواح خبيثة ، ويمع عن ذلك بالمسحور ما يحاوله الساحر . وشاهدنا أيضاً من المنتجلين للسحر وعمله من إشير إلى كساء أو جلد ، ويتكلم عليه في سره ، فإذا هو مقطوع متخرق . ويشير إلى بطون النعم كذلك في مراعيها بالبعج ، فإذا أمعاها ساقطة من بطونها إلى الأرض . وسمنا أن بأرض الهند لهذا العهد من إشير إلى إنسان فيتحث<sup>(١)</sup> قلبه ويقع ميتاً وينقب عن قلبه فلا يوجد في حشاء ، ويشير إلى الرمانة وتفتح فلا يوجد من حبوها شي . وكذلك سمنا أن بأرض السودان وأرض الترك من يسحر السحاب فيمطر الأرض المخصوصة . وكذلك رأينا من عمل الطلسمات عجائب في الاعداد المتحابية ، وهي : ر ك ر ف د ، أحد العددين مائتان وعشرون ، والآخر مائتان وأربعة ومائون ، ومعنى المتحابية أن أجزاء كل واحد التي فيه من نصف وتلك وربع وسنس ونحوها ، إذا جمع كان مساوياً للعدد الآخر

(١) كذا ، وفي ب : فينخب .

صاحبه ، فتمسى لاجل ذلك المتحابة .

ونقل أصحاب الطلسمات أن لتلك الأعداد أثراً في الأئمة بين المتحايين واجتماعهما إذا وُضع لهما تمثالان . أحدهما بطالع الزهرة وهي في بيتها أو شرفها ، ناظرة إلى القمر نظراً مودّعة وقبولاً ، ويجعل طالع الثاني سامع الأول ، ويوضع على أحد التمثالين أحد العددين والآخر على الآخر . ويقصد بالأكثر الذي يراد اثنتا عشرة ، أعني المحبوب ، ما أدري ، الأكثر كمية أو الأكثر أجزاء ، فيكون لذلك من التأليف العظيم بين المتحايين ما لا يكاد ينفك أحدهما عن الآخر . قاله صاحب الغاية وغيره من أئمة هذا الشأن ، وشهدت له التجربة .

وكذا طالع الأسد ، ويسمى أيضاً طالع الحصى ، وهو أن يرسم في قالب (هند إصبع) صورة أسد شائلاً ذنبه ، عاضاً على حصاة قد قسمها بنصفين ؛ وبين يديه صورة حيّة منسابة من رجله إلى قبالة وجهه فاغرة فاها إلى فيه ؛ وعلى ظهره صورة عقرب تليب . ويتحين برسمه حول الشمس بالوجه الأول أو الثالث من الأسد ، بشرط صلاح الترين وسلامتهما من النحوس . فإذا وُجد ذلك وعُثر عليه ، طُبع في ذلك الوقت في مقدار الخصال فما دونه من الذهب ، ونُمس بعد في الزعفران محلولاً بماء الورد ، ورفّع في خرقه حرير صفراء ؛ فإنهم يزعمون أن لمسيكه من العز على السلاطين في مباشرتهم وخدمتهم وتسخيرهم له ما لا يعبر عنه . وكذلك للسلاطين فيه من القوة والعز على من تحت أيديهم .

ذكر ذلك أيضاً أهل هذا الشأن في النائية وغيرها ، وشهدت له التجربة . وكذلك وفق المسدس المختصر بالشمس ، ذكروا أنه يوضع عند حلول الشمس في شرقها وسلامتها من النحوس ، وسلامة القمر ، بطالع ملوكي يُعتبر فيه نظر صاحب العاشر لصاحب الطالع . نظر مودته وقبول ، ويصلح فيه ما يكون في مواليد الملوك من الأديلة الشريفة ، ويُرفع في خرقه حمر صفراء بعد أن يُغس في الطيب . فزعموا أن له أثراً في صحابة الملوك وخدمتهم ، ومعاشرتهم . وأمثال ذلك كثير .

وكتاب النائية يسمّته بن أحمد الجريطي هو مدونة هذه الصناعة ، وفيه استيفائها وكل مسائلها . وذكر لنا : أن الإمام الفخر بن الخطيب وضع كتاباً في ذلك وسماه بالسّر المكتوم ، وأنه بالشرقي يتداوله أهله ونحو لم نقف عليه ، والإمام لم يكن من أئمة الشأن فيما نطن ، ولعل الأمر بخلاف ذلك . وبالغريب صنف من هؤلاء المنتحلين لهذه الأعمال السحرية يُعرفون بالبعاجين ، وهم الذين ذكرت أولاً أنهم يشيرون إلى الكساء أو الجلود فيترقون ، ويشيرون إلى بطون النعم بالبعج فينبج . ويسمى أحدهم لهذا العهد باسم البعاج ، لأن أكثر ما ينتحل من السحر ببعج الأنعام ، يُرهب بذلك أهلها ليُعطوه من فضلها وهم مُتسترون بذلك في النائية خوفاً على أنفسهم من الحكّام . لقيت منهم جماعة وشاهدت من أفعالهم هذه بذلك ، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كُفريّة وإشراك لروحانية الجن والكواكب ، سيطرت



فيها صحيفةٌ عندهم تسمى الخزيرية<sup>(١)</sup> يتدارسونها ؛ وأن بهذه الرياضات والوجهة يصلون إلى حصول هذه الأفعال لهم ؛ وأن التأثير الذي لهم إنما هو فيما سوى الإنسان الحر<sup>(٢)</sup> من المتاع والحيوان والرقير ، ويميّرون عن ذلك بقولهم إنما نفضلُ فيما يمشی فيه الدرهمُ أي ما يملك ويباعُ ويشتري من سائر الممتلكات ، هذا ما زعموه . وسألت بعضهم فأخبرني به . وأما أفعالهم فظاهرةٌ موجودةٌ ، وقفنا على الكثير منها وعايشتها من غير ريبة في ذلك .

هذا شأنُ السحر والطلسمات وآثارُها في العالم ، فأما الفلاسفة ففرّقوا بين السحر والطلسمات بعد أن أثبتوا أنها جميعاً أثرٌ للنفس الانسانية ، واستدلّوا على وجود الأثر للنفس الانسانية ، بأن لها آثاراً في بدنِها على غير المجرى الطبيعي وأسبابه الجسمية ، بل آثار عارضة من كيفيات الأرواح ؛ تارة كالسحونة الحادثة عن الفرح والسرور ، ومن جهة التصورات النفسانية أخرى ، كالذي يقع من قبل التوهم . فإن الماشي على حرفٍ حائطٍ أو على جبلٍ منتصبٍ ، إذا قوي عنده توهم السقوط سقط بلا شك . ولهذا تجد كثيراً من الناس يعودون أنفسهم ذلك بالدربة عليه حتى يذهب عنهم هذا الوهم فتجدتهم يمشون على حرفٍ الحائط والجبل المنتصب ولا يخافون السقوط .

فثبت أن ذلك من آثار النفس الانسانية ، وتصورها للسقوط

(١) كذا ، وفي ب : الخزيرية .

(٢) كذا ، وفي ب : الإنسان والجن .

من أجل الوهم . وإذا كان ذلك أثراً للنفس في بدنها من غير الأسباب الجسمانية الطبيعية ، فبما أن يكون لها مثل هذا الأثر في غير بدنها ؛ إذ نسبتها إلى الأبدان في ذلك النوع من التأثير واحدة ، لأنها غير حادثة في البدن ولا منطبعة فيه ، فثبت أنها مؤثرة في سائر الأجسام .

وأما التفرقة عندهم بين السحر والطلسمات ، فهو أن السحر لا يحتاج الساجر فيه إلى معين ، وصاحب الطلسمات يستعين بروحانيات الكواكب وأسرار الأعداد وخواص الموجودات وأوضاع القلك المؤثرة في عالم العناصر ، كما يقوله المنجمون ، ويقولون : السحر اتخاذ روح بروح ، والطلسم ، اتخاذ روح بجسم ، ومعناه عندهم ربط الطباع العلوية الساقطة بالطباع السفلية . والطباع العلوية هي روحانيات الكواكب ، ولذلك يستعين صاحبها في غالب الأمر بالنجامة . والساجر عندهم غير مكتسب لسحره ، بل هو مفلوط عندهم على تلك الجيلة المختصة بذلك النوع من التأثير . والفرق عندهم بين المعجزة والسحر ، أن المعجزة قوة إلهية تمت في النفس ذلك التأثير ، فهو مؤيد بروح الله على فعله ذلك . والساجر إنما يفعل ذلك من عند نفسه وبقوته النفسانية ، وبإمداد الشياطين في بعض الأحوال ؛ فبينهما الفرق في المعقولية والحقيقة والذات في نفس الأمر ، وإنما نستدل نحن على التفرقة بالعلامات الظاهرة وهي وجود المعجزة لصاحب الخير ، وفي مقاصد الخير ،

والنفوس المتمحصة<sup>(١)</sup> للخير والتحدي بها على دعوى النبوة. والسحر إنما يوجد لصاحب الشر، وفي أفعال الشر في الغالب، من التفريق بين الزوجين وضرر الأعداء وأمثال ذلك، والنفوس المتمحصة للشر. هذا هو الفرق بينهما عند الحكماء الإلهيين.

وقد يوجد لبعض المتصوفة وأصحاب الكرامات تأثير أيضاً في أحوال العالم وليس معدوداً من جنس السحر، وإنما هو بالامداد الإلهي لأن طريقتهم ونحتهم من آثار النبوة وتوايها. ولهم في المدد الإلهي حظ عظيم على قدر حالهم وإيمانهم وتمسكهم بكلمة الله<sup>(٢)</sup>. وإذا اقتدر أحد منهم على أفعال الشر فلا يأتيها لأنه متقيد فيما يأتيه ويذرهُ للأمر الإلهي. فما لا يقع لهم فيه الإذن لا يأتونه بوجه. ومن أنه منهم فقد عدل عن طريق الحق وربما سلب حاله. ولما كانت المعجزة بامداد روح الله والقوى الإلهية، فلذلك لا يعارضها شيء من السحر.

وانظر شأن سحر فرعون مع موسى في معجزة العصا كيف تلقفت ما كانوا يافكون، وذهب سحرهم واضمحلت كأن لم يكن. وكذلك لما أنزل على النبي ﷺ في المعوذتين، ومن شر النفاثات في العقدي. قالت عائشة رضي الله عنها: فكان لا يقرأها على عقدة من العقدي التي سحر فيها إلا انحلت. فالسحر لا يثبت مع اسم الله وذكره بالهمة الإيمانية. وقد نقل المؤرخون أن زركش<sup>(٣)</sup> كوايان

(١) كذا، وفي ب: المتمحصة.

(٢) كذا، وفي ب: بكلمة التوحيد.

(٣) كذا، وفي ب: دوفش.

وهي رايةٌ كبرى كان فيها الوقفُ المشيئُ المَدَّيُّ منسوجاً بالذهب في أوضاعٍ "فلكيةٍ رُصدت لذلك الوقف". ووجدتِ الرايةُ يومَ قُتلَ رُسُمُ بالقَادِيسِيَّةِ واقعةً على الأرضِ بعد انْهزامِ أهلِ فارسَ وشتائِهِمْ. وهو فيما يزعمُ أهلُ الطَّلَسَاتِ والأوقافِ مخصوصٌ بالقلبِ في الحروبِ ، وأنَّ الرايةَ التي يكون فيها أو معها لا تنهزمُ أصلاً . إلا أنَّ هذه عارضُها المَدَدُ الإلهيُّ من إيمانِ أصحابِ رسولِ الله ﷺ ، وتقسيمِهم بكلمةِ الله ، فأنحلَّ معها كلُّ عقدةٍ سحريةٍ ولم يثبتْ ، وبطلَ ما كانوا يعملون . وأمَّا الشَّريفةُ فلم تفرقْ بين السحرِ والطَّلَسَاتِ والشعبَةِ وجعلته كُلُّه باباً واحداً محظوراً . لأنَّ الأفعالَ إنما أباحَ لنا الشارعُ منها ما يَهْتُمُّنا في ديننا الذي فيه صلاحُ آخرتنا ، أو في معاشنا الذي فيه صلاحُ دنيانا ؛ وما لا يَهْتُمُّنا في شيءٍ منها . فإنَّ كانَ فيه ضررٌ أو نوعٌ ضررٍ ، كالسحرِ الحاصلِ ضررُهُ بالوقوعِ ، ويلحقُ به الطَّلَسَاتُ ، لأنَّ أثرَهما واحدٌ ، كالتَّجَامَةِ التي فيها نوعٌ ضررٍ باعتقادِ التأثيرِ ، فتفسدُ العقيدةُ الإيمانيةُ برَدِّ الأمورِ إلى غيرِ الله ، فيكونُ حينئذٍ ذلك الفعلُ محظوراً على نسيتهِ في الضررِ . وإن لم يكنْ هماً علينا ولا فيه ضررٌ ، فلا أقلَّ من تركهِ قُرْبَةً إلى الله ، فإنَّ من حُسِنِ إسلامِ المرءِ تركُهُ ما لا يعنيه . فجعلتِ الشَّريفةُ بابَ السحرِ والطَّلَسَاتِ والشعوذَةِ باباً واحداً لما فيها من الضَّرَرِ ، وخصَّتْهُ بالخَطَرِ والتحريمِ .

وأما الفرقُ عندهم بين المعجزةِ والسحرِ ، فالذي ذكره

المتكلمون أنه راجع إلى التحدي ، وهو دعوى وقوعها على وفق ما ادّعاء . قالوا : والسّاحرُ مصروفٌ عن مثل هذا التحدي ، فلا يقع منه . ووقوعُ المعجزة على وفق دعوى الكاذب غير مقدور ، لأنّ دَلالةَ المعجزة على الصّدق عقليةٌ ، لأنّ صفةَ نفسها التصديق ، فلو وقعت مع الكذب لاستحال الصّديقُ كاذباً وهو محالٌ ، فإذا لا تقعُ المعجزةُ مع الكاذبِ باطلاقٍ . وأما الحكماء فالفرقُ بينهما عندهم كما ذكرناه ، فرقٌ ما بين الخير والشرِّ في نهايةِ الطرفين . فالسّاحرُ لا يصدُرُ منه الخيرُ ولا يُستعملُ في أسبابِ الخير ، وصاحبُ المعجزة لا يصدُرُ منه الشرُّ ولا يستعملُ في أسبابِ الشرِّ ، وكأنهما على طريقي التقيض في أصلِ فطريتهما . والله يهدي من يشاء ، وهو القويُّ العزيزُ ، لا ربَّ سواه .

ومن قبيل هذه التأثيراتِ النفسانيةِ الإصابةُ بالعين وهو تأثيرٌ من نفسِ المعيان ، عندما يستحسنُ بعينه مدركاً من الدّواتِ أو الأحوالِ ، ويُفَرِّطُ في استحسانه وينشأ عن ذلك الاستحسانِ حسدٌ يرومُ معه سلبَ ذلك الشيءِ عن اتّصف به ، فيؤثرُ فسادُه . وهو جبلةٌ فطريةٌ ، أعني هذه الإصابةُ بالعين . والفرقُ بينها وبين التأثيراتِ النفسانيةِ أن صدورَه فطريٌّ جبليٌّ لا يتخلّف ولا يرجعُ اختيارُ صاحبه ولا يكتبه ، وسائرُ التأثيراتِ ، وإن كان منها ما لا يكتبُ ، فصدورها راجعٌ إلى اختيارِ فاعلها ، والبطريُّ منها قوّةٌ صدوريها لا نفسٌ صدوريها ، ولهذا قالوا : القاتِلُ بالسحرِ أو بالكرامةٍ يُقتلُ ، والقاتِلُ بالعينِ لا يقتلُ . وما ذلك إلا لأنّه ليس

مما يريدُه وَيَقْصِدُه أَوْ يَتْرُكُه ، وَإِنَّمَا هُوَ مَجْبُورٌ فِي صُدُورِهِ عَنْهُ . وَاللَّهُ  
أَعْلَمُ بِمَا فِي الْغُيُوبِ وَمَطْلَعٌ عَلَى مَا فِي السَّرَائِرِ .

## الفصل التاسع والعشرون

علم أسرار الموهب

وهو المسمى لهذا المهدِّ بالسيما . نُقِلَ وَضَعُهُ مِنَ الطَّلَسَاتِ  
إِلَيْهِ فِي اصطلاحِ أَهْلِ التَّصَرُّفِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ ؛ فَاسْتُعْمِلَ اسْتِعْمَالُ  
الْعَامِّ فِي الْخَاصِّ . وَحَدَّثَ هَذَا الْعِلْمُ فِي الْمَلَّةِ بَعْدَ صَدْرِ مِنْهَا ، وَعِنْدَ  
ظُهُورِ الْفُلَاةِ مِنَ الْمُتَصَوِّفَةِ وَجَنُوحِهِمْ إِلَى كَشْفِ حِجَابِ الْحُسْنِ ،  
وظُهُورِ الْخَوَارِقِ عَلَى أَيْدِيهِمْ وَالتَّصَرُّفَاتِ فِي عَالَمِ الْعَنَاصِرِ ، وَتَدْوِينِ  
الْكُتُبِ وَالاصْطِلَاحَاتِ ، وَمِزَاجِهِمْ فِي تَنْزِيلِ الْوُجُودِ عَنِ الْوَاحِدِ  
وَتَرْتِيبِهِ . وَزَعَمُوا أَنَّ الْكَمَالَ الْإِسْمَانِيَّ مَظَاهِرُهُ أَرْوَاحُ الْأَفْلاكِ  
وَالْكَوَاكِبِ ، وَأَنَّ طِبَائِعَ الْحُرُوفِ وَأَسْرَارَهَا سَارِيَةٌ فِي الْأَسْمَاءِ ،  
فَهِيَ سَارِيَةٌ فِي الْأَكْوَانِ عَلَى هَذَا النِّظَامِ . وَالْأَكْوَانُ مِنْ لَدُنِ  
الْإِبْدَاعِ الْأَوَّلِ تَنْتَقِلُ فِي أَطْوَارِهِ وَتُعْرَبُ عَنْ أَسْرَارِهِ ، فَحَدَّثَ  
لِذَلِكَ عِلْمُ أَسْرَارِ الْحُرُوفِ ، وَهُوَ مِنْ تَفَارِيعِ عِلْمِ السِّيْمَاءِ لَا  
يُوقَفُ عَلَى مَوْضُوعِهِ وَلَا يُحَاطُ بِالْعَدَدِ مَسْأَلَةً . تَعَدَّدَتْ فِيهِ تَأْلِيفُ  
الْبَوْنِيّ وَابْنِ الْعَرَبِيِّ وَغَيْرُهُمَا مِنْ اتَّبَعَ آثَارَهُمَا . وَحَاصِلُهُ عِنْدَهُمْ  
وَتَرْثُهُ تَصَرُّفُ النُّفُوسِ الرَّبَّانِيَّةِ فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ بِالْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى

والكلمات الإلهية الناشئة عن الحروف المحيطة بالأسرار السارية في الأكوان.

ثم اختلفوا في سر التصرف الذي في الحروف<sup>(١)</sup> بما هو : فمنهم من جملة للمزاج الذي فيه ، وقسم الحروف بقسم الطباع إلى أربعة أصناف كما للعناصر . واختصت كل طبيعة بصنف من الحروف يقع التصرف في طبيعتها فعلاً وانفعلاً بذلك الصنف ؛ فتنوعت الحروف بقانون صناعي يسمونه التكسير إلى نارية وهوائية ومائية وترابية على حسب تنوع العناصر ، فالألف للنار والباء للهواء والجيم للماء والذال للتراب . ثم ترجع كذلك على التوالي من الحروف والعناصر إلى أن تنفذ . فتعين لعنصر النار حروف سبعة : الالف والماء والطاء والميم والفاء والسين والذال ؛ وتعين لعنصر الهواء سبعة أيضاً : الباء والواو والياء والنون والضاد والتاء والطاء ؛ وتعين لعنصر الماء أيضاً سبعة : الجيم والزاي والكاف والصاد والقاف والثاء والغين ؛ وتعين لعنصر التراب أيضاً سبعة : الذال والحاء واللام والعين والراء والحاء والشين .

والحروف النارية لدفع الأمراض الباردة ولمضاعفة قوة الحرارة حيث تطلب مضاعفتها ، إما حساً أو حكماً ، كما في تضعيف قوى المريح في الحروب والقتل والفتك . والمائية أيضاً لدفع الأمراض

(١) علق الموريني على هذه العبارة بقوله : ترتيب طبائع الحروف عند المغاربة غير ترتيب المشاركة ، ومنهم الغزالي . كما أن الجمل عندهم يخالف في ستة أحرف ، فإن الصاد عندهم يستين والضاد يستعين والسين المهملة بثلاثاء والطاء بثلاثمائة والغين بتسعة والسين بألف . اهـ .

الحارة من ثَمَيَاتٍ وغيرها ، ولتضعيف القوى الباردة حيث تطلب مضاعفتها جساً أو حكماً ، كتضعيف قوى القمر وأمثال ذلك .

ومنهم من جعلَ يَسرَ التصريفِ الذي في الحروفِ للنسبةِ العددية : فإنَّ حروفَ أجد دالةً على أعدادِها المتعارفةِ وضعاً وطبعاً فبينها من أجلِ تناسبِ الأعدادِ تناسبٌ في نفسها أيضاً ؛ كما بينَ الباء والكاف والراء لدالاتها كلها على الاثنين كلِّ في مرتبته ؛ فالباء على اثنين في مرتبةِ الآحاد ، والكاف على اثنين في مرتبةِ العشرات ، والراء على اثنين في مرتبةِ المئين . وكالذي بينها وبين الدال والميم والتاء لدالاتها على الأربعة ، وبين الأربعة والاثنين نسبةُ الضعيف . وخرجَ للاسماءِ أوافقٌ كما للأعدادِ يختصُّ كلُّ صنفٍ من الحروفِ بصنفٍ من الأوافقِ الذي يناسبُه من حيثُ عددُ الشكلِ أو عددُ الحروفِ ، وامتزجَ التصريفُ من السرِّ الحرفيِّ واليسرِ العدديِّ لأجلِ التناسبِ الذي بينهما . فأما يَسرُ التناسبِ الذي بينَ هذه الحروفِ وأمزجةِ الطبائعِ ، أو بين الحروفِ والأعدادِ ، فأمرٌ عسيرٌ على الفهمِ ، إذ ليس من قبيلِ العلومِ والقياساتِ ، وإنما مستندُّهم فيه الذوقُ والكشفُ . قال البوني : ولا تظنَّ أنَّ سرَّ الحروفِ مما يُتوصَّلُ إليه بالقياسِ العقليِّ ، وإنما هو بطريقِ المشاهدةِ والتوفيقِ الإلهيِّ . وأما التصريفُ في عالمِ الطبيعةِ بهذه الحروفِ والأسماءِ المركَّبةِ فيها وتأثيرِ الأكوانِ عن ذلك فأمرٌ لا يُنكرُ لثبوتِه عن كثيرٍ منهم تواتراً . وقد يُظنُّ أنَّ تصريفَ هؤلاء وتصريفَ أصحابِ الطلسماتِ واحدٌ ، وليس كذلك ؛



فإن حقيقة الطلسم وتأثيره على ما حتمه أهله أنه قوى روحانية من جوهر القمر ، تفعل فيما له دُكِبْ فعمل غلبة وقهر ، بأسرار فليكية ونسب عددية وبحورات جالبات لروحانية ذلك الطلسم ، مشدودة فيه بالهمة ؛ فاندثتها ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية ، وهو عندهم كالخيرة المركبة من هوائية وأرضية ومائية ونارية حاصلة في مجلتها ، 'تَحِلُّ' وتُصَرَّفُ ما حصلت فيه إلى ذاتها وتقلبه إلى صورتها . وكذلك الاكسير للأجسام المعدنية ، كالخيرة تغلب المعدن الذي تسري فيه إلى نفسها بالإحالة . ولذلك يقولون : موضوع الكيمياء جسد في جسد لأن الاكسير أجزاءه كلها جسدانية . ويقولون : موضوع الطلسم روح في جسد لأنه ربط الطبايع العلوية بالطبايع السفلية . والطبايع السفلية جسد والطبايع العلوية روحانية . وتحقيق الفرق بين تصرف أهل الطلسمات وأهل الأسماء ، بعد أن تعلم أن التصرف في عالم الطبيعة كله إنما هو للنفس الإنسانية والجسم البشرية أن النفس الإنسانية محيطة بالطبيعة وحكمة عليها بالذات ؛ إلا أن تصرف أهل الطلسمات إنما هو في استئصال روحانية الأفلاك وربطها بالصور أو بالنسب العددية ، حتى يحصل من ذلك نوع مزاج يفعل الإحالة والقلب بطبيعته ، فللخيرة فيما حصلت فيه . وتصرف أصحاب الأسماء إنما هو بما حصل لهم بالمجاهدة والكشف من النور الإلهي والإمداد الرباني ؛ فيستخرج الطبيعة لذلك طائفة غير مستعمية ، ولا يحتاج إلى مدد من القوى الفليكية ولا غيرها ، لأن مدته أعلى منها .

ويحتاج أهل الطَّلسمات إلى قليل من الرِّياضة تُفيد النفس قوةً على استئزالِ روحانية الأَفلاكِ . وأَهْوَنُ بها وَجْهٌ ورياضةٌ . بخلافِ أهلِ الاسماءِ فإنَّ رياضَتَهُمُ هي الرِّياضةُ الكُبرى ، وليست لقصْدِ التَّصَرُّفِ في الأكوانِ إذ هو حجابٌ . وإنَّما التَّصَرُّفُ حاصِلٌ لَهُم بِالْعَرَضِ ، كرامةً من كراماتِ اللَّهِ لَهُم . فإنَّ خلا صاحِبِ الاسماءِ عن معرفة أسرارِ اللَّهِ وحقائقِ المَلَكوتِ ، الَّذِي هو نَتِجَةُ المِشَاهِدَةِ وَالكَشْفِ ، واقتصرَ على مناسباتِ الاسماءِ وطبائعِ الحروفِ والكلماتِ ، وتصرَّفَ بها من هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ وهؤلاءِ هُمُ أَهْلُ السِّمِیاءِ فِي المَشْهُورِ - كانَ إِذاً لا فَرْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صاحِبِ الطَّلسماتِ ؛ بل صاحِبِ الطَّلسماتِ أَوْثَقُ مِنْهُ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ إِلَى أَصُولٍ طَبِيعِيَّةٍ عِلْمِيَّةٍ وَقَوَائِنَ رَتَبِيَّةٍ . وَأَمَّا صاحِبُ أسرارِ الْأَسْماءِ إِذَا فَاتَهُ الْكَشْفُ الَّذِي يَطْلُعُ بِهِ عَلَى حَقائِقِ الْكَلِماتِ وَأَثارِ الْمُناسباتِ بِقَوَاتِ الْخُلُوصِ فِي الْوَجْهِةِ ، وَلَيْسَ لَهُ فِي الْمُلُومِ الْإِصْطِلَاحِيَّةِ قَانُونٌ بَرْهَانِيٌّ يَعُولُ عَلَيْهِ يَكُونُ حَالُهُ أَضَعَفَ رَتَبَةً . وَقَدْ يَنْجُجُ صاحِبُ الْأَسْماءِ قَوَى الْكَلِماتِ وَالْأَسْماءِ بِقَوَى الْكُوكِبِ ، فَيَعِينُ لَذِكْرِ الْأَسْماءِ الْحُسْنَى ، أَوْ مَا يَرْمِ مِنْ أَوْفَاقِهَا ، بل وَلِساثِرِ الْأَسْماءِ ، أَوْقَاتاً تَكُونُ مِنْ حِظْوِظِ الْكُوكِبِ الَّذِي يَناسِبُ ذَلِكَ الْأَسْمَ ؛ كَمَا فَتَلَهُ الْبُؤْيُوتِيُّ فِي كِتَابِهِ الَّذِي سَمَّاهُ الْأَنْطَاطَ . وَهَذِهِ الْمُناسِبَةُ عِنْدَهُمْ هِيَ مِنْ لَدُنِ الْحَضَرَةِ الْعَامِيَّةِ ، وَهِيَ بَرَزِيخِيَّةٌ لِلْكَمالِ الْأَسْمَائِيِّ ، وَإِنَّمَا تَنْزَلُ تَقْصِيلُهَا فِي الْحَقائِقِ عَلَى مَا هِيَ عَلَيْهِ مِنَ الْمُناسِبَةِ . وَإِثباتُ هَذِهِ الْمُناسِبَةِ عِنْدَهُمْ إِنَّمَا هُوَ بِحَكْمِ الْمِشَاهِدَةِ . فَإِذا خلا صاحِبُ الْأَسْماءِ عَنِ تِلْكَ الْمِشَاهِدَةِ ،

وتلقى تلك المناسبة تقليداً ، كان عمله بمثابة عمل صاحب الطلسم ؛ بل هو أوثق منه كما قلناه . وكذلك قد يَنُجُ أيضاً صاحب الطلسمات عمله وقوى كواكب بقوى الدعوات المؤلفة من الكلمات المخصوصة لمناسبة بين الكلمات والكواكب ، إلا أن مناسبة الكلمات عندهم ليست كما هي عند أصحاب الأسماء من الاطلاع في حال المشاهدة ، وإنما يرجع إلى ما اقتضته أصول طريقتهم السحرية ، من اقتسام الكواكب لجميع ما في عالم المكوّنات ، من جواهر وأعراض وذوات ومعانٍ ، والحروف والاسماء من جملة ما فيه .

فلكل واحد من الكواكب قسم منها يخصه ، وينون على ذلك مباني غريبة منكرة من تقسيم سور القرآن وآيه على هذا النحو ، كما قلناه مسجلة المحرط في الناية . والظاهر من حال البوني في أنماطه أنه اعتبر طريقتهم . فإن تلك الأنماط إذا تصفحتها ، وتصفحت الدعوات التي تضمنتها ، وتقسمها على ساعات الكواكب السبعة ؛ ثم وقفت على الغاية ، وتصفحت قيامات الكواكب التي فيها ، وهي الدعوات التي تختص بكل كوكب ، ويسمونها قيامات الكواكب ، أي الدعوة التي يقام له بها ، شهد له ذلك ؛ إما بأنه من مادتها ؛ أو بأن التناسب الذي كان في أصل الإبداع وبرزخ العلم قضى بذلك كله . ﴿ وَمَا أُوتِشِرَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ . وليس كل ما حرّمه الشارع من العلوم ينكر الشبوت ، فقد ثبت أن السحر حق مع حظره . لكن حسبنا من العلم ما علينا .

ومن فروع علم السيمياء عندهم استخراج الأجوبة من

الاسئلة ، بارتباطاتٍ بين الكلماتِ حرفيةٍ ، يوهونَ أنها أصلٌ في معرفة ما يُحاولونَ علمهُ من الكائناتِ الاستقباليةِ ؛ وإنّا هي شبه المعاينةِ والمسائلِ السائلةِ . ولهم في ذلك كلامٌ كثيرٌ من أدعيةِ وأوزاد . وأعجبهُ زائرجةُ العالمِ للسُّبُتِيّ ، وقد تقدّم ذكرُها . ونبيّنُ هنا ما ذكرُوهُ في كيفيةِ العملِ بتلكِ الزائرجةِ بدائرتهاِ وجدولها المكتوبِ حولها ؛ ثم نكشفُ عن الحقِّ فيها وأنها ليست من الغيبِ ، وإنّا هي مطابقةٌ بين مسألةٍ وجوابها في الإفادةِ فقط ، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل . وليس عندنا روايةٌ يعولُ عليها في صحةِ هذه القصيدةِ إلا أننا تحررنا أصحَّ النسخِ منها في ظاهرِ الأمرِ . والله الموفقُ بيّته . وهي هذه :

|   |   |
|---|---|
| يقولُ سُبُتِيّ وَيَحْمَدُ رَبَّهُ             | مُصَلِّ عَلَى هَادٍ إِلَى النَّاسِ أَزِيلاً     |
| تَحْمِلُ المَبْعُوثِ خَاتِمَ الأنبيَا         | وَيَرْضَى عَنِ الصَّحْبِ وَمَنْ لَمْ تَلَا      |
| أَلَا هَذِهِ زَائِرَجَةُ الْعَالَمِ الَّذِي   | تَرَاهُ بِحَيِّكُمْ وبِالْعَمَلِ قَدْ حَلَا     |
| فَمَنْ أَحْكَمَ الوَضْعَ فَيَحْكُمُ جِسْمَهُ  | وَيَدْرِكُ أَحْكَاماً تَدْبِرُهَا الْعِلَا      |
| وَمَنْ أَحْكَمَ الرِّبْطَ فَيَدْرِكُ قُوَّةَ  | وَيَدْرِكُ للتَّقْوَى وللْكَرِّ حَصْلَا         |
| وَمَنْ أَحْكَمَ التَّصْرِيفَ يَحْكُمُ سِرَّهُ | وَيَعْمَلُ نَفْسَهُ وَصَحَّ لَهُ الْوَلَا       |
| وَفِي عَالَمِ الْأَمْرِ تَرَاهُ عَقِيقاً      | وَهَذَا مَقَامُ مَنْ بِالْأَذْكَارِ كَلَا       |
| فَهَذِي سَرَائِرُ عَلَيْكُمْ بَكْتِيهَا       | أَقَمَّا دَوَائِرَ وَلِلْهَاءِ عَدِلَا          |
| فَطَاءُ لَهَا عَرْشُ وَفِيهِ نُقُوشُنَا       | بِنَظْمٍ وَنَثَرٍ قَدْ تَرَاهُ مُجَنَّدِلَا     |
| وَنَسَبُ دَوَائِرِ كُنَسِيَةِ فُلُكِيهَا      | وَلَوْ سَمَّ كَوَاكِباً لِأَدْرَاجِهَا الْعِلَا |

وأخرج لأوتار وارسم حروفها  
أقيم شكل زيرهم وسور يوتة  
وحصل علوما للطباع هنيئاً  
وسور لموسيقى وعلم حروفهم  
وسور دواثرها ونسب حروفها  
أمير لنا فهو نهاية دولة  
وقطر لاندلس فابن لمودهم  
ملوك وفرسان وأهل الحكمة  
وهدي توحيد بتونس حكمهم  
واقسم على القطر وكُنْ مُتَقَدِّماً  
فَقَلَّشْ وَرَشْنُونُ الرَّاءِ حَرْفُهُمْ  
ملوك كناقر دلوأ لقافهم  
فهند حباشي ويسند فهرمس  
فقيصرهم جاء ويزدجردهم  
وعباس كلهم شريف معظم  
فان شئت تدقيق الملوك وكلهم  
على حكم قانون الحروف وعلمها  
فن علم العلوم تعلم علمنا  
فيرسخ علمه ويعرف ربه  
وحيث أتى اسم والعروض يشتم  
وتأنيك أحرف فسور يضربها

وكور بمثلها على حد من خلا  
وحقق بهايم ونودهم جلا  
وعلم لموسيقى والارباع مثلاً  
وعلم بالآت فحقق وحصلاً  
وعلمها أطلق والاقليم جدولا  
زاتية آبت وحكم لها خلا  
وجاء بنو نصر وظفرهم تلا  
فان شئت نصبهم وقطرهم حلا  
ملوك والشرق بالأوفاق زولا  
فان شئت للروم فبالحر شكلاً  
وإفرسهم دال وبالطاء كلاً  
واعراب قوما بترقيق أعمالا  
وفرس ططاري وما بمدهم طلاً  
لكافه وقبطهم بلام طولا  
ولكن تركي هذا الفعل عطلاً  
فخنم يوتا ثم نسب وجنولا  
وعلم طائها وكله مثلاً  
وعلم أسرار الوجود وأكلاً  
وعلم ملاحيم بحاميم فصلاً  
فحكم الحكيم فيه قطعاً ليقنلاً  
وأحرف سيونيه تأنيك فصلاً

فَكُنْ بِتَكْبِيرٍ وَقَائِلٍ وَعَوَّصَنٍ  
وَفِي الْمَقْدِ وَالْمَجْزُورِ يَعْرِفُ غَالِباً  
وَاخْتَرِ لِمَطْلَعٍ وَسُورِيهِ رُتَبَةً  
وَيُدْرِكُهَا الْمَرْءُ فَيَبْلُغُ قَصْدَهُ  
إِذَا كَانَ سَعْدٌ وَالْكَوَاكِبُ اسْعَدَتْ  
وَأَيْقَاعُ دَالِهِمْ بِمَرْمُوزٍ ثَمَّةٍ  
وَأَوْتَارُ زِيهِمْ فَلِلْهَاءِ يَتِمُّ  
وَأَدْخُلْ بِأَفْلَاكِ وَعَيْلٍ بِمَدْوَلٍ  
وَجَوْزُ شَفْوَةِ النُّورِ تَجْرِي وَمِثْلُهُ  
فَأَصْلُ لَدَيْنَا وَأَصْلُ لِقَيْنَا  
فَادْخُلْ لِفَسْطَاطٍ عَلَى الْوَقْفِ جَنْدُهُ  
فَتُخْرِجُ أَيْبَاتًا وَفِي كُلِّهِ مَطْلَبُ  
وَتَقْنَى بِحَصْرِهَا كَذَا حُكْمُ عَدِيهِمْ  
فَتُخْرِجُ أَيْبَاتًا وَعَشْرُونَ ضُعْفَتِ  
تَرِيكَ صَنَائِعًا مِنَ الضَّرْبِ أَكَلَتْ  
وَسَيَجْعُ زِيهِمْ وَائْتِي بِنَقَرَةٍ  
أَقْمَا بِأَوْفَاقٍ وَأَصْلٍ لَعْنَتِهَا

بِتَرْيَمِكَ الْغَالِي. لِلْأَجْزَاءِ خَلِجًا  
وَزِدْ لِمَحٍ وَصَفِيهِ فِي الْبَقْلِ قَمَلًا  
وَاعْكُسْ بِمُحْذَرِيهِ وَبِالْمَوَازِ عَدِلًا  
وَتَعْطِي حُرُوفُهَا وَفِي نَظْمِهَا انْجِلًا  
فَحَسْبُكَ فِي الْمَلِكِ وَنِيلِ اسْمِهِ الْعَلَا  
فَنَسَبُ دُنَايِنَا تَحْذِرُ فِيهِ مَنَهَلًا  
وَمِثْلُهُمُ الْمَثَلُ بِحَيْثُ قَدْ جَلَا  
وَأَرْسَمَ أَبْجَادَ وَبَاقِيَهُ جَمَلًا  
أَتَى فِي عُرُوضِ الشَّعْرِ عَنِ جَمَلَةٍ مَلَا  
وَعَلِمُ لِنَحْرِنَا فَاحْفَظْ وَحَصِلًا  
وَسَيَجْعُ بِاسْمِهِ وَكَثْرَ وَهَلِيلًا  
بِنَظْمٍ طَبِيعِيٍّ وَسِرٍّ مِنَ الْعَلَا  
فَعَلِمُ الْفَوَاتِيحِ تَرَى فِيهِ مَنَهَلًا  
مِنَ الْأَلْفِ طَبِيعِيًّا فَيَا صَاحِبَ جَنُودِ  
فَصَحِّحْ لَكَ الْمَنَى وَصَحِّحْ لَكَ الْعُلَا  
أَقْمَا دَوَائِرَ الزُّيْرِ وَحَصِلًا  
مِنَ اسْرَارِ أَحْرَفِهِمْ فَعَذْبُهُ سِلْسِلَا

٤٣ ك ا ك و ك ح و ا ه عم له ر لا سع ك ط ا

ل م ن ح ع ف و ل منافرة .

الكلام على استخراج نسبة الزئبان وكيفياتها ومقاديرها منما  
بقوة الحجة المتينة بالنسبة الى موضوع المعلق من استخراج  
طبلع وعلم طب او صناعة الكيمياء

أيا طالبا للطب مع علم جابر وعالم مقادير المقادير بالولا  
اذا شئت علم الطب لا بد نسبة لاحكام ميزان تصادف منهلا  
فيشفي عليكم والا كسير محكم وأمزاج وضمكم بتصحيح أنجلا

#### الطب الوجداني

وشئت ايلوش ٥٦٥ م ودهنه بحلا لبهرام برجيس وسبعة اكلا  
لتحليل أوجاع البوارد صححوا كذلك والتركيب حيث تنقلا  
كد منع ٣٥٥ م و٦ ص ه لى ولح ١١ و٦ وى  
سكره لا ل ح ٣٣٣ ع ع مى مر ح ٢٢٤٢ ل ك  
عا عر .

#### مطايير الشعاعات في هاليد الهوك وبنيعم

وعلم مطاريح الشعاعات مُشكل وضلع قسيها بمنطقة جلا  
ولكن في حج مقام امامنا ويبدو اذا عرض الكواكب عدلا  
بدال مراكز بين طول وعرضها فن أدرك المعنى علا ثم فوضلا  
مواقع تربيع وسه مُسقط لتسديسهم ثلث بيت التي تلا  
يزاد لتربيع وهذا قياسه يقينا وجذره وبالعين أعمالا  
ومن نسبة الربيعين ركب شعاعك بصاد وضمته وتريعه انجلا







مقامك المحبة وسيل النفوس والجامعة والطاعة والعبادة وبب وتغش  
وفناء للفناء وتوجه بمناقبة وفقه وشمه

### الانفعال الطبيعي

لبرجيس في المحبة الوقف صرقوا      بقزدير أو نحاس الخلط أكبلا  
وقيل بفضة صحيحاً رأيته      فجعلك طالماً خطوطه ماعلا  
توخ به زيادة النور للقمير      وجعلك للقبول شمسه أصلا  
ويومه والبخور عوداً لهنديهم      ووقت لساعة ودعوته ألا  
ودعوته بناية فهي أعلمت      وعن طسيان دعوة ولها جلا  
وقيل بدعوة حروف لوضعها      بجرّ هواه أو مطالب أهلا  
فتنقش أحرفاً بدالٍ ولايها      وذلك وفق للرّبع حصلا  
إذا لم يكن يهوى هواك دلالها      فدال ليبدو واو زينب معطلا  
فحسن لبائه وبانهم اذا      هواك وباقبهم قليلة جملا  
ونقش مشاكل بشرط لوضعهم      وما زدت أنسبه لفعلك عدلا  
ومفتاح ريم ففعلها سوا      فيوري وبسطامي بسورتها تلا  
وجعلك بالقصد وكن متفقداً      أدلة وحشي لقبضة ميلا  
فاعكس بيوتها بألف ونيف      فباطنها سرّ وفي سرّها انجلا

### فصل في المقامات الثمانية

لك الغيب صورة من العالم الملا      وتوجدها دار أو ملبسها الخلا  
ويوسف في الحسن وهذا شبيهه      بنثر وترتيل حقيقة أؤلا

وفي يده طول وفي الغيب ناطقٌ  
وقد جن بهلولٌ بعشق جمالها  
ومات اجله وأشرب حبها  
فتطلب في التهليل غايته ومن  
ومن صاحب الحسنى له الفوز بالمنى  
وتخبر بالغيب اذا جدت خدمة  
فهذا هو الفوز وحسن تأنل  
فيحكى الى عود بجواب بلبل  
وعند تجليها لبسطام أخذلا  
جنيد وبصرى والجسم أهمل  
بأساؤه الحسنى بلا نسبة خلا  
ويسهم بالزلفى لدى جيرة العلا  
تريك عجائبا بمن كان موثلا  
ومنها زيادات لتفسيرها تلا

### الوصية والتختم والإيمان والإسلام والتحريم والأهلية

فهذا قصيدنا وتسعون عده  
عجبت لآيات وتسعون عدها  
فمن فهم السر فيفهم نفسه  
حرام وشرعي لاظهار سرنا  
فان شئت أهليه فغلظ بينهم  
لعلك أن تنجو وسامع سرهم  
فنجل لعباس لسرو كاتم  
وقام رسول الله في الناس خاطبا  
وقد ركب الأرواح أجساد مظهر  
الى العالم العلوي يفنى فناونا  
فقد تم نظاما وصلى إلهنا  
وما زاد خطبة وختم وجدولا  
تولد أبيانا وما حصرها انجلا  
ويفهم تفسيرنا تشابه أشكلا  
لناس وان خصوا وكان التأهلا  
وتفهم برحلة ودين تطولا  
من القطع والافشا فترأس بالعلا  
فقال سعادات وتابئة علا  
فمن يرأس عرشا فذلك أكلا  
فألت لقتلهم بدق تطولا  
ويلبس أثواب الوجود على الولا  
على خاتم الرسل صلاة بها العلا



فهي بمنزلة واحد ألف وبمنزلة عشرة ، ولها نسبة من خمسة بالعربي ، فاستحق البيت من الجدول أن توضع فيه ثلاثة حروف في هذا الرسم وحرفان في الرسم ، فاختصروا من الجدول بيوتاً خالية . فمضى كانت أصول الأدوار زائدة على أربعة حُيبت في العدد في طول الجدول ، وإن لم ترد على أربعة لم يحسب إلا العاشر منها .

والعمل في السؤال يفتقر إلى سبعة أصول : عدة حروف الأوتار وحفظ ادوارها بعد طرحها ، اثني عشر اثني عشر ، وهي ثمانية أدوار في الكامل وستة في الناقص أبداً . ومعرفة درج الطالع وسلمان البرج ، والدور الأكبر الأصلي ، وهو واحد أبداً . وما يخرج من إضافة الطالع للدور الأصلي ، وما يخرج من ضرب الطالع والدور في سلطان البرج . وإضافة سلطان البرج للطالع والعمل جميعه ينتج عن ثلاثة أدوار مضروبة في أربعة ، تكون اثني عشر دوراً . ونسبة هذه الثلاثة الأدوار التي هي كل دور من أربعة نشأة ثلاثية ، كل نشأة لها ابتداء . ثم إنها تضرب أدواراً رباعية أيضاً ثلاثية . ثم إنها من ضرب ستة في اثنين ، فكان لها نشأة ، يظهر ذلك في العمل . ويتبع هذه الأدوار الاثني عشر نتائج ، وهي في الأدوار ، إما أن تكون نتيجة أو أكثر إلى ستة .

فأول ذلك نفرض سؤالاً عن الزائرجة ؛ هل هي علم قديم ، أو محدث بطالع أول درجة من القوس أثناء حروف الأوتار ؟ ثم حروف السؤال . فوضعنا حروف وتر رأس القوس ونظيره من

رأس الجوزاء . وثالثه وتر رأس الدكر الى حد المركز ، وأضفنا إليه حروف السؤال ، ونظرنا عدتها وأقل ما تكون ثمانية وثمانين ، وأكثر ما تكون ستة وتسعين ، وهي جملة الدور الصحيح ؛ فكانت في سؤالنا ثلاثة وتسعين . ويُختصر السؤال إن زاد عن ستة وتسعين ، بأن يسقط جميع أدواره الاثني عشرية ، ويحفظ ما خرج منها وما بقي ، فكانت في سؤالنا سبعة أدوار ، الباقي تسعة ، أثبتنا في الحروف ما لم يبلغ الطالع اثني عشرة درجة ، فان بلغها لم تثبت لها عدة ولا دور .

ثم تُثبت أعدادها أيضاً إن زاد الطالع عن أربعة وعشرين في الوجه الثالث ، ثم تُثبت الطالع وهو واحد ؛ وسلطان الطالع وهو أربعة ، والدور الأكبر وهو واحد ؛ واجمع ما بين الطالع والدور وهو اثنان في هذا السؤال ، واضرب ما خرج منها في سلطان البرج يبلغ ثمانية ، وأضف السلطان للطالع فيكون خمسة ، فهذه سبعة أصول . فاخرج من ضرب الطالع والدور الأكبر في سلطان القوس ، مما لم يبلغ اثني عشر فيه تدخل في ضلع ثمانية من أسفل الجدول صاعداً ؛ وإن زاد على اثني عشر طرح أدواراً ، وتدخل بالباقي في ضلع ثمانية ، وتعلم على منتهى العدد والخمسة المستخرجة من السلطان والطالع ، يكون الطالع في ضلع السطح المبسوط الأعلى من الجدول ؛ وتعد متوالياً خمساً أدواراً ، وتحفظها إلى أن يقف العدد على حرف من أربعة ، وهي ألف أو باء أو جيم أو زاي . فوق العدد في عملنا على حرف الألف وخلف ثلاثة

أدوار ، فضربنا ثلاثة في ثلاثة كانت تسعة ، وهو عدد الدور الأول . فأنبتة واجم ما بين الضلعين : القائم والمبسوط يكن في ميت ثمانية في مقابلة البيوت العائرة بالعدد من الجدول ؛ وإن وقفت في مقابلة الخالي من بيوت الجدول على أحدها ، فلا يعتبر وتستمر على أدوارك . وادخل بعدد ما في الدور الأول ، وذلك تسعة في صدر الجدول مما يلي البيت الذي اجتماع فيه ، وهي ثمانية ، ماراً إلى جهة اليسار ، فوق على حرف لام ألف ولا يخرج منها أبداً حرف مركب . وإنما هو إذن حرف تاء أربعائة برسم الزمام ، فعلم عليها بعد نقلها من بيت القصيد ، واجمع عدد الدور للسلطان يبلغ ثلاثة عشر ، أدخل بها في حروف الأوتار ، وأثبت ما وقع عليه العدد وعلم عليه من بيت القصيد . ومن هذا القانون تدري كم تدور الحروف في النظم الطبيعي ، وذلك أن تجمع حروف الدور الأول وهو تسعة لسلطان البرج وهو أربعة تبلغ ثلاثة عشر ، أضفها بثلاث تكون ستة وعشرين ، أسقط منها درج الطالع وهو واحد في هذا السؤال الباقي خمسة وعشرون .

فعلى ذلك يكون نظم الحروف الأول ، ثم ثلاثة وعشرون مرتين ، ثم اثنان وعشرون مرتين ، على حسب هذا الطرح إلى أن ينتهي للواحد من آخر البيت المنظوم . ولا تقف على أربعة وعشرين لطرح ذلك الواحد أولاً . ثم ضع الدور الثاني وأضف حروف الدور الأول إلى ثمانية ، الخارجة من ضرب الطالع والدور في السلطان تكن سبعة عشر الباقي خمسة . فاصعد في ضلع ثمانية

بخمسة من حيث انتهت في الدور الأول وعلم عليه ، وأدخل في صدر الجدول بسبعة عشر ، ثم بخمسة . ولا تعد الحالي ، والدور عشرون ، فوجدنا حرف ثا. خمائة ؛ وإنما هو نون لأن دورنا في مرتبة العشرات ، فكانت الخمائة بخمسين لأن دورها سبعة عشر فلو لم تكن سبعة عشر لكانت مئتين . فأثبت نونا ثم أدخل بخمسة أيضاً من أوله . وانظر ما حاذى ذلك من السطح تجد واحداً ، فقهر العدد واحداً يقع على خمسة ، أضف لها واحداً لسطح تكن ستة . أثبت واواً وعلم عليها من بيت القصيد أربعة ؛ وأضفها للثانية الخارجة من ضرب الطالع مع الدور في السلطان تبلغ اثني عشر ؛ أضف لها الباقي من الدور الثاني وهو خمسة تبلغ سبعة عشر ، وهو ما للدور الثاني . فدخلنا بسبعة عشر في حروف الأوتار ، فوق العدد على واحد . أثبت الألف وعلم عليها من بيت القصيد وأسقط من حروف الأوتار ثلاثة حروف عدة الخارج من الدور الثاني ، وضع الدور الثالث وأضف خمسة إلى ثمانية تكن ثلاثة عشر ، الباقي واحد . انقل الدور في ضلع ثمانية بواحد وأدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر ، وخذ ما وقع عليه العدد وهو (ق) وعلم عليه . وأدخل بثلاثة عشر في حروف الأوتار وأثبت ما خرج ، وهو سين ، وعلم عليه من بيت القصيد ، ثم ادخل مما يلي السين الخارجة بالباقي من دور ثلاثة عشر وهو واحد ، فخذ مما يلي حرف سين من الأوتار فكان (ب) أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد . وهذا يقال له : الدور المعطوف ، وميزانه صحيح ،



وهو أن تُضَعِفَ ثلاثة عشر بمثلها ، وتضيف إليها الواحد الباقي من الدور تبلغ سبعة وعشرين ، وهو حرف باء المستخرج من الأوتار من بيت القصيد . وأدخل في صدر الجدول بثلاثة عشر ، وانظر ما قبله من السطح وأضعفه بمثله ، وزد عليه الواحد الباقي من ثلاثة عشر ؛ فكان حرف جيم ، وكانت للجملة سبعة ، فذلك حرف زاي فأثبتناه وعلمنا عليه من بيت القصيد . وميزانه أن تُضَعِفَ السبعة بمثلها وزد عليها الواحد الباقي من ثلاثة عشر يكن خمسة عشر ، وهو الخامس عشر من بيت القصيد وهذا آخر أدوار الثلاثيات ، وضع الدور الرابع وله من المدد تسعة بإضافة الباقي من الدور السابق ، فاضرب الطالع مع الدور في السلطان ، وهذا الدور آخر العمل في البيت الأول من الرباعيات .

فاضرب على حرفين من الأوتار واصعد بتسعة في ضلع ثمانية وادخل بتسعة من دور الحرف الذي أخذته آخراً من بيت القصيد ، فالتاسع حرف راء ، فأثبتته وعلم عليه . وادخل في صدر الجدول بتسعة وانظر ما قبلها من السطح يكون (ج) ؛ فهجر المدد واحداً يكون ألف وهو الثاني من حرف الراء من بيت القصيد فثبتته وعلم عليه . وعدّ بما يلي الثاني تسعة يكون ألف أيضاً أثبتته وعلم عليه واضرب على حرف من الأوتار ، وأضعف تسعة بمثلها تبلغ ثمانية عشر ، ادخل بها في حروف الأوتار تقف على حرف راء ، أثبتتها وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية واربعين . وادخل بثمانية عشر في حروف الأوتار تقف على (س) أثبتتها وعلم عليها اثنين ،

وأضف اثنين الى تسعة تكون أحد عشر . أدخل في صدر الجدول بأحد عشر تقابلها من السطح ألف أثبتنا وعلم عليها ستة ، وضع الدور الخامس وعدته سبعة عشر الباقي خمسة . اصعد بخمسة في ضلع ثمانية واضرب على حرفين من الأوتار وأضعف خمسة بمثلها ، وأضفها الى سبعة عشر عدد دورها الجلة سبعة وعشرون ، أدخل بها في حروف الاوتار تقع على (ب) أثبتنا وعلم عليها اثنين وثلاثين واطرح من سبعة عشر اثنين التي هي في أس اثنين وثلاثين الباقي خمسة عشر . أدخل في حروف الاوتار تقف على (ق) أثبتنا وعلم عليها ستة وعشرين ، وأدخل في صدر الجدول بست وعشرين تقف على اثنين بالغبار ، وذلك حرف (ب) أثبتنا وعلم عليه أربعة وخمسين ، واضرب على حرفين من الأوتار وضع الدور السادس ، وعدته ثلاثة عشر ، الباقي منه واحد ، فتبين إذ ذاك أن دور النظم من خمسة وعشرين ، فإن الأدوار خمسة وعشرون وسبعة عشر وخمسة وثلاثة عشر وواحد ، فاضرب خمسة في خمسة تكن خمسة وعشرين ، وهو الدور في نظم البيت ، فانقل الدور في ضلع ثمانية بواحد . ولكن لم يدخل في بيت القصيد بثلاثة عشر كما قدمناه ، لأنه دور ثان من نشأت تركيبة ثانية ؛ بل أضفنا الأربعة التي من أربعة وخمسين الخارجية على حروف (ب) من بيت القصيد الى الواحد تكون خمسة ، تضيف خمسة الى ثلاثة عشر التي للدور تبلغ ثمانية عشر ، أدخل بها في صدر الجدول وخذ ما قابلها من السطح وهو ألف ، أثبتنا وعلم عليه من بيت القصيد اثني عشر واضرب على حرفين

من الاوتار . ومن هذا الجدول تنظر أحرف السؤال ؛ فما خرج منها زده مع بيت القصيد من آخره وعلم عليه من حروف السؤال ليكون داخلاً في العدد في بيت القصيد ، وكذلك تفعل بكل حرفد حرفد بعد ذلك مناسباً لحروف السؤال ؛ فما خرج منها زده إلى بيت القصيد من آخره وعلم عليه ، ثم أضف إلى ثمانية عشر ما علمته على حرف الألف من الأحاد ، فكان اثنين تبلغ الجملة عشرين . أدخل بها في حروف الاوتار تقف على حرف راو ، أثبتة وعلم عليه من بيت القصيد ، ستة وتسعين وهو نهاية الدور في الحرف الوتري . فاضرب على حرفين من الاوتار وضع الدور السابع ، وهو ابتداء لمخترع ثاني ينشأ من الاختراعين . ولهذا الدور من العدد تسعة ، تضيف لها واحداً تكون عشرة للنشأة الثانية ، وهذا الواحد تريده بعد إلى اثني عشر دوراً ، إذا كان من هذه النسبة ، أو تنقصه من الأصل تبلغ الجملة خمسة عشر . فاصعد في ضلع ثمانية وتسعين وأدخل في صدر الجدول بعشرة تقف على خمائسة ، وإنما هي خمسون ، فون مضاعفة بثلاثها ؛ وتلك (ق) أثبتها وعلم عليها من بيت القصيد اثنين وخمسين ، وأسقط من اثنين وخمسين اثنين ، وأسقط تسعة التي للدور ؛ الباقي واحد وأربعون ؛ فادخل بها في حروف الاوتار تقف على واحد أثبتة . وكذلك أدخل بها في بيت القصيد تجد واحداً ، فهذا ميزان هذه النشأة الثانية فليعلم عليه من بيت القصيد علامتين . علامة على الألف الأخير الميزاني ؛ وأخرى على الألف الأولى فقط ، والثانية أربعة

وعشرون واضرب على حرفين من الأوتار، وضع الدور الثامن وعدته سبعة عشر الباقي خمسة، ادخل في ضلع ثمانية وخمسين وادخل في بيت القصيد بخمسة تقع على عين بسعين، أثبتا وعلم عليها. وادخل في الجدول بخمسة، وخذ ما قابلاها من السطح، وذلك واحد، أثبتا وعلم عليه من البيت ثمانية وأربعين، وأسقط واحداً من ثمانية وأربعين للأس الثاني وأضف إليها خمسة الدور. الجملة اثنان وخمسون. ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف (ب) غبارية وهي مرتبة مثنوية لتزايد العدد، فتكون مائتين وهي حرف راء، أثبتا وعلم عليها من القصيد أربعة وعشرين، فانتقل الامر من ستة وتسعين الى الابتداء وهو أربعة وعشرون، فأضف إلى أربعة وعشرين خمسة، الدور، وأسقط واحداً تكون الجملة ثمانية وعشرين. ادخل بالنصف منها في بيت القصيد تقف على ثمانية، أثبت (٢) وعلم عليها وضع الدور التاسع، وعدده ثلاثة عشر الباقي واحد، اصعد في ضلع ثمانية بواحد. وليست نسبة العمل هنا كنسبتها في الدور السادس لتضاعف العدد، ولأنه من النشأة الثانية، ولأنه أول الثلث الثالث من مربعات البروج وآخر الستة الرابعة من المثلثات. فاضرب ثلاثة عشر التي للدور في أربعة التي هي مثلثات البروج السابقة، الجملة اثنان وخمسون، ادخل بها في صدر الجدول تقف على حرف اثنين غبارية، وإثما هي مثنوية لتجاوزها في المدد عن مرتبتي الأحاد والعشرات، فاثبت مائتين راء، وعلم عليها من بيت القصيد ثمانية وأربعين، وأضف إلى

ثلاثة عشر ، الدور ، واحد الأس ، وادخل بأربعة عشر في بيت القصيد تبلغ ثمانية ، فعلم عليها ثمانية وعشرين ، واطرح من أربعة عشر سبعة يبقى سبعة اضرب على حرفين من الأوتار ، وادخل بسبعة تقف على حرف لام ، أثبتته وعلم عليه من البيت . وضع الدور العاشر وعدده تسعة ، وهذا ابتداء المثلثة الرابعة ، واصعد في ضلع ثمانية بتسعة ، تكون خلا ، فاصعد بتسعة ثانية تصير في السابع من الابتداء . اضرب تسعة في أربعة لصعودنا بتسعتين ، وانما كانت تضرب في اثنين ، وادخل في الجدول بستة وثلاثين تقف على أربعة زمامية وهي عشرية ، فأخذناها أحادية لقلة الادوار ، فأثبت حرف دال ، وان أضفت إلى ستة وثلاثين واحد الأس كان حدثها من بيت القصيد ، فعلم عليها ، ولو دخلت بالتسعة لا غير من ضرب في صدر الجدول لوقف على ثمانية ، فاطرح من ثمانية أربعة الباقي أربعة وهو المقصود . ولو دخلت في صدر الجدول بثمانية عشر التي هي تسعة في اثنين لوقف على واحد زمامي وهو عشري ، فاطرح منه اثنين تكرار التسعة ، الباقي ثمانية نصفها المطلوب . ولو دخلت في صدر الجدول بسبعة وعشرين بضرها في ثلاثة لوقفت على عشرة زمامية ، والعمل واحد . ثم ادخل بتسعة في بيت القصيد وأثبت ما خرج وهو ألف ، ثم اضرب تسعة في ثلاثة التي هي مركب تسعة الماضية وأسقط واحداً وادخل في صدر الجدول بستة وعشرين ، وأثبت ما خرج وهو مائتان بحرف راء وعلم عليه من بيت القصيد ستة وتسعين . واضرب على حرفين

من الأوتار وضع الدور الحادي عشر وله سبعة عشر الباقي خمسة،  
اصعد في ضلع ثمانية بخمسة وتحسب ما تكرّر عليه المشي في الدور  
الأول، وادخل في صدر الجدول بخمسة تقف على خالٍ؛ فخذ ما  
قابله من السطح وهو واحد، فادخل بواحد في بيت القصيد تكن  
سين، أثبتّه وعلم عليه أربعة. ولو يكون الوقف في الجدول على  
بيت عامر لاثبتنا الواحد ثلاثة. وأضعف سبعة عشر بمثلها وأسقط  
واحداً وأضعفها بمثلها وزدها أربعة تبلغ سبعة وثلاثين، ادخل بها  
في الأوتار تقف على ستة أثبتّها وعلم عليها، وأضعف خمسة بمثلها.  
وادخل في البيت تقف على لام أثبتّها وعلم عليها عشرين، واضرب  
على حرفين من الأوتار. وضع الدور الثاني عشر وله ثلاثة عشر  
الباقي واحد، اصعد في ضلع ثمانية بواحد، وهذا الدور آخر  
الادوار وآخر الاختراعين وآخر المربعات الثلاثية وآخر المثلثات  
الرابعة. والواحد في صدر الجدول يقع على ثمانين زمامية، وإنما  
هي آحاد ثمانية، وليس معنا من الادوار إلا واحد؛ فلو زاد عن  
أربعة من مربعات اثني عشر أو ثلاثة من مثلثات اثني عشر  
لكانت (ج)، وإنما هي (د)؛ فاثبتّها وعلم عليها من بيت القصيد  
أربعة وسبعين؛ ثم انظر ما ناسبها من السطح تكن خمسة، أضعفها  
بمثلها للأسر تبلغ عشرة، أثبت (ي) وعلم عليها، وانظر في أي  
المراتب وقعت: وجدناها في الرابعة، دخلنا بسبعة في حروفه  
الأوتار، وهذا المدخل يسمى التوليد الحرفي فكانت (ف)، اثبتّها  
وأضف الى سبعة واحد الدور، الجلة ثمانية. أدخل بها في الأوتار

تبلغ (س) أثبتها وعلم عليها ثمانية ، واضرب ثمانية في ثلاثة الزائدة على عشرة الدور ؛ فانها آخر مربعات الادوار بالثلاث تبلغ أربعة وعشرين ، ادخل بها في بيت القصيد وعلم على ما يخرج منها وهو مائتان وعلامتها ستة وتسعون ، وهو نهاية الدور الثاني في الادوار الحرفية ، واضرب على حرفين من الأوتار وضع النتيجة الاولى ولها تسعة . وهذا العدد يناسبُ أبداً الباقي من حروف الأوتار بعد طرحها أدواراً وذلك تسعة ، فاضرب تسعة في ثلاثة التي هي زائدة على تسعين من حروف الأوتار ، وأضف لها واحداً الباقي من الدور الثاني عشر تبلغ ثمانية وعشرين ، فادخل بها في حروف الأوتار تبلغ ألفاً ، أثبتة وعلم عليه ستة وتسعين . وان ضربت سبعة التي هي أدوار الحروف التسعينية في أربعة وهي الثلاثة الزائدة على تسعين ، والواحد الباقي من الدور الثاني عشر كان كذلك ، واصعد في ضلع ثمانية بتسعة وادخل في الجدول بتسعة تبلغ اثنين زمامية. واضرب تسعة فيما ناسب من السطح ، وذلك ثلاثة ، وأضف لذلك سبعة ، عدد الاوتار الحرفية ، واطرح واحداً الباقي من دور اثني عشر تبلغ ثلاثة وثلاثين ؛ ادخل بها في البيت تبلغ خمسة ، فاثبتها وأضف تسعة بمثلها وادخل في صدر الجدول بثمانية عشر ، وخذ ما في السطح وهو واحد ، ادخل به في حروف الأوتار تبلغ (م) أثبتة وعلم عليه ، واضرب على حرفين من الأوتار. وضع النتيجة الثانية ولها سبعة عشر الباقي خمسة ، فاصعد في ضلع ثمانية بخمسة واضرب خمسة في ثلاثة الزائدة على تسعين تبلغ خمسة عشر ، أضف لها واحداً

الباقى من الدور الثانى عشر تكن تسعة ، وادخل بستة عشر فى بيت القصيد تبلغ (ت) اثبته وعلم عليه أربعة وستين ، وأضف إلى خمسة الثلاثة الزائدة على تسعين ، وزد واحداً الباقي من الدور الثانى عشر يكن تسعة ، ادخل بها فى صدر الجدول تبلغ ثلاثين زمامية ، وانظر ما فى السطح تجد واحداً أثبته وعلم عليه من بيت القصيد وهو التاسع أيضاً من البيت ، وادخل بتسعة فى صدر الجدول تلقف على ثلاثة وهى عشرات ، فاثبت لام وعلم عليه وضع النتيجة الثالثة وعددها ثلاثة عشر الباقي واحد . فانقل فى ضلع ثمانية بواحد وأضف إلى ثلاثة عشر الثلاثة الزائدة على التسعين ، وواحد الباقي من الدور الثانى عشر تبلغ سبعة عشر ، وواحد النتيجة تكن ثمانية عشر ، ادخل بها فى حروف الاوتار تكن لهما اثبتها فهذا آخر العمل .

والمثال فى هذا السؤال السابق : أردنا أن نعلم أن هذه الزايرة علمٌ محدثٌ أو قديمٌ ، بطالعٍ أولٍ درجةٍ من القوس ، أثبتنا حروف الأوتار ، ثم حروف السؤال ، ثم الأصول ، وهى عدة الحروف ثلاثة وتسعون أدوارها سبعة الباقي منها تسعة ، الطالع واحد ، سلطان القوس أربعة ، الدور الأكبر واحد ، درجُ الطالع مع الدور اثنان ، ضرب الطالع مع الدور فى السلطان ثمانية ، اضافة السلطان للطالع خمسة بيت القصيد .

سؤال عظيم الخلق حزت فصن اذن

غرائب شك ضبطه الجد مثلاً



حروف الاوتار : ص ط ه ر ث ك ه م ص ص و ن ب ه  
 س ا ن ل م ن ص ع ف ص و ر س ك ل م ن ص ع ف  
 خ ق ر س ت ث خ ذ ظ غ ش ط ي ع ح ص ر و ح ر و  
 ح ل ص ك ل م ن ص ا ب ج د ه و ز ح ط ي .

(حروف السؤال) ا ل ز ا ي ر ي ج ع ل م م ح د ث ا  
 م ق د ي م الدور الاول ٩ الدور الثاني ١٧ الباقي ٥ الدور الثالث  
 ١٣ الباقي ١ الدور الرابع ٩ الدور الخامس ١٧ الباقي ٥ الدور السادس  
 ١٣ الباقي ١ الدور السابع ٩ الدور الثامن ١٧ الباقي ٥ الدور التاسع  
 ١٣ الباقي ١ الدور العاشر ١٣ الدور الحادي عشر ١٧ الباقي ٥ الدور  
 الثاني عشر ١٣ الباقي ١ النتيجة الاولى ٩ النتيجة الثانية ١٧ الباقي  
 ٥ النتيجة الثالثة ١٣ الباقي ١ .

| ح ح و ٦ ٦ في اى ٦ |   |   |   |   |   |
|-------------------|---|---|---|---|---|
| ٢١                | . | . | . | . | ذ |
| ٢٢                | . | . | . | . | ن |
| ٢٣                | . | . | . | . | غ |
| ٢٤                | . | . | . | . | ر |
| ٢٥                | . | . | . | . | ا |
| ٢٦                | . | . | . | . | ى |
| ٢٧                | . | . | . | . | ب |
| ٢٨                | . | . | . | . | ش |
| ٢٩                | . | . | . | . | ك |
| ٣٠                | . | . | . | . | ض |
| ٣١                | . | . | . | . | ب |
| ٣٢                | . | . | . | . | ط |
| ٣٣                | . | . | . | . | ه |
| ٣٤                | . | . | . | . | ا |
| ٣٥                | . | . | . | . | ل |
| ٣٦                | . | . | . | . | ج |
| ٣٧                | . | . | . | . | د |
| ٣٨                | . | . | . | . | م |
| ٣٩                | . | . | . | . | ث |
| ٤٠                | . | . | . | . | ل |
| ٤١                | . | . | . | . | ا |
| ١                 | . | . | . | . | س |
| ٢                 | . | . | . | . | و |
| ٣                 | . | . | . | . | ا |
| ٤                 | . | . | . | . | ل |
| ٥                 | . | . | . | . | ع |
| ٦                 | . | . | . | . | ظ |
| ٧                 | . | . | . | . | ى |
| ٨                 | . | . | . | . | م |
| ٩                 | . | . | . | . | ا |
| ١٠                | . | . | . | . | ل |
| ١١                | . | . | . | . | خ |
| ١٢                | . | . | . | . | ل |
| ١٣                | . | . | . | . | ق |
| ١٤                | . | . | . | . | ح |
| ١٥                | . | . | . | . | ز |
| ١٦                | . | . | . | . | ت |
| ١٧                | . | . | . | . | ف |
| ١٨                | . | . | . | . | ص |
| ١٩                | . | . | . | . | ن |
| ٢٠                | . | . | . | . | ا |

ف و ز ا و س د د ا س ا ب ا ر ق ا ع ا د ص ح  
 ر ح ل د ا ر س ا ل دى و س د ا د م ن ا ل ل .

دورها على خمسة وعشرين ثم على ثلاثة وعشرين مرتين ثم على واحد وعشرين مرتين إلى أن تنتهي إلى الواحد من آخر البيت وتنقل الحروف جميعاً والله أعلم ن ف ر و ح ال و د س ا د ر س ر ه ال د ر ي س و ا ن س د ر و ا ب لا ا م ر ب و ا ل ع ل ل .

هذا آخر الكلام في استخراج الأجوبة من زائجة العالم منظومة . وللقوم طرائق أخرى من غير الزائجة يستخرجون بها أجوبة المسائل غير منظومة . وعندهم أن السر في استخراج الجواب منظوماً من الزائجة ، إنما هو مزجهم بيت مالك بن وهيب وهو : سؤال عظيم الخلق البيت ، ولذلك يخرج الجواب على دويته . وأما الطرق الأخرى فيخرج الجواب غير منظوم . فمن طرائقهم في استخراج الأجوبة ما نقله عن بعض المحققين منهم .

#### فصل في الإطالع على الاسماء الخفية من جهة الارتباطات الحرفية

اعلم أرسدنا الله وإياك أن هذه الحروف أصل الاسئلة في كل قضية ، وإنما تستنتج الأجوبة على تجزئته بالكليّة ، وهي ثلاثة وأربعون حرفاً كما ترى والله علام الغيوب ا و ل ا ع ظ س ال م خ ي د ل ز ق ت ا ر ذ ص ف ن غ ش ا ك ي ب م ح ط ل ج ه د ن ل ث ا .

وقد نظمها بعض الفضلاء في بيت جعل فيه كل حرف مشدّد  
من حرفين وسماء القطب فقال :

سؤال عظيم الخلق حزت فصن إذن  
غرائب شك ضبطه الجد مثلاً

فاذا أردت استنتاج المسئلة فاحذف ما تكرر من حروفها  
واثبت ما فضل منه . ثم احذف من الأصل وهو القطب لكل  
حرف فضل من المسألة حرفاً يماثله ، وأثبت ما فضل منه . ثم امزج  
الفضلين في سطر واحد تبدأ بالأوّل من فضله ، والثاني من فضل  
المسئلة . وهكذا إلى أن يتمّ الفضلان أو ينفد أحدهما قبل الآخر؛  
فتضع البقية على ترتيبها . فاذا كان عدد الحروف الخارجة بعد المزج  
موافقاً لعدد حروف الأصل قبل الحذف فالعمل صحيح ، فحينئذ  
تضيف إليها خمس نوات لتعدل بها الموازين الموسيقية وتكمل  
الحروف ثمانية وأربعين حرفاً ، فتعمر بها جدولاً ربما يكون آخر  
ما في السطر الأوّل أوّل ما في السطر الثاني ، وتنقل البقية على  
حالتها ، وهكذا إلى أن تتم عمارة الجدول . ويعود السطر الأوّل  
بعينه وتتوالى الحروف في القطر على نسبة الحركة ، ثم تخرج وتر  
كل حرف بقسمه مربعة على أعظم جزء يوجد له ، وتضع الوتر  
مقابلاً لحرفه ، ثم تستخرج النسب العنصرية للحروف الجدولية ،  
وتعرف قوتها الطبيعية وموازينها الروحانية وغراتها النفسانية  
وأسوسها الأصلية من الجدول الموضوع لذلك ، وهذه صورته :



أفقر النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى ، فتحمل عليه أول رتب السريان ، ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الأصلي يبقى ثالث رتبة السريان ، فتضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبداً في رابع مرتبة السريان ، يخرج أول عالم التفصيل ، والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل ، والثالث في الثالث يخرج ثالث عالم التفصيل ، والرابع في الرابع يخرج رابع عالم التفصيل . فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل ، تبقى العوالم المجردة ، فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول ، ويقسم المنكسر على الأفق الأوسط يخرج الجزء الثاني ، وما انكسر فهو الثالث ، ويتعين الرابع هذا في الرباعي . وإن شئت أكثر من الرباعي فتستكثر من عوالم التفصيل ومن رتب السريان ومن الأوقات بعد الحروف . والله يرشدنا وإياك . وكذلك إذا قسم عالم التجريد على أول رتب السريان خرج الجزء الأول من عالم التركيب ، وكذلك إلى نهاية الرتبة الأخيرة من عالم الكون . فافهم وتدبر والله المرشد المعين .

ومن طريقهم أيضاً في استخراج الجواب ، قال بعض المحققين منهم : اعلم أيدينا الله وإياك بروح منه ، أن علم الحروف جليل يتوصل العالم به لما لا يتوصل بغيره من العلوم المتداولة بين العالم ، والعمل به شرائط تلتزم . وقد يستخرج العالم أسرار الحقيقة وسراة الطبيعة ، فيطلع بذلك على نتيجتي الفلسفة ، أعني السيميا وأختها ، ويرفع له حجاب الجهولات ويطلع بذلك على مكنون خبايا القلوب .

وقد شهدتُ جماعةً بأرض المغرب، ممن اتصل بذلك، فأظهر الغرائب وخرق العوائد وتصرف في الوجود بتأييد الله.

واعلم أن ملاك كل فضيلة الاجتهاد وحسن الملكية مع الصبر، مفتاح كل خير، كما أن الخرق والمعجلة رأس الحرمان، فأقول : إذا أردت أن تعلم قوة كل حرف من حروف الفايطوس أعني أجد إلى آخر العدد، وهذا أول مدخل من علم الحروف، فانظر ما لذلك الحرف من الأعداد، فتلك الدرجة التي هي مناسبة للحرف هي قوته في الجسمانيات. ثم اضرب العدد في مثله تخرج لك قوته في الروحانيات وهي وتره. وهذا في الحروف المنقوطة لا يتم بل يتم لغير المنقوطة، لأن المنقوطة منها مراتب لمعان يأتي عليها البيان فيما بعد.

واعلم أن لكل شكل من أشكال الحروف شكلاً في العالم العلوي أعني الكرسي، ومنها المتحرك والسّاكن والعلوي والسفلي كما هو مرقوم في أماكنه من الجداول الموضوعة في الزيارج.

واعلم أن قوى الحروف ثلاثة أقسام : الأول وهو أقلها قوة تظهر بعد كتابتها، فتكون كتابته لعالم روحاني مخصوص بذلك الحرف المرسوم، فتخرج ذلك الحرف بقوة نفسانية وجمع همه كانت قوى الحروف مؤثرة في عالم الاجسام. الثاني قوتها في الهيئة الفكرية وذلك ما يصدر عن تصريف الروحانيات لها، فهي قوة في الروحانيات العلويات، وقوة شكلية في عالم الجسمانيات.

الثابت وهو يجمع الباطن ، أعني القوة النفسانية على تكوينه ، فتكون قبل النطق به صورة في النفس ، بعد النطق به صورة في الحروف وقوة في النطق .

وأما طبائنها فهي الطبيعيات المنسوبة للتولدات في الحروف وهي الحرارة واليبوسة ، والحرارة والرطوبة والبرودة واليبوسة والبرودة والرطوبة ؛ فهذا سر العدد الياني ، والحرارة جامعة للهواء والنار وهما : ( ا ه ط م ف ش ذ ج ز ك س ق ث ظ ) ، والبرودة جامعة للهواء والماء ( ب و ي ن ص ت ض د ح ل ع ر خ غ ) واليبوسة جامعة للنار والأرض ( ا ه ط م ف ش ذ ب و ي ن ص ت ض )<sup>(١)</sup> فهذه نسبة حروف الطبائع وتداخل أجزاء بعضها في بعض . وتداخل أجزاء العالم فيها علويات وسفليات بأسباب الأنهاء الأول ، أعني الطبائع الأربع المنفردة ؛ فتي أردت استخراج مجهول من مسألة ما ، فحقق طالع السائل أو طالع مسئلة واستنطق حروف أوتارها الأربعة : الأول والرابع والسابع والعاشر مستوية مرتبة ، واستخرج أعداد القوى والأوتار كما سنبين ، واحمل وانسب واستنتج الجواب يخرج لك المطلوب ، إما بصريح اللفظ أو بالمعنى . وكذلك في كل مسألة تقع لك . بيانه : إذا أردت أن تستخرج قوى حروف الطالع ، مع اسم السائل والحاجة ، فاجمع أعدادها بالجلل الكبير ؛ فكان الطالع الحل رابعة السرطان

(١) علق الهوريني هنا بقوله : لعل هذه عبارة بعض المشارقة ، لأن هذا ترتيب للمشارقة ، لا ترتيب للغاربة .



سابعة الميزانُ عاشره الجدي ، وهو أقوى هذه الاوتاد ، فاسقط من كلِّ برجٍ حرفي التعريف ، وانظر ما ينضُّ كلِّ برجٍ من الأعدادِ المُنطَقةِ الموضوعة في دائرتها ، واحذف أجزاء الكسر في النسبِ الاستطاقية كُلِّها واثبت تحت كلِّ حرفٍ ما يخصه من ذلك ، ثم أعدّ حروف العناصر الأربعة وما يخصها كالآول . وارسم ذلك كله أحرفاً ورَتَب الاوتاد والقوى والقرائن سطرًا متمزجًا . وكثير واضرب ما يضرب لاستخراج الموازن ، واجمع واستنتج الجواب يخرج لك الضمير وجوابه . مثاله افرض أنَّ الطالع الحلُّ كما تقدّم ، رسم ( ح م ل ) : فللحاء من العددِ ثمانية لها النصف والرّبع والثلث ( د ب ا ) الميم لها من العددِ أربعون ، لها النصف والرّبع والثلث والعشر ونصف العشر اذا أردت التدقيق . ( م ك ي ه د ب ) اللام لها من العددِ ثلاثون ، لها النصف والثلثان والثلث والخمس والسادس والعشر ( ك ي و ه ج ) . وهكذا تفعلُ بسائر حروفِ المسئلة والاسم من كل لفظ يقع لك . وأما استخراج الأوتار فهو أن تقسم مربع كلِّ حرفٍ على أعظم جزء يوجد له . مثاله : حرف ( د ) له من الاعدادِ أربعة مربّعا ستة عشر ، اقسما على أعظم جزء يوجد لها وهو اثنان يخرج وتراً لدال ثمانية . ثم تضعُ كلَّ وترٍ مقابلًا لحرفه . ثم تستخرج النسب العنصرية ، كما تقدّم في شرح الاستنطاق ، ولها قاعدة تطرّد في استخراجها من طبع الحروف وطبع البيت الذي يحل فيه من الجدول كما ذكر الشيخ لمن عرف الاصطلاح . والله أعلم .

### فصل في الاستدلال على ما في الضمائر الخفية بقوانين الغيبة

وذلك لو سأل سائل عن عليل لم يعرف مرضه ما علته ، وما الموافق لبرئه منه ؛ فَرَّ السَّائِلُ أَنْ يَسْمِيَ ما شاء من الأشياء على اسمِ العَلَّةِ المجهولة ، لتجعل ذلك الاسم قاعدةً لك . ثم استنطق الاسم مع اسم الطالع والعناصر والسائل واليوم والساعة إن أردت التدقيق في المسئلة ، والا اقتصر على الاسم الذي سماه السائل ، وفعلت به كما نبين . فأقول مثلاً : سمي السائلُ فرساً فأثبت الحروفَ الثلاثة مع أعدادِها المنطقة . بيانه : أَنَّ للفاء من العدد ثمانين ولها ( م ك ي ح ب ) ثم الراء لها من العدد مائتان ( ق ن ك ي ) ثم السين لها من العدد ستون ولها ( م ل ك ) فالواو عدد تام له ( د ج ب ) والسين مثله ولها ( م ل ك ) . فإذا بسطت حروف الاسماء وجدت عنصرين متساويين ، فاحكم لاكثرهما حروفاً بالغلبة على الآخر ، ثم احمل عدد حروف عناصر اسم المطلوب وحروفه دون بسط ، وكذلك اسم الطالب واحكم للاكثر والأقوى بالغلبة .

#### وصفة قهر استخراج العناصر<sup>(١)</sup>

فتكون الغلبة هنا للتراب وَطَبِئَةُ البرودة ، واليبوسة طبعُ السوداء ، فتحكم على المريض بالسوداء . فإذا ألفت من حروف

(١) يباين بالأصل مقدار ثلاثة أسطر .



وهو وترٌ مشهورٌ لاستخراجِ الجهولاتِ ، وعليه كان يعتمدُ ابن الرقام وأصحابه . وهو عملٌ تامٌّ قائمٌ بنفسه في المثلثاتِ الوضعيّة . وصفهُ العمل بهذا الوترِ المذكورِ أن ترسمهُ مقطعاً ممتزجاً بالفاظِ السُّوالِ على قانونِ صنعةِ التّكسيرِ . وعدّةُ حروفٍ هذا الوترِ أعني البيتَ ثلاثةً وأربعونَ حرفاً ، لأنّ كلّ حرفٍ مشدّدٍ من حرفين .

ثمّ تخفف ما تكرّرَ عند المزجِ من الحروفِ ومن الأصلِ ، لكلّ حرفٍ فضل من المسئلةِ حرفٍ يمثله ، وثبتتُ الفضلين سطرًا ممتزجاً بعضهُ ببعضِ الحروفِ . الأوّلُ من فضلةِ القطبِ والثاني من فضلةِ السُّوالِ ، حتى يتمّ الفضلتانِ جميعاً ، فتكونُ ثلاثةً وأربعينَ ، فتضيفُ إليها خمسَ نواتٍ ليكونُ ثمانيةً وأربعينَ ، لتعملَ بها الموازينَ الموسيقيةَ . ثمّ تضعُ الفضلةَ على ترتيبها فإن كان عددُ الحروفِ الخارجةِ بعد المزجِ يوافقُ المددَ الأصليّ قبلَ الحذفِ فالعملُ صحيحٌ ، ثمّ عمر بما مزجتِ جدولاً مربّعاً يكونُ آخرُ ما في السُّطرِ الأوّلِ أوّلَ ما في السُّطرِ الثاني .

وعلى هذا السُّقَرِ حتى يعودَ السُّطرُ الأوّلُ بمِثْنِه ، وتوالي الحروفُ في القطرِ على نسبهِ الحركةِ . ثمّ تخرجُ وترَ كلّ حرفٍ كما تقدّمَ تضمُّه مقابلًا لحرفه ، ثمّ تستخرجُ النِّسَبَ العنصريّةَ للحروفِ الجدوليةِ ، لتعرفَ قوّتها الطّبيعيّةَ وموازينها الروحانيّةَ وغازاتها النفسانيّةَ وأسوسها الأصليّةَ من الجدولِ الموضوعِ لذلك . وصفهُ استخراجِ النِّسَبِ العنصريّةِ هو أن تنظرَ الحرفَ الأوّلَ من الجدولِ

ما طبيعته وطبيعة البيت الذي حل فيه؛ فان اتفقت فحسن، والا فاستخرج بين الحرفين نسبة. ويتسع هذا القانون في جميع الحروف الجدولية. وتحقيق ذلك سهل على من عرف قوانينه كما هو مقرر في دوائرها الموسيقية. ثم تأخذ وتر كل حرف بعد ضربه في أسوس أوتاد الفلك الأربعة كما تقدم. واحذر ما يلي الأوتاد. وكذلك السواقط لأن نسبتها مضطربة. وهذا الذي يخرج لك هو أول مراتب السريان. ثم تأخذ مجموع العناصر وتحط منها أسوس المولدات يبقى أس عالم الخلق بعد عروضه للعدد الكونية، فتحمل عليه بعض المبردات عن المواد وهي عناصر الامداد، يخرج أفق النفس الأوسط. وتطرح أول رتب السريان من مجموع العناصر يبقى عالم التوسط. وهذا مخصوص بموالم الاكوان البسيطة لا المركبة. ثم تضرب عالم التوسط في أفق النفس الأوسط يخرج الأفق الأعلى، فتحمل عليه أول رتب السريان، ثم تطرح من الرابع أول عناصر الامداد الأصلي يبقى ثالث رتبة السريان. ثم تضرب مجموع أجزاء العناصر الأربعة أبداً في رابع رتب السريان يخرج أول عالم التفصيل، والثاني في الثاني يخرج ثاني عالم التفصيل، وكذلك الثالث والرابع، فتجمع عوالم التفصيل وتحط من عالم الكل، تبقى العوالم المبردة؛ فتقسم على الأفق الأعلى يخرج الجزء الأول. ومن هنا يطرد العمل في التامة. وله مقامات في كتاب ابن حشية والبوني وغيرهما. وهذا التدبير يجري على القانون الطبيعي الحكيم في هذا الفن وغيره من فنون الحكمة الالهية، وعليه

مدادُ وضع الزياجر الحرفية والصنعة الالهية والبرجات الفلسفية .  
والله الملمم وبه المستعان وعليه التكلان ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

## الفصل الثالثون

### علم الكيمياء

وهو علم ينظر في المادّة التي يتّم بها كون الذهب والنفضة  
بالصناعة ، وبشرح الممل الذي يوصل إلى ذلك ، فيتصفّحون  
المكوّنات كلّها بعد معرفة أزرجتها وقواها لعلهم يعثرون على المادّة  
المستعمدة لذلك ، حتى من الفضلات الحيوانية كالعظام والريش  
والبيض والعدرات فضلا عن المعادن . ثم يشرح الأعمال التي تخرج  
بها تلك المادّة من القوّة إلى الفعل ، مثل حلّ الأجسام إلى  
أجزائها الطبيعية بالتصعيد والتقطير وجذّ الذائب منها بالكليس ،  
وإهاء الصلب بالقهر والصلابة وأمثال ذلك . وفي زعمهم أنّه يخرج  
بهذه الصناعات كلّها جسم طبيعيّ يسمّونه الاكسير ، وأنّه يلقى  
منه على الجسم المعدنيّ المستعمل لقبول صورة الذهب أو النفضة  
بالاستعداد القريب من الفعل ، مثل الرصاص والقصدير والنحاس  
بعد أن يحمى بالنار فيعود ذهباً لمؤخراً . ويكون عن ذلك الاكسير  
إذا ألغزوا اصطلاحاتهم بالروح ، وعن الجسم الذي يلقى عليه  
بالجسد . فشرح هذه الاصطلاحات وصورة هذا العمل الصناعي

الذي يقلبُ هذه الاجسادَ المستعِدَّةَ إلى صورةِ الذهب والفضة هو علمُ الكيمياء .

وما زالَ الناسُ يؤثِّفونَ فيها قديماً وحديثاً . وربما يُعزى الكلامُ فيها إلى من ليسَ من أهلِها . وإمامُ المدونينَ فيها جابرُ ابنُ حيانَ حتى إنهم يخصِّصونها به فيسمُّونها : علمَ جابرٍ ؛ وله فيها سبعونَ رسالةً كلّها شديدةُ بالأنغاز . وزعموا أنه لا يفتحُ مقفلها إلا من أحاطَ علماً بجميعِ ما فيها . والطُّغرائيُّ من حُكماء المشرقِ المتأخِّرينَ له فيها دواوينُ ومناظراتُ مع أهلِها وغيرهم من الحكماء . وكتبَ فيها مَسَلَمَةُ المَهرَبُطِيُّ من حُكماء الأندلسِ كتابَةً الذي ساءَ رُتَبَةُ الحكماءِ ، وجملَةُ قرينِ لكتابِهِ الآخرِ في السَّحَرِ والطَّلسماتِ الذي ساءَ غايةَ الحكماءِ . وزعم أن هاتين الصناعتينِ هما نتيجتانِ للحكمةِ وثمرتانِ للعلومِ ، ومن لم يقف عليهما فهو فاقِدُ ثَمَرَةِ العلمِ والحكمةِ أجمع .

وكلامُهُ في ذلك الكتابِ ، وكلامُهُم أجمعُ في تأليفِهِم ، هي أنغازُ يتعدَّدُ فهمُها على من لم يَمانِ اصطلاحاتهم في ذلك . ونحنُ نذكرُ سببَ عدولِهِم إلى هذه الرِّموزِ والأنغازِ . ولابنُ المقبريِّ من أئمةِ هذا الشأنِ كلماتٌ شعريةٌ ، على حروفِ المعجمِ ، من أبدعِ ما يجيئُ في الشعرِ ، ملفوفةٌ كلّها لنزِّ الأحاجيِّ والمُعَايَاةِ ، فلا تكادُ تُفهمُ . وقد يَنسَبونَ للغزاليِّ رحمه الله بعضَ التآليفِ فيها ، وليسَ بصحيحٍ ، لأنَّ الرجلَ لم تكن مداركُهُ العَالِيَةُ لَتَقِفَ عن حُطٍّ ما يذهبونَ إليه ، حتى يتحلَّه . وربما نسبوا بعضَ المذاهبِ

والأقوال فيها لخالد بن يزيد بن معاوية ربيب مروان بن الحكم .  
ومن العلوم البتين أن خالداً من الجيل العربي ، واليدوة إليه  
أقرب ، فهو بعيد عن العلوم والصنائع بالجملة ؛ فكيف له بصناعة  
غريبة المنحى مبنية على معرفة طبائع المركبات وأمزجتها ؟  
وكتب الناظرين في ذلك من الطبيعيات والطب لم تظهر بعد ولم  
تُترجم ، اللهم إلا أن يكون خالد بن يزيد آخر من أهل المدارك  
الصناعية تشبه باسمه فممكن .

وأنا أنقل لك هنا رسالة أبي بكر بن بشرون ، لأبي السَّمح  
في هذه الصناعة ، وكلاهما من تلاميذ مسلمة ، فيستدل من كلامه  
فيها على ما ذهب إليه في شأنها إذا أعطيت حقه من التأمل .  
قال ابن بشرون بعد صدر من الرسالة خارج عن الفرض :  
والقدمات التي لهذه الصناعة الكريمة ، قد ذكرها الأولون واقتص  
جميعاً أهل الفلسفة ، من معرفة تكوين المادتين وتخلق الأحجار  
والجواهر وطباع البقاع والأماكن ؛ فمنعنا اشتغالها من ذكرها .  
ولكن آتين لك من هذه الصنعة ما يحتاج إليه فنبداً بمعرفته .  
فقد قالوا : ينبغي لطلاب هذا العلم أن يعلموا أولاً ثلاث خصال :  
أولها هل تكون ؟ والثانية من أي تكون ؟ والثالثة من أي  
كيف تكون ؟ فإذا عرف هذه الثلاثة وأحكمها فقد ظفر بمطلوبه  
وبلغ نهايته من هذا العلم . فأما البحث عن وجودها والاستدلال  
عن تكونها فقد كفيناك بما بمتنا به إليك من الأكسير . وأما  
من أي شيء تكون ؟ فالتا يريدون بذلك البحث عن الحجر الذي



يمكنه العمل، وإن كان العمل موجوداً من كل شيء بالقوة لأنها من الطبائع الأربع، منها تركبت ابتداء وإليها ترجع انتهاء. ولكن من الأشياء ما يكون فيه بالقوة ولا يكون بالفعل، وذلك أن منها ما يمكن تفصيلها ومنها ما لا يمكن تفصيلها. فالتى يمكن تفصيلها تعالج وتدير وهي التي تخرج من القوة إلى الفعل، والتي لا يمكن تفصيلها لا تعالج ولا تدير لأنها فيها بالقوة فقط، وإنما لم يمكن تفصيلها لاستغراق بعض طبائعها في بعض، وفضل قوة الكبير منها على الصغير. فينبغي لك - وفكك الله - أن تعرف أوفق الأحجار المنفصلة التي يمكن فيها العمل وجنس وقوته وعمله وما يدير من الحار والبارد والتنقية والتكليس والتنشيف والتقليب، فإن من لم يعرف هذه الأصول التي هي عماد هذه الصنعة، لم ينبج ولم يطق بغير أبدأ.

وينبغي لك أن تعلم هل يمكن أن يستعان عليه بنيره أو يكفى به وحده، وهل هو واحد في الابتداء أو شاذ كغيره فصار في التدبير واحداً فسيتي حجراً. وينبغي لك أن تعلم كيفية عمله وكيفية أوزانه وأزمانه وكيف تركيب الروح فيه وادخال النفس عليه؟ وهل تقدير النار على تفصيلها منه بعد تركيبها. فإن لم تقدير فلا يتعلق وما السبب الموجب لذلك؟ فإن هذا هو المطلوب فافهم.

واعلم أن الفلاسيقة كلها مدحت النفس وزعمت أنها المدبرة للجسد والحامية له والدافعة عنه والفاعلة فيه. وذلك أن الجسد إذا

خرجت النفس منه مات وبرد ؛ فلم يقدر على الحركة والامتناع من غيره ، لأنه لا حياة فيه ولا نود . وإنما ذكرت الجسد والنفس ، لأن هذه الصفات شبيهة بحسد الإنسان الذي تركبته على الغذاء والشاء ، وقوامه وقامه بالنفس الحية النورية ، التي بها يفعل العظام والأشياء المتقابلة التي لا يقدر عليها غيرها بالقوة الحية التي فيها . وإنما انفصل الإنسان لاختلاف تركيب طبائعه ، ولو اتفقت طبائعه لسلمت من الأعراض والتضاد ، ولم تقدر النفس على الخروج من بدنه ، ولكان خالداً باقياً . فسبحان مديّر الأشياء تعالى .

واعلم أنّ الطبائع التي يحدث عنها هذا العمل كيفية دافعة في الابتداء ، فيضبة ، محتاجة إلى الانتهاء . وليس لها إذا صارت في هذا الحدة أن تستحيل إلى ما منه تركبت كما قلناه آنفاً في الإنسان ؛ لأنّ طبائع هذا الجوهر قد لزم بعضها بمضاً ، وصارت شيئاً واحداً ، شبيهاً بالنفس في قوتها وفعلها ، وبالجسد في تركيبه ومجتيه ؛ بعد أن كانت طبائع مفردة بأعيانها . فباعباً من أفاعيل الطبائع ، أنّ القوة للضعيف الذي يقوى على تفصيل الأشياء وتركيبها وتمايها ، فلذلك قلت : قويّ وضعيف . وإنما وقع التغير والفناء في التركيب الأول للاختلاف ، وعيم ذلك في الثاني للاتفاق .

وقد قال بعض الأولين : التفصيل والتقطع في هذا العمل حياة وبقاء ، والتركيب موت وفناء . وهذا الكلام دقيق المعنى لأنّ الحكم أراد بقوله : حياة وبقاء خروجه من العدم إلى الوجود ، لأنه ما دام على تركيبه الأول ، فهو فاني لا محالة ؛ فإذا دُكِب

التركيب الثاني عديم الفناء . والتركيب الثاني لا يكون إلا بعد التفصيل والتقطيع . فإذا التفصيل والتقطيع في هذا العمل خاصة . فإذا بقي الجسد المحلول انبسط فيه لعدم الصورة ، لأنه قد صار في الجسد بمنزلة النفس التي لا صورة لها ، وذلك أنه لا وزن له فيه . وسترى ذلك إن شاء الله تعالى .

وقد ينبغي لك أن تعلم أن اختلاط اللطيف باللطيف أهون من اختلاط القليظ بالقليظ ، وإنما أريد بذلك التشاكل في الأرواح والأجساد ، لأن الأشياء تتصل بأشكالها . وذكرت لك ذلك لتعلم أن العمل أوفق وأيسر من الطبائع الطوائف الروحانية منها من القليظة الجسمانية . وقد يُتصور في العقل أن الأحجار أقوى وأصبر على النار من الأرواح ، كما ترى أن الذهب والحديد والنحاس أصبر على النار من الكبريت والزئبق وغيرها من الأرواح . فأقول إن الأجساد قد كانت أرواحاً في بدنها ، فلما أصابها حر الكيان قلبها أجساداً لزجة غليظة ، فلم تقدر النار على أكملها لإفراط غليظها وتلوثها . فإذا أفرطت النار عليها ، صيرتها أرواحاً ، كما كانت أول خلقها . وإن تلك الأرواح اللطيفة ، إذا أصابتها النار أبقت ولم تقدر على البقاء عليها ، فينبغي لك أن تعلم ما صير الأجساد في هذه الحالة ، وصير الأرواح في هذا الحال ، فهو أجل ما تعرفه . أقول وإنما أبقت تلك الأرواح لاشتغالها ولطافتها . وإنما اشتعلت لكثرة رطوبتها ، ولأن النار إذا أحست بالرطوبة تعلقت بها لأنها هوائية تشاكل النار ، ولا تزال تفتذي بها إلى أن تنفد . وكذلك

الأجساد إذا أحسّت بوصول النار إليها لقلة تلزجها وغلظها . وإنما صارت تلك الأجساد لا تشتعل لأنها مركبة من أرض وماء صابر على النار ، فطبيعته متحد بكثيفه لطول الطبخ اللين المازج للاشياء . وذلك أن كل متلاش إنما يتلاشى بالنار لفارقة لطيفه من كثيفه ، ودخول بعضه في بعض على غير التحليل والموافقة ؛ فصارت ذلك الانضمام والتداخل مجاوزة لا ممازجة ، فسهل بذلك اقترانها ، كالماء والذهن وما أشبههما . وإنما وصفت ذلك لتستدل به على تركيب الطبائع وتقابلها . فاذا علمت ذلك علماً شافياً فقد أخذت حظك منها .

وينبغي لك أن تعلم أن الأخلاط ، التي هي طبائع هذه الصناعة ، موافقة بعضها لبعض ، مفصلة من جوهر واحد ، يجمعها نظام واحد بتدبير واحد ، لا يسخل عليه غريب في الجزء منه ، ولا في الكل ، كما قال الفيلسوف : إنك إذا أحكمت تدبير الطبائع وتاليها ولم تنخل عليها غريباً ، فقد أحكمت ما أردت إحكامه وقوامه ؛ إذ الطبيعة واحدة لا غريب فيها ، فن أدخل عليها غريباً فقد زاع عنها ووقع في الخطأ .

واعلم أن هذه الطبيعة ، إذا خل بها جسد من قرائنها ، على ما ينبغي في الخل ، حتى يشاكلها في الرقة واللطافة ، انبسطت فيه وجرت معه حيثما جرى ؛ لأن الأجساد ما دامت غليظة جافية لا تنبسط ولا تتزأج ، وحل الأجساد لا يكون بنير الارواح . فافهم هداك الله هذا القول .

واعلم هذالك الله أن هذا الحل في جسد الحيوان هو الحق الذي لا يضمحل ولا ينتقض، وهو الذي يقلب الطبائع ويملكها، ويظهر لها ألواناً وأزهاراً عجيبة. وليس كل جسد يحل خلاف هذا، هو الحل التام لأنه مخالف للحياة؛ وإنما حل بما يوافقه ويدفع عنه حرق النار، حتى يزول عن الغلظ، وتنقلب الطبائع عن حالاتها إلى ما لها أن تنقلب من اللطافة والغلظ. فإذا بلغت الأجساد نهايتها من التحليل والتلطيف، ظهرت لها هنالك قوة تمسك وتغوص وتقلب وتنفذ. وكل عمل لا يرى له مصداق في أوله، فلا خير فيه.

واعلم أن الباردة من الطبائع هو يابس الأشياء ويعقد رطوبتها، والحارة منها يظهر رطوبتها ويعقد يابسها؛ وإنما أفرزت الحار والبردة لأنها فاعلان، والرطوبة واليبس منفعلان، وعلى انفصال كل واحد منهما لصاحبه تحدث الأجسام وتتكون، وإن كان الحار أكثر فعلاً في ذلك من البرد، لأن البرد ليس له نقل الأشياء ولا تحركها، والحار هو علة الحركة. ومتى صممت علة الكون، وهو الحرارة، لم يتم منها شيء أبداً؛ كما أنه إذا أفرطت الحرارة على شيء ولم يكن ثم برد أحرقت وأهلكته. فمن أجل هذه العلة احتيج إلى البارد في هذه الأعمال، ليقوى به كل ضد على ضده ويدفع عنه حر النار. ولم يحد الفلاسفة أكثر شيء إلا من النيران المحرقة. وأمرت تطهير الطبائع والأنفاس وإخراج دنسها ورطوبتها ونفي آفاتهما وواسخها عنها، على ذلك استقام رأيهم وتديرهم؛ فإنما

علمهم إنما هو مع النارِ أولاً ، وإليها يصيرُ آخرأ ، فذلك قالوا :  
 إياكم والنيران المحرقات ، وإنما أرادوا بذلك نفى الآفات التي معها ،  
 فتجمعُ على الجسدِ آفتين ، فتكونُ أسرعَ لهلاكه . وكذلك كلُّ  
 شيءٍ إنما يتلاشى ويفسدُ من ذاته لتضادِ طلبائمه واختلافه ، فيتوسطُ  
 بين شيئين ، فلم يجد ما يُقويه ويعينه إلا قهرته الآفة وأهلكته .  
 واعلم أن الحكماء كلها ذكرت ترداد الأرواح على الأجساد مراراً ،  
 ليكونَ ألزَمَ إليها وأقوى على قتال النارِ إذا هي بأشْرَتها عندَ  
 الألفة ، أعني بذلك النارَ العنصرية ؛ فاعلمه .

ولنقل الآن على الحجر الذي يمكنُ منه العملُ على ما ذكرته  
 الفلاسفة ، فقد اختلفوا فيه . فمنهم من زعم أنه في الحيوان ؛  
 ومنهم من زعم أنه في النبات ؛ ومنهم من زعم أنه في المعادن ،  
 ومنهم من زعم أنه في الجميع . وهذه الدعاوى ليست بنا حاجة إلى  
 استقصائها ومناظرة أهلها عليها ، لأنَّ الكلامَ يطولُ جداً . وقد  
 قلتُ فيما تقدم : إن العملَ يكونُ في كل شيء بالقوة لأنَّ الطبائعَ  
 موجودةٌ في كلِّ شيء فهو كذلك ، فتريدُ أن تعلمَ من أيِّ شيء  
 يكونُ العملُ بالقوة والفعل ، فنقصدُ إلى ما قاله الحراني ، إنَّ  
 الصِّبْغَ كله أحدُ صِبْغَيْنِ : إما صِبْغُ جسدٍ ، كالزعفران في الثوب  
 الأبيض حتى يحولَ فيه ، وهو مضمحلٌ منتقصُ التركيب ؛ والصِّبْغُ  
 الثاني تقليبُ الجوهر من جوهر نفسه إلى جوهر غيره ولونه ،  
 كتقليبِ الشجر بل التراب إلى نفسه ، وقلبِ الحيوانِ والنباتِ إلى  
 نفسه حتى يصيرَ الترابُ نباتاً والنباتُ حيواناً ؛ ولا يكونُ إلا

بالروح الحية والكيان الفاعل ، الذي له توليد الأجرام وقلب الأعيان . فاذا كان هذا هكذا ، فنقول : إنَّ العمل لا بدَّ أن يكون إما في الحيوان وإما في النبات ، وبرهان ذلك أنهما مطبوعان على الغذاء وبه قوامهما وقامُهما . فأما النبات فليس فيه ما في الحيوان من اللطافة والقوَّة ، ولذلك قلَّ خوض الحكماء فيه . وأما الحيوان فهو آخر الاستحالات الثلاث ونهايتها ، وذلك أنَّ الملعين يستحيل نباتاً ، والنبات يستحيل حيواناً ، والحيوان لا يستحيل إلى شيء هو أَلطف منه ؛ إلا أن يتمكَّن راجعاً إلى الغلظ ، وأنه أيضاً لا يوجد في العالم شيء تتعلَّق به الروح الحية غيره ، والروح أَلطف ما في العالم ، ولم تتعلَّق الروح بالحيوان إلا بمشاكلته إيَّاه . فأما الروح التي في النبات فانها يسيرة فيها غلظ وكثافة ، وهي مع ذلك مستفرقة كائنةً فيه لغلظها وغلظ جسد النبات ، فلم يقدر على الحركة لغلظها وغلظ روحه . والروح المتحرِّكة أَلطف من الروح الكامنة كثيراً ، وذلك أنَّ المتحرِّكة لها قبولُ الغذاء والتنفُّل والتنفس ، وليس للكامنة غيرُ قبولِ الغذاء وحده . ولا تجري إذا قيسَت بالروح الحية إلا كالأرض عند الماء . كذلك النبات عند الحيوان ، فالعمل في الحيوان أعلى وأرفع وأهون وأيسر . فينبغي للعاقل إذا عرف ذلك أن يحترَّب ما كان سهلاً ويترك ما ينشئ فيه صراً .

واعلم أنَّ الحيوان عند الحكماء ينقسم أقساماً من الأُمَم التي هي الطُّبائع ، والحديثة التي هي المواليد ، وهذا معروف متبيِّر

الفهم . فلهذا قسمت الحكماء العناصر والمواليد أقساماً حيةً وأقساماً ميتةً ، ففعلوا كل متحركٍ فاعلاً حياً ، وكل ساكنٍ مفعولاً ميتاً . وقسموا ذلك في جميع الأشياء وفي الأجساد الذائبة وفي العقاقير المعدنية ، فسموا كل شيء يذوب في النار ويطير ويستحل حياً ، وما كان على خلاف ذلك سموه ميتاً . فأما الحيوان والنبات فسموا كل ما انفصل منها طابعاً أربماً حياً ، وما لم ينفصل سموه ميتاً ، ثم انهم طلبوا جميع الأقسام الحية .

فلم يجدوا لوفى هذه الصناعة مما ينفصل فصولاً أربعة ظاهرة للعيان ، ولم يجدوا غير الحجر الذي في الحيوان فبحشوا عن جنسه حتى عرفوه وأخذوه ودبروه ، فتكيف لهم منه الذي أرادوا . وقد يتكيف مثل هذا في المعادن والنبات بعد جمع العقاقير وخطها ، ثم تفصل بعد ذلك . فأما النبات ، فنه ما ينفصل ببعض هذه الفصول مثل الأشنان<sup>(١)</sup> ، وأما المعادن ففيها أجساد وأرواح وأنقاس ، إذا مزجت ودبرت ، كان منها ما له تأثير . وقد دبرنا كل ذلك ، فكان الحيوان منها أعلى وأرفع وتديره أسهل وأيسر . فينبغي لك أن تعلم ما هو الحجر الموجود في الحيوان ، وطريق وجوده . إننا نبتأ أن الحيوان أرفع المواليد ، وكذا ما تركب منه فهو ألطف منه ، كالنبات من الأرض . وإنما كان النبات ألطف من الأرض ، لأنه إنما يكون من جوهره الصافي وجسده اللطيف ، فوجب له

(١) الأشنان ما تغسل به الأيدي من الحمض . والأشنة شيء نباتي يتكون على الشجر

والصخور (قاموس) .



بذلك اللطافة والرقة . وكذا هذا الحجر الحيواني بمنزلة النبات في التراب . وبالجملة فإنه ليس في الحيوان شيء ينفصل طبائع أربعة غيره . فافهم هذا القول فإنه لا يكاد يخفى ، إلا على جاهل بين الجمالة ومن لا عقل له . فقد أخبرتك ماهية هذا الحجر وأعلستك وأنا أتيت لك وجوه تدابير ، حتى يكمل الذي شرطناه على أنفسنا من الانصاف ، إن شاء الله سبحانه .

التدبير على بركة الله : خذ الحجر الكريم ، فأودعه القربة والإنبيق ، وفصل طبائعه الأربع التي هي النار والهواء والأرض والماء ، وهي الجسد والروح والنفس والصبغ . فإذا عزلت الماء عن التراب ، والهواء عن النار ، فارفع كل واحد في إنائه على حدة ، وخذ المابط أسفل الإناء ، وهو الثفل<sup>(١)</sup> فاغسله بالنار الحارة ، حتى تذهب النار عنه سواده ويذول غلظه وجفاؤه ، ويبيض تبييضاً محكماً وطير عنه فضول الرطوبات المستحثة فيه ، فإنه يصير عند ذلك ماء أبيض لا غلظة فيه ولا وسخ ولا تضاد . ثم اعمد إلى تلك الطبائع الأول الصاعدة منه ؛ فطهرها أيضاً من السواد والتضاد ، وكرّز عليها القسل والتصميد حتى تلتف وترق وتصفو . فإذا فعلت ذلك فقد فتح الله عليك ، فابدأ بالتركيب الذي عليه مدار العمل . وذلك أن التركيب لا يكون إلا بالتزويج والتعفين : فأما التزويج ، فهو اختلاط اللطيف بالغليظ ؛ وأما التعفين ، فهو التمشية والسحق ، حتى يختلط بعضه ببعض ويصير شيئاً واحداً لا اختلاف

(١) ما يستقر في أسفل الشيء من كثرة .

فيه ولا نقصان بمنزلة الامتزاج بالماء . فعند ذلك يقوى الغليظُ على إمساك اللطيف ، وتقوى الروحُ على مقابلة النارِ وتصبر عليها ، وتقوى النفسُ على الفوصِ في الأجسادِ والديبِ فيها . وإنما ويجدُ ذلك بعد التركيب لأنَّ الجسدَ المحلولَ لما ازدوجَ بالروحِ مازجُهُ بجميعِ أجزائه ، ودخلَ بعضها في بعضٍ لتساكُلها فصارَ شيئاً واحداً ووجبَ من ذلك أن يعرضَ للروحِ من الصَّلاحِ والفسادِ والبقاءِ والشوبِ ، ما يعرضُ للجسدِ لموضعِ الامتزاجِ .

وكذلك النفسُ إذا امتزجت بهما ، ودخلت فيهما بخدمة التدبيرِ اختلطت أجزاؤها بجميعِ أجزاء الآخرين ، أعني الروحَ والجسدَ ، وصارت هي وهما شيئاً واحداً لا اختلافَ فيه ، بمنزلة الجزء الكليِّ الذي سلت طبايته واتفقت أجزاؤه . فإذا لقيَ هذا المركَّبُ الجسدَ المحلولَ ، وألحَّ عليه النارُ ، وأظهرَ ما فيه من الرطوبةِ على وجهه ، ذابَ في الجسدِ المحلولِ . ومن شأنِ الرطوبةِ الاشتعالُ وتعلُّقُ النارِ بها ، فإذا أرادتِ النارُ التعلُّقَ بها ، منعها من الاتحادِ بالنفسِ ممازجةُ الماءِ لها . فإنَّ النارَ لا تتحدُّ بالدهنِ حتى يكونَ خالصاً . وكذلك الماءُ من شأنه النفورُ من النارِ . فإذا ألحَّتْ عليه النارُ وأرادتِ تطهيرهُ حبسه الجسدُ اليابسُ المازجُ له في جوفه ، فنعمه من الطَّيرانِ ؛ فكان الجسدُ علةً لامساكِ الماءِ ، والماءُ علةً لبقاءِ الدهنِ ، والدهنُ علةً لثباتِ الصَّبغِ ، والصَّبغُ علةً لظهورِ الدهنِ ، وإظهارِ الدهنيةِ في الأشياءِ المظلمةِ التي لا نورَ لها ولا حياةَ فيها . فهذا هو الجسدُ المستقيمُ وهكذا يكونُ العملُ . وهذه التصفيةُ التي سألتُ عنها

وهي التي سمّتها الحكماء بيضة ، وإياها يعنون لا بيضة الدجاج .  
واعلم أن الحكماء لم تسمها بهذا الاسم لغير معنى بل أشبهتها . ولقد  
سألت مسلّم عن ذلك يوماً وليس عنده غيري ، فقلت له : أيها  
الحكيم الفاضل ، أخبرني لأي شيء سمّت الحكماء مركّب الحيوان  
بيضة ؟ أختياراً منهم لذلك ، أم لمعنى دعاهم إليه ؟ فقال : بل لمعنى  
غامض . فقلت : أيها الحكميم ، وما ظهر لهم من ذلك من المنفعة  
والاستدلال على الصّناعة ، حتى تشبّوها وسمّوها بيضة ؟ فقال  
لشبهها وقرباتها من المركّب ، فكبر في ، فانه سيظهر لك معناه .  
فبقيت بين يديه مفكراً لا أقدر على الوصول إلى معناه . فلما رأى  
ما بي من الفكر ، وأن نفسي قد مضت فيها ، أخذ بضدي وهزني  
هزة خفيفة ، وقال لي : يا أبا بكر ، ذلك للنسبة التي بينهما في  
كيّة الألوان ، عند امتزاج الطّبايع وتأليفها . فلما قال ذلك انجلت  
عني الظلمة ، وأضاء لي نور قلبي وقوي عقلي على فهمه . فنهضت  
شاكراً لله عليه إلى منزلي ، وأقمت على ذلك شكلاً هندسياً يبرهن  
به على صحّة ما قاله مسلّم . وأنا واضع لك في هذا الكتاب .

مثال ذلك ، أن المركّب إذا تمّ وكلّ ، كان نسبة ما فيه  
من طبيعة الهواء ، إلى ما في البيضة من طبيعة الهواء ، كنسبة  
ما في المركّب من طبيعة النّار إلى ما في البيضة من طبيعة النّار ،  
وكذلك الطّبعات الأخرى : الأرض والماء ، فأقول : إن كلّ  
شيتين متناسبين على هذه الصّفة فهما متشابهان . ومثال ذلك أن  
تجمل لسطح البيضة هزوح ، فإذا أردنا ذلك فإنّا نأخذ أقلّ طبائع

المركب ، وهي طبيعة اليوسة ، ونضيف إليها مثلها من طبيعة الرطوبة وندبرها حتى تنتشف طبيعة اليوسة طبيعة الرطوبة ، وتقبل قوتها . وكان في هذا الكلام رمزاً ولكنه لا يخفى عليك . ثم تحيل عليها جميعاً مثلها من الروح وهو الماء ، فيكون الجميع ستة أمثال . ثم تحيل على الجميع بعد التدبير مثلاً من طبيعة الهواء التي هي النفس ، وذلك ثلاثة أجزاء ، فيكون الجميع تسعة أمثال اليوسة بالقوة . وتحيل تحت كل ضلعين من المركب الذي طبيعته محيطه بسطح المركب طبيعتين ، فتجعل أولاً الضلعين المحيطين بسطحه طبيعة الماء وطبيعة الهواء ، وهما ضلعا [ ا ح د ] وسطح (أيحد) وكذلك الضلعان المحيطان بسطح البيضة اللذان هما الماء والهواء ضلعا هـ و ح ، فأقول : إن سطح أجد يشبه سطح هـ و ح طبيعة الهواء التي تسمى نفساً ، وكذلك (يـ ح) من سطح المركب . والحكمة لم تسم شيئاً باسم شيء إلا لشبهه به . والكلمات التي سألت عن شرحها الأرض المقدسة ، وهي المنقذة من الطبائع العلوية والسفلية . والنحاس هو الذي أخرج سواده وقطع حتى صار هباءً ، ثم حبر بالزاج حتى صار نحاسياً ، والمنيسيا حجرهم الذي تجمد فيه الأرواح . وتخرج الطبيعة العلوية التي تستجئ فيها الأرواح لتقابل عليها النار ، والفرفرة لون أحمراً فإن يمدنه الكيان . والرصاص حجر ثلاث قوى مختلفة الشخوص ولكنها متشاكله ومتجانسة . فالواحدة روحانية نيرة صافية وهي الفاعلة ، والثانية نفسانية وهي متحركة حساسة ، غير أنها أغلظ من الأولى ومركزها دون مركز الأولى ،

وَالثَّالِثَةُ قُوَّةُ أَرْضِيَّةٍ حَاسَّةٍ قَابِضَةٌ مَنَعِكِسَةٌ إِلَى مَرَكِزِ الْأَرْضِ لِثِقَلِهَا ، وَهِيَ الْمَاسِكَةُ الرُّوحَانِيَّةُ وَالنَّفْسَانِيَّةُ جَمِيعاً وَالْحِيطَةُ بِهِمَا . وَأَمَّا سَائِرُ الْبَاقِيَةِ فَبِتَدَعٍ وَمَخْتَرَعَةٍ ، إِبَاساً عَلَى الْجَاهِلِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْمَقْدَمَاتِ اسْتَغْنَى عَنْ غَيْرِهَا . فَهَذَا جَمِيعُ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ وَقَدْ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْكَ مَفْسُراً وَزَجَوُ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ أَنْ تَبْلُغَ أَمْلَكَ وَالسَّلَامُ .

انتهى كلامُ ابنِ بَشْرُونَ ، وهو من كبارِ تلاميذِ مَسْلَمَةَ المَرْبُوطِي شَيْخِ الْأَنْدَلُسِ فِي عُلُومِ الْكِيمْيَا وَالسِّيْمْيَا وَالسِّحْرِ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَمَا بَعْدَهُ .

وَأَنْتَ تَرَى كَيْفَ صَرَفَ أَلْفَاظَهُمْ كُلَّهَا فِي الصَّنَاعَةِ إِلَى الرَّمْزِ وَالْأَلْفَاظِ الَّتِي لَا تَكَادُ تُبَيِّنُ وَلَا تَعْرِفُ ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهَا لَيْسَتْ بِصَّنَاعَةٍ طَبِيعِيَّةٍ . وَالَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُعْتَدَّ فِي أَمْرِ الْكِيمْيَا ، وَهُوَ الْحَقُّ الَّذِي يَمُضُّهُ الْوَاقِعُ ، أَنَّهَا مِنْ جَنْسِ آثَارِ النُّفُوسِ الرُّوحَانِيَّةِ ، وَتَصَرُّفُهَا فِي عَالَمِ الطَّبِيعَةِ : إِمَّا مِنْ نَوْعِ الْكِرَامَةِ ، إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ خَيْرَةً ، أَوْ مِنْ نَوْعِ السِّحْرِ ، إِنْ كَانَتْ النُّفُوسُ شَرِّيرَةً فَاجِرَةً . فَأَمَّا الْكِرَامَةُ فَظَاهِرَةٌ ، وَأَمَّا السِّحْرُ ، فَلَأَنَّ السَّاحِرَ ، كَمَا ثَبَتَ فِي مَكَانٍ تَحْقِيقِهِ ، يَقْلِبُ الْأَعْيَانَ الْمَادِّيَّةَ بِقُوَّتِهِ السِّحْرِيَّةِ . وَلَا بَدَلُ لَهُ مَعَ ذَلِكَ عِنْدَهُمْ مِنْ مَادَّةٍ يَقَعُ فَعْلُهُ السِّحْرِيُّ فِيهَا ، كَتَخْلِيقِ بَعْضِ الْحَيَوَانَاتِ مِنْ مَادَّةِ التُّرَابِ أَوِ الشَّجَرِ وَالنَّبَاتِ ، وَبِالْجَمَلَةِ مِنْ غَيْرِ مَادَّتِهَا الْمُخْصُوصَةِ بِهَا ، كَمَا وَقَعَ لَسَحَرَةِ فِرْعَوْنَ فِي الْجِبَالِ وَالْعَصِيِّ ، وَكَمَا يُنْقَلُ عَنْ سَحَرَةِ السُّودَانِ وَالْمَنُودِ فِي قَاصِيَةِ

الجنوب، والترك في قاصية الشمال، أنهم يسحرون الجو للأطوار  
وضير ذلك.

ولما كانت هذه تخليقاً للذهب في غير ماذيه الخاصة به، كان  
من قبيل السحر، والمتكلمون فيه من أعلام الحكماء، مثل  
جابر ومسلمة. ومن كان قبلهم من حكماء الأمم، إنما نحووا هذا  
المنحى، ولهذا كان كلامهم فيه ألغازاً، حذراً عليها من إنكار  
الشرائع على السحر وأنواعه، لا أن ذلك يرجع إلى الضئالة بها،  
كما هو رأي من لم يذهب إلى التحقيق في ذلك. وانظر كيف  
سمى مسلمة كتابه فيها رتبة الحكم، وسمى كتابه في السحر  
والطِّلسمات غاية الحكم، إشارة إلى عموم موضوع الغاية وخصوص  
موضوع هذه؛ لأن الغاية أعلى من الرتبة، فكان مسائل الرتبة  
بعض من مسائل الغاية وتشاركها في الموضوعات. ومن كلامه  
في الفنين يتبين ما قلناه، ونحن نبين فيما بعد غلط من يزعم أن  
مدارك هذا الأمر بالصناعة الطبيعية. والله العليم الخبير.

## الفصل الحادي والثلاثون

في إبطال الفسفة وفصل منتطها

هذا الفصل وما بعده مهم، لأن هذه العلوم عارضة في العمران  
كثيرة في المدن. وضرتها في الدين كثير، فوجب أن يصدق  
بشأنها ويكشف عن المعتق الحق فيها. وذلك أن قوماً من عقلاء

النوع الإنساني زعموا أن الوجود كله ، الحسي منه وما وراء الحسي ، تدرك ذواته وأحواله بأسبابها وعللها بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية ، وأن تصحيح العقائد الإيمانية من قبل النظر لا من جهة السمع ، فأنها بعض من مدارك العقل . وهؤلاء يسمون فلاسفة ، جمع فيلسوف ، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة . فبحثوا عن ذلك وشعروا له وحوّموا على إصابة الفرض منه ، ووضعوا قانوناً يهتدي به العقل في نظره إلى التمييز بين الحق والباطل ، وسموه بالمنطق . وحصل ذلك أن النظر الذي يفيد تمييز الحق من الباطل ، إنما هو للذهن في المعاني المنتزعة من الموجودات الشخصية فيجرد<sup>(١)</sup> منها أولاً صوراً منطبقة على جميع الأشخاص ، كما ينطبق الطابع على جميع النقوش التي ترسبها في طين أو شمع . وهذه المجردة من المحسوسات تسمى العقولات الأوائل . ثم تجرد من تلك المعاني الكلية إذا كانت مشتركة مع معاني أخرى ، وقد تميزت عنها في الذهن ، فتجرد منها معاني أخرى وهي التي اشتركت بها ، ثم تجرد ثانياً ، إن شاركها غيرها ، وثالثاً ، إلى أن ينتهي التجريد إلى المعاني البسيطة الكلية ، المنطبقة على جميع المعاني والأشخاص ، ولا يكون منها تجريد بعد هذا ، وهي الاجناس العالية .

وهذه المجردات كلها من غير المحسوسات هي من حيث تأليف بعضها مع بعض لتحصيل العلوم منها تسمى العقولات

(١) الضمير عائد على الذهن ، والفعل مبني للمعلوم .

الثواني . فاذا نظرَ الفكرُ في هذه المقولاتِ المجرّدة ، وطلب تصوّرَ الوجودِ كما هو ، فلا بدّ للذهن من إضافة بعضها إلى بعض ، ونفي بعضها عن بعض بالبرهان العقليّ البقيّ . ليحصل تصوّرُ الوجودِ تصوّراً صحيحاً مطابقاً إذا كان ذلك بقانونٍ صحيحٍ كما مرّ . وصنفُ التصديق الذي هو تلك الإضافة والحكمُ متقدّمٌ عندهم على صنفِ التصوّر في النهاية ، والتصوّرُ متقدّمٌ عليه في البداية والتعليم ، لأنّ التصوّرَ التامَّ عندهم هو غايةُ الطلبِ الإدراكيّ ، وإنّما التصديقُ وسيلةٌ له ، وما تسمعه في كُتبِ المنطقيين من تعلّمِ التصوّرِ وتوقّفِ التصديقِ عليه ، فبمعنى الشعورِ لا بمعنى العلمِ التامِّ ، وهذا هو مذهبُ كبيرهم أرسطو . ثم يزعمون أنّ السعادةَ في إدراكِ الموجوداتِ كلّها ما في الحسن . وما وراء الحسنِ بهذا النظرِ وتلك البراهين . وحاصلُ مدارِكِهِم في الوجودِ على الجملةِ وما آلت إليه ، وهو الذي فرّعوا عليه قضايا أنظاريهم ، أنهم عثروا أولاً : على الجسمِ السفليّ بحكمِ الشهودِ والحسِّ ، ثم ترقى إدراكُهم قليلاً فشعروا بوجودِ النفسِ من قبلِ الحركةِ والحسِّ بالحيواناتِ ، ثم أحسّوا من قوَى النفسِ بسلطانِ العقلِ . ووقفَ إدراكُهم فقتضوا على الجسمِ العاليِ السماويّ بنحوٍ من القضاء على أمرِ الذاتِ الانسانيةِ . ووجبَ عندهم أن يكونَ للقلْكِ نفسٌ وعقلٌ كما للإنسانِ ، ثم أنهموا ذلك نهايةَ عددٍ الآحادِ وهي العشرُ ، تسعُ مفصلةٌ ذواتها جملٌ واحدٌ أوّلٌ مفردٌ وهو العاشرُ . يزعمون أنّ السعادةَ في إدراكِ الوجودِ على هذا النحو من القضاء مع تهذيبِ النفسِ ، وتخلّصِها



بالفضائل ، وأنَّ ذلك ممكنٌ للإنسان ، ولو لم يرد شرعٌ لتمييزه بين الفضيلة والذيلة من الأفعال بمقتضى عقله ونظريه ، وميله إلى الحمود منها ، واجتنابه للذموم بفطريته ، وأنَّ ذلك إذا حصل للنفس حصلت لها البهجة واللذة ، وأنَّ الجهل بذلك هو الشقاء السرمدي ، وهذا عندهم هو معنى النعيم والعذاب في الآخرة إلى خبط لهم في تفاصيل ذلك معروف من كلماتهم .

وإمام هذه المذاهب ، الذي حصل مسائلها ودون علمها وسطر حجابها ، فيما بلغنا في هذه الأحقاب ، هو أرسطو المقدونيُّ من أهل مقدونية من بلاد الروم من تلاميذ أفلاطون ، وهو معلم الاسكندر ويسمونه : المعلم الأول على الإطلاق ، يعنون معلم صناعة المنطق ، إذ لم تكن قبله مهذبة . وهو أول من رتب قانونها واستوفى مسائلها وأحس بسطها . ولقد أحسن في ذلك القانون ما شاء ، لو تكمل له بقصديهم في الآليات . ثم كان من بعده في الاسلام من أخذ بتلك المذاهب واتبع فيها رأيه حذو النعل بالنعل إلا في القليل . وذلك أن كتب أولئك المتقدمين ، لما ترجمها الخلفاء من بني العباس من اللسان اليوناني إلى اللسان العربي تصفحها كثير من أهل الملة ، وأخذ من مذاهبهم من أضله الله من منتحلي العلوم وجادلوا عنها واختلفوا في مسائل من تفاريعها ، وكان من أشهرهم أبو نصر الفارابي في المائة الرابعة لهد سيف الدولة ، وأبو علي بن سينا في المائة الخامسة لهد نظام الملك من بني بويه بأصبهان وغيرها . واعلم أن هذا الرأي الذي ذهبوا إليه باطلٌ بجميع وجوهه .

فأما إسنادهم الموجودات كلها إلى العقل الأول واكتفاؤهم به في الترقى إلى الواجب، فهو قصور عما وراء ذلك من رتب خلق الله، فالوجود أوسع نطاقاً من ذلك ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾، وكانهم في اقتصرهم على إثبات العقل فقط والغفلة عما وراءه بمثابة الطبيعيين، المقتصرين على إثبات الأجسام خاصة المعرضين عن الثقل والعقل، المعتقدين أنه ليس وراء الجسم في حكمة الله شيء. وأما البراهين التي يزعمونها على مُلغياتهم في الموجودات، ويعرضونها على معيار المنطق وقانونه، فهي قاصرة وغير وافية بالفرض. أما ما كان منها في الموجودات الجسمانية ويسوئته العلم الطبيعي، فوجه قصوره أن المطابقة بين تلك النتائج الذهنية التي تستخرج بالحدود والأقيسة كما في زعمهم، وبين ما في الخارج غير يقيني، لأن تلك أحكام ذهنية كلية عامة، والموجودات الخارجية متشخصة بموادها. ولعل في المواد ما يمنع من مطابقة الذهني الكلي للخارجي الشخصي، اللهم إلا ما يشهد له الحسن من ذلك، فدليله شهوده لا تلك البراهين، فأين اليقين الذي يجدونه فيها؟ وربما يكون تصرف ذهن أيضاً في المقولات الأولى المطابقة للشخصيات بالصورة الخيالية لا في المقولات الثواني التي تجردها في الرتبة الثانية، فيكون الحكم حينئذ يقينياً بمثابة المحسوسات. إذ المقولات الأولى أقرب إلى مطابقة الخارج، لكمال الانطباق فيها، فنسلم لهم حينئذ دعاوئهم في ذلك. إلا أنه ينبغي لنا الإعراض عن النظر فيها، إذ هو من ترك المسلم لما لا يعنيه، فإن مسائل

الطبيعيَّاتِ لا تَهْمُنَا في ديننا ولا معاشنا فوجبَ علينا تركها .

وأما ما كان منها في الموجوداتِ التي وراءَ الحسِّ وهي الروحانيَّاتُ ويستوْنهُ العلمُ الإلهيَّ وعِلْمُ ما بعدَ الطَّبيعَةِ ، فإنَّ ذواتها مجهولةٌ رأساً ، ولا يمكنُ التوصلُ إليها ولا البرهانُ عليها لأنَّ تجريدَ المقولاتِ من الموجوداتِ الخارجيّةِ الشخصيّةِ إمّا هو ممكنٌ فيما هو مدركٌ لنا . ونحن لا ندركُ الذَّواتِ الروحانيّةِ ، حتى نُجريدَ منها ماهيّاتٍ أخرى بحجابِ الحسِّ بيننا وبينها ، فلا يتأتَّى لنا برهانٌ عليها ولا مُدركٌ لنا في إثباتِ وجودها على الجملَةِ ؛ إلا ما نجده بين جنينا من أمرِ النفسِ الانسانيّةِ وأحوالِ مدارِكِها ، وخصوصاً في الرؤيا التي هي وجدانيّةٌ لكلِّ أحدٍ ، وما وراءَ ذلك من حقيقتها وصفاتها فأمرٌ غامضٌ لا سبيلَ إلى الوقوفِ عليه .

وقد صرَّحُ بذلك محققوهم ، حيثُ ذهبوا إلى أنَّ ما لا مادّةَ له لا يمكنُ البرهانُ عليه ، لأنَّ مقدّماتِ البرهانِ من شرطها أن تكونَ ذاتيّةً . وقال كبيرُهم أفلاطون : إنَّ الإلهياتِ لا يوصلُ فيها إلى يقينٍ ، وإمّا يقالُ فيها بالأحقِّ والاولى ، يعني الظنَّ . وإذا كنا إمّا نخضُلُ بعد التَّسبُّبِ والتَّصبُّبِ على الظنِّ فقط ، فيكفي الظنُّ الذي كان أوْلاً ، فأني فائدةٌ لهذه العلومِ والاشتغالِ بها ، ونحن إمّا عنايتنا بتحصيلِ اليقينِ فيما وراءَ الحسِّ من الموجوداتِ ؛ وهذه هي غايةُ الأفكارِ الانسانيّةِ عندهم .

وأما قولُهم إنَّ السَّعَادَةَ في إدراكِ الموجوداتِ على ما هي عليه

بتلك البراهين ، فقول مزيّف مردود ، وتفسيره أنّ الانسان مرّكب من جزأين : أحدهما جسمانيّ والآخر روحاني ممتزج به ، ولكل واحد من الجزأين مدارك مختصة به ، والمدرك فيها واحد ، وهو الجزء الروحانيّ ؛ يدرك تارة مدارك روحانية وتارة مدارك جسمانية ، إلا أنّ المدارك الروحانية يدركها بذاته بغير واسطة ، والمدارك الجسمانية بواسطة آلات الجسم من الدماغ والحواس . وكل مدرك فله ابتهاج بما يدركه . واعتبره بحال الصبي في أول مداركه الجسمانية التي هي بواسطة ، كيف يبتهج بما يُبصره من الضوء وبما يسمعه من الأصوات ، فلا شك أنّ الابتهاج بالادراك الذي للنفس من ذاتها بغير واسطة يكون أشدّ وألذ . فالفنّس الروحانية إذا شعرت بادراكها الذي لها من ذاتها بغير واسطة ، حصل لها ابتهاج ولذة لا يعبّر عنها ، وهذا الادراك لا يحصل بنظر ولا علم ، وإنما يحصل بكشف حجاب الحسّ ونسيان المدارك الجسمانية بالجملة .

والمتصوّفة كثيراً ما يعنون بمحصل هذا الادراك للنفس بمحصل هذه البهجة ، فيحاولون بالرياضة إماتة القوى الجسمانية ومداركها ، حتى الفكر من الدماغ ، ليحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها عند زوال الشوائب والموانع الجسمانية ، فيحصل لهم بهجة ولذة لا يعبّر عنها . وهذا الذي زعموه بتقدير صحته مسلم لهم ، وهو مع ذلك غير وافر بمقصودهم .

فأما قولهم : إنّ البراهين والأدلة العقلية محصلة لهذا النوع من الإدراك والابتهاج عنه ، فباطل كما رأيت ، إذ البراهين والأدلة

من جملة المدارك الجسمانية ، لأنها بالقوى الدماغية من الخيال والفكر والذكر . ونحن نقول إن أول شيء نعى به في تحصيل هذا الإدراك إماتة هذه القوى الدماغية كلها ، لأنها منازعة له قاذحة فيه . وتجد الماهر منهم عاكفاً على كتاب الشفاء والإشارات والنجاة وتلاخيص ابن رشد للقصص من تأليف أرسطو وغيره ، يُعثر أوراقها ويتوثق من براهينها ، ويلتبس هذا القسط من السعادة فيها ، ولا يعلم أنه يستكثر بذلك من الموانع عنها . ومستندهم في ذلك ما ينقلونه عن أرسطو والفارابي وابن سينا أن من حصل له إدراك العقل الفعالي واتصل به في حياته فقد حصل حظاً من هذه السعادة .

والعقل الفعالي عندهم عبارة عن أول رتبة ينكشف عنها ليس من رتب الروحانيات ، ويميلون الاتصال بالعقل الفعالي على الإدراك العلمي ، وقد رأيت فساداً . وإنما يعني أرسطو وأصحابه بذلك الاتصال والإدراك ، إدراك النفس الذي لها من ذاتها وبغير واسطة ، وهو لا يحصل إلا بكشف حجاب الحس .

وأما قولهم : إن البهجة الناشئة عن هذا الإدراك هي عين السعادة الموعود بها فباطل أيضاً ، لأننا إنما تبين لنا بما قرره أن وراء ليس مدركاً آخر للنفس من غير واسطة ، وأنها تتجهج بإذراكها ذلك ابتهاجاً شديداً ؛ وذلك لا يمين لنا أنه عين السعادة الأخروية ، ولا بد ؛ بل هي من جملة الملذات التي لتلك السعادة .

وأما قولهم : إنَّ السَّعَادَةَ في إدراكِ هذه الموجوداتِ على ما هي عليه ، فقولُ باطلٌ مبنيُّ على ما كنا قدَّمناه في أصلِ التَّوْحِيدِ من الأوهامِ والأغلاطِ ، في أنَّ الوجودَ عندَ كلِّ مدركٍ منحصرٌ في مدارِكِهِ ، وبيِّنًا فسادَ ذلك ، وأنَّ الوجودَ أوسعُ من أن يُحاطَ بِهِ أو يُستوفى إدراكُهُ بِحَمَلِهِ روحانيًّا أو جَسَائيًّا . والذي يحصلُ من جميعِ ما قرَّرناه من مَذاهِبِهِمْ أنَّ الجزءَ الروحانيَّ إذا فارقَ القُوَى الجَسَائيَّةَ أدركَ إدراكًا ذاتيًّا له مَحْتَصًا بصنفٍ من المداريكِ ، وهي الموجوداتُ التي أحاطَ بها عِلْمُنَا ، وليس بعامٍّ الإدراكِ في الموجوداتِ كُلِّهَا ؛ إذ لم تنحصرِ ، وأنَّه يَتَهَيَّجُ بذلك النحرُ من الإدراكِ ابتهاجًا شديدًا ، كما يَتَهَيَّجُ الصَّبِيُّ بمداركِهِ الحِسِّيَّةِ في أدلِّ نشوئِهِ . ومن لنا بعد ذلك بِادراكِ جميعِ الموجوداتِ أو بحصولِ السَّعَادَةِ التي وَعَدْنَا بها الشَّارِعُ أنْ لم نَعْمَلْ لها ، هِياتِ هِياتِ لما تَوَعَّدُون . وأما قولهم : إنَّ الإنسانَ مُسْتَقِلٌّ بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ وِاصْلَاحِهَا بِمَلَابَسَةِ المَهمُودِ مِنَ الخُلُقِ ومُجَانِبَةِ المَذْمُومِ ، فَأَمْرٌ مبنيٌّ على أنَّ ابْتِهَاجَ النَفْسِ بِادراكِها الذي لها من ذاتِها هو عينُ السَّعَادَةِ الموعودِ بها ، لأنَّ الرِّذَالَةَ عَائِقَةٌ لِلنَفْسِ عن تَمَامِ إدراكِها ذلك بما يحصلُ لها من الملكاتِ الجَسَائيَّةِ وألوانِها .

وقد بيَّنَّا أنَّ أثرَ السَّعَادَةِ والشَّقَاوَةِ من وراءِ الادراكاتِ الجَسَائيَّةِ والروحانيَّةِ . فهذا التَّهْذِيبُ الذي تَوَصَّلُوا إلى معرفَتِهِ إمَّا نَفْعُهُ في البَهِجَةِ النَّاشِئَةِ عن الإدراكِ الروحانيِّ فَقَطْ ، الذي هو على مَقاييسَ وقوانينَ . وأما ما وراءَ ذلك من السَّعَادَةِ التي وَعَدْنَا

بها الشارح ، على امثال ما أمر به من الأعمال والأخلاق ؛ فأمر  
لا يحيط به مدارك المدركين . وقد تنبأ لذلك زعيمهم أبو علي ابن  
سينا فقال في كتاب المبدأ والمعاد ما معناه : إنَّ المعاد الروحاني  
وأحواله هو مما يُتوصَّلُ إليه بالبراهين العقلية والمقاييس ، لأنه على  
نسبة طبيعية محفوظة ووتير واحد ، فلنا في البراهين عليه  
سعة . وأما المعاد الجسائي وأحواله فلا يُمكن إدراكه بالبرهان ،  
لأنه ليس على نسبة واحدة ، وقد بسطته لنا الشريعة الحقّة  
المحمدية ، فلينظر فيها ، ولنرجع في أحواله إليها .

فهذا العلم ، كما رأيته ، غير واف بمقاصدهم التي حوّموا عليها ،  
مع ما فيه من مخالفة الشرائع وظواهرها . وليس له فيما علمنا إلا  
ثمرة واحدة وهي شحذ الذهن في ترتيب الأدلة ، والججاج لتحصيل  
ملكة الجودّة ، والصواب في البراهين . وذلك أن نظم المقاييس  
وتركيبتها على وجه الأحكام والإتقان هو كما شرطوه في صناعتهم  
المنطقية ، وقولهم بذلك في علومهم الطبيعية ، وهم كثيراً ما  
يستعملونها في علومهم الحكيمة من الطبيعيات والتعاليم وما بعدها ؛  
فيستولي الناظر فيها بكثرة استعمال البراهين بشروطها على ملكة  
الإتقان والصواب في الججاج والاستدلالات ؛ لأنها وإن كانت  
غير واف بمقصودهم فهي أصح ما علمناه من قوانين الانظار .  
هذه هي ثمرة هذه الصناعة مع الاطلاع على مذاهب أهل العلم  
وآرائهم ومضارها ما علمت . فليكن الناظر فيها متحرراً جهده  
من معاطيها ، وليكن نظره من ينظر فيها بعد الامتلاء من الشرعيات

والاطلاع على التفسير والفقه ، ولا يُكَيَّنُ أحدٌ عليها وهو يخلو  
من علومِ الملَّةِ فقلَّ أن يسلم لذلك من معاطبها . والله الموفق للصواب  
وللحقِّ والهادي إليه . وما كنَّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

## الفصل الثاني والثلاثون

في إبطال ضلالة النجوم بخصف مداركها وفساد غلبتها

هذه الصنعة يُزَعِّمُ أصحابُها أنهم يعرفون بها الكائناتِ في  
عالمِ العناصرِ قبلُ حدوثِها ، من قبلُ معرفةِ قوى الكواكبِ  
وتأثيرِها في المولداتِ النُصْرِيَّةِ مفردةً ومجمعةً . فتكون لذلك  
أوضاعُ الأفلاكِ والكواكبِ دالةً على ما سيحدثُ من نوعٍ نوعٍ  
من أنواعِ الكائناتِ الكليَّةِ والشخصيَّةِ . فالتقديمونُ منهم يرونَ  
أنَّ معرفةَ قوى الكواكبِ وتأثيراتها بالتَّجْرِبَةِ وهو أمرٌ تقصُرُ  
الأعمارُ كُلُّها لو اجتمعتْ عن تحصيلِهِ ، إذ التَّجْرِبَةُ إنما تحصلُ في  
المراتِ المتعدِّدةِ بالتكرارِ ليحصلَ عنها العِلْمُ والظنُّ . وأدوارُ  
الكواكبِ منها ما هو طويلُ الزَّمنِ ، فيحتاجُ تكرُّدُهُ إلى آمادٍ  
وأحقابٍ متطاولةٍ يتقاصرُ عنها ما هو طويلُ من أعمارِ العالمِ . وربما  
ذهبَ ضِعْفًا منهم إلى أنَّ معرفةَ قوى الكواكبِ وتأثيراتها كانت  
بالوحيِّ وهو رأيٌ فائِلٌ ، وقد كفونا مؤونةَ إبطاله .

ومن أوضحِ الأدلَّةِ فيه أن تعلم أنَّ الأنبياءَ ، عليهم الصَّلَاةُ



والسَّلامُ ، أبعدُ الناسِ عن الصَّنائعِ ، وأنهم لا يتعرَّضونَ للأخبارِ  
عن الغيبِ إلَّا أن يكونَ عن الله ؛ فكيف يدعونَ استنباطهُ  
الصَّنَاعَةِ ، ويشيرونَ بذلك لتابعيهم من الخلقِ . وأمَّا بطليموسُ  
ومَن تبعهُ من المتأخِّرينَ فيرونَ أنَّ دَلَالَةَ الكواكبِ على ذلك  
دَلَالَةٌ طَبِيعِيَّةٌ من قبلِ مزاجٍ يحصلُ للكواكبِ في الكائناتِ  
العنصريَّةِ ، قال لأنَّ فعلَ النَّيِّرِ وأثرُها في العنصريَّاتِ ظاهرٌ لا  
يسعُ أحداً جعلهُ ، مثل فعلِ الشمسِ في تبدُّلِ الفصولِ وأمرجيتها  
ونضيجِ الثَّمارِ والزَّرعِ وغير ذلك ، وفعلِ القمرِ في الرطوباتِ والماءِ  
وإنضاجِ الموادِّ للمتغيِّنة وفواكِه القنَّاء<sup>(١)</sup> وسائر أفعاله .

ثم قال : ولنا فيما بعدها من الكواكبِ طريقتان : الأولى  
التقليدُ لمن نقلَ ذلك عنه من أئمةِ الصَّنَاعَةِ ، إلَّا أنَّه غيرُ مقنعٍ  
لنفسِ . والثانيةُ الحُسنُ والتجربةُ بقياسِ كلِّ واحدٍ منها إلى  
النَّيِّرِ الأعظمِ الذي عرفنا طبيعتهُ وأثرَهُ معرفةً ظاهرةً ، فننظرُ  
هل يزيدُ ذلك الكوكبُ عند الإِقرارِ في قوَّتهِ ومزاجِهِ ، فتُعرفُ  
موافقتهُ له في الطَّبيعَةِ ، أو ينقصُ عنها فتُعرفُ مضادُّتهُ . ثم إذا  
عرفنا قُوَّاتها مفردةً عرفناها مركَّبةً ، وذلك عند تناظرها بأشكالِ  
التَّثْلِيثِ والتَّزْيِيعِ وغيرها ، ومعرفةً ذلك من قبلِ طبائعِ البُرُوجِ  
بالتَّقياسِ أيضاً إلى النَّيِّرِ الأعظمِ .

وإذا عرفنا قُوَى الكواكبِ كلها فهي مؤثِّرةٌ في الهواءِ ،

(١) قنَّاء جمع قنَّاء : حفرة توضع فيها النخلة (قلموس) .

ويراد بفواكه القنَّاء : فواكه الأشجار التي تنفُرس في الحفرة .

وذلك ظاهرٌ . والمزاجُ الذي يحصلُ منها للهواءُ يحصلُ لما تحتها من المولداتِ ، وتتخلقُ به التطفُ واليزدُ فتصيرُ حالاً للبدنِ المتكونِ عنها ، والنفسُ المتعلِّقةُ به الفائضةُ عليه المكتسبةُ لما لها منه ، ولما يقعُ النفسُ والبدنُ من الأحوالِ ، لأنَّ كَيْفِيَّاتِ البزرةِ والتطفةِ كَيْفِيَّاتٌ لما يتولدُ عنهما وينشأُ منهما . قال وهو مع ذلك ظنِّي وليسَ من اليقينِ في شيءٍ وليسَ هو أيضاً من القضاءِ الإلهيِّ يعني القدرَ ، إنَّما هو من جملةِ الأسبابِ الطبيعيَّةِ للكائنِ ، والقضاءُ الإلهيُّ سابقٌ على كل شيءٍ . هذا مُحصلُ كلامِ بطليموسَ وأصحابيه ، وهو منصوصٌ في كتابه الأربعِ وغيره . ومنه يتبيَّنُ ضعفُ مدركِ هذه الصِّناعةِ . وذلك أنَّ العلمَ الكائنَ أو الظنَّ به إنَّما يحصلُ عن العلمِ بِجَمَلَةِ أسبابِهِ من الفاعِلِ والقابلِ والصورةِ والغايةِ ، على ما تبيَّنَ في موضعه . والقوى النجوميةُ على ما قرَّره إنَّما هي فاعلةٌ فقط والجزءُ المنصريُّ هو القابلُ . ثم إنَّ القوى النجوميةَ ليست هي الفاعِلُ بِجَمَلَتِها ، بل هناك قوى أخرى فاعلةٌ معها في الجزء الماديِّ مثلُ قوى التوليدِ للأبِّ والنوعِ التي في التطفةِ ، وقوى الخاصَّةِ التي تميِّزُ بها صنفٌ صنفٌ من النوعِ وغير ذلك .

فالقوى النجوميةُ إذا حصلَ كمالُها وحصلَ العلمُ فيها ، إنَّما هي فاعِلٌ واحدٌ من جملةِ الأسبابِ الفاعلةِ للكائنِ . ثم إنه يشترطُ مع العلمِ بقوى النجومِ وتأثيراتها مزيدُ حُسنٍ وتخيُّمٍ ، وحينئذٍ يحصلُ عنده الظنُّ بوقوعِ الكائنِ . والحُسنُ والتخيُّمُ قوىٌ للتأخُّرِ في فكره وليسَ من عللِ الكائنِ ولا من أصولِ الصِّناعةِ ، فإذا فُقدَ

هذا الحسُّ والتَّخمينُ رجعت ادراجها عن الظنِّ إلى الشكِّ . هذا إذا حصل العلمُ بالقوى النُّجوميَّةِ على سدادِهِ ولم تعترضهُ آفةٌ ، وهذا معوزٌ لما فيه من معرفة حساباتِ الكواكبِ في سيرها لتُعرفَ به أوضاعُها ، ولما أن اختصاصَ كلِّ كوكبٍ بقوةٍ لا دليل عليه .

ومدرِكُ بطليموسَ في إثباتِ القوى للكواكبِ الخمسة بقياسها إلى الشمسِ مدرِكٌ ضعيفٌ ، لأنَّ قوَّةَ الشمسِ غالبَةٌ لجميعِ القوى من الكواكبِ ، ومستوليةٌ عليها ؛ فقلَّ أن يُشعرَ بالزيادةِ فيها أو التَّقصانِ منها عند المقارنَةِ كما قال ، وهذه كُلُّها قاذحةٌ في تعريفِ الكائناتِ الواقِعَةِ في عالمِ العناصرِ بهذه الصناعة . ثم إنَّ تأثيرَ الكواكبِ فيما تحتها باطلٌ ، إذ قد تبَيَّنَ في بابِ التوحيدِ أن لا فاعِلَ إلا اللهُ ، بطريقِ استدلالِيٍّ كما رأيته . واحتجَّ له أهلُ علمِ الكلامِ ، بما هو غنيٌّ عن البيانِ ، من أن إسنادَ الأسبابِ إلى المسبَّباتِ مجهولُ الكيفيَّةِ ، والعقلُ متهمٌ على ما يقضي به فيما يظهرُ بادئِ الرأي من التأثيرِ ، فلعلَّ استنادَها على غير صورةِ التأثيرِ المتعارفِ . والقدرةُ الآلَمِيَّةُ رابطةٌ بينها كما ربطت جميعَ الكائناتِ علوًّا وسفلاً ، سيما والشرعُ يردُّ الحوادثَ كُلَّها إلى قدرِ الله تعالى ويرأى مما سوى ذلك .

والنبوءاتُ أيضاً منكرةٌ لشأنِ النُّجومِ وتأثيراتها . واستقرَّاه الشَّرِعاتُ شَاهِدٌ بذلك في مثلِ قوله : إِنَّ الشَّمْسَ والقَمَرَ لَا يُخَسِّفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، وفي قوله : أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ

بي وكافرٌ بي . فأمّا من قال مُطَرَّباً بفضله . الله ورحمته فذلك مؤمنٌ  
 في كافرٌ بالكواكب ، وأمّا من قال مُطَرَّباً بنوء كذا فذلك كافرٌ  
 بي مؤمنٌ بالكواكب ، الحديثُ الصحيح .

فقد بان لك بطلانُ هذه الصنّاعة من طريقِ الشرع ، وُضعفُ  
 مدارِكها مع ذلك من طريقِ العقل ، مع ما لها من المضارِّ في  
 العمرانِ الإنسانيِّ ، بما تبعثُ في عقائدِ العوامِّ من الفسادِ إذا اتّفقَ  
 الصديقُ من أحكامها في بعضِ الأحيان اتفاقاً لا يرجعُ إلى تعليلٍ  
 ولا تحقيقٍ ، فيلجُ بذلك من لا معرفةَ له ، ويطنُّ أطرادَ الصديقِ  
 في سائرِ أحكامها وليسَ كذلك . فيقعُ في ردِّ الأشياءِ إلى غيرِ  
 خالقها . ثم ما ينشأ عنها كثيراً في الدولِ من توثُّعِ القواطعِ ، وما  
 يبعثُ عليه ذلك التوثُّعُ من تطاولِ الأعداءِ المتربِّصينَ بالدولةِ إلى  
 الفتكِ والثوَدِ . وقد شاهدنا من ذلك كثيراً فينبغي أن تُحظَرَ هذه  
 الصنّاعةُ على جميعِ أهلِ العمرانِ ، لما ينشأ عنها من المضارِّ في  
 الدينِ والدولِ ، ولا يقدحُ في ذلك كونُ وجودِها طبيعياً للبشرِ  
 بمقتضى مدارِكهم وعُلُومهم . فالخيرُ والشرُّ طبيعتانِ موجودتانِ في  
 العالمِ لا يمكنُ رُزْعُهما ، وإِنما يتعلّقُ التكليفُ بأسبابِ حُصولِهما ،  
 فيتعيَّنُ السعيُّ في اكتسابِ الخيرِ بأسبابِهِ ودفعِ أسبابِ الشرِّ والمضارِّ .  
 هذا هو الواجبُ على مَنْ عَرَفَ مفاصدَ هذا العلمِ ومضارَّهُ .

وَلْيُعَلِّمْ مِنْ ذَلِكَ أَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ صَحِيحَةً فِي نَفْسِهَا ، فَلَا يُمْكِنُ  
 أَحَدًا مِنْ أَهْلِ الْمِلَّةِ تَحْصِيلُ عِلْمِهَا وَلَا مَلَكَتِهَا ، بَلْ إِنْ نَظَرَ فِيهَا  
 نَاطِرٌ وَظَنَّ الْإِحَاطَةَ بِهَا فَهُوَ فِي غَايَةِ الْقُصُورِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ . فَإِنَّ

الشريعة لما حظرت النظر فيها فقد الاجتماعُ من أهل العمران لقراءتها والتحقيق لتعليمها، وصار المولعُ بها من الناس، وهم الأقلُّ وأقلُّ من الأقلِّ، إنما يطالعُ كتبها ومقالاتها في كسر بيته متسيراً عن ناسٍ وتحت ربة الجمهور، مع تشعب الصناعة وكثرة فروعها واعتياصها على الفهم، فكيف يحصلُ منها على طائل؟

ونحن نجدُ الفقه الذي عمَّ نفعه ديناً ودنياً وسهلت مآخذه من الكتاب والسنة وعكف الجمهورُ على قراءته وتعليمه، ثم بعد التحقيق والتجميع وطول الدراسة وكثرة المجالس وتمذُّبها، إنما يَنفِقُ فيه الواحدُ بعد الواحد في الأعصار والأجيال، فكيف يُعلمُ هجورُ للشريعة، مضروبٌ دونه سدُّ النظر والتحرير، مكتومٌ عن الجمهور، صعبُ المأخذ، محتاجٌ بعد الممارسة والتحصيل لأصوله وفروعه إلى مزيدِ حدسٍ وتخمينٍ يكتنفان به من الناظر، فأين التحصيلُ والخلقُ فيه مع هذه كلها. ومدعي ذلك من الناس مردودٌ على عقبيه ولا شاهدَ له يقومُ بذلك لرابية الفن بين أهل الملة وقلة حلت به، فاعتبر ذلك يتبين لك صحة ما ذهبنا إليه. والله أعلم بالغيب فلا يُظهِرُ على غيبه أحداً.

وما وقع في هذا المعنى لبعض أصحابنا من أهل العصر عندما غلب العربُ عساكرَ السلطان أبي الحسن وحاصروه بالقاهرة وكثر إرجافُ الفريقين الأولياء والاعداء، وقال في ذلك أبو القاسم الروحيُّ من شعراء أهل تونس:

أَسْتَفِيرُ اللَّهَ كُلَّ حِينٍ  
أَصْبَحُ فِي تُونِسَ وَأُمْسِي  
الْخَوْفُ وَالْجُوعُ وَالْمَنَايَا  
وَالنَّاسُ فِي يَرْيَقَ وَحَرْبٍ  
فَأَحْمَدِي يَرَى عَلِيًّا  
وَأَخْرُ قَالَ سَوْفَ يَأْتِي  
وَاللَّهُ مِنْ فَوْقِ ذَا وَهَذَا  
يَا رَايِدَ الْخَيْلِ الْجَوَارِي  
مَطْلُثُمُونَا وَقَدْ زَعَمْتُمْ  
مُرَّ خَيْسٌ عَلَى خَيْسٍ  
وَنِصْفُ شَهْرٍ وَعُشْرُ ثَانٍ  
وَلَا زِي غَيْرَ زَوْرٍ قَوْلِي  
إِنَّا إِلَى اللَّهِ قَدْ عَلِمْنَا  
رَضِيْتُ بِاللَّهِ لِي إِلَهًا  
مَا هَذِهِ الْأَنْجُمُ السَّوَارِي  
يُقْضَى عَلَيْهَا وَلَيْسَ تَقْضَى  
صَلَّتْ عَقُولُ تَرَى قَدِيمًا  
وَحَكَمْتُ فِي الْوُجُودِ طَبْعًا  
لَمْ تَرَ حُلُومًا إِذَا مَرَّ  
اللَّهُ رَبِّي وَلَسْتُ أَدْرِي

قَدْ ذَهَبَ الْعَيْشُ وَالْمَنَاءُ  
وَالصُّبْحُ لِلَّهِ وَالْمَسَاءُ  
يُحْدِثُهَا الْهَرَجُ وَالْوَبَاءُ  
وَمَا عَسَى يَنْفَعُ الْمَرَاءُ  
حَلَّ بِهِ الْهَلَكُ وَالْتَوَاءُ  
بِهِ إِلَيْكُمْ صَبًا رِخَاءُ  
يَقْضَى لِعَبْدِيهِ مَا يَشَاءُ  
مَا قَطَعْتَ هَذَا السَّهَاءُ  
أَنْتُمْ الْيَوْمَ أَمْلِيَاءُ  
وَجَاءَ سَبْتُ وَأَرْبَعَاءُ  
وَذَلِكَ ضَمُّ الْقَضَاءُ  
أَذَلِكَ جَهْلٌ أَمْ إِذْذَرَاءُ  
أَنْ لَيْسَ يُسْتَدْفَعُ الْقَضَاءُ  
حَسْبُكُمْ الْبَدْرُ أَوْ ذُكَا  
إِلَّا عِبَادِيْدُ أَوْ إِمَاءُ  
وَمَالُهَا فِي الْوَرَى اقْضَاءُ  
مَا شَأْنُهُ الْجُرْمُ وَالْفَنَاءُ  
يُحْدِثُهُ الْمَاءُ وَالْهَوَاءُ  
تَغْدُوهُمْ تَرْبَةً وَمَاءُ  
مَا الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ وَالْخَلَاءُ

ولا أَلْيُولَى التي تُنادي      ماليَ عن صورِهِ عَراه  
 ولا وُجُودٌ ولا انْعِدَامٌ      ولا ثُبُوتٌ ولا انْتِفَاءٌ  
 ولستُ أدري ما الكسبُ إلا      ما جَلَبَ البَيْعُ والشِّراءُ  
 وإِنَّمَا مَذْهَبِي وديني      ما كَانَ والنَّاسُ أَوْلِياءُ  
 إذ لا فِصُولٌ ولا أَصُولٌ      ولا جِدَالٌ ولا ارْتِياءُ  
 ما تَبَعَ الصِّدْرُ<sup>(١)</sup> واقْتَفَيْنَا      يا حَبِذا كَانَ الاقْتِفَاءُ  
 كَانُوا كما يَعْلَمُونَ منهم      ولم يَكُنْ ذَلِكَ المُدَّاءُ  
 يا أَشْمَرِي الزَّمانِ إِنِّي      أَشْمَرِي الصَّيْفُ وَالشِّتَاءُ  
 أَنَا أَجْزِي بِالشَّرِّ شَرًّا<sup>(٢)</sup>      وَلِخَيْرٍ عَنِ مِثْلِهِ جَزَاءُ  
 وَإِنِّي إِن أَسْكَنْ مُطِيعاً      فَلَسْتُ أَعْصِي وَلِي رِجَاءُ  
 وَإِنِّي تَحْتَ حُكْمِ بَارٍ      أَطَاعَهُ العَرْشُ وَالنَّزَاءُ  
 لَيْسَ انْتِصَارٌ لَكُمْ وَلَكِنْ      أَتَّاحَهُ الحُكْمُ والقَضَاءُ  
 لَوْ حُدِثَ الْأَشْمَرِيُّ مِنْ      لَهُ إِلَى رَأْيِهِ انْتِمَاءُ  
 لَقَالَ أَخْبِرْهُمْ بِأَنِّي      مِمَّا يَقُولُونَهُ بَرَاءُ

(١) يقصد به صدر الإسلام.

(٢) في نسخة أخرى: ولم أجز بالشَّرِّ غير شره وهو أصح من ناحية الوزن.

## الفصل الثالث والثلاثون

في انكار ثمة للكبيد، واستحالة وجودها  
وما ينشأ من الفاسد عن اتحدالها

اعلم ان كثيراً من العاجزين عن معاشيهم تحيلهم المطامع على انتحال هذه الصنائع، ويرون أنها أحد مذاهب المعاش ووجوهه وأن اقتناء المال منها أيسر وأسهل على مبتغيه؛ فيتركبون فيها من المتاعب والمشاق ومعاناة الصعاب وعسف الحكام وخسارة الأموال في النفقات، زيادة على النيل من غرضه والعطية آخراً إذا ظهر على خيبة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. وإنما أطمعهم في ذلك رؤية أن المعادن تستحيل وينقلب بعضها إلى بعض للمادة المشتركة؛ فيحاولون بالعلاج صيرورة الفضة ذهباً والنحاس والقصدير فضة، ويحسبون أنها من إمكانيات عالم الطبيعة، ولهم في علاج ذلك طرق مختلفة لاختلاف مذاهبهم في التدبير وصورته وفي المادة الموضوعية عندهم للعلاج، المسماة عندهم بالبحر المكرم هل هي المدة أو الدم أو الشعر أو البيض أو كذا أو كذا مما سوى ذلك.

وجملة التدبير عندهم بعد تعيين المادة أن تمهي بالقهر على حجرة صلبة أملس وتُسقى أثناء إصابتها بالماء، بعد أن يضاف إليها من العقاقير والأدوية ما يُناسب القصد منها، ويؤثر في انقلابها إلى



المعدن المطلوب . ثم تجفف بالشمس من بعد السقي أو تطبخ بالنار أو تصمد أو تكلس لاستخراج ماها أو ترابها . فإذا رضي بذلك كله من علاجها وتم تدبيره على ما اقتضته أصول صنعه ، حصل من ذلك كله تراب أو مانع يسونه الأكسير ، ويؤمن أنه إذا أُلقي على الفضة المحلاة بالنار عادت ذهباً ، أو النحاس الحمى بالنار عاد فضة على حسب ما قصد به في عمله .

ويؤمن المحققون منهم أن ذلك الأكسير مادة مركبة من العناصر الأربع ، حصل فيها بذلك العلاج الخاص والتدبير بزاج ذو قوى طبيعية تصرف ما حصلت فيه إليها ، وتقلبه إلى صورتها ومزاجها ، وتثبت فيه ما حصل فيها من الكيفيات والقوى ، كالخبرة للخبز ، قلب العجين إلى ذاتها وتعمل فيه ما حصل لها من الانفاس والمباشية ، ليحسن هضمه في المعدة ويستحيل سريعاً إلى الغذاء . وكذا أكسير الذهب والفضة فيما يحصل فيه من المعادن ، يصرفه إليها ويقلبه إلى صورتها .

هذا محصل زعيمهم على الجملة ، فتجددهم عاكفين على هذا العلاج يتفنون الرزق والمأش فيه ، ويتناقلون أحكامه وقواعده من كتب لأئمة الصناعة من قبلهم يتداولونها بينهم ، ويتناقلون في فهم لغزها وكشف أسرارها ، إذ هي في الأكثر شبة المسمى . ك تأليف جابر بن حيان في رسائله السبعين ، ومسلّة الجبريطي في كتابه رتبة الحكيم ، والطبرائي والمنبري في قصائدهم العريفة في إجادة النظم وأمثالها ، ولا يحلون من بعد هذا كله بطائل منها .

فاوُضْتُ يوماً شيخنا أبا البركاتِ التلْفِيْفِيَّ ، كَبِيرَ مَشِيخَةِ  
الْأَنْدَلُسِ في مثل ذلك ووقفْتُ على بعضِ التَّأْلِيفِ فيها ؛ ففصَحْتُه  
طويلاً ، ثم رَدُّهُ إِلَيَّ وقال لي ، وأنا الضَّامِنُ له أن لا يعودَ إلى بيته  
إلا بِالْحَبِيْبَةِ . ثم منهم من يقتصرُ في ذلك على الدَّلْسَةِ فقط . إما  
الظَّاهِرَةُ ، كتمويه الفِضَّةِ بِالذَّهَبِ ، أو النُّحَاسِ بِالْفِضَّةِ أو خَلْطُهَا  
على نسبةِ جزءٍ أو جزأَيْنِ أو ثلاثةٍ ؛ أو الحَقِيقَةُ كالتقاءِ الشَّبهِ بين  
المعادِنِ لصناعتِهِ ، مثل تبييضِ النُّحَاسِ وتليينه بِالزُّوقِ الْمُصْعَدِ ،  
فيجْبِيهِ جِسمًا معدنيًّا شبيهاً بِالْفِضَّةِ ، ويغْنِيهِ إِلَّا على النَّقَادِ المَهْرَةِ ؛  
فيَقْدِرُ أَصْحَابُ هذه الدَّلْسِ ، مع دُلْسَتِهِمْ<sup>(١)</sup> هذه ، سَكَّةً يَسْرِبُونَهَا  
في النَّاسِ ويطعمونها بِطَائِعِ السُّلْطَانِ تَمْوِيهاً على الْجُهورِ بِالْخِلَاصِ .  
وهؤلاءِ أَخْسَرُ النَّاسِ حِرْفَةً وَأَسْوَأُهُمْ عَاقِبَةً لَتَلْبِسَهُمْ بِسَرَقَةِ أَمْوَالِ  
النَّاسِ ؛ فَإِنَّ صَاحِبَ هذه الدَّلْسَةِ إِنَّمَا هو يَدْفَعُ نَحَاساً في الفِضَّةِ  
وَفِضَّةً في الذَّهَبِ ، لِيَسْتَخْطِصَهَا لِنَفْسِهِ ؛ فَهو سَارِقٌ وَأَشْرٌ مِنَ السَّارِقِ .

ومعظمُ هذا الصَّنَفِ لدينا بِالْمَغْرِبِ من طَلَبَةِ الْبَرِّيرِ الْمُتَنَبِّذِينَ  
بِأَطْرَافِ الْقِيَاعِ وَمَسَاكِينِ الْأَنْغَارِ ، يَأْوِنُونَ إِلَى مَسَاجِدِ الْبَادِيَةِ  
وَيَمُوتُوهُنَّ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، بَأَنَّ بَأْيَدِيَهُمْ صِنَاعَةَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ،  
وَالنَّفُوسُ مَوْلَعَةٌ بِجَمِّهَا وَالِاسْتِهْلَاكُ فِي طَلَبِهَا ، فَيَحْصِلُونَ مِنْ ذَلِكَ  
على معاشِهِمْ . ثم يَبْقَى ذَلِكَ عِنْدَهُمْ تَحْتَ الْخَوْفِ وَالرَّقَبَةِ ، إِلَى أَنْ  
يُظْهَرَ الْعَجْزُ وَتَقَعِ الْفُضِيحَةُ ، فَيَفْرُتُونَ إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ ، وَيَسْتَجِدُّونَ

(١) في لسان العرب: الدلس (بفتح الدال ومكون اللام): الخليعة والدلسة (بضم الدال)  
الظلمة.

حالاً أخرى في استهواء بعض أهل الدنيا باطاعهم فيما لديهم . ولا يزولون كذلك في ابتغاء معاشهم . وهذا الصنف لا كلام معهم ، لأنهم بلغوا الغاية في الجهل والرداءة والاحتراف بالسرقة ؛ ولا حاسم لعليهم إلا اشتداد الحكماء عليهم ، وتناولهم من حيث كانوا ، وقطع أيديهم متى ظهروا على شائهم ، لأن فيه إفساداً للسكة التي تعم بها البلوى ، وهي متمول الناس كافة . والسلطان مكلف بإصلاحها والاحتياط عليها والاشتداد على مفسديها . وأما من انتحل هذه الصناعة ، ولم يرض بجال الدلسة ؛ بل استكف عنها وزه نفسه عن إفساد سكة المسلمين ونفوذهم ، وإنما يطلب إحالة الفضة للذهب ، والراسخ والنحاس والقصدير إلى الفضة بذلك الحو من العلاج ، وبالاكسير الحاصل عنده ؛ فلنا مع هؤلاء متكلم ويبحث في مداركهم لذلك . مع أنا لانعلم أن أحداً من أهل العلم تم له هذا الغرض أو حصل منه على بغيه . إنما تذهب أعمارهم في التدبير والفهر<sup>(١)</sup> والصلابة والتصميد والتكليس واعتيام الأخطار يجمع العقاقير والبحث عنها . ويتناقلون في ذلك حكايات وقعت لغيرهم ، ممن تم له الغرض منها أو وقف على الوصول ، يقنعون باستماعها والمفاوضة فيها ؛ ولا يسترهبون في تصديقها ، شأن الكلفين المغمرين بوساوس الأخبار فيما يكلفون به ، فإذا سئلوا عن تحقيق ذلك بالمأينة أنكروه ، وقالوا إنما سمعنا ولم نر . هكذا شأنهم في كل عصر وجيل .

(١) في لسان العرب : الفهر : الحجر قدر ما يلقى به الجوز ونحوه ، وقيل هو حجر بلا الكف . وقد استعملت هنا فعلاً ، بمعنى النق .

واعلم أن انتحال هذه الصنعة قديم في العالم ، وقد تكلم الناس فيها من المتقدمين والمتأخرين . فلنقل مذاهيرهم في ذلك ، ثم نلوه بما يظهر فيها من التحقيق الذي عليه الأمر في نفسه ، فنقول : إن مبنى الكلام في هذه الصناعة عند الحكماء على حال المعادن السبعة المنطوقة ، وهي الذهب والفضة والرصاص والقصدير والنحاس والحديد والخرصين : هل هي مختلفات بالفصول ، وكلها أنواع قائمة بأنفسها ، أو أنها مختلفة بخواص من الكيفيات ، وهي كلها أصناف لنوع واحد ؟ فالذي ذهب إليه أبو نصر الفارابي ، وتابته عليه حكماء الاندلس أنها نوع واحد ، وأن اختلافها إنما هو بالكيفيات ، من الرطوبة واليوسة واللين والصلابة والألوان ، من الصفرة والبياض والسواد ، وهي كلها أصناف لذلك النوع الواحد . والذي ذهب إليه ابن سينا ، وتابته عليه حكماء المشرق ، أنها مختلفة بالفصول ، وأنها أنواع متباينة ، كل واحد منها قائم بنفسه متحقق بحقيقته ، له فصل وجنس شأن سائر الأنواع . وبنى أبو نصر الفارابي على مذهبه في اتفاقها بالنوع إمكان انقلاب بعضها إلى بعض ، لإمكان تبديل الأغراض حينئذ وعلاجها بالصنعة . فمن هذا الوجه كانت صناعة الكيمياء عنده ممكنة سهلة المأخذ . وبنى أبو علي ابن سينا على مذهبه في اختلافها بالنوع انكاز هذه الصنعة واستحالة وجودها ، بناء على أن الفصل لا سبيل بالصناعة إليه ، وإنما يخلقها خالق الأشياء ومقدرها وهو الله عز وجل . والفصول بجهولة الحقائق رأساً بالتصور ، فكيف يحاول انقلابها

بالصنعة . وغلطة الطرانيُّ من أكابر أهل هذه الصناعة ي هذا القول . وردَّ عليه بأنَّ التدبيرَ والعلاجَ ليسَ في تخليقِ الفصلِ وابداعِهِ ، إنما هو اعداد المادَّةِ لقبوله خاصَّة . والفصلُ يأتي من بعد الإعدادِ من لدن خالقِهِ وبارئِهِ ، كما يفيضُ النورُ على الأجسامِ بالصقلِ والإهاء .

ولا حاجة بنا في ذلك الى تصوُّرِهِ ومعرفته ، قال : « وإذا كنا قد عثرنا على تخليقِ بعضِ الحيواناتِ ، مع الجهلِ بفصولها ، مثل المقربِ من الترابِ والنَّثَرِ ، ومثل الحياتِ المتكوِّنة من الشعرِ ، ومثل ما ذكَّره أصحابُ الفلاحة من تكوينِ النحلِ إذا فقدت من عجاجيلِ البقرِ . وتكوينِ القصبِ من قُرونِ ذواتِ الظِّلْفِ وتصييره سكرًا بحشورِ القرونِ بالمسَلِ بين يدي ذلك الفلحِ للقرونِ ؛ فما المانعُ إذا من العثورِ على مثلِ ذلك في الذهبِ والفضَّةِ ؟ فتتخذُ مادَّةً تضيئُها للتدبيرِ بعد أن يكونَ فيها استعدادُ أوَّلِ لقبولِ صوَرَةِ الذهبِ والفضَّةِ . ثم تحاولُ بالعلاجِ الى أن يتمَّ فيها الاستعدادُ لقبولِ فصلها . انتهى كلامُ الطرانيِّ بمناء . وهذا الذي ذكره في الردِّ على ابن سينا صحيحٌ . لكن لنا في الردِّ على أهلِ هذه الصناعة ، مأخذاً آخرَ يتَّينُ منه استحالةُ وجودها وبطلانُ مزعمهم أجمعين ، لا الطراني ولا ابنُ سينا . وذلك أن حاصلَ علاجهم أنهم بعد الوقوفِ على المادَّةِ المستعدَّةِ بالاستعدادِ الأوَّلِ يحملونها موضوعاً ويمجِّزونَ في تدبيرها وعلاجها تدبيرَ الطبيعةِ في الجسمِ المعلينيِّ حتى إحالتها ذهباً أو فضَّةً ، ويضاعفون القوى

الفاعلة والمفعلة ليتم في زمانٍ أقصر . لأنه تبين في موضعه أن مضاعفة قوة الفاعل تنقص من زمن فعله ، وتبين أن الذهب إنما يتم كونه في معدنه بعد ألف وثمانين من السنين ، دورة الشمس الكبرى . فإذا تضاعفت القوى والكيفيات في العلاج كان زمن كونه أقصر من ذلك ضرورة على ما قلناه أو يتحررون بعلاجهم ذلك حصول صورته مزاجية لتلك المادّة تُصيرها كالخبر ، فتفعل في الجسم المألج الأفاعيل المطلوبة في إحالته ، وذلك هو الاكسير على ما تقدّم .

واعلم أن كل متكوّن من المولدات العنصرية ، فلا بد فيه من اجتماع العناصر الأربعة على نسبة متفاوتة ، إذ لو كانت متكافئة في النسبة لما تم امتزاجها ، فلا بد من الجزء الغالب على الكل . ولا بد في كل ممتزج من المولدات من حرارة غريزية ، هي الفاعلة لكونه ، الحافظة لصوريته . ثم كل متكوّن في زمان ، فلا بد من اختلاف أطواره وانتقاله في زمن التكوين من طور إلى طور ، حتى ينتهي إلى غايته . وانظر شأن الإنسان في طور النطفة ، ثم الملقّة ، ثم المضغة ، ثم التصوير ، ثم الجنين ، ثم المولود ، ثم الرضيع ، ثم إلى نهايته . ونسب الأجزاء في كل طور يختلف في مقاديرها وكيفياتها ، وإلا لكان الطور بعينه الأول هو الآخر ، وكذا الحرارة الغريزية في كل طور بخلافها في الطور الآخر . فانظر إلى الذهب ما يكون له في معدنه من الأطوار منذ ألف سنة وثمانين ، وما ينتقل فيه من الأحوال ، فيحتاج صاحب

الكيمياء إلى أن يساوَقَ فعل الطبيعة في المعين ، ويجاذِبُهُ بتدبيره وعلاجه إلى أن يتم .

ومن شرط الصناعة أبداً تصوُّرُ ما يُقصدُ إليه بالصنعة . فن  
الأمثال السائرة للحكباء : أوَّلُ العملِ آخِرُ الفِكْرَةِ ، وآخرُ الفِكْرَةِ  
أوَّلُ العملِ . فلا بدُّ من تصوُّرِ هذه الحالاتِ للذهب في أحواله  
المتعدِّدة ونسبها المتفاوتة في كل طور ، واختلافِ الحارِّ الغريزي  
عند اختلافها ومقدار الزمان في كل طور وما ينوبُ عنه من مقدار  
القوى المضاعفة ، ويقومُ مقامه حتى يجاذِبَ بذلك كَلِّه فعل الطبيعة  
في المعين أو تُعدُّ لبعض الموادِّ صورةً مزاجيةً تكون كصورة  
الخبرة للخبر ، وتفعلُ في هذه المادَّةِ بالناسبة لخواصها ومقاديرها .  
وهذه كلها إنما يحصرُها العلمُ المحيطُ ، والمُؤمُّ البشريُّ قاصرةٌ عن  
ذلك . وإنا حالٌ من يدَّعي حصوله على الذهب بهذه الصنعة بمثابة  
من يدَّعي بالصنعة تخليق إنسانٍ من المني . ونحن إذا سلَّمنا له  
الإحاطة بأجزائه ونسبته وأطواره وكيفية تخليقه في رحمهِ ، وعلم  
ذلك علماً محصلاً بتفاصيله ، حتى لا يشذَّ منه شيءٌ عن علمهِ ، سلَّمنا  
له تخليقَ هذا الإنسانِ ، وأتى له ذلك ١١

ولنقربَ هذا البرهانَ بالاختصارِ ليسهلَ فهمه فنقول : حاصلُ  
صناعة الكيمياء ، وما يدعونه بهذا التدبير أنه مساوقةُ الطبيعة  
المعدنية بالفعل الصناعي ، ومحاذايتها به ، إلى أن يتمَّ كونُ الجسمِ  
المعينيِّ ، أو تخليقُ مادَّةٍ بقوى وأفعالٍ وصورةٍ مزاجيةٍ تفعلُ في  
الجسمِ فعلاً طبيعياً فتصيرُهُ وتقلِّبُهُ إلى صورتها . والفعلُ الصناعيُّ

مسبوق بتصورات أحوال الطبيعة المعدنية ، التي يقصدُ مساوقتها أو محاذاتها ، أو فتلَ المادة ذات القوى فيها ، تصوراً مفصلاً وإحدة بعد أخرى . وتلك الأحوال لا نهاية لها ، والعلمُ البشري عاجزٌ عن الإحاطة بما دونها ، وهو بمثابة من يقصدُ تخليقَ إنسانٍ أو حيوانٍ أو نباتٍ .

هذا يحصلُ هذا البرهان وهو أوثقُ ما علمتُهُ ، وليست الاستحالة فيه من جهة الفصول كما رأيتُهُ ولا من الطبيعة ، إنما هو من تمذير الإحاطة وقصور البشر عنها . وما ذكره ابنُ سينا بعزلٍ عن ذلك ، وله وجهٌ آخرُ في الاستحالة من جهة غايته . وذلك أن حكمة الله في التجريب ، وتدويرها أنهما قيمٌ لمكاسب الناس ومتمولاتهم . فلو حصلَ عليهما بالصنعة لبطلت حكمة الله في ذلك ، ولكثر وجودهما حتى لا يحصلَ أحدٌ من اقتنائها على شيء . وله وجهٌ آخرُ من الاستحالة أيضاً ، وهو أن الطبيعة لا تتركُ أقربَ الطرقِ في أفعالها وترتكبُ الأعوصَ والأبعدَ . فلو كان هذا الطريقُ الصناعي الذي يُزعمون أنه صحيحٌ ، وأنه أقربُ من طريق الطبيعة في معدنيها وأقلُ زماناً ، لما تركته الطبيعة إلى طريقها الذي سلكته ، في كونِ القصةِ والذهبِ وتخلُّفهما . وأما تشبيه الطَّنْرائي هذا التدوير بما عُثرَ عليه من مفرداتِ لأمثاله في الطبيعة كالتقريب والنحل والحية وتخليقها ، فأمرٌ صحيحٌ في هذه أدى إليه العثورُ كما زعم . وأما الكيمياء فلم يُثقلَ عن أحده من أهل العلم أنه عثر عليها ولا على طريقها ، وما زالَ متحلوها يخطون فيها خبطَ عشواء إلى هلمَّ جراً ،



ولا يظفرون إلا بالحكايات الكاذبة . ولو صحَّ ذلك لأحد منهم لحفظه عنه أولاده أو تلميذه وأصحابه ، وتنوّل في الأصدقاء وضمن تصديقه صحة العمل بعده إلى أن ينتشر ويبلغ إلينا أو إلى غيرنا . وأما قولهم إن الأكسير بمثابة الحجرة وأنه مركّب يُحِلُّ ما يحصل فيه ويقلِّبه إلى ذلك ، فاعلم أن الحجرة إنما تقلِّب العجين وتبدِّله للهضم وهو فساد ، والفساد في المواد سهل يقع بأيسر شيء من الأفعال والطباع . والمطلوب بالأكسير قلب المعدن إلى ما هو أشرف منه وأعلى ، فهو تكوينٌ وصلاحٌ ، والتكوين أصعب من الفساد ، فلا يقاس الأكسير بالحجرة . وتحقيق الأمر في ذلك أن الكيمياء إن صحَّ وجودها كما ترعّم الحكماء التكلِّمون فيها ، مثل جابر بن حيّان ومسلمة بن أحمد الجريطي وأمثالهم ، فليست من باب الصنائع الطبيعية ، ولا تتمُّ بأمر صناعي . وليس كلامهم فيها من منحي الطبيعية ، إنما هو من منحي كلامهم في الأمور السحرية وسائر الخوارق ، وما كان من ذلك للعلاج وغيره ، وقد ذكر مسلمة في كتاب الغاية ما يشبه ذلك . وكلامه فيها في كتاب رتبة الحكم من هذا المنحى . وهذا كلام جابر في رسائله . ونحو كلامهم فيه معروف ولا حاجة بنا إلى شرحه . وبالجملة فأمرها عندهم من كليات المواد الخارجة عن حكم الصنائع . فكما لا يتدبّر ما منه الخشب والحيوان في يوم أو شهر خشباً أو حيواناً فيما عدا مجرى تخلّيقه ، كذلك لا يتدبّر ذهبٌ من مائة الذهب في يوم ولا شهر ولا يتغيّر طريق عادته إلا بإرفاده مما وراء عالم الطباع وعمل

الصنائع ، فكذلك من طلب الكيمياء طلباً صناعياً ضيّع ماله وعمله . ويقال لهذا التدبير الصناعي التدبير العقيم ، لأنّ نيّته إن كان صحيحاً فهو واقع بما وراء الطبائع والصنائع ، فهو كالشيء على الماء وامتطاء الهواء والنفوذ في كثائف الأجساد ، ونحو ذلك من كرامات الأولياء الخارقة للعادة ؛ أو . مثل تخليق الطير ونحوها من معجزات الأنبياء . قال تعالى ﴿ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ﴾ . وعلى ذلك فسبيل تيسيرها مختلف بحسب حال من يؤتاها . فربما أوتيتها الصالح ويوتيتها غيره ، فتكون عنده معارة . وربما أوتيتها الصالح ولا يملك إيتاءها ، فلا يتم في يد غيره .

ومن هذا الباب يكون عملها سحرياً ، فقد تبين أنها إنما تقع بتأثيرات النفوس وخوارق العادة إما معجزة أو كرامة أو سحراً . ولهذا كان كلام الحكماء كلهم فيها الغاراً ، لا يظفرو بحقيقته إلا من خاض لجة من علم السحر وأطلع على تصرفات النفس في عالم الطبيعة . وأمور خرق العادة غير منحصر ولا يقصد أحد إلى تحصيلها . والله بما يعملون محيط .

وأكثر ما يحيل على التماس هذه الصناعة وانتحالها هو كما قلناه العجز عن الطرقي الطبيعية للعاش ، وابتغاؤه من غير وجوده الطبيعية ، كالفلاحة والتجارة والصناعة ، فيستصعب العاجز ابتغاءه من هذه ، ويروم الحصول على الكثير من المال دفعةً بوجوده غير

طبيعية من الكيمياء وغيرها . وأكثر من يُعنى بذلك القُفراء من أهل الممران . وللناس أقوال كثيرة - حتى في الحكماء المتكلمين - في إنكارها واستحالتها . فإن ابن سينا القائل باستحالتها كان عليه الوزراء ، فكان من أهل الغنى والثروة ، والفارابي القائل بإمكانها كان من أهل الفقر الذين يُعوزهم أدنى بلغة من المعاش وأسبابه . وهذه تهمّة ظاهرة في أنظار النفوس المولعة بطريقها وانتحالها . والله الرزاق ، ذو القوة المتين ، لا ربّ سواه .

## الفصل الرابع والثلاثون

في أن كثرة التأليف في العلوم عائقة عن التحصيل

اعلم أنه مما أضرّ بالناس في تحصيل العلم والوقوف على غاياته كثرة التأليف واختلاف الاصطلاحات في التعليم ، وتعدّد طرقها ، ثم مطالبة المتعلم والتلميذ باستحضار ذلك . وحينئذ يسلم له منصب التحصيل ، فيحتاج المتعلم إلى حفظها كلّها أو أكثرها ومراعاة طرقها . ولا يفي عمره بما كتب في صناعة واحدة إذا تجرّد لها ، فيقع الفُصُول ولا بدّ دون رتبة التحصيل . ويمثل ذلك من شأن الفقه في المذهب المالكي بالكُتب المدوّنة مثلاً وما كتب عليها من الشروحات الفقيهة ، مثل كتاب ابن يونس واللمحي وابن بشير والتنبيهات والمقدمات والبيان والتحصيل على العتيقة ،

وكذلك كتاب ابن الحاجب وما كُتِبَ عليه . ثم إنه يحتاجُ إلى تمييز الطريقة الغيرَ وائِيَّة من الرُّطِيَّة والبغدادِيَّة والمصريَّة وطرق المتأخرين عنهم ، والاحاطة بذلك كله ، وحينئذ يُسَلَّم له منصبُ الفُتيا وهي كلها متكررة والمعنى واحد . والمتَلِّم مطالبُ باستحضار جميعها وتمييز ما بينها ، والمُمرُّ ينقضي في واحدٍ منها .

ولو اقتصرَ المُطَّعونَ بالمتَلِّمينَ على المسائل المذهبية فقط ، لكانَ الأمرُ دونَ ذلك بكثيرٍ ، وكان التعليمُ سهلاً ومأخذهُ قريباً ، ولكِنَّه داءٌ لا يرتفعُ لاستقرارِ الموائدِ عليه ، فصارت كالطبيعة التي لا يمكنُ نقلها ولا تحويلها . ويمثِّلُ أيضاً عِلْمُ الرِّيَّة من كتاب سيديويه ، وجميع ما كُتِبَ عليه ، وطرقِ البصريين والكوفيَّين والبغداديين والأندلسيين من بعدهم ، وطرقِ المتقدمين والمتأخرين مثل ابنِ الحاجب وابنِ مالك وجميع ما كُتِبَ في ذلك . وكيف يطالبُ به المتَلِّمُ ، وينقضي عمرُهُ دونه ، ولا يطمعُ أحدٌ في الفاية منه إلا في القليلِ النادرِ ؟ مثل ما وصلَ إلينا بالمغرب لهذا العهد ، من تأليفِ رجلٍ من أهل صناعة الرِّيَّة من أهل مصر يُعرفُ بابن هشام ، ظهرَ من كلامه فيها انه استولى على غاية من مملكة تلك الصِناعة ، لم تحصلُ إلا لسيديويه وابن جني وأهل طبعتيها ، لعظم ملكيته وما أحاطَ به من أصول ذلك الفن وتقاريره وحسن تصرفه فيه . وظلَّ ذلك على أنَّ الفضلَ ليس منحصراً في المتقدمين ، سيَّما مع ما قُتِمناه من كثرةِ الشواغِبِ بتملُّك المذاهب والطُرُق والتأليفِ ، ولكنَّ فضلَ الله يُؤتيه من يشاء . وهذا تأدُّ من فواجب

الوجود ، وإلا فالظاهرُ أَنَّ التعلّم ولو قطعَ عمره في هذا كَلِه ، فلا يفي له بتحصيل علم الرئية مثلاً الذي هو آلة من الآلات ووسيلة ، فكيف يكون في المقصود الذي هو الشرة ؟ ولكن الله يهدي من يشاء .

## الفصل الخامس والثلاثون

في المقاصد التي ينبغي اعتمادها بالتأليف ، وما سبقتها

إعلم أَنَّ العلومَ البشرية خزانة النفس الإنسانية بما جعل الله فيها من الإدراك الذي يفيدها ذلك الفكر المحصل لها ذلك بالتصور للحقائق أولاً ، ثم بآليات الموارض الذاتية لها أو نفيا عنها ثانياً ؛ إما بغير وسط أو بوسط ، حتى يستنتج الفكر بذلك مطالبه التي يعنى بإثباتها أو نفيا . فإذا استقرت من ذلك صورة علمية في الضمير فلا بد من بيانها لآخر : إما على وجه التعليم ؛ أو على وجه المفاوضة ؛ تصقل الأفكار في تصحيحها . وذلك البيان إنما يكون بالعبارة ، وهي الكلام المركب من الألفاظ النطقية التي خلقها الله في عضو اللسان مركبة من الحروف ، وهي كفيات الأصوات المقطعة بعضلة اللهاة واللسان ليتبين بها ضائر المتكلمين بعضهم لبعض في مخاطبتهم وهذه رتبة أولى في البيان عما في الضائر ، وإن كان معظمها وأشرها العلوم ، فهي شاملة لكل ما يندرج في الضمير من خبر أو إنشاء على العموم . وبعد هذه الرتبة الأولى من البيان

رتبة ثانية يؤدي بها ما في الضمير ، لمن توارى أو غاب شخصه  
وبعد ؛ أو لمن يأتي بعد ولم يعاصره ولا لقيه . وهذا البيان منحصر  
في الكتابة ، وهي رقوم باليد تدلُّ أشكالها وصورها بالتواضع على  
الألفاظ النطقية حروفاً بحروفه وكلمات بكلمات ؛ فصار البيان  
فيها على ما في الضمير بواسطة الكلام المنطقي ، فلهذا كانت  
في الرتبة الثانية واحداً ؛ فسمي هذا البيان . يدل على ما في  
الضماير من العلوم والمعارف ، فهو أشرفها . وأهل الفنون معتنون  
بايداع ما يحصل في ضمايرهم من ذلك في بطون الأوراق بهذه  
الكتابة ، ليتعلم الفائدة في حصوله للغائب والمتأخر ، وهؤلاء هم  
المؤلفون . والتأليف بين العوالم البشرية والأمم الانسانية كثير ؛  
ومتنتلة في الأجيال والأعصار وتختلف باختلاف الشرائع والمثل  
والأخبار عن الأمم والدول . وأما العلوم الفلسفية ، فلا اختلاف  
فيها ، لأنها إنما تأتي على نهج واحد ، فيما تقتضيه الطبيعة الفكرية ،  
في تصور الموجودات على ما هي عليه ؛ جسمانيها وروحانيها  
وفلكيها وعنصريها ومجردها ومادتها . فان هذه العلوم لا تختلف ،  
وإنما يقع الاختلاف في العلوم الشرعية لاختلاف المثل ، أو التاريخية  
لاختلاف خارج الخبر . ثم الكتابة مختلفة باصطلاحات البشر في  
رسومها وأشكالها ، ويسمى ذلك قلماً وخطاً . فمنها الخط الجُمُيُزِيّ ،  
ويسمى المُتَنَد ، وهو كتابة يُمَيِّر وأهل اليمن الأقدمين ، وهو  
يخالف كتابة العرب المتأخرين من مضر ، كما يخالف لغتهم . وإن  
الكلّ عربياً . إلا أن ملكة هؤلاء في اللسان والعبارة غير ملكة

أولئك . ولكثر منها قوانين كلية مستقراة من عبارتهم غير قوانين الآخرين . وربما يفلط في ذلك من لا يعرف ملكات العبارة . ومنها الخط السرياني ، وهو كتابة النبط والكلدانيين . وربما يزعم بعض أهل الجهل أنه الخط الطبيعي لقدمه فأنهم كانوا أقدم الأمم ، وهذا وهم ، ومذهب عامي . لأن الأفعال الاختيارية كلها ليس شي منها بالطبع ، وإنما هو يستمر بالقدم والبراز حتى يصير ملكة راسخة ، فيظنّها المشاهد طبيعّة كما هو رأي كثير من البلّداء في اللغة العربيّة ، فيقولون : العرب كانت تعرب بالطبع وتنطق بالطبع ، وهذا وهم . ومنها الخط العبراني الذي هو كتابة بني عابر بن شالّح من بني إسرائيل وغيرهم . ومنها الخط اللطيني ، خط اللطينيين من الروم ، ولهم أيضاً لسان مختص بهم . ولكل أمة من الأمم اصطلاح في الكتاب يعزى إليها ويختص بها . مثل الترك والفرنّج والهنود وغيرهم . وإنما وقمت العناية بالأقلام الثلاثة الأولى . أما السرياني فلقدّمه كما ذكرنا ، وأما العربي والعبري فلتترّل القرآن والتوراة بهما بلسانهما . وكان هذان الخطان بياناً لملوتهما ، فوقمت العناية بمنظومها أولاً وانبسطت قوانين لأطراد العبارة في تلك اللغة على أسلوحيها لتفهم الشرائع التكليفية من ذلك الكلام الرباني . وأما اللطيني فكان الروم ، وهم أهل ذلك اللسان ، لما أخذوا بدين النصرانية ، وهو كلّ من التوراة ، كما سبق في أول الكتاب ، ترجوا التوراة وكتب الأنبياء الاسرائيليين إلى لغتهم ، ليقتنصوا منها الأحكام على أسهل الطرق . وصارت عنايتهم بلغتهم وكتابتهم

آكَدَ من سواها . وأمّا الخطوطُ الأخرى فلم تقع بها عنايةٌ ، وإنّما هي لكلِّ أمةٍ بحسب اصطلاحها . ثم إنّ الناس حَصَرُوا مقاصدَ التأليف التي ينبغي اعتيادُها وإلغاؤها ما سواها ، فعدّوها سبعةً :

أولُها استنباطُ العلمِ بموضوعه وتقسيمُ أبوابه وفصوله وتتبُّعُ مسأله ، أو استنباطُ مسائلٍ ومباحثٍ تعرضُ للعالمِ المحقِّقِ ويحرصُ على إيصاله بغیره ، لتعمُّ المنفعةُ به فيودعُ ذلك بالكتاب في المصحف ، لعل المتأخِّرَ يظهر على تلك الفائدة ، كما وقع في الأصول في الفقه . تكلم الشافعيُّ أولاً في الأدلة الشرعيّة اللفظيّة ولخصها ، ثم جاء الحنفيةُ فاستبطوا مسائلَ القياس واستوعبوها ، وانتفع بذلك من بعدهم إلى الآن .

وثانيها : أن يقف على كلام الأولين وتألّيفهم فيجدها مستقلةً على الأفهام ويفتحُ اللهُ له في فهمها فيحرصُ على إبانة ذلك لغيره . ثمّ عساه يستقلُّ عليه ، لتصل الفائدة لمستحقّها . وهذه طريقةُ البيان لكتب المعقول والمنقول ، وهو فصلٌ شريف .

وثالثها : أن يعثر المتأخِّر على غلطٍ أو خطأ في كلام المتقدمين من اشتهر فضله وبُعد في الافادة صيته ، ويستوثق في ذلك بالبرهان الواضح الذي لا مدخلَ للشكِّ فيه ، فيحرصُ على إيصال ذلك لمن بعده ، إذ قد تعذّر بحوّه ورعته بانتشار التأليف في الآفاق والأعصار ، وشهرة المؤلِّف ووثوق الناس بمعارفه ، فيودع ذلك الكتابَ ليَقِفَ على بيان ذلك .



ورابعها : أن يكون الفن الواحد قد نقصت منه مسائل أو فصول بحسب انقسام موضوعه فيقصد المطلع على ذلك أن يتم ما نقص من تلك المسائل ليكمل الفن بكامل مسائله وفصوله ، ولا يبقى للنقص فيه مجال .

وخامسها : أن يكون مسائل العلم قد وقعت غير مرتبة في أبوابها ولا منتظمة ؛ فيقصد المطلع على ذلك أن يرتبها ويهذبها ، ويحمل كل مسألة في بابها ، كما وقع في المدونة من رواية سُخْنُون عن ابن القاسم ؛ وفي التنبية من رواية التميمي عن أصحاب مالك ؛ فان مسائل كثيرة من أبواب الفقه منها قد وقعت في غير بابها فهدب ابن أبي زيد المدونة وبقيت التنبية غير مهذبة . فنجد في كل باب مسائل من غيره . واستغنوا بالمدونة وما فعله ابن أبي زيد فيها والبرادعي من بعده .

وسادسها : أن تكون مسائل العلم مفرقة في أبوابها من علوم أخرى فيتنبه بعض الفضلاء إلى موضوع ذلك الفن وجميع مسائله ، فيفعل ذلك ، ويظهر به فن ينظمه في جملة العلوم التي يتحلها البشر بأفكارهم ، كما وقع في علم البيان . فان عبدالقاهر الجرجاني وأبا يوسف السكاكي وجدا مسائله مستقرية في كتب النحو وقد جمع منها الجاحظ في كتاب البيان والتبيين مسائل كثيرة ، تنبه الناس فيها لموضوع ذلك العلم وانفراده عن سائر العلوم ؛ فكتبت في ذلك تأليفهم المشهودة ، وصارت أصولاً لفن البيان ، ولقنها المتأخرون فأدبروا فيها على كل متقليم .

وسابها : أن يكون الشيء من التأليف التي هي أُنْهات للفنون مطوّلاً مُنْهَباً فيقصد بالتأليف تلخيص ذلك ، باختصار والابحاز وحذف المتكرّر ، إن وقع ، مع الحذر من حذف الضروريّ لئلا يخل بمقصد المؤلّف الأوّل .

فهذه جماع المقاصد التي ينبغي اعتيادها بالتأليف ومراعاتها . وما سوى ذلك ففعلٌ غير محتاج إليه وخطأ عن الجادة التي يتعين سلوكها في نظر العقلاء ، مثل انتحال ما تقدّم لغيره من التأليف أن ينسبّه إلى نفسه ببعض تليس ، من تبديل الألفاظ وتقديم المتأخّر وعكسه ، أو يحذف ما يحتاج إليه في الفن أو يأتي بما لا يحتاج إليه ، أو يبدل الصواب بالخطأ ، أو يأتي بما لا فائدة فيه . فهذا شأن الجهل والقحّة . ولذا قال أرسطو ، لما عدّد هذه المقاصد ، وانتهى إلى آخرها فقال : وما سوى ذلك ففصل أو شره ، يعني بذلك الجهل والقحّة . نعوذ بالله من العمل في ما لا ينبغي للعاقل سلوكه . والله يهدي للتي هي أقوم .

## الفصل السادس والثلاثون

في لزوم كتابة القضايات الموضوعة في العلوم منقّة بالتعليم

ذهب كثيرٌ من المتأخّرين إلى اختصار الطرق والأنحاء في العلوم ، يولعون بها ويدوّنون منها برنامجاً مختصراً في كل علم يشتغل على حصر مسائله وأدلتها ، باختصار في الألفاظ وحشو القليل

منها بالمعاني الكثيرة من ذلك الفن . فصارَ ذلك مُخِلًّا بالبلاغة وعسيراً على الفهم . وربما عمدوا الى الكُتُبِ الأثْهَاتِ المطوَّلة في الفنون للتفسير والبيان ؛ فاخْصَرَوْها تقريباً للحِظِّ ، كما فعله ابنُ الحَاجِبِ في الفِقه وأصولِ الفِقه وابنُ مالِكٍ في العربية والخونجِي في المنطق وأمثالهم . وهو فسادٌ في التعليم وفيه إخلالٌ بالتحصيل ، وذلك لأنَّ فيه تخلِيطاً على المبتدي . بالقاء الغايات من العلم عليه ، وهو لم يستمدَّ لقبولها بَعْدُ ، وهو من سوء التعليم كما سيأتي . ثم فيه مع ذلك شغلٌ كبيرٌ على المتعلِّمِ بمتبَعِ ألفاظِ الاختصارِ العويصة للفهم بتزاحمِ المعاني عليها وُضُوءِ استخراجِ المسائل من بينها . لأنَّ ألفاظَ المختصراتِ نجدها لأجلِ ذلك صعبةً عويصةً ، فينقطعُ في فهمها حظُّ صالحٍ من الوقتِ . ثم بعد ذلك كِلَهُ فالملكةُ الحاصلةُ من التعليمِ في تلك المختصراتِ ، إذا تمَّ على سدادٍ ، ولم تعمُ أفةً ؛ فهي ملكةٌ قاصرةٌ عن الملائكاتِ التي تحصلُ من الموضوعاتِ البسيطةِ المطوَّلةِ لكثرةِ ما يقعُ في تلك من التكرارِ والإحالةِ المفيدتينِ لحصولِ الملكةِ التامةِ . وإذا اقتصرَ على التكرارِ قصُرتِ الملكةُ لقلَّتِ كسَانُ هذه الموضوعاتِ المختصرةِ ؛ فقصودوا إلى تسهيلِ الحِظِّ على المتعلِّمين ، فأرْكَبُوهم صعباً يقطعُهم عن تحصيلِ الملائكاتِ النافعةِ وتمكَّنَها . ﴿ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ . والله سبحانه وتعالى أعلم .

## الفصل السابع والثلاثون

في وجه الصواب في تعليم العلوم وطريق اقلته

اعلم أن تلقين العلوم للتعليمين إما يكون مفيداً ، إذا كان على التدريج ، شيئاً فشيئاً وقليلًا قليلًا ، يلقي عليه أولاً مسائل من كل باب من الفن هي أصول ذلك الباب . ويقرب له في شرحها على سبيل الإجمال ويراعى في ذلك قوة عقله واستعداده لقبول ما يورد عليه ، حتى ينتهي الى آخر الفن ، وعند ذلك يحصل له ملكة في ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة . وغايتها أنها هيأتة لفهم الفن وتحصيل مسائله . ثم يرجع به الى الفن ثانية ، فيرفعه في التلقين عن تلك الرتبة إلى أعلى منها ، ويستوفي الشرح والبيان ، وينرجع عن الإجمال ، ويذكر له ما هنالك من الخلاف ووجهه ، إلى أن ينتهي إلى آخر الفن فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا فلا يترك عويصاً ولا مُبهماً ولا منفلقاً الا وضحة وفتح له مقبلة ، فيخلص من الفن وقد استولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد وهو كما رأيت إما يحصل في ثلاث تكرارات . وقد يحصل للبعض في أقل من ذلك بحسب ما يخلق له ويتيسر عليه . وقد شاهدنا كثيراً من المعلمين لهذا العهد الذي أدر كنا مجهلون طرق التعليم وإفادته ، ويحضر للتعليم في أول تعليم المسائل المقلدة من العلم ،

ويطالبونه باحضار ذهنه في حلها ، ويجسبون ذلك يراناً على التعليم وصواباً فيه ، ويكلفونه رعي ذلك وتحصيله ، فيخطون عليه بما يلقون له من غايات<sup>(١)</sup> الفنون في مبادئها ، وقبل أن يستعد لفهمها ؛ فإن قبول العلم والاستعدادات لفهمه تنشأ تدريجاً . ويكون التعلم أول الأمر عاجزاً عن الفهم بالجملة ، إلا في الأقل وعلى سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية . ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرج قليلاً قليلاً ، بمخالطة مسائل ذلك الفن وتكرارها عليه ، والانتقال فيها من التقريب إلى الاستيعاب الذي فوقه ، حتى تتم الملكة في الاستعداد ؛ ثم في التحصيل ويحيط هو بمسائل الفن . وإذا أُلقيت عليه الغايات في البدايات وهو حينئذ عاجز عن الفهم والوعى وبعد عن الاستعداد له كل ذهنه عنها ، وحسب ذلك من صعوبة العلم في نفسه ، فتكاسل عنه وانحرف عن قبوله وقادى في هجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم . ولا ينبغي للعلم أن يزيد متعلمه على فهم كتابه الذي أكب على التعليم منه بحسب طاقته ، وعلى نسبة قبوله للتعليم مبتدئاً كان أو منتهاً ، ولا يخلط مسائل الكتاب بغيرها حتى يبعثه من أوله الى آخره ويحصل أغراضه ويستولي منه على ملكة بها ينفذ في غيره . لأن المتعلم إذا حصل ملكة ما في علم من العلوم استعد بها لقبول ما بقي ، وحصل له نشاط في طلب المزيد والنهوض إلى ما فوق ، حتى يستولي على غايات العلم ، وإذا خلط عليه الأمر عجز عن الفهم

(١) كذا ، وفي نسخة : غرائب .

وأدركه الكلال وانطس فكره ويئس من التحصيل ، وهجر العلم والتعليم . والله يهدي من يشاء .

وكذلك ينبغي لك أن لا تطول على المتعلم في الفن الواحد والكتاب الواحد بتقطيع المجالس وتفريق ما بينها ، لأنه ذريعة الى النسيان وانقطاع مسائل الفن بعضها من بعض ، فيعسر حصول الملكة بتفريقها . وإذا كانت أوائل العلم وأواخره حاضرة عند الفكرة بجانب للنسيان ، كانت الملكة أيسر حصولاً وأحكم ارتباطاً وأقرب صبغة ؛ لأن الملكات إنما تحصل بتتابع الفعل وتكراره ، وإذا تنويسي الفعل تُنوسيت الملكة الناشئة عنه . والله علمكم ما لم تكونوا تعلمون .

ومن المذاهب الجلية والطرق الواجبة في التعليم أن لا يُخلط على المتعلم علان معاً ، فانه حينئذ قل أن يظفر بواحد منها ، لما فيه من تقسيم البالي وانصرافه عن كل واحد منها الى تفهم الآخر ؛ فيستغلطان معاً ويُستصعبان ، ويمود منها بالخيبة . وإذا تفرغ الفكر لتعليم ما هو بسبيله مقتصر عليه ، فربما كان ذلك أجدر بتحصيله . والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب .

### الفكر الشفهي

واعلم أيها المتعلم أني أتمنك بفائدة في تعلمك ، فإن تلقيتها بالقبول وأمسكتها بيد الصناعة ، ظفرت بكثرة عظيم وذخيرة شريفة . وأقيم لك مقدمة تعينك في فهمها ، وذلك أن الفكر

الإنساني طبيعةً مخصوصةً ، فطرها الله كما فطر سائر مبتدعاته ، وهو [وجدان حركة للنفس<sup>(١)</sup>] في البطن الأوسط من الدماغ . تارة يكون مبدؤاً للأفعال الإنسانية على نظام وترتيب ؛ وتارة يكون مبدؤاً لِعِلْمٍ ما لم يكن حاصلًا بأن يتوجّه الى المطلوب . وقد يصوّر طرفيه<sup>(٢)</sup> ويروم نفيه أو إثباته ، فيلوح له الوسط الذي يجمع بينهما ، أسرع من لمح البصر إن كان واحداً . وينتقل إلى تحصيل وسط آخر إن كان متعدداً ، ويصير إلى الظفر بمطوييه . هذا شأن هذه الطبيعة الفكرية التي تميّز بها البشر من بين سائر الحيوانات .

ثم الصناعة المنطقية هي كيفية فعل هذه الطبيعة الفكرية النظرية ، تصفه ليعلم سداده من خطئه . لأنها وإن كان الصواب لها ذاتياً ، إلا أنه قد يعرض لها الخطأ في الأقل من تصوّر الطرفين على غير صورتها ومن اشتباه الهيآت في نظم القضايا وترتيبها للنتائج ، فتعين المنطق على التخلص من ورطة هذا الفساد إذا عرض . فالمنطق ، إذاً ، أمرٌ صناعيٌ مساوٍ للطبيعة الفكرية ومنطوق على صورة فعلها ، ولكونه أمراً صناعياً استثنى عنه في الأكثر . ولذلك تهجد كثيراً من فحول النظار في الخليفة يحصلون على المطالب في العلوم دون صناعة علم المنطق ، ولا سيما مع صدق النية والتمرض لرحمة الله تعالى ، فإن ذلك أعظم معنى . وَيَسْلُكُونَ

(١) إن المحصور بين [ ] ورد في ب هكذا : «فعل وحركة في النفس بقوة» .

(٢) كذا ، وفي ب : طريقه .

بالطبيعة الفكرية على سدادها ؛ فتفضي بهم بالطبع إلى حصول  
الوسط والعلم بالمطلوب كما فطرها الله عليه .

ثم من دون هذا الأمر الصناعي ، الذي هو المنطق ، مقدمة  
أخرى من التعليم وهي معرفة الألفاظ ؛ ودلائلها على المعاني  
الذهنية تردها<sup>(١)</sup> من مشاققة الرسوم بالكتاب ومشاققة اللسان  
بالخطاب . فلا بد أيها المتعلم من مجاوزتك هذه الحجب كلها إلى  
الفكر في مطلوبك .

فأولاً : دلالة الكتابة المرسومة على الألفاظ المقولة وهي  
أخفها<sup>(٢)</sup> ، ثم دلالة الألفاظ المقولة على المعاني المطلوبة ؛ ثم القوانين  
في ترتيب المعاني للاستدلال في قوايلها المعروفة في صناعة المنطق ؛  
ثم تلك المعاني مجردة في الفكر اشتراكاً يقتضيهما المطلوب بالطبيعة  
الفكرية بالتعرض لرحمة الله ومواهبه . وليس كل أحد يتجاوز هذه  
المراتب بسرعة ، ولا يقطع هذه الحجب في التعليم بسهولة ؛ بل  
ربما وقف الذهن في حجب الألفاظ بالمناقشات أو عثر في اشتراك  
الأدلة بشغب الجدال والشبهات ، فعمد عن تحصيل المطلوب . ولم  
يكد يتخلص من تلك الغمرة إلا قليلاً ممن هداه الله .

فاذا ابتليت بمثل ذلك وعرض لك ارتباك<sup>(٣)</sup> في فهمك أو  
تشغيب بالشبهات في ذهنك ، فاطرح ذلك وانتبه حجب الألفاظ

(١) كذا ، وفي ب : تؤديها .

(٢) كذا ، وفي ب : احفظها .

(٣) كذا ، وفي ب : ارتيب .



وعوائق الشُّبُهَاتِ ، واترك الأَمْرَ الصَّنَاعِيَّ جَمَلَةً وَاخْلَصْ إِلَى فِضَاءِ  
 الْفِكْرِ الطَّبِيعِيِّ الَّذِي فَطَرْتَهُ عَلَيْهِ . وَسَرِّحْ نَظْرَكَ فِيهِ وَفَرِّغْ ذَهْنَكَ  
 فِيهِ لِلْعُوصِ عَلَى تَرَامِكِ مِنْهُ ، وَاضْماً قَدَمَكَ حَيْثُ وَضَعَهَا أَكْبَرُ  
 النُّظَّارِ قَبْلَكَ ، مَتَعَرِّضاً لِلْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ ، كَمَا فَتَحَ عَلَيْهِمْ مِنْ رَحْمَتِهِ  
 وَعَلَّمَهُمْ مَا لَمْ يَكُونُوا يَعْلَمُونَ . فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَشْرَقَتْ عَلَيْكَ أَنْوَارُ  
 الْفَتْحِ مِنْ اللَّهِ بِالنُّظَرِ بِمَطْلُوبِكَ ، وَحَصَلَ الْإِمَامُ الْوَسْطُ الَّذِي جَمَلُهُ  
 اللَّهُ مِنْ مَقْتَضِيَّاتِ<sup>(١)</sup> هَذَا الْفِكْرِ وَفَطَرَكَ عَلَيْهِ كَمَا قَلَنَاهُ . وَحِينَئِذٍ  
 فَارْجِعْ بِهِ إِلَى قَوَالِبِ الْأَدِلَّةِ وَصُورِهَا ، فَأَفْرِغْهُ فِيهَا وَوَفِّهِ حَقَّهُ مِنْ  
 الْقَانُونِ الصَّنَاعِيِّ ، ثُمَّ اكْسُهُ صُورَ الْأَلْفَاظِ وَأَبْرِزْهُ إِلَى عَالِمِ الْخَطَابِ  
 وَالْمَشَافَهَةِ وَثَبِّتِ الرُّىَّ صَحِيحَ الْبَيَانِ .

وَأَمَّا إِنْ وَقَفْتَ عِنْدَ الْمُنَاقَشَةِ فِي الْأَلْفَاظِ وَالشُّبُهَةِ فِي الْأَدِلَّةِ  
 الصَّنَاعِيَّةِ وَتَجَمَّصَ صَوَابُهَا مِنْ خَطئِهَا ، وَهَذِهِ أُمُورٌ صِنَاعِيَّةٌ وَضِيَّةٌ  
 تَسْتَوِي جِهَاتُهَا الْمُتَعَدِّدَةُ وَتَتَشَابَهُ لِأَجْلِ الْوَضْعِ وَالِاصْطِلَاحِ ، فَلَا  
 تَحْتَمِزُ جِهَةُ الْحَقِّ مِنْهَا ؛ إِذْ جِهَةُ الْحَقِّ إِنَّمَا تَسْتَبِينُ<sup>(٢)</sup> إِذَا كَانَتْ  
 بِالطَّبِيعِ ، فَيَسْتَمِرُّ مَا حَصَلَ مِنَ الشَّكِّ وَالِارْتِيَابِ ، وَتُسْفَلُ الْحُجُبُ  
 عَلَى الْمَطْلُوبِ وَتَقَعْدُ بِالنَّاظِرِ عَنْ تَحْصِيلِهِ . وَهَذَا شَأْنُ الْأَكْثَرِ مِنَ  
 النُّظَّارِ وَالْمُتَأَخِّرِينَ ، سَيِّمًا مِنْ سَبَقَتْ لَهُ عُجْمَةٌ فِي لِسَانِهِ ، فَرِبَطَتْ  
 عَلَى ذَهْنِهِ ؛ أَوْ مِنْ حَصَلَ لَهُ شُغْفٌ بِالْقَانُونِ الْمُنْطَقِيِّ وَتَعَصَّبَ لَهُ ،  
 فَاعْتَقَدَ أَنَّهُ الذَّرِيْمَةُ إِلَى إِدْرَاكِ الْحَقِّ بِالطَّبِيعِ ، فَيَقَعُ فِي الْحَيْرَةِ بَيْنَ

(١) كَذَا ، وَفِي ب : مِنْ مَفِضَاتِ .

(٢) كَذَا ، وَفِي ب : تَتَمَيَّزُ .

شَبَّهِ الْأَدِلَّةَ وَشَكَّوْكِهَا ، وَلَا يَكَادُ يَخْلُصُ مِنْهَا . وَالذَّرِيْمَةُ إِلَى دَرْكِ الْحَقِّ بِالطَّبَعِ . إِنَّمَا هُوَ الْفِكْرُ الطَّبِيعِيُّ كَمَا قُلْنَا ، إِذَا جُرِّدَ عَنْ جَمِيعِ الْأَوْهَامِ وَتَعَرَّضَ النَّازِرُ فِيهِ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى . وَأَمَّا الْمَنْطِقُ فَإِنَّمَا هُوَ وَاصِفٌ لِفِعْلِ هَذَا الْفِكْرِ ، فَيَسَاوِقُهُ لَذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ . فَاعْتَبِرْ ذَلِكَ وَاسْتَمِطِرْ رَحْمَةَ اللَّهِ تَعَالَى ، مَتَى أَعُوْذَكَ فَهْمُ الْمَسَائِلِ ، تُشْرِقُ عَلَيْكَ أَنْوَارُهُ بِالْإِلْهَامِ إِلَى الصَّوَابِ . وَاللَّهُ الْهَادِي إِلَى رَحْمَتِهِ ، وَمَا الْعِلْمُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ .

## الفصل الثامن والثلاثون

في أن العلوم الإلهية لا توسع فيها الأنظار ولا تفرع المسائل

اعلم أن العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين : علوم مقصودة بالذات ، كالشَّرِيعَاتِ مِنَ التَّفْسِيرِ وَالْحَدِيثِ وَالْفِقْهِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ ، وَكَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْأَلْهِيَّاتِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ؛ وَعِلُومِ هِيَ آلَةُ وَوَسِيلَةُ لِهَذِهِ الْعُلُومِ ، كَالْعَرَبِيَّةِ وَالْحِسَابِ وَغَيْرِهَا لِلشَّرِيعَاتِ ، وَكَالْمَنْطِقِ لِلْفَلَسَفَةِ . وَبِمَا كَانَ آلَةُ لِعِلْمِ الْكَلَامِ وَأَصُولِ الْفِقْهِ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ . فَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ مَقَاصِدُ ، فَلَا حَرَجَ فِي تَوْسِعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا ، وَتَفْرِيعِ الْمَسَائِلِ وَاسْتِكْشَافِ الْأَدِلَّةِ وَالْأَنْظَارِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ طَالِبَهَا تَمَكُّنًا فِي مَلِكِيَّتِهِ وَابْتِزَاجًا لِمَعَانِيهَا الْمُقْصُودَةِ . وَأَمَّا الْعُلُومُ الَّتِي هِيَ آلَةُ لغيرِهَا مِثْلَ الْعَرَبِيَّةِ وَالْمَنْطِقِ وَأَمْثَلِهَا ،

فلا ينبغي أن يُنظرَ فيها إلا من حيثُ هي آلةٌ لذلك الغيرِ فقط .  
ولا يوسعُ فيها الكلامُ ولا تُفَرِّعُ المسائلُ ، لأنَّ ذلك يُخْرِجُ بها عن  
المقصودِ ، إذ المقصودُ منها ما هي آلةٌ له لا غير . فكلُّما خرجت  
عن ذلك خرجت عن المقصودِ وصارت الاشتغالُ بها لغواً ، مع ما  
فيه من صعوبةِ الحصولِ على ملكيتها بطولها وكثرةِ فروعها . وربما  
يكونُ ذلك عائقاً عن تحصيلِ العلومِ المقصودةِ بالذاتِ لطولِ وسائلها ،  
مع أنَّ شأنها أهمُّ ، والعمرُ يقصُرُ عن تحصيلِ الجميعِ على هذه  
الصورةِ ؛ فيكون الاشتغالُ بهذه العلومِ الآليَّةِ تضييعاً للعمرِ وشغلاً  
بما لا ينبغي .

وهذا كما فعله المتأخرون في صناعةِ النحرِ وصناعةِ المنطقِ ،  
لا ببل وأصولِ الفقهِ ، لأنهم أوسعوا دائرةَ الكلامِ فيها نقلاً  
واستدلالاً وأكثروا من التفاريعِ والمسائلِ بما أخرجها عن كونها  
آلةً وصيرها مقصودةً بذاتها . وربما يقعُ فيها لذلك أنظارٌ ومسائلُ  
لا حاجةَ بها في العلومِ المقصودةِ بالذات فتكون لأجل ذلك من  
نوعِ اللغو ، وهي أيضاً مُضِرَّةٌ بالمُتعلِّمينَ على الإطلاقِ ، لأنَّ  
المُتعلِّمينَ اهتمُّوا بالعلومِ المقصودةِ أكثرُ من اهتمائهم بهذه الآلاتِ  
والوسائلِ . فإذا قطعوا العمرَ في تحصيلِ الوسائلِ ، فتي يظفرونَ  
بالمقاصدِ ؟ فهذا يجبُ على المُعلِّمينَ لهذه العلومِ الآليَّةِ أن لا  
يسبِّحروا في شأنها ولا يستكثروا من مسائلها وينتهوا المُتعلِّمَ  
على الغرضِ منها ويقفوا به عنده . فن ترتبُ به هُمَّةٌ بعد ذلك  
إلى شيءٍ من التوغلِّ ؛ ورأى من نفسه قياماً بذلك وكفايةً به

فَلْيَخْتَرْ لِنَفْسِهِ مَا شَاءَ مِنَ الْمَرَاتِي صَعْباً أَوْ سَهْلاً . وَكُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ .

## الفصل التاسع والثلاثون

في تعليم الواحد واختلاف مناهج المصادر العلمية في حقه

اعلم أنَّ تعليم الولدان للقرآن شعراً من شعائر الدين ، أخذ به أهل الأمة ودرجوا عليه في جميع أمصارهم ، لما يسبق فيه إلى القلوب من دُسخ الإيمان وعقائده من آيات القرآن وبعض متون الأحاديث . وصار القرآن أصل التعليم الذي يلبني عليه ما يحصل بعده من الملكات . وسبب ذلك أنَّ تعليم الصِّفر أشدُّ رسوخاً وهو أصل لما بعده ، لأنَّ السابق الأوَّل للقلوب كالأساس للملكات . وعلى حسب الأساس وأساليبه يكون حال ما ينبي عليه . واختلفت طرقهم في تعليم القرآن للولدان ، باختلافهم باعتبار ما ينشأ عن ذلك التعليم من الملكات . فأمَّا أهل المغرب فذهبهم في الولدان الاقتصاد على تعليم القرآن فقط ، وأخذهم أثناء المدارس بالرسْم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه ؛ لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم ، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب ؛ إلى أن يَخْنِقَ فيه أو ينقطع دونه ، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة .

وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قري<sup>(١)</sup> البربر، أمم المغرب، في ولادتهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا رجع مدارس القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم. وأما أهل الأندلس فذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو الذي يراعيه في التعليم. إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأسهل ومنبع الدين والمعلوم جعلوه أصلاً في التعليم. فلا يقتصرون لذلك عليه فقط؛ بل يخطون في تعليمهم للولدان رواية الشعر في الغالب والترسل، وأخذهم بقوانين الرئية وحفظها وتجويد الخط والكتاب.

ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه، بل عنايتهم فيه بالخط أكثر من جميعها، إلى أن يخرج الولد من عمر البلوغ إلى الشبيبة، وقد شدا<sup>(٢)</sup> بعض الشيء في الرئية والشعر والبصر بهما، ويرز في الخط والكتاب وتلق بأذبال العلم على الجملة، لو كان فيها سند لتعليم العلوم. لكنهم ينقطعون عند ذلك لانقطاع سند التعليم في آفاقهم، ولا يحصل بأيديهم إلا ما حصل من ذلك التعليم الأول. وفيه كفاية لمن أرشده الله تعالى واستعداد إذا وجد المعلم. وأما أهل إفريقية فيخطون في تعليمهم للولدان القرآن بالحديث في الغالب، ومدارسه قوانين العلوم وتلقين بعض مسائلها؛ إلا

(١) كذا، وفي ب: من قراء البربر.

(٢) شدا من المعلم شيئاً: أخذ (قلموس).

أَنْ عَنَّا يَتُّهُمْ بِالْقُرْآنِ ، وَاسْتَظْهَرَ الْوِلْدَانُ إِيَّاهُ ، وَوُقُوفِهِمْ عَلَى اخْتِلَافِ رَوَايَاتِهِ وَقِرَاءَتِهِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ ، وَعَنَّا يَتُّهُمْ بِالْخَطِّ تَبَعٌ لَذَلِكَ . وَبِالْجَلَّةِ فَطَرِيقَتُهُمْ فِي تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ أَقْرَبُ إِلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْأَنْدَلُسِ ، لِأَنَّ سَنَدَ طَرِيقَتِهِمْ فِي ذَلِكَ مُتَّصِلٌ بِمَشِيخَةِ الْأَنْدَلُسِ الَّذِينَ أَجَازُوا عِنْدَ تَغْلِبِ النَّصَارَى عَلَى شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ ، وَاسْتَقَرُّوا بِتُونِسَ ، وَعَنْهُمْ أَخَذَ وَلَدَانُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَأَمَّا أَهْلُ الْمَشْرِقِ فَيُخْطِطُونَ فِي التَّعْلِيمِ كَذَلِكَ عَلَى مَا يَبْلُغْنَاهُ ، وَلَا أُدْرِي بِمِ عَنَّا يَتُّهُمْ مِنْهَا . وَالَّذِي يُنْقَلُ لَنَا أَنَّ عَنَّا يَتُّهُمْ بِدِرَاسَةِ الْقُرْآنِ وَصُحُفِ الْعِلْمِ وَقَوَائِيهِ فِي زَمَنِ الشَّيْبَةِ ، وَلَا يُخْطِطُونَهُ بِتَعْلِيمِ الْخَطِّ ، بَلْ لِلتَّعْلِيمِ الْخَطِّ عِنْدَهُمْ قَانُونٌ وَمُعَلِّمُونَ لَهُ عَلَى انْفِرَادِهِ ، كَمَا تُتْلَمُّ سَائِرُ الصَّنَائِعِ ، وَلَا يَتَدَاوَلُونَهَا فِي مَكَاتِبِ الصَّبِيَّانِ . وَإِذَا كَتَبُوا لَهُمُ الْأَلْوَحَ فَيُخَطِّ قَاضِرٌ عَنِ الْإِجَادَةِ ، وَمَنْ أَرَادَ تَعْلَمَ الْخَطَّ فَعَلَى قَدْرِ مَا يَسْنَحُ لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْجَهْمَةِ فِي طَلَبِهِ ، وَيَتَفَعِّلُهُ مِنْ أَهْلِ صَنْعَتِهِ .

فَأَمَّا أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ وَالْمَغْرِبِ ، فَأَفَادَهُمُ الْاِقْتِصَادُ عَلَى الْقُرْآنِ الْقَصُودَ عَنْ مِلْكَةِ اللِّسَانِ جَمَلَةً ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْقُرْآنَ لَا يَنْشَأُ عَنْهُ فِي الْعَالِيَةِ مِلْكَةٌ إِلَّا أَنَّ الْبَشَرَ مَصْرُوفُونَ عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ ، فَهَمُّ مَصْرُوفُونَ لِذَلِكَ عَنِ الِاسْتِمْعَالِ عَلَى أَسَالِيهِهِ وَالِاحْتِذَاءِ بِهَا . وَلَيْسَ لَهُمْ مِلْكَةٌ فِي غَيْرِ أَسَالِيهِهِ ، فَلَا يَحْصُلُ لِصَاحِبِهِ مِلْكَةٌ فِي اللِّسَانِ الرَّبِّيِّ ، وَحُظُّهُ الْجَمُودُ فِي الْعِبَارَاتِ وَقِلَّةُ التَّصَرُّفِ فِي الْكَلَامِ . وَدِمَا كَانَ أَهْلُ إِفْرِيقِيَّةَ فِي ذَلِكَ أَخْفَ مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ ، لَمَا يُخْطِطُونَ

في تعليمهم القرآن عبارات العلوم في قوانينها كما قلناه ، فيقتديرون على شيء من التصرف ومحاذاة المثل بالمثل ؛ إلا أن ملكتهم في ذلك قاصرة عن البلاغة ، لما أن أكثر محفوظهم عبارات العلوم النازلة عن البلاغة كما سيأتي في فصله .

وأما أهل الأندلس فأفادهم التفنن في التعليم وكثرة رواية الشعر والترسل ومدارسه العربية من أول العمر ، حصول ملكة صاروا بها أعرف في اللسان العربي . وقصروا في سائر العلوم ، لبُعديهم عن مدارس القرآن والحديث الذي هو أصل العلوم وأساسها . فكانوا لذلك أهل خط وأدب بارع أو مقصر ، على حسب ما يكون التعليم الثاني من بعد تعليم الصبا .

ولقد ذهب القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب رحلته إلى طريقة غريبة في وجه التعليم ، وأعاد في ذلك وأبدأ ، وقدم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم كما هو مذهب أهل الأندلس . قال : « لأن الشعر ديوان العرب ويدعو إلى تقديمه وتقديم العربية في التعليم ضرورة ، فساداً للغة ؛ ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرن فيه حتى يرى القوانين ؛ ثم ينتقل إلى درس القرآن ، فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة . » ثم قال : « ويا غفلة أهل بلادنا في أن يؤخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره ، يقرأ ما لا يفهم وينصب في أمر ، غيره أهم عليه منه . » قال : « ثم ينظر في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه . » ونهى مع ذلك أن يخلط في التعليم علمان ، إلا أن يكون المتعلم قابلاً لذلك مجوداً

الفهم والنشاط. هذا ما أشار إليه القاضي أبو بكر رحمه الله، وهو  
لعمري مذهب حسن؛ إلا أن العوائد لا تساعد عليه وهي أملك  
بالأحوال ووجه ما اختصت به العوائد، من تقديم دراسة القرآن،  
إيثاراً للتبرك والشوايب، وخشية ما يعرض للولد في جنون الصبا  
من الآفات والقواطع عن العلم؛ فيفوته القرآن، لأنه ما دام في  
الجبر منقاداً للحكم. فإذا تجاوز البلوغ وانحل من ربة القهر؛  
فرما عصفت به رياح الشبهة، فألقته بساحل البطالة؛ فيفتنمون  
في زمان الحجر وربة الحكم. تحصيل القرآن له ثلثا يذهب خلواً  
منه. ولو حصل اليقين باستمراره في طلب العلم، وقبوله التعليم،  
لكان هذا المذهب الذي ذكره القاضي أولى ما أخذ به أهل المغرب  
والشرق. ولكن الله يحكم ما يشاء، لا معقب لحكمه سبحانه.

## الفصل الأربعون

في أن الشدة على المتعلمين مضرة بهم

وذلك أن إرهاف الحدة في التعليم، مضرٌ بالمتعلم، سيما في أصاغر  
الولد؛ لأنه من سوء الملكة. ومن كان مرباه بالسف والقهرة  
من المتعلمين أو المالك أو الختم، سطا به القهر وضيق على  
النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وهزل  
على الكذب والخبث، وهو التظاهر بغير ما في ضميره، خوفاً من



انبساط الأيدي بالقهر عليه، وعلمه المكر والخديعة لذلك، وصارت له هذه عادةً وخلقاً، وفست معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن، وهي الحية والمدافعة عن نفسه أو منزله. وصار عيالاً على غيره في ذلك، بل وكسبت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجليل؛ فانقبضت عن غايتها ومدى إنسانيتها، فارتكس وعاد في أسفل السافلين.

وهكذا وقع لكل أمّة حصّة في قبضة القهر ونال منها السّف، واعتبره في كل من يملك أمره عليه. ولا تكون الملكة الكافّة له رفيقة به. وتجذ ذلك فيهم استقرار. وانظره في اليهود وما حصل بذلك فيهم من خلق السوء حتى إنهم يوصفون في كل أفقر وعصر بالخرج، ومعناه في الاصطلاح المشهور التخابث والكيد، وسببه ما قلناه. فينبغي للمعلم في متعلّيه والوالد في ولده أن لا يستبدوا<sup>(١)</sup> عليهم في التأديب. وقد قال محمد بن أبي زيد في كتابه، الذي ألفه في حكم المعلمين والمتعلمين: «لا ينبغي لمؤدّب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئاً». ومن كلام عمر رضي الله عنه: «من لم يؤدّب الشرع لا أدبه الله». حرصاً على صون النفوس عن مذلّة التأديب، وعلماً بأن المقدار الذي عينه الشرع لذلك أملك له، فانه أعلم بمصلحته. ومن أحسن مذاهب التعليم، ما تقدم به الرشيد لمعلم ولده. قال خلف الأحمر: بعث إليّ الرشيد في تأديب ولديه محمد الأمين

(١) كذا، وفي ب: يشدوا.

فقال : « يا أحمُرُ إنَّ أميرَ المؤمنين قد دفع إليك هُجَّةً نفسه وثمره قلبه ، فصيرَ يَدَكَ عليه مبسوطةً وطاعةً لك واجبةً ، فكُنْ له بحيثُ وضمكُ أميرُ المؤمنين . أقرئه القرآنَ وعلمه الأخبارَ وروِّهِ الأَشْمارَ وعلمه السَّنَنَ ، وبصِّره بمواقع الكلامِ وبذِّنه وامنعه من الضَّحِكِ إلا في أوقاته ، وخذُه بتعظيمِ مشايخ بني هاشم ، إذا دخلوا عليه ؛ ورفعِ مجالسِ القُوادِ ، إذا حضروا مجلسه . ولا تمرَّنْ بك ساعةً إلا وأنت مغتنمٌ فائدةً تفيدهُ إياها من غير أن تُحزَّنه ، فتميتَ ذهنه . ولا تُمنع في مسامحته ، فيستحلي الفراغَ ويألفه . وقومُه ما استطعتَ بالقربِ والملاينةِ ، فإنَّ أباهما فمليك بالشدَّةِ والنَّاطقة . انتهى » .

## الفصل الحادي والأربعون

في أن الرطة هي طلب العلم وإلقاء الشيعة مزيد كمال في التعليم

والسَّبَبُ في ذلك أنَّ البشر يأخذونَ معارفهم وأخلاقهم وما يتخلَّطونَ به من المذاهبِ والفضائلِ : تارةً علماً وتعليماً وإلقاءً ؛ وتارةً محاكاةً وتلقيناً بالباشرة . إلا أنَّ حصولَ الملكاتِ عن المباشرةِ والتلقينِ أشدُّ استحكاماً وأقوى رُسوخاً . فعلى قدرِ كثرةِ الشيوخِ يكونُ حصولُ الملكاتِ ورُسوخها . والاصطلاحاتُ أيضاً في تعليمِ العلومِ مَخْطَطةٌ على المتعلِّمِ ، حتى لقد يظنُّ كثيرٌ منهم أنها جزءٌ من العلمِ . ولا يدفعُ عنه ذلكَ إلا مباشرتهُ لاختلافِ الطُّرُقِ فيها من

المُتَمَيِّن . فلقاء أهل العلوم ، وتعدُّد المشايخ ، يَفِيضُ تَمَيِّزُ  
الاصطلاحات ، بما يراه من اختلاف طُرُقهم فيها ؛ فيجَرِّدُ العِلْمَ عنها  
ويعلم أنها انحاء تعليم وطرق توصيل . وتَنْهَضُ قُوَاهُ إِلَى الرُّسُوحِ  
والاستحكام في الملكات . وَيُصَحِّحُ مَعَارِفَهُ وَيَمَيِّزُهَا<sup>(١)</sup> عن سواها  
مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتها من المشيخة عند  
تَعَدُّدِهِمْ وتنويعهم . وهذا لمن يَتَّبِعَ اللهَ عَلَيْهِ طُرُقُ العِلْمِ والإدائية .  
فَالرَّحْلَةُ لَا بُدَّ مِنْهَا فِي طَلَبِ العِلْمِ ، لَا كِتَابِ الفَوَائِدِ وَالْكَوَالِ  
بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال . والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ  
مستقيم .

## الفصل الثاني والأربعون

في أن العلماء من بين البشر بعد عن السياسة ومذاهبها

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُمْ مَعْتَادُونَ النَّظَرَ الْفِكْرِيَّ وَالْقَوَصَ عَلَى  
المعاني ، وانتزاعها من المحسوسات وتجريدتها في الذَّهْنِ ، أُمُوراً  
كَلِيَّةً عَامَةً ؛ لِيُحْكَمَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ عَلَى الْعُمُومِ ، لَا بِمَخْصُوصٍ مَادَّةٍ  
وَلَا شَخْصٍ وَلَا جِيلٍ وَلَا أُمَّةٍ وَلَا صَنْفٍ مِنَ النَّاسِ . وَيَطْبِقُونَ  
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ الْكَلِمَةَ عَلَى الْخَارِجِيَّاتِ . وَأَيْضاً يَقِيسُونَ الْأُمُورَ عَلَى  
أَشْبَاهِهَا وَأَمْثَالِهَا ، بِمَا اعْتَادَوْهُ مِنَ الْقِيَاسِ الْفَقْهِيِّ . فَلَا تَرَالُ  
أَحْكَامُهُمْ وَأَنْظَارُهُمْ كُلُّهَا فِي الذَّهْنِ ، وَلَا تُصِيرُ إِلَى الْمَطَابَقَةِ إِلَّا بَعْدَ

(١) كذا، وفي ب: وتصحيح معارفه وتمييزها عن سواها.

الفراغ من البحث والنظر . أولاً تصيرُ بالجملة إلى مطابقة ، وإثماً يتفرعُ ما في الخارج عما في الذهن من ذلك ؛ كالأحكام الشرعية ، فإنها فروعُ عما في المحفوظ من أدلة الكتاب والسنة ، فتطلبُ مطابقة ما في الخارج لها ، عكسَ الأنظار<sup>(١)</sup> في العلوم العقلية ، التي يُطلبُ في صحتها مطابقتها لما في الخارج . فهم متعودون في سائر أنظاريهم الأمور الذهنية والأنظار الفكرية لا يعرفون سواها . والسياسةُ يحتاجُ صاحبها إلى مراعاة ما في الخارج وما يلحقها من الأحوال ويتبناها ، فإنها خفية . ولعل أن يكونَ فيها ما يمنعُ من إلحاقها بشيء أو مثالٍ ، وينافي الكلي الذي يحاولُ تطبيقه عليها .

ولا يقاسُ شيءٌ من أحوالِ العمرانِ على الآخر ، إذ كما اشتبها في أمر واحد ، فلعلمها اختلافاً في أمور ، فتكونُ العلماءُ لأجل ما تعودوه من تعميم الأحكام وقياس الأمور ، بعضها على بعض ، إذا نظروا في السياسة ، أفرغوا ذلك في قالب أنظاريهم ونوع استدلالاتهم ، فيقعون في الغلط كثيراً ولا يؤمنُ عليهم . ويلحقُ بهم أهلُ الذكاء والكيس من أهلِ العمران ، لأنهم ينزعون بشقوب أذهانهم ، إلى مثلِ شأنِ الفقهاء من الغوص على المعاني والقياس والمحاكاة ، فيقعون في الغلط . والعاميُّ السليمُ الطبعُ المتوسطُ الكيس ، لقصورِ فكره عن ذلك وعدمِ اعتياده إياديه يقتصرُ لكلِّ مادةٍ على حكمها ، وفي كل صنفٍ من الأحوال والأشخاص على

(١) لم نعثر في لسان العرب على كلمة (أنظار) . وأظنها محرفة عن كلمة (النظر) . وذلك حسب مقتضى السياق .

ما اُخْصَّ به ، ولا يُعَدِّي الحُكْمَ بقياسٍ ولا تميمٍ ، ولا يُفَارِقُ  
في أكثر نظره الموادَّ المحسوسة ولا يجاوزها في ذهنه ، كالساحل  
لا يفارق البرَّ عند الموج . قال الشاعر :

فلا تَوَغَّلَنَّ إذا ما سَبَحْتَ      فَإِنَّ السَّلَامَةَ فِي السَّاحِلِ

فيكونُ مأموناً من النظرِ في سياسته ، مستقيمَ النظرِ في  
معاملته أبناء جنسه ؛ فيحسنُ معاشه وتندفعُ آفاقه ومضارؤه ، باستقامة  
نظره . وفوق كلِّ ذي علمٍ عليمٌ . ومن هنا يتبينُ " (١) " أَنَّ صِنَاعَةَ  
المنطقِ غيرُ مأمونةٍ الفلطي ، لكثرة ما فيها من الانتزاعِ وبعدها  
عن المحسوسِ ؛ فإنها نظرٌ في العقولاتِ الثواني . ولعلَّ الموادَّ فيها  
ما يمانعُ تلكَ الأحكامَ وينافياها عند مراعاةِ التطبيقِ البقيي . وأما  
النظرُ في العقولاتِ الأولِ ، وهي التي تجريدُها قريبٌ ، فليسَ  
كذلك ؛ لأنها خياليةٌ ، وصورُ المحسوساتِ حافظةٌ مؤذنةٌ بتصديقِ  
انطباقه . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيقُ .

## الفصل الثالث والأربعون

في أن حملة العلم في الإسلام أكثرهم العجم

من الغريبِ الواقعِ أَنَّ حملةَ العلمِ في الملةِ الإسلاميةِ أكثرُهم  
العجمُ ، وليس في العرب حملة علم ، لا في العلومِ الشرعيةِ ولا في

(١) كذا ، وفي ب: تعلم .

العلوم العقلية ، إلا في القليل النادر . وإن كان منهم العربي في نفسه ، فهو أعجمي في لغته وورثه ، ومشيخته ، مع أن الملة عربية ، وصاحب شريعته عربي . والسبب في ذلك أن الملة في أولها لم يكن فيها علم ولا صناعة ؛ لمقتضى أحوال السذاجة والبداوة ؛ وإنما أحكام الشريعة التي هي أوامر الله ونواهيه ، كان الرجال ينقلونها في صدورهم ، وقد عرفوا مأخذها من الكتاب والسنة ، بما تلقوه من صاحب الشرع وأصحابه . والقوم يومئذ عرب لم يعرفوا أثر التعليم والتأليف والتدوين ، ولا دُفِعوا إليه ولا دعتهم إليه حاجة . وجرى الأمر على ذلك زمن الصحابة والتابعين وكانوا يسمون المختصين بحمل ذلك . ونقله القراء أي الذين يقرأون الكتاب وليسوا أميين ؛ لأن الأئمة يومئذ صفة عامة في الصحابة بما كانوا عرباً ؛ فقليل لجملة القرآن يومئذ قراء ، إشارة إلى هذا . فهم قراء لكتاب الله والسنة المأثورة عن الله ، لأنهم لم يعرفوا الأحكام الشرعية إلا منه . ومن الحديث ، الذي هو في غالب موارد تفسيره له وشرحه . قال ﷺ : « تركتُ فيكم أمرين لن تضلُّوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي » . فلما بعد النقل من لدن دولة الرشيد فما بعد احتياج إلى وضع التفاسير القرآنية ، وتقييد الحديث مخافة ضياعه ؛ ثم احتياج إلى معرفة الأسانيد وتعديل الناقلين<sup>(١)</sup> للتمييز بين الصحيح من الأسانيد وما دونه ؛ ثم كثرة استخراج أحكام الوقائع من الكتاب والسنة وفسد مع ذلك اللسان ، فاحتياج إلى

(١) كذا ، وفي ب : الرواة .

وضع القوانين النحوية ، وصارت العلوم الشرعية كلها ملكات في الاستنباط والاستخراج والتنظير والقياس ، واحتاجت<sup>(١)</sup> إلى علوم أخرى هي وسائل لها : من معرفة قوانين العربية وقوانين ذلك الاستنباط والقياس والذبح عن العقائد الايمانية بالأدلة لكثرة البدع والإلحاد ؛ فصارت هذه العلوم كلها علوماً ذات ملكات محتاجة إلى التعليم ، فاندرجت في جملة الصنائع .

وقد كنا قدّمنا أنّ الصنائع من منتحل الحضرة ، وأنّ العرب أبعد الناس عنها ؛ فصارت العلوم لذلك حضريةً وبعد العرب عنها وعن سوقها . والحضر لذلك المهدي هم المعجم أو من في معناهم من الموالي وأهل الحواضر ، الذين هم يومئذ تبع المعجم في الحضارة وأحوالها من الصنائع والحرف ؛ لأنهم أقوم على ذلك للحضارة الراسخة فيهم منذ دولة الفرس ؛ فكان صاحب صناعة النحوسيدويه والفارسي من بعده والزجاج من بعدهما ، وكلهم عجم في أنسابهم . وإنما رُبووا في اللسان العربي ، فاكتمبوه بالمربي ومخالطة العرب ، وصيروه قوانين وفناً لمن بعدهم .

وكذا حملة الحديث الذين حفظوه على أهل الاسلام أكثرهم عجم أو مستعجمون باللغة والمربي لا تساع الفن بالعراق .

وكان علماء أصول الفقه كلهم عجماً كما يعرف ، وكذا حملة علم الكلام وكذا أكثر المفسرين . ولم يبق يحفظ العلم وتدوينه

(١) كذا ، وفي ب : واحتيج .

إلا الأعاجيم . وظهر مصداقُ قوله ﷺ : « لو تعلّق العلمُ بأكنافِ السماء ، لئالهُ قومٌ من أهلِ فارسٍ » .

وأما العربُ الذين أدركوا هذه الحضارة وسوقها وخرجوا إليها عن البداوة فشغلَتْهم الرياسَةُ في الدولة العباسية وما دُفِعُوا إليه من القيامِ بالملكِ عن القيامِ بالعلمِ ، والنظرِ فيه ، فإنهم كانوا أهلَ الدولة وحاميتها وأوليَ سياستها ، مع ما يلحظُهم من الأنفة عن انتحالِ العلمِ حينئذٍ بما صار من جملةِ الصنائعِ . والرؤساءُ أبداً يستكفون عن الصنائعِ والمهنِ ، وما يجزُّ إليها ، ودفعُوا ذلك إلى من قامَ به من العجمِ والمؤلفين . وما زالوا يرونَ لهم حقَّ القيامِ به ، فانه دينُهم وعلومُهم ، ولا يحتقرونَ حملتها كلَّ الاحتقارِ . حتى إذا خرج الأمرُ من العربِ جملةً وصارَ للعجمِ ، صارت العلومُ الشرعيةُ غريبةَ النسبةِ عند أهلِ الملكِ ، بما هم عليه من البعدِ عن نسبتها ، وامتنَ حملتها بما يرونَ أنهم بُعِدوا عنهم مشتغلين بما لا يُغني ولا يُجدي عليهم ، في الملكِ والسياسةِ كما ذكرناه في فصل المراتبِ الدينية . فهذا الذي قرَّره هو السببُ في أنَّ جملةَ الشريعةِ أو عامَّتْهم من العجمِ .

وأما العلومُ العقليةُ أيضاً فلم تظهر في الملةِ إلا بعد أن تميّزَ جملةُ العلمِ ومؤلفوه . واستقرَّ العلمُ كُلُّهُ صناعةً ، فاخصّصَتْ بالعجمِ وتركها العربُ ، وانصرفوا عن انتحالِها ، فلم يحملها إلا المعربون من العجمِ ، شأنُ الصنائعِ كما قلناه أولاً . فلم يزل ذلك في الأمصارِ الإسلامية ما دامت الحضارةُ في العجمِ وبلادهم من العراقِ



وخراسان وما وراء النهر . فلما خربت تلك الأمصار وذهبت منها الحضارة ، التي هي سرُّ الله في حصول العلم والصنائع ، ذهب العلم من العجم جملة لما شملهم من الداوة . واختص العلم بالأمصار الموفورة الحضارة . ولا أوفر اليوم في الحضارة من مصر فهي أمُّ العالم وإيوان الإسلام وينبوع العلم والصنائع . وبقي بعض الحضارة فيما وراء النهر ، لما هناك من الحضارة بالدولة التي فيها ، فلم يبق بذلك حصّة من العلوم والصنائع لا تُنكر . وقد دلنا على ذلك كلام بعض علمائهم في تأليف ، وصلت إلينا إلى هذه البلاد ، وهو سعد الدين التفتازاني . وأما غيره من العجم ، فلم تر لهم ، من بعد الإمام ابن الخطيب ونصير الدين الطوسي كلاماً يعول على نهايته في الإصابة . فاعتبر ذلك وتأمله تر عجباً في أحوال الخليفة . والله يخلق ما يشاء لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وحسبنا الله ونعم الوكيل والحمد لله .

## الفصل الرابع والأربعون

في أن العجبة إذا سبقت إلى اللسان

نصت بطلعها في تحصيل العلوم من لعل اللسان العربي

والسرُّ في ذلك أن مباحث العلوم كلّها إنما هي في المعاني الذهبية والحياثية ، من بين العلوم الشرعية ، التي هي أكثر مباحثها في الألفاظ وموادها من الأحكام المتلقاة من الكتاب والسنة

ولغاتها المؤدية لها ، وهي كلها في الخيال ؛ وبين العلوم العقلية ، وهي في الذهن . واللغات إنما هي ترجان عما في الضائر من تلك المعاني ، يؤديها بعض إلى بعض بالمشاهدة في المناظرة والتعليم ، وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المراتب على ذلك . والألفاظ واللغات وسائط وحجب بين الضائر ، وروابط وختام عن المعاني . ولا بد في اقتناص تلك المعاني من ألفاظها لمعرفة دلالاتها الثورية عليها ، وجود الملكة لناظر فيها ، وإلا فيعتاص عليه اقتناصها زيادة على ما يكون في مباحثها الذهنية من الاعتياص . وإذا كانت ملكته في تلك الدلالات راسخة ، بحيث يتبادر المعاني إلى ذهنه من تلك الألفاظ عند استعمالها ، شأن البديهي والجلي ، زال ذاك الحجاب بالجملة بين المعاني والفهم ، أو خف ؛ ولم يبق إلا معاناة ما في المعاني من المباحث فقط . هذا كله إذا كان التعليم تلقيناً وبالخطاب والعبارة . وأما إن احتاج المتعلم إلى الدراسة والتقييد بالكتاب ومشاهدة الرسوم الخطية من الدواوين بمسائل العلوم ، كان هنالك حجاب آخر بين الخط ورسومه في الكتاب ؛ وبين الألفاظ المقولة في الخيال . لأن رسوم الكتابة لها دلالة خاصة على الألفاظ المقولة . وما لم تعرف تلك الدلالة تمددت معرفة العبارة ، وإن عرفت بملكة قاصرة كانت معرفتها أيضاً قاصرة ، ويزداد على الناظر والمتعلم بذلك حجاب آخر بينه وبين مطلوبه ، من تحصيل ملكات العلوم أعوص من الحجاب الأول . وإذا كانت ملكته في الدلالة اللفظية والخطية مستحكمة ارتفعت الحجب بينه

وبين المعاني. وصار إثمًا يُعاني فهم مباحثها فقط . هذا شأنُ المعاني مع الألفاظِ والخطِّ بالنسبةِ إلى كلِّ لغةٍ . والمتعلمون لذلك في الصغر أشدَّ استحكاماً للمكاتهم . ثم إنَّ الملةَ الإسلاميةَ لما اتسع ملكها واندرجت الأممُ في طيها ودرست علومُ الأولين بنبوتها وكتابتها، وكانت أمةُ النزعةِ والشعارِ؛ فأخذَ الملكُ والعِزةُ وسُخريَّةُ الأممِ لهم بالحضارةِ والتهذيبِ، وصيروا علومهم الشرعيةَ صناعةً، بعد أن كانت نقلاً؛ فحدثت فيهم المكات، وكثرت الدواوين والتأليف؛ وتشوّفوا إلى علوم الأمم فنقلوها بالترجمةِ إلى علومهم وأفرغوها في قالبِ أنظاريهم، وجردوها من تلك اللغات الأعجبية إلى لسانهم وأرَبَوْا فيها على مدارِكهم، وبقيت تلك الدفاترُ التي بلغتهم الأعجبية نسياً منسياً وطلائلاً مهجوراً وهباءً منشوراً . واصبحت العلومُ كلها بلغةِ العربِ، ودواوينها المسطرةُ بخطهم، واحتاج القائلون بالعلوم إلى معرفةِ الدلالاتِ اللفظيةِ والخطيةِ في لسانهم دون ما سواه من الألسن، لدروسها وذهابِ العناية بها . وقد تقدم لنا أنَّ اللغةَ ملكةُ في اللسان، وكذا الخطُّ صناعةُ ملكتها في اليد؛ فإذا تقدّمت في اللسان ملكةُ العُجمة، صار مقصراً في اللغةِ العربيةِ، لما قدّمناه من أنَّ الملكةَ إذا تقدّمت في صناعةٍ بمحلٍّ، فقلَّ أن يجيدَ صاحبها ملكةً في صناعةٍ أخرى، وهو ظاهر . وإذا كان مقصراً في اللغةِ العربيةِ ودلالاتِها اللفظيةِ والخطيةِ اعتاصَ عليه فهمُ المعاني منها كما مرَّ . إلا أن تكونَ ملكةُ العُجمةِ السابقةِ لم تستحكم حين انتقل منها إلى العربيةِ، كأصاغر أبناءِ العجم الذين يرون مع العربِ

قبل أن تستحكم عُجْمَتُهُمْ ، فتكون اللغة العربية كأنها السابقة لهم ، ولا يكون عندهم تقصيرٌ في فهم المعاني من العربية . وكذا أيضاً شأن من سبق له تعلُّم الخطِّ الأعجميِّ قبل العربيِّ . ولهذا نجد الكثير من علماء الأعاجم في دروسهم ومجالس تعليمهم يعللون عن نقل التفاسير من الكتب إلى قراءتها ظاهراً يخفون بذلك عن أنفسهم مؤونة بعض الحُجُب ليقرب عليهم تناول المعاني . وصاحب الملكة في العبارة والخطِّ مستغن عن ذلك ؛ بتمام ملكته ، وإنه صار له فهم الأقوال من الخطِّ ، والمعاني من الأقوال ، كالهيئة الراسخة ، وارتفعت الحُجُب بينه وبين المعاني . وربما يكون الذُؤوب على التعليم والمران على اللغة ، وممارسة الخطِّ يُفْضِيَان بصاحبها إلى تَمَكُّن الملكة ، كما نجده في الكثير من علماء الأعاجم ؛ إلا أنه في النادر . وإذا قُرِنَ بنظيره من علماء العرب وأهل طبقته منهم ، كان باع العربيِّ أطولَ وملكته أقوى ، لما عند المستعجم من الفتور بالعُجْمَةِ السابقة التي يؤثر القصور بالضرورة ولا يعترض ذلك بما تقدّم بأن علماء الإسلام أكثرُهم العَجْمُ ، لأنَّ المراد بالعجم هنالك عجم النسب لتداول الحضارة فيهم التي قرّرت أنها سببٌ لانتحال الصنائع والملكات ومن جعلتها العلوم . وأما عجمة اللغة فليست من ذلك ، وهي المرادة هنا . ولا يعترض ذلك أيضاً مما كان لليونانيين في علوهم من رُسوخ القدم فإنهم إنما تعلوها من لغتهم السابقة لهم وخطهم المتعارف بينهم . والأعجمي المتعلِّم للعلم في الملة الإسلامية يأخذ العلم بغير لسانه الذي سبق إليه ، ومن غير خطِّه الذي يعرف

ملكته . فلهذا يكون له ذلك حجاباً كما قلناه . وهذا عامٌ في جميع أصناف أهل اللسان الأعجمي من الفرس والروم والترك والبربر والفرنج ، وسائر من ليس من أهل اللسان العربي . وفي ذلك آيات للتوسمين .

## الفصل الخامس والعشرون

في علوم اللسان العربي

أركانُهُ أربعةٌ : وهي اللغة والنحو والبيان والأدب . ومعرفتها ضروريةٌ على أهل الشريعة ، إذ مأخذ الأحكام الشرعية كلها من الكتاب والسنة ، وهي بلغة العرب ونقائها من الصحابة والتابعين عرب ، وشرح مشكلاتها من لغتهم ، فلا بد من معرفة العلوم المتعلقة بهذا اللسان لمن أراد علم الشريعة . وتفاوت في التأكيد بتفاوت مراتبها في التوفية بمقصود الكلام ، حسبما يتبين في الكلام عليها فنأ فناً . والذي يتحصل أن الأهم المقدم منها هو النحو ، إذ به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ، ولولا له لجعل أصل الإفادَةِ . وكان من حق علم اللغة التقدم ، لولا أن أكثر الأوضاع باقية في موضوعاتها ، لم تتغير بخلاف الإعراب الدال على الإسناد والمُسند والمسند إليه ، فانه تغير بالجملة ولم يبق له أثر . فذلك كان علم النحو أهم من اللغة ، إذ في جهله الإخلال بالتفاهم جملة ، وليست كذلك اللغة . والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

## علم النحو

اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصود. وتلك العبارة فعل لساني ناشئ عن القصد بإفادته الكلام ، فلا بد أن تصير ملكة متقررة في العضو الفاعل لها ، وهو اللسان. وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم . وكانت الملكة الحاصلة للعرب من ذلك أحسن الملكات وأوضحها إثباتاً عن المقاصد ، للدلالة غير الكلمات فيها على كثير من المعاني . مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من الجورود أعني المضاف ، ومثل الحروف التي تفضي بالأفعال أي الحركات إلى الذات من غير تكلف ألفاظ أخرى . وليس يوجد ذلك إلا في لغة العرب . وأما غيرها من اللغات فكل معنى أو حال لا بد له من ألفاظ تخصه بالدلالة ، ولذلك نجد كلام العجم في مخاطباتهم أطول مما نقدره بكلام العرب . وهذا هو معنى قوله عليه السلام : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصاراً » . فصار للحروف في لغتهم والحركات والهيئات ، أي الأوضاع ، اعتبار في الدلالة على المقصود غير متكلفين فيه لصناعة يستفيدون ذلك منها . إنما هي ملكة في ألسنتهم يأخذها الآخر عن الأول كما تأخذ صبياننا لهذا الهدى لفاتنا .

فلما جاء الاسلام وفارقوا الحجاز لطلب الملك ، الذي كان في أيدي الأمم والدول ، وخالطوا العجم ، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمتعربين من العجم . والسمع أبو

الملكات اللسانية، ففسدت بما ألقى إليها مما يغيرها، لجنوحها إليه باعتياد السمع. وخشي أهل العلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأساً ويطول الهدبها، فينقل القرآن والحديث على المفهوم؛ فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة، شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ويلحقون الأشباه بالأشياء. مثل أن الفاعل مرفوع والمفعول منصوب، والابتداء مرفوع. ثم رأوا تغير الدلالة بتغير حركات هذه الكلمات، فاصطلحوا على تسميته إعراباً، وتسمية الموجب لذلك التغير عايلاً وأمثال ذلك. وصارت كلها اصطلاحات خاصة بهم، فقيدها بالكتاب وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. وأول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي من بني كنانة، ويقال بإشارة علي رضي الله عنه، لأنه رأى تغير الملكة، فأشار عليه بحفظها، ففرغ إلى ضبطها بالقوانين الحاضرة<sup>(١)</sup> المستقرأة؛ ثم كتب فيها الناس من بعده إلى أن انتهت إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي أيام الرشيد، أحوج ما كان الناس إليها، لذهاب تلك الملكة من العرب. فهذب الصناعة وكل أبوابها. وأخذها عنه سيبويه، فكمل تقاريعها واستكثر من أدلتها وشواهدبها، ووضع فيها كتابه المشهور، الذي صار إماماً لكل ما كتب فيها من بعده. ثم وضع أبو علي الفارسي وأبو القاسم الزجاج كتاباً مختصرة للمتعلمين، يحذون فيها حذو الإمام في كتابه.

(١) كذا، وفي ب: الحاضرة.

ثم طال الكلام في هذه الصناعة وحدث الخلاف بين أهلها ، في الكوفة والبصرة : المصريين القديين للعرب . وكثرت الأدلة والنجاح بينهم ، وتباينت الطرق في التعليم ، وكثر الاختلاف في إعراب كثير من آي القرآن ، باختلافهم في تلك القواعد ، وطال ذلك على المتعلمين . وجاء المتأخرون بمذاهبهم في الاختصار ، فاختصروا كثيراً من ذلك الطول مع استيعابهم لجميع ما نُقل ، كما فعله ابن مالك في كتاب التسهيل وأمثاله ، أو اختصارهم على المبادئ للمتعلمين ، كما فعله الزمخشري في المفصل وابن الحاجب في المقدمة له . وربما نظموا ذلك نظماً مثل ابن مالك في الأرجوزتين الكبرى والصغرى ، وابن مُمطلي في الأرجوزة الألفية . وبالجملة فالتأليف في هذا الفن أكثر من أن تحصى أو يحاط بها ، وطرق التعليم فيها مختلفة ؛ فطريقة المتقدمين منيرة لطريقة المتأخرين . والكوفيون والبصريون والبغداديون والأندلسيون مختلفة طرقتهم كذلك .

وقد كادت هذه الصناعة أن تؤذن بالذهاب لما رأينا من النقص في سائر العلوم والصنائع بتناقص العمران ، ووصل إلينا بالمغرب لهذه العصور ديوان من مصر ، منسوب إلى جمال الدين ابن هشام من علمائها ، استوفى فيه أحكام الإعراب بجملة ومفصلة . وتكلم على الحروف والمفردات والجلد ، وحذف ما في الصناعة من التكرار في أكثر أبوابها وسماه باللغني في الإعراب . وأشار إلى نُكت إعراب القرآن كلها وضبطها بأبواب وفصول وقواعد انتظمت



سائرَها ؛ فوقَّنا منه على علمِ جَمِّ يَشْهَدُ بعلوِّ قَدْرِهِ في هذه الصناعةِ ووفورِ بضاعتهِ منها ، وكأنَّه ينحو في طريقتهِ مَنْحَى نُجْحِ أَهْلِ الموصلِ ، الذينَ اقتفوا أثرَ ابنِ جَنِّي واتبَعوا مصطلحَ تعليمِهِ ، فأثَى من ذلك بشيءٍ عَجِيبٍ دالٌّ على قوَّةِ ملكتِهِ وإِطلاعِهِ . واللهُ يَزِيدُ في الخلقِ ما يشاء .

### علم اللغة

هذا العلمُ هو بيانُ الموضوعاتِ اللغويَّةِ . وذلك أَنَّهُ لما فسدت ملكةُ اللسانِ العربيِّ ، في الحركاتِ المسبَّقةِ عند أَهْلِ النحْوِ بالإعرابِ ، واستثَبَّتِ القوانِينُ لحفظِها كما قلناهُ . ثم استمرَّ ذلك الفسادُ بملابسةِ الجَمِّ ومغالطتهم ، حتى تَأدَّى الفسادُ إلى موضوعاتِ الألفاظِ ، فاستعملَ كثيرٌ من كلامِ العربِ في غيرِ موضوعِهِ عندهم ، ميلاً مع هُجْنَةٍ<sup>(١)</sup> المتعريين في اصطلاحاتهم المخالفةَ لصريحِ العربيةِ ، فاحتيجَ إلى حِفْظِ الموضوعاتِ اللغويَّةِ بالكتابِ والتدوينِ ؛ خشيةَ الدُّروسِ وما ينشأُ عنه من الجملِ بالقرآنِ والحديثِ ، فسمَّى كثيرٌ من أئمَّةِ اللسانِ لذلك وأملوا فيه الدواوينَ . وكانَ سابقَ الحَلَبَةِ في ذلك الخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ . أَلَفَ فيها كتابَ العينِ ؛ فحصرَ فيه مَرَكَبَاتِ حروفِ المُعْجَمِ كلها ، من الثَّانِي والثَّلَاثِي والرُّبَاعِي والخَمَاسِي ، وهو غايةُ ما ينتهي إليه التركيبُ في اللسانِ العربيِّ .

(١) الهجنة في الكلام : العيب والقيح . (قاموس) .

وتأتى له حصر ذلك بوجود عديده حاصره ، وذلك أن جملة  
الكلمات الثنائية تخرج من جميع الأعداد على التوالي من واحد  
إلى سبعة وعشرين ، وهو دون نهاية حروف المعجم الواحد . لأن  
الحرف الواحد منها يؤخذ مع كل واحد من السبعة والعشرين ،  
فتكون سبعة وعشرين كلمة ثنائية . ثم يؤخذ الثاني مع الستة  
والعشرين كذلك . ثم الثالث والرابع . ثم يؤخذ السابع والعشرون  
مع الثامن والعشرين ، فيكون واحداً ، فتكون كلها أعداداً على  
توالي العدد من واحد إلى سبعة وعشرين ، فتجمع كما هي بالعمل  
المعروف عند أهل الحساب وهو أن تجمع الأول مع الأخير  
وتضرب المجموع في نصف العدد . ثم تضاعف لأجل قلب الثاني ،  
لأن التقديم والتأخير بين الحروف معتبر في التركيب ، فيكون  
الخارج جملة الثنائيات .

وتخرج الثلاثيات من ضرب عدد الثنائيات فيما يجمع من  
واحد إلى ستة وعشرين على التوالي العدد ، لأن كل ثنائية تزيد  
عليها حرفاً ، فتكون ثلاثية . فتكون الثنائية بمنزلة الحرف الواحد  
مع كل واحد من الحروف الباقية ، وهي ستة وعشرون حرفاً ،  
بعد الثنائية ، فتجمع من واحد إلى ستة وعشرين على التوالي العدد ،  
ويضرب فيه جملة الثنائيات ، ثم تضرب الخارج في ستة ، جملة  
مقلوبات الكلمة الثلاثية ، فيخرج مجموع تركيبها من حروف المعجم .  
وكذلك في الرباعي والخماسي . فانحصرت له التراكيب بهذا الوجه ،  
ورتب أبوابه على حروف المعجم بالترتيب المتعارف . واعتمد فيه

ترتيب الخارج ، فبدأ بحروف الخلق ، ثم ما بعده من حروف الخلق ثم الأضراس ، ثم الشفة ، وجعل حروف البلية آخراً ، وهي الحروف الهوائية . وبدأ من حروف الخلق بالعين ، لأنه الأقصى منها . فلذلك سمي كتابه بالعين ، لأن المتقديمين كانوا يذهبون في تسمية دواوينهم إلى مثل هذا ، وهو تسميته بأول ما يقع فيه من الكلمات والألفاظ . ثم بين المهمل منها من المستعمل ، وكان المهمل في الرباعية والخمسة أكثر لقلّة استعمال العرب له لثقله ، ولحق به الشنائي لقلّة دورانه ، وكان الاستعمال في الثلاثي أغلب ، فكانت أوضاعه أكثر لدورانه . وضمن الخليل ذلك كله في كتاب العين واستوعبه أحسن استيعاب وأوفاه .

وجاء أبو بكر الزبيدي وكتب لهشام المويّد بالأندلس ، في المائة الرابعة ، فاختصره مع المحافظة على الاستيعاب وحذف منه المهمل كله ، وكثيراً من شواهد المستعمل ، ولخصه ليحفظ أحسن تلخيص .

وألف الجوهرى من المشارقة ، كتاب الصّحاح ، على الترتيب المتعارف لحروف المعجم ، فجعل البداءة منها بالمعزة وجعل الترجمة بالحروف على الحرف الأخير من الكلمة ، لاضطرار الناس في الأكثر إلى أواخر الكلم ، فيجعل ذلك باباً . ثم يأتي بالحروف أول الكلمة ، على ترتيب حروف المعجم أيضاً ، ويترجم عليها بالفصول إلى آخرها . وحصر اللغة اقتداءً بمحصر الخليل .

ثم ألف فيها من الأندلسيين ابن سيده من أهل دانية ، في

دولة علي بن مجاهد، كتاب المحكم على ذلك المنحى من الاستيعاب، وعلى نحو ترتيب كتاب العين. وزاد فيه التعرض لاشتقاقات الكلم وتصاريحها؛ فجاء من أحسن الدواوين. ولخصه محمد بن أبي الحسين صاحب المستنصر من ملوك الدولة الحفصية بتونس. وقلب ترتيبه إلى ترتيب كتاب الصحاح في اعتبار أواخر الكلم وبناء التراجم عليها، فكانا قوامي رحمة وسليتي أئمة.

ولكراخ من أئمة اللغة كتاب المنجد، ولابن دؤيد كتاب الجهرة ولابن الأنباري كتاب الزاهر.

هذه أصول كتب اللغة فيما علمناه. وهناك مختصرات أخرى مختصة بصنف من الكلم ومستوعبة لبعض الأبواب أو لكليها؛ إلا أن وجه الحصر فيها خفي، ووجه الحصر في تلك جلي من قبل التراكم كما رأيت. ومن الكتب الموضوعية أيضاً في اللغة كتاب الزخشري في المجاز، وسماه أساس البلاغة، بين فيه كل ما تجوزت به العرب من الألفاظ، فيما تجوزت به من المدلولات، وهو كتاب شريف الإفادة.

ثم لما كانت العرب تضع الشيء لمعنى على العموم، ثم تستعمل في الأمور الخاصة ألفاظاً أخرى خاصة بها، فرق ذلك عندنا، بين الوضع والاستعمال، واحتاج الناس إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ؛ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض، ثم اختص ما فيه بياض من الخيل بالأشهب، ومن الإنسان بالأزهر، ومن النعم بالأملح، حتى صار استعمال الأبيض في هذه كلها خطأ وخروجاً

عن لسانِ العرب . واختصَّ بالتأليفِ في هذا المنحى الثعالبيُّ ، وأفردهُ في كتابٍ له سمَّاهُ فقه اللِّغة ، وهو من آكد ما يأخذُ به اللُّغويُّ نفسه ، أن يحرِّفَ استعمالَ العربِ عن مواضعِهِ . فليسَ معرفةُ الوضعِ الأوَّلِ بكافٍ في التركيبِ ، حتى يشهدَ له استعمالُ العربِ لذلك . وأكثر ما يحتاجُ إلى ذلك الأديبُ في فني نظمه ونثره ، حذراً من أن يكثرَ لحنه في الموضوعاتِ اللُّغويَّةِ في مفرداتها وتركيبها ، وهو أشْر من اللحنِ في الإعرابِ وأفحشُ . وكذلك أَلَفَ بعضُ المتأخِّرينَ في الألفاظِ المشتركة وتكفَّلَ بحصرها ، وإن لم يبلغْ إلى النهايةِ في ذلك ، فهو مستوعبٌ للأكثر . وأمَّا المختصراتُ الموجودةُ في هذا الفنِّ ، المخصوصةُ بالتداولِ من اللِّغة الكثيرِ الاستعمالِ ، تسهيلاً لحفظها على الطالبِ ، فكثيرةٌ مثل الألفاظِ لابنِ السِّكِّيتِ والفصيحِ لثعلبٍ وغيرها . وبعضُها أقلُّ لغةً من بعضٍ لاختلافِ نظريهم في الأهمِّ على الطالبِ للحفظِ . والله الخلاقُ العليمُ ، لا ربَّ سواه .

فصل : واعلمْ أنَّ النقلَ الذي ثبتُ به اللِّغةُ ، إمَّا هو النقلُ عن العربِ أنهم استعملوا هذه الألفاظَ لهذه المعاني ، لا نقلُ إناهم وضعوها لأنَّه متعذِّر وبميد ، ولم يعرف لأحد منهم . وكذلك لا تثبتُ اللغاتُ بقياسِ ما لم نعلمْ استعماله ، على ما عُرِفَ استعماله في ماءِ النَّبِ ، باعتبارِ الإنسكارِ الجامع . لأنَّ شهادةَ الاعتبارِ في بابِ القياسِ إمَّا يدرُكها الشرعُ الدالُّ على صحَّةِ القياسِ من أصله . وليس لنا مثله في اللِّغةِ إلَّا بالعقل ، وهو محكم ، وعلى هذا جمهورُ الأئمَّةِ .

وإن مَالَ إِلَى الْقِيَاسِ فِيهَا الْقَاضِي وَابْنُ سُرَيْجٍ وَغَيْرُهُمْ . لَكِنِ الْقَوْلُ  
بِنَفْيِهِ أَرْجَحُ . وَلَا تَتَوَهَّنَنَّ أَنْ إِثْبَاتَ اللُّغَةِ فِي بَابِ الْحُدُودِ اللَّفْظِيَّةِ ،  
لَأَنَّ الْحَدَّ رَاجِعٌ إِلَى الْمَعْنَى ، بَيَانُ أَنَّ مَدْلُولَ اللَّفْظِ الْمَجْهُولِ الْحَقِيقِي  
هُوَ مَدْلُولُ الْوَاضِحِ الْمَشْهُورِ ، وَاللُّغَةُ إِثْبَاتُ أَنَّ اللَّفْظَ كَذَا ، لِمَعْنَى  
كَذَا ، وَالْفَرْقُ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ .

### علم الفيل

هَذَا الْعِلْمُ حَدَثٌ فِي الْمِلَّةِ بَعْدَ عِلْمِ الرَّبِّيَّةِ وَاللُّغَةِ ، وَهُوَ مِنْ  
الْعُلُومِ اللَّسَانِيَّةِ ، لِأَنَّهُ مُتَعَلِّقٌ بِالْأَلْفَاظِ وَمَا تَفِيدُهُ . وَيُقَصَّدُ بِهَا  
الدَّلَالَةُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْنَى . وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي يَقْصِدُ التَّكَلِّمُ بِهَا  
إِفَادَةَ السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ هِيَ : إِمَّا تَصَوُّرَ مَفْرَدَاتٍ تُسْنَدُ وَيُسْنَدُ  
إِلَيْهَا وَيَفْضِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ ، وَالدَّلَالَةُ عَلَى هَذِهِ هِيَ الْمَفْرَدَاتُ  
مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْأَفْعَالِ وَالْحُرُوفِ ؛ وَإِمَّا تَمْيِيزَ الْمُسْنَدَاتِ مِنَ الْمُسْنَدِ  
إِلَيْهَا وَالْإِزْمَنَةَ ، وَيُنْكَرُ عَلَيْهَا بِتَغْيِيرِ الْحَرَكَاتِ وَهُوَ الْإِعْرَابُ وَأَبْنِيَّةُ  
الْكَلِمَاتِ . وَهَذِهِ كُلُّهَا هِيَ صِنَاعَةُ النُّحُورِ . وَيَبْقَى مِنَ الْأُمُورِ  
الْمَكْتَنِفَةِ بِالْوَاقِعَاتِ ، الْحَاجَةُ لِلدَّلَالَةِ ، أَحْوَالُ الْمُتَخَاطِبِينَ أَوِ الْفَاعِلِينَ ،  
وَمَا يَقْتَضِيهِ حَالُ الْفِعْلِ ؛ وَهُوَ مَحْتَاجٌ إِلَى الدَّلَالَةِ عَلَيْهِ ، لِأَنَّهُ مِنْ  
تِمَامِ الْإِفَادَةِ ، وَإِذَا حَصَلَتْ لِلتَّكَلِّمِ فَقَدْ بَلَغَ غَايَةَ الْإِفَادَةِ فِي  
كَلَامِهِ . وَإِذَا لَمْ يَشْتَبَلْ عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، فَلَيْسَ مِنْ جَنْسِ كَلَامِ  
الْعَرَبِ ؛ فَإِنَّ كَلَامَهُمْ وَاسِعٌ ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ عِنْدَهُمْ مَقَالٌ يَخْتَصُّ بِهِ  
بَعْدَ كَلَامِ الْإِعْرَابِ وَالْإِيَانَةِ .

ألا ترى أنَّ قولهم : ( زيدٌ جاءني ) مغايرٌ لقولهم ( جاءني زيدٌ ) من قبيلِ أنَّ المتقدمَ منهما هو الأهمُّ عند التكلُّم . فن قال : جاءني زيدٌ ، أفاد أنَّ اهتمامَهُ بالحيء ، قبل الشخصِ المسندِ إليه ، ومن قال : زيدٌ جاءني ، أفاد أنَّ اهتمامَهُ بالشخصِ ، قبل الحيءِ المسندِ . وكذا التعبيرُ عن أجزاءِ الجملةِ ، بما يتناسبُ المقامُ ، من موصولٍ أو مُبهمٍ أو معرفةٍ . وكذا تأكيدُ الإسنادِ على الجملةِ ، كقولهم : زيدٌ قائمٌ ، وإنَّ زيداً قائمٌ ، وإنَّ زيداً قائمٌ ، متنازعةٌ كلّها في الدلالةِ ، وإن استوت من طريقِ الإعرابِ ؛ فإنَّ الأولَ العاري عن التأكيدِ إنما يُفيدُ الخالي الذهنِ ، والثاني المؤكِّدُ ( إن ) يفيدُ المتردِّدَ ، والثالثُ يفيدُ التكرارَ ، فهي مختلفةٌ . وكذلك تقولُ : جاءني الرجلُ ، ثم تقولُ مكانهُ بعينه جاءني رجلٌ إذا قصدتَ بذلك التنكيرَ تعظيماً ، وأنه رجلٌ لا يعادلهُ أحدٌ من الرجالِ . ثم الجملةُ الإسناديةُ تكونُ خبريةً ، وهي التي لها خارجٌ تطابُعُهُ أولاً ، وإنشائيةً وهي التي لا خارجَ لها كالطلبِ وأنواعه . ثم قد يتعيَّنُ تركُّ العاطفِ بينَ الجملتينِ إذا كانَ للثانيةِ محلٌّ من الإعرابِ : فينزلُ بذلك منزلةَ التابعِ المفردِ نعماً أو توكيداً أو بدلاً بلا عطفٍ ، أو يتعيَّنُ المطفُ إذا لم يكنِ للثانيةِ محلٌّ من الإعرابِ . ثم يقتضي الجهلُ الاطنابَ أو الانحيازَ فيوردُ الكلامُ عليهما . ثم قد يُدكُّ باللفظِ ولا يرادُ منطوقُهُ ويرادُ لازمُهُ إن كان مفرداً ، كما تقولُ : زيدٌ أسدٌ ، فلا تريدُ حقيقةَ الأسدِ لمنطوقِهِ ، وإنما تريدُ شجاعتهُ اللازمةَ تُسندُها إلى زيدٍ ، وتُسمَّى هذه استعارةً .

وقد تريد باللفظ المركب الدلالة على ملزومه ، كما تقول : زيد كثير رَمَادِ القدور ، وتريد به ما لزم ذلك عنه من الجود وقرى الضيف ، لأن كثرة الرماد ناشئة عنها ، فهي دالة عليها ، وهذه كلها دلالة زائدة على دلالة الألفاظ من المفرد والمركب ، وإنما هي هيأت وأحوال للواقعات جُعلت للدلالة عليها أحوال وهيأت في الألفاظ كل بحسب ما يقتضيه مقامه ، فاشتمل هذا العلم المسمى بالبيان على البحث عن هذه الدلالات التي للهيأت والأحوال والمقامات ، وجعل على ثلاثة أصناف : الصنف الأول يبحث فيه عن هذه الهيأت والأحوال ، التي تطابق باللفظ جميع مقتضيات الحال ، ويسمى علم البلاغة ، والصنف الثاني يبحث فيه عن الدلالة على اللازم اللفظي وملزومه وهي الاستمارة والكناية كما قلناه ويسمى علم البيان . وألحقوا بها صنفاً آخر ، وهو النظر في ترتيب الكلام وتحسينه بنوع من التتميق : إما بسجع يفصله ، أو تجنيس يشابه بين ألفاظه ، أو ترصيع يقطع أوزانه ، أو توريث عن المعنى المقصود بإيهام<sup>(١)</sup> معنى أخفى منه ، لاشتراك اللفظ بينهما أو طباق بالتقابل بين الأضداد ، وأمثال ذلك ، ويسمى عندهم علم البديع . وأطلق على الأصناف الثلاثة عند المحدثين اسم البيان ، وهو اسم الصنف الثاني ، لأن الأقدمين أول ما تكلموا فيه . ثم تلاقت مسائل الفن واحدة بعد أخرى ، وكتب فيها جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وأمثالهم إملات غير وافية فيها . ثم لم تزل مسائل الفن

(١) كذا ، وفي نسخة : يلهام .



تكمل شيئاً فشيئاً إلى أن يخضع السكاكي زبدته وهذب مسأله ورّتب أبوابه، على نحو ما ذكرناه آنفاً من الترتيب، وألف كتابه المسمى بالفتح في النحو والتصريف والبيان، فجعل هذا الفن من بعض أجزائه. وأخذ المتأخرون من كتابه، ولخصوا منه أهات هي المتداولة لهذا العهد، كما فعله السكاكي في كتاب التبيان<sup>(١)</sup>، وابن مالك في كتاب المصباح، وجلال الدين القزويني في كتاب الإيضاح والتلخيص، وهو أصغر حجماً من الإيضاح، والعناية به لهذا العهد، عند أهل المشرق، في الشرح والتعليم منه أكثر من غيره. وبالجملة فالمشاركة على هذا الفن أقوم من المغاربة، وسببه والله أعلم أنه كالي في العلوم اللسانية، والصنائع الكمالية توجد في وفور الممران. والمشرق أوفرُ ممراناً من المغرب كما ذكرناه. أو نقول لعناية المعجم وهم معظم أهل المشرق، ك تفسير الزمخشري، وهو كله مبني على هذا الفن وهو أصله. وإنما اختص بأهل المغرب من أصنافه علم البديع خاصة، وجعلوه من جملة علوم الأدب الشعرية، وفرغوا له ألقاباً وعددوا أبواباً ونوعوا أنواعاً. وزعموا أنهم أحصوها من لسان العرب، وإنما حملهم على ذلك الولوع بتزيين الألفاظ، وأن علم البديع سهل المأخذ. وصعب عليهم مأخذ البلاغة والبيان لدقة أنظاريها وغموض معانيها فتجافوا عنها. ومن ألف في البديع من أهل إفريقية ابن رشيقر، وكتاب العبد له مشهور. وجري كثير من أهل إفريقية والاندلس على

(١) كذا، وفي ب: البيان.

منحاه. واعلم أن ثمرة هذا الفن إنما هي في فهم الإعجاز من القرآن، لأن إعجازه في وفاء الدلالة منه بجميع مقتضيات الأحوال منطوقة ومفهومة؛ وهي أعلى مراتب الكمال، مع الكلام فيما يختص بالألفاظ، في انتقائها وجوده رصيفاً<sup>(١)</sup> وتركيبها، وهذا هو الإعجاز الذي تقصّر الأفهام عن إدراكه. وإنما يُدرك بعض الشيء منه من كان له ذوق بمخالطة اللسان العربي وحصول ملكته، فيدرك من إعجازه على قدر ذوقه.

فلهذا كانت مدارك العرب الذين سمعوه من مبلغه أعلى مقاماً في ذلك، لأنهم فرسان الكلام وجهاً بذته، والذوق عندهم موجود بأوفر ما يكون وأصح. وأحوج ما يكون إلى هذا الفن المفسرون، وأكثر تفاسير المتقدمين غفل منه، حتى ظهر جاز الله الزعشري ووضّع كتابه في التفسير، وتنبّع آي القرآن بأحكام هذا الفن، بما يبدي البعض من إعجازه؛ فانفرد بهذا الفضل على جميع التفاسير، لولا أنه يؤيد عقائد أهل البدع عند اقتباسها من القرآن بوجود البلاغة. ولاجل هذا يتحاماه كثير من أهل السنة، مع وفور بضاعته من البلاغة. فن أحكم عقائد السنة وشارك في هذا الفن بعض المشرك، حتى يقتدر على الرد عليه من جنس كلامه، أو يعلم أنها بدعة فيعرض عنها ولا تضره في معتقده؛ فإنه يتعاضد عليه النظر في هذا الكتاب، للظفر بشيء من الإعجاز، مع السلامة من البدع والأهواء. والله الهادي من يشاء إلى سواء السبيل.

(١) كذا، وفي ب: وجوده وضمها.

## علم الأدب

هذا العلم لا موضوع له ، ينظرُ في اثباتِ عوارضه أو نفيها . وإنما المقصودُ منه عند أهل اللسانِ ثمرتهُ ، وهي الإِجَادَةُ في فني المنظومِ والمنثورِ ، على أساليبِ العربِ ومناحيهم ؛ فيجمعون لذلك من كلامِ العربِ ما عساهُ تحصلُ به الكلمةُ ، من شعرٍ عالي الطبقةِ وسجعٍ متساوٍ في الإِجَادَةِ ومسائلٍ من اللغةِ والنحوِ ، مبثوثة أثناء ذلك ، متفرقة ، يستقري منها الناظرُ في الغالبِ مُعظَمَ قوانينِ العريّةِ ؛ مع ذكرِ بعضٍ من أيامِ العربِ ، يفهمُ به ما يقعُ في أشعارهم منها . وكذلك ذكرُ الميهمِ من الأنسابِ الشهيرةِ والأخبارِ العامّةِ . والمقصودُ بذلك كله أن لا ينفى على الناظرِ فيه شيءٌ من كلامِ العربِ وأَسَالِيهِمْ ومناحي بلاغتهم إذا تصفّحه ، لأنّه لا تحصلُ الملكةُ من حفظه إلا بعدَ فهمه ، فيحتاجُ إلى تقديمِ جميعِ ما يتوقّفُ عليه فهمه .

ثم إنهم إذا أرادوا حدّ هذا الفنِ قالوا : الأدبُ هو حفظُ أشعارِ العربِ وأخبارِها والأخذُ من كلِّ علمٍ بطرفٍ يريدون من علومِ اللسانِ أو العلومِ الشرعيّةِ من حيثُ متونها فقط ، وهي القرآنُ والحديثُ . إذ لا مدخلَ لغيرِ ذلك من العلومِ في كلامِ العربِ إلا ما ذهبَ إليه المتأخرونَ عند كلّهم بصنّاعةِ البديعِ من الورديةِ في أشعارهم وترسلهم بالاصطلاحاتِ العلميّةِ ؛ فاحتاجَ صاحبُ هذا الفنِ حينئذٍ إلى معرفةِ اصطلاحاتِ العلومِ ، ليكونَ قائماً على فهمها .

وسمعنا من شيوخنا في مجائس التعليم أن أصول هذا الفن وأركانه أربعة دواوين وهي : أدب الكتاب لابن قتيبة وكتاب الكامل للمبرّد ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، وكتاب النوادر لابي علي القالي البغدادي . وما سوى هذه الأربعة فتبع لها وفروع عنها . وكتب المحدثين في ذلك كثيرة .

وكان الغناء في الصدر الأول من أجزاء هذا الفن ، لما هو تابع للشعر ، إذ الغناء إما هو تلحينه . وكان الكتاب والفضلاء من الخوارج في الدولة العباسية يأخذون أنفسهم به ، حرصاً على تحصيل أساليب الشعر وفنونه ، فلم يكن انتحاله قادحاً في العدالة والمروءة . وقد ألف القاضي أبو الفرج الأصبهاني وهو ما هو ، كتابه في الأغاني ، جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وأنسابهم وأيامهم وذوهم . وجعل مبناه على الغناء في المائة صوت التي اختارها المتنون للرشيدي ، فاستوعب فيه ذلك أتم استيعاب وأوفاه . ولعمري إنه ديوان العرب وجامع أشتات المحاسن التي سلفت لهم ، في كل فن من فنون الشعر والتاريخ والغناء وسائر الأحوال ، ولا يُفدّل به كتاب في ذلك فيما نعلمه ، وهو الغاية التي يسمو إليها الأديب ويقف عندها ، وأنى له بها . ونحن الآن نرجع بالتحقيق على الإجمال فيما تكلمنا عليه من علوم اللسان . والله الهادي للصواب .

## الفصل السادس والأربعون

في أن اللغة ملكة صناعية

إعلم أَنَّ اللغاتِ كُلَّهَا ملكاتٌ شبيهةٌ بالصَّنَاعَةِ ، إذ هي ملكاتٌ في اللسانِ ، للعبادةِ عن المَآني وجودِهَا وقصورِهَا بحسبِ تمامِ الملكةِ أو نقصانِهَا . وليس ذلك بالنَّظَرِ إلى المفرداتِ ، وإنما هو بالنَّظَرِ إلى التراكيبِ . فإذا حصلتِ الملكةُ التامةُ في تركيبِ الألفاظِ المفردةِ ، للتعبيرِ بها عن المَآني المقصودةِ ، ومراعاةِ التأليفِ الذي يطبَّقُ الكلامَ على مقتضى الحالِ ، بلغَ المتكلمُ حينئذٍ الغايةَ من إفادَةِ مقصودهِ للسامعِ ، وهذا هو معنى البلاغةِ . والملكاتُ لا تحصلُ إلا بتكرارِ الأفعالِ لأنَّ الفعلَ يقعُ أولاً وتعودُ منه للذاتِ صفةٌ ، ثم تتكرَّرُ فتكونُ حالاً . ومعنى الحالِ أنها صفةٌ غيرُ راسخةٍ ، ثم يزيد التكرارُ فتكونُ ملكةً أي صفةً راسخةً .

فالتكليمُ من العربِ حينَ كانت ملكةً <sup>(١)</sup> اللغةُ العربيةُ موجودةً فيهم ، يسمعُ كلامَ أهلِ جيلِهِ ، وأساليبَهُم في مخاطبتِهِم وكيفيةَ تعبيرِهِم عن مقاصدِهِم ؛ كما يسمعُ الصبيُّ استعمالَ المفرداتِ في معانيها ؛ فليقتنأ أولاً ، ثم يسمعُ التراكيبَ بعدها فيلقتنأ كذلك . ثم لا يزالُ سماعُهُم لذلك يتجدَّدُ في كلِّ لحظةٍ ومن كلِّ متكلمٍ ،

(١) هكذا ، وفي ب : ملكة اللغة الخ .

واستماله يتكرّر إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم.

هكذا تصيرت الألسن واللغات من جيل إلى جيل وتعلّمها العجم والأطفال. وهذا هو معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم. ثم فسدت هذه الملكة لمصر بمخالطهم الأعاجم. وسبب فسادها أن النashi من الجيل، صار يسمع في العبارة عن المقاصد كصفات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب، فيعبر بها عن مقصود لكثرة المخالطين للعرب من غيرهم، ويسمع كصفات العرب أيضاً، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدثت ملكة وكانت ناقصة عن الأولى. وهذا معنى فساد اللسان العربي.

ولهذا كانت لغة قرش أفصح اللغات العربية وأمرحها لبُعديهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم. ثم من اكتنقهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبني كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم. وأما من بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن المجاورين لأهم الفرس والروم والحبشة، فلم تكن لغتهم تأمة الملكة بمخالطة الأعاجم. وعلى نسبة بُعديهم من قرش كان الاحتجاج بلغاتهم في الصحة والفساد عند أهل الصناعة العربية. والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق.

## الفصل السابع والأربعون

في أن لغة العرب لهذا العهد لغة مستقلة مغربة لغة مضر ولغة حير

وذلك أننا نجدُها في بيان المقاصد والوفاء بالدلالة على سُنن اللسان المَضَرِّيِّ ، ولم يُفَقَدْ منها إلا دَلالةُ الحركاتِ على تَعْيُنِ الفاعلِ من المفعول ، فاعتاضوا منها بالتقديم والتأخير وبقرائن تدلُّ على خصوصياتِ المقاصد . إلا أنَّ البيانَ والبلاغةَ في اللسانِ المَضَرِّيِّ أكثرُ وأعرقُ ، لأنَّ الألفاظَ بأعيانها دالةٌ على المعاني بأعيانها . ويبقى ما تقتضيه الأحوالُ — ويُسمَّى بساطَ الحالِ — محتاجاً إلى ما يدلُّ عليه . وكلُّ معنى لا بدَّ وأن تكتنفهُ أحوالٌ تخصُّهُ ، فيجبُ أن تُعتَبَرَ تلكَ الأحوالُ في تأديةِ المقصودِ لأنها صفاتُهُ ، وتلكَ الأحوالُ في جميعِ الألسنِ أكثرُ ما يُدلُّ عليها بالألفاظِ تخصُّها بالوضع . وأما في اللسانِ العَرَبِيِّ فَأَما يُدلُّ عليها بأحوالٍ وكيفياتٍ ، في تراكيبِ الألفاظِ وتأليفها ، من تقديم أو تأخير أو حذف أو حركة إعرابٍ . وقد يُدلُّ عليها بالحروفِ غيرِ المستعملة . ولذلك تفاوتتْ طَبَقَاتُ الكلامِ في اللسانِ العَرَبِيِّ بحسبِ تفاوتِ الدلالةِ على تلكَ الكيفياتِ كما قدَّمناه ، فكانَ الكلامُ العَرَبِيُّ لذلكَ أَوْجَزَ وأقلَّ ألفاظاً وعبارةً من جميعِ الألسنِ .

وهذا معنى قوله ﷺ : «أوتيتُ جوامعَ الكلمِ واختَصِرَ لي الكلامُ اختصاراً» . واعتبر ذلك بما يُحكى عن عيسى بن عمر وقد

قال له بعض النحاة : « إني أجد في كلام العرب تكراراً في قولهم : زيد قائم ، وإن زيدا قائم ، وإن زيدا قائم ، والمعنى واحد » . فقال له : إن معانيها مختلفة ، فالأول : لإفادته الخالي الدهن من قيام زيد ، والثاني : لمن سمعه فتردد فيه ، والثالث : لمن عرف بالاصرار على إنكاره فاختلفت الدلالة باختلاف الأحوال .

وما زالت هذه البلاغة والبيان ديدن العرب ومذهبهم لهذا العهد . ولا تلتفت في ذلك إلى خرقته النحاة أهل صناعة الإعراب القاصرون مداركهم عن التحقيق ، حيث يزعمون أن البلاغة لهذا العهد ذهبت ، وأن اللسان العربي فسد ، اعتباراً بما وقع وأخر الكلم من فساد الإعراب الذي يتدارسون قوانينه . وهي مقالة دسها التشيع في طباعهم ، وألقاها القصور في أفئدتهم ؛ وإلا فنحن نجد اليوم الكثير من ألقاظ العرب لم تزل في موضوعاتها الأولى ، والتعبير عن المقاصد والتعاون فيه بتفاوت الإبانة موجود في كلامهم لهذا العهد ، وأساليب اللسان وفنونه من النظم والنثر موجودة في مخاطباتهم ، وفيهم الخطيب المصقع في محافلهم ومجاميعهم ، والشاعر المفلق على أساليب لغتهم . والذوق الصحيح والطبع السليم شاهدان بذلك . ولم يفتقد من أحوال اللسان المدون إلا حركات الإعراب في أواخر الكلم فقط ، الذي لزم في لسان مضر طريقة واحدة وهيما معروفاً وهو الإعراب ، وهو بعض من أحكام اللسان . وإنما وقعت العناية بلسان مضر ، لما فسد بمخالطتهم الأعاجم ، حين استولوا على ممالك العراق والشام ومصر والمغرب ، وصارت



ملكته على غير الصورة التي كانت أولاً ، فانقلب لفة أخرى .  
 وكان القرآن مُنزلاً به والحديث النبوي منقولاً بلفظه وها  
 أصلاً الدين والملة ، فحُشي تناسيها وانفلاق الأهام عنها بفقدان  
 اللسان الذي تنزلاً به ؛ فاحتيج إلى تدوين أحكامه ووضع مقاييسه  
 واستنباط قوانينه . وصار علماً ذا فصول وأبواب ومقدمات ومسائل ،  
 ساء أهله بعلم النحر ، وصناعة الرئية ؛ فأصبح فناً محفوفاً وعلماً  
 مكتوباً وسُلم إلى فهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ راقياً ، ولعلنا  
 لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد واستقرنا أحكامه ،  
 نعتاض عن الحركات الإعرابية التي فسدت في دلالتها بأبواب أخرى  
 وكميات موجودة فيه ؛ فتكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون  
 في أواخره على غير المنهاج الأول في لفة مُضَر ، فليست اللغات  
 وملكاتها مجاناً .

ولقد كان اللسان المضري مع اللسان الحميري بهذه المثابة  
 وتغيرت عند مُضَر كثير من موضوعات اللسان الحميري وتصاريف  
 كلماته . تشهد بذلك الأتقال الموجودة لدينا خلافاً لمن يحملة التصور  
 على أنها لفة واحدة ، ويلتمس إجراء اللغة الحميرية على مقاييس  
 اللغة المضرية وقوانينها ، كما يزعم بعضهم في اشتقاق (القيل) في  
 اللسان الحميري أنه من القول وكثير من أشباه هذا ، وليس ذلك  
 بصحيح . ولفة حمير لفة أخرى متايرة للفة مُضَر في الكثير من  
 أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها ، كما هي لفة العرب لهذا مع  
 لفة مُضَر ؛ إلا أن العناية بلسان مُضَر ، من أجل الشريعة كما قلناه ،

حمل ذلك على الاستباط والاستبزاء ، وليس عندنا لهذا العهد ما  
يحملنا على مثل ذلك ويدعونا إليه .

وما وقع في لغة هذا الجيل العربي لهذا العهد ، حيث كانوا  
من الأقطار شأنهم في النطق بالقاف ؛ فإنهم لا ينطقون بها من  
مخرج القاف عند أهل الأمصار ، كما هو مذكور في كتب العربية ،  
انه من أقصى اللسان وما فوقه من الحلق الأعلى . وما ينطقون  
بها أيضاً من مخرج الكاف ، وإن كان أسفل من موضع القاف  
وما يليه من الحلق الأعلى كما هي ، بل يجيئون بها متوسطة بين  
الكاف والقاف ، وهو موجود للجيل أجمع حيث كانوا من غرب  
أو شرق ؛ حتى صار ذلك علامة عليهم من بين الأمم والأجيال  
ومختصاً بهم لا يشار كهم فيها غيرهم . حتى إن من يريد التعرّب  
والانتساب إلى الجيل والدخول فيها يحاكيهم في النطق بها . وعندهم  
أنه إنما يتميز العربي الصريح من الدخيل في الروية والحضري  
بالنطق بهذه القاف . ويظهر بذلك أنها لغة مضر بعينها ، فإن هذا  
الجيل الباقيين معظمهم ورؤساؤهم شرقاً وغرباً في ولد منصور بن  
عكرمة بن حصّة بن قيس بن عيلان من سليم بن منصور ، ومن  
بني عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور .  
وهم لهذا العهد أكثر الأمم في الممور وأغلبهم ، وهم من أعقاب  
مضر ، وسائر الجيل معهم من بني كهلان ، في النطق بهذه القاف ،  
أسوة . وهذه اللغة لم يتدعها هذا الجيل بل هي متوارثة فيهم  
متعاقبة ، ويظهر من ذلك أنها لغة مضر الأولين ، ولها لغة النبي .

ﷺ بعينها . وقد ادعى ذلك فقهاء أهل البيت وزعموا أن من قرأ في أم القرآن ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ بغير القاف التي لهذا الجبل فقد لحن وأفسد صلاته ، ولم أدر من أين جاء هذا ؟ فإن أهل الأمصار أيضاً لم يستحدثوها ، وإنما تناقلوها من لدن سلفهم وكان أكثرهم من مضر لما نزلوا الأمصار من لدن الفتح . وأهل الجبل أيضاً لم يستحدثوها ، إلا أنهم أبعد من مخالطة الأعاجم من أهل الأمصار . فهذا يرجح ، فيما يوجد من اللغة لديهم ، أنه من لغة سلفهم . هذا مع اتفاق أهل الجبل كلهم شرقاً وغرباً في النطق بها ، وأنها الخاصية التي يتميز بها العربي من الحبشي والحضري . والظاهر أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الجبل العربي البدوي هو من خرج القاف عند أولهم من أهل اللغة ، وأن مخرج القاف متسع ، فأوله من أعلى الحنك وآخره مما يلي الكاف . فالنطق بها من أعلى الحنك هو لغة الأمصار ، والنطق بها مما يلي الكاف هي لغة هذا الجبل البدوي . وبهذا يندفع ما قاله أهل البيت من فساد الصلاة بتركها في أم القرآن ؛ فإن فقهاء الأمصار كلهم على خلاف ذلك . وببعد أن يكونوا أهلوا ذلك ، فوجه ما قلناه . نعم نقول إن الأرجح والأولى ما ينطق به أهل الجبل البدوي لأن تواترها فيهم كما قدمناه ، شاهد بأننا لغة الجبل الأول من سلفهم ، وأنها لغة النبي ﷺ . ويرجح ذلك أيضاً إدعائهم لها في الكاف لتقارب المحرجين . ولو كانت كما ينطق بها أهل الأمصار من أصل الحنك ، لما كانت قرية المخرج من الكاف ، ولم نذغم . ثم إن أهل العربية

قد ذكروا هذه القاف القريبة من الكاف ، وهي التي ينطق بها أهل الجبل البدوي من العرب لهذا العهد ، وجعلوها متوسطة بين مخارجي القاف والكاف . على أنها حرف مستقل ، وهو بعيد . والظاهر أنها من آخر مخرج القاف لا تساعه كما قلناه . ثم إنهم يصرون باستهجانها واستقبالها كأنهم لم يصح عندهم أنها لغة الجبل الأول . وفيما ذكرناه من اتصال نطقهم بها ، لأنهم إنما ورثوها من سلفهم جيلاً بعد جيل ، وأنها شعارهم الخاص بهم ، دليل على أنها لغة ذلك الجبل الأول ، ولغة النبي ﷺ كما تقدم ذلك كله . وقد يزعم زاعم أن هذه القاف التي ينطق بها أهل الأمصار ليست من هذا الحرف ، وأنها إنما جاءت من غالطتهم للمجم ، وإنهم ينطقون بها كذلك ؛ فليست من لغة العرب . ولكن الأقيس كما قدمناه من أنهما حرف واحد متسع المخرج . فتفهم ذلك . والله الهادي المبين .

## الفصل الثامن والأربعون

في أن لغة أهل الأمصار لغة قائمة بنفسها مخالفة لغة مصر

اعلم أن عرف التخاطب في الأمصار وبين الحضر ليس بلغة مضر القديمة ، ولا بلغة أهل الجبل ؛ بل هي لغة أخرى قائمة بنفسها بعيدة عن لغة مضر وعن لغة هذا الجبل العربي الذي لهدناه ، وهي عن لغة مضر أبعد .

فأما أنها لغة قائمة بنفسها فهو ظاهر، يشهد له ما فيها من التباين الذي بُدع عن صناعة أهل النحر لحناً. وهي مع ذلك تختلف باختلاف الأمصار في اصطلاحاتهم؛ فلهذا أهل المشرق مباينة بعض الشيء للغة أهل المغرب، وكذا أهل الأندلس معها، وكل منهم متوصل ببلته إلى تأدية مقصوده والابانة عما في نفسه. وهذا معنى اللسان واللغة. وفقدان الأعراب ليس بضائر لهم كما قلناه في لغة العرب لهذا العهد.

وأما أنها أبعد عن اللسان الأول من لغة هذا الجيل؛ فلأن البعد عن اللسان إما هو بمخالطة العجمة<sup>(١)</sup>. فن خالط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة إما تحصل بالتعليم كما قلناه. وهذه ملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم. فعلى مقدار ما يسمونه من العجمة ويرون عليه يمدون عن الملكة الأولى. واعتبر ذلك في أمصار إفريقية والمغرب والأندلس والمشرق. أما إفريقية والمغرب، فخالط العرب فيها البرابرة من العجم لوفور صمرانها بهم، ولم يكد يخلو عنهم مصر ولا جيل؛ فغلبت العجمة فيها على اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة. والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه، فهي عن اللسان الأول أبعد. وكذا المشرق لما غلب العرب على أتباعه من فارس والترك فخالطوهم، وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرية والفلاحين والسبيد الذين اتخذوهم

(١) كذا، وفي ب: لمخالطة العجم.

خولاً وداباتٍ وأظناراً ومراضعٍ؛ ففسدتُ لُتْنُهُم بفسادِ المَلَكَةِ حتى انقلبتْ لُتْنَةً أُخْرَى . وكذا أَهْلُ الانْدُلُسِ مع عجمِ الجَلَالَةِ والإِفْرِجِيَةِ . وصَادَ أَهْلُ الأَمْصَارِ كُلُّهُمْ من هذه الأَقَالِمِ أَهْلُ لُتْنَةٍ أُخْرَى مَخْصُوصَةٍ بِهِمْ ، تُخَالِفُ لُتْنَةَ مُضَرَ وَتُخَالِفُ أَيْضاً بَعْضُهَا بَعْضاً كما نَذَرَهُ ، وَكَأَنَّهَا لُتْنَةٌ أُخْرَى لاسْتِحْكَامِ مَلَكِيَّتِهَا فِي أَجْيَالِهِمْ . وَاللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَقْدِرُ .

## الفصل التاسع والأربعون

في تعلم اللسان المضرى

اعلم أَنَّ مَلَكَةَ اللِّسَانِ الْمُضْرِيَّ ، لهذا العهدِ ، قد ذهبتْ وَفَسَدَتْ . وَلُتْنَةُ أَهْلِ الْجَلِيلِ كُلُّهُمْ مَخَالِفَةٌ لِلُتْنَةِ مُضَرَ الَّتِي نُزِّلَ بِهَا الْقُرْآنُ ، وَإِنَّمَا هِيَ لُتْنَةٌ أُخْرَى مِنْ امْتِزَاجِ الْمُجْمَعَةِ بِهَا كَمَا قَدَّمْنَاهُ . إِلَّا أَنَّ اللِّغَاتِ لَمَّا كَانَتْ مَلَكَاتٍ كَمَا مَرَّ كَانَ تَعَلُّمُهَا مُمْكِنًا ، شَأْنُ سَائِرِ الْمَلَكَاتِ . وَوَجْهُ التَّعْلِيمِ لِمَنْ يَتَعَلَّمُ هَذِهِ الْمَلَكَةَ وَرُومُ تَحْصِيلِهَا أَنْ يَأْخُذَ نَفْسَهُ بِحِفْظِ كَلَامِهِمُ الْقَدِيمِ الْجَارِي عَلَى أَسَالِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، وَكَلَامِ السَّلَفِ ، وَمَخَاطَبَاتِ فَحُولِ الرَّبِّ فِي أَسْجَاعِهِمْ وَأَشْعَارِهِمْ ، وَكَلِمَاتِ الْمَوْلَدِينَ أَيْضاً فِي سَائِرِ فَنُونِهِمْ ؛ حَتَّى يَتَنَزَّلَ لِكَثْرَةِ حِفْظِهِمْ لِكَلَامِهِمْ مِنَ الْمَنْظُومِ وَالْمَنْشُورِ مَنَزَلَةً مِنْ نَشْأَ بَيْنَهُمْ وَلُفْنِ الْعِبَارَةِ عَنْ الْمَقَاصِدِ مِنْهُمْ ؛ ثُمَّ يَتَصَرَّفُ بَعْدَ ذَلِكَ فِي التَّعْبِيرِ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ عَلَى حَسَبِ عِبَارَاتِهِمْ ، وَتَأْلِيفِ كَلِمَاتِهِمْ ، وَمَا وَعَاهُ

وحفظه من أساليبهم وترتيب ألفاظهم ؛ فتحصل له هذه الملكة بهذا الحفظ والاستعمال ؛ ويزداد بكثرتها رُسوخاً وقوة . ويحتاج مع ذلك إلى سلامة الطبع والفهم الحسن المنازع العرب وأساليبهم في التراكيب ومراعاة التطبيق بينها وبين مقتضيات الأحوال . والذوق يشهد بذلك ، وهو ينشأ ما بين هذه الملكة والطبع السليم فيها كما يُذكرُ بعد . وعلى قدر الحفظ وكثرة الاستعمال تكون جودة القول المصنوع نظماً ونثراً . ومن حصل على هذه الملكات ، فقد حصل على لغة مُصَنَّرَة ، وهو الناقد البصير بالبلاغة فيها ، وهكذا ينبغي أن يكون تعلمها . والله يهدي من يشاء بفضلِهِ وكرَمِهِ .

## الفصل الخامس

في أن ملكة هذا اللسان غير صناعة العربية ومستغنية عنها في التعليم

والسبب في ذلك أن صناعة العربية إنما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة . فهو علمٌ بكيفية ، لا نفسُ كيفية . فليست نفس الملكة ، وإنما هي بمثابة من يعرف صناعة من الصنائع علماً ، ولا يُنَكِّمُها عملاً . مثل أن يقول بصيرٌ بالحياطة ، غير محكمٍ للمكثها ، في التعبير عن بعض أنواعها : الحياطة هي أن تُدخِلَ الخيط ، في خِزَتِ الإبرة ، ثم تُمرِّزها في لِفْفَي الثوب مجتمعين ، وتُخرِّجها من الجانب الآخر بمقدار كذا ، ثم تَرُدُّها إلى حيث

ابتدأت ، وتخرجها قدام منفيها الأول بمطرح ما بين الثمينين الأولين ، ثم يتأدى على وصفه إلى آخر العمل ، ويعطي صورة الحبل والتثبيت<sup>(١)</sup> والتفتيح وسائر أنواع الحياطة وأعمالها . وهو إذا طوِّب أن يعمل ذلك بيده لا يحكم منه شيئاً .

وكذا لو سُئِلَ عالمٌ بالنجاة عن تفصيل الحشَب فيقول : هو أن تضع المنشارة على رأس الحشبة وتمسك بطرفه ، وآخر قبالة تلك ممسك بطرفه الآخر وتماقبايه بينكما ، وأطرافه المضرسة المحددة تُقَطَّع ما مرَّت عليه ذاهبةً وجائيةً ، إلى أن ينتهي إلى آخر<sup>(٢)</sup> الحشبة . وهو لو طوِّب بهذا العمل أو شيء منه لم يحكمه . وهكذا العلم بقوانين الإعراب مع هذه الملكة في نفسها ، فإنَّ العلم بقوانين الإعراب إنما هو علم بكيفية العمل وليس هو نفس العمل . وكذلك نجد كثيراً من جهالنا النحاة ، والمهرة في صناعة العربية المحيطين علماً بتلك القوانين ، إذا سُئِلَ في كتابة سطرين إلى أخيه أو ذي مودته أو شكوى ظلامته أو قصده من قصوده ، أخطأ فيها الصواب وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود فيه على أساليب اللسان العربي . وكذا نجد كثيراً ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور ، وهو لا يحسن إعراب الفاعل من المفعول ، ولا المرفوع من المجرور ، ولا شيئاً من قوانين صناعة العربية .

(١) كذا ، وفي ب : والتثبيت .

(٢) كذا ، وفي ب : أسفل .



فن هنا يُعلمُ أَنَّ تلكَ الملكة هي غيرُ صناعةِ العربية ، وأنها مستغنيةٌ عنها بالجملة . وقد نجدُ بعضَ المهرة في صناعةِ الإعرابِ بصيراً بآمالِ هذه الملكة ، وهو قليلٌ واتفاقيٌّ ، وأكثرُ ما يقعُ للمخاطبينَ لكتابِ سيويو . فانه لم يقتصرْ على قوانينِ الإعرابِ فقط ، بل ملأ كتابه من أمثالِ العربِ وشواهدِ أشعارهم وعباراتهم ؛ فكان فيه جزءٌ صالحٌ من تعليمِ هذه الملكة ، فتجدُ الما كيف عليه والحصلَ له ، قد حصلَ على خطٍ من كلامِ العربِ واندرجَ في محفوطه في أماكنِهِ ومفاصلِ حاجاته . وتنبّه به لشأنِ الملكة ، فاستوفى تعليمها ، فكان أبلغَ في الإفادة .

ومن هؤلاء المخاطبينَ لكتابِ سيويو من يغفلُ عن التفطنِ لهذا ، فيحصلُ على علمِ اللسانِ صناعةً ولا يحصلُ عليه ملكة . وأما المخاطبونَ لكتبِ المتأخرينَ العاريةِ من ذلك ، إلا من القوانينِ النحويةِ ، مجردةً عن أشعارِ العربِ وكلاهم ؛ فقلما يشعرونَ لذلك بأمرِ هذه الملكة أو يتنبهونَ لشأنها ، فتجدُهم يحسبونَ أنهم قد حصلوا على رتبةٍ في لسانِ العربِ ، وهم أبعدُ الناسِ عنه . وأهلُ صناعةِ العربيةِ بالاندلسِ ومعلّموها أقربُ إلى تحصيلِ هذه الملكة وتعليمها ممن سواهم ، لقيامهم فيها على شواهدِ العربِ وأمثالهم ، والتفقه في الكثيرِ من التراكيبِ في مجالسِ تعليمهم ؛ فيسبقُ إلى المبتدئ كثيرٌ من الملكة أثناء التعليم ، فتطبعُ النفسُ بها وتستعدُّ إلى تحصيلها وقبولها .

وأما من سواهم من أهلِ المغربِ وإفريقيةٍ وغيرهم ؛ فأجروا

صناعة العريّة مجرى العلوم بحثاً ، وقطعوا النظر عن التفقه في تراكيب كلام العرب ؛ إلا إن أعربوا شاهداً أو رجحوا مذهباً<sup>(١)</sup> ، من جهة الاقتضاء الذهني ، لا من جهة محايل اللسان وتراكيبه . فأصبحت صناعة العريّة كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدلي ، وبُعِدَت عن مناحي اللسان وملكيته وأفاد ذلك حتمتها في هذه الأمصار وآفاقها البعد عن الملكة بالكلية ، وكأنهم لا ينظرون في كلام العرب . وما ذلك إلا لمُدولهم عن البحث في شواهد اللسان وتراكيبه وتمييز أساليبه ، وغفلتهم عن المِران في ذلك للتعليم ، فهو أحسن ما تُفيدُه الملكة في اللسان . وتلك القوانين إنما هي وسائل للتعليم ؛ لكنهم أجروها على غير ما قصدَ بها ، وأصاروها علماً بحثاً وبعُدوا عن ثمرتها . وتعلّم ما قرّره في هذا الباب ، أن حصول ملكة اللسان العربي إنما هو بكثرة الحفظ من كلام العرب ، حتى يرتسم في خياله النوال الذي نسجوا عليه تراكيبهم فينسج هو عليه . ويتنزّل بذلك منزلة من نشأ معهم وخالط عباراتهم في كلامهم ، حتى حصلت له الملكة المستقرة في العبارة عن المقاصد على نحو كلامهم . والله مقدرُ الأمور كلها ، والله أعلم بالغيب .

---

(١) كذا ، وفي ب : معنى .

## الفصل الحادي والعشرون

في تفسير لفظة الذوق في مصطلح أهل البيان وتحقيق معناه  
وبيان أنها لا تحصل غالباً للمستعربين من العلم

إعلم أن لفظة الذوق يتداولها المعتنون بفنون البيان ، ومعناها حصول ملكة البلاغة للسان . وقد مرّ تفسير البلاغة ، وأنها مطابقة الكلام للمعنى من جميع وجوهه ، بخواص تقع للتراكيب في إفادة ذلك . فالتكلم بلسان العرب والبلغ فيه يتحرى الهيئة المفيدة لذلك ، على أساليب العرب وأنحاء مخاطباتهم ، وينظم الكلام على ذلك الوجه جهده ؛ فإذا اتصلت معاناته لذلك بمخاطبة كلام العرب ، حصلت له الملكة في نظم الكلام على ذلك الوجه ، وسهل عليه أمر التركيب ، حتى لا يكاد ينحو فيه غير منحى البلاغة التي للعرب ؛ وإن سمع تركيباً غير جارٍ على ذلك المنحى ، مجّه ونبا عنه سمعة بأدنى فكر ، بل وبغير فكر ، إلا بما استفادته من حصول هذه الملكة . فإن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجيلة لذلك المحل . ولذلك يظن كثير من المثقلين ممن لم يعرف شأن الملكات ، أن الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغة أمرٌ طبيعي . ويقول : كانت العرب تنطق بالطبع وليس كذلك ، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت فظهرت في بادئ الرأي أنها جيلة وطبع .

وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصلُ بممارسة كلام العرب وتكرُّره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه ، وليست تحصلُ بمعرفة القوانين العلمية في ذلك التي استنبطها أهلُ صناعة البيان فإن هذه القوانين إنما تُفقدُ علماً بذلك اللسان ، ولا تُفقدُ حصولَ الملكة بالفعل في محلها ، وقد مرَّ ذلك . وإذا تقرَّر ذلك فللكةُ البلاغة في اللسان تُهدي البليغ إلى وجودِ النظم وحسن التركيب الموافق لتراكيب العرب في لغتهم ونظم كلامهم . ولو رام صاحبُ هذه الملكة حيداً عن هذه السبيل الميئة والتراكيب المخصوصة ، لما قديرَ عليه ولا وافقه عليه لسانه ، لأنه لا يمتاده ولا تهديه إليه ملكةُ الرايضة عنده . وإذا عُرِضَ عليه الكلام ، حائداً عن أسلوب العرب وبلاغتهم في نظم كلامهم أعرَضَ عنه ومجَّه ، وعلم أنه ليس من كلام العرب الذين مارسَ كلامهم . وإنما يعجزُ عن الاحتجاج بذلك ، كما تصنعُ أهلُ القوانين النحوية والبيانية ، فإن ذلك استدلالٌ بما حصلَ من القوانين المفاداة بالاستقراء . وهذا أمرٌ وجدانيٌ حاصلٌ بممارسة كلام العرب ، حتى يصيرَ كواحدٍ منهم .

ومثاله : لو فرضنا صبيّاً من صبيانهم ، نشأ وربي في جيلهم ، فإنه يتعلّم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها ، حتى يستولي على غايتها . وليس من العلم القانوني في شيء ، وإنما هو بحصول هذه الملكة في لسانه ونطقه . وكذلك تحصلُ هذه الملكة لمن بعد ذلك الجيل ، بحفظ كلامهم وأشعارهم وخطيبهم والمداومة على ذلك ،

بحيث 'يُحْصَلُ' الملكة ويصير 'كواحد' ممن نشأ في جيلهم وربي بين أحيائهم. والقوانين 'بمعزل' عن هذا. واستُعيرَ لهذه الملكة، عندما ترسُخ وتستقر، اسمُ الذوق الذي اصطلح عليه أهلُ صناعة البيان والذوق إنما هو موضوعُ لادرِك الطُوم. لكن لما كان محلُّ هذه الملكة في اللسان، من حيثُ النطقُ بالكلام، كما هو محلُّ لادرِك الطُوم، استُعيرَ لها اسمُهُ. وأيضاً فهو وجدانيُّ اللسان، كما أنَّ الطُوم محسوسةٌ له، فقيلَ له ذوقٌ. وإذا تبَيَّن لك ذلك، علمتَ منه أنَّ الأعاجيمَ الداخلينَ في اللسانِ العربيِّ الطارئينَ عليه المضطربينَ إلى النطقِ به لمخالطةِ أهله، كالفرسِ والرومِ والتُّركِ بالشرقِ والبربرِ بالغرب، فإنه لا يحصلُ لهم هذا الذوقُ لقصورِ حَظِّهم في هذه الملكة التي قرَّنا أمرَها، لأنَّ قُصاراهم بعد طائفةٍ من العمرِ وسبقِ ملكةٍ أخرى إلى اللسانِ، وهي لغائهم، أن يَتَنَوَّعا بما يتداولُهُ أهلُ المصرِ بينهم في المحاورَةِ من مُفردٍ ومركَّبٍ، لما يُضطرُّونَ إليه من ذلك. وهذه الملكةُ قد ذهبت لأهلِ الأمصارِ، وبعُدوا عنها كما تقدَّم. وإنما لهم في ذلك ملكةٌ أخرى وليست هي ملكةُ اللسانِ المطلوبة. ومن عرفَ أحكامَ تلكَ الملكة من القوانينِ المسطرةِ في الكتبِ، فليسَ من تحصيلِ الملكةِ في شيء، إنما حصلَ أحكامُها كما عرفت. وإنما تحصلُ هذه الملكةُ بالممارسةِ والاعتیادِ والتكرُّرِ لكلامِ العربِ. فإن عرضَ لك ما تسمعه، من أن سيويه والفارسيَّ والبخاريَّ وأمثالهم من فُرسانِ الكلامِ كانوا أعجباً مع حصولِ هذه الملكةِ لهم، فاعلم أنَّ أولئك القومَ الذين نسمع عنهم إنما

كانوا عَجَبًا في نَسَبِهِم فقط . أما المربي والنشأة فكانت بينَ أهل هذه المملَكة من العرب ومن تعلَّمها منهم ، فاستولوا بذلك من الكلام على غايَةٍ لا وراءها ؛ وكأَنهم في أولِ نشأتهم بمنزلة الأصاغر من العرب الذين نشأوا في أجيالهم ، حتى أدركوا كنه اللغة وصاروا من أهلها . فهم وإن كانوا عَجَبًا في النَّسَبِ فليسوا بأعجام في اللغة والكلام ، لأنهم أدركوا المِلَّةَ في عُفْوَانِهَا واللغة في شبابها . ولم تذهب آثارُ المملَكة منها ولا من أهل الأمصار ، ثم عكفوا على الممارسة والمدايسة لكلام العرب حتى استولوا على غايته .

واليوم الواحدُ من العَجَم ، إذا خالطَ أهلَ اللسانِ العربيِّ بالأمصار ، فأولُ ما يجدُ تلك المملَكة المقصودة من اللسانِ العربيِّ منمِجَّة الآثار . ويجدُ ملكَتَهُم الخاصَّةَ بهم مملَكة أخرى مخالِقةً للمملَكة اللسانِ العربيِّ . ثم إذا فرضنا أنه أقبلَ على الممارسة لكلام العرب وأشعارِهِم بالمدايسة واللفظِ ليستفيدَ تحصيلَها ، فقلَّ أن يحصلَ له ما قدمناه من أنَّ المملَكة إذا سبقتها مملَكة أخرى في المحلِّ ، فلا تحصلُ إلا ناقصةٌ مخدوشة . وإن فرضنا عَجَبًا في النسبِ سليمَ من مخالطة اللسانِ العَجَمِيِّ بالكَلِمَةِ ، وذهب إلى تعلُّم هذه المملَكة باللفظ والمدايسة ، فرما يحصلُ له ذلك ، لكنَّه من الدورِ بحيثُ لا ينفي عليك بما تقرر . وربما يدعي كثيرٌ ممن ينظرُ في هذه القوانينِ البيانيَّة حصولَ هذا الذوقِ لها ، وهو غلطٌ أو مغالطةٌ ؛ وإنما حصلتُ له المملَكةُ إن حصلت في تلك القوانينِ البيانيَّة ، وليست من مملَكة العبارَةِ في شيء . واللهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

## الفصل الثاني والخمسون

في أن الإصطاح على الإطلاق قاصرون في تحصيل هذه الملكة اللسانية  
التي تستفاد بالتعليم ومن كان منهم أبعد عن اللسان العربي  
كان حصولها له أصعب وأبعد

والسبب في ذلك ما يسبق إلى المتعلم ، من حصول ملكة  
مُنافية للملكة المطلوبة ، بما سبق إليه من اللسان الحضري الذي  
أفادته العُجمة ، حتى تُزل بها اللسان عن ملكته الأولى إلى ملكة  
أخرى هي لغة الحضرة لهذا العهد . ولهذا نجد المعلمين يذهبون إلى  
المسابقة بتعليم اللسان للولدان . وتعتمد النحاة أن هذه المسابقة  
يصنعونها ، وليس كذلك ، وإنما هي بتعليم هذه الملكة بمخالطة  
اللسان وكلام العرب . نعم صناعة النحور أقرب إلى مخالطة ذلك .  
وما كان من لغات أهل الأمصار أعرق في العُجمة وأبعد عن لسان  
مُضَرَّ قَصْرٍ بصاحبه عن تعلم اللغة المضرية وحصول ملكتها لتمكن  
المنافاة<sup>(١)</sup> . حيثئذ . واعتبر ذلك في أهل الأمصار .

فأهل إفريقية والمغرب لما كانوا أعرق في العُجمة وأبعد عن  
اللسان الأول ، كان لهم قصور تام في تحصيل ملكته بالتعليم .  
ولقد نقل ابن الرقيق أن بعض كتّاب القيروان كتب إلى صاحب  
له : يا أخي ومن لا عِدَمْتُ فقدته ، أعلمني أبو سعيد كلاماً أنك

(١) كذا ، وفي ب : للكافاة .

كنت ذكرت أنك تكون مع الذين تأتي ، وعاقنا اليوم فلم يتهبأ لنا الخروج . وأما أهل المنزل الكلاب<sup>(١)</sup> من أسر الشين فقد كذبوا هذا باطلاً ، ليس من هذا حرفاً واحداً . وكتابي إليك وأنا مُشتاق إليك إن شاء الله . وهكذا كانت ملكتهم في اللسان المضري ، وسببه ما ذكرنا .

وكذلك أشعارهم كانت بعيدة عن الملكة نازلة عن الطبقة ، ولم تزل كذلك ، لهذا الهد . ولهذا ما كان بإفريقية من مشاهير الشعراء ، إلا ابن رشيق وابن شرف . وأكثر ما يكون فيها الشعراء طارئين عليها ، ولم تزل طبقتهم في البلاغة حتى الآن مائلة إلى القصور . وأهل الأندلس أقرب منهم إلى تحصيل هذه الملكة ، بكثرة معانيها وامتلائهم من المحفوظات اللغوية نظماً ونثراً . وكان فيهم ابن حيّان المؤرخ إمام أهل الصناعة في هذه الملكة ورافع الرأي لهم فيها ، وابن عبد ربّه والقسطلّي وأمثالهم من شعراء ملوك الطوائف ، لما زخرت فيها بحار اللسان والأدب وتداول ذلك فيهم منين من السنين ، حتى كان الانقراض والجلال أيام تغلب النصرانية . وسئلوا عن تعلم ذلك ، وتناقص العمران فتناقص لذلك شأن الصنائع كلها . فقصرت الملكة فيهم عن شأنها حتى بلغت الخفيض .

وكان من آخرهم صالح بن شريف ، ومالك بن المرحل من تلاميذ الطبقة الاشبيليين بسجة وكانت دولة بني الأحمر في أولها .

(١) كالب الرجل كلاباً : عاداه جهلراً (قاموس) .



وألقت الأندلسُ أفلاذَ كبدها ، من أهل تلك الملكة بالجلاء إلى المدوّ ، من عدوة اشبيلية إلى سبّة ، ومن شرق الأندلس إلى إفريقية . ولم يلبثوا إلى أن أنقرضوا وانقطعَ سندُ تعليمهم في هذه الصنّاعة ، لعسر قبول المدوّ لها وصعوبتها عليهم ، يوجبُ ألسنتهم ودسوخهم في العجمة البربريّة ، وهي مُنافيّة لما قلناه .

ثم عادت الملكة من بعد ذلك إلى الأندلس كما كانت ، ونجم بها ابنُ سيرين وابنُ جابر وابنُ الجباب وطبقتهم ؛ ثم إبراهيم الساحلي الطونجني وطبقته ، وقفاهم ابنُ الخطيب من بعدهم المالك لهذا العهد شهيداً بسعاية أعدائِهِ . وكان له في اللسان ملكة لا تُدرَكُ واتّبع أثره تلميذُه من بعده . وبالجملة فشأنُ هذه الملكة بالأندلس أكثرُ ، وتعليمها أيسرُ وأسهلُ ، بما هم عليه لهذا العهد كما قدّمناه من مُعانة علوم اللسان ومحافظةهم عليها وعلى علوم الأدب وسندِ تعليمها . ولأنَّ أهلَ اللسان العجميّ الذين تفسدُ ملكتهم إنَّما هم طارئون عليهم . وليست عُجمتهم أصلاً لِلقّة أهل الأندلس والبربر في هذه المُنوّ ، وهم أهلها ولسانهم لسانها إلا في الأمصار فقط . وهم فيها مُنغمسون في بحر عُجمتهم وروايتهم البربريّة ؛ فيصعبُ عليهم تحصيلُ الملكة اللسانية بالتعليم بخلاف أهل الأندلس . واعتبر ذلك بحالِ أهل المشرق لعهد الدولة الأمويّة والعباسيّة ؛ فكان شأنهم شأنَ أهل الأندلس في تمام هذه الملكة وإجادتها ، لبعديهم لذلك العهد عن الأعاجم ومخالطتهم إلا في القليل . فكان أمرُ هذه الملكة في ذلك العهد أقومَ ، وكان فحولُ الشعراء

والكتاب لهدم أوفر لتوفر العرب وأبنائهم بالشرق .

وانظر ما اشتمل عليه كتاب الأغاني من نظمهم ونثرهم ؛ فإن ذلك الكتاب هو كتاب العرب ودواهم ، وفيه لغتهم وأخبارهم وأباؤهم ، وميلتهم العريّة وسير نبيهم ﷺ وآثار خلفائهم وملوكهم ، وأشعارهم وغناؤهم وسائر مقانينهم له ، فلا كتاب أوعب منه لأحوال العرب . وبقي أمر هذه الملكة مستحكما في المشرق في الدولتين ، وربما كانت فيهم أبلغ من سواهم ممن كان في الجاهلية كما نذكره بعد . حتى تلاشى أمر العرب ودرست لغتهم وفسد كلامهم وانقضى أمرهم ودولتهم ، وصار الأمر للعاجم والملك في أيديهم والتقلب لهم . وذلك في دولة الديلم والسلجوقية . وخالطوا أهل الأمصار وكثروهم فامتلات الأرض بلغاتهم ، واستولت العجمة على أهل الأمصار والخواضر حتى بعدوا عن اللسان العربي وملكتهم ، وصار متعلميها منهم مقصرا عن تحصيلها . وعلى ذلك نجد لسانهم لهذا العهد في فني المنظوم والمنثور ، وإن كانوا أكثرين منه . والله يخلق ما يشاء ويختار ، والله سبحانه وتعالى أعلم ، وبه التوفيق لا رب سواه .

## الفصل الثالث والخمسون

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

اعلم أن لسان العرب وكلاهما على فئتين في الشعر المنظوم ، وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على زوي واحد وهو القافية . وفي النثر وهو الكلام غير الموزون ، وكل واحد من الفئتين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام . فأما الشعر ، فنه المدح والهجاء والرتاء . وأما النثر فنه السجع الذي يؤتى به قطعاً ، ويلتزم في كل كلمتين منه قافية واحدة يسمى سجعاً ، ومنه المرسى ، وهو الذي يطلق فيه الكلام إطلاقاً ولا يقطع أجزاء ، بل يرسل إرسالاً من غير تقييد بقافية ولا غيرها . ويستعمل في الخطب والدعاء وترغيب الجمهور وترهيبهم .

وأما القرآن وإن كان من المنشور إلا أنه خارج عن الوصفين وليس يسمى رسلاً مطلقاً ولا مسجماً . بل تفصيل آيات ينتهي إلى مقاطع يشهد الذوق بانتهاء الكلام عندها . ثم يماذ الكلام في الآية الأخرى بعدها ، ويشتمل من غير التزام حرفه يكون سجعاً ولا قافية ، وهو معنى قوله تعالى : ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْخَبَرِ كُنُيَا مُنْشِيَهَا مَنَافِي نَقْشَعُرْمَنهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ <sup>(١)</sup> وقال : ﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ ﴾ . وتسمى آخر الآيات فيه فواصل ، إذ ليست أسجاعاً ،

ولا التزمَ فيها ما يلتزمُ في السجع، ولا هي أيضاً قوافد. واطلق اسمُ المثاني على آياتِ القرآن كلها على العموم لما ذكرناه، وواخُصَّتْ بأمر القرآن للعلبة فيها كالنجم للثريا، ولهذا سميت السبع المثاني.

وانظر هذا مع ما قاله المفسرون في تعليل تسميتها بالمثاني، يشهد لك الحقُّ برُجحانِ ما قلناه.

واعلم أن لكل واحدٍ من هذه الفنون أساليبَ تختصُّ به عند أهله لا تصلحُ للفنِّ الآخر، ولا تُستعملُ فيه، مثل النسيبِ المختصِّ بالشعر، والحمد والدعاء المختصَّ بالمُحطَبِ، والدعاء المختصَّ بالمخاطباتِ وأمثال ذلك. وقد استعمل المتأخرون أساليبَ الشعر وموازينه في المنشور من كثرة الاسجاع، والتزام التقفية وتقديم النسيب بين يدي الأغراض. وصار هذا المنشور إذا تأملته من باب الشعر وفيه، ولم يفرقاً إلا في الوزن. واستمرَّ المتأخرون من الكتاب على هذه الطريقة واستعملوها في المخاطباتِ السلطانية، وقصروا الاستعمالَ في هذا المنشور كله على هذا الفن الذي ارتضوه، وخلطوا الأساليب فيه، وهجروا المرسل وتناسوه وخصوصاً أهل المشرق. وصارت المخاطباتُ السلطانية لهذا العهد عند الكتاب القفل جارية على هذا الأسلوب الذي أشرنا إليه، وهو غيرُ صوابٍ من جهة البلاغة، لما يلاحظُ في تطبيق الكلام على مقتضى الحال، من أحوالِ المخاطبِ والمخاطبِ.

وهذا الفنُّ المنشورُ المُقفى أدخلَ المتأخرون فيه أساليبَ الشعر،

فَوَجَبَ أَنْ تُنَزَّهَ الْمَخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ عَنْهُ ؛ إِذْ أَسَالِيبُ الشِّعْرِ تَبَاحُ فِيهَا اللَّوْذَعِيَّةُ وَخَلْطُ الْجَدِّ بِالْمُزَلِّ ، وَالْإِطْنَابُ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ وَالِاسْتِعَارَاتِ ، حَيْثُ لَا تَدْعُو لَذَلِكَ كُلَّهُ ضَرُورَةً فِي الْمَخَاطَبِ . وَالتَّزَامُ التَّقْفِيَّةُ أَيْضاً مِنَ اللَّوْذَعَةِ وَالتَّرْتِيْنِ وَجَلَالِ الْمَلِكِ وَالسُّلْطَانِ ، وَخَطَابُ الْجُمْهُورِ عَنِ الْمُلُوكِ بِالتَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ يُتَنَافَى ذَلِكَ وَيَبَايِنُهُ . وَالْمَحْمُودُ فِي الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ ، وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِدْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلَرِ النَّادِرِ . وَحَيْثُ تُرْسَلُ الْمَلِكَةُ إِرسَالاً مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ، ثُمَّ إعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ ، فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةً ، وَلِكُلِّ مَقَامٍ أَسْلُوبٌ يُخَصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيْجَازٍ أَوْ حَذْفٍ أَوْ اثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكُنْيَةٍ وَاسْتِعَاذَةٍ .

وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمَخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ عَلَى أَسَالِيبِ الشِّعْرِ فَمَذْمُومٌ ، وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيلَافَ الْمُجْمَعَةِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ ، وَقَصُودُهُمْ لَذَلِكَ عَنِ إعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ ، فَعَجَزُوا عَنِ الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبَعْدِ أَمَلِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَانْفِسَاحِ خَطْوَتِهِ . وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمَسْجَعِ ، يَلْقَوْنَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ ، وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ . وَيَجْهَرُونَ بِذَلِكَ الْقَدْرِ مِنَ التَّرْتِيْنِ بِالإِسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ ، وَيُفْخَلُونَ عَمَّا سِوَى ذَلِكَ . وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالِغٌ فِيهِ فِي سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ ، حَتَّى أَنَّهُمْ لِيُحْطُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّصْرِيفِ ، إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي

تجنيسٍ أو مطابقةٍ ، لا يجتمعان معها ، فيرجحون ذلك الصنف من التجنيس . ويتبعون الإعراب ويفسدون بنية الكلمة عساها تصادف التجنيس . فتأمل ذلك وانتقد بما قدمناه لك ، تقف على صحة ما ذكرناه . والله الموفق للصواب . بمنه وكرمه . والله تعالى أعلم .

## الفصل الرابع والخمسون

في انه لا تتفق الإبلغة في فني المنظوم والمنثور معا إلا القليل

والسبب في ذلك أنه كما بيناه ملكة في اللسان ؛ فإذا سبقت إلى محله ملكة أخرى ، قصرت بالحل عن تمام الملكة اللاحقة . لأن قبول الملكات وحصولها للطابع التي على الفطرة الأولى أسهل وأيسر . وإذا تقدمتها ملكة أخرى كانت منازعة لها في المدد القابلة وعائقة عن سرعة القبول ، فوقعت المناقاة وتمدد التام في الملكة . وهذا موجود في الملكات الصناعية كلها على الإطلاق . وقد برهننا عليه في موضعه بنحو من هذا البرهان . فاعتبر مثله في اللغات ، فإنها ملكات اللسان ، وهي بمنزلة الصناعة . وانظر من تقدم له شيء من العجبة ، كيف يكون قاصراً في اللسان العربي أبداً . فالأعجمي الذي سبقت له اللغة الفارسية لا يستولي على ملكة اللسان العربي ، ولا يزال قاصراً فيه ولو تعلمته وعلمته . وكذا البربري والرومي الإفرنجي قل أن تجد أحداً منهم

حُكِيماً لِلْمَلِكَةِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . وما ذلك إلا لما سبقَ إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ  
 مِنْ مَلِكَةِ اللِّسَانِ الْآخَرِ ، حَتَّى إِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ  
 الْأَلْسُنِ إِذَا طَلَبَهُ بَيْنَ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ وَمَنْ كَتَبَهُمْ جَاءَ مَقْصِراً  
 فِي مَعَارِفِهِ عَنِ الْغَايَةِ وَالتَّحْصِيلِ ، وَمَا أَتَى إِلَّا مِنْ قَبْلِ اللِّسَانِ .  
 وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ مِنْ قَبْلُ أَنَّ الْأَلْسُنَ وَاللِّغَاتِ شَبِيهَةٌ بِالصَّنَائِعِ . وَقَدْ  
 تَقَدَّمَ لَكَ أَنَّ الصَّنَائِعَ وَمَلَكَاتِهَا لَا تَرْدِجُ . وَإِنْ مِنْ سَبَقَتْ لَهُ إِجَادَةٌ  
 فِي صِنَاعَةٍ فَقَدْ أَنْ يُجِيدُ أُخْرَى أَوْ يَسْتَوِلِيَ فِيهَا عَلَى الْغَايَةِ . وَاللَّهُ  
 خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ .

## الفصل الخامس والخمسون

في صناعة الشعر ووجه تعلمه

هَذَا الْفَنُّ مِنْ فُنُونِ كَلَامِ الْعَرَبِ وَهُوَ الْمُسَمَّى بِالشَّعْرِ عِنْدَهُمْ ،  
 وَيُوجَدُ فِي سَائِرِ اللِّغَاتِ ؛ إِلَّا أَنَا الْآنَ إِنَّمَا نَتَكَلَّمُ فِي الشَّعْرِ الَّذِي  
 لِلْعَرَبِ . فَإِنْ أَمَكَنَّ أَنْ يُجَدَّ فِيهِ أَهْلُ الْأَلْسُنِ الْآخَرَى مَقْصُودَهُمْ  
 مِنْ كَلَامِهِمْ ، وَإِلَّا فَلِكُلِّ لِسَانٍ أَحْكَامٌ فِي الْبَلَاغَةِ مُخَصَّصٌ . وَهُوَ فِي  
 لِسَانِ الْعَرَبِ غَرِيبُ التَّرْعَةِ عَزِيزُ الْمُنْحَى ، إِذْ هُوَ كَلَامٌ مُفْصَلٌ قِطْعاً  
 قِطْعاً ، مُتَسَاوِيَةٌ فِي الْوِزْنِ ، مُتَّحِدَةٌ فِي الْحَرْفِ الْآخِرِ مِنْ كُلِّ  
 قِطْعَةٍ . وَتُسَمَّى كُلُّ قِطْعَةٍ مِنْ هَذِهِ الْقِطْعَاتِ عِنْدَهُمْ بَيْتاً ؛ وَيُسَمَّى  
 الْحَرْفُ الْآخِرُ الَّذِي تَتَّفَقُ فِيهِ رَوِيّاً وَقَافِيَةً ، وَيُسَمَّى جَمْلَةُ الْكَلَامِ

إلى آخره قصيدة وكلمة . وينفرد كل بيت منه بإفادته في تراكيبه ، حتى كأنه كلامٌ وحده ، مستقلٌ عما قبله وما بعده . وإذا أُفردَ كان تاماً في بابِه في مدحٍ أو نسيبٍ أو رثاءٍ ؛ فيحرصُ الشاعرُ على إعطاء ذلك البيت ما يستقلُّ في إفادته . ثم يستأنفُ في البيت الآخر كلاماً آخر كذلك ، ويستطرِدُ للخروجِ من فنٍّ إلى فنٍّ ومن مقصودٍ إلى مقصودٍ ، بأن يوطي المقصودَ الأوَّلَ ومآليه ، إلى أن يُناسِبَ المقصودَ الثاني ، ويمدَّ الكلامَ عن التناوُلِ . كما يستطرِدُ من النسيبِ إلى المدحِ ؛ ومن وصفِ البَيْداءِ والطُّولِ ، إلى وصفِ الركبِ أو الخيلِ أو الطيفِ ؛ ومن وصفِ المدوحِ إلى وصفِ قومه وعساكره ؛ ومن التفجّعِ والرَّاءِ في الرثاءِ إلى التأيينِ وأمثال ذلك .

ويراعى فيه اتفاقُ القصيدةِ كلّها في الوزنِ الواحدِ ، حذراً من أن يتساهلَ الطبعُ في الخروجِ من وزنٍ إلى وزنٍ يقارِبُهُ . فقد يخفى ذلك من أجلِ المقادَبةِ على كثيرٍ من الناس . ولهذه الموازين شروطٌ وأحكامٌ تضمنها علمُ العروضِ . وليس كلُّ وزنٍ يَتَفَقُّ في الطبعِ استعملتهُ العربُ في هذا الفنِّ ، وإنما هي أوزانٌ مخصوصةٌ يُسمِّيها أهلُ تلكَ الصنّاعةِ البحورَ . وقد حصروها في خمسةَ عشرَ بحراً ، بمعنى أنهم لم يجدوا للعربِ في غيرها من الموازين الطبيعيةِ نظاماً . واعلم أن فنَّ الشعرِ من بين الكلامِ كان شريفاً عند العربِ ؛ ولذلك جملوه ديوانَ علوهم وأخبارهم وشاهدَ صوابهم وخطئهم ، وأصلاً يرجعون إليه في الكثيرِ من علومهم وحكمهم . وكانت



ملكته مستحكمة فيهم شأن ملكاتهم كلها . والملكات السائبة كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض في كلامهم ، حتى يحصل شبه في تلك الملكة . والشعر من بين فنون الكلام صعب المأخذ على من يريد اكتساب ملكته بالصناعة من المتأخرين ، لاستقلال كل بيت منه بأنه كلام تام في مقصوده ، ويصلح أن ينفرد دون ما سواه ، فيحتاج من أجل ذلك إلى نوع تلطف في تلك الملكة ، حتى يفرغ الكلام الشعري في قوالبه التي عرفت له في ذلك المنحى من شعر العرب ، ويبرزه مستقلاً بنفسه . ثم يأتي بيت آخر كذلك ، ثم بيت آخر ، ويستكمل الفنون الوافية بمقصوده . ثم يناسب بين البيوت في موالاة بعضها مع بعض بحسب اختلاف الفنون التي في القصيدة . ولصعوبة منحاه وغرابة فيه كان محكاً للقرائح في استجادة أساليبه ، وشحذ الأفكار في تنزيل الكلام في قوالبه . ولا تكفي فيه ملكة الكلام العربي على الإطلاق ، بل يحتاج بخصوصه إلى تلطف ومحاولة في رعاية الأساليب التي اختصت العرب بها وباستعمالها فيه .

ولنذكر هنا مدلول لفظة الأسلوب عند أهل هذه الصناعة وما يريدون بها في إطلاقهم . فاعلم أنها عبارة عندهم عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب ، أو القالب الذي يُفرغ فيه . ولا يرجع إلى الكلام باعتبار إفادته كمال المعنى الذي هو وظيفة الإعراب ، ولا باعتبار إفادته أصل المعنى من خواص التراكيب ، الذي هو وظيفة البلاغة والبيان ، ولا باعتبار الوزن كما استعمله العرب فيه

الذي هو وظيفة العروض . فهذه العلوم الثلاثة خارجة عن هذه الصناعة الشعرية ، وإنما ترجع الى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص . وتلك الصورة يتفرعها الذين من أعيان التراكيب وأشخاصها ويصيرها في الخيال كالتأليب أو المنوال ، ثم ينتقي التراكيب الصحيحة عند العرب باعتبار الإعراب والبيان ، فيرصها فيه رصاً ، كما يفعله البناء في التأليب أو النساج في المنوال ، حتى يتسع التأليب بمحصول التراكيب الوافية بمقصود الكلام ، ويقع على الصورة الصحيحة باعتبار ملكة اللسان العربي فيه ، كان لكل فن من الكلام أساليب تختص به وتوجد فيه على أشباه مختلفة ، فسؤال الطلول في الشعر يكون بخطاب الطلول كقوله :

« يا دار مئة بالعباء فالسند » .

ويكون باستدعاء الصحب للوقوف والسؤال كقوله :

« قفا نسأل الدار التي خفت أهلها » .

أو باستبكاء الصحب على الطلل كقوله :

« قفا نبك من ذكرى حبيب ومثزل » .

أو بالاستفهام عن الجواب لمخاطب غير معين كقوله :

« ألم تسأل فتخيرك الرسوم » .

ومثل تحية الطلول بالأمر لمخاطب غير معين بتحياتها كقوله :

« حي الديار بجانب الغزل<sup>(١)</sup> » .

(١) كذا، وفي ب: حي الدار بجانب الغزل.

أو بالدعاء لها بالسُّقيا كقوله :  
 أَسْفِي طَلُوهُمْ أَجْشُ هَذِيمُ وَغَدَتْ عَلَيْهِمْ نُضْرَةٌ<sup>(١)</sup> وَنَعِيمُ  
 أو بِسْؤَالِ السُّقيا لها من البرق كقوله :  
 يَا بَرْقُ طَالَيْعَ مَنَزِلًا بِالْأَبْرِقِ وَاحِدَ السَّحَابِ لَهَا إِدَاءُ الْأَبْرِقِ  
 أو مثل التفجّع في الرثاء باستدعاء البكاء كقوله :  
 كَذَا غَلِيْجِلُ الْخُطْبِ وَلِيْفَذَحِ الْأَمْرُ فَلَيْسَ لِمَنْ لَمْ يَفْضْ مَاؤُهَا عُذْرُ  
 أو باستعظام الحادث كقوله :  
 «أَرَأَيْتَ مَنْ جُلُّوا عَلَى الْأَعْوَادِ أَرَأَيْتَ كَيْفَ خَبَا ضِيَاءُ النَّادِي»  
 أو بالتسجيل على الأكوَانِ بالمصيبة لفقدِهِ كقوله :  
 مَنَابِتُ الْعُشْبِ لَا حَامٍ وَلَا رَاعٍ مَضَى الرَّدْيُ بِطَوِيلِ الرَّمْحِ وَالْبَاعِ  
 أو بالإنكار على من لم يتفجّع له من الجمادات كقول الخارِجِيَّةِ :  
 أَيَا شَجَرَ الْخَابُورِ مَا لَكَ مَوْدِقًا كَأَنَّكَ لَمْ تَجْزَعْ عَلَى ابْنِ طَرِيفٍ  
 أو بتهنئة قريعه بالراحة من ثقل وطأته كقوله :  
 أَلْقِ الرَّمَاحَ رُبْعَةً بَنَ زَرَارٍ أَوْدَى الرَّدْيُ بِقَرِيْعِكَ الْيَغْوَارِ  
 وأمثال ذلك كثيرٌ في سائر فنون الكلام ومذاهيمه . وتنظيم  
 التراكيب فيه بالجلل وغير الجلل ، إنشائية وخبرية ، إسمية أو  
 فعلية ، متفقة وغير متفقة ، مفصولة وموصولة ، على ما هو شأن

(١) كذا ، وفي ب : روضة .

التراكيب في الكلام العربي ، في مكان كل كلمة من الأخرى . يُعَرَّفُكَ فيه ما تستفيدُ بالارتياض في أشعار العرب ، من القالب الكليّ الجرد في الذهن ، من التراكيب المينة التي ينطبق ذلك القالب على جميعها . فإن مؤلف الكلام هو كالبناء أو النّساج ، والصورة الذهنية المنطبقة ، كالقالب الذي يبني فيه أو المنوال الذي ينسج عليه . فإن خرج عن القالب في بنائه أو على المنوال في نسجه كان فاسداً . ولا تقولن إن معرفة قوانين البلاغة كافية في ذلك ، لأننا نقول : قوانين البلاغة إنما هي قواعد علمية وقياسية ، تفيد جواز استعمال التراكيب على هيأتها الخاصة بالقياس . وهو قياس علمي صحيح مطرد ، كما هو قياس القوانين الإعرابية . وهذه الأساليب التي نحن نقرؤها ليست من القياس في شيء ، إنما هي هيئة ترسخ في النفس من تتبع التراكيب في شعر العرب لجرأتها على اللسان ، حتى تستحكم صورتها ، فيستفيد بها العمل على مثالها والاحتذاء بها في كل تركيب من الشعر كما قدمنا ذلك في الكلام باطلاق . وإن القوانين العلمية من العربية والبيان لا يُفيد تعلية بوجوه . وليس كل ما يصح في قياس كلام العرب وقوانينه العلمية استعمالوه . وإنما المستعمل عندهم من ذلك أنما هو معروفة يطلع عليها الحافظون لكلامهم ، تندرج صورتها تحت تلك القوانين القياسية . فإذا نظرت في شعر العرب على هذا النحو ، وبهذه الأساليب الذهنية ، التي تصير كالقوالب ، كان نظراً في المستعمل من تراكيبهم ، لا فيما يقتضيه القياس . ولهذا قلنا إن

الحِصْلَ لهذه القوالب في الذَّهْنِ ، إنما هو حِفْظُ أشعارِ العربِ  
وكلايهم . وهذه القوالبُ كما تكونُ في المنظوم تكونُ في المنشور ،  
فإنَّ العربَ استعملوا كَلَامَهُمْ في كلا الفئتين ، وجاءوا به مفصلاً  
في النوعين . ففي الشعرِ بِالْقَطْعِ الموزونة والقوافي المقيَّدة ، واستقلال  
الكلامِ في كلِّ قِطْعَةٍ ، وفي المنشور ، يمتدُّون الموازنة والتشابه  
بين القطع غالباً ، وقد يقيّدونه بالأسجاع . وقد يُرسلونه ، وكلُّ  
واحدٍ من هذه معروفةٌ في لسانِ العربِ . والمستعملُ منها عندهم  
هو الذي يبني مؤلَّفُ الكلامِ عليه تأليفه ، ولا يعرفه إلا من حَفِظَ  
كَلَامَهُمْ ، حتى يتجرّد في ذهنه من القوالب المميّنة الشخصية ، قالبٌ  
كليٌّ مطلقٌ يحدو حدوه في التأليفِ ، كما يحدو البناء على القالبِ ،  
والنَّسْجُ على المنوال . فلهذا كان من تأليفِ الكلامِ منفرداً عن  
نظرِ النحويِّ والبيانيِّ والعروضيِّ . نعم إنَّ مراعاةَ قوانينِ هذه  
العلومِ شرطٌ فيه لا يتمُّ بدونها ، فإذا تحصّلت هذه الصفاتُ كلّها  
في الكلامِ اختصَّ بنوعٍ من النظرِ ، لطيفٍ في هذه القوالبِ ،  
التي يسمونها أساليبَ . ولا يفيدُه إلا حِفْظُ كلامِ العربِ نظماً  
ونثراً . وإذا تقرّرَ معنى الأسلوبِ ما هو ، فلنذكر بعده حداً أو  
رسماً للشعرِ يفهمنا حقيقته على صعوبةِ هذا الفرضِ . فانا لم نقف  
عليه لأحدٍ من المتقدمينَ فيما رأيناه .

وقولُ العروضيِّينَ في حَيْثُ إنه الكلامُ الموزونُ المقفِيُّ ، ليسَ  
بحدِّ لهذا الشعرِ الذي نحن بصددِهِ ، ولا رسمٌ له . وصناعتهم إنما  
تنظرُ في الشعرِ من حيثُ اتِّفاقُ أبياتِهِ في عددِ المتحرّكات والسواكن

على التوالي، ومماثلة عروض أبيات الشعر لصرفها. وذلك نظر في وزن يُجَرَّد عن الألفاظ ودلالاتها؛ فناسب أن يكون حدًّا عندهم ونحن هنا ننظر في الشعر باعتبار ما فيه من الإعراب والبلاغة والوزن والقوالب الخاصة. فلا جرم إنَّ حدَّهم ذلك لا يصلحُ له عندنا، فلا بدَّ من تعريف يعطينا حقيقة من هذه الحيثية فنقول: الشعرُ هو الكلامُ البليغُ المبنيُّ على الاستعارة والأوصاف، المفصلُ بأجزائه متَّمة في الوزن والروي، مستقلٌّ كلُّ جزءٍ منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده، الجاري على أساليب العربِ المخصوصة به. فقولنا الكلامُ البليغُ جنسٌ، وقولنا المبنيُّ على الاستعارة والأوصافِ فصلٌ له عما يخلو من هذه، فإنَّه في الغالب ليس بشعر، وقولنا المفصلُ بأجزائه متَّمة الوزن والروي فصلٌ له عن الكلامِ المنشور الذي ليس بشعر عند الكلِّ؛ وقولنا مستقلٌّ كلُّ جزءٍ منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده بيانٌ للحقيقة، لأنَّ الشعرَ لا تكونُ أبيانُهُ إلا كذلك، ولم يُفصل به شيء. وقولنا الجاري على الأساليبِ المخصوصة به، فصلٌ له عما لم يجر منه على أساليب الشعر المعروفة؛ فإنَّه حينئذٍ لا يكونُ شعراً، إمَّا هو كلامٌ منظوم، لأنَّ الشعرَ له أساليبٌ تخصُّه، لا تكونُ للمنثور. وكذا أساليبُ المنشور لا تكونُ للشعر، فإما كان من الكلامِ منظوماً وليس على تلك الأساليب، فلا يسمى شعراً. وبهذا الاعتبار كان الكثيرُ ممن لقيناه من شيوخنا في هذه الصناعة الأدبية يرون أن نظمَ المتنبي والمري ليسَ هو من الشعر في شيء، لأنَّهما لم يجرِيا على

أساليب العرب فيه ، وقولنا في الحدّ الجاري على أساليب العرب فصل له عن شعر غير العرب من الأمم ، عند من يرى أن الشعر يوجد للعرب ولغيرهم . ومن يرى أنه لا يوجد لغيرهم ، فلا يحتاج الى ذلك ، ويقول مكانه الجاري على الأساليب المخصوصة . وإذ قد فرغنا من الكلام على حقيقة الشعر ، فلنرجع الى الكلام في كيفية عمله فنقول :

إعلم ان لعمل الشعر وإحكام صناعته شروطاً ، أولها : الحفظ من جنسه أي من جنس شعر العرب ، حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها ، ويختار المحفوظ من الحرّ النقي الكثير الأساليب . وهذا المحفوظ المختار أقل ما يكفي فيه شعر شاعر من الفحول الإسلاميين ، مثل ابن أبي ربيعة وكثير وذي الرّمة وجبر و أبي نواس وحبيب والبحري والرضي وأبي فراس . وأكثره شعر كتاب الأغاني ، لأنه جمع شعر أهل الطبقة الإسلامية كله ، والمختار من شعر الجاهلية . ومن كان خالياً من المحفوظ فنظمه قاصر ردي ، ولا يعطيه الرنق والحلاوة إلا كثرة المحفوظ . فن قلّ حفظه أو عديم لم يكن له شعر ، وإنما هو نظم ساقط . واجتناب الشعر أولى بمن لم يكن له محفوظ . ثم بعد الامتلاء من الحفظ وشحذ القريحة للنسج على المنوال يُقيل على النظم ، وبالكثير منه تستحكم ملكته وترسخ . وربما يقال إن من شرطه نسيان ذلك المحفوظ ، لتمحي رؤسومه الحرفية الظاهرة ، إذ هي صادة عن استعمالها بعينها . فإذا نسيها ، وقد تكيفت النفس بها ،

النتش الأسلوب فيها ، كأنه منوالٌ يأخذُ بالنسجِ عليه بأمثالها من كلماتٍ أخرى ضرورة . ثم لا بدُّ له من الخلوة واستجادة المكان المنظور فيه من المياه والأزهار ؛ وكذا من المسموع لاستنارة القريحة باستجابها وتنشيطها بملاذِّ السُرور . ثم مع هذا كله فشرطه أن يكونَ على سجامٍ ونشاطٍ ، فذلك أجمعُ له وأنشطُ للقريجة أن تأتيَ بثمر ذلك المنوال الذي في حفظه .

قالوا : وخيرُ الأوقاتِ لذلك أوقاتُ البكر عند الغيوب من النوم وفراغِ المنة ونشاطِ الفكر ، وفي هواه الجلام . وربما قالوا إنَّ من بواعثِ العشق والانتشاء ، ذكرَ ذلك ابنُ رشيقٍ في كتاب المنة ، وهو الكتابُ الذي انفردَ بهذه الصناعة وإعطاء حقيها ، ولم يكتب فيها أحدٌ قبْلَه ولا بعده مثله . قالوا : فإن استصعبَ عليه بعد هذا كله فليتركه إلى وقتٍ آخر ، ولا يُكرهُ نفسه عليه . وليكن بناء البيتِ على القافية من أوّل صوغه ونسجه يضمها ، ويبنى الكلامَ عليها إلى آخره ، لأنَّه إن غفلَ عن بناء البيتِ على القافية صعبَ عليه وضُمُّها في محلّها . وربما تجيئُ نافرةٌ قلقةٌ ، وإذا سمحَ الحاطرُ بالبيتِ ، ولم يناسبِ الذي عنده فليتركه إلى موضعه الأليق به ، فإن كلَّ بيتٍ مستقلٌّ بنفسه ، ولم تبقى إلا المناسبةُ فليتخيرَ فيها ما يشاء ، ويراجعَ شعره بعد الخلاص منه بالتنقيح والنقد ، ولا يرضنْ به على الترك إذا لم يبلغ الإجادة . فإن الإنسان مفتونٌ بشعره ، إذ هو نباتُ فكره واختراعُ قريحته ، ولا يستعملُ فيه من الكلام إلا الأفصحَ من التراكيب . والخالصُ من الضروراتِ



اللسانيّة فليجرحها ، فإنّها تنزلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة .  
وقد حظّر أئمةُ اللسان على المولّد ارتكابَ الضرورة ، إذ هو  
في سعةٍ منها بالمدول عنها إلى الطريقة المثلّ من الملكة . ويختب  
أيضاً المعقّد من التراكيب جهده . وإنّا يقصدُ منها ما كانت معانيه  
تسابقُ ألفاظه إلى الفهم . وكذلك كثرةُ المعاني في البيت الواحد  
فإنّ فيه نوعَ تعقيدٍ على الفهم . وإنّا المختارُ منه ما كانت ألفاظه  
يطبقُ على معانيه أو أوفى منها . فإن كانت المعاني كثيرةً كان حشوً ،  
واشتغلَ الذهنُ بالنوصِ عليها ، ففزعَ الذوقُ عن استيفاء مدركه  
من البلاغة . ولا يكونُ الشعرُ سهلاً إلا إذا كانت معانيه تسابقُ  
ألفاظه إلى الذهن . ولهذا كان شيوخنا رحمهم الله يعيرونَ شعرَ أبي  
بكر<sup>(١)</sup> بن خفاجة ، شاعرٍ شرقِ الأندلس ، لكثرةِ معانيه وازدحامها  
في البيت الواحد ، كما كانوا يعيرونَ شعرَ المتنبي والمعري بدم  
النسج على الأساليبِ الرّبيّة كما مرّ ، فكان شعرُهما كلاماً منظوماً  
نازلاً عن طبقةِ الشعر ، والحالُ كذلك هو الذوق . وليجتنب الشاعرُ  
أيضاً الحوشي من الألفاظِ والمقعر ، وكذلك السوقيّ المتنلّ  
بالتداولِ بالاستعمال ، فانه ينزلُ بالكلام عن طبقةِ البلاغة . وكذلك  
المعاني المتبدلة بالشهرة فإنّ الكلام ينزلُ بها عن البلاغة أيضاً ،  
فيصيرُ مبتدلاً ويقربُ من علمِ الافادّة كقولهم : النارُ حارةٌ  
والسماه فوقنا . ومقدار ما يقربُ من طبقةِ علمِ الافادّة يبعدُ عن  
رتبةِ البلاغة ، إذ هما طرفان . ولهذا كان الشعرُ في الرّبانيّاتِ

(١) علق الموريني على هذه الكلمة بقوله : قوله أبي بكر ، وفي نسخة : أبي إسحق الخ .

والتبويّات قليل الإجادق في الغالب، ولا يجنق فيه إلا الفحول .  
وفي القليل، على العسر، لأنّ معانيها متداولة بين الجمهور، فتصير  
مبتذلة لذلك . وإذا تمدّد الشعر بعد هذا كلّهُ فليروضة ويعاوده ؛  
فان القرينة مثل الصرع يدبّ بالامتراء ويحفّ ويغرّد بالترك والاهمال .  
وبالجملة فهذه الصناعة وتعلّمها مستوفى في كتاب العمدة لابن رشيق ،  
وقد ذكرنا منها ما حضرنا بحسب الجهد . ومن أراد استيفاء ذلك  
فليبه بذلك الكتاب ففيه البُنية من ذلك . وهذه نبذة كافية والله  
المعين . وقد نظم الناس في أمر هذه الصناعة الشعرية ما يجب فيها .  
ومن أحسن ما قيل في ذلك وأظنه لابن رشيق :

|  |   |
|--|---|
| لَمَنَ اللهُ صِنْعَةَ الشِّعْرِ مَاذَا       | مَنْ صُنُوفِ الْجَاهِلِ فِيهَا لَقِينَا   |
| يُؤْثِرُونَ الْغَرِيبَ مِنْهُ عَلَى مَا      | كَانَ سَهْلًا لِلْسَّامِعِينَ مُبِينَا    |
| وَيَرَوْنَ الْحَالَ مَعْنَى صَحِيحًا         | وَخَسِيسَ الْكَلَامِ شَيْئًا ثَمِينَا     |
| يَجْهَلُونَ الصَّوَابَ مِنْهُ وَلَا يَذْ     | رُونَ الْجَهْلَ أَنَّهُمْ يَجْهَلُونَا    |
| فَهُمْ عِنْدَ مَنْ يَسْوَائًا يُلَامُوا      | نَ وَفِي الْحَقِّ عِنْدَنَا يُعْذَرُونَا  |
| إِنَّمَا الشِّعْرُ مَا يُنَاسِبُ فِي النِّظْ | مِ وَإِنْ كَانَ فِي الصِّفَاتِ فُنُونَا   |
| فَأَتَى بَعْضُهُ يُشَاكِلُ بَعْضًا           | وَأَقَامَتْ لَهُ الصُّدُورُ الْمُتُونَا   |
| كُلُّ مَعْنَى أَتَاكَ مِنْهُ عَلَى مَا       | تَتَمَنَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ أَوْ يَكُونَا |
| فَتَنَاهَى مِنَ الْبَيَانِ إِلَى أَنْ        | كَادَ حُسْنًا يَبِينُ لِلنَّاضِرِينَا     |
| فَكَانَ الْأَلْفَاظُ مِنْهُ وَجْوهُ          | وَالْمَعَانِي رُكُوبًا فِيهِ عُيُونَا     |
| قَانَمًا فِي الْمَرَامِ حَسَبَ الْأَمَانِي   | يَتَحَلَّى بِحُسْنِهِ الْمُنْشَدُونَا     |

فَإِذَا مَا مَدَّحْتَ بِالشَّعْرِ حُرًّا  
فَجَعَلْتَ النَّدْبَ سَهْلًا قَرِيبًا  
وَتَنَكَّبْتَ مَا تَهَجَّنَ فِي السَّمْعِ  
وَإِذَا مَا قَرَضْتَهُ يَهْجَاهُ  
فَجَعَلْتَ التَّصْرِيحَ مِنْهُ دَوَاءً  
وَإِذَا مَا بَكَيْتَ فِيهِ عَلَى الْغَا  
حُلْتَ دُونَ الْأَسَى وَذَلَّلْتَ مَا كَا  
ثُمَّ إِنْ كُنْتَ عَائِبًا جِئْتَ بِالْوَعْدِ  
فَقَرَّكَتَ الَّذِي عَتَبْتَ عَلَيْهِ  
وَأَصَحُّ الْقَرِيبِ مَا فَاتَ فِي النِّظَمِ  
فَإِذَا قِيلَ أَطْعَمَ النَّاسَ طَرًّا  
رُمْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُسْتَهْنَا<sup>(١)</sup>  
وَجَعَلْتَ الْمَدِيحَ صِدْقًا مُبِينًا  
وَإِنْ كَانَ لَفْظُهُ مَوْزُونًا  
عَبْتَ فِيهِ مَذَاهِبَ الْمُرْقِينَا<sup>(٢)</sup>  
وَجَعَلْتَ التَّعْرِيفَ دَاءً دَفِينًا  
دَيْنَ يَوْمًا لِلْبَيْنِ وَالطَّاعِنِينَ  
نَ مِنَ الدَّمْعِ فِي الْعَيُونِ مَصُونًا  
وَعِيدًا وَبِالصُّمُورَةِ لِينًا  
حَلِيرًا ، آمِنًا ، عَزِيزًا ، مَهِينًا  
وَإِنْ كَانَ وَاضِعًا مُسْتَبِينًا  
وَإِذَا رِيمَ أَعْجَزَ الْمُعْجَرِينَ

ومن ذلك أيضاً قول بعضهم وهو الناشي :

الشَّعْرُ مَا قَوَّمتَ زَيْغَ صُدُورِهِ  
وَرَأَيْتَ بِالْإِطْنَابِ يَنْمِبُ صُدُورِهِ  
وَجَمَعْتَ بَيْنَ قَرِيبِهِ وَتَبْعِيدِهِ  
وَعَدَلْتَ مِنْهُ سَحْدَ أَمْرِ يَقْتَضِي  
وَإِذَا مَلَّحْتَ بِهِ جَوَادًا مَاجِدًا  
أَصْفَيْتَهُ بِنَفْسِهِ وَرَصِينَهُ  
وَشَدَّدْتَ بِالتَّهْدِيدِ أَسْمُوتَورِهِ  
وَفَتَحْتَ بِالْإِيجَازِ عَوْدَ عُيُونِهِ  
وَوَصَلْتَ بَيْنَ نُجْمِهِ وَتَمِيمِهِ  
شَبْهًا بِهِ فَقْرِيهِ بِقَرِينِهِ  
وَقَصَبْتَهُ بِالشُّكْرِ حَقَّ دُيُونِهِ  
وَحَصَصْتَهُ بِخَطِيرِهِ وَثَمِينِهِ

(١) كذا، وفي ب: المستهينا.

(٢) كذا، وفي ب: المرتينا.

فَيَكُونُ جَزْلاً فِي مَسَاقِ صُنُوفِهِ      وَيَكُونُ سَهْلاً فِي إِتْفَاقِ فُنُونِهِ  
وَإِذَا بَكَتْ بِهِ اللَّيْظُ وَأَهْلُهَا      أَجْرَيْتَ لِلْحَزُونِ مَاءَ شُؤْنِهِ<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا أَرَذْتَ كِنَايَةً عَنْ رِيَّةٍ      بَايَنْتَ بَيْنَ ظُهُورِهِ وَبُطُونِهِ  
فَجَعَلْتَ سَامِعَةً يَشُوبُ شُكُوكُهُ      بَثْنَاهُ وَظُنُونُهُ يَبْقِيهِ  
وَإِذَا عَبْتِ عَلَى أَخٍ فِي زَلَّةٍ      أَدَجَّتْ شِدَّتَهُ لَهُ فِي لِينِهِ  
فَتَرَكْتَهُ مُسْتَأْنَساً بِدَمَائِهِ      مُسْتَأْمِناً لَوْعُوْثِهِ وَحَزُونِهِ  
وَإِذَا نَبَذْتَ إِلَى الَّذِي عَلَقْتَهَا      إِذْ صَارَتْكَ بِفَاتِنَاتِ شُؤْنِهِ  
تَيْمَتَهَا بِلَطِيفِهِ وَرَقِيقِهِ      وَشَفَقْتَهَا بِخَبِيئِهِ وَكَيْبِهِ  
وَإِذَا اعْتَذَرْتَ لِسَقْطَةِ أَسْقَطَتَا      وَأَشَكْتَ بَيْنَ غِيْلِهِ وَمَبِيئِهِ  
فِيَحُولِ ذَنْبِكَ عِنْدَ مَنْ يَعْتَدُهُ      عَتَباً عَلَيْهِ مَطَالِباً بِمَبِيئِهِ

## الفصل السادس والخمسون

في ان صناعة النظم والنثر إنما هي في الألفاظ لا في المعاني

اعلم أَنَّ صِنَاعَةَ الْكَلَامِ نَظْمًا وَنَثْرًا إِنَّمَا هِيَ فِي الْأَلْفَاظِ لَا فِي الْمَعَانِي ، وَإِنَّمَا الْمَعَانِي تَبَعُ لَهَا وَهِيَ أَصْلُ . فَالْمَصْنُوعُ الَّذِي يُجَاوِلُ مُلْكَةَ الْكَلَامِ فِي النِّظْمِ وَالنَّثَرِ ، إِنَّمَا يُجَاوِلُهَا فِي الْأَلْفَاظِ بِحِفْظِ أَمْسَالِهَا مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ ، لِيَكْثَرَ اسْتِعْمَالُهُ وَجَرِيئُهُ عَلَى لِسَانِهِ ، حَتَّى تَسْتَقِرَّ لَهُ الْمُلْكَةُ فِي لِسَانِ مُصَرِّعٍ ، وَيَتَحَلَّصَ مِنَ الْعُجْمَةِ الَّتِي رَزَىٰ عَلَيْهَا فِي

(١) الشئون: مجاري الدموع في العينين.

جيله ، ويفرض نفسه ، مثل وليد ينشأ في جيل العرب ويلقن لنتهم كما يلقنها الصبي ، حتى يصير كأنه واحد منهم في لسانهم . وذلك أنا قدّمنا أن لسان ملكة من الملكات في النطق يحاول تحصيلها بتكرارها على اللسان حتى تحصل شأن الملكات ، والذي في اللسان والنطق إنما هو الألفاظ ، وأما المعاني فهي في الضمائر . وأيضاً فالمعاني موجودة عند كل واحد وفي طوع كل فكر منها ما يشاء ويرضى ، فلا تحتاج إلى تكلف صناعة في تأليفها . وتأليف الكلام للعبارة عنها هو المحتاج للصناعة كما قلناه وهو بمثابة القواليب للسان . فكما أن الأواني التي يُغترف بها الماء من البحر منها آنية الذهب والفضة والصدف والزجاج والخزف ، والماء واحد في نفسه . وتختلف الجودة في الأواني المملوءة بالماء باختلاف جنسها لا باختلاف الماء . كذلك جودة اللثة وبلاغتها في الاستعمال تختلف باختلاف طبقات الكلام في تأليفه ، باعتبار تطبيقه على المقاصد . والمعاني واحدة في نفسها ، وإنما الجاهل بتأليف الكلام وأساليبه ، على مقتضى ملكة اللسان ، إذا حاول العبارة عن مقصوده ، ولم يحسن ، بمثابة المقعد ، الذي يروم النهوض ولا يستطيعه ، لفقدان القدرة عليه . والله يعلمكم ما لم تكونوا تعلمون .

## الفصل السابع والخمسون

فصل في أصل هذه الملكة بكتابة الخط وجوهرها بجودة المحفوظ

قد قدمنا أنه لا بُدَّ من كثرة الحفظ ، لمن يروم تعلم اللسان العربي ؛ وعلى قدر جودة المحفوظ وطبقته في جنسه وكثرتيه من قَلْبِهِ ، تكون جودة الملكة الحاصلة عنه للمحافظ . فمن كان محفوظه من أشعار العرب الإسلاميين شعر حبيب أو العتايي أو ابن المعتز أو ابن هانيء أو الشريف الرضي ؛ أو رسائل ابن المقفع أو سهل ابن هارون أو ابن الزيات أو البديع أو الصابي ؛ تكون ملكته أجود وأعلى مقاماً ورتبة في البلاغة ، ممن يحفظ أشعار المتأخرين مثل شعر ابن سهل أو ابن النبيه أو تَرسَلُ البَيْسَاني أو العباد الأصهباني ، لنزول طبقة هؤلاء عن أولئك . يظهر ذلك للبصير الناقد صاحب الفوق . وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسنوع ، تكون جودة الاستعمال من بعده ، ثم إجادة الملكة من بعدهما . فبارتقاء المحفوظ في طبقته من الكلام ، ترتقي الملكة الحاصلة لأنَّ الطَّبْعَ إذا نَسِجَ على مِنوالها ، وتنمو قُوَى الملكة بتغذيتها . وذلك أنَّ النفس ، وإن كانت في جيلتها واحدة بالنوع ، فهي تختلف في البشر بالقوَّة والضعف في الإدراكات . واختلافها إذا هو باختلاف ما يردُّ عليها من الإدراكات والملكات والألوان التي تُكَيِّمُها من خارج . فهذه يَتِمُّ وجودها ، وتُخْرَجُ من القوَّة إلى الفعل

صورتها . والمملكة التي تحصل لها إنما تحصل على التدرج كما قدمناه . فالمملكة الشعرية تنشأ بحفظ الشعر ، ومملكة الكتابة بحفظ الأسجاع والترسيل ، والعلمية بمخاطبة العلوم والإدراكات والأبحاث والأنظار ، والفقهية بمخاطبة الفقه وتنظير المسائل وتفريغها وتخريج الفروع على الأصول ، والتصوفية الربانية بالعبادات والأذكار وتعطيل الحواس الظاهرة بالخلوة والانفراد عن الخلق ما استطاع ، حتى تحصل له ملكة الرجوع الى حسيه الباطن وروحه ، وينقلب ربانياً وكذا سائرهما . والنفس في كل واحد منها لو تشكف به ، وعلى حسب ما نشأت الملكة عليه من جودة أو رداءة تكون تلك الملكة في نفسها ، فلكة البلاغة العالية الطبقية في جنسها إنما تحصل بحفظ العالي في طبقته من الكلام ، ولهذا كان الفقهاء وأهل العلوم كلهم قاصرين في البلاغة ، وما ذلك الا لما يسبق إلى محفوظهم ، ويمتلي به من القوانين العلمية والعبارات الفقهية الخارجة عن أسلوب البلاغة والنازلة عن الطبقة ، لأنّ العبارات عن القوانين والعلوم لا حظ لها في البلاغة ، فاذا سبق ذلك المحفوظ إلى الفكر وكثر وتلوّنت به النفس جاءت الملكة الناشئة عنه في غاية القصور وانحرفت عباراته عن أساليب العرب في كلامهم . وهكذا نجد شعراء الفقهاء والنحاة والمتكلمين والنظار وغيرهم ممن لم يمتلي من حفظ النقيض الحر من كلام العرب .

أخبرني صاحبنا الفاضل أبو القاسم بن رضوان كاتب العلامة بالدولة المرينية قال : ذاكرت يوماً صاحبنا أبا العباس بن شعيب

كاتب السلطان أبي الحسن ، وكان المقدم في البصر باللسان لمهدي  
فأنشدته مطلع قصيدته ابن النحوي ولم أنسها له وهو هذا :

لم أدر حين وقفت بالأطلال ما الفرق بين جديدها والبالى

فقال لي على البديهة : هذا شعرٌ فقيه ، فقلت له ومن أين  
لك ذلك ؟ قال من قوله : ما الفرق ؟ إذ هي من عبارات الفقهاء ،  
وليست من أساليب كلام العرب ، فقلت له : لله أبوك ، إنه ابن  
النحوي .

وأما الكتاب والشعره فليسوا كذلك ، لتخيرهم في محفوظهم  
ومخالطهم كلام العرب وأساليبهم في الترسل ، وانتقائهم له الجيد  
من الكلام .

ذاكرت يوماً صاحبنا أبا عبد الله بن الخطيب ، وزير الملوك  
بالأندلس من بني الأحمر ، وكان الصند المقدم في الشعر والكتابة  
فقلت له : أجد استصعاباً عليّ في نظم الشعر متى رمتُهُ ، مع بصري  
به وحفظي للجيد من الكلام ، من القرآن والحديث وفنون من  
كلام العرب ، وإن كان محفوظي قليلاً . وإنما أتيتُ ، والله أعلمُ  
بحقيقة الحال ، من قبل ما حصل في حفظي من الأشعار العلية  
والقوانين التأليفية . فإني حفظتُ قصيدي الشاطبي الكبرى والصغرى  
في القراءت والرسم واستظهرتها ، وتدارستُ كتابي ابن الحاجب  
في النظم والأصول وجمال الخونجي في المنطق وبعض كتاب التسهيل  
وكثيراً من قوانين التعليم في المجالس ، فامتلاً محفوظي من ذلك ،



وُخِشَتْ وَجْهُ الْمَلَكَةِ الَّتِي اسْتَدْعَيْتُ لَهَا بِالْمَحْفُوظِ الْجَيِّدِ مِنَ الْقُرْآنِ  
وَالْحَدِيثِ وَكَلَامِ الْعَرَبِ ، فَمَاقَ الْقَرِيحَةِ عَنْ بَلُوغِهَا . فَنَظَرَ إِلَيَّ سَاعَةً  
مَتَعِجِبًا ثُمَّ قَالَ : اللَّهُ أَنْتَ ، وَهَلْ يَقُولُ هَذَا إِلَّا مِثْلُكَ ؟ .

وَيُظْهِرُ لَكَ مِنْ هَذَا الْفَصْلِ ، وَمَا تَقَرَّرَ فِيهِ سِرٌّ آخَرٌ ، وَهُوَ  
إِعْطَاءُ السَّبَبِ فِي أَنَّ كَلَامَ الْإِسْلَامِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ أَعْلَى طَبَقَةً فِي  
الْبَلَاغَةِ وَأَدْوَقَهَا مِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فِي مَنُورِهِمْ وَمَنْظُومِهِمْ .  
فَإِنَّا نَجِدُ شِعْرَ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ وَنُجَافَةَ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ وَالْحَطِيبَةَ وَجَرِيرَ  
وَالْفَرَزْدَقَ وَنُصَيْبَ وَغِيلَانَ ذِي الرُّمَّةِ وَالْأَحْوَصَ وَبِشَّارَ ، ثُمَّ  
كَلَامَ السَّلَفِ مِنَ الْعَرَبِ فِي الدَّوَلَةِ الْأُمَوِيَّةِ وَصَدْرًا مِنَ الدَّوَلَةِ  
الْعَبَّاسِيَّةِ ، فِي خُطَبِهِمْ وَتَرْسِيلِهِمْ وَمَحَاوِرَاتِهِمْ لِلْمُلُوكِ أَرْفَعَ طَبَقَةً فِي  
الْبَلَاغَةِ بِكَثِيرٍ مِنْ شِعْرِ النَّابِغَةِ وَعَنْتَرَةَ وَابْنِ كُلْثُومٍ وَزُهَيْرِ  
وَعَلْقَمَةَ بْنِ عَبْدَةَ وَطَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ ، وَمِنْ كَلَامِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي مَنُورِهِمْ  
وَمَحَاوِرَاتِهِمْ . وَالطَّبْعُ السَّلِيمُ وَالذَّوْقُ الصَّحِيحُ شَاهِدَانِ بِذَلِكَ لِلنَّاقِدِ  
الْبَصِيرِ بِالْبَلَاغَةِ .

وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَدْرَكُوا الْإِسْلَامَ سَمِعُوا  
الطَّبَقَةَ الْعَالِيَةَ مِنَ الْكَلَامِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ ، الَّذِينَ عَجَزَ الْبَشَرُ  
عَنِ الْإِتْيَانِ بِمِثْلِهَا ، لَكُونَهَا وَجَلَّتْ فِي قُلُوبِهِمْ وَنَشَأَتْ عَلَى أَسَالِبِهَا  
نَفُوسُهُمْ ، فَهَضَّتْ طِبَاعُهُمْ وَارْتَقَتْ مَلَكَاتُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ عَنْ مَلَكَاتِ  
مَنْ قَبْلَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ ، مِمَّنْ لَمْ يَسْمَعْ هَذِهِ الطَّبَقَةَ وَلَا نَشَأَ  
عَلَيْهَا ، فَكَانَ كَلَامُهُمْ فِي نَظْمِهِمْ وَنَثْرِهِمْ أَحْسَنَ دِيَابَجَةً وَأَصْنَى  
رَوْنَقًا مِنْ أَوْلَئِكَ ، وَأَرَصَفَ مَبْنًى وَأَعْدَلَ تَثْقِيفًا بِمَا اسْتَفَادُوهُ مِنْ

الكلام العالي الطبقة. وتأمل ذلك يشهد لك به ذوقك إن كنت من أهل الذوق والتبصر بالبلاغة.

ولقد سألت يوماً شيخنا الشريف أبا القاسم قاضي غرناطة لعهدنا، وكان شيخ هذه الصناعة، أخذ يسبّته عن جماعة من مشيختها من تلاميذ الشلوين، واستبحر في علم اللسان وجاء من وراء الغاية فيه، فسأنته يوماً: ما بال العرب الإسلاميين أعلى طبقة في البلاغة من الجاهلين؟ ولم يكن ليستكر ذلك بذوقه، فسكت طويلاً ثم قال لي: والله ما أدري! فقلت له: أعرض عليك شيئاً ظهر لي في ذلك، ولعلّ السبب فيه. وذكرت له هذا الذي كتبت فسكت مُعجباً، ثم قال لي: يا فقيه! هذا كلام من حمّه أن يكتب بالذهب. وكان من بعدها يؤرّ مؤرّ ويصيح في مجالس التعليم إلى قولي ويشهد لي بالباهة في العلوم. والله خلق الإنسان وعلمه البيان.

## الفصل الثامن والخمسون

في بيان الطبع من الكلام والطبع

وكيف جودة الطبع أو قصوره

إعلم أن الكلام الذي هو العبارة والخطاب، إنما يسهل وروحه في إفادة المعنى. وأما إذا كان مهملاً فهو كالموات الذي لا عبرة به. وكما الافادة هو البلاغة على ما عرفت من حدّها عند أهل البيان

لأنهم يقولون هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ومعرفة الشروط والأحكام التي بها تطابق التراكيب اللفظية لمقتضى الحال ، هو فن البلاغة . وتلك الشروط والأحكام للتراكيب في المطابقة استقرت من لغة العرب وصارت كالقوانين . فالتراكيب بوضعها تفيد الاسناد بين المسندين ، بشروط وأحكام هي جُلُّ قوانين العربية . وأحوال هذه التراكيب من تقديم وتأخير ، وتعريف وتنكير ، وإضمار وإظهار ، وتقييد وإطلاق وغيرها ، يفيد الأحكام المكتشفة من خارج بالاسناد ، وبالمخاطبين حال التخاطب بشروط وأحكام هي قوانين لفن ، يسمونه علم المعاني من فنون البلاغة . فتندرج قوانين العربية لذلك في قوانين علم المعاني لأن إفادتها الاسناد جزء من إفادتها للأحوال المكتشفة بالاسناد . وما قصر من هذه التراكيب عن إفادة مقتضى الحال للخلل في قوانين الإعراب أو قوانين المعاني كان قاصراً عن المطابقة لمقتضى الحال ، ولحق بالمهمل الذي هو في عداد الموات .

ثم يتبع هذه الافادة لمقتضى الحال التفنن في انتقال التركيب بين المعاني بأصناف الدلالات ، لأن التركيب يدل بالوضع على معنى ، ثم ينتقل الذهن إلى لازمه أو ملزومه أو شبهه ؛ فيكون فيها مجازاً ؛ إما باستعاره أو كناية كما هو مقرر في موضعه ، ويحصل للفكر بذلك الانتقال لذّة كما تحصل في الافادة وأشد . لأن في جميعها ظفر بالدلول من دليله . والظفر من أسباب اللذة كما علمت . ثم لهذه الانتقالات أيضاً شروطاً وأحكام كالقوانين صيورها صناعة ،

وسموها بالبيان . وهي شقيقة علم المعاني المفيد لمقتضى الحال ، لأنها راجعة إلى معاني التراكيب ومثلولاتها . وقوانين علم المعاني راجعة إلى أحوال التراكيب أنفسها من حيث الدلالة . واللفظ والمعنى متلازمان متضايقان كما علمت . فإذا علم المعاني وعلم البيان هما جزء البلاغة ، وبهما كمال الإفادة ، فهو مقصر عن البلاغة ويتحقق عند البلاء بأصوات الحيوانات العجم وأجدر به أن لا يكون عربياً ، لأن العربي هو الذي يطابق بأفادته مقتضى الحال . فالبلاغة على هذا هي أصل الكلام العربي وسجيته وروحه وطبيعته .

ثم اعلم أنهم إذا قالوا : « الكلام المطبوع » فإنهم يعنون به الكلام الذي كملت طبيعته وسجيته من إفادة مدلوله المقصود منه ، لأنه عبارة وخطاب ، ليس المقصود منه النطق فقط . بل التكليم يقصد به أن يفيد سامعه ما في ضميره إفادة تامة ، ويدل به عليه دلالة وثيقة . ثم يتبع تراكيب الكلام في هذه السجية التي له بالاصالة ضروب من التحسين والتزيين ، بعد كمال الإفادة وكأنها تعطيه رونق الفصاحة من تنميق الأسجاع ، والموازنة بين حمل الكلام وتقسيمه بالأقسام المختلفة الأحكام والتورية باللفظ المشترك عن الخفي من معانيه ، والمطابقة بين المتضادات ، ليقع التجانس بين الألفاظ والمعاني ، فيحصل للكلام رونق ولذة في الأسجاع وحلاوة وجمال كلها زائدة على الافادة .

وهذه الصنعة موجودة في الكلام المعجز في مواضع متعدية

مثل : ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ، ومثل : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ﴾

وَصَدَقَ بِأَحْسَنِ ﴿١﴾، إلى آخر التقسيم في الآية . وكذا: ﴿فَأَمَّا مَنْ طَفَنَ ﴿٢﴾  
وَأَنزَلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ إلى آخر الآية . وكذا: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْيُونَ  
صُنْعًا﴾ . وأمثاله كثير . وذلك بعد كمال الافادة في أصل هذه  
التراكيب قبل وقوع هذا البديع فيها . وكذا وقع في كلام  
الجاهلية منه ، لكن عفواً من غير قصد ولا تعمد . ويقال إنه وقع  
في شعر زهير .

وأما الإسلاميون فوقع لهم عفواً وقصداً ، وأتوا منه بالعجائب .  
وأول من أحكم طريقته حبيب بن أوس والبُخْزَرِيُّ ومسلم بن الوليد ،  
فقد كانوا مولين بالصنعة ، ويأتون منها بالعجب . وقيل إن أول  
من ذهب إلى معانيها بشار بن بُزْد وابن هِرْمَةَ ، وكنا آخر من  
يُسْتَشْهَدُ بِشِعْرِهِ في اللسان العربي . ثم اتبعهما عمرو بن كلثوم والمتاي  
ومَنصور النُّبَيْرِيُّ ومسلم بن الوليد وأبو نواس . وجاء على آثارهم  
حبيب والبُخْزَرِيُّ . ثم ظهر ابن المعتز فختم على البديع والصناعة  
أجمع . ولنذكر مثلاً من المطبوع الخالي من الصناعة ، مثل قول  
قيس بن ذريح :

وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعْنِي      أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيَا  
وقول كثير :

وإني وتهيامي بعزة بعدما      تخليت عما بيننا وتخلت  
لكالرجي ظلّ النمامة كلها      تبوأ منها للعقل اضطلعت

فتأمل هذا المطبوع ، الفقيد الصنعة ، في إحكام تأليفه وثقافته

تركيبه . فلو جاءت فيه الصنعة من بعد هذا الأصل زادته حسناً .  
وأما المصنوعُ فكثيرٌ من لدن بشار ، ثم حبيب وطبقتهما ، ثم  
ابن المعتز خاتم الصنعة الذي جرى المتأخرون بعدهم في ميدانهم ،  
ونسجوا على منوالهم . وقد تعددت أصناف هذه الصنعة عند أهلها ،  
واختلفت اصطلاحاتهم في ألقاها . وكثير منهم يجعلها مندرجة في  
البلاغة على أنها غير داخلية في الافادة ، وإنما هي تعطي التحسين  
والرونق . وأما المتقدمون من أهل البديع ، فهي عندهم خارجة  
عن البلاغة . ولذلك يذكرونها في الفنون الأدبية التي لا موضوع  
لها . وهو رأي ابن رشيقي في كتاب الممتع له ، وأدباء الأندلس .  
وذكروا في استعمال هذه الصنعة شروطاً ، منها أن تقع من غير  
تكلف ولا اكتراث في ما يقصد منها . وأما العفو فلا كلام فيه  
لأنها إذا برئت من التكلف سلم الكلام من عيب الاستهجان ،  
لأن تكلفها ومعاناتها يصير إلى القلة عن التراكيب الأصلية للكلام ،  
فتخل بالافادة من أصلها ، وتذهب بالبلاغة رأساً . ولا يبقى في  
الكلام إلا تلك التحسينات ، وهذا هو الغالب اليوم على أهل  
العصر . وأصحاب الأذواق في البلاغة يستخرون من كليهما بهذه  
الثنون ، ويعدون ذلك من المصور عن سواء . وسمعت شيخنا  
الاستاذ أبا البركات البليقي ، وكان من أهل البصر في اللسان  
والقرينة في ذوقه يقول : إن من أشهى ما تقرحهُ علي نفسي أن  
أشاهد في بعض الأيام من ينتحل فنون هذا البديع في نظمه أو  
نثره ، وقد عوقب بأشد العقوبة ، ونودي عليه ، يحذر بذلك تليذمه

أن يتعاطوا هذه الصنعة، فيكلفون بها، ويتناسون البلاغة. ثم من شروط استعمالها عندهم الاقلال منها وأن تكون في بيتين أو ثلاثة من القصيد، فتكفي في زينة الشعر ورونقه. والاكثر منها عيب، قاله ابن رشيقي وغيره. وكان شيخنا أبو القاسم الشريف السبتي متفق اللسان العربي بالأندلس لوقته يقول: هذه الفنون البديعة إذا وقعت للشاعر أو للكاتب فيقبح أن يستكثر منها، لأنها من محسنات الكلام ومزيناته، فهي بمثابة الحيلان في الوجه يحسن بالواحد والاثنين منها، ويقبح بتعدادها. وعلى نسبة الكلام المنظوم هو الكلام المنشور في الجاهلية والاسلام. كان أولاً مرسلاً معتبر الموازنة بين مجله وتراكيبه، شاهدة موازنته بفواصله، من غير التزام سجع ولا اكتراث بصنعة. حتى نبغ إبراهيم بن هلال الصابي كاتب بني بويه، فتعاطى الصنعة والتقية وأتى بذلك بالمعجب. وعاب الناس عليه كلفه بذلك في المخاطبات السلطانية. وإنما حمّله عليه ما كان في ملوكه من العجمة والبعد عن صولة الخلافة المنفعة لسوق البلاغة. ثم انتشرت الصناعة بعده في منشور المتأخرين ونسي عهد الترسل وتشابهت السلطانيات والاخوانيات والعرييات بالسوقيات. واختلط المرعي بالهملي. وهذا كله يدل على أن الكلام المصنوع بالمعانة والتكليف، قاصر عن الكلام المطبوع، لقلة الاكتراث فيه بأصل البلاغة، والحاكم في ذلك الذوق. والله خَلَقَكُمْ وَعَلَّمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ.

## الفصل التاسع والخمسون

في تلخيص أهل البيت عن قتال الشعر

اعلم أنَّ الشعرَ كانَ ديواناً للعربِ ، فيه غلوُّهم وأخبارُهم وحكَمُهم . وكانَ رؤساءُ العربِ متنافسينَ فيه ، وكانوا يقفون بسوق عُكاظَ لأنشاده وعرض كلِّ واحدٍ منهم ديارتَهُ على فُحولِ الشَّانِ وأهلِ البَصَرِ ، لتمييزِ حوكِهِ . حتى انتهوا إلى المناغاة في تعليق أشعارِهِم بأركانِ البيتِ الحرامِ ، موضعِ حجَّهم ، وبِيتِ أبيهم إبراهيمَ ؛ كما فعلَ امرؤُ القيسِ بنُ حُجْرٍ ، والنايعةُ الدُّيانيُّ ، وزُهَيْرُ بنُ أبي سُلمي ، وعنترةُ بنُ شدَّادٍ ، وطرفةُ بنِ العبدِ وعَلَمَةُ ابنِ عبدة ، والأعشى وغيرُهم من أصحابِ المَلَقَاتِ السَّبعِ<sup>(١)</sup> . فانه إذا كانَ يتوصَّلُ إلى تعليقِ الشعرِ بها ، من كانَ له قُدرةٌ على ذلك بقومِهِ وعصبَتِهِ ومكانِهِ في مُضَرَ ، على ما قيلَ في سببِ تسميتها بالمَلَقَاتِ . ثم انصرفَ العربُ عن ذلك أوَّلَ الإسلامِ ، بما شغلَّهم من أمرِ الدينِ والثبوةِ والوحيِّ ، وما أدهشهم من أسلوبِ القرآنِ ونظمِهِ ، فأخسروا عن ذلك وسكتوا عن الخوضِ في النظمِ والنثرِ زماناً . ثم استقرَّ ذلك وأونسَ الرُّشدُ من المِلَّةِ . ولم يزل الوحيُّ في تحريرِ الشعرِ وحظِّهِ ، وسمعةُ النبي ﷺ وأتابَ عليه ، فرجعوا حينئذٍ

(١) كذا ، وفي ب : السبع .



إلى دَيْدَنِهِمْ مِنْهُ . وكان لَعْمَرُ بْنُ أَبِي رَبِيعَةَ كَبِيرُ قُرَشٍ . لذلك العهدِ مقاماتٌ فِيهِ عَالِيَةٌ وَطَبَقَةٌ مَرْتَبَعَةٌ ، وكان كثيراً ما يعرضُ شِعْرَهُ على ابنِ عَبَّاسٍ فيَقِفُ لاسْتِماعِهِ مُعْجِباً بِهِ . ثم جاء من بعد ذلك الْمَلِكُ الْفَحْلُ والدولةُ الْعَزِيزَةُ ، وتَقَرَّبَ إِلَيْهِمُ الْعَرَبُ بِأَشْعَارِهِمْ يَتَدَحُونَهُمْ بِهَا . ويَحِيزُهُمُ الْخُلَفَاءُ بِأَعْظَمِ الْجَوَائِزِ على نِسْبَةِ الْجَوْدَةِ في أَشْعَارِهِمْ ومكانِهِمْ من قَوِيهِمْ ، ويَحْرِصُونَ على اسْتِهادِ أَشْعَارِهِمْ ، يَطْلُمُونَ مِنْهَا على الْأَنْبَاءِ والأَخْبَارِ واللُّغَةِ وشَرْفِ اللِّسَانِ . والعَرَبُ يَطالِبُونَ وَلَدَهُمْ بِحِفْظِهَا . ولم يزل الشَّأْنُ هَذَا أَيَّامَ بَنِي أُمَيَّةٍ وَصَدْرَ مِنْ دَوْلَةِ بَنِي الْعَبَّاسِ . وانْظُرْ ما نَقَلَهُ صَاحِبُ الْعِدَدِ فِي مَسَارِقَةِ الرِّشِيدِ لِلأَصْمِغِيِّ ، فِي بَابِ الشِّعْرِ والشُّعْرَاءِ تَجِدُ ما كانَ عَلَيْهِ الرِّشِيدُ مِنَ الْمَعْرِفَةِ بِذَلِكَ ، وَالرُّسُوخِ فِيهِ والعِنَايَةِ بِاتِّحَالِهِ ، والتَّبَصُّرِ بِحَيْثُ الْكَلَامِ وَرَدِيهِ وَكَثْرَةِ مَحْفُوظِهِ مِنْهُ . ثم جاء خَلْقٌ مِنْ بَعْدِهِمْ لَمْ يَكُنِ اللِّسَانُ لِسَانَهُمْ ، مِنْ أَجْلِ الْعُجْمَةِ وتَقْصِيرِهَا بِاللِّسَانِ ، وَإِنَّمَا تَعَلَّمُوهُ صِنَاعَةً ، ثُمَّ مَدَحُوا بِأَشْعَارِهِمْ أَمْراءَ الْعَجَمِ الَّذِينَ لَيْسَ لِللِّسَانِ لَهُمْ طَالِبِينَ مَعْرُوفَهُمْ فَقَطْ ، لَا سِوَى ذَلِكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، كَمَا فَعَلَهُ حَبِيبُ الْبُحْرِيِّ وَالنَّشِيطُ وَابْنُ هَانِيٍّ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى هَلَمْ جِراً . فَصَارَ غَرَضُ الشِّعْرِ فِي الْغَالِبِ إِنَّمَا هُوَ لِلْكَذْبَةِ وَالاسْتِجْدَاءِ لَذَهَابِ الْمَنَافِعِ الَّتِي كَانَتْ فِيهِ لِلْأَوَّلِينَ ، كَمَا ذَكَرْنَاهُ آنَفًا . وَأَيْفَ مِنْهُ لِذَلِكَ أَهْلُ الْهَمَمِ وَالْمَرَاتِبِ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ ، وَتَغْيِيرِ الْحَالِ فِيهِ وَأَصْبَحَ تَعاطِيهِ هُجْنَةً فِي الرِّئَاسَةِ وَمَذْمَةً لِأَهْلِ الْمَنَاصِبِ الْكَبِيرَةِ . وَاللَّهُ مَقْلَبُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ .

## الفصل الستون

في انحصار العرب ولعل الأمصار لهذا العهد

اعلم أن الشعر لا يختص باللسان العربي فقط ، بل هو موجود في كل لغة ، سواء كانت عربية أو عجمية . وقد كان في الفرس شعراء وفي يونان كذلك ، وذكر منهم أرسطو في كتاب المنطق : أوميروس الشاعر وأثنى عليه . وكان في عجم أيضاً شعراء متقدمون . ولما فسدت لسان مضر ولغتهم التي دُرنت مقاييسها وقوانين إعرابها ، وفستت اللغات من بعد بحسب ما خالطها ومازجها من العجمية ، فكان لجيل العرب بأنفسهم لغة خالقت لغة سلفهم من مضر في الإعراب جملة ، وفي كثير من الموضوعات اللغوية وبناء الكلمات . وكذلك الحضرة أهل الأمصار نشأت فيهم لغة أخرى خالفت لسان مضر في الإعراب وأكثر الأوضاع والتعاريف ، وخالفت أيضاً لغة الجيل من العرب لهذا العهد . واختلقت هي في نفسها بحسب اصطلاحات أهل الآفاق ، فلاهل المشرق وأمصاره لغة غير لغة أهل المغرب وأمصاره ، وتخالقهما أيضاً لغة أهل الأندلس وأمصاره .

ثم لما كان الشعر موجوداً بالطبع في أهل كل لسان ، لأن الموازين على نسبة واحدة في اعداد المتحرّكات والسواكن وتقانيها ، موجودة في طباع البشر ، فلم يهجر الشعر بفقدان لغة

واحدته وهي لغة مُضرَ ؛ الذين كانوا فحولَه وقرسانَ ميدانه ،  
 حسبها اشتهر بين أهل الخليفة . بل كلُّ جيلٍ وأهلٍ كل لغةٍ من  
 العرب المستعجمين والحضر أهل الأمصار ، يتعاطون منه ما  
 يطاوهم في اتحاليه ورصف بنائه على مهبّ كلامهم . فأما العربُ ،  
 أهل هذا الجبل ، المستعجمون عن لغة سلفهم من مُضر ، فيقرضون  
 الشفر لهذا العهد في سائر الأعراب ، على ما كان عليه سلفهم  
 المستعربون ، ويأقون منه بالطولاتِ مشتلةً على مذاهب الشعر  
 وأغراضه من النسيب والمدح والرياء والهجاء ، ويستطردون في  
 الخروج من فنٍّ إلى فنٍّ في الكلام . وربما هجموا على المقصود  
 لأول كلامهم . وأكثر اتدائهم في قصائدهم باسم الشاعر ، ثم بعد  
 ذلك ينسبون . فأهل أمصار المغرب من العرب يسْمُون هذه القصائدَ  
 بالأصمعيّات ، نسبةً إلى الاصمعيّ ، راوية العرب في أشعارهم .  
 وأهل المشرق من العرب يُسمُون هذا النوع من الشعر بالبدويّ  
 والحدواني والقيسي ، وربما يلحنون فيه ألحاناً بسيطةً ، لا على  
 طريقة الصنّاعة الموسيقية . ثم يُغنّون به ، ويسمون الغناء به باسم  
 الحدواني ، نسبةً إلى حوران من أطراف العراق والشام ، وهي  
 من منازل العرب البادية ومساكنهم إلى هذا العهد .

ولهم فنٌّ آخرٌ كثيرُ التداول في نظمهم يجيئون به مُفصّلاً على  
 أربعة أجزاء ، يخالف آخرها الثلاثة في دَوِيّه ويلتزمون القافية  
 الرابعة في كل بيتٍ إلى آخر القصيدة ؛ شبيهاً بالربّع والمخمس  
 الذي أحدثه المتأخرون من المولدين . ولهؤلاء العرب في هذا الشعر

بلاغَةً فائِقةً ؛ وفيهم الفُحولُ والمتأخرونَ عن ذلك ، والكثيرُ من المتحلّينَ للعلومِ لهذا العهدِ ، وخصوصاً علمُ اللسانِ ؛ يستنكِرُ هذه الفنونَ التي لهم إذا سَمِعَها ويُبجُّ نظَمَهُمْ إذا أُنشِدَ ، ويعتقدُ أن ذوقَهُ إنما نبا عنها لاستِيجانِها وفقدانِ الإعرابِ منها . وهذا إنما أتى من فقدانِ الملكةِ في لغَتِهِمْ . فلو حصلتْ له مَلَكَةٌ من ملكاتِهِمْ لشَهِدَ له طَبَعُهُ وذوقُهُ ببلاغَتِها إن كان سليماً من الآفاتِ في فِطْرَتِهِ ونظَرِهِ ؛ وإلا فالإعرابُ لا مدخلَ له في البَلاغَةِ ، إنما البَلاغَةُ مطابَقةُ الكلامِ للمقصودِ ولِمقتضى الحالِ من الوجودِ فيه ، سواءَ كانَ الرفعُ دالاً على الفاعِلِ والنصبُ دالاً على المفعولِ أو بالعكس . وإِنما يدلُّ على ذلك قرائنُ الكلامِ ، كما هو في لغَتِهِمْ هذه . فالدلالةُ بحسبِ ما يصطَلَحُ عليه أهلُ الملكةِ : فاذا عُرِفَ اصطلاحُ في ملكةٍ واشتهرَ صَحَّتْ الدلالةُ ؛ وإذا طابقتْ تلك الدلالةُ المقصودَ ومقتضى الحالِ صَحَّتْ البَلاغَةُ . ولا عِبرةَ بقوانينِ النحاةِ في ذلك . وأساليبُ الشعرِ وفنونهُ موجودةٌ في أشعارِهِمْ هذه ما عدا حركاتِ الإعرابِ في أواخرِ الكلامِ ؛ فان غالبَ كلماتِهِمْ موقوفةٌ الآخرِ . ويتجَمُّعُ عندهم الفاعِلُ من المفعولِ والمبتدأُ من الخبرِ بقرائنِ الكلامِ . لا بحركاتِ الإعرابِ . فن أشعارِهِمْ على لسانِ الشريفِ بنِ هاشمِ يبيحُ الجازيةَ بنتَ سرحانَ ، ويذكرُ ظلعَها مع قومِها إلى المغربِ :

قال الشريفُ ابنُ هاشمِ علي      ترى كيدي حَرَمِي شَكَتْ مِنْ زَفيرِها  
يَفِرُّ لِلإِعلامِ ابنُ ما رَأَتْ خَاطِرِي      يَرِدُ غَلامُ البَدو يَلوي عَصيرِها

وماذا شكّة الروح مما طرأ لها      غداة وزائع تلف الله خيرها  
يحسّ إن قطاع عامر ضميرها      طوى وهند جافي ذكرها  
وعادت كما خوارة في يد غاسل      على مثل شوك الطلح عقدوا يسيرها  
تجاذبونها اثنين والتزع بينهم      على شوك لمة والبقايا جريرها  
وباتت دموع العين ذارفات لسانها      شبيه دوائر السواني يديرها  
تدارك منها النجم حذراً وزادها      مرون يحي متراكبا من صيرها  
يصب من القيعان من جانب الصفا      عيون ولجاز البرق في غزيرها  
هاذا الفنى حتى تساييت غزوة      ناضت من بغداد حتى فقيرها  
ونادى المنادي بالرحيل وشددوا      وعرج عاريا على مستعيرها  
وشدّ لها الأدهم دياب بن غانم      على أيدين ماضي وليد مقرب ميرها  
وقال لهم حسن بن سرحان غربوا      وسوقوا النجع إن كان أناهو غفيرها  
ويركض ويده شهامه بالتسامح      وباليمين لا يحذوا في مُعيرها  
غدرني زيان السبح من عابس      وما كان يرضى زين حمير وميرها  
غدرني وهو زعماء صديقي وصاحبي      وأتاليه ما من درقي ما يديرها  
ورجع يقول لهم بلال بن هاشم      بحر البلاد العطشى ما يجرها  
حرام علي باب بغداد وأرضها      داخل ولا عائد ركيره من نعرها  
تصدف روحي عن بلاد ابن هاشم      على الشمس أو حول النظامن هجيرها  
وباتت نيران العذارى قوادح      يلوذ ويخرجان يشدوا أسيرها

ومن قولهم في رثاء أمير زبّانة أبي سعدى اليفرنى مُقارِعهم  
بافريقية وأرض الزاب ورثاهم له على جهة التهنئة :

تقول فتاة الحي "سعدى وهاضها  
أيا سائلي عن قبر الزناتي خليفه  
تراه يعالي وادي ران وفوقه  
أراه يميل النور من شارع النقا  
أيا لهف كبدي على الزناتي خليفه  
قتيل فتى الهيجا دياب بن غانم  
أيا جاترا مات الزناتي خليفه  
ألا واش رحلنا ثلاثين مرة  
لها في ظلمون الباكرين عويل  
خذ النعت مني لا تكون هيل  
من الربط عيساوي بناء طويل  
به الواد شرقاً والبراع دليل  
قد كان لأعقاب الجياد سيل  
جراحه كافواه المزايد تسيل  
لا ترحل إلا أن يريد رحيل  
وعشراً وستاً في النهار قليل

ومن قولهم على لسان الشريف بن هاشم يذكر عتاباً وقع  
بينه وبين ماضي بن مقرب :

تبدى ماضي الجبار وقال لي  
أشكر أعد ما بقي ود بيننا  
نحن غدينا نصدفو ما قضى لنا  
أشكر أعد إلى يزيد ملامه  
ان كان نبت الشوك يلقح بأرضكم  
أشكر ما نحننا عليك رضاش  
ورانا عريب عربا لابسين فماش  
كما صادفت طعم الزباد طشاش  
ليحدو ومن عمر بلاده عاش  
هنا العرب ما زدنا لمن صباش

ومن قولهم في ذكر رحلتهم الى الغرب وعليهم زناة عليه :  
وأي جيل ضاع لي في الشريف بن هاشم  
لقد كنت انا وياه في زهو بيتنا  
وأي رجال ضاع قبلي جيلا  
عاني بحجة ما غباني دليها

وعدت كأنني شاربٌ من مدامَةٍ      من الحمرِ فهو ما قدر من ميلها  
أو مثل شطامات مظنون كجدها      غريبا وهي مدوّخه عن قبيلها  
أناها زمان السوء حتى تدوّحت      وهي بين عربا غافلا عن تزيّلها  
كذلك أنا بما لحاني من الوجى      شاكى بكبدٍ باديتها زعيلها  
وأمرت قومي بالرحيل وبكروا      وقوّوا وشدّاد الحوايا حميلها  
قمعدنا سبعة أيام محبوس نجحنا      والبدو ما ترفع عمود يقلها  
نظّل على حداب الثنايا نوازي      يطل الجرى فوق النضا ونصيلها

ومن شعر سلطان بن مُطَقَّر بن يَحْيَى من الزواوِدَةِ<sup>(١)</sup> أحدُ بَطُونِ  
رياح وأهل الرّياسَةِ فيهم ، يقولها وهو معتلٌ بالمدْيَةِ في سجنِ  
الأمير أبي زكريّا بن أبي حفصٍ أوّلِ ملوكِ إفريقيّةٍ من الموحّدين:

يقول وفي بوح الدجا بمد وهنة      حرام على أجفان عيني مناهها  
يا من لقلب حالف الوجد والأسى      وروح هيامي طال ما في سقاها  
حجازية بدوية عربية      عداوية ولها بعيد مراها  
مولمة بالبدو لا تألف القرى      سوى عانك الوعسا يؤثي خيامها  
غيات ومشتاها بها كل شتوق      ممحونة بيها وبيها صحيح غرامها  
ومراها عشب الاراضي من الحيا      يواني من الحور الخلايا جسامها  
تشوق شوق العين مما تداركت      عليها من السحب السواري غمامها  
وماذا بكت بالما وماذا تناحلت      عيون غزار الزمن عذابا حامها  
كأنّ عروس البكر لاحت تياها      عليها ومن تَوَدَّ الأفاحي خزاهها

(١) كذا، وفي نسخة: اللواودة.

فلاة ودهنا واتساع ومنة  
 ومشروها من غرض ألبان شولها  
 تقانت عن الأبواب والموقف الذي  
 سقى الله ذا الوادي المشجر بالحيا  
 فكافأتها بالودّ مني وليتني  
 ليالي أقواس الصبا في سواعدي  
 وفربي عديد تحت سرجي مشافة  
 وكم من رداح أسهرتني ولم أرى  
 وكم غيرها من كاعب مرجحة  
 وصفت من وجدي عليها طريحة  
 ونار يحطب الوجد توهج في الحشا  
 أيا من وعدتي الوعد هذا الى متى  
 ولكن رأيت الشمس تُكسفُ ساعة  
 بنود ورايات من السعد أقبلت  
 أرى في الفلا بالعين أظمان عزوتي  
 يجرع عتاق النوق من فوق شامس  
 الى منزل بالجعفرية لّوى  
 ونلقى سرة من هلال بن عامر  
 بهم تضرب الأمثال شرقاً ومغرباً  
 عليهم ومن هو في حاهم تحية  
 فدع ذا ولا تأسف على سالف مضى

ومرعى سوى ما في مراعي نعامها  
 غنيم ومن لحم الجوازي طعامها  
 يشيب الفتى مما يقاسي زحامها  
 وبلا ويحيى ما يلي من رماها  
 ظفرت بأيام مضت في ركامها  
 إذا قت لم تحظ من ايدي سهامها  
 زمان الصبا سرجاً ويدي لجامها  
 من الخلق أبهى من نظام ابتسامها  
 مطرّة الاجفان باهي وشامها  
 بكفي ولم ينس جدامها ذمامها  
 وتوهج لا يطفأ من الماء ضرامها  
 فني العمر في دار عماني ظلامها  
 ويغمى عليها ثم ييدا غيامها  
 إلينا بعون الله يهفو علامها  
 ورعي على كتفي وسيري امامها  
 أحب بلاد الله عندي حشامها  
 مقيم بها ما لذ عندي مقامها  
 يزيل الصدا والفل عني سلامها  
 إذا قاتلوا قوماً سريع انهماها  
 مدى الدهر ما غنى يفينا حمامها  
 فذي الدنيا مادامت لاحد دواها



ومن أشعار المتأخرين منهم قول خالد بن حمزة بن عُمَرَ ، شيخ  
الكموب ، من أولاد أبي الليل ، يعاتبُ أقتلهم أولاد مهلهل  
ويجيبُ شاعرهم شبلى بن مسكيانة بن مهلهل ، عن أبيات فخر  
عليهم فيها بقوميه :

|                                 |                              |
|---------------------------------|------------------------------|
| يقول وذا قول المصاب الذي نشأ    | قوارع قيعان يعاني صعاها      |
| يريح بها حادي المصاب اذا سعى    | فنونا من انشاد القوافي عذاها |
| عيرة مختارة من نشادها           | تحدى بها تام الوشا ملتهاها   |
| مغربة عن ناقد في فضونها         | محكمة القيعان داني وداهها    |
| وهيض بتذكاري لها ياذوي الندى    | قوارع من شبلى وهذي جواها     |
| اشبلى جنينا من حباك طرائفا      | فراح يريح المومنين القناها   |
| فخرت ولم تقصر ولا أنت عادم      | سوى قلت في جمهورها ما أعابها |
| لقولك في أمّ المتين بن حمزة     | وحامي حماها عادي في حراها    |
| أما تعلم انه قامها بعد ما لقي   | رصاص بني يحيى وغلاق داهها    |
| شهاباً من اهل الامر ياشبلى خارق | وهل ريت من جالوغي واصطلى بها |
| سواها طفاها أضمرت بعد طففيه     | وأثنى طفاها جاسراً لا يهاها  |
| واضمرت بعد الطفيتين ألن صحت     | لفاس الى بيت المنى يقتدى بها |
| وبان لوالي الأمر في ذا انشاحها  | فصار وهي عن كبر الاسنة تهاها |
| كما كان هو يطلب على ذا تجنبت    | رجال بني كعب الذي يتقى بها   |

ومنها في العتاب :

وليدا تعاتبوا أنا اغنى لانني غنيت بملاق الشنا واغتصباها

عليّ وثا ندفع بها كل مبضع  
فان كانت الاملاك بفت عرايس  
ولا بعدها الارهاف وذبل  
بني عمنّا ما نرتضي الذل غله  
وهي عالما بأن المنايا تنيلها  
ومنها في وصف الطغاة :

قطعنا قطوع البید لا نخشي العدا  
ترى العين فيها قل لشبل عرائف  
ترى أهلها غبّ السباح ان يفلها  
لها كل يوم في الأرامي قتائل  
فحق بحوبات مخوف جناها  
وكلّ مهاجر محتطها رباها  
بكل حلوب الجوف ما سدّ بابها  
ورا الفاجر المزوج عفو رضاها

ومن قولهم في الأمثال الحكيمة :

وطلبك في المنوع منك سفاهة  
وصدك عن صدّ عنك صواب  
إذا رأيت أناساً يفلقوا عنك باهم  
ظهور المطايا يفتح الله باب

ومن قول شبل يذكر انتساب الكموب الى برجم :

لشيب وشبان من اولاد برجم  
جميع البرايا تشتكي من ضهادها

ومن قول خالد يعاتب اخوانه في موالاته شيخ الموحدين أبي  
محمد بن تافراكين المستبدّ بحجاية السلطان بتونس على سلطانها  
مكفولة أبي اسحق ابن السلطان أبي يحيى وذلك فيما قرّب من عصرنا :

يقول بلا جمل فتى الجود خالد  
مقالة حبر ذات ذهن ولم يكن  
تهجست معنا نايها لا الحاجة  
وكنت بها كبدي وهي نعم صابة  
تقوّهت بأدي شرحا عن مأرب  
بني كعب أدنى الأقرين لدمنا  
جرى عند فتح الوطن منالبعضهم  
وبعضهم ملنا له عن خصيمه  
وبعضهم مرهوب من بعض ملكنا  
وبعضهم جانا جريماً تسمحت  
وبعضهم نظار فينا بسوق  
رجع ينتهي مما سفهنا قبيحه  
وبعضهم شاكى من اوغاد قادر  
فصمناه عنه واقتضي منه مورد  
ونحن على دافي المدى نطلب العلا  
وحزنا حى وطن بترشيش بعدما  
وهد من الاملاك ما كان خارجا  
بدع قروم من قروم قبيلنا  
جريتاهم عن كل تأليف في العدا  
الى ان عاد من لا كان فيهم يهمة  
وركبو السبايا المشتمات من اهلها

مقالة قوال وقال صواب  
هرجاً ولا فيما يقول ذهاب  
ولا هرج ينقاد منه معاب  
حزينة فكر والحزن يصاب  
جرت من رجال في القبيل قراب  
بني عمّ منهم شايب وشباب  
مصافاة وقر واتساع جناب  
كما يعلموا قولي يقينه صواب  
جزاعاً وفي جو الضمير كتاب  
خاطر منها للنزول وهاب  
نقتهاه حتى ما عنا به ساب  
مراراً وفي بعض المرار يهاب  
غلق عنه في احكام السقائف باب  
على كره مولى البالقي ودياب  
لهم ما حططنا للفجور نقاب  
نققتا عليها سبقا ورقاب  
على احكام والي أمرها له ناب  
بني كعب لاواها الغريم وطاب  
وقنا لهم عن كل قيد مناب  
ريبها وخيراتة عليه نصاب  
ولبسوا من انواع الحرير ثياب

وساقوا المطايا بالشر لا نسوا له  
وكسبوا من أصناف السعايا ذخائر  
وعادوا نظير البرمكيين قبل ذا  
وكانوا لنا دعاء لكل مهمة  
وخلو الدار في جنح الظلام ولا اتقوا  
كسوا الخي جلاباب البهيم لستره  
كذلك منهم حابس ما دار النبا  
يظن ظنونا ليس نحن بأهلها  
خطا هو ومن واتاه في سؤ ظنه  
فواعزوني ان الفتى بو محمد  
وبرحت الاوغاد منه ويحسبوا  
جروا يطلبوا تحت السحاب شرائع  
وهو لو عطى ما كان للرأي عارف  
وان نحن ما نستاملوا عنه راحة  
وان ما وطأ ترشيش يضيق وسعها  
وانه منها عن قريب مفاصل  
وعن فائنات الطرف بيض غوانج  
يتيه اذا تاهوا ويصبوا اذا صبوا  
يضلوه عن عدم اليمين وربما  
يهم حازله زمه وطلوع أوار  
حرام على ابن تافر كين ما مضى

جواهر ما ينلو بها بجلاب  
ضغام لحزات الزمان تصاب  
والا هلالا في زمان دياب  
إلى ان بان من نار العنق شهاب  
ملامه ولا دار الكرام عتاب  
وهم لو دروا لبسوا قبيح جباب  
ذهل حلمي ان كان عقله غاب  
تقى يكن له في السباح شعاب  
بالاثبات من ظن القبايح عاب  
وهوب لا آلاف بنير حساب  
بروحه ما يحيى بروح سحاب  
لقوا كل ما يستاملوه سراب  
ولا كان في قلة عطاء صواب  
وانه باسهم التلاف مصاب  
عليه ويمشي بالفزوع زاب  
خنوج عتاز هو الها وقباب  
ربوا خلف استار وخلف حجاب  
بحسن قوانين وصوت رباب  
يطارح حتى ما كأنه شاب  
ولذة ما كولي وطيب شراب  
من الود الا ما بدل بحراب

وان كان له عقل رجيع وقطنة  
وأما البدا لا بدّها من فياعل  
ويلجى بها سوق علينا سلاعه  
ويمسي غلام طالب ريج ملكنا  
أيّا واكلين الخبز تبفوا ادامه  
غلطتوا أدمتوا في السموم لباب

ومن شعر عليّ بن عُمر بن إبراهيم من روساء بني عامر لهذا  
العهد أحد بطون زُعبَة يعاتبُ بني عمه المتطاولين الى رياستِهِ :

محبّة كالذرّ في يدِ صانع  
أباحتها منها فيه أسباب ما مضى  
غدامنه لام الحية حين وانشطت  
ولكن ضميري يوم بان بهم الينا  
والا كأبراص التهامي قوادح  
والا لكان القلب في يد قابض  
لما قلت سما من شقا البين زارني  
ألا يا ربوع كان بالامس عامر  
وغيد تداني للخطا في ملاعب  
ونعم يشوف الناظرين التحاها  
وعرود باسمها ليدعو لسرها  
واليوم ما فيها سوى اليوم حولها  
وقفنا بها طورا طويلا نساها

إذا كان في سلك الحرير نظام  
وشاء تبارك والضعون تسام  
عصاها ولا صبا عليه حكام  
تبرّم على شوك القتاد برام  
وبين عواج الكنفات ضرام  
أناهم بمنشار القطيع غشام  
إذا كان ينادي بالفراق وخام  
بيحي وحله والقطين لمام  
دجى الليل فيهم ساهرٌ ونيام  
لنا ما بدا من هرق وكظام  
واطلاق من شرب المها ونعام  
ينوح على اطلال لها وخيام  
بعين سخينا والدموع سجام

ولا أصبح لي منها سوى وحش خاطري  
ومن بعد ذاتي لمنصور بو علي  
وقولوا له يا بو الوفا كلح رأيكم  
زواخر ما تنقاس بالعود انما  
ولا قستموا فيها قياسا يدلکم  
وعانوا على هلكاتكم في ورودها  
أيا عزوة ركبوا الضلالة ولا لهم  
الا عناهم لو ترى كيف زايهم  
خلو القنا يغنون في مرقب العلا  
وحق النبي والبيت وأركانه العلي  
لبرّ الليالي فيه ان طالت الحيا  
ولا يرها تبقى البوادي عوا كف  
وكل مسافه كالسد اياه عابر  
وكل كيت يكتصص عض ثابه  
وتحمل بنا الارض العقيمة مدة  
بالابطال والقود المهجان وبالقنا  
أتجهدني وانا عقيد نقودها  
ونحن كأضراس المواقي بنجمكم  
متى كان يوم القحط يا مير ابو علي  
كذلك بوحو الى اليسر ابعته  
وخل رجالا لا يرى الضيم جارهم

وسقمني من اسباب ان عرفت او هام  
سلام ومن بعد السلام سلام  
دخلتم بحور غامقات دهام  
لها سيالات على الفضا وأكام  
وليس البحور الطاميات تمام  
من الناس عدمان العقول لثام  
قرار ولا دنيا لمن دوام  
مثل سراب فلاه ما لمن تمام  
مواضع ما هيا لهم بمقام  
ومن زارها في كل دهر وعام  
ينوقون من خط الكساع مدام  
بكل رديني مطرب وحسام  
عليها من اولاد الكرام غلام  
يظل يصارع في العنان لجام  
وتولدا من كل ضيق كظام  
لها وقت وجنات البدور زحام  
وفي سن رححي للحروب علام  
حتى يقاضوا من ديون غرام  
يلقى سعايا صايرين قدام  
وخلى الجياد العاليات تسام  
ولا يجمعوا بدهى العدو زقام

الا يقيموها وعقد يؤسهم وهم عذر عنه دائماً ودوام  
وكم تار طعننا على البدو سابق ما بين صحاصيح وما بين حسام  
فتى تار قطار الصوى يومنا على لنا ارض ترك الطاعنين زمام  
وكم ذا يجيبوا اثرها من غنيمة حليف الشنا قشاع كل غيام  
وإن جاء خافوه الملوك ووسعوا غدا طبعه يجدى عليه قيام  
عليكم سلام الله من لسن فاهم ما غنت الورقا وناح حمام

ومن شعر عربي نمر بنو احوي حوران لا راقه قتل زوجها فبعثت  
الى اخلافه من قيس تغريم بطلب تاره تقول :

تقول فتاة الحية أم سلامة بعين أراع الله من لا رثى لها  
تبنت بطول الليل ما تألف الكرى موجعة كان الشقا في مجالها  
على ما جرى في دارها وبو عيالها بلحظة عين البين غير حالها  
فقدنا شهاب الدين يا قيس كلكم ونمتوا عن أخذ الثار ماذا مقالها  
أنا قلت اذا ورد الكتاب يسرتي ويبرد من نيران قلبي ذبالها  
أيا حين تسريح التوائب واللىح وبيض العذارى ما حيتو جمالها

### الموشحات والأزجال المختص

وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في فطريهم وتهذبت  
مناحيه وفنونه ، وبلغ التنميق فيه الناية ، استحدث المتأخرون  
منهم فناً منه سموه بالموشح ، ينظمونه أسباطاً أسباطاً وأغصاناً  
أغصاناً ، يكثرُونَ منها ، ومن أعاريضها المختلفة . ويسمون المتعديّة

منها بيتاً واحداً ويلتزمون عند قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات. ويشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد. وتجاروا في ذلك إلى الغاية واستطرفه الناس بجملة، الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقه. وكان المبتدع لها يميزه الأندلس مقدم ابن مغازي القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني. وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله أحمد بن عبد ربّه، صاحب كتاب المقدي؛ ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسبت موشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدها عبادة القزّاز، شاعر المتصمّين بن صامح صاحب المريعة. وقد ذكر الأعلام البطلبيسي أنه سمع أبا بكر بن زهير يقول: كلّ الوشاحين عيال على عبادة القزّاز فيما اتفق له من قوله:

بدؤتم شمس ضحى      غصن نفا مسك شم  
ما أتم ما أوضا      ما أوقا ما آتم  
لا جرم من لها      قد عشا قد حرم

وزعموا أنه لم يسبق عبادة وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف. وجاء مصلياً خلقه منهم ابن رافع، رأس<sup>(١)</sup> شعراء المأمون ابن ذي النون، صاحب طليطة. قالوا وقد أحسن في

(١) كذا، وفي ب: منهم ابن أرفع رأسه شاعر للمأمون.



ابتدأه في مَوْشَحَتِهِ التي طارت له حيث يقول :  
 المودُ قد تَرَنَّمْ بابدعِ تَلحينِ وَسَقَتِ المذايِبُ رِياضَ البساتينِ  
 وفي انتهائه حيث يقول :

تَحْطَرُ ولا<sup>(١)</sup> تسلم عساك المأمون مَرَوَعِ الكُتَّابِ يَحْيى بن ذِي النون  
 ثم جاءت الحَلَبَةُ التي كانت في دولةِ المَلِكَيْنِ فظهرت لهم البدائعُ ،  
 وسابقُ فُرسانِ حَلَبَتِهِم الأعمى الطُّبْلِيُّ<sup>(٢)</sup> ، ثم يَحْيى ابنُ يَقيّ ،  
 والطُّبْلِيُّ من الموشحاتِ المَهْدِيَةِ قوله :

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المَعَالِمِ أشجان  
 والركبُ وسط الفلا بالخرَدِ النواغم قد بان

وذكر غير واحدٍ من المشايخِ أَنَّ أَهْلَ هذا الشأنِ بالأندلسِ  
 يذكرون أَنَّ جماعةً من الوُشَّاحِينَ اجتمعوا في مجلسٍ بِأشبيليةٍ ،  
 وكان كلُّ واحدٍ منهم اصطنعَ مَوْشَحَةً وتأنَّقَ فيها فتقدَّمَ الأعمى  
 الطُّبْلِيُّ للإِنْشَادِ ، فلما افتتحَ مَوْشَحَتَهُ المشهورةَ بقوله :

ضاحِكُ عن بُمانٍ سافرُ عن بدرٍ ضاقَ عنه الزمانُ وحواهُ صدري  
 حرق ابنُ يَقيّ مَوْشَحَتَهُ وتبعه الباقرن . وذكر الأَعْلَمُ البَطْلِيُّ  
 أَنَّهُ سمعَ ابنَ زَهرٍ يقول : ما حسدتُ قطُّ وشاحاً على قولٍ إلا  
 ابنُ يَقيّ حينَ وَقَعَ له :

(١) كذا ، وفي ب : ولىش .

(٢) كذا ، وفي ب : الطُّبْلِي .

أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق  
أطلمه القرب فأرانا مثله يا مشرق

وكان في عصرهما من الموشحين المطبوعين أبو بكر الأبيض.  
وكان في عصرهما أيضاً الحكيم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين  
المعروفة . ومن الحكايات المشهورة أنه حضر مجلس مخدومي ابن  
تيفلوت صاحب سرقسطة ؛ فالتقى على بعض قيناته موشحة التي  
أولها :

جرر الذئيل أيما جر ،  
وصل الشكر منك بالشكر

فطرب المدوح لذلك ، فلما ختما بقوله :

عَفَدَ اللهُ رَايَةَ النَّصْرِ ،  
لَأَمِيرِ الْمَلَأِ أَبِي بَكْرٍ

وطرق ذلك التلحين سَمِعَ ابن تيفلوت ، صاح : واطرباه اوشق  
ثيابه وقال : ما أحسن ما بدأت وما ختمت ، وحلف بالآيمان  
الغلظة لا يمشي ابن باجة الى داره إلا على الذهب . فخاف الحكيم  
سوء العاقبة فاحتال بأن جعل ذهباً في نعله ومشى عليه . وذكر  
أبو الخطّاب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر . ذكر  
أبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر ؛ فنض منه أحد  
الحاضرين فقال كيف تنض ممن يقول :

ما لذّي شربُ راحٍ ،

على رياضِ الأَقاحِ ،

لولا هضمُ الوشاحِ ،

إذا انثنى<sup>(١)</sup> في الصباحِ ،

أو في الأَصيلِ ،

أضحى يقول :

ما للشمولِ ،

لَطَمْتَ خَدَيَّ ؟

وللشمسِ

هَبَّتْ فَالِ

غُصْنُ اعْتَدَالِ

ضُئِ بُرْدِي

مما أَبَادَ القلوبا ،

يمشي لنا مُسْتَرِيَا ،

يا لَحْظَةُ رُدِّ نُوبَا

ويا لِمَاءِ الشَّيْبَا

بَرْدِ غَلِيلِ ،

صَبِّ عَليِّ ،

لا يَسْتَحِيلِ ،

فيه عن العَهْدِ ،

(١) كذا، وفي نسخة : «إذا أتى في الصباح» .

ولا يزال ،  
في كلِّ حال  
يرجو الوصال ،

وهو في الصدى

واشتهر بعد هؤلاء في صدرِ دولةِ الموحدين محمد بن أبي الفضل  
ابن شرفه . قال الحسن بن دُوَيْدَة : رأيت حاتم بن سعيد على  
هذا الافتتاح :

شمسُ قاربت بداراً راحُ وتديم

وابن هردوس الذي له :

يا ليلة الوصل والسعود بالله عودي

وابن مؤهل الذي له :

ما العيدُ في حلَّةٍ وطاقٍ وشمِّ طيب

وإنما العيدُ في التلاقي مع الحبيب

وأبو اسحق الرُّدِينِي ، قال ابنُ سعيد : سمعتُ أبا الحسن سهلَ  
ابن مالك يقولُ إنه دخلَ على ابنِ زُهر ، وقد أَسَنَ ، وعليه زِيٌّ  
الباديةُ ، إذ كان يسكنُ بمصرَ أَسْتَبه ، فلم يعرفه ، فجلسَ حيثُ  
انتهى به المجلسُ . وجرتِ المحاضرةُ فأشَدَّ لنفسِهِ موشعةٌ وقعَ فيها :

كحلُّ الدُّجى مجري من مُقَلَّةِ القَجَرِ على الصباحِ  
ومضمُّ النهرِ في حُللِ خُصَرٍ من البطاحِ

فتحرّك ابنُ زُهرٍ وقال : أنت تقول هذا ؟ قال اختير ! قال  
ومن تكون ؟ فعرّفه ، فقال ارتفع ! فوالله ما عرفتكَ . قال ابنُ  
سميد : وسابقُ الحَلْبَةِ التي أدركت هؤلاء أبو بكر بنُ زُهرٍ ، وقد  
شرقت موشحاته وغرّبت . قال : وسمعتُ أبا الحسن سهل بنَ مالكٍ  
يقول : قيل لابنِ زُهرٍ ، لو قيلَ لك ما أبدعَ وأرفعَ ما وقعَ لك  
في التوشيح ما كنت تقول ؟ قال ، كنتُ أقولُ :

ما                      للمؤله ؟  
من سُكرو لا يفيق  
يا له سكران  
من غير خمر  
ما للكثير المشوق  
يندُبُ الأوطان ؟  
هل                      تُستعاد  
أيامنا بالخليج  
وليا لينا  
أو                      يُستفاد  
من النسيم الأريخ<sup>(١)</sup>  
مسكُ دارينا<sup>(٢)</sup>  
أو هل يصكاذ

(١) الأريخ : المطر .

(٢) دارين : فرضة بالبحرين يجلب إليها للسك من الهند ويبيع بها ، فصار ينسب إليها .

حسنُ المكانِ البهيجِ  
 أن يُجَيِّنا ؟  
 دَوْضُ أَظْلَهُ  
 قَوْحُ عَلَيْهِ أُنَيْقُ  
 مَوْقُ الْأَفْئَانِ  
 والماءِ يَجْري ،  
 وعائِمٌ وغريقُ  
 من جنى الرِّيحانِ

واشتهر بعده ابن حيون الذي له من الزجل المشهور قوله :  
 يُفَوِّقُ سهمه كل حين بما شئت من يد وعين  
 وَيُثْبِتُ في القصيد :

خلقت مليح علمت رامي فليس تحل ساع من قتال  
 وتعمل بذئ العينين متاعي ما تعمل يدي بالنبال

واشتهر معها يومئذ بغرناطة المهر بن القرس ، قال ابن سعيد ،  
 ولما سمع ابن زهر قوله :

لله ما كان من يوم بهيج بنهر حص على تلك المروج  
 ثم انعطفتا على فم الخليج نفض في حانه مسك الختام  
 عن عسجد زانه صافي المدام ورداء الأصيل ضمه كف الظلام

قال ابن زهر : أين كنا نحن عن هذا الرداء وكان معه في

بلديو مُطَرَف . أخبر ابنُ سعيدٍ عن والده أَنَّ مُطَرَفًا هذا دخل على  
ابن الفَرَسِ فقامَ له وأكرمه ، فقال : لا تفعل ! فقال ابنُ الفرسِ :  
كيف لا أقومُ لمن يقول :

قلوب تصاب بألحاظ تصيب فقل كيف تبقى بلا وجد

وبعد هذا ابن حزمون بمربية . ذكر ابنُ الراسِ أن يحيى  
الخزرجي دخل عليه في مجلسه فأنشده موشحةً لنفسه ، فقال له  
ابن حزمون : لا يكون الموشحُ بموشحٍ حتى يكون عارياً عن  
التكلف ، قال على مثل ماذا ؟ قال على مثل قولي :

يا هاجري هل إلى الوصال منك سبيل  
أو هل ترى عن هواك سالي قلب العليل

وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة . قال ابنُ سعيدٍ كان والذي  
يعجبُ بقوله :

إنَّ سيل الصباح في الشرق عاد بجرأ في أجمع الأفق  
فداعت نوادبُ الوُزُقِ

أتراها خافت من الفرق فبكت سحرة على الوَرَقِ

واشتهر بأشبيليَّةً لذلك المهدِ أبو الحسن بن الفضل ، قال ابن  
سعيدٍ عن والدٍ ، سمعتُ سهلَ ابنَ مالكٍ يقول له : يا ابن الفضل  
لك على الوشاحين الفضل بقولك :

واحرنا لزمانٍ مضى عشيَّةً بأن الهوى وانقضى

وأفردت بالرغم لا بالرضى      وبت على تجرات القضى  
أعانق بالفكر تلك الطلول      وألثم بالوهم تلك الرسوم

قال وسمعت أبا بكر بن الصابوني يُنشد الأستاذ أبا الحسن  
الدَّيَّاجَ موشحاته غير ما مرَّ ، فاسمعه يقول له الله درك ، إلا  
في قوله :

قَسَمًا بالهوى لذي حَجَرٍ      ما لليل المشوق من فجرٍ  
جَمَدُ الصُّبْحِ ليس يُعْرَضُ      ما لليلي فيما أُظُنُّ غَدُ  
أو قصصت قوائدُ النسر      فنجومُ السَّاءِ لا تسري

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله :

ما حال صبّ ذي ضنى واكتئاب      أمرضه يا ويلتاه الطيب  
عاملةً محبوبه باجتئاب      ثم اقتدى فيه الكرى بالحبيب  
جفا جفوني النوم لـكنني      لم أبكِه الا لفقْدِ الخيال  
وذا الوصال اليوم قد غرّني      منه كما شاء وشاء الوصال  
فلست باللائم من صدني      بصورة الحق ولا بالحال

واشتهر ببرّ أهل العلوة ابنُ خَلْفٍ الجزائريُّ صاحبُ الموشحة  
المشهورة :

يدُ الاصباح قدحت زناد الأنوار      في بجامر الزهر

وابنُ خرز البجائيُّ وله من موشحة :

نُفِرَ الزمان موافق حباك منه بابتسام



ومن محاسن الموشحات للتأخرين موشحة ابن سهل ، شاعر  
اشبيلية ومبته من بعدها ؛ فنها قوله :

هل درى ظبي الحلى أن قد حوى قلب صب حله عن مكئس  
فهو في نارٍ وخفقٍ مثل ما لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيها صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن  
الخطيب ، شاعر الأندلس والمغرب لعصره ، وقد مر ذكره فقال :

جادك القيث إذا القيث همى ،  
يا زمان الوصل بالأندلس !  
لم يكن وصلك إلا حطماً  
في الكرى أو خلصة المختلس !

\*\*\*

إذ يقود الدهر أشتات المني ،  
تنقل الخطو على ما ترسم ،  
زمرأ بين فرادى وئنا  
مثل ما يدعو الحبيج<sup>(١)</sup> المويم  
والحيا قد جلل الروض سنا ،  
فسنا الأزهار<sup>(٢)</sup> فيه تبسم

(١) كذا، وفي ب: الوفود.

(٢) في نسخة أخرى: فتغور الزهر.

وَدَوَى الثَّمَانُ عَنْ مَاءِ السَّاءِ ،  
 كَيْفَ يَزْوِي مَا لَكَ عَنْ أَنَسٍ ؟  
 فَكَسَاهُ الْخَسَنُ قُبَاً مُعَلَا ،  
 يَزْدَهِي مِنْهُ بِأَبْهَى مَلَبَسٍ .

\*\*\*

فِي لَيْالٍ كَتَمْتُ سِرَّ الْهَوَى ،  
 بِالْأُجْمَى لَوْلَا شُمُوسُ الْقَدْرِ <sup>(١)</sup>  
 مَا لَ تَجَمُّ الْكَأْسِ فِيهَا وَهَوَى ،  
 مُسْتَقِيمَ السَّيْرِ سَعْدَ الْأَثَرِ .  
 وَطَرُّ مَا فِيهِ مِنْ غَيْبٍ يَسْوَى  
 أَنَّهُ مَرَّ كَلَمَحٍ الْبَصَرِ .

حِينَ لَدَّ النَّوْمُ شَيْئاً أَوْ كَمَا  
 هَجَمَ الصُّبْحُ هُجُومَ الْحَرَسِ <sup>(٢)</sup>  
 غَارَتِ الشُّهُبُ بِنَا ، أَوْ دُبْمَا  
 أَثَرَتْ فِينَا عُيُونُ النَّزْجِسِ .

\*\*\*

أَيُّ شَيْءٍ لَامَرِيءٌ قَدْ خَلَصَا ،

(١) في نسخة أخرى: الغرر، مكان القدر. والغرر جمع غرة، أي طلعة الوجوه الحسنان.

(٢) كذا، وفي ب:

حين لد الأناس شيئاً أو كما هجم الصبح نجوم الحرس

فِيكونُ الرّوضُ قد كَنّ فيه <sup>(١)</sup>  
 تَنهَبُ الأَزهارُ فيه الفُرصا ،  
 أَمِنْتُ من مَكروهِ ما تَتَمَيَّه  
 فإذا الماءُ تَناجى والحصى ،  
 وخلا كلُّ خليلٍ بأخيه

تُبَيِّرُ الوردَ غَيوراً بِرِما  
 يَكْتَسِي من غَبْطِهِ ما يَكْتَسِي  
 وترى الآسَ لَبِياً فهِما  
 يَسْرِقُ السَّمْعُ بأُذُنِي قَرَسِ

\*\*\*

يا أَهْلَ الحَيِّ من وادي النِّضا  
 وبِقَلْبِي مَسْكُنُ أنتم بِهِ  
 ضاقَ عن وَجْدِي بكم رَحْبُ النِّضا ،  
 لا أُبالي شَرَقَهُ من غَرَبِهِ  
 فَأَعِيدُوا عَهْدَ أنسٍ قد مَضَى ،  
 تُعِتُّوا عِبْدَكمُ من كَرَبِهِ <sup>(٢)</sup>

(١) في نسخة: مكن فيه . وهو الأصح .

(٢) في نسخة: تنقلوا عائدكم . . . الخ . وفي ب: تعتقوا عابنكم من كربه .

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَحْيُوا مُرْغَمًا ،  
يَتَلَاثَى نَفْسًا فِي نَفْسٍ  
حَبَسَ الْقَلْبَ عَلَيْكُمْ كَرْمًا ،  
أَفْتَرِضُونَ خَرَابَ الْحُبْسِ<sup>(١)</sup>

\*\*\*

وَيَتَلَي مِنكُمْ مُقْتَرِبُ  
يَأْخُذُ الْإِنْسَانُ الْإِنْسَانَ وَهُوَ يَبْعِدُ  
قَرُّ أَطْلَعَ مِنْهُ الْمَقْرِبُ  
شِقْوَةُ الْمَضْنَى بِهِ ، وَهُوَ سَعِيدُ  
قَدْ تَسَاوَى مُحْسِنٌ أَوْ مُذْنِبُ  
فِي هَوَاهُ ، بَيْنَ وَعْدٍ وَوَعْدِ

سَاجِرُ<sup>(٢)</sup> الْمَقْلَةِ مَمْسُولُ اللَّحْمِ ،  
جَالَ فِي النَّفْسِ جَمَالَ النَّفْسِ  
سَدَّ السَّهْمِ وَسَمَى وَرَمَى  
فَقَوَّادِي نَهْبَةِ الْمُفْتَرِسِ<sup>(٣)</sup> ا

\*\*\*

(١) كذا، وفي ب: أفترضون عفاء الحبس.

(٢) كذا، وفي نسخة: أحوار المقلة... الخ.

(٣) في نسخة أخرى:

سد السهم فأسمى إذ رمى بفقوادي نبيلة المفتريس

إِنْ يَكُنْ جَادَ وَخَابَ الْأَمَلُ ،  
 وَفَوَادُ الصَّبِّ بِالشَّوْقِ يَذُوبُ  
 فَهُوَ لِلنَّفْسِ حَبِيبُ أَوَّلُ ،  
 لَيْسَ فِي الْحُبِّ لِخُبُوبِ ذُؤُوبِ  
 أَمْرُهُ مُعْتَمِلٌ مُتَمَثِّلُ  
 فِي ضُلُوعٍ ، قَدْ بَرَاها ، وَقُلُوبِ

حَكَمَ اللَّحْظَ بِهَا فَاحْتَكَمَا ،  
 لَمْ يُرَاقِبْ<sup>(١)</sup> فِي ضِعَافِ الْأَنْفُسِ  
 نُنْصِفُ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَا ،  
 وَنُجَازِي الْبَرَّ مِنْهَا وَالْمُسِي

\*\*\*

مَا يَلْقَى كُلُّهَا هَبَّتْ صَبَا ،  
 عَادَهُ عَيْدٌ مِنَ الشَّوْقِ جَلِيدٌ ؟  
 جَلَبَ الْمَهْمُ لَهُ وَالْوَصَا ؛  
 فَهُوَ لِلْأَشْجَانِ فِي جُهْدٍ جَمِيدِ  
 كَانَ فِي اللُّوْحِ لَهُ مُكْتَتَبَا  
 قَوْلُهُ : إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدِ !

(١) لم يراقب: لم يحاذر الله.

لا عِجُّ من أضلعي قد أضرمًا ،  
 فهي نَارٌ في هَشِيمِ اليَاسِرِ .  
 لم تَدْعُ من مُهَجِّي إِلَّا ذِمًّا <sup>(١)</sup>  
 كِبَاءُ الصَّبْحِ بَمَدِّ الفَلَسِ .

\*\*\*

سَلِّمي يَا نَفْسِ فِي حُكْمِ القَضَا  
 وَاغْمُرِي الوَقْتَ بِرُجْعِي وَمَتَابِ  
 وَدَعِي ذِكْرَ زَمَانٍ قَدْ مَضَى  
 بَيْنَ عُنْتِي <sup>(٢)</sup> قَدْ تَقَضَّتْ وَعِتَابِ  
 وَاصرِفي القَوْلَ إِلَى المَوْلَى الرِضَى  
 مُلْهِمِ التَّوْفِيقَ فِي أَمْرِ الكِتَابِ

أَلَكْرِيمِ الْمُتَهَيِّ والمُنْتَهَى  
 أَسَدِ السَّرْحِ وَبَذْرِ المِطْسِ  
 يُنْزَلُ النُّصْرُ عَلَيْهِ ، يَنْزِلُ مَا  
 يُنْزَلُ الوَحْيُ بِرُوحِ القُدْسِ

(١) اللعناء : بقية الروح .

(٢) العننى : الرضا .

وأما المشاركةُ فالتكلفُ ظاهرٌ على ما عاونه من الموشحات .  
ومن أحسن ما وقع لهم في ذلك موشحةُ ابنِ سناء الملك التي  
اشتهرت شرقاً وغرباً وأولها :

حبيبي ارفع حجاب النور    عن العذار  
تنظر المسك على كافور    في جلنار  
كلّلي يا سُحْبُ تيجانِ الرُّبى    بالحلى واجلي  
سوارها منعطف الجدول

ولما شاع فنُ التوشيح في أهل الأندلس ، وأخذ به الجمهور ،  
لسلاسيته وتنبيق كلامه وترصيع أجزائه ، تَسَجَّتْ العامةُ من أهل  
الأمصارِ على منواله ، ونظموا في طريقته بلنتيم الحضريّة من غير  
أن يلتزموا فيها إعراباً . واستحدثوا فتناً سَمُوهُ بِالزَّجَلِ ، والتزموا  
النظمَ فيه على منحهم لهذا العهد ، فجاءوا فيه بالغرائب وأتسع  
فيه للبلاغة مجالٌ بحسب لغتهم المستعجمة .

وأول من أبدع في هذه الطريقة الزجلية أبو بكر بن قزمان ،  
وإن كانت قبله بالأندلس ؛ لكن لم يظهر حلاها ، ولا  
انسبكت معانيها واشتهرت رشاقتها إلا في زمانه . وكان لهده  
المُثَمِّن ، وهو إمام الزجالين على الإطلاق . قال ابنُ سعيد :  
ورأيتُ أزجاله مرويةً ببغداد أكثر مما رأيتهُ بمواضر المغرب . قال :  
وسمعتُ أبا الحسن بن جُحْدَرِ الأشبيليّ ، إمامَ الزجالين في عصرنا  
يقولُ : ما وقع لأحدٍ من أثمة هذا الشأنِ مثل ما وقع لابن قزمان

شيخ الصنّاعة، وقد خرج إلى منتزه مع بعض أصحابه؛ فجلسوا تحت عريش وأماهم مثال أسدٍ من دُخَانٍ يُصَبُّ الماء من فيه على صفائح من الحجر متدوجة فقال :

وعريش قد قام على دكان بحال رواق  
وأسد قد ابتلع ثعبان من غلظ ساق  
وفتح فيه بحال إنسان بيه الفراق  
وانطلق من ثم على الصفاح وألقى الصباح

وكان ابنُ قزمان، مع أنه قرطبيُّ الدار، كثيراً ما يتردد إلى إشبيليةً ونياب نهرها، فاتفق أن اجتمع ذات يوم جماعة من أعلام هذا الشأن. وقد ركبوا في النهر للزُهْوة، ومعهم غلامٌ جميلُ الصورة من سُرَوَاتِ أهل البلد وببوتهم. وكانوا مجتمعين في زودقٍ للصيد؛ فنظبوا في وصف الحال، وبدأ منهم عيسى البليديُّ فقال :

يطمع بالخلاص قلبي وقد فاتو وقد ضمني عشقو لشهاقو  
تراه قد حصل مسكين محلاتو يغلق وكذلك أمر عظيم صاباقو  
توحش الجفون الكحل إن غابو وذيك الجفون الكحل أبلاقو

ثم قال أبو عمرو بن الزاهر الأشبيلي :

نشب والهوى من لج فيه ينشب ترى ابنى دعاه يشقى ويتعذب  
مع العشق قام في بالوان يلعب وخلق كثير من ذا اللعب ماتوا

ثم قال أبو الحسن المقرئ الداني :

نهار مليح يعجب أوصافو شراب وملاح من حولي قد طافوا



والقليل يقول من فوق صفصافو والبوري أخرى فقلاتو

ثم قال أبو بكر بن مرتين :

الحق تريد حديث بقالي عاد في الواد التزيه والبوري والصياد  
لسنا حيتان ذبك الذي يصطاد قلوب الورى هي في شبيكاتو

ثم قال أبو بكر بن قزمان :

إذا شمر كمامو يرميها ترى البوري يرشق لذاك الجيها  
وليس مرادو أن يقع فيها إلا ان يقبل بدياقو

وكان في عصرهم بشرق الأندلس "مُحِلِفُ الْأَسْوَدِ"، وله محاسنُ  
من الزجلِ منها قوله :

قد كنت منشوب واختشيت النشب وردني ذا العشق لأمر صعب  
حتى تنظر الحدَّ الشريق البهي تنتهي في الحُرِّ إلّا تنتهي  
يا طالب الكيما في عيني هي تنظر بها الفضة وترجع ذهب

وجاءت بعدهم حَلَبَةُ كان سايفُها مدغليس، وقعت له العجائبُ  
في هذه الطريقة، فمن قوله في زجلِهِ المشهور :

ورذاذ دق يتزل وشماع الشمس يضرب  
فترى الواحد يفضض وترى الآخر يذهب  
والنبات يشرب ويسكر والعصون ترقص وتطرب  
وبريد تجي الينا ثم تستحي وتهرب

ومن محاسن ازجاله قوله :

لاح الضياء والنجوم حيارى فقم بنا نزع الكسل  
شربت ممزوج من قراعا أحلى هي عندي من العسل  
يا من يعني كما تقلد قللك الله بما تقول  
يقول بان القنوب تولد وأنه يفسد العقول  
لارض الحجاز مورى كنك أرشد ايش ما ساقك ممي في ذا الفضول  
مر أنت للحج والزيارا ودعني في الشرب منهمل  
من ليس لو قدره ولا استطاع النيه أبلغ من العمل  
وظهر بعد هؤلاء باشبيلية ابن جحدر الذي فصل على الزجالين  
في فتح ميورقة بالجزائر الذي أوله هذا :

من عائد التوحيد بالسيف يحق أنا بري ممن يعاند الحق  
قال ابن سعيد لقيته ولقيت تلميذه المعنع صاحب الزجلر  
المشهور الذي أوله :

يا ليتني ان رأيت حبيبي أقتل اذفو بالسيلا  
ليش أخذ عنق الغزير وسرق فم الحجيلا

ثم جاء من بعدهم أبو الحسن سهل ابن مالك إمام الأدب ،  
ثم من بعدهم لهذه المصوّر صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب  
إمام النظم والنثر في الملة الإسلامية غير مدافع ، فن محاسنه في  
هذه الطريقة :

امنح الأكواس واملاي تجند ما خلقت المال إلا أن يُبند

ومن قوله على طريقة الصوفيّة وينحو منحي الشّشّريّ منهم :

بين طلوع وبين زولٍ اختلطت الغزول  
ومضى من لم يكن وبقي من لم يزول

ومن محاسنه أيضاً قوله في ذلك المعنى :

البعد عنك يا بني أعظم مصابي وحين حصل لي قربك سببت قاربي

وكان لمصر الوزير ابن الخطيب بالأندلس محمد بن عبد العظيم  
من أهل وادي آش ، وكان إماماً في هذه الطريقة وله من زجل  
يمارض به مدغليس في قوله :

لاح الضياء والنجوم حيارى بقوله :

حل المحون يا أهل الشطار مذ حلت الشمس في الحمل  
تجددوا كل يوم خلافا لا تجملوا بينها ثمل  
اليها يتخلّموا في شنبلى على خضورة ذاك النبات  
وحل بغداد واجتياز النيل أحسن عندي من ذيك الجلات  
وطاقتها أصلح من اربعين ميل ان مرت الريح عليه وجات  
لم تلتق الغبار امارا ولا بمقدار ما يكسحل  
وكيف ولاش فيه موضع رقاعا إلا ونسرح فيه النحل

وهذه الطريقة الزجلية لهذا العهد هي فنّ العامّة بالأندلس من  
الشعر ، وفيها نظمهم حتى انهم لينظمون بها في سائر البحور الخمسة  
عشر ، لكن بلقّتهم العاميّة ويسمّونه الشعر الزجليّ مثل قول شاعرهم :

دهر لي نعشق جفونك وسنين  
حتى ترى قلبي من اجلك كيف يرجع  
الدموع ترشش والنار تلتهب  
خلق الله النصارى للغزو  
وانت لا شفقة ولا قلب يلين  
صنعة السكة بين الحدادين  
والمطارق من شمال ومن يمين  
وانت تغزو قلوب العاشقين

وكان من المهيدى له في الطريقة لأول هذه المائة الأديب أبو  
عبدالله اللوشي وله فيها قصيدة يمدح فيها السلطان ابن الأحمر :

طل الصباح قم يا نديي نشرو  
سبيكة الفجر أحكت شفق  
ترى عيارها خالص أبيض نقي  
فتنتفق سكتوا عند البشر  
فهو النهار يا صاحبي للعاش  
والليل أيضاً للقبل والعناق  
جاد الزمان من بعد ما كان بحيل  
كما جرع مرو فما قد مضى  
قال الرقيب يا أديبا إيش ذا  
وتجبوا عذالي من ذا الخبر  
نعمش مليح الارقيق الطباع  
لش يريج الحسن إلا شاعر أديب  
أما الكس فحرام نعم هو حرام  
ويد الذي يحسن حسابه ولم  
ونضحكو من بعد ما نظرو  
في ملى الليل فقم قلبو  
فضة هو لكن الشفق ذهبو  
نور الجفون من نورها يكسبو  
عيش الغني فيه بالله ما أطيبو  
على سرى الوصل يتقلبو  
ولش ليفلت من يديه عقربو  
يشرب ييننو وياكل طيبو  
في الشرب والعشق ترى نجبو  
فقلت يا قوم من ذا تتمجبوا  
علاش تكفروا بالله أوتكتبوا  
يفض بـكرو ويدع ثيبو  
على الذي ما يدري كيف يشربو  
يقدر يحسن الفاظ أن يجلبوا

وأهل العقل والفكر والمجون  
ظلي بهي فيها يطفي الجمر  
غزال بهي ينظر قلوب الأسود  
ثم يحبيهم اذا ابتسم يضحكوا  
فميم كالحاتم وثغر نقي  
جوهر ومرجان أي عقد يا فلان  
وشارب اخضر يريد لاش يريد  
يسبل دلال مثل جناح الغراب  
على بدن أبيض بلون الحليب  
وزوج هندات ما علمت قبلها  
تحت العكاكن منها خصر رقيق  
أرق هو من ديني فيما تقول  
أي دين بقا لي معاك وأي عقل  
تحمل ارداف ثقال كالرقيب  
ان لم ينفس غدر أو ينقشع  
يصير إليك المكان حين تهي  
عاسنك مثل خصال الامير  
عماد الامصار وفصبح العرب  
بحمل العلم انفرد والعمل  
ففي الصدور بالرمح ما أطلعنه  
من السماء يحسد في أربع صفات

يفغر ذنوبهم لهذا إن أذنبوا  
وقلي في جمر النضى يلهو  
وبالوهم قبل النظر يذهبوا  
ويفرحوا من بعد ما يندبوا  
خطيب الأمة للقبل يخطبو  
قد صففه الناظم ولم يثبو  
من شبهه بالمسك قد عيبو  
ليالي هجري منه يستفروا  
ما قط راعي للثمن يجلبوا  
ديك الصلا يا ريت ما أصلبو  
من رقتو يخفي اذا تطلبوا  
جديد عتبك حق ما أكذبو  
من يتركك من ذا وذا تسلبوا  
حين ينظر العاشق وحين يرقبو  
في طرف ديسا والبشر تطلبو  
وحين تغيب ترجع في عيني تبو  
أو الرمل من هو الذي يحسبو  
من فصاحة لفظه يتقربو  
ومع بديع الشعر ما أكتبو  
وفي الرقاب بالسيف ما أضربو  
فمن يعدّ قلبي أو يحسبو

الشمس نورو والقمر همتو والغيث جودو والنجوم منصبو  
يركب جواد الجود ويطلق عنان  
من خلعتو يلبس كل يوم بطيب  
نممتو تظهر على كل من يحبه  
قد أظهر الحق وكان في حجاب  
وقد بنى بالسر ركن التقى  
تحاف حين تلقاه كما ترجيه  
يلقى الحروب ضاحكاً وهي عابسه  
إذا جبد سيفه ما بين الردود  
وهو سمي المصطفى والآله  
تراه خليفة أمير المؤمنين  
لذي الامارة تخضع الرؤوس  
بيته بقي بدور الزمان  
وفي المعالي والشرف يبعدوا  
والله يقيمهم ما دار الفلك  
وما يغني ذا القصيد في عروض  
يا شمس خدر مالها مغربو

ثم استحدث أهل الأمصار بالمغرب فناً آخر من الشعر ، في  
أعاريص مزدوج كالموشح ، نظموا فيه بلغتهم الحضرية أيضاً  
وسمّوه عروض البلد ، وكان أول من استحدثه فيهم رجل من أهل  
الأندلس نزل بفاس يُعرف بابن عمير ، فنظم قطعة على طريقة الموشح  
ولم يخرج فيها عن مذهب الإعراب إلا قليلاً مطلقاً :

أبكاني بشاطي النهر نوح الحمام  
وكف السحر يحو مداد الظلام  
باكرت الرياض والطل فيها افتراق  
ودمع النواخير ينهرق انهراق  
لووا بالنصون خلخال على كل ساق  
وأيدي الندى تحرق جيوب الكمام  
وعاج الصبا يطلى بمسك الغمام  
رأيت الحمام بين الورق في القضب  
تنوح مثل ذاك المستهام الغريب  
ولكن بما أحرر وساقو خضيب  
جلس بين الاغصان جلسة المستهام  
وصار يشتكي ما في الفؤاد من غرام  
قلت يا حمام احرمت عيني المهجوع  
قال لي بكيت حتى صفت لي الدموع  
على فرخ طار لي لم يكن لورجوع  
كذا هو الوفا وكذا هو الزمام  
وانتم من بكى منكم اذا تم عام  
قلت يا حمام لو خضت ببحر الضنى  
ولو كان بقلبك ما بقلبي أنا  
اليوم نقاسي المهجر كم من سنا  
ومما كسا جسمي النحول والسقام

على النصفن في البستان قريب الصباح  
وماء الندى يجري بشفر الاقحاح  
كثير الجواهر في نهور الجوار  
يحكي ثمايين حلفت بالثمار  
وداز الجميع بالروض دور السوار  
ويحمل نسيم المسك عنها رياح  
وجرّ النسيم ذيلو عليها وفاح  
قد ابتلت ارياشو بقطر الندى  
قد التفت من توبو الجديد في ردا  
ينظم سلوكك جوهر ويتقلدا  
جناحا توسد والتوى في جناح  
منها ضمّ متقارده لصدده وصاح  
أراك ما ترال تبكي بدمع سفوح  
بلا دمع نبقى طول حياتي ننوح  
ألقت البكا والحزن من عهد نوح  
انظر جفون صارت بحال الجراح  
يقول عتاني ذا البكا والنواح  
كنت تبكي وترقي لي بدمع هتون  
ما كان يصير تحتك فروع النصون  
حتى لا سبيل جملة تراني العيون  
أخفاني نحولي عن عيون اللواح

لو جئني المنيا كان يموت في المقام      ومن مات بعد يا قوم لقد استراح  
قال لي لو رقدت لاوراق الرياض      من خوفي عليه ودا النفوس للفتاد  
وتخضبت من دمعي وذاك البياض      طوق المهد في عنقي ليوم التناد  
أما طرف منقاري حديثواستفاض      باطراف البلد والجسم صار في الرماد

فاستحسنه أهل فاس وولعوا به ونظموا على طريقته، وتركوا  
الإعراب الذي ليس من شأنهم، وكثر ساعته بينهم واستفحل فيه  
كثير منهم ونوعوه أصنافاً إلى المزدوج والكازي والملمبة والغزلي.  
واختلفت أسماؤها باختلاف ازدواجها وملاحظاتهم فيها. فمن  
المزدوج ما قاله ابن شجاع من فصولهم وهو من أهل تازا:

المال زينة الدنيا وعز النفوس      يهي وجوها ليس هي باهيا  
فها كل من هو كثير الفلوس      ولوه الكلام والرتبة العاليا  
يكبر من كثرة مال ولو كان صغير      ويصغر عز القوم اذ يفتقر  
من ذا ينطبق صدري ومن ذا تغير      وكاد ينقع لولا الرجوع للقدر  
حتى يلتجي من هو في قومي كبير      لمن لا أصل عندو ولا لو خطر  
لذا ينبغي يميزن على ذي العكوس      ويصبع عليه ثوب فراش صافيا  
اللي صارت الاذناب امام الرؤوس      وصار يستفيد الواد من الساقيا  
ضعف الناس على ذا وفسد ذا الزمان      ما يدروا على من يكثر واذا العتاب  
اللي صار فلان يصبح بو فلان      ولو رأيت كيف يرده الجواب  
عشنا والسلام حتى رأينا عيان      أنفاس السلاطين في جلود الكلاب  
كبار النفوس جداً ضعاف الاسوس      هم ناحيا والمجد في ناحيا



يرو أنهم والناس يروهم تيوس وجوه البلد والعمدة الراسيا

ومن مذاهبهم قول ابن شجاع منهم في بعض مُزْدَوِجَاتِهِ :

تعب من تبع قلبو ملاح ذا الزمان      اهل يا فلان لا يلعب الحسن فيك  
ما منهم مليح عاهد الا وخان      قليل من عليه تحبس ويحبس عليك  
يهبوا على العشاق ويتمنعوا      ويستعمدوا تقطيع قلوب الرجال  
وان واصلوا من حينهم يقطعوا      وان عاهدوا خانوا على كل حال  
مليح كان هويتو وشت قلبي معو      وصيرت من خدي لقدمو نعال  
وسهدت لو من وسط قلبي مكان      وقلت لقلبي اكرم لمن حل فيك  
وهون عليك ما يعتريك من هوان      فلا بد من هول الهوى يعتريك  
حكمتوا علي وارفضيت بو أمير      فلو كان يرى حالي اذا يبصرو  
يرجع مثل در حولي بوجه الغدير      مرديه ويتعطس بحال انخرو  
وتعلمت من ساعا بسبق الضمير      ويفهم مرادو قبل أن يذكر  
ويحتل في مطلوبو لوان كان      عصر في الربيع أوفي الليالي يريك  
ويمشي بسوق كان ولو باصبيان      وايش ما يقل يحتاج لو يجيك

حتى أتى على آخرها .

وكان منهم علي بن المؤذن بتلسان ، وكان لهذه العصور  
القريبة من فحولهم يزدهون من ضواحي مكناسة رجل يُعرف  
بالكفيف ، أبدع في مذاهب هذا الفن . ومن أحسن ما علق له  
بمحموطي قوله في رحلة السلطان ابي الحسن وبني مرين إلى إفريقية  
يصف هزيمتهم بالقيروان ، ويُرَِّيهم عنها ويؤنسهم بما وقَّع لغيرهم

بعد أن عيَّبهم على غزاتهم الى إفريقية في ملبة من فنون هذه  
الطريقة يقول في مفتيحها ، وهو من أبدع مذاهب البلاغة في  
الأشعار بالمقصد في مطلع الكلام وافتتاحه ويسمى براعة الاستهلال :  
سبحان مالك خواطر الامرا ونواصيها في كل حين وزمان  
ان طعنناه أعظم لنا نصرا وان عصيناه عاقب بكل هوان

الى أن يقول في السؤال عن جيوش المغرب بعد التخلُّص :

كن مرعى قل ولا تكن داعي فالراعي عن رعيته مسؤول  
واستفتح بالصلاة على الداعي للاسلام والرضا السني المكمول  
على الخلفاء الراشدين والاتباع واذا ذكر بعدهم اذا تحب وقول  
أحجاجا تخللوا الصحرا ودوا سرح البلاد مع السكان  
عسكر فاس المنيرة الغرا وين سارت بوعزائم السلطان  
أحجاج بالنبي الذي زرتم وقطعتم لو كلاكل البيدا  
عن جيش الغرب حين يسألکم المتلوف في افريقيا السودا  
ومن كان بالعطايا يزودكم ويدع بزية الحجاز رغدا  
قام قل للسد صادف الجزرا ويعجز شوط بعد ما يخفان  
ويؤف كر دوم تهب في الغبرا أي ما زاد غزالهم سبحان  
لو كان ما بين تونس الغبرا وبلاد الغرب سد السكندر  
مبنى من شرقها الى غربا طبقا بحديد او ثانيا بصفر  
لا بد الطير أن تجيب نبا أو يأتي الريح عنهم بفرد خير  
ما أعوصها من أمور وما شرا لو تقرا كل يوم على الديوان

لجرت بالدم وانصدع حجرا  
 أدري بعقلك الفحاص  
 ان كان تعلم حمام ولا رقص  
 تظهر عند المهيمن القصاص  
 الا قوم عارين فلا ستر  
 ما يدروا كيف يصوروا كسرا  
 امولاي أبو الحسن خطينا الباب  
 فقنا كنا على الجريد والزاب  
 ما بلغك من عمر فتى الخطاب  
 ملك الشام والحجاز وتاج كرى  
 ردة ولدت لو كرم ذكرى  
 هذا الفاروق مردي الاعوان  
 وبقت حمى الى زمن عثمان  
 لمن دخلت غنائها الديوان  
 واقترق الناس على ثلاثة أمرا  
 اذا كان ذا في مدة البراءة  
 وأصحاب الحضر في مكناساتا  
 تذكر في صحتها أبياتا  
 ان مرين اذا تكف براياتا  
 قد ذكرنا ما قال سيد الوزرا  
 قال لي رايت وانا بهذا أدري  
 وهوت الخراب وخافت الفزلان  
 وتفكر لي بخاطرك جما  
 عن السلطان شهر وقبله سبما  
 وعلامات تنشر على الصمما  
 مجهولين لا مكان ولا امكان  
 وكيف دخلوا مدينة القيروان  
 قضية سيرنا الى تونس  
 واشلك في اعراب افريقيا القوس  
 الفاروق فاتح القرى المولى  
 وفتح من افريقيا وكان  
 ونقل فيها تفرق الاخوان  
 صرح في افريقيا بهذا التصريح  
 وفتحها ابن الزبير عن تصحيح  
 مات عثمان وانقلب علينا الريح  
 وبقي ما هو للسكوت عنوان  
 اش نعمل في أواخر الازمان  
 وفي تاريخ كانا وكيوانا  
 شق وسطيح وابن مرانا  
 لجدا وتونس قد سقط بناينا  
 عيسى بن الحسن الرفيع الشأن  
 لكن اذا جاء القدر عمت الاعيان

ويقول لك ما دهى المرينيا من حضرة فاس الى عرب دياب  
أراد المولى بموت ابن يحيى سلطان تونس وصاحب الابواب  
ثم أخذ في ترحيل السلطان وجيوشه ، إلى آخر رحلته ومنتهى  
أمره ، مع أعراب افريقية ، واقى فيها بكل غريبة من الإيداع .  
وأما أهل تونس فاستحدثوا فن الملبة أيضاً على لغتهم الحضريّة ،  
إلا أن أكثره رديء ولم يعلق بمحفوظي منه شيء ، لردائه .

### البهجت والذبال في الشق

وكان لعمامة بغداد أيضاً فن من الشعر يسمونه المواليا ،  
وتحت فنون كثيرة يسمون منها القوما ، وكان وكان ، ومنه مفرد  
ومنه في بيتين ، ويسمونه دوييت على الاختلافات المتبعة عندهم  
في كل واحد منها ، وغالبها مزدوجة من أربعة أغصان . وتبهم  
في ذلك أهل مصر القاهرة وأتوا فيها بالنرائب ، وتبحروا فيها في  
أساليب البلاغة بمقتضى لغتهم الحضريّة ، فجاؤوا بالعجائب ، ورأيت  
في ديوان الصفي الحلبي من كلامه « أن المواليا من بحر البسيط ،  
وهو ذو أربعة أغصان وأربع قوافي ، ويسمى صوتاً وبيتين . وأنه  
من مخترعات أهل وایط ، وأن كان وكان فهو قافية واحدة  
وأوزان مختلفة في أشطاره : الشطر الأول من البيت أطول من  
الشطر الثاني ولا تكون قافيته إلا مُردفة بحرف العلة وأنه من مخترعات  
البغداديين . وأنشد فيه لنا :

بنمز الحواجب حديث تفسير ومنو أبوو ، وأم الأخرس  
تعرف بلغة الخرسان . انتهى كلام الصفي . ومن أعجب ما علقَ  
بجفلى منه قولُ شاعريهم :

هذي جراحي طريا      والدما تنضح  
وقاتلي يا أخيا      في الفلا يمرح  
قالوا وناخذ بشارك      قلت ذا أقبح  
إلى جرحتي يداويني      يكون أصلح

ولغيره :

طرقت باب الحبا قالت من الطارق      فقلت مفتون لا ناهب ولا سارق  
تبسمت لاح لي من ثغرها بارق      رجعت حيران في بحر أدمعي غارق

ولغيره :

عهدي بها وهي لا تأمن علي البين      وإن شكوت الهوى قالت فدتك العين  
لمن يماين لها غيري غلام الزين      ذكرت العهد قالت لك علي دين

ولغيره في وصف الحشيش :

دي خر صرف التي عهدي بها باقي      تغني عن الحمر والخمر والساقبي  
قحبا ومن قحبها تعمل على احراقبي      خبيتها في الحشى طلت من احداقي

ولغيره :

يا من وصالو لأطفال المحبة بح      كم توجع القلب بالهجران أوه أح  
أودعت قلبي حوحو والتصير بح      كل الورى كخفي عيني وشخصك دح

ولغيره :

ناديتها ومشيبي قد طواني طيَّ  
قالت وقد كوت داخل فؤادي كيَّ  
جودي عليَّ بقلة في الهوى يا مبي  
ماظن ذا القطن ينشئ فم من هوحيَّ

ولغيره :

راني ابتسم سبقت مسح أدمعي برقه  
اسبيل دجي الشعر تاه القلب في طرقه  
ماط اللثام تبدي بدر في شرقه  
رجع هدا أنا بخيط الصبح من فرقته

ولغيره :

يا حادي العيس ازجر بالمطايا زجر  
وصبح في حبهام يا من يريد الأجر  
وقف على منزل أحبابي قبيل الفجر  
ينفض يصلي على ميت قتيل الحجر

ولغيره :

عيني التي كنت أرها كم بها باتت  
وأسهم البين صابتي ولا فاتت  
ترعى النجوم وبالتسديد اقتاتت  
وسلوقي عظم الله أجر كم ماتت

ولغيره :

هويت في قنطرتكم يا ملاح الحكر  
غصن اذا ما انشئ بسبي البنات البكر  
غزال يبلى الاسود الضاريا بالفكر  
وان تهلل فاللبر عنود ذكر

ومن الذي يسمونه دوييت :

قد أقسم من أحبه بالباري أن يبعث طيفه مع الاسحار  
يا نار أشواق به فاتقدي ليلاً فساء يبتدي بالنار

واعلم أن الأذواق كلها في معرفة البلاغة إنما تحصل لمن خالط  
تلك اللغة وكثر استمائه لها ومخاطبته بين أجيالها ، حتى يحصل  
ملكته كما قلناه في اللغة العربية . فلا يشعر الأندلسيُّ بالبلاغة التي

في شعر أهل المغرب ؛ ولا المغربيُّ بالبلاغة التي في شعر أهل  
الأندلس والمشرق ؛ ولا المشرقيُّ بالبلاغة التي في شعر أهل  
الأندلس والمغرب . لأنَّ اللسانَ الحضريَّ وتراكيبه مختلفة فيهم ،  
وكلُّ واحدٍ منهم مُدركٌ لبلاغة لنته وذائقٌ بحايسن الشعر من أهل  
جلدته . ﴿ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ كَلِمَةً وَآلُونَ كُرَّانًا فِي  
ذَلِكَ لَا يَتَذَكَّرُ لَعَلَّيْلِينَ ﴾ .

### خاتمة

وقد كدنا أن نخرجَ عن الغرض ، ولذلك عزمنا أن نقبضَ  
العنانَ عن القولِ في هذا الكتابِ الأوَّلِ ، الذي هو طبيعةُ العُمرانِ ،  
وما يعرضُ فيه ، وقد استوفينا من مسائله ما حسبناه كفاً له .  
ولعلَّ من يأتي بعدنا ، ممن يُؤيِّدهُ اللهُ بفكرٍ صحيحٍ وعلمٍ مبينٍ ،  
ينوصُّ من مسائله على أكثر مما كتبنا ؛ فليس على مستنيطِ الفنِّ  
إحصاءُ مسائله ، وإنما عليه تعيينُ موضعِ العلمِ وتنويعُ فصوله ،  
وما يُتكلَّمُ فيه ، والمتأخرونَ يلحقونَ المسائلَ من بعدهِ شيئاً فشيئاً  
إلى أن يكملَ . واللهُ يعلمُ وانتم لا تعلمون .

قال مؤلف الكتاب عفا الله عنه : أتمتُ هذا الجزءَ الأوَّلَ ،  
المشتملَ على المقدمة بالوضع والتأليف ، قبل التنقيح والتذهيب ،  
في مدَّة خمسة أشهرٍ آخرها منتصفُ عام تسعة وسبعين وسبعمائة .  
ثم نضجتُ بعد ذلك وهدئتُ ، وألحقتُ به تواريخَ الأُممِ كما ذكرتُ  
في أوَّلِهِ وشرطتُهُ . وما العلمُ إلَّا من عندِ الله العزيزِ الحكيمِ .





تم طبع المجلد الأول المعروف بمقدمة ابن خلدون ،  
ويليه المجلد الثاني . أوله الكتاب الثاني في  
أخبار العرب وأجيالهم ودولهم ،  
منذ مبدأ الخليقة  
إلى هذا  
العهد .



# فَهَارُسُ مُقَدِّمَةُ ابْنِ خَلْدُونْ

وضعها وقدم لها بكلمة عامة

الإستاذ يوسف أسعد دافر

أمين دار الكتب اللبنانية سابقا

الاختصاصي بفن تنظيم المكتبات وعلم البليوغرافيا



## كَلِمَةُ عَامَّة

الفهارس للكتاب او لكتبة عامة ، هي عينها الباصرة ، واذنها الواعية ، والسلك السحري العجيب الذي يؤدي بك الى كنوزهما المخبوءة ، ويهديك الصراط القويم الى ما فيها من مادة مدخورة ، وافكار مرصدة ، ومعلومات ادبية مقسومة ، فتظل بها على هذا كله وتلم به على احسن وجه واهون سبيل .

فليس من عجب ، والحاله هذه ، الا يلخر الناشرون ذرعا في تأمين اقصى ما يمكن لهم تأمينه من العناية والخدمة الميسرة لكتاب قديم ينشرونه نشرا علميا ، فيضعون له فهرسا عاما يسهل معه على الباحثين والمنقذين والمتتبعين ، الكشف عما في الاصل المنشور من كنوز مخبوءة ورفع الستار عن مكنوناته بايسر السبل اخذا وتناولا .

امازت الاصول العربية القديمة المنشورة حديثا نشرا علميا ، وفقا لقتضيات العلم وفن الاخراج الحديث ، عن تلك الطبعات السقيمة التي ظهرت لها من قبل على ما تقع عليه العين من هذه الاوراق الصفراء ، بمحسنات مادية ومعنوية كثيرة ، من نصاعة الحرف ، واشراق الطبع ، وترقيم مقوم ، وكافد متين يقوى على مغالبة ما ينتاب الكتاب من احن الدهر وعوامل الغفاء : من عثة وارضة ، وعفونة ووطوبة وعطن ، وقد تمهدوه بالعناية الدقيقة والتتبع القصي ، وخدموه بالتحقيق المضني والمقارنات ، وامدوه بالوافر من الفهارس التي تشتت جلدنا ونسبنا وعناء ، فكانت له شرفات وكوى يطل منها يسير على مطاوي الكتاب وما فيه من المعرفة المتحللة وراء الحرف والكلمة .

ومما يشجي النفس ويملاها غصة وحسرة ، صدور طبعات حديثة لبعض الامهات من اصول ادبنا القديم ، حظيت بالوافر من العناية ، فاذا بالناسر يصرد لها من عطائه ، فبرزت في بعض نواحيها : جوفاء ، مجفء ، لا تاخذ بيد الباحث الى مواطن العلم والمعرفة المبتوثة في مظان الكتاب ، مما يرغب المتتبع بصيده والمحقق بقيده . فقد تولت دار الكتب المصرية ، مثلا ، نشر بضعة من الامهات جاءت خلوا من هذه الفهارس العلمية التي لو توفرت لها بشيء من العناية لجاءت هذه الطبعات بخدمات اوسع

وبمنافع اجزل . ومن هذه الطبقات التي ظهرت من دار الكتب المصرية خلوا من الفهارس العلمية : « صبح الاعشى » للقلقسندي ، مثلا ، و « النجوم الزاهرة » لابي المحاسن يوسف بن تغري بردي . اما « الاغاني » لابي الفرج الاصبهاني هذه « الاغاني » التي اشجى المستشرق الايطالي غويدي ان تظهر طبعتها الاولى في مصر ، عام ١٢٨٥ هـ ( ١٨٦٨ م ) ، عطلاء من حلي الفهارس العلمية المرجوة ، فبادر هو الى وضع « جداول الاغاني » التي تساعد الباحث على النظر في الكتاب والانتفاع بما يرفل به من كنوز . فقد حظيت الطبعة الصادرة عن دار الكتب المصرية بفهرس عام لكل جزء من الاجزاء التي ظهرت للان .

وهذا القرار من الامتلة نوردتها شاهدا على ما يشوه بعض طبقات الامهات من اصولنا العربية القديمة - يكفي دليلا على النقص العلمي الذي كثيرا ما ينسب عدة البحث واداته الاصلية عندنا ، وهو نقص يحط الى حد كبير من قيمة نهضتنا العلمية ومن حركة النشر عندنا وفقا لمقتضيات العلم والفن الحديثين .

وهذا النقص يتصور الطبقات العلمية الحديثة لبعض الامهات من مصادرونا الادبية القديمة ، يبدو على بساعته ايضا في كبريات مجلاتنا العلمية والادبية التي ظهرت في الشرق العربي . فهذه مجاميع مجلاتنا الكبرى مما ظهر منذ ٧٥ سنة فما دون ، كالمقتطف ، والهلال ، والمنار ، والرسالة ، والثقافة ، والكتاب المصري ، ومجلة الازهر في مصر ، والعرفان ، والكلية ، والاديب ، والاداب ، والمسرة ، والحديث ، والمعلم الجديد ، في لبنان وسوريا والعراق ، قد ظهرت على التوالي عشرات السنين في بعضها وانقطع معظمها عن الظهور ، دون ان تنتشر لمجموعتها الكاملة فهرسا علميا واحدا ، يكون دليلا امينا ياخذ بيدنا في مراجعتها ما نرغب في مراجعته عما صدر فيها من بحث ، او درس ، او نقد ، او تحليل ، في موضوع معين او كتاب محدد معلم . وكانت ادارة هذه المجلات ، وبينها من نحترم لعدتها العلمية والثقافية والادبية ، ولطاقاتها المادية وامكانياتها الطائلة ، كثيرا ما ترضى لها ولقرائها ومشتركيها ، بفهرس مقتضب ، مجزوء ، باسماء المساهمين من الكتاب او بعنوانين اهم المقالات التي حبروها او بكليهما معا لكل مجلد من المجلدات العديدة التي صدرت لمجموعتها .

وقد شد من هذه القاعدة بعض المجلات الكبرى ، كمجلة : « لغة العرب » للاب انستاس ماري الكرملّي في بغداد . فقد ألف المرحوم الاب الكرملّي ان يديل كل مجلد من مجلدات مجلته ، خلال السنوات التسع التي ظهرت فيها ، بطائفة من الفهارس المتنوعة يبلغ عددها احيانا ، ١٥ فهرسا مختلفا ، بحيث يسهل عليك ان تعثر على ما ترغب فيه بلمحة طرف ، دونما اضاعة وقت او عناء .

ويجدر بنا ان ننوه هنا بالفهرس العام الذي اعدته ادارة مجلة « المشرق » الفراء ، هذه المجلة المهمة بتاريخ الشرق والتي تصدر من الجامعة الكاثوليكية في بيروت ، منذ عام ١٨٩٨ ، فجاء دليلا عاما امينسا للمواد المتنوعة لمجموعتها بين ١٨٩٨ - ١٩٥٠ ، ولهذا الرعيل العظيم من الكتاب الذين اسهموا فيها . وهو فهرس يسهل عليك معه مراجعة مجموعة المشرق يسر وتؤدة ولين .

كذلك ، نود ان ننوه هنا بالفهرس العام ، الذي اصدره اخيرا المجمع العلمي العربي ، في دمشق ، للسنوات العشر الاولى من مجلته ، اي من المجلد الاول الى المجلد العاشر ( ١٩٢١ - ١٩٣٠ ) . وهو فهرس دقيق ، مبسط ، ميسر ، تتكرر مسارده على نمائية اقسام ، قام على اصداده وخدمه خدمة صادقة ، الاستاذ محمد رضا كحالة ، فسهل بعمله العلمي هذا الرجوع يسر الى مجموعة مجلة المجمع دونما عناء . ونحب ان نعتقد بان رئاسة المجمع العلمي العربي في دمشق لن تقف عند هذا الحد ، بل ستتخذ التدابير لتأمين فهرس عام للمجلدات العشرة التالية ، فتخدم بذلك العلم والبحث في الشرق العربي خدمة صادقة .



سقتنا ما تقدم معنا من حديث ، توطئة للعمل الفهرسي الذي اخذنا على نفسنا القيام به ، مدا « مقدمة » ابن خلدون وتاريخه بالفهارس العلمية التي تستلعيها الطبعة المشرقة الجديدة التي تعدها لتاريخ ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناني في بيروت . و«المقدمة» هي من مفاتيح الامة العربية بما وضع فيها من اصول العمران والاجتماع والاقتصاد وفلسفة التاريخ . واننا لنرجو صادقين ان تكون الفهارس التي اعدناها ، سهلت للباحثين

سبل النظر في « المقدمة » و« التاريخ » والاستصباح بمادتهما المكنوزة، وابقس منهما، والتمثل بما فيهما من فكر نير، وراي بصير، ونظرة محللة. وقد قمنا بهذا كله بمنتهى الدقة والعناية بما يتلاءم والقدرة الذي لصاحبهما في عالم الفكر، وهو قدر يرتكز على سبقه الى وضع علم الاجتماع الحديث بمقدمة في فلسفة التاريخ العربي والاسلامي، فسبق ماكيا فيلي (١٤٦٩ - ١٥٢٧) الى وضع هذا العلم الحديث. والعلوم ان ماكيا فيلي هو واضع كتاب « الامر » الذي يعد في القرب من دعائم علم الاجتماع الحديث.

اضطرنا عمل الفهرسة « لمقدمة » ابن خلدون الى ان نقرأها مليا، ونتم النظر فيها دقيقا، جملة وتفصيلا، فاستباننا لنا من كتب جمالاتها وكمالاتها، ممثلة بهذه الثقافة المعركة المدهشة التي توفرت لابن خلدون، متجلية بهذه القدرة على التبصر بأحداث الدول، واستعراض ماجريات التاريخ العربي والاسلامي، والربط بينها بنظرات تحليلية تارة، وتارة تأليفية، وبهذه الاحكام العامة والمقاييس التي رد اليها عوامل التطور الذي قطعته الامة العربية والدول الاسلامية مدا وجزرا، الى الامام حينما او الى الوراء احيانا، كل ذلك بنظرة فلسفية محللة، ناختلة، جعلت من كتابه هذا فلسفة التاريخ العربي الاسلامي، لما جاء فيه من الاصول المقرة، والنظريات العلمية الثابتة، والمبادئ الاساسية التي يكون مجموعها القواعد التي خضع لها التاريخ الاسلامي في تطوره وتقلباته الى عهد المؤلف.

وامام هذا العمل التحليلي الذي تتألف منه الفهرسة يبرز ابن خلدون: طودا جبارا بثقافته الواسعة، ومؤرخا ضليعا في التاريخ الاسلامي، وفيلسوبا بعيد النظرة الفلسفية، عميقها، وبيانيا ناصع اللغة، سلس التعبير، جزل اللفظ والمعنى، ولغويا تندی شق قلعه بسلسلة من الاوضاع. والمصطلحات والمفردات هي وقف على لغة ابن خلدون دون سواه بما فيها من غث وسمين. فجاء الكشف التحليلي عن « مقدمته » يظهر كل هذه المقومات والمحسنات.

و« مقدمة » ابن خلدون على الاخص، تبدو على ضوء الفهارس التي وضعناها لها، خزانة علوم: اجتماعية، سياسية، اقتصادية، ادبية، تربوية، لها اسلوبها البياني واللفوي الخاص، كما يبدو معها صاحبها استاذ المحققين في ذلك كله وصاحب النظرية الطريفة الجديدة في التربية والتعليم، وفلسفة التاريخ، وتدبير الامم، والاقتصاد، والعمران، والسياسة.



وهذا الفهرس العام « لمقدمة » ابن خلدون ابتدائه بمصادر دراسته بالعربية واللغات الأجنبية الأخرى .

ويتألف الفهرس العام من الأقسام التالية :

الأول - فهرس الموضوعات ، مرتبة على العنوان الرئيسي بحسب حروف المعجم .

الثاني - فهرس اعلام الرجال والنساء . فقد اعتمدنا فيه على التنورة . « الأبلق » ، منلا ، واتبعناه باسم الشخص ( محمد بن ابراهيم ) بين قوسين . كذلك حسبنا في الترتيب الأبجدي لفظة : ابن ، وابنة ، وابو .

الثالث - فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر التاريخية . وقد اعتبرنا في هذا القسم لفظة بني ، وآل ، واسرة ، في الترتيب المعجمي . فاذا ما تعددت الاسماء للشعب الواحد ذكرت في محلها واحيل الباحث على الاسم الاول بينها في الهجاء الأبجدي .

الرابع - فهرس لغة ابن خلدون .

الخامس - فهرس البلدان والامكنة الجغرافية .

السادس - فهرس الكواكب والنجوم والأبراج الفلكية

السابع - فهرس الحيوان .

الثامن - فهرس النباتات .

التاسع - فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة .

العاشر - فهرس اسماء الكتب الوارد ذكرها في تضاعيف المقدمة مرتبة عناوينها على الهجاء .

الحادي عشر - فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية .

الثاني عشر - فهرس مواد الكتاب .

واننا لنترجو أن يعود هذا العمل الفهرسي لمقدمة ابن خلدون بالخدمة  
التي نتوخى ، لرجال البحث والتتبع ، فتسهل بالتالي على الراغبين في  
دراسته ، سبل الأخذ بها وإدارتها على الوجه الذي يرغبون .  
والله من وراء القصد والمطلب ، وبه السداد والعصمة ، وهو حسبنا  
ونعم الوكيل .

بيروت في ٨ تشرين الثاني سنة ١٩٦٠

يوسف اسعد داهر

---

## مَصْنَدُ رَوِّمٍ رَاجِعِ دَرَامِيَّةِ ابْنِ خَلْدُونِ

### اولا - الراجع العربية

#### ١ - الاصول القديمة :

- ابن العماد الحنبلي - شذرات الذهب في اخبار من ذهب ٤ : ٨٣  
 السخاوي - الضوء اللامع في اعيان القرن التاسع ٤ : ١٤٥ - ١٤٩  
 القاضي الشوكاني - البدر الطالع : ٣٣٧  
 المقري - نفع الطيب ٤ : ٦ ، و ١٤٤  
 التنبكي - نيل الابتهاج : ١٧  
 الحفناوي - تعريف الخلف برجال السلف : ٢١٣  
 الخطط الجديدة ١٤ : ٥  
 ابن خلدون - التعريف .... ترجمة الكاتب بقلمه ، منشورة في آخر  
 المجلد ٧ من طبعة الهوريني - بولاق ١٢٨٤/١٨٦٧ ص ٣٧٩ - منه  
 نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ١٥٠ صفحة ، بخط جيد.  
 القرطبي - الرد على النحاة - لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧، ص ٤

#### ٢ - كتب خاصة به :

فؤاد افرام البستاني - الروائع

- ١٣ - مقدمة : ذكر المصادر والمآخذ  
 ١٣ - العمران البشري على الجملة  
 ١٥ - القبائل والامم المتوحشة

التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا - القاهرة ، ١٩٥١ ص ٤٥٩ ،  
( عارضه بأصوله وعلق حواشيه محمد بن تلويت الطنجي . )

ساطع الحصري - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - جزآن - بيروت ، مطبعة  
الكشاف . الاول ١٩٤٣ ص ٣٢٤ ، والثاني ١٩٤٤ ص ٢٢٦ - نقده  
دربنه خشبة في الرسالة عدد ٥٥٧ طبعة ثانية في مجلد واحد -  
القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٣ نقده ايضا محمد سليم الرشدان  
وعلق عليه في سلسلة مقالات بعنوان : رأي ابن خلدون عند  
الحصري - الرسالة عدد ٨٤٣ و ٨٤٤

احمد محمد الحوفي - مع ابن خلدون - مصر ، مكتبة نهضة مصر ، ١٩٥٥  
محمد الخضر بن الحسين - حياة ابن خلدون - تونس

طه حبيب - فلسفة ابن خلدون الاجتماعية ( تعريب محمد عبدالله عنان )  
- مصر ، ١٩٢٥ - ويلييه رسالة فيسندتك : « ابن خلدون مؤرخ  
الحضارة العربية في القرن الرابع عشر » ص ١٦٨

جميل صليبا وكامل عياد - ابن خلدون : منتخبات - دمشق ، مكتبة  
النشر العربي ، ١٩٣٣ ص ١٩٢ ( ترجمته ص ٢ - ٤٥ )

محمد عبد الله عنان - ابن خلدون : حياته واثره الفكري - القاهرة مطبعة  
دار الكتب ١٩٣٣

عمر فروخ - ابن خلدون - بيروت ، مكتبة متيننه

الاب يوحنا قمر - ابن خلدون - بيروت ، ١٩٤٧ ( سلسلة فلاسفة الاسلام ،  
حلقة ٣ )

الشيخ عبد القادر المغربي - ابن خلدون في المدرسة المادلية ( محاضرة  
في صفات ابن خلدون وفضله على طلاب الادب والعلم ) ، طبعت  
مع محاضرتين للمؤلف هما : محمد والمرأة ، ومحاكمة وزبرين  
خطيرين - بيروت ، مطابع قوزما ، ١٩٢٨ ص ٨٤

محمد الملاح - دقائق وحقائق في مقدمة ابن خلدون - بغداد ، مطبعة  
اسعد ، ١٩٥٥ ص ٧٦

٣ - كتب تناولته بالبحث :

محمد بهجت الاثري - المدخل في تاريخ الادب العربي - بغداد ، مطبعة

الجزيرة ، ص ٢٤٨

احمد امين - ظهر الاسلام - مصر : لجنة التأليف والترجمة والنشر ،  
١٩٤٥ ، ج ١ ص ٢٩٣ - ٢٩٤

الاسكندري - المفضل في تاريخ الادب العربي - مصر ، ١٩٣٤ ، مجلد ٢  
ص ٢٦٨

ج. دي بور - تاريخ الفلسفة في الاسلام - مصر لجنة التأليف ...  
١٩٣٨ ص ٢٦٨

البستاني - دائرة المعارف ، ج ١ ص ٤٦٠

دائرة المعارف الاسلامية (مترجمة) ج ١ ص ١٥٢

احمد تيمور - التذكرة التيمورية - مصر ، دار الكتاب العربي ، ص ١٦٣  
حسن ابراهيم حسن - تاريخ الاسلام السياسي - مصر ، مطبعة حجازي  
١٩٣٥ ، ج ٢ : ٥٥٣

حسن حسني عبد الوهاب - المنتخب المدرسي من الادب التونسي -  
١٩٤٤ ، ص ١١١ ، وطبعة ٣ ص ١٢١

مجيد دمع - دراسات في الادب العربي - ١٩٥١ ص ١٩٣

يوسف اسعد داغر - مصادر الدراسة الادبية ١ ص ٢٨٥ - ٢٩٠

عبد الصاحب الدجيلي - اعلام العرب في العلوم والفنون - النجف ، المطبعة  
العلمية ، ١٩٥٤ ، مجلد ٢ : ٦٤

جرجي زبدان - تاريخ آداب اللغة العربية ٣ : ٢١٠

الزركلي - الاعلام ، مجلد ٢ : ٥١٠

جاسم الرجب - تاريخ الادب العربي - مطبعة المعارف ، ١٩٤٨ ص ١٦٠  
طه الراوي - تاريخ علوم اللغة العربية - بغداد ، الرشيد ، ١٩٤٩ ، ص  
١٤٨ - ١٦٠

محمد جمعة - تاريخ فلاسفة الاسلام - مصر ، المعارف ، ١٩٢٧  
ص ٢٢٥ - ٢٥٢

احمد حسن الزيات - تاريخ الادب العربي - مصر ، لجنة التأليف ...

١٩٣٩ ص ٤٠٩

يوسف اليان سركيس - معجم المطبوعات ، عمود ٩٥

ابراهيم سلامة - تيارات ادبية بين الشرق والغرب ، ١٩٥٢ ص ١٤٧

الاب لويس شيخو - شرح مجاني الادب - بيروت ، ج ١ ص ٤٥٦ - ٤٥٩

الاخ فكتور ساروفيم - تاريخ الاداب العربية : ٥٥٥

طه حسين - التوجيه الادبي - مصر ، الطبعة الاميركية ، ١٩٤٢ ص ١١٤

طه حسين وشركاه - المنتخب من ادب العرب - مصر ، دار الكتب المصرية ، ١٩٢٢ ، ج ٢ : ٤٧٢

احمد الشايب - اصول النقد الادبي - مصر ، مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٦ ص ١

قدري طوقان - الخالدون العرب - بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٥٤ ص ٢٠٣

مصطفى عبد الرزاق - تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية - مصر ، لجنة التأليف ، ١٩٤٤ ص ١٣٠

روكس بن زائد العزيزي - المنهل في تاريخ الادب العربي ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٠ ج ٢

الاب نعمة الله العنداري ، تاريخ الفلسفة العربية : ١٨٨

محمد عاطف - ادبيات اللغة العربية - مصر ، ١٩٠٩ ص ١ : ٩٤

جرجي كنعان - الادب العربي : ٤٩٦

سامي الكيالي - الفكر العربي بين ماضيه وحاضره : ١٣

الهاشمي - جواهر الادب - بغداد ، مطبعة السعادة ، ١٩٢٠ ص ٥٢٠

خلدون الوهابي - مراجع تراجم الادباء العرب : ٥٦ - ٦٢

#### ٤ - مقالات المجلات العربية

مجلة الحديث (حلب) ، عدد خاص ، ١٩٣٢ - تولت درس نواحي شخصية ابن خلدون المتعددة

ابو رية - مقدمة ابن خلدون وطبعاتها المختلفة - مجلة الرسالة ١١ : ٦٧٥

الشيخ احمد الاسكندري - ابن خلدون - مجلة المجمع العلمي العربي ، دمشق ، مجلد ٩ : ٤٢١ ، و ٤٦١ ( اخلاقه - علمه وتصرفه - مؤلفات ابن خلدون وكتابه فيها - مقدمة ابن خلدون - مصادرهما - آراؤه الخاصة في المقدمة - اثر المقدمة في عالم التأليف - تاريخ ابن خلدون - نموذج من كتابه - منزلته في الشعر - الموازنة بين الخطيب وابن خلدون )

فؤاد البستاني - الفلسفة الاجتماعية عند ابن خلدون - المكتشف ، عدد ١٥٠ : ٦

جبرائيل جبور - ابن خلدون ومكانته في تاريخ الفكر - الاديب ٢ ، عدد ٨ : ٤

ساطع الحصري - العرب في مقدمة ابن خلدون - مجلة الامالي (بيروت)، عدد ٥١ : ٢

دريني خنبة - دراسات عن مقدمة ابن خلدون - الرسالة ، عدد ٧٥٧ (١٩٤٤) ( تعليق على كتاب الحصري )

رثيف خوري - نظرة في ابن خلدون وهيجل - الطريق ، ٣ ، عدد ٣ : ٥

جرجي زيدان - ابن خلدون - الهلال ٣ : ٣٩٣ - ومجلد ٦ : ٤٢

مصطفى عبد اللطيف السحرتي - شخصية ابن خلدون في كتاب الاستاذ محمد عبد الله عنان - الرسالة ، عدد ٦٣ : ١٥٤٠

نجاتي صدقي - عبد الرحمن بن خلدون ، اول فيلسوف عربي يحاول تفسير التاريخ ماديا - مجلة الطليعة ٣ : ٦ و ٢٨٨

عبد الحميد العبادي - لو عاش ابن خلدون في هذا العصر - الهلال ، ابريل ١٩٣٩ ص ١٣٢

عبد الفتاح عبد القادر - ابن خلدون - المجلة (بغداد) ، مجلد ٤ ، عدد ١١ : ٥٧٨

متى عقراوي - عبد الرحمن بن خلدون - الحرية ١ : ٢٩٠ ، و ٣٩٩ ، ٤٩٣

محمد عبد الله عنان - ابن خلدون في مصر - الرسالة ، عدد ٥ : ١٥ - ١٨ : ٦ - ١٩ : ٧ - ٢٠ : ٨ - ٢٢ : ٩ - ١٠ : ١٨

- - - ابن خلدون والنقد الحديث - المقتطف ٨٣ : ٥٦٢

- — — ابن خلدون ومكيافيلي — الرسالة ، عدد ١٩ : ٢٣ ، ٢٠ : ٢٠  
الدكتور كامل عياد — ابن خلدون مؤسس علم الاجتماع — مجلة الحدث  
( حلب ) ٧ : ٣٢٩
- بشر فارس — مقدمة ابن خلدون — الرسالة ٧ ( ١٩٣٩ ) : ٨٦  
— — — ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية — المقتطف ٧٨ : ٦٢٤  
( نقد وتعليق على كتاب بوئول من ابن خلدون — ( راجع المصادر  
الفرنجية )
- صبيح الحمصاني — النظريات الاقتصادية عند ابن خلدون — الادب ٣ ،  
عدد ٢ : ٦
- انيس المقدسي — العشرة القدمون في تاريخ الفكر العربي : ابن خلدون  
( + ٨٠٨ ) فيلسوف المؤرخين ورائد علم الاجتماع — الاسالي ،  
عدد ٦ : ٧
- شكري مهدي — عبد الرحمن بن خلدون ( ١٣٣٢ / ١٤٠٦ ) بحث نقدي في  
حياته واسلوبه وآرائه — المقتطف ٧١ : ١٦٧ ، ٢٧٠
- محمد فريد وجدي — ابن خلدون في الميزان — الهلال ٤٠ : ١٢٣٤
- قسطنطين زريق — درس جديد لابن خلدون — الكلية ١٨ : ٣٢١ ( نقد  
كتاب بالانكليزية من ابن خلدون ، تاليف نثنائيل شميت — راجع  
في الصفحات التالية المصادر الفرنجية )
- عمر فاخوري — مقدمة لدراسة ابن خلدون بقلم المستشرق استفانو كلوزيو  
— مجلة الحديث ( حلب ) ٦ : ٤٥٠ و ٤٠٦
- امين هلال — الفكرة الاسلامية وراء نظرية ابن خلدون السياسية —  
الحديث ٨ : ٣٥٢ ( مقالة للمستشرق هـ. جب نشرها في الجزء  
الاول من المجلد ٧ ( ١٩٣٣ ) من مجلة معهد الدروس الشرقية )
- محمد وهبي — ابن خلدون وما اداه الى دراسة التاريخ — الادب مجلد ٧ ،  
عدد ٨ / ١٩٤٨ ، ص ٣٤
- — — ابن خلدون ابو الاجتماع — الادب عدد ١١ / ١٩٤٨ ، ص ٢٢
- ابن خلدون المغربي وهربرت سبنسر الانكليزي — المقتطف ١٠ : ٥١٣
- مجلة المشرق — آراء ابن خلدون الاقتصادية ( نقد لكتاب صبيح الحمصاني  
منه بالفرنسية ) — المشرق ٣١ : ٧٠٨
- مجلة الحديث — ابن خلدون والعرب ١ : ٢٨
- مجلة الهلال — مؤلفات ابن خلدون — مجلد ٥٢ : ٤٢٩
- — — ٢١ : ٣١
- مجلة الجمع العلمي العربي ، مجلد ١٩٥٤ ص : ٢ ، ١٦٧ و ٢٧٠



## ثانياً - المراجع الفرنسية

### I - MONOGRAPHIES

An Arabic philosophy of history; selections from the prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332-1406), translated and arranged by Ch. Issawi-London, Murray, 1950 ; 190 pp. (Wisdom of the East Series)-Bibliogr. p. 181-182.

Histoires des Berbères et des dynasties musulmanes de l'Afrique du Nord. traduit de l'arabe par le Baron De Slane-Paris, Geuthner, 1927-1934, 3 vol.

Ibn-Khaldun and Tamerlane, their historic meeting in Damascus 1401 A.D. (803 A.H.) A Study based on Arabic manuscript of Ibn Khaldun's autobiography, with a translation into English and a commentary by J. Fischel-Berkeley, University of California ; 1952. 149 p. Bibliogr. p. 125-137.

Bergh, S. Van den-Omriss der Muhammadanischen wissenschaften nach Ibn-Khaldun-Leiden, Brill, 1919 ; 99 p.

Lubab al-mufasssal fi usul al-din di Ibn Jaldun. Ed. tr. y anotado por Luciano Rubio-Tetuan, Maroqui, 1952.

Enan, Muhammad Abdullah-Ibn Khaldun, his life and work-Lahore, Ashraf, 1946, 144 p.

Essat, Abd-al-Asis-Ibn Khaldoun et sa science sociale- Le Caire Impr. Tsoumas, 1947 ; 122 p.

Kremer Alfred von — Ibn Khaldun and seine culturgeschichte der islamischen reich — Wien, Gerold, 1879 ; 62 p.

Mahmassani, Sobhi — Les idées économiques d'Ibn Khaldoun ; essai historique, analytique et critique — Lyon, Bosc. 1932 ; 229 p. (Bibliogr. p. 217-221).

Schmidt, Nathaniel — Ibn Khaldun, historian, sociologist and philosopher — New York, Columbia University Press, 1930 ; 87 p. (Bibliogr. p. 61-64). (1)

G. Bouthoul — Ibn Khaldoun, sa philosophie sociale — 1930 (2)

G. Bouthoul — L'esprit de corps selon Ibn Khaldoun — Rev. Inter. de sociologie, Paris, 1949, p. 286-287.

(١) نقده الدكتور قسطنطين زريق في مجلة الكلية ١٨ : ٣٢١.

(٢) نقده الدكتور بشر فارس في المقتطف، مجلد ٧٨ : ٦٢٤.

Ibn Khaldun and Tamerlane. Actes du XXI Congrès Intern. des Orientalistes — Paris, 1949 ; 288-287.

Ibn Khaldun activities in Mamluk Egypt (1382-1406), in *Semitic and Oriental studies presented to Will. Popper: Univ. of California Publications in semitic and philosophy*, XI — Berkeley and Los Angeles, 1950

Levi-Provençal, E. — Notes sur l'exemplaire du kitab al-Ibar offert par Ibn-Khaldoun à la Bibl. d'al-Karawiyin à F'ez-Jl. Asiatique, V. 203, 1923, p. 161.

## II - OUVRAGES D'ENSEMBLE

Brockelmann, C. — G.A.L. ; Vol. II : 242

Cassell's Encyclopedia of Literature, vol. II

Encyclopedia Americana — vol. XIV : 617

Encyclopedia of Islam, vol. II : 395

Encyclopedia Italiana, vol. XVIII : 682

Encyclopedia Britanica, vol. XII : 34

La Grande Encyclopedie Française, vol. XX : 545

Gabrieli, G. — Saggio di bibliografia e concordancia della storia di Ibn Khaldun, in *Rev. degli Studi Orientali*, X (Roma), 1924, p. 169-210.

Sarton, C. — *Introduction to the History of Science*, III (1948)

فهرس الموضوعات  
مرتبة على الهاء



# ١- فهرسُ الموضوعاتِ

## مرتبة على الهجاء

الامامة ٢٧٣ ، ٣٣٦ ، ٣٣٩ ، ٣٤٢ ،  
 ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧١  
 ٣٧٦ ، ٣٨٧ ، ٤٠٢ ، ٥٧٥ ، ٥٧٧  
 الامامة : معناها ٣٣٦ - ٣٣٨  
 الامامة والتسعة ٣٤٨ - ٣٥٧  
 الامامية ( الفرقة ) ٣٥٠ ، ٣٥٥ ، ٣٧٦  
 ٥٧٥ ، ٨٣٤  
 الامصار واللغة ٦٧٥ - ٦٧٧  
 الامصار والمدن : تفاضلها ٦٤١ - ٦٤٥  
 الامصار وما فيها من عصبية ٦٧٢  
 - ٦٧٤  
 الاسم الوحشية ٢٤٢  
 امير المؤمنين ، خليفة رسول الله ، امير  
 مكة ، امير الحجاز ٤٠١ - ٤٠٧  
 امير الامراء ( لقب ) ٤٢٣  
 الامر ، صاحب الحروب والجند ٤٢٤  
 الانبيق ٩٨٧  
 الانيردور ٤١٦  
 الانساب ٢٣٢  
 الانفعال الرباني ٩٤٦  
 الانفعال الطبيعي ٩٤٨  
 اهل الامصار والقبائل ٢٦٩ - ٢٧٠  
 اهل العافية والصون ٢٨٢  
 اهل الكهف ( قصة ) ٣٥٢  
 اهليلج ٣١٩

## ب

البابا ٤١٤ - شرح هذا الاسم ٤٠٨

## ا

الابريسم ٣١٩  
 الاجناس العالية ٩٩٣  
 الاحتكار ، الحكر ٥١٢ ، ٧٠٨  
 الاحكام الشرعية ٤٩  
 اخلاق البشر : اثر الهواء فيها ١٤٨  
 ادب ( علم ) ١٠٦٩ - ١٠٧٠  
 الاذواء ٢٥٦  
 الارتماطقي ٨٩٤  
 الاس الكبير ٢٠٥  
 الاساطيل : قيادتها ٤٤٧ - ٤٥١  
 استاذ الدولة او الوزير ٤٣٥  
 الاستسقاء ( صلاة ) ٣٨٨  
 اسد الدين ( لقب ) ٤٠٥  
 الاسرار الخفية من جهة الارتباطات  
 الحرفية ٩٦٥ - ٩٧١  
 الاسرائيليات ١٥  
 الاسعار : ضرر رخصها ٧٠٩  
 الاسقف ٤١٣  
 الاصمعيات ١١٢٥  
 الاصابة بالمين ٩٣٥  
 افراك ٤٧٥  
 الاقطار : اختلافها بالرفسه والفقير  
 ٦٥٠ - ٦٥٣  
 الاكسبر ٩٧٦ ، ٩٧٨ ، ١٠١١ ، ١٠١٣  
 ١٠١٦ ، ١٠١٩  
 الامام الباطن او المستور ٣٥٦

- ٣٩٣ ( قسم ) التعازير  
 العينة ٤٧٩ - ٤٨٢  
 التعليم وطرقه ٧٦٩ - ١٠٣٠  
 تعليم العلوم ١٠٣٠  
 - التسدة فيه ١٠٤٢  
 التغيير ٧٦٤  
 التفسير (علم) ٧٨٥ - ٧٨٩  
 اللند أو قائد الاسطول ٤٤٧  
 النناسخ ٣٥١ ، ٥٧٥  
 التنجيم ٥٩٥  
 النوقيع ، التوقيعات ٤٣٧  
 التوليد ( صناعة ) ٧٣٥  
 الشباب المعينة ٣١٩

## ج

- الجباية ، الجابي ٤٣٠ ، ٤٣٤  
 - سبب قلتها وكثرتها ٤٩٣ - ٤٩٥  
 الجاه فائدته ٦٩٥  
 الجاهلية ، ٢٨ ، ٢٣٥ ، ٣٥٩ ، ٤٠١  
 ٦٣٩ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥ ، ١١١٥  
 الجتر ٤٦٠  
 الجدل أو معرفة اداب المناظرة ٨٢٠  
 - ٨٢١  
 الجسم التعليمي ٨٨٩  
 جغرافية الارض ٨٩ - ١٢٣  
 الجولة الكبرى ٤١٠  
 الجهاد ٤٠٨

## ح

- الحاسب ( طارق بالحصى والحبوب )  
 ٥٨٧  
 حالومة ، حالومية ، حالومات ١٨٣ ،  
 ١٨٤

- ٤١٦ -  
 البحر ٧٦ - ٨٠  
 - وصف عمرو بن العاص له ٤٤٨  
 الربط ٧٥٩  
 البردة ٤٧١  
 البرزخ ١٧٠  
 برشوم الزمام ٢٠٣  
 البطرك أو الاب ٤١٣  
 - شرح هذا الاسم ٤٠٨ - ٤١٦  
 البناء ( صناعة ) ٧٢٤ - ٧٣٠  
 بهاء الدولة ( لقب ) ٤٠٤  
 البوق ٧٥٩  
 البلاد : انقلاب احوالها ٥٠ - ٥٤  
 البيان ( علم ) ١٠٦٤ - ١٠٦٨  
 اللوق البياني ١٠٨٥ - ١٠٨٨  
 بيت المال ببغداد في ايام المأمون ٣١٨  
 البيعة ٣٧٠ - ٣٧١  
 - ايمان ٣٧١



- التأليف والعلوم ١٠٢١ - ١٠٢٣  
 تابوت العهد ٢٢٩  
 التاريخ ( علم ) - تحديده ٥٠ - فضله  
 ١٦١٢ - اسباب الكلب فيه ٥٥  
 - تمييز الحق من الباطل في  
 اخباره ٥٩  
 التجمية ( قصيدة ) ٦٠٢  
 التجارة : معناها ومذاهبها ٧٠٣ -  
 ٧٠٥ - اخلاق اصحابها ٧١١  
 ٧١٢

- التجار والاشراف والمثوك ٧٠٥  
 التخت ، انظر السرير  
 التداير ٢٧١  
 الترف والمجد والملك ٢٩٥ - ٣٠٠

- الخازن ، خازن الدار ( لقب ) ٣٥  
 الخرنى ٣٠٥  
 الخزيرية ( الصحيفة ) ٩٣١  
 خضراء الدمن ٣١٢  
 الخط والكتابة ( صناعة ) ٧٤٤ - ٧٥١  
 الخط الافريقي ٧٥٠ ، ٧٥١  
 - الاندلسي ٧٥٠ ، ٧٥١  
 - الحميري ٧٤٥  
 - المشرقي ٧٥٠  
 خط الرمل ١٩٦ ، ١٩٧  
 الخطابة ( علم ) ٦٠  
 الخطط السلطانية ، اطلب : الوظائف  
 السلطانية  
 الخطبة ٤٧٦ - ٤٧٩  
 - الدعاء في ... ٤٧٦ - ٤٧٩  
 الخلافات او الفقه الخلافي ٨١٨ - ٨٢٠  
 الخلافة ، الخليفة ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧١ ،  
 ٣٣٦ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٤٤ ، ٣٤٦  
 ٣٤٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٧ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧  
 ٣٨٦ ، ٣٨٧ ، ٣٩٠ ، ٣٩٢ ، ٣٩٩  
 ٤٠٢ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، ٤١٨ ، ٤٢٠  
 ٤٢٣ ، ٥٤١ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٠ ،  
 ٦٥٥ ، ٧٥٠  
 - معناها ٣٣٦ - ٣٣٨  
 - اخلاف الامة في حكم منصبها  
 وشروطها ٣٣٩ - ٣٤٧  
 - انتقالها الى ملك ٣٥٨ - ٣٧٠  
 - خططها الدينية ٣٨٦ - ٣٩٦  
 - سماتها : ٤٠١  
 الخياطة ( صناعة ) ٧٣٣  
 الحاجب ، الحجابة ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤  
 ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩  
 ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٤٦ ، ٥١٤  
 حجاب الحسن ٨٦٦ ، ٨٦٧  
 الحدثن ٥٨٨ ، ٦٠١ ، ٦٠٢  
 الحديث ( علومه ) ٧٨٩ - ٧٩٧  
 حديث الرايات ٥٦٦ ، ٥٦٧  
 الحرب : مذاهب الامم في ترتيبها ٤٧٩  
 الحرب والعسكر ( رئاسة ) ٤٢٨  
 حرج : حرجان ٢٣٢  
 الحروف ( مخارجها ) ٥٤  
 حروف الاشمام ٥٥  
 حزم الكتاب ، مكان الدس واللسق -  
 انظر : الكتاب : حزمه  
 حساب الجمل ١٩٩ - ٢٠٥ ، ٥٩١  
 ٥٩٢ ، ٥٩٨  
 حساب النيم ١٩٩ ، ٢٠٣  
 الحسب ٢٣٩  
 الحسبة والسكة ٣٩٨ - ٤٠٠  
 الحضارة والدولة ٦٥٦ - ٦٦١  
 الحضارة والعمران ( علاقة ) ٦٦١ -  
 ٦٦٧  
 الحكماء ( كلامهم في السياسة ) ٦٤  
 الحل النجرائية ٣١٨  
 الحلول ٥٧٥  
 الحنفية ( دين ) ٥٧٩  
 الحوراني ( الشعر ) ١١٢٥  
 الحياكة ( صناعة ) ٧٣٣  
 خ  
 الخاتم او الختم ٤٣٦ ، ٤٦٧ - ٤٧١  
 - الختم : طينه ٤٧١  
 خاتم الاولياء ٥٧٧  
 خارجي ، خارجية ٢٤٠

- الدرهم والدينار : قيمتهما الشرعية  
٤٦٥ - ٤٦٧  
- البغلي ٤٦٦  
- الطبري ٤٦٦  
المساء في الخطبة ٤٧٦ - ٤٧٩  
الدعوة الدينية والعصبة ٢٧٨ ، ٢٧٩  
- ٢٨٤  
الدعوة العباسية ٣٦٦  
الدفائن والكنوز : ابتداء الاموال منها  
٦٨٦ - ٦٩٣  
الدولة : حدودها ٥٣١ - ٥٣٧  
- استقرارها ٢٧٢ - ٢٧٥  
- نطاقها ٢٨٧  
- عمرها ٣٠٠  
- انقسامها ٥١٧  
- انتقالها من البلادة الى الحضارة  
٣٠٤ - ٣٠٨  
- اطوارها واختلاف احوالها ٣١٠  
- ٣١٣  
- تأثير القوة فيها ٣١٣ - ٣١٧  
- والنرف ٣٠٩  
- والهرم ٥٢٠ - ٥٣٠  
- والاوطان الكثيرة القبائل والمصائب  
٢٩٠  
- والعصبة الدينية ٢٧٨  
- والوالي المصطنعين ٣٢٤ - ٣٢٨  
الدول العامة ٢٧١  
الدول والامم : ابتداءها : ٥٨٧ - ٥٩٥  
الدول والمدن ٦٠٩ - ٦١١  
الدوينار ( لقب ) ٤٢٥ ، ٤٢٨  
الديوان ٤٣٠ ، ٤٣١  
- ديوان الاعمال والجبايات ٤٣٠ -  
٤٣٥  
- ديوان الاعمال ٤٧٠
- ديوان الجباية ٤٣٢  
- الجيش او الجند او العساكر ٤١٧  
٤٢٢ ، ٤٣٢  
- الختم ٤٧٠  
- الخراج ٤٣٢  
ديوان الرسائل والكتابة ٤٣٦ - ٤٣٩  
٤٧١  
- الشام ٤٣٢  
- العراق ٤٣٢  
- المعطاء ٤٣٥  
الدين والملك ٢٧٧
- ذات الحلق ٩٠٦  
ذخيرة الملك ( لقب ) ٤٠٤  
الدوق البياني ١٠٨٥ - ١٠٨٨  
ذوي الوزنتين اي السيف والقلم ٤٣٦
- الراهب ٤١٣  
الرباب ٧٥٩  
الربب الملوكية ، انظر : الوظائف  
السلطانية  
الردة ( اهل ) ٣٦١ ، ٣٨٣  
الرحلة في طلب العلم ١٠٤٤  
الرزق والكسب : حقيقتهما ٦٧٨ -  
٦٨١  
الرسائل والكتابة ، ( ديوان ) انظر  
ديوان الرسائل والكتابة  
الرئاسة على اهل العصبة ٢٣١ - ٢٣٧  
ركن الدولة ( لقب ) ٤٠٤  
الرؤيا ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧٨ ، ٨٨٢



السياسة والعلماء ١٠٤٥ - ١٠٤٧  
السيف والقلم ( تفاوت مراتب الدول  
فيهما ) ٤٥٥  
السيمياء او علم أسرار الحروف  
٩٣٦ - ٩٣٦ ، ٩٨٨ ، ٩٩١

## ش

الشاذروان ٦٢٦  
الناسخ ٤٦٠  
النبابة ٧٥٨  
الشرطة ، صاحب الشرطة ، الحاكم ،  
الوالي ، صاحب المدينة ٤٤٥ - ٤٤٦  
النرف والعصبة ٢٢٧ - ٢٣٦  
شرف الدولة ( لقب ) ٤٠٤  
الشعر ١٠٩٣ - ١٠٩٦  
- صناعته ووجه تعلمه ١٠٩٧ -  
١١١٠  
السطرنج ( واضعه ) ٦٠٠  
الشهرة والصيت : عواملهما ٤٩٢  
شيخ الفتيا ٤٤٩  
شيخ الموحدين ٤٢٧

## ص

صاحب الاطفال ( لقب ) ٤٢٧ ، ٤٤٠  
- الانشاء ( لقب ) ٤٣٨  
صاحب الباب ٤١٩  
- البريد ٤١٧ ، ٤٢١  
- الثغر ٥٨  
- الجبابرة ٤١٧ ، ٤١٩  
- الحرب ٤١٧  
- السيف ٤٤٧  
- الشرطة ٣٩٣ ، ٤١٧  
الصقاعون ٢٨٣

## ز

الزجل ، ازجال ، الازجال الاندلسية  
١١٣٧ - ١١٦٩  
زيح : ازياج ٨٩٠  
الزايحة ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧  
٢٠٨ ، ٩٤٢ ، ٩٥١ ، ٩٦٥  
- استخراج اجوبة المسائل من  
زايحة العالم ٩٥٠ - ٩٦٣  
زركش كاويان ( راية كسرى ) ٩٣٣  
الزقم ٣٢٠  
الزمر ٧٥٩  
الزنبيل ( حديث ) ٣٠  
الزبدية ( الامامة ) ٩٥

## س

الساقية ٤٦٠  
السري ، المنبر ، التخت ، الكرسي  
٤٦١ - ٤٦٢  
السعادة : احرازها بالكسب والتملق  
٦٩٤  
سكر ٤٩٩  
السكة ٤٦٣ - ٤٦٥  
- والحبة ٣٩٨ - ٤٠٠  
السلطان : ضرر فساد تجارته ٤٩٧ -  
٥٠١  
السلطان : ثروته : ٥٠١ - ٥٠٦  
- الحجر عليه والاستبداد به ٣٢٩ -  
٣٣٠  
- السلطانية ( المخاطبات ) ١٠٩٥  
سنجق : سناجق ٤٦٠  
السياج ٢٧٦ - ٢٧٧  
السياسة ( كلام الحكماء فيها ) ٦٢  
السياسة المدنية ( علم ) ٦٠

- العرب والخراب ٢٦٢  
 — والملك ٢٢٦ ، ٢٦٧  
 — والصنائع ٧٢٠  
 العربوية ٦٧٦  
 عروض البلد ١١٦٠  
 العصبية ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ،  
 ٢٢٨ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ،  
 ٢٤٥ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥١ ،  
 ٢٥٧ ، ٢٥٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٢٧١ ،  
 ٢٧٢ ، ٢٧٥ ، ٢٨٧ ، ٢٩٣ ، ٣٠٢ ،  
 ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٣٧ ، ٣٤٧ ، ٣٥٨ ،  
 ٣٦٢ ، ٣٦٤ ، ٣٦٩ ، ٣٧٤ ، ٣٨٢ ،  
 ٣٩٤ ، ٣٩٥ ، ٤٠٤ ، ٤٠٧ ، ٤٠٩ ،  
 ٤٣٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ،  
 ٥٠١ ، ٥١٧ ، ٥٢١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٣ ،  
 ٥٣٢ ، ٥٨٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٦ ، ٦٦١ ،  
 ٦٦٩ ، ٦٧١ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ،  
 العصبية والدموية الدينية ٢٧٩ — ٢٨٤  
 عصبية الامصار ٦٧٢ — ٦٧٤  
 العصمة : منهاها ١٥٨ ، ١٦٠  
 عصمة الامامة ٤٠٧  
 العقل الفعالي ٩٩٩  
 عقد الدولة ( لقب ) ٤٠٤  
 العلم والرحلة في طلبه ١٠٤٤  
 — حملته في الاسلام اكثرهم من  
 الاعاجم ١٠٤٧ — ١٠٥١  
 العلم والسياسة ١٠٤٥ — ١٠٤٧  
 علم الارتماطقي ٨٨٩  
 علم الادب ١٠٦٩ — ١٠٧٠  
 — الانبياء ٩٠٧ — ٩٠٨  
 علم اسرار الحروف او السيماء ٩٣٦  
 — ٩٤٥  
 — اصول الفقه ٧٨٠  
 العلم الالهي ٨٨٩
- الصنائع : امهاتها ٧٢٢  
 — اختصاصها ببعض الامصار ٦٧١  
 — الصنائع والعرب ٧٢٠  
 — الصنائع والعلوم ٧١٢  
 — علاقتها بالعمارة ٧١٤ — ٧١٥  
 — رسوخها في الحضارة ٧١٦  
 — الصنائع والتخصص فيها ٧٢١  
 الصنم العظيم ( في الهند ) ٩٨  
 الصونج ٣٢١  
 صلاح الدين ( لقب ) ٤٠٥  
 صلاة الخسوفين ٣٨٨
- ض  
 ضارب المثل ٥٨٧  
 الضمائر : الاستدلال على خفاياها  
 ٩٧٢  
 الضياع والمعار : فوائدهما ٦٥٣ —  
 ٦٥٥
- ط  
 الطائفة ، الطواب ٧٢٧  
 الطب ( صناعة ) ٧٣٩ — ٧٤٣  
 الطراز ، دور الطراز ، صاحب الطراز  
 ٤٧١ — ٤٧٣  
 طين الخاتم والختم ٣١٨ ، ٤٣٦
- ع  
 عالم الرق وعالم الفتق ٨٧٢  
 عباسية ( خطبة ) ٤٧٨  
 العدالة ٣٩٧ — ٣٩٨  
 عراف نجد ١٩٠  
 العراق ( ديوان ) ٤٣٢  
 العرب والغلبة ٢٦٢

- علم الالهيات او علم ما وراء الطبيعة  
٨٩٠ ، ٩٢٠ - ٩٢٣ ، ٩٩٧  
- البيان ١٠٦٤ - ١٠٦٨  
علم النصوص ٨٦٣ - ٨٨٢  
- تعبير الرؤيا ٨٨٢ - ٨٨٨  
- الجبر ٨٩٨ - ٨٩٩  
علم الحساب ٨٩٦ - ٨٩٨  
- السحر والطلسمات ٩٢٣ - ٩٣٦  
علم الطب ٩١٦ - ٩١٧  
- الطبيعيات ٩١٦ - ٩١٧  
العلم الطبيعي او الموجودات الجسمانية  
٨٨٩  
علم الفرائض ٨١٠ - ٨١٢  
- الفلسفة ٩٩٢ - ١٠٠٢  
- الفلاحة ٩١٩ - ٩٢٠  
- القراءات ٧٨٠ ، ٧٨٢ ، ٧٨٤  
- علم الكلام او الحجاج عن العقائد  
الايمانية ٧٨٠ ، ٨٢١ ، ٨٢٨  
- الكيمياء ٩٧٦ - ٩٩٢  
- علم اللغة ١٠٥٩ - ١٠٦٤  
- المساحة ٩٠٤ - ٩٠٥  
- مطابخ الشعاعات ٩٤٥  
- المعاملات والفرائض ٨٩٩ - ٩٠١  
- المناظرة ( هندسة ) ٩٠٤  
- النجوم ١٠٠٢ - ١٠٠٩  
- المنطق ٩٠٨ - ٩١٦ ، ٩٩٣  
- النحو ١٠٥٦  
- الهندسة ٨٨٩  
- الهيئة ٩٠٥  
العلوم الحكيمية الفلسفية ٧٧٩  
العلوم الالهية ١٠٣٦ - ١٠٠٢٨  
- العددية ٨٩٤ - ٨٩٦  
العلوم العقلية او علوم الفلسفة  
والحكمة ٨٨٨ - ٨٩٤
- العلوم المنطقية ٦٠  
العلوم وكثرة التأليف فيها ١٠٢١ -  
١٠٢٣  
- وكثرة الاختصاصات فيها ١٠٢٨  
علوم العمران : اصنافها ٧٧٩  
العلوم النقلية الوضعية ٧٧٩ ، ٧٨٠ ،  
٧٨١ ، ٧٨٧  
علوم اللسان العربي ١٠٥٥ - ١٠٦٤  
العلوم الهندسية ٩٠١ - ٩٠٣  
العمران : طبيعته ٥٥  
- اختلاف احواله ١٤٩  
العمران وفوره آخر الدولة ٥٣٧ -  
٥٣٩  
عمران الارض ٧٢ - ٧٣  
العمران البشري : سياسته ٦٧ - ٧١  
و ٥٤٠ - ٥٤١  
العمران والحضارة : علاقتهما ٦٦١ -  
٦٦٧  
العمران والصنائع ٧١٤ - ٧١٥  
- والظلم ٥٠٧ - ٥١٤  
عمود النسب ٣٠٣  
العين : الاصابة بها ٩٣٥
- غ  
الغازات ٤٧٣ - ٤٧٥  
الغالب والمغلوب ٢٥٨  
الفرش الطبري ٣١٩  
الفناء ( صناعته ) ٧٥٨ - ٧٦٧  
القيب : ادراكه ١٥٧  
القيبيات ١٨٣ - ٢١١
- ف  
الفاطمي : امره ومذاهب الناس فيه  
٥٥٥ - ٥٨٦

قيادة الاساطيل ٤٤٧ - ٤٥٤

ك

الكتاب ( حزمه ) ٤٧٠  
الكتابة والخط ( صناعة ) ٧٤٤ -

٧٥٤

الكتابة والرسائل ( ديوان ) انظر  
ديوان الرسائل والكتابةكردوس كراديس ٤٨١ ، ٤٨٤  
الكروسي ، النبر ، التخت ، السريو  
٤٦١ - ٤٦٢كسروية ٣٦٠ ، ٦٥٨  
الكنانة ١٦٥ ، ١٧٣ - ١٧٨ ، ١٨٥١٨٦ ، ١٨٩ ، ٥٨٨  
الكلام : النظم والنثر ١٠٩٣ - ١٠٩٦  
الكوسات ٤٦٠الكوهن ( شرح هذا الاسم ) ٤٠٨ -  
٤١٦الكيمياء ( علم ) ٩٧٦ - ٩٩٢  
- انكار ثمرة ١٠١٠ - ١٠٢١  
لبنة الفضة ٥٧٧ ، ٥٧٨اللسان المضري ١٠٧٣  
لغات اهل الامصار ٦٧٥ - ٦٧٧اللغة ملكة صناعية ١٠٧١ - ١٠٧٢  
لغة العرب ومخالفاتها للغة مضرووحمر

١٠٧٣ - ١٠٧٨

ل

المبشرات ١٨٠  
المثاني ( السبع ) ١٠٩٤  
المجاعات والموتان ٥٣٧ - ٥٣٩  
المجد والتترف والملك ٢٦٥ - ٣٠٠  
المخطبات السلطانية ١٠٩٥

الفانيد ٣١٩

فتنة طاهر ٢٨١

الفتيا ٣٨٧ ، ٣٨٩

الفرائض ( علم ) ٨١٠ - ٨١٢

الفرائض والمعاملات ٨٩٩ - ٩٠١

الفساطيط ٤٧٣ - ٤٧٥

القطرة ١٥٧

الفقه وما يتبعه من فرائض ٧٩٨ -  
٨٠٩

الفقه : اصوله ٨١٢ - ٨٢١

فكر الانسان ١٠٢٢ - ١٠٣٦

الفناء والامة المغلوبة ٢٦٠

الفلسفة : ابطالها وفساد منتحلها  
٩٩٢ - ١٠٠٢

الفلاحة من معاش المستضعفين ٧٠٢

الفلاحة ( صناعة ) ٧٢٣

ق

القابلة ، القوايل ٧٣٥ ، ٧٣٦ ، ٧٣٧

القبيل والعصية ٢٧١

القرآن : علومه ٧٨٢ - ٧٨٩

القرانات ٥٨٩

القرشية ، النسب القرشي ٣٤٢ ،  
٣٤٣ ، ٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٤٧

القرعة ٩٨٧

القسيس ٤١٣

القضيب ٤٧١

القطب والابدال ( القول بهما ) ٥٧٦

قلم الرسائل والمخاطبات ٤١٧

- قلم الصكوك والاقطاعات ٤١٧

- المحاسبات ٤١٧

قهرمان ، قهارمة ، ٤٢٧ ، ٤٣٠

القود ٣٩٣

القوى النجومية ١٠٠٤ ، ١٠٠٥

- والسلطان : مراتبهما ٤١٦  
 الملك والإمة الوحشية ٢٥٤  
 المنبر ٤٧٧  
 المنجم ٥٨٧  
 المنصور ( لقب ) ٤٠٥  
 الملاحم او كتب الحدان ٥٨٧ ، ٦٠٢ -  
 ٦٠٨  
 المؤرخون : اوهامهم ٢٠ - ٥٠  
 - اخبارهم ١٦ - ١٩  
 الموسوسون ٢٨٣  
 الموشحات والازجال الاندلسية ١١٣٧  
 - ١١٦٦  
 الموالي والمصطنعون والدولة ٣٢٤ -  
 ٣٢٨  
 المواليا ، اقوما ١١٦٦
- ن
- الناصر ( لقب ) ٤٠٤  
 ناظر الخاص ( لقب ) ٤٣٥  
 النائب ، نيابة ٤٢٥ ، ٤٢٩  
 النبوة ، حقيقتها ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٥٧٦  
 ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٩٥ ، ٨٧٩ ، ٨٨٢  
 النثر ١٠٩٣ - ١٠٩٦  
 النجارة ( صنعة ) ٧٣٠  
 النجامة ١٩٧ ، ٢٠٣ ، ٩٠٣  
 النجوم ( صناعة ) ١٠٠٢ - ١٠٠٩  
 النسب ٢٣٠  
 النظم ، الشعر ، ١٠٩٣ - ١٠٩٦  
 نصير الدولة ( لقب ) ٤٠٤ ، ٤٠٥  
 نظام الملك ( لقب ) ٤٠٤  
 النفس البشرية : اصنافها ١٧٠  
 النمرة ٣٧١
- الجردات التواني ٩٩٣  
 المدن : مراعاة اوضاعها ٦١٧ - ٦٢١  
 - : اسمارها ٦٤٦  
 المدينة الفاضلة ٥٤٠  
 المراتب السلطانية ٢٧١  
 المرفق ٣٠٥  
 المريد ١٩٤  
 الزمار الزلامي ٧٥٩  
 الزوار ( من القاب الحجابة ) ٤٢٨  
 المساجد ٦٢٢ - ٦٣٥  
 السايح السورماهي ٣٢٠  
 المصاف : ضربه وراء الصكر ٤٨٢ -  
 ٤٨٧  
 المظفر ( لقب ) ٤٠٥  
 المظلة ٤٧١  
 العاش : وجوهه واصنافه ٦٨٢ -  
 ٦٨٣  
 المعتضد ( لقب ) ٤٠٥  
 المعتمد ( لقب ) ٤٠٥  
 معز الدولة ( لقب ) ٤٠٤ ، ٤٠٥  
 العلاقات السبع ١١٢٢  
 المقامات النهاية ٩٤٨  
 المقصورة ٤٧٦ - ٤٧٩  
 الكوس - ضريبها - ٤٩٦  
 الملك ٢٧١  
 الملك : طبيعته : ٢٩٣ - ٢٩٥  
 - اصنافه ٣٢٢ - ٣٣٤  
 - عواقبه ٢٤٦ - ٢٥٠  
 - ذهابه ٢٥٦  
 - ضرر ارهااف الحد منه ٣٣٤ -  
 ٣٣٦  
 الملك والخلال الحميدة ٢٥٠ - ٢٥٤  
 - والدين ٢٧٧  
 - والسلطان ( شارات ) ٤٥٦ - ٤٦٥

|                                      |                                  |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| ١٧٥                                  | نور الدين ( لقب ) ٤٠٥            |
| الوراقة ٧١٤ ، ٧١٥ ، ٧٢٢ ، ٧٥٥        | النيم ( حساب ) ٢٠٠               |
| الوزارة ، وزير ٤١٩ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ | هـ                               |
| وزير الراي ٤٢٧                       | الهياكل : بناؤها ٦٣٠             |
| الوظائف السلطانية ، وظائف الملك      | الهرم والدولة ٥٢٠                |
| ٤١٧ ، ٤١٨                            | المهرمزان ٤٣٢                    |
| الوكيل ( من اقاب الحجابة ) ٤٣٩       | الهواء والوان البشر ١٤١          |
| الولدان : اختلاف طرق تعليمهم ١٠٣٨    | الهواء : اثره في اخلاق البشر ١٤٨ |
| — ١٠٤٢                               | الهيئات ٤٨٥                      |
| الولاية ٥٧٧                          | و                                |
| ولاية الثغور ٤١٤                     |                                  |
| — العهد ٣٧١ — ٣٨٢                    |                                  |
| اليوم المحمدي ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨١        | الوحي ١٥٧ ، ١٦٥ ، ١٧١ ، ١٧٢ ،    |

## ٢- فهرست أعلام الرجال والنساء

ابن أبي واطيل ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،

٥٨١

ابن الاحمر ٢٩٢ ، ٢٩٣

ابن اسحق النجم ٣ ، ١٩ ، ٨٦ ،

٣٤٦ ، ٥٩١ ، ٩٠٨

ابن الاغلب ٣٥ ، ٤٤٩

ابن الاكفاني ٣٥

ابن الامام ٧٧٢

ابن باجه ( أبو بكر ) ١١٤٠

ابن باديس ( أبو علي ) ٦٠٣

ابن بسام ٣٠٧

ابن بشير ٨٠٧ ، ١٠٢١

ابن بشرون ٩٩١

ابن الطحايي ٣٥

ابن بطلال ٧٩٤

ابن مردوس ١١٤٢

ابن بطوطة ٣٢٢

ابن بقی ( يحيى ) ١١٣٩

ابن البناء ( أبو العباس ) ٨٩٦ ، ٨٩٧

٩٠٨

ابن تافراكين ( أبو محمد ) ١١٣٢

ابن التين ٧٩٤

ابن تيفلوت ١١٤٠

ابن ثابت ٩٠١

ابن جابر ١٠٩١

ابن جحدر الاشيلي ١١٥٣ ، ١١٥٦

ابن جامع ٤٢٧

ابن جني ١٠٢٢ ، ١٠٥٩

ابن جياب ١٠٩١

ابن الحاجب ٧٧٢ ، ٨٠٨ ، ١٠٢٢ ،

١٠٢٩ ، ١٠٥٨ ، ١١١٤

الابلي ( أبو عبدالله ) ٧٠٨

آدم ٢٣٩ ، ٦٢٣ ، ٦٨٣

آدم ( مسجده ) ٦٣٥

الأمدي ( سيف الدين ) ٨١٧ ، ٩١٦

ابان بن صالح ٥٧٤

ابراهيم الخليل ٦٢٢ ، ٦٢٣ ، ٦٢٥ ،

٦٢٦ ، ١١٢٢

ابراهيم بن علقمة ٥٦٥

ابراهيم بن محمد الملقب بالامام ٣٥٣

٤٠٢

ابراهيم بن المهدي ٣١ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣

٣٧٤ ، ٧٦٦

ابراهيم الساحلي الطوبيجي ١٠٩١

ابراهيم الموصلی ٧٦٦

أبرويز ( كسرى ) ٥٩٩

الابلق الاسدي ١٩٠

الابهری ( القاضي أبو بكر ) ٨٠٦

الابوردي ٣٥

ابن الأبار ٦٠٣

ابن أبي حاتم ٥٦٥

ابن أبي حفص ٢٩٢

ابن أبي زيد ( محمد ) ٢٩٠ ، ٨٠٧

٨٣٢ ، ١٠٤٣

ابن أبي ربيعة ١٠٥ ، ١١١٥ ، ١١٢٣

ابن أبي سرح ٢٩٠

ابن أبي شرف ٤٠٥

ابن أبي صديق الناجي ٥٦٢ ، ٥٦٣ ،

٥٦٤

ابن أبي عامر ٤٧ ، ٢٧٤

ابن أبي مريم ٢٦

- ابن حبان ٣٠٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢  
 ابن حبيب ( عبد الملك ) ٨٠٦  
 ابن جديد ٤٢٦  
 ابن حراشي ٥٥٨  
 ابن حزم ٣٥٧ ، ٤٦٧ ، ٨٠١  
 ابن حماد ٤٦٤  
 ابن حنبل ( الامام احمد ) ٧٩٢ ، ٧٩٦  
 ابن الحنفية ( محمد ) ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٥٣  
 ابن حوشب ٥٩٥  
 ابن حيان التوحيدي ٣٠ ، ١٠٩٠  
 ابن حيون ١١٤٤  
 ابن الخطيب ( الامام فخر الدين ) ٧٧٢ ، ٨١٧ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧ ، ٩١٣  
 ٩١٦ ، ٩٢١ ، ٩٣٠ ، ١٠٥١ ، ١٠٩١  
 ١١١٤ ، ١١٤٧ ، ١١٥٦  
 ابن خفاجة ( ابو بكر ) ١١٠٧  
 ابن خلف الجزائري ١١٤٦  
 ابن خوزمندار ٨٠٦  
 ابن دقيق العيد ( تقي الدين ) ٨٠٥  
 ابن دهقان ٨٧٣ ، ٨٧٤  
 ابن دوبردة ( الحسن ) ١١٤٢  
 ابن ذي بزن ٣١٧  
 ابن رشد ( الوليد ) ٢٣٦ ، ٨٠٧ ، ٨٠٩  
 ٨٩٣ ، ٩٠٦ ، ٩١٢ ، ٩١٦ ، ٩٢١  
 ابن رشيقي ٥ ، ٧٦٤ ، ٨٠٨ ، ١٠٦٧ ، ١٠٩٠ ، ١١٠٦ ، ١١٠٨  
 ابن الرفيق ( مؤرخ افريقية ) ٤  
 ابن الرقعة ٨٠٥  
 ابن الرقيق ٣١٧ ، ٥٩٥ ، ١٠٨٩  
 ابن رضوان ( ابو القاسم ) ١١١٣  
 ابن رماحس ٤٤٩  
 ابن زبير ٢١  
 ابن الزبير ٣٧٣ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧  
 ابن زهر ( ابو الخطاب ) ٩١٨ ، ١١٤٠  
 ابن زهر ( ابو بكر ) ١١٤٠ ، ١١٤٢ ، ١١٤٣  
 ابن زيتون ( القاضي ابو القاسم ) ٧٧٢  
 ابن الزيات ١١١٢  
 ابن الساعاتي ٨١٨ ، ٨٢٠  
 ابن سبعين ٨٧٥  
 ابن سريج ٧٦٥  
 ابن السكيت ١٠٦٣  
 ابن سعيد ٩٢ ، ١١٥٣  
 ابن سيده ١٠٦١  
 ابن سيرين ١٠٩١  
 ابن سينا ( ابو علي ) ٦٠٥ ، ٧٣٨ ، ٨٧٥ ، ٨٩٣ ، ٨٩٦ ، ٩٠٢ ، ٩٠٦ ، ٩١٢  
 ٩١٦ ، ٩١٨ ، ٩٢١ ، ٩٩٩ ، ١٠٠١ ، ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١٠١٨ ، ١٠٢١  
 ابن السماك ٢٥  
 ابن السمع ٩٠٠ ، ٩٠٦  
 ابن سنا الملك المصري ١١٥٣  
 ابن شناس ٨٠٨  
 ابن شجاع ١١٦٢  
 ابن شرف ٢٧٨ ، ١٠٩٠  
 ابن شعيب ٧٧٢ ، ١١١٣  
 ابن الصايوني ١١٤٦  
 ابن الصائغ ( ابو بكر ) ٨٩٣  
 ابن طريف ١١٠١  
 ابن عباد ٤٧  
 ابن عباس ٣٨٣ ، ٤٧٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٧٠ ، ٦٢٥



- ابن عبد الحكم ٨٠٦  
 ابن عبد الحميد ( احمد بن محمد )  
 ٣١٨  
 ابن عبد ربه ٢٦ ، ١٠٩ ، ١١٢٨  
 ابن عبد السلام ( عز الدين ) ٧٧٢ ،  
 ٨٠٥ ، ٨٠٩  
 ابن عدي ٥٦٦ ، ٥٧٢  
 ابن العربي ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٦٠٥ ،  
 ٨٧٥ ، ٩٣٦  
 ابن العربي ( القاضي ) ٨٠٤  
 ابن أبي الصلت ٩٠٢ ، ٩٠٦  
 ابن صياد ١٧٨  
 ابن طولون ٣٢٦  
 ابن عطا الله ٨٠٨  
 ابن عطية ٤٢٧ ، ٧٨٧  
 ابن عقب ٦٠٥  
 ابن علي ٥٥٨  
 ابن عمر ٣٧٨ ، ٣٨١ ، ٣٨٣ ، ٣٨٥  
 ابن عمر العمى ٥٥٦ ، ٥٧٣  
 ابن العفيف ٨٧٥  
 ابن عمير ١١٦٠  
 ابن العوام ٩٢٠  
 ابن الفارض ٨٧١ ، ٨٧٥  
 ابن الفرس ( المهر ) ١١٤٤  
 أن القرغاني ٩٠٦  
 ابن الفضل ( ابو الحسن ) ١١٤٥  
 ابن فيره ( ابو القاسم ) ٧٨٣  
 ابن القاسم بن وهب ٦٠٧ ، ٨٠٤ ،  
 ٨٠٦ ، ٨٠٧  
 ابن قتيبة ١٠٧٠  
 ابن قسي ٢٨٠ ، ٥٧٦  
 ابن قرمان ( ابو بكر ) ١١٥٤ ، ١١٥٥  
 ابن القصار ( القاضي ابو الحسين )  
 ٨٠٦ ، ٨٢٠  
 ابن كزيون ٤١٢  
 ابن الكلبي ٣ ، ١٧  
 ابن الكماد ٩٠٧  
 ابن اللبان ٨٠٦  
 ابن الليث ٨٠٨  
 ابن لهيعة ( عبدالله ) ٥٦٧ ، ٥٧٢ ،  
 ٥٧٤  
 ابن ماجة ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٥  
 ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٦٢٩  
 ابن مالك ١٠٢٢ ، ١٠٢٩ ، ١٠٥٨ ،  
 ١٠٦٧  
 ابن البشر ٨٠٨  
 ابن مجاهد ٨٣٤  
 ابن محرز التونسي ٨٠٧  
 ابن مرتين ( ابو بكر ) ١١٥٥  
 ابن مراثة ( ملحمته ) ٦٠٢  
 ابن مردنيش ٢٩٢  
 ابن المعتز ١١١٢  
 ابن مسعود ٥٥٦  
 ابن معطي ١٠٥٨  
 ابن معين ( يحيى ) ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ،  
 ٥٦٩ ، ٥٧٠  
 ابن الخيري ٩٧٧  
 ابن المقفع ١١١٢  
 ابن المنذر ٩٠١  
 ابن المهلب ٧٩٤  
 ابن مؤهل ١١٤٢  
 ابن المواز ٨٠٤  
 ابن النبيه ١١١٢  
 ابن نجاح ( ابو داود سليمان ) ٧٨٤  
 ابن النحوي ١١١٤  
 ابن النمر الطرابلسي ٨١٠  
 ابن هارون ٨٠٩  
 ابن هشام ( جمال الدين ) ١٠٢٢

- ١٠٥٨  
 ابن هبيرة ٣٢٦ ، ٤٦٣  
 ابن هاني ١١١٢ ، ١١٢٣  
 ابن هود ٢٩٢  
 ابن الهيثم ٩٠٥  
 ابن يونس ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ١٠٢١  
 ابو ادريس الخولاني ٣٩٢  
 ابو اسحق الاسفرائيني ، انظر :  
 اسفرائيني ( ابو اسحق )  
 ابو اسحق السبيعي ٥٥٦  
 ابو الاسود الدؤلي ١٠٥٧  
 ابو بديل ٦٠١  
 ابو بصرة ٥٦١  
 ابو بكر الصديق ٣٣٩ ، ٣٤٩ ، ٣٦١  
 ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٨٨ ، ٤٠١  
 ٤٠٢ ، ٤٢٠ ، ٤٦٨ ، ٥٨١ ، ٦٢٧  
 ٦٢٨ ، ٦٣٤ ، ٨٦٧ ، ٨٧٦ ، ٨٨٢  
 ابو بكر بن العربي ( القاضي ) ٤٠٦  
 ١٠٤١ ، ١٠٤٢  
 ابو بكر بن زهير ١١٢٨  
 ابو بكر الاسكاف ٥٥٦ ، ٥٥٧  
 ابو بكر بن ابي خنيفة ٥٥٦  
 ابو بكر بن بشرون ٩٧٨  
 ابو بكر بن العربي ٣٨٤  
 ابو بكر بن عياف ٥٥٩  
 ابو حاتم ٥٥٨ ، ٥٦٦ ، ٥٧٣  
 ابو الحسن السلطان ( زناته ) ١٥٥ ،  
 ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ١٠٠٧ ، ١١١٤ ،  
 ١١٦٣  
 ابو الحسن ( محدث ) ٥٥٩  
 ابو حنيفة ( الامام ) ٦٣٥ ، ٧٩٧ ، ٧٩٦  
 ٧٩٩ ، ٨٠٣ ، ٨٠٦ ، ٨١٩  
 ابو حيان التوحيدى ٤  
 ابو جعفر العقيلي ٥٥٨ ، ٥٦٠  
 ابو داود ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩  
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢  
 ٥٩٢ ، ٦٢٨  
 ابو اللداء ٣٩٠  
 ابو زرعة ٥٥٨ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٧٢  
 ابو زكريا يحيى بن ابي حفص ( الامير )  
 ٤٧٨ ، ٥١٩  
 ابو الزناد ٤٦٣  
 ابو سعدي البهراني ، امير زنادة ١١٢٧  
 ابو سعيد ( السلطان ) ٦١٤ ، ٧٠٩  
 ابو سعيد الخدري ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٥٥٦  
 ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥  
 ٥٩٣  
 ابو سفيان بن حرب ٨٢٨  
 ابو السمح ٩٧٨  
 ابو الصديق ٥٦٥  
 ابو الطفيل ٥٥٨ ، ٥٦٨  
 ابو العباس ٦٧٤  
 ابو العباس الموحدي ٤٢٨  
 ابو عبدالله الشيعي ٣٢ ، ٣٦ ، ٥٣٥  
 ٥٩٥  
 ابو عبيد الاجري ٥٦٢  
 ابو عبيد بن مسعود الثقفي ٤٨٩  
 ابو علي القالي البغدادي ١٠٧٠  
 ابو العلاء المري ، انظر المري  
 ابو عمر بن الحاجب ٧٧٣ ، ٨١٧  
 ابو عمر بن الصلاح ٧٩٣  
 ابو عنان ( السلطان ) ٣٢٢ ، ٣٢٣  
 ابو فارس امير المؤمنين عبد العزيز ١٠  
 ابو فراس ١١٠٥  
 ابو القاسم بن عبدالله المهدي ٣٢  
 ابو القاسم الشيعي ٤٥٠  
 ابو قبيصة بن ذؤيب ٥٩٢  
 ابو قدامة ٥٦٧

- أبو قلابة الجرمي ٥٧١  
 أبو كرب تبع الأصغر ١٩  
 أبو محمد بن أبي زيد المالكي ، انظر :  
 المالكي ( أبو محمد بن أبي زيد )  
 أبو مدني ( التميمي ) ٥٨٤  
 أبو مسلم بن خلدون ٩٠٠  
 أبو مسلم الخراساني ٣٥٤ ، ٤٥٦ ، ٥٩٨  
 أبو المعالي امام الحرمين ٨٣٥ ، ٩٠١  
 أبو معشر ٥٩٨  
 أبو موسى الأشعري ٣٦٢ ، ٣٩٠  
 أبو نعيم ٨١١  
 أبو نواس ٣٠٦ ، ١١٠٥  
 أبو الهاشم بن محمد بن الحنفية ٣٥٣  
 أبو هرون الميدي ٥٦٤  
 أبو هريرة ٤٣١ ، ٥٥٦ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٨١١  
 أبو وائل ٥٥٧ ، ٦٢٨  
 أبو الواصل ٥٦٥  
 أبو يحيى زكريا ٥٨٢  
 أبو يعلى الوصلي ٥٥٦ ، ٥٧٢  
 أبو يعقوب المنصور الموحد ٤٥٣ ، ٤٧٦  
 ابيض ( أبو بكر ) ١١٤٠  
 احمد بن حنبل ( الامام ) ٣٠ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٨٠٣ ، ٥٧٠  
 احمد بن عبدالله بن يونس ٥٥٩  
 الاحوص ١١١٥  
 الاخشياب ٥٦٩  
 ادريس ( الامام ) ٣٥٥ ، ٤٠٢ ، ٥١٨ ، ٦٨٣  
 ادريس ( النبي ) ٧٣٤  
 ادريس بن ادريس ٣٧ ، ٣٩  
 ادريس الاكبر ٣٧  
 ادريس الاصغر ٤٠٢  
 ارسطو ٤٥٧ ، ٨٩٢ ، ٩١٠ ، ٩١٦ ، ٩٩٤ ، ٩٩٥ ، ٩٩٩ ، ١١٢٤  
 اردشير ٥٩٨  
 الارموي ( سراج الدين ) ٨١٧  
 الازدقي ٦٢٨  
 الازهر ١٠٦٢  
 اسامة بن زيد الليثي ٥٩٢  
 اسامة بن زيد مسرة ٣٤٩ ، ٣٧٨ ، ٣٨١  
 اسحق بن ابراهيم ٢٤١  
 اسحق ٦٢٢ ، ٦٢٩  
 اسحق الموصلي ٧٦٦  
 اسد بن الفرات ٤٤٩ ، ٨٠٦ ، ٨٠٧  
 اسد بن موسى او اسد السنة ٥٦٤  
 الاسدي سيف بن عمر ١٤  
 اسرائيل الله ١٤  
 اسعد بن كرب ١٧  
 الاسفرايني ( أبو اسحق ) ٨٨٠  
 الاسكندر ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٨٩١ ، ٩١٥  
 اسلم بن سيرة ٧٤٥  
 اسماء ١٩٣  
 اسماعيل بن ابراهيم ٥٧١ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤  
 اسماعيل ( الامام ) ٣٣ ، ٣٥٦ ، ٤٠٢  
 اسماعيل بن جعفر الصادق ٣٥ ، ٣٥٦ ، ٣٥٧  
 اسماعيل القاضي ٣٠ ، ٣١ ، ٨٠٦  
 الأشتر ٤٨٧  
 الأشعث بن قيس ٢٤٢  
 الأشعري ( أبو الحسن ) ٨٣٣ ، ٨٣٤  
 اشهب ٨٠٤ ، ٨٠٦  
 الاصهاني ( أبو الفرج ) ١٠٧٠

- الاسم ٣٤٠  
 الاصمعي ٦٢٨ ، ١١٢٣ ، ١١٢٥  
 الاصمعي ( محاورته مع الرشيد ) ٢٦  
 ١١٢٣  
 الاعشى ٦٢٤ ، ١١٢٢  
 الاعمش ٥٥٧  
 افريد الحكيم ٥٩٨  
 افريقش بن قيس ١٦ ، ١٧  
 الانطس ( فنته ) ٦٢٩  
 افلاطون ٨٩٢ ، ٩٠٢ ، ٩٩٥ ، ٩٩٧  
 اقليمنطس ٤١٢  
 اكمل الدين بن شيخ الحنفية ٦٠٨  
 اللوشي ( ابو عبدالله ) ١١٥٨  
 اليوسى الحكيم ٥٩٩  
 ام حبيبة ٥٥٦  
 ام سلمة ٥٥٦ ، ٥٦٠ ، ٥٦١  
 الامام المصوم ٤٠٦  
 امير الحجاز ٤٠١  
 امرؤ القيس بن حجر ١١٢٢  
 امير مكة ٤٠١  
 الامين ٢٨١ ، ١٠٤٣  
 امية بن ابي الصلت ١٧٨  
 اتامش ٣٢٦  
 انس بن مالك ٣٨٤ ، ٥٥٦ ، ٥٦٩ ، ٥٧٤  
 انو شروان ٥٩٩ ، ٦٧٠  
 اوشير ٤١٢  
 اوسطس ٤١١  
 اوقليدس ٧٣٢ ، ٨٩٢ ، ٩٠٢  
 اوميروس ١١٢٤  
 ايوب الصديق ٤١٢  
 ب  
 البابا ٤٠٨  
 الباجريقي ٦٠٥ ، ٦٠٨  
 الباجي ( ابو الوليد ) ٨٠٤  
 البادسي ( ابو يعقوب ) ٥٨٢  
 باديس المنصور ٥١٩  
 يارس او بيرس بن يهوذا ١٥  
 الباقلائي ( القاضي ابو بكر ) ٣٥ ، ٨٣٥ ، ٨٣٤ ، ٣٤٥  
 باكناك ٣٢٦  
 البتاني ٩٠٧  
 البحتري ١١٠٥ ، ١١٢٣  
 البخاري ( الامام الحافظ محمد بن اسماعيل ) ٤٦٨ ، ٥٦١ ، ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٣ ، ٥٧٧ ، ٥٩٣ ، ٦٢٨ ، ٧٠٢ ، ٧٩٢ ، ٧٩٣ ، ٧٩٤ ، ٧٩٥ ، ٨٢٨  
 بختنصر ١٤ ، ٤١٠ ، ٦٣١  
 بختينسوع ( جبريل ) ٢٨  
 البرادعي ( ابو سعيد ) ٨٠٧  
 البردوي ( سيف الاسلام ) ٨١٨  
 - ( طريقته ) ٨٢١  
 البزاز ( ابو بكر ) ٥٥٦ ، ٥٧٣  
 بزرجمهر ٥٩٩  
 بزهون ١١٦٣  
 البساسيري ٣٤  
 بسطام بن قيس بن شيبان ٢٤٢  
 بنار ١١١٥  
 بشر بن مروان ٥٦٩  
 بشير بن نهيك ٥٧٣  
 البصري ( ابو الحسين ) ٨١٧  
 بطرس ( الرسول ) ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤  
 بطليموس ٧٦ ، ٨٢ ، ٩١ ، ٩٥ ، ١٩٦  
 ١٩٩ ، ٩٠٦ ، ١٠٠٣ ، ١٠٠٤ ، ١٠٠٥

تاوذوسيوس ٩٠٣  
التعالبي ٢٠ ، ٧٨٦ ، ١٠٦٣  
ثعلب ( فصيح ) ١٠٦٣  
توبان ٥٥٦ ، ٥٧١  
الثوري ( سفيان ) ٥٥٧ ، ٥٧٠ ، ٥٧١

## ج

جابر بن حيان ٩٢٤ ، ٩٧٧ ، ٩٩٢  
١٠١١ ، ١٠١٩  
جابر بن عبدالله ٣٨٤  
الجاحظ ١٠٦٦ ، ١٠٧٠  
جالينوس ١٥٠ ، ٩١٨  
الجازية بنت سرحان ١١٢٦  
جبير بن مطعم ٤٣٢  
جراس بن احمد ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩  
٦٠٠

الجرجاني ١٧ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ، ٥٦٦  
جرجس بن العميد ٤١٤  
جريج ٥٧٥ ، ٥٨٠  
جربور ٤٥ ، ١١٠٥ ، ١١١٥  
الجمدي ٨١٠  
جعفر بن يحيى البرمكي ٢٢ ، ٢٤ ،  
٢٣٨ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩  
جعفر بن يحيى ١٠٦٦  
جعفر الصديق او الصادق ( الامام )  
٣٣ ، ٣٥١ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٣٥٧ ،  
٥٩٤ ، ٦٠١

الجنيد ٥٧٦ ، ٨٣٧  
جوهر الصقلي او الصقلي او الكاتب  
٣١٧ ، ٥٣٦ ، ٦٥٢  
الجوهري ١٠٦١

## ح

حاتم بن سعيد ١١٤٢

البطلوسي ( الاعلام ) ١١٣٨ ، ١١٣٩ ، ١١٣٩  
بغا ٣٢٦  
البكري ٥٢ ، ٦٠ ، ٦١٨  
البلخي ( شاذان ) ٥٩٧  
البلقيني ( سراج الدين ) ٨٠٥  
بنيامين ٤١٠

بهرام بن بهرام ٦٤ ، ٥٠٨  
بودان ٣١ ، ٣٠٥  
بوعز او باعز ١٥  
بولس الرسول ٤١٣  
البوني ٩٣٦ ، ٩٣٨ ، ٩٤٠  
البيساني ١١١٢  
البيضاوي ٢ ، ٨١٧ ، ٨٣٧  
البيلي ١٧  
البيهقي ٥٧٤

## ت

تاشفين بن علي بن يوسف ٤٨٨ ،  
٥٩٧  
تامسطينوس ٨٩٢  
تبع الآخر ١٩  
تبع الاصفر ابو كرب ١٩  
النرملي ( الامام ابو عيسى ) ٣٠ ،  
٣٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٥٧ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣  
٥٩٣ ، ٧٩٣  
التفتازاني ( سعد الدين ) ٨٩٤ ،  
١٠٥١

التلفيفي ( ابو البركات ) ١٠١٢  
التوندي ٢٨٧  
توفيل الرومي ٥٩٩  
التوزيري ٥٨٤

## ث

ثابت بن قرة ٩٠٢

- حمزة ٥٧٠  
 الحميري ( السيد ) ٣٥٣  
 حميناذاب بن رام ١٥  
 حنايا ٤١٣ ، ٤١٤  
 حنين بن اسحق ٩٠٢  
 الحوطي ٤٠  
 الحوقلي ٨٩  
 الحوفي ( القاضي ابو القاسم ) ٨١٠  
 ٩٠١  
 العلاج ٨٨١  
 حي بن اخطب ٥٩١
- خ
- الخارجية ١١٠١  
 خالد بن عبدالله القسري ٣٢٦  
 خالد بن حمزة بن عمر ١٠٩٥  
 خالد بن الوليد ٤٣١  
 خالد بن يزيد بن معاوية ٣٥٢  
 خالد المبروس ٢٨٦  
 خديجة ١٥٩  
 الخراز ٧٨٥  
 خزيمة ٢٢٠  
 خشمناي ٦٣٢  
 الخضر ٣٥١  
 الخطام ٤٦٦  
 الخطيب البغدادي ٦١٠  
 خليل بن احمد الفراهيدي ١٠٥٧ ،  
 ١٠٥٩  
 الخوارزمي ( ابو عبد الله ) ٨٩٩  
 الخونجي ( فضل الدين ) ١٠٢٩ ، ٩١٣  
 ١١١٤  
 الخلال ( ابو سلمة ) ٣٥٤
- دارا ٨٩١
- حاجب بن زرارة ٢٤٢  
 الحافظ بن عبد البر ٨٣٢  
 الحاكم ( ابو عبدالله ) ٥٥٦ ، ٥٥٧ ،  
 ٥٦٠ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٨  
 ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٤ ، ٧٩٣  
 حام بن نوح ١٤٣ ، ١٤٤  
 حبيب ، انظر : التنبي  
 الحبيري ٤٨٤  
 الحجاج بن يوسف ٤٨ ، ٥٢ ، ٢٦٥ ،  
 ٣٠٧ ، ٣١٦ ، ٣٢٥ ، ٤٣٢ ، ٤٦٣  
 ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٦٢٦ ، ٧٥٦  
 حذيفة بن بدر ٢٤٦  
 حذيفة بن اليمان ٥٩٢  
 الحراني ٩٦٠  
 حرب بن امية ٧٤٥  
 الحرث بن كلفة ٩١٨  
 الحرث بن مسكين ٨٠٤ ، ٨٠٦ ، ٨٠٨  
 الحرث بن هشام ١٧١  
 الحريري ٦٨٣  
 حسان بن ثابت ٣٧٨ ، ١١١٥  
 حسان بن النعمان ٤٤٩  
 الحسن البصري ٥٧٥ ، ٥٧٦  
 الحسن بن سهل او سهيل ٣١ ، ٣٢ ،  
 ٣٠٥  
 الحسن بن يزيد ٥٦٥  
 الحسن بن علي ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٧٠ ،  
 ٥٥٩ ، ٥٧٠ ، ٥٨٠ ، ٥٨٣  
 الحسين بن علي ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٣٨٥ ،  
 ٤١٠ ، ٤١١  
 حصرون او حصرون بن بارس ١٥  
 الحصين بن نمير السكوني ٦٢٥  
 الخطيئة ١١١٥  
 الحكم بن هشام ٧٦٦  
 حماد بن سلمة ٥١٩ ، ٥٦٤

- الدارقطني ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ،  
 دانيال ٦٤ ، ١٩٧  
 الداني ( أبو عمرو ) ٧٩ ، ٧٨٥ ، ٩٧١  
 داود ( الملك ) ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٦٢٢ ، ٦٣٠  
 داود بن علي ٢٥ ، ٧٩٩  
 داود بن المجبر ٥٧٣  
 الدبوسي ( أبو زيد ) ٨١٦ ، ٨١٧  
 الدجال ٥٥٥ ، ٥٥٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨  
 دعي الزنج ٣٥٥  
 الدينالي ٦٠٧  
 ذ  
 ذو الازعار ١٧ ، ١٩  
 ذوبان الحكيم ٦٠٠  
 الذهبي ( محمد بن يحيى ) ٥٥٨ ،  
 ٥٥٩ ، ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٥٩٢  
 ذي الرمة ( غيلان ) ١١٠٥ ، ١١١٥  
 ذ  
 الرازي ٩١٨  
 رافع بن خديج ٦٣٥  
 الرازي ( أبو حاتم ) ٣٤٧ ، ٥٧٠  
 رباح بن عجلة ١٩٠  
 ربيعة بن نزار ١١٠١  
 ربيعة بن نقر ( رؤيا ) ١٩٠ ، ٥٨٨  
 رستم ١٤ ، ٢٧١ ، ٤٨٣  
 الرشيد ( هارون ) ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ،  
 ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٧ ، ٢٧ ، ٢٤٣ ،  
 ٣١٤ ، ٣٢١ ، ٣٣٦ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ،  
 ٤٠٣ ، ٤٢٣ ، ٤٣٧ ، ٤٦٩ ، ٦٠١ ،  
 ٦١٦ ، ٦٧٠ ، ١٠٤٣ ، ١٠٤٨ ،  
 ١٠٥٧ ، ١٠٧٠ ، ١١٢٣ ، ٣٥٤  
 - وصيته لعلم ولده ١٠٤٣  
 الرضا ( الامام ) ٣٢  
 الرضي ( الشريف ) ٣٥ ، ١١٠٥ ،  
 روجار ٩١  
 ١١١٢  
 روح بن زنياع ٤٧٤  
 الروحي ( أبو القاسم ) ١٠٠٧  
 ز  
 زاذان فرخ ٤٣٢  
 زائدة ٥٥٧  
 الزبيدي ( أبو بكر ) ١٠٦١  
 الزبير ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ،  
 ٣٨١  
 الزبيج ( أبو الحسن ) ١١٤٦  
 الزجاج ( أبو اسحق ) ٧٦٤  
 الزجاج ( أبو القاسم ) ١٠٤٩ ، ١٠٥٧  
 زر بن حبیش ٥٥٧  
 زرياب ٧٦٦  
 الزمخشري ٢٠ ، ٧٨٨ ، ١٠٥٨ ، ١٠٦٢ ،  
 ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٨٧  
 الزهراوي ٩٠٠  
 زهرة بن حوية ٢٢٣  
 الزهري ١٤ ، ٤٣٢ ، ٦٢٨ ، ٧٨٩  
 زهير بن أبي سلمى ١١١٥ ، ١١٢٢  
 الزواوي ( أبو علي ناصر الدين ) ٨٠٩  
 زباد بن أبي سفيان ٣٣٥  
 زبادة الله الاول بن الاغلب ٤٤٩  
 زياد ٤٧٠  
 زيد العمي ٥٦٢ ، ٥٦٣  
 زيد بن ارقم ٣٨٤  
 زيد بن ثابت ٣٦٣  
 زيد بن علي بن الحسين السبط ٣٥٠

- زمن العابدين ٢٥٠  
س  
سارية بن زعيم ١٩٣  
سالم مولى حذيفة ٣٤٤  
السالي ٨٨٨  
سام ١٤٤  
سائب حائر ٧٦٥  
سبا بن يشجب ٦١٥  
السبى ( ابو العباس سيدي احمد )  
٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٩٤٢  
السبكي ٨٠٥  
السجستاني ( ابو داود ) ٧٩٣  
سحنون ٩٠  
سرجون ٤٣٢  
سطيج بن مازن بن غسان ١٨٩ ، ٥٨٨  
سعادة ٥٨٦  
سعد ١٤ ، ٣٦١ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩  
سميد بن ابي مريم ٥٩٢ ، ٥٩٣  
سعد بن ابي وقاص ٣٦٣ ، ٤٠١ ، ٨٩١  
سعد بن عبادة ٣٤٣  
سمد بن عبد الحميد ٥٧٠  
سميد ٣٧٨ ، ٣٧٩  
سميد بن ابي وقاص ٢٢٠  
سميد بن الناص ٢٨١  
سميد بن السيب ٤٣٢ ، ٤٦٣  
السفاح ( الخليفة ) ٢٧٣ ، ٤٠٣ ، ٥٧٠  
سفيان بن امية ٧٤٥  
سفيان الثوري ٢٧  
سقراط الدن ٨٩١  
السكاكي ١٠٦٧  
السكسوي ٥٨٤  
سلطان بن مظفر بن يحيى ١١٢٩  
سلمة ٢١٧  
سلمة بن الاكوع ٢١٦  
سلمون بن نحتون ١٥  
سليمان بن داود ١٥ ، ١٧ ، ٣٤١ ،  
٣٦٠ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩ ، ٤١٢ ، ٤٦١  
٦٢٢ ، ٦٣٠ ، ٦٣١ ، ٦٣٤  
سليمان بن عبد الملك ٥٢٣  
سليمان بن عبيد ٥٦٤  
سليمان سعيد ٤٣٢  
سليمان بن كثير ٣٥٤  
السليمانى ٥٥٩  
سهل بن سعيد ٣٨٤  
سهل بن سلامة الانصاري ٢٨٢  
سهل بن عبد الله ٢٠٧  
سهل بن هارون ١١١٢  
سهل بن نويخت ٥٢  
سهل بن مالك ( ابو الحسن ) ١١٤٢  
١١٤٥ ، ١١٥٦  
السهروردي ٨٦٦  
السهيلي ٥٥٦ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢  
٥٩٨  
سيبويه ١٠٢٢ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٧ ،  
١٠٨٣  
سواد بن قارب ١٧٨  
سيف الدولة ٩٩٥  
ش  
الشاطبي ( ابو القاسم ) ٧٨٤ ، ١١١٤  
الشافعي ( الامام محمد بن ادريس  
المصلي ) ٥٧٤ ، ٦٣٥ ، ٧٦٢ ،  
٧٨٩ ، ٧٩٢ ، ٧٩٩ ، ٨٠٢ ، ٨٠٥  
٨١٦ ، ٨١٩ ، ٩٠١  
شبل بن مسكينة ١١٣١ ، ١١٣٢  
شجاع بن اسلم ( ابو كامل ) ٨٩٩  
شداد بن عاد ٢٠



- شديد بن عاد ٢٠  
 شرع القاضي ٣٩٦  
 الشريف بن هاشم ١١٢٦ ، ١١٢٨  
 الشريف الإدريسي ٨٢  
 الشطبي ( أبو عبد الله سليمان ) ٩٠١  
 الشطبي ( أبو عبد الله سليمان ) ٩٠٩  
 شعيب بن أبي خالد ٥٥٩  
 شق بن أمار بن نزار ١٨٩ ، ٥٨٨  
 الشماخ ٣٨  
 شعويل ٤٠٩  
 الشهاب الخفاجي ٢  
 الشهرستاني ٣٥٧  
 شيبان بن عبد العزيز البتكري ( أبو  
 الدلفاء ) ٤٨٤  
 شيخ الموحدين ٦٧٤  
 شيبه بن عثمان ٦٢٨  
 الشيخين ٥٧٥  
 شيطان ، شياطين ١٦١ ، ١٧٥ ، ١٧٦  
 ١٨٢ ، ٢٥١ ، ٣٣٦ ، ٣٥٩ ، ٤٣١  
 ٦٩٣ ، ٦٩٣
- ص
- الصائب ١١١٢  
 صاحب الدرهم ( المهدي ) ٤٦٤  
 صالح بن الخليل ٥٦٠  
 صالح بن شريف ١٠٦١  
 صالح بن عبد الرحمن ٤٣٢ ، ٤٣٣  
 الصردي ( كتابه في القرائن )  
 صسه بن داهر الهندي ، واضع  
 الشطرنج ٦٠٠  
 الصقلي ( أحمد ) ٤٥٢  
 الصيمري ٣٦  
 صلاح الدين علي أبي يعقوب الموحد  
 ٤٥٣
- صلاح الدين يوسف بن أيوب ٤٥٢ ،  
 ٤٩٧ ، ٦٣٣ ، ٧٧٨ ، ٨٠٥  
 الصيرفي ، أبو بكر ( مدحه لناسفين )  
 ٤٨٨ ، ٤٩٠  
 الضحالك الخارجي ٤٨٤  
 ط
- طالوت ٤٠٩  
 طالوت ( أصحاب ) ٥٦٩  
 طاهر ٢٨١ ، ٢٨٢  
 طاهر بن الحسين ( كتابه لابنه عبد الله )  
 ٥٤١ ، ٥٥٤  
 الطبراني ٥٥٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٢  
 ٥٧٣ ، ٥٧٤  
 الطبري ٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨  
 ٣٠٥ ، ٣٧٩ ، ٤٧٠ ، ٤٨٤ ، ٥٩٠  
 ٦٠١ ، ٧٨٦  
 الطحاري ٧٩٧  
 الطرطوشي ( القاضي أبو بكر ) ٦٦٦  
 ٢٧٤ ، ٤٩١ ، ٤٩٢ ، ٥٧٥  
 طرفه بن العبد ١١١٥ ، ١١٢٢  
 الطنرائي ٩٧٧ ، ١٠١١ ، ١٠١٥ ،  
 ١٠١٨  
 طلحة بن عبد الله ٣٦٣ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨  
 ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٥٥٦  
 طليحة الاسدي ١٧٨  
 الطليطي ( الأعمى ) ١١٣٩  
 الطوسي ( نصر الدين ) ٩١٧ ، ١٠٥١  
 طويس ٧٦٥  
 الطيبي ( شرف الدين ) ٧٨٨  
 طيطش ٦٣٢
- ع
- عاد بن عوض ٢٠  
 عاصم بن أبي النجود ٥٥٧ ، ٥٥٨

- عائسة ام المؤمنين ١٤ ، ١٩٢ ، ٣٧٨ ،  
 ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٩٢٧ ،  
 عبادة القزاز ١١٣٨  
 العباس بن عبد المطلب ٢٣٣ ، ٣٧٦ ،  
 العباس بن علفية ٢٣٣  
 العباسية ٢٢ ، ٢٣  
 عبد الله أبي جعفر الملقب بالنصور  
 ٣٥٤  
 عبد الله بن أحمد بن حنبل ٥٧٢  
 عبد الله بن جحش ٤٠١  
 عبد الله بن الحارثية الملقب بالسفاح  
 ٣٥٣  
 عبد الله بن الحرث بن جزء ٥٥٦ ،  
 ٥٧٢  
 عبد الله بن الزبير ٣٧٥ ، ٤٦٣ ، ٤٧٠ ،  
 عبد الله بن زياد ٥٧٠  
 عبد الله بن سلام ٣٧٨ ، ٧٨٧ ،  
 عبد الله بن عباس ٢٣  
 عبد الله بن العربي ٤٠٦  
 عبد الله بن عمر ٣٧٣  
 عبد الله بن فروخ ٥٩٢ ، ٥٩٣  
 عبد الله بن قلابة ٢١  
 عبد الله بن مروان ٣٦٧  
 عبد الله بن مسعود ٥٥٧ ، ٥٦٥  
 عبد الله المهدي ٣٥٦  
 عبد الله بن جعفر ٧٦٥  
 عبد الله بن الحرث ٥٦١  
 عبد الله بن زياد بن أبيه ٣٢٥  
 عبد الله محمد ( الأمير ) ١١٣٨  
 عبد الله المهدي ٣٢ ، ٤٠٢ ، ٥٩٥  
 عبد الجبار ٨١٧  
 عبد الحق ( القاضي ) ٤٦٧  
 عبد الحق بن سجين ٥٧٦  
 عبد الحميد الكاتب ( رسالته الى  
 الكتاب ) ٤٣٩ - ٤٤٤  
 عبد الرحمن بن أبي حاتم ٥٥٨ ، ٥٦٣  
 عبد الرحمن بن الأشعث ٤٣٣  
 عبد الرحمن بن موف ٣٦٣ ، ٣٧٢  
 عبد الرحمن بن الناصر بن المنصور  
 ٣٣٢  
 عبد الرحمن الداخيل ٣٢١ ، ٣٩٢ ،  
 ٤٠٣ ، ٤٤٩ ، ٥١٨  
 عبد الرزاق بن همام ٥٧١  
 عبد العزيز بن موسى بن نصير ٥٢٣  
 عبد المسيح ٥٨٨  
 عبد المطلب ٣١٧ ، ٥٧٠ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨  
 عبد الملك بن مروان ٥٦٥ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩  
 ٣٧٣ ، ٣٧٨ ، ٣٨٥ ، ٣٨٩ ، ٤٢١  
 ٤٣٢ ، ٤٤٩ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦  
 ٤٧٤ ، ٤٨٢ ، ٥١٥ ، ٦٢٥ ، ٦٧٠  
 عيد منافع ٢٧٦ ، ٣٨٢  
 عيد المؤمن بن علي ٤٠٧ ، ٤٥٢ ، ٦٧٤  
 عبد الوهاب ( القاضي ) ٨٠٦  
 عناب بن بئر ٥٦٥  
 العنابي ١١١٢  
 العتيبي ٨٠٦  
 عثمان بن عفان ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٨  
 ٣٧٢ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١  
 ٣٨٢ ، ٤٦٨ ، ٦٢٧ ، ٨٦٧  
 العجلي ( ياسين ) ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٦  
 ٥٦٧  
 مرفجة بن هرثة ٤٥ ، ٢٢٩ ، ٤٤٨  
 عزرا الكاهن ٤١٢  
 العزيز الفاطمي ٥٥٩  
 عزيز القواني ٢٤١  
 عقيل بن أبي طالب ٤٣٢  
 العقيلي ٥٦٧  
 عكرمة بن عمار ٥٧٠

- علفمة بن عبدة ١١١٥ ، ١١٢٢  
 علي بن أبي طالب ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٥٠  
 ٣٥١ ، ٣٥٢ ، ٣٦١ ، ٣٦٢ ، ٣٦٤  
 ٣٦٨ ، ٣٧٤ ، ٣٧٥ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩  
 ٣٨١ ، ٤٠٢ ، ٤٢١ ، ٤٧٧ ، ٤٨٧  
 ٥٥٦ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨  
 ٥٧٠ ، ٥٧٥ ، ٦٢٨ ، ٧١٨ ، ٨٦٧  
 ٨٧٦ ، ١٠٥٧  
 علي بن أبي طالب (وصيه يوم صفين)  
 ٤٨٧ ، ٤٩٣  
 علي الرضا ٣٥٦ ، ٣٥٧  
 علي بن أبي هزيمة ٥٥٧  
 علي بن زياد اليمامي ٥٦٩  
 علي بن مجاهد ١٠٦٢  
 علي بن موسى الرضا ٢٨١  
 علي بن عمر بن ابراهيم ١١٣٥  
 علي بن موسى بن جعفر الصادق ٣٧٤  
 علي بن المديني ٥٦٩  
 علي بن المؤذن ١١٦٣  
 علي بن نفل ٥٦٠  
 علي زين العابدين ٣٥٤  
 علي الهلالي ٥٥٦  
 العماد الاصبهاني ٤٥٣ ، ١١١٢  
 عمر بن جابر الحضرمي ٥٦٧ ، ٥٧٢  
 عمر بن أبي فيس ٥٥٩  
 عمر بن الخطاب (الخليفة) ٦٣ ، ١٩٢  
 ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٦٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٦  
 ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، ٣٦٠ ، ٣٦١  
 ٣٦٢ ، ٣٧٢ ، ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٧  
 ٣٩٠ ، ٣٩١ ، ٣٩٢ ، ٤٠١ ، ٤٢١  
 ٤٣١ ، ٤٤٨ ، ٤٦٣ ، ٤٦٨ ، ٤٧٧  
 ٤٨٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨  
 ٦٣٢ ، ٦٣٨ ، ٨٧٦ ، ٨٩١ ، ١٠٤٣  
 عمر بن الخطاب ( كتابه في تحديد  
 القضاء ) ٣٩٠  
 عمر السكسيوي ٢٨٤  
 عمر بن الزبير ٤٧٠  
 عمر بن ربد بن علي ٣٥٤  
 عمر بن سعد بن أبي وهاب ٣٢٥  
 عمر بن عبد العزيز ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٥٨٠  
 عمران القطان ٥٦١  
 عمرو بن الماص ٣٣٦ ، ٣٤٩ ، ٣٧٩ ،  
 ٤٠١ ، ٤٢١ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ ، ٤٧٧  
 عمرو بن محمد العنقري ٥٦٩  
 العمري ٢٧  
 العميدي ( طريقة ) ٨٢١  
 عنبسة الوراق ٦٠٢  
 عنبرة ١١١٥ ، ١١٢٢  
 عوج بن عناق ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٦١٤  
 عوف الاعرابي ٥٦٣  
 عوفيد او عوفد ١٥  
 عياض ( القاضي ) ٧٩٥  
 عيسى بن مريم ، المسيح ٣٥١ ، ٤١١  
 ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٥ ، ٥٥٥ ، ٥٧٤  
 ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ ، ٦٣٢  
 ٧٣٧ ، ٩١٨  
 عيسى بن زبد بن علي ٣٥٤  
 عيسى بن عمر ١٠٧٣  
 الفزالي ٨١٦ ، ٨٢٠ ، ٨٣٦ ، ٨٣٧  
 ٨٦٦ ، ٨٦٧ ، ٩٧٧  
 ف  
 الفارابي ( ابو نصر ) ٧٣٨ ، ٨٩٣ ، ٩١٢  
 ٩٩٥ ، ٩٩٩ ، ١٠١٤ ، ١٠٢١  
 فارس بن وردار ( السلطان ) ٣٣٣  
 الفارسي ( ابو علي ) ١٠٤٩ ، ١٠٥٧  
 ١٠٨٧  
 الفاضل البيساني ٤٥٣

- فاطمة الزهراء ٣٥٠ ، ٥٦٠ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢  
 الفاطمي المنتظر ٢٨٣ ، ٥٧٦ ، ٥٧٧ ، ٥٧٨ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٦٠٣ ، ٨٧٦  
 الفسي التميمي ٥٧٤  
 افراهيدي ( خليل بن احمد ) ١٠٥٧ ، ١٠٥٩  
 افرون ٦٨٨ ، ٩٣٣  
 الفرزدق ١١١٥  
 الفرغاني ٨٧١  
 فضالة بن عبيد ٣٧٨  
 فضل بن عيسى ٥٦٣  
 الفضل بن يحيى البرمكي ٢٥ ، ٢٦ ، ١١٠ ، ١١٠ ، ٤٦٩ ، ٧٥٥  
 ق  
 القاسم بن ابي مره ٥٨٥  
 القاسم بن محمد بن ابي بكر ٣٦٤  
 قابس بن مرة بن احمد ٥٨٦  
 قادة ٥٦١  
 قدامة بن مفعون ٣٧٨  
 القديري ٩١  
 القدوري ٣٦  
 القرافي ( شهاب الدين ) ٧٧٣ ، ٨١٧  
 القرشي ( كتابه ) ٨٩٩  
 القرطبي ٧٨٧  
 قرة بن اباس ٥٥٦ ، ٥٧٣  
 القزويني ( جلال الدين ) ١٠٦٧  
 قسطنطين ( القصر ) ٤١٣ ، ٦٣٢  
 القسطلي ١٠٩٠  
 القشيري ( مسلم بن الحجاج ) ٣٩٦  
 ٨٦٧ ، ٨٦٦ ، ٨٦٣ ، ٧٩٢  
 قصي بن كلاب ٦٢٤  
 فطر بن خليفة ٥٥٨ ، ٥٥٩  
 قلاوون ( الملك الناصر بن محمد ) ٥٠٥  
 القيرواني ( بن ابي طالب ) ٨٨٨  
 قيس بن عاصم ٢٤٢  
 قبصر ٤٢٠  
 كافور الاختييدي ٥٢ ، ٢٣٠  
 كثير ١١٠٥  
 الكرمانى ٨٨٧  
 كسرى ٢٤١ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٤٢٠ ، ٤٣١ ، ٤٦٢ ، ٥٨٠ ، ٥٨٨  
 ٥٩٨ ، ٦٢٨ ، ٧٦٨  
 كسرى ( رايته : زركن كاويان ) ٩٣٤  
 كسرى عبد المسيح ١٨٩  
 كمب الاحبار ٢١ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٨٧  
 كمب بن مالك ٣٧٨  
 الكندي ( يعقوب بن اسحق ) ١٥٠ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٩٨ ، ٦٠١  
 الكومي ( عبد السلام ) ٤٢٧  
 كيسان ٣٥١  
 كيكائوس ١٩  
 ل  
 اللحاني ( السلطان ابو يحيى زكريا )  
 ٥٠٥ ، ٨٠٧ ، ١٠٢١  
 ليمان الحكيم ٨٩١  
 لونا ٤١١  
 م  
 الامون ( الخليفة ) ٣٠ ، ٣١ ، ٣٩ ، ٢٨١ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٨ ، ٣٥٧  
 ٣٩٢ ، ٣٥٩ ، ٥٤١ ، ٥٥٤ ، ٥٩٩

- محمد بن مروان المجلي ٥٧٢  
 محمد بن مسلمة ٣٨١  
 محمد بن المتكسر ٥٥٦  
 محمد الباقر ٣٥٠  
 محمد التقي ( الإمام ) ٣٥٧  
 محمد الحبيب ٣٥٦  
 محمد الحسن العسكري ٣٥٧  
 محمد السجاد ٢٣  
 محمد شاه ( السلطان ) ٣٢٣  
 محمد الكتوم ٣٥٦  
 محمد المهدي ( الخليفة ) ٢٣ ، ٢٧  
 المختار بن أبي مبيد ٣٥١  
 المدايني ٤٦٣  
 مدغليس ١١٥٥ ، ١١٥٧  
 المرتضى ( الشريف ) ٣٦  
 مرزبان الغرب ١٤  
 مرقاص او مرقاس ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤  
 مروان بن الحكم ٣٦٥ ، ٣٦٩ ، ٤٧٦  
 ٤٨٤ ، ٩٧٨  
 مروان بن المفيرة ٥٥٩  
 مرة ٥٧٢  
 المزني ( الحافظ ) ٣٠  
 المستظهر العباسي ٤٠٦  
 المستعصم ( الخليفة ) ٦٠١  
 السمنين بن هود ٢٧٥  
 المستنصر الحفصي ٤٧٨ ، ١٠٦٢  
 مسلم ٥٦٣ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١  
 مسلمة ١٨٣  
 مسيلة ١٧٨  
 السمودي ٤ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٧ ، ٢٨  
 ٢٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٦٠ ، ٦٤ ، ٩١  
 ١٤٩ ، ٣٠٥ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٦٢  
 ٣٦٣ ، ٣٦٦ ، ٥٠٨ ، ٦٣٥  
 المسيح ( يسوع ) انظر عيسى بن مريم
- ٧٦٢ ، ٧٩٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٩ ، ٨٠١  
 ٨٠٢ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨١٩ ، ٩٠١  
 مالك بن المرحل ١٠٩٠  
 مالك بن وهيب ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٩٦٥  
 الماوردي ٣٨٨ ، ٤١٨ ، ٤٦٦  
 البرد ١٠٧٠  
 المنيني ١١٠٤ ، ١١٠٧ ، ١١٢٣  
 المثنى بن الصباح ٥٧٤  
 مجاهد ( احد مشاهير القراء ) ٥٧٠ ، ٧٨٣  
 مجاهد العامري ٤٥٠  
 المجريطي ( مسلمة بن احمد شيخ  
 الاندلس ) ٨٩٣ ، ٩٠٠ ، ٩٢٠ ،  
 ٩٢٤ ، ٩٣٠ ، ٩٤١ ، ٩٧٧ ، ٩٨٩  
 ٩٩١ ، ١٠١١ ، ١٠١٩  
 المجوسي ٩١٨  
 محرمه بن نوفل ٤٣٢  
 مطلف الاسود ١١٥٥  
 محمد ( ابن عبدالله ) انظر : النبي محمد  
 محمد بن أبي حسين ١٠٦٢  
 محمد بن أبي الفضل ١١٤٢  
 محمد بن ادريس السافعي ، انظر :  
 السافعي  
 محمد بن اسماعيل ( الإمام ) ٣٥  
 محمد بن تومرت المهدي ٤٧٢  
 محمد بن الحنفية ، انظر : ابن  
 الحنفية ( محمد )  
 محمد بن خالد الجندي ٥٧٤  
 محمد بن سعد ٥٥٧  
 محمد بن سيرين ٨٨٧  
 محمد بن عبد السلام ٧٧٢  
 محمد بن عبد العظيم ١١٥٧  
 محمد بن الفضيل ٥٦٦  
 محمد بن القاسم ٣٥٤

- المنصور بن أبي عامر ٣٣٠ ، ٤٢٦ ،  
 ٧٨٢  
 المنذر ٥٧٠  
 منذر بن ربيعة ٣٩٣  
 المنصور العباسي ( أبو جعفر الخليفة )  
 ٢٣ ، ٢٥ ، ٣٥٤ ، ٣٦٦ ، ٣٧٣ ،  
 ٤٠٣ ، ٤٥٦ ، ٥٧٠ ، ٦٢٧ ، ٨٩٢  
 ٩٠٢  
 منصور بن عكرمة ١٠٧٦  
 منصور صاحب بجاية ٤٦٤  
 المهدي المنتظر ٤٢ ، ٢٧٩ ، ٣٥٧  
 ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤٦٤ ، ٥٥٥ ، ٥٥٦  
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤  
 ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٢  
 ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٩ ، ٥٨٢ ، ٦٠١  
 المهدي العباسي ٣٧٣ ، ٤٠٣ ، ٦٣٧  
 المهدي ( عبيد الله ) ٣٣ ، ٣٥٦ ، ٤٠٢  
 ٥٩٥  
 المهدي ( محمد بن الحسن العسكري  
 الملقب ... ) ٣٥٢  
 مهدي الموحدين ٢٣٤  
 المهدي ( محمد بن تومرت ) ٤٧٢  
 المهلب بن أبي صفرة ٣٢٥  
 المولبدان ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، ١٨٩ ، ٥٠٨  
 ٥٨٨  
 المؤيد العامري ٣٣٢  
 موسى بن عمران ١٥ ، ١٧ ، ٢٣٦ ،  
 ٢٤٨ ، ٣٥٦ ، ٤٠٩ ، ٦٢٩ ، ٦٣٠  
 ٩٢٤ ، ٩٢٧ ، ٩٣٣  
 موسى بن صالح ( من كهان البربر )  
 ٥٨٨  
 موسى بن نصير ٦٠ ، ٣٢٦  
 موسى الكاظم ٣٥٦ ، ٣٥٧  
 ملاك ، ملائكة ١٦١
- المستدالي ( أبو علي ناصر الدين ) ٧٧٣  
 المستدالي ( عمران ) ٧٧٣  
 مصعب بن الزبير ٤٦٣  
 المضاض بن جرهيم ٦٢٤  
 مطر الوراق ٥٦٤  
 مطرف بن طريف ٥٥٩ ، ٥٦٠  
 المظفر بن هود ٢٧٥  
 معاوية بن أبي سفيان ٢١ ، ٣٦٠ ،  
 ٣٦٤ ، ٣٦٥ ، ٣٦٨ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣  
 ٣٧٤ ، ٣٧٨ ، ٣٧٩ ، ٣٨٥ ، ٤٢١  
 ٤٤٨ ، ٤٤٩ ، ٤٦١ ، ٤٧٠ ، ٤٧٦  
 ٥١٥ ، ٥٨٠  
 معاوية بن حديج ٣٧٩ ، ٤٤٩  
 معبد ٧٦٥  
 المعتز بن التوكل ٢٩  
 المنصم ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٠٩ ، ٣٥٥  
 ٣٩٢  
 المنصم بن صمادح ١١٣٨  
 المنضد ( الخليفة العباسي ) ٢٧٤  
 المري ( أبو العلاء ) ١١٠٤ ، ١١٠٧  
 المعز لدين الله ٥٣٦  
 معز الدولة ٢٨٩  
 المغيرة بن شعبة ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٤٠١  
 المغربي ١٠١١  
 المعلم الاول ٨٩٢ ، ٨٩٣ ، ٩١٠ ، ٩٢١  
 ٩٦٥ — انظر ايضا : ارسطو  
 المتندر العباسي ٦٠٧  
 المتداد ٣٦٣  
 مقدم بن معافر القبريري ١١٣٨  
 المقرئ ( أبو الحسن ) ١١٥٤  
 المكتوم ( الامام ) ٣٦  
 مكفولة أبو اسحق ابن السلطان ابي  
 بجى ١١٢٢  
 الملبي ( القاضي أبو الحسن ) ٧٠٩

ميسرة المظفري ٦٥٩  
ميلاوش ٧٣٢

## ن

النايفة الديباني ١١١٥  
الناصر الاطروش ٣٥٥  
الناصر محمد بن الامير عبدالله ٤٠٣  
ناصر الدين ( الشيخ ) ٨٠٩  
الناصر لدين الله ( محمد الاموي )  
٤٠٣

النبي العربي ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٦١ ،  
١٦٣ ، ١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٨٧ ، ٣٤٥ ،  
٣٤٩ ، ٣٦٢ ، ٣٧٠ ، ٣٧٦ ،  
٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨٥ ، ٣٩٤ ، ٤٠١ ،  
٤٠٨ ، ٤٥٨ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٧٧ ،  
٥٣٧ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٧ ، ٥٧١ ،  
٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٥٧٥ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ،  
٥٩١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٨ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ،  
٦٣٥ ، ٦٧٥ ، ٧٣٧ ، ٧٨٠ ، ٧٨١ ،  
٧٨٢ ، ٧٨٥ ، ٧٩٨ ، ٨٠١ ،  
٨٠٢ ، ٨١٢ ، ٨٢٨ ، ٨٣٤ ، ٨٨٢ ،  
٨٨٣ ، ٩١٩ ، ٩١٢ ، ١١٢٢

النجم الاسرائيلي ٨٧٥  
نخشون بن عمينوذب ١٥

النخعي ٦٢٨  
النسائي ( ابو حاتم ) ٥٥٨ ، ٥٦٢ ،  
٥٦٩

النسائي ( ابو عبد الرحمن ) ٧٩٣  
النسيبي ( ابو اسحق ) ٥٥٩ ، ٨٢١  
نشاط الفارسي ٧٦٥  
نصر بن سيار ٣٢٦  
نصيب ١١١٥  
نظام الملك ٥٩٧  
النعمان ٢٤٢

النعمان بن بشير ٣٧٨ ، ٣٧٩  
النفس الزكية ( يحيى بن عبد الله )  
٣٥٥ ، ٣٥٤ ، ٣٥  
نوح ٣٥ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ٣٠١  
النوشري ( عيسى ) ٣٣  
النوي ( محي الدين ) ٧٩٢ ، ٧٩٥ ،  
٨٠٥  
نيرون ٤١٣

## هـ

هاجر ٦٢٣  
الهادي ( الخليفة ) ٣٨ ، ٤٠٣  
هاروت وماروت ٨٩٠  
هارون ٣٥٦ ، ٤٠٩ ، ٦٣٠  
هامان ( قصة ) ٤١٢  
هرقل ١٦١ ، ١٦٢ ، ٢٧٨ ، ٤١٤ ،  
٦٧٠ ، ٨٢٨  
هرمز ٥٩٨  
هرمس ٦٦ ، ٧٣٤ ، ٩٤٣  
هرون بن الفيرة ٥٥٩  
هرون بن سعيد العجلي ٥٩٤  
الهرودي ٨٧٥  
هشام ٣٣٢  
هشام بن عبد الملك ٦٥٩  
هشام المؤيد ١٠٦١  
هشام محمد بن عبد الجبار بن الناصر  
الاموي ٣٣٢  
الهوسني ٦٠٤  
الهوريني ( نصر ) ٢  
هلاكو ( هولكو ) ٦٠١  
هلال بن عمر ٥٥٩ ، ٥٦٠  
هيرودوس ٤١٠ ، ٤١١  
هيلانة ( الملكة ) ٦٣٢

يزيد بن زياد ٥٦٥  
 يزيد بن زريع ٥٦٢  
 يزيد بن عبد الملك ٤٦٣  
 يزيد بن معاوية ٣٦٥ ، ٣٧٢ ، ٣٧٥  
 ٢٨٢ ، ٣٨٣ ، ٣٨٤ ، ٦٢٥  
 يزددجرد ٢٨٦ ، ٩٤٣  
 يستأسف ١٧ ، ١٩  
 اليشكري ( أبو اللفاء نسيان بن عبد  
 العزيز ) ٤٨٤  
 اليشكري ( رجاء بن أبي رجاء ) ٥٧٣  
 يعلى بن منبه ٣٦٣  
 يعقوب بن أبي اسحق ١٥ ، ٢٤١  
 يعقوب بن أبي شيبة ٥٧٠  
 يعقوب بن سفيان ٥٥٨  
 يعقوب بن عبد الحق ٤٧٨  
 يضرأسن بن زيان ٢٣٣ ، ٤٧٨  
 يهوذا بن يعقوب ١٥ ، ٢٣٦  
 يوحنا بن زبدي ٤١١ ، ٤١٣  
 يوسف الصديق ٢٢٤ ، ٢٤١ ، ٨٨٢  
 يوسف بن تاشفين ٤٠٥  
 يوسف بن الحجاج ٩٠٢  
 يوسف بن يعقوب ( السلطان ) ٥٨٤ ،  
 ٥٨٥  
 يوسف بن عبد المؤمن ٤٥٢  
 يوسف ٢٣٦ ، ٤٠٩

## 3

الوائق ١٣٧ ، ٢٧٣  
 واصل بن عطاء ٣٥٠  
 الواقدي ( محمد بن عمر ) ٣ ، ٢٧٨ ،  
 ٧٨٦  
 وصيف ٣٢٦  
 وكيع بن الجراح ٥٦٧  
 الوليد بن عبد الملك ٣١٤ ، ٦٢٧ ،  
 ٦٣٣ ، ٧٢٩  
 الوليد بن عقبة ٣٨١  
 وهب بن المنبه ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٧٨٧

## ي

ياسر ١٧  
 ياسر بن اخطلب ٥٩١  
 يافث ١٤٦  
 يثرب بن مهلائل ٦٣٤  
 يحيى بن اكثم ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٦٢  
 يحيى بن بقي ، انظر : ابن بقي ( يحيى )  
 يحيى بن خالد البرمكي ٢٤ ، ٣١٤ ،  
 ٤٦٩ ، ٦١٦  
 يحيى بن مبدالله ٢٥  
 يحيى بن معين ٥٦٦ ، ٥٧٣ ، ٥٧٤  
 يحيى القطان ٥٥٨



### ٣- فهرس لغة ابن جلدون

#### للمجلد الاول : القائمة

|                                     |                                  |
|-------------------------------------|----------------------------------|
| الاجتماع الانساني : الاجتماع البشري | ١                                |
| والعمراني ٥٧ ، ٦٢                   | اتوه طاعنهم ٣٨                   |
| اجرى الامور على مسنقر العادة ٢٨١    | كد ١٠٦٣                          |
| اجلى للمعى ٣٩١                      | انسوا ب : تمثلوا ب ٣٢            |
| اجلى الجيبة : واسمها ٥٦١            | ابانات : صرفوا اعطيات العساكر فى |
| الاحاديث الملفقة ٣٣                 | اباناتها ٤٣٠                     |
| احالته الايام من الاحوال ٤          | اباية الناس ٦٩٨                  |
| احازوا مراتب الدولة عن سواهم ٢٤     | ابتدعوا الدسائس ٣                |
| احتجناهم اموال الجباية ٢٤           | الابندال والننزل ٣٧١             |
| احتلدى منه بالنزال ٤                | ابتزوا الروم ملكهم ٨٩٢           |
| احتف به : حف ٩٧ ، ١٣٠               | ابدى : اشد بداوة ، وهو افعل      |
| احتف بهذا العهد ٣٩٦                 | التفضيل من فعل بدا اي خرج الى    |
| احتفر الارض ٩١                      | البادية ٢٧٩                      |
| احسن ديباجه ١١١٥                    | ابدمر السكان : تفرقوا ٢٦٤ ، ٧٧٨  |
| احسن الناس صنعة ١٠١٢                | الابرز الخالص ٣٧                 |
| الاحدية ٨٧١                         | ابصر بالكر والخديعة ٦٦٣          |
| احضر : فلم يكن على وجه الارض        | الابلية : فاسموا بني العباس شق   |
| لهذا العهد ... من اهل الشام         | ٣٤                               |
| ومصر ٦٥٨                            | ابلى : تبلىنا الايام والوقوت ١   |
| احقدوا الخاصة ٢٥                    | اتعدده ٣٨٣                       |
| احل حراما ٣٩٠                       | انارة الارض : فلحها : ٧٢٣        |
| اخبار ٢                             | انافى القدر ٢٦٣                  |
| اختلط الرعى بالهمل واللباد ،        | الابيات ٤                        |
| بالتنشر والصادق بالكاذب ٤٦          | الانخان : عظم ... فيهم ٢٩٠       |
| اخذهم به عوائد السوء ٢١٥            | انربعد عين ٧٧٤                   |
| الاخرية : المصالح ... والدنيوية     | الانثينية ٨٧٧                    |

- ٢٢٨  
 أخسر بها صفقة ١٩١  
 الاخطار : ركبوا اعتاق ٣٥  
 اخلوا بالمذاهب المعروفة والعوائد  
 اخلق : اضاع : اخلقتهم مذاهب  
 الترف ٢٤٤  
 ادار الارزاق بينهم : وزعها ٣١٢  
 اداهم الي : اقتادهم ١٤٦  
 ادثر : يدثر البيت ٢٤١  
 ادراك صرف ١٦٧  
 ادال : يدلون منهم سواء ٢٤٠  
 الادراك الفيبى ١٩٨  
 م القومي ٨٦٠  
 ادرجت الكتاب والثوب : طويته ١٨٩  
 ادل به يدل بالشيء : وثق به وامتز  
 ٢٨٩ ، ٢٢١  
 ادم ، آدم ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٥٣ ، ١٥٥  
 ٦٤٦ ، ٢٢٧  
 ادهان : فشى ٢٨  
 ادون منه حالا ٢٢٨  
 ادى ذلك كمة ملحه ٣٨١  
 اديانهم : عاداتهم : عاد البربر الى ٦٦٠  
 اديم : جلد ٢٤٣  
 اذكاء العميون في طلبهم ٣٣  
 اذكوا عليه العميون ٣٨  
 اذهب عنه الرجس ٤١  
 اذهبوا من القوائد ٥  
 - اذهب المنفعة عنهم ٢٢٠  
 - خلة الحجابة ٤٢٨  
 ارتاف : لهم وطن يرتافون منه  
 يمشون منه ٢٥٤ وراف البدوي  
 يريف ، اذا اى الريف  
 ارتاض بخلقه ٣٨٠  
 ارتكس ١٠٤٣  
 ارثه من بعده ٢٩٦  
 ارجاف : كثر الارجاف ١٠٠٧  
 الارذلون من سفهاء القبائل ٢٨٤  
 ارسف ميني ١١١٥  
 ارقاع الخلقان ٢٧  
 اركبهم صعبا ١٠٢٩  
 ارفع النعيم او البداوة من حدهم  
 ٢٤٣ ، ٢٥٦  
 ازدرع الارض ٧٢٣  
 ازرى بنا الفلف ٥٨٥  
 اند ٦٢١  
 الازهر : من فيه بياض من الناس  
 ١٠٦٢  
 الازودة والعلفة ١٨ ، ٢٠  
 اسى البرج ٢٠٥  
 الاس الكبير ٢٠٥  
 اسام في مراتع الكلب لسانه ١٦  
 استبحر مصر ٦٤٦  
 استبشع ١٩٠ ، ٨٧٧  
 استبلافا في منازع الملك ٤٠٧  
 استبكاك الصحب ١١٠٠  
 استبصروا في امرهم ٢٧٨  
 الاستبعا ٢٤٠  
 استجد مصر شبابه ٦٥٤  
 استحضر رسول الله ٣٦١  
 استلاء الفراغ ٧٦٥  
 استحكام الصنائع ٤٣٦  
 - صيغة الاستبداد ٢٧٥  
 استخراج الاموال ٤٣٤  
 استحكمت فيهم عوائد التوحش ٣٦٣  
 - الغيب ١٩٥ ، ١٩٩  
 استخفوا هذا القول ٨٧٧  
 استخلص الاموال : صادرها ٤٢٧  
 استخلاف ٢٦٠ ، ٣٣٩ ، ٨٣٩

- اسندام على ذلك : داوم ١٥٦  
 استراب في تصديقها ١٠١٣  
 استرقوا العبدان والموالي ٥٣٧  
 استظفروا على أمرهم ب ٢٧٤  
 استجمعت صحفهم : أصبحت مبهمة  
 ■  
 اسعدى الناس الحكام ٢٨٢  
 اسمعصاء ٢٢٥  
 استنظام الدولة ٤٢٧  
 استغضب ٢٢  
 استغلظ أمر الحاجب ٤٣٤  
 استغلقت على متصفحتها ٧٥٧  
 استغلوا منحا ٧٩٤  
 الاستقبالية : الكائنات ٩٤٢  
 استقرىء فيهم من الحكم والانتقياد  
 والإتباع لرئيس ٧٢  
 استفحال الدولة ٣٨٠  
 استفرغ وسعه في ٣١١  
 استكبر القدماء علم التاريخ ٤٦  
 استكفوا بهم ٤٣٤  
 استمكنت فيها الحضارة ٤٢٧  
 استنامة صاحب السلطان اليه ٤٣٨  
 استنكف الخليفة من ذلك ٢٧ ، ٢٨٠  
 استهوا الربح على الكفر ٤٥٤  
 استهلكه : ناوله سما استهلكه به ٢٨  
 استوصلوا بالإتباع من الموالى والشيع  
 والاحلاف ٦٧٣  
 استئلاف المصائب ٤٢٢  
 استيحاشا من التخائل ٢٢٥  
 استيقن أمرا ٣٥  
 — أنه بمعزل من ذلك ٤٢  
 اسجل القضاة بنفيهم ٣٦  
 اسداء في الطول والحاما في العرض  
 ٧٣٣
- اسر : اسرها في نفسه ٢٦  
 اسرب يسرب : سكة يسربونها في  
 الناس ١٠١٢  
 اسرع اليها العفن ٦١٨  
 اسفب : عيش ٣٦١  
 اسف منهم من اسف الى ... دنا  
 ٤٤٧  
 الاسلوب : الموال تنسج فيه التراكيب  
 ١٠٩٩  
 الاسماي : الكمال ٩٤٠  
 اسن ١١٤٢  
 اشتهرت اسرار السلطان ٤٢٢  
 اشتمل عليه ٢٨  
 اشيج : امتد ورشح : اقتلاع العروق  
 قبل ان تشج منهم ٣٩  
 اشنفت غريزة الترف من مائهم ٢٥٦  
 اشقل : لا يشتقل بما ٣١  
 اشرف من ١٠٦٣  
 اشرف على الغاية من الملك ٣٧٤  
 اشم الانف : مرتفع الانف ٥٦١  
 الاشهب : من فيه بياض من الخيل  
 ١٠٦٢  
 اصبر على الحرب ٣٠٠  
 اصح مبنى ٢٥١  
 اصطفاء ١٩٤  
 — البله ١٩٤  
 الاصطباغ ٣٢٦  
 اصطم الامر ٣٧٤  
 اصفاق : الموافقة : اوده طاعتهم عن  
 رضى واصفاق ٢٨  
 اصفى رونقا ١١١٥  
 اصطفاء ١٩٤  
 اصل ٨١٥  
 الاسم : العدد الذي لا يكون مصرحا

- به ٨٩٧  
 أصهر الى موالى الاعاجم ٢٣  
 اضطفونوا عليه ٣١٢ ، ٣٢٥  
 اضطفات الاحلام ٨٤٣  
 اضمحل نسبه الاقدم ٢٣٨  
 اطرق براسه ٣٦٧  
 اطمأن وتطامن البيان : انخفض ٣٨  
 الاظفار ، جمع ظفر : المرضع  
 اظفار ١٠٨٠  
 اهتراض الجند اى عرضه ٣١٢  
 اعتمار العالم : ما اراده الله من ٧١  
 الاعتمار : التمشيش ١٤٦ ، ٢٦٠  
 الاعتمال من تحصيل المعاش ٦٧  
 - اعتمالهم في ضروريات العيش  
 ٦٤٣  
 اعتور : تمتورنا الاجيال ١  
 اعتياص عن الفهم ١٠٠٧  
 اعتيام الاخطار ١٠١٣  
 اعترا : هدايا ٦٦  
 اعتز عليه البحث ٦٢  
 اعجز الله ان يؤخر ٥٩٠  
 اعدل تثقيفا ١١١٥  
 اعرس امراسا بالمرأة ، دخل بها ٣٠٥  
 اعرق في البداوة ٢٤٣ ، في الوهم ٢٠  
 اعصوب عليه ٣٦٤ ، ٦٧٣  
 اعطاء الصفقة ٣٢٩  
 اعطفهم مواطني الرحم ٢٥  
 اعلم بغيبه واحلم ١٤٧  
 اصنق الاخطار : ركبوا ٣٥  
 اهن له ٧٣١  
 اقبط السمن : أكثر من استعماله ١٥١  
 اقصوا اهل الولاية ٢٥  
 الاغفال ٢  
 اغلب له ٢٤٤
- الاغمار ٤٠٧ ، ٥٨٣  
 الاغمض ٨٧١  
 افاضوا العطاء في رجالهم ٢٤  
 افاء على الأمة ظلالة ١٠  
 الاناعيل .. تفعل ... المطلوبة ١٠١٦  
 الاناويه ٩٧  
 افلت عليه : خرج ، خالف ٣٨٨ ، ٤٤٨  
 افحشوا في القتل والتحريق ٤١٠ ،  
 ١٠٦٣  
 افترقة : يفترق ... نانية ١٠٥  
 افراط الاختصار : جاؤوا ب ٥  
 الافن والعصف : تنزه عن ٣٧  
 افن عقول من خلف ٤٠  
 اقامة الحق : ياخذون انفسهم ب  
 ٢٨٣  
 - الحدود ٣٤٢  
 اقبل على الدنيا ٢١٥  
 اقتدر على نفسه ٦٧٩  
 - وما اقتدر فيه الفرس ٣١٣  
 اقدر على معاناة الشدائد ٣٠٠  
 الاقتراع ٦٦٣  
 اقزع في اقوال الفحشاء ٢١٥  
 اقعد : اكفا ٣٧  
 الاقتفاء : التقليد ٢٤٠  
 اقصروا عن ذلك ٢٤٨  
 الاقيش ١٠٧٨  
 اقنى الانف ٥٦١  
 اكترى ضرورة ٧١٩  
 الاكرة ١٠٧٩  
 الاكسير ٩٧٦  
 اكل الدهر عليه وشرب ٢٥٦  
 الاكمه ٤١١  
 البسم الله النل ٣٦٧  
 التقم لدي الشاة ١٥٦

- الح القبط التمديد ١٤٤  
 الف : صار لهم ٢٢٧  
 الفقيت عليهم سماءهم ٢٦  
 الفز عليهم ٦٠٨  
 الاماع الي ٨  
 الامام : القانون ٩١٤  
 الامراء ٦٨١ ، ١١٠٨ : يجف الضرع  
 اذا ترك امتراؤه  
 امتن عليه ٨٤٧  
 امكن سواهم منهم ٣٦٦  
 املاح الماء : صار ملحا بعد ان كان  
 عذبا ٢١٣  
 الاملاق : يتابعون في .. والخصاصة  
 ٦٦٣  
 الاملح من الغنم : ما فيه بياض ١٠٦٢  
 الاملاك : النكاح والتزويج ٣٠٥  
 - شهد املاكة : حفل زواجه  
 - املاكة امرأة : زوجه اياها ٣٠٥  
 امهاء الصلب ٩٧٦ ، ١٠١٥  
 الاناسي : الناس ١٤٣  
 الانبساط ٦٨١ - انبسط الجباه  
 عندهم ٢٤  
 انبت : اعطى ١٣١  
 انتيد ١٠٣٤  
 انتيه ذات ليلة : افاق ٣٠  
 انتحال المذهب ٨٠١  
 انتحل : احترف ٢١٠  
 انتقش الاسلوب فيها ١١٠٦  
 الانتشاء ١١٠٦  
 انجلب منه : خرج ١٣١  
 انسحب عليهم حكم الامارة : ساس  
 عليهم ٦٨٤  
 الانسلاخ : الانخطاف ١٧٠ ، ١٧٥  
 - استعداد للانسلاخ ٨٤٦
- انخناس ، انخنس : تأخر واتقبض  
 وتختلف ١٨١ ، ١٨٢ ، ٨٨٣  
 انتهاب : العرب اهل ... وعيث ٢٦٢  
 ٢٦٣  
 انتصف من الناس ٧٠٥  
 انطمس فكره ١٠٣٢  
 انتهاب الزرع والتمم ١٩  
 انحسر الماء : انكشف ٧٤  
 اندرجت في محفوظاتهم ٤٥  
 الانتهاض : القيام بالامر ٢٤٣  
 انزال الناس منازلهم ٢٥٣  
 انفساح الاعمال ٧٤٥  
 انفسحت احواله في الرف والعوائد  
 ٦٥٥  
 انفكك : انفصال ٦٧٠  
 انفلت من صلاة الفداة ٨٨٣  
 انقطعت منهم اجيال : مضت وانقضت  
 ٢٦٨  
 انسرح في النفس ٨٨٧  
 انمحي رسم الخلافة ٢٦٨  
 انقلب انقلابه اخرى ٤٧  
 اهتضام الدولة ٣٢٥  
 اتكى عليهم من وقع السهام ٣٩  
 اهل الاثر ٥٨٩  
 - الاصطناع ٢٢٧  
 - الحدتان ٢٠٤ ، ٢٥٣  
 - جلدته ٨٠١  
 - الاجتماع ٨٠٢  
 - البطالة ٣٦٥  
 - الحل والعقد ٣٧٣  
 - اللدوق ، هم الذين يتباح لهم ان  
 يذوقوا حلاوة المعرفة ١٩٣  
 - الراي ٨٠١  
 - الرسوخ ٢٠٣

- ٢٨٨  
 ايثار : خصمهم بمزيد التكرمة و ...  
 ٣٢٥  
 الايجاب الذاتي ١٦٤  
 الايامى ٣٩٢  
 ايمان البيعة ٣٧٠  
 الايهامات والتخيلات ٢٠٧  
 ب  
 باء بانه ٤١  
 باشره : استنكف ان يباشره ٨٢٦  
 باكر الاسواق ١٤٩  
 بخش : ابغاش ٧٥٨  
 بدن : كثر لحمه ، اصبح جسيما ٤٦١  
 بدرة ، جمع بدر : الدنانير ٣٠٦  
 بدلت الارض فيه غير الارض ٢٦٥  
 البربره ١٧  
 البربط ( من الات الور ) ٧٥٩  
 برج عن الباب ٤٤٦  
 البردة : التخمة : اصل كل داء البردة  
 ٧٣٩  
 البرزخ : ١٧٠ ، ٨٥٧ ، ٨٥٨  
 البرنامج ٨٠٨  
 برش الجلود ١٤٤  
 بساط الحال : مقتضى الحال ١٠٧٣  
 البسطة : يتمتعون في ما اتاهم الله  
 من ... ٢٤٧  
 بصير ، بصراء ، خبير ، فنان ٤٤٨  
 بضاض ١٤٥  
 بصره بوقائع الكلام ١٠٤٤  
 البطالة : الهزل : اهل ... ٣٦٥  
 بطان : تروح ... ممثلة شعبا وريا  
 ٦٤٥  
 بطن .. استتر ١٩٣  
 اهل الرياضة السحرية ١٩١  
 - الرياضات ١٨٣  
 - الريب ٤٤٥  
 - السروات ٦٧٤  
 - السفه ٣٩٢  
 - الشوكة ٧٠١  
 - العافية والصون : انطلقت ايدي  
 الزمرة على ... ٢٨٢  
 - غيبة من الحس ٨٨١  
 - الكتاب ٤٢١  
 - الكشف ١٨٦  
 - الغلب ٣٧٣  
 اهواء انفاقية ١٩٦  
 او ب ٦٣٥  
 اوثق برهانا ٢٥١  
 الاوج ٩٠٧  
 اوراق مخرقة ٧٠٢  
 اورد عليهم الخبر ٨٧  
 اوزع السكر : والله يوزعنا شكر  
 نعمته ١١  
 اوسع القول فيه ٨١٦  
 - اوسعوا مذهبه استهجانا وانتكرا  
 ٨٠١  
 اوشاب ٦٧٣  
 اوشج : كانت عروقتها اوشج ٣٢٥  
 اوضاع تحكيمية ١٩٦  
 اعمار الجبال ٢٦٢  
 اوعب : اوعبها للخطوط ٤٢٨  
 - بيانا ٦٦  
 - لها واكمل ٧١٣  
 الاوفاد ٦٧٣  
 اوغل في القفاء ٢١٣  
 - في البلعة ٨٥٦  
 الاولى : الاستحسان : طريق ...

- تأدى من ذلك : نتج ١٩٥  
 تأتى ١٠٦٠  
 تاذن : ... الله باتقراض الحكم ٢٥٢  
 ٢٥٧ ، ٢٥٤  
 - الله بامرہ ٢٩٦ ، تاذن الله  
 بحريهم ٣٦٦ - تاذن الله باتقراض  
 الامر ٢٨٦  
 - تاذنت بالخراب ٦٦٤ ، ٦٦٥  
 التانس والتوحش ٥٧  
 تبجح السلطان والدولة : تمكن فسي  
 المقام والحلول ٨٩٢  
 تتادى : تقول ٦٥٣  
 التثاؤب ١٩٨  
 التثريب والتعبير ٤٣  
 تجاسر عليها من يجاورها من الدول  
 ٢٩٨  
 تجافى من الهجوع ٢١٩  
 تجافى عن ذلك ٤٠٣  
 - عن اموال الناس ٦٦٧  
 تجرحا من افتراق الكلية ٤١٥  
 التجسيم ٤٠٦ ، ٨٣١  
 تجلة ٢٣٤  
 - اصحاب ... ٥٨  
 التجنيس بين الالفاظ ١٠٦٦  
 تجوزت به العرب من المجاز ١٠٦٢  
 تحامى الاحتراف بهله الحرفة ٧٠٦  
 - عصية بتحاماه السلطان ٦٥٦  
 التحليل ٦٦٥ ، ٧١١  
 تحتت قلبه ٩٢٨  
 التحدي ١٦٣  
 تحرز من ٨٢٣  
 تحسس : قام يتحسس الاناء ٣٠  
 تحصلوا في ملكة العرب ٢٦١  
 تحككة : اوضاع ... ١٦٦
- الجمع ٩٢٨  
 الباجون : صنف من السحرة فسي  
 المغرب ٩٣٠  
 البعداء : البعيدون ٣٩٤  
 بعيد من التحقيق ١٨٠  
 البكر : اوتات ... ١١٠٦  
 بك الناس بعضهم بعضا اي تدافعوا  
 ٦٢٨  
 بلغ مبالغه من الاحكام والاتقان ٧٤٥  
 بلفة من المعاش ٢١١ ، ١٠٢١  
 العلقم ٧٤٠  
 بلى الدولة ٧٢١  
 بليد الطبع والعقل ٤  
 البهت : الكلب ١٤٢  
 البلادة ١٥٢  
 بهلول ، بهاليل : السيد الجامع لكل  
 خبر ١٩٣  
 بهتان وفرية عليه ٣٠ - ٣١  
 بون ما بين العلم والظن واليقين ٤٢  
 بيانا : قتله ... ٥٨٤  
 بيتوه : اوقعوا به ليلا ٢٨٢  
 البيضة : حوزة كل شيء : حماية ..  
 ٣٩١  
 البيعة : العهد على الطاعة ٣٧٠
- 
- التأثير النجومية ١٩٥  
 تانى : حصل ٧٥٩  
 تائل ٦٤٤  
 - امره وترسخ ٢٩٣  
 تائل كسبا ٦٥٠ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٥٥  
 تائم : التائم مدفوع عن الكل ٣٧٨  
 - دفع ... عن كل من الفريقين ٣٧٩  
 تادى اليهم : بلغهم ٣٩ ، ١٠٥٩

- تحكيم النظر والبصيرة في الاخبار ١٣  
 تحيزوا الى مراكزهم ٢٨٦  
 تحيف الطامعون الامم وذهب باهل  
 الجيل ٥٣  
 تحيفه البدو ٤٥٢  
 تحيل في اهلاكه بالسموم ٣٩  
 تحين : يتحينون ذلك على غير نسبة  
 ٥٨٣  
 التخائب والكيد : يوصفون با ...  
 ١٠٤٣  
 التختم ٦٧٣  
 التخرقة ٦٩٠  
 تخطيط : تخاطيط ٧٦٠  
 تخلف ١٠٠٤  
 التخليص ٣٩٩  
 تخير لها من سائر الطبقات ٤٢٣  
 التدرج ١٦٧  
 التذامر : الحز على القتال ٢٧١  
 تداغت القلوب الى اهواء الباطل  
 ٢٧٧  
 تربص به الدوائر ٣٢٥  
 ترتكب الاموص والابعث ترتكب ١٠١٨  
 الترقيب والترهيب ٢٢٢  
 الترف مفسدة للخلق ٢٩٩  
 ترهيب : الترهيب والترغيب ٢٢٢  
 التروك ٨٦٥  
 التساكن ٦٧  
 تساوق بذلك فعل الدافعة ٧٣٥  
 تسخت ارواحهم : سخت ١٤٨  
 تسنحوا اليهم الهضاب ٢٦٢  
 - معالي الامور ٣٦٧  
 تشاحوا ٧٢٨  
 - الحدود ٧٣٠  
 تشريفية : القاب ... ٤٠٤
- تشغيب ١٠٣٤  
 التشكل : قدرة على .. اي الظهور  
 في اشكال ٥٩  
 تشوق الى الشيء : تطلع اليه ٦٣٦  
 - تشوق الى ١٧٨ ، ١٨٠ ، ٥٨٧  
 - نفوس اهل الجيل ٧٧٠  
 تصارفوا بالننانير ٤٦٣  
 التصريف : صرفه في الامر ، فوضه  
 اليه ١٦٤  
 - تصرفهم احوالها طوع اغراضهم ٣٩  
 تصفح احوالهم ٣٩٧  
 تصيرت اللغات من جيل الى جيل  
 ١٠٧٢  
 تطرف بها الاندية ٢  
 تطرف الكذب للخبر ٥٧  
 التطفل على الفنون مريض وطويل ٣  
 التطفيف المجحف ٤١٦ ، ٧٠٤  
 تطرا به ٦٦٥  
 تعارض بين المقطوع والمفلون ٤٠  
 تعاهده بما يصلحه ٩١٩  
 تعاور فيها استبداد الوزارة مرة  
 والسلطات اخرى ٤٢٣  
 تعاورتهم ايد مختلفة ٢٦٢  
 تعبدتهم القهر ٥١  
 التعرب او سكنى البادية ٢١٦  
 تعرض : يتعرضون للوحي ٦٣٠  
 التعزير والتاديب : اقام ... في  
 حق الحاكم لم ينته عن الجريمة  
 ٣٩٣  
 تعطل رسم الخلافة ٤٢٣  
 تفاؤوا بذلك ٣١٤  
 تغيير ٧٦٤  
 تفرغوا بالمعوق ٧٣٦  
 التعمد : الستر ٨



- التغريب ٦٦٩  
تفاريق من الناس : تجدها في ٨٩٣  
تفاحش العنش ٤٦٣  
تفاضلوا ٦٦٤  
تقصد جيبته بالعرق ١٦٠  
تفتيحا أو تنبيتا ٧٣٣  
تفطن له ٤٦ ، ٤٨ ، ٢٧٥ ، ٧١٨  
تفردهم من المجتمع : ذهابهم فرادى ٢١٩  
— وقد يتفطن ذلك المحجور الغلب ٢٣٠  
تفنى : نعم ، تأنىق ٢٤٣  
— ما تفنقوه من التميم ٣٠٢  
تقتدر : تستطيع ٩٢٣  
التقشف والحصر ٤٤  
تقصير المقلد عن المجتهد ٢٤٠  
التقلب : الانتقال ٢٦٣  
التقلل من الدنيا ٤٤  
تقول ٧٩٦  
تكاد عنه ٣١٤  
تكاسل عنه ١٠٣١  
التكاليف ٨١٢  
تكفل الله لنبيه بالعصمة ٢١٧  
التكليفي : العقل ١٩٤  
تكتنفنا الأرحام ١  
التكلان : التوكل ٥٤  
تكليم الملائكة ١٦٤  
تليسا على العامة : تمويها ٢٨٤  
التلبس ٤٢  
تلجج في الصدر ٣٩٠  
تلزج بها ٦٨١  
تلاحي ٥٧٣  
تلاد : بطارفتها وتلادها ٥  
تلمح : يتلمح من التجميل ٣٩٥
- تلوثت انفسهم من مذمومات الخلق  
والشر ٢١٥  
التمايم والتميم ، مفرد تميمه : خزيمة  
رقطاع تنظم في السر وتعتد في  
العنق ٩  
تفايزوا ٦٦٤  
التمريض في طاعتهم : التوهسين  
والاضعاف ٢٨٠  
تممت المولود : علقت عليه التمايم ٩  
تمحل للشيء : « احتال بطلبه » ٢٢  
التمطط ١٩٨  
تمهى ١٠١٠  
تموه به الحكاية ٢٦  
التنازل : التساكن ٦٧  
التناحر ٢٣٥ ، ٢٢٦  
التناظر ١٩٥  
تنافوا في استجداء الآلات ١٤٢ ،  
٦٣٧  
تنافروا اليهم ١٨٩  
تنافس اهل الاقطار وتنافوا فيه ٧٥٠  
تناكروا وما تمارفوا ٧٢٥  
التنبيت ١٠٨٢  
تنجلب اليه انهار عظيمة ٨٢  
التنجيم ٧٩٥  
تنجيه البيوت ٢١١  
تنزلت منزلة القول الصحيح ١٦٣  
تنزل : الولاية والمخالطة .. منزلة  
ذلك ٣٢٦ ، ٣٢٧ ، ٣٢٨  
التنزل والابتزال ٣٧١  
تنزلوا منزلة النساء والولدان ٢١٨  
— خلق .. منزلة الطبيعة ٢١٨  
التنزيه المطلق ٨٣١  
التمسيح عليه ٨٢٦  
تهافت الفراش ٢٨٤

الثالث والروابع : مطالب الذنوب  
الاباء للبين على ٢٤١

### ع

جاء المكان او اجازة : قطعه ٤٤٧  
جاء عن قصد السبيل ٣٧  
جاس البلاد بالافساد والتخريب ٤٤٩  
الجاسية : البشرات ٧٠  
جانب : جانبهم مرهوب ٣٠١  
جاوز عدد الانامل حركات العوامل ٣  
- قدر حقه ٤٤٣  
الجباب ، مفرد جب ٧٢٨  
جبايات موفورة ٦٥٣  
الجبروت ١  
جيلة ١٦٩ ، ١٧١ ، ٢٩٩ ، ٨١٤ ،  
٨٤٥ ، ٨٤٦ ، ١٠٨٥  
- تمكنت منهم خلقا و ٢٢٧  
- الدية : الديات ٢٢٩  
جيلي : فطري ١٨٠ ، ٩٣٥  
الجر ٤٦٠  
جلده المبخوت ٢  
جدع : تجدد انوف العصبيات ٣٥٦  
٢٩٤  
الجلل : معرفة آداب المناظرة ٨٢٠  
جلر ١٩٣  
الجلد : الاصل ، مقطع ... ٤٨  
جرب : تاريخ ٨  
الجرح : البراءة من ... ٣٩٧  
جرحة : ما تجرح به شهادة خصمك  
وحجته ٣٨١  
جريء ، اجرياء : تجدهم اجرياء في  
الكلب والقامرة والفش ٦٦٣  
جربة ٤٤٩  
الجزائر الخالدات ٩١

التنميق : يبلغ في ٧٤٥  
تهيجهم ، هيمة ٢١٨  
التنظير ١٠٤٩

تؤدي البنا شان الخليفة : تقصى  
علينا ٢

تواضعوا عليه ٧٥٤  
يتوجسون : يستسمعون ٢١٩  
التواضع والاصطلاح ٥٩٢  
تواطت شهرته مع شهرة ٦٠٣  
توافر اهل الدين : اجتمعوا جماعة  
وافره ٢٨٢  
توافقوا ٨٠٣

توفق من البراهين ١٠٩٩  
توسلوا بذلك الى الطعن في نسبهم ٣٦  
تؤنف من اصنافه ٦٦٢  
توفي كنه ما اريده منه ٥٤  
تؤنس منهم المهانة والخضوع ٣٠٢  
توفي : وله قدرة .. بذلك كله ٧٠  
تيسر عليه : سهل ، يسر ٢٠٩

### ث

ثاقفه : لاعبه بالسلاح ٧٦٦  
لبج الشيء ، اعلاه ووسطه : كان  
الرشيد وآبؤه على ٢٨  
ثبح من العلوم العقلية والنقلية ٨٩٤  
ثرة : عيون ٦١٩  
الثغر : الموضع الذي يخاف منه  
هجوم العدو ٢٨٢  
ثقاف الاسنة العربية ٤٤٠  
ثقافة : كانوا مهرة في .. الامر ٤٤٨  
ثقب الدهن ٣٣٤  
ثل عرشهم ٢٦  
ثغايا : جبل قليل الثنايا والمساك  
١٠١

- الحاسب : الطارق بالحصى والحبوب ٧١٥ ، ٧١٤  
 ٥٨٧ الجسمية ٨٥٦  
 حال : لم يحل بطلال ٨٢٣  
 حالة رباتية ٨٤٥  
 - الهية ٨٤٥  
 الحافظة ١٦٩ ، ١٧٠  
 حام على هذا المعنى ٨٣٢  
 حاول على الخروج من ربة الحجر ٤١٠  
 ٣٣٠ الجلبان ٦٤٦  
 الحالومية وحالومة ١٨٣ ، ١٨٤  
 جبل المشير : جاذبهم ٢٥٣ ...  
 حبوا على الثلج ٥٧١  
 حنا المال حثوا ٥٦٢ ، ٥٦٣  
 الحجاج ٧٨٠ ، ٧٨٨ ، ٨٢١ ، ٨٣٧  
 الحجارة غير المنجدة ٢١٢  
 حجر : صار ... على : مدافعا عنه  
 ١٢٤  
 الحجريين الشريفين ١٤٢  
 حجرة : اخلوا بحجزاتهم عن النار  
 ١٥٩  
 حدهم مرهف ٣٠١  
 الحدثنان ٥٨٨  
 حدثانية : كلمات ... ٥٨٨  
 الحديث عن الخواطر ١٩٢  
 حلق فيها درية ٧٥٠  
 حلو : اتبع اثارهم حوا والنمل  
 بالنمل ٣١٢ ، ٩٩٥  
 حرافة : حرافات : سفينة فيها  
 مرامي نار ٣٠٧  
 الحربية : فن الحرب ٢٨٢  
 الحرج جمع حرجان : نعش الموتى  
 ٢٣٢  
 الحرز : استناموا الى الحرز الذي  
 يحول دونهم ٢١٨
- جزارة ٧١٤ ، ٧١٥  
 الجسمية ٨٥٦  
 الجفر ٥٩٤  
 الجفوة ٤٤٢  
 جلب يجلبون الاخبار : يجمعونها ٤  
 الجفوف : الجفاف ٦٥٧  
 جلدة : لبس ... ٤٥  
 الجلوة الكبرى ٤١٠  
 الجلبان ٦٤٦  
 جماع الامراض ٧٤٢  
 - المقاصد ١٠٢٨  
 جمام : كان على ... ونشاط ١١٠٦  
 جمان ٥٨١  
 جمل : حساب ... ١٩٩  
 جنب جنوب : القوا ... على مهاد  
 الراحة والدفعة ٢١٨  
 جنح الى مقالة مرجوحة ٣٥  
 - الناس الى مخالطة الدنيا ٨٦٣  
 - الى بلد : قصده ، امه ٢٥٥  
 جهيل : جهابذة ٧٩٥  
 - جهابذة العلم ٨١٤ ، ٨١٥  
 جهينة خبر : جعلنا ... ٦٦  
 جوامع الكلم : اوتي ... ١٠٧٣  
 جوف الليل : جاءهم ... ٦٠١  
 جوفي ١٠١ ، ١٠٢  
 جون من البحر ١٢٥
- ح  
 الحاجي ٢١٣ ( ضده الكمالي ) ٢٤٦  
 ٢٧٠  
 - والكمالي ٢١٠  
 الحادث : الجديد المستجد ٨٦٣  
 حازه : واختص به ١٩٣  
 حاز به ١٩٦

- حرساً للماء اهل البيت ٢٥  
الحروف الهوائية : حروف العلة ١٠٥٩  
حرون : دابة ٤٤٢  
حساب الجمل ١٩٩ ، ٢٠٥  
حساب النيم ١٩٩ ، ٢٠٢ ، ٢٠٣  
حساب المال ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١  
الحسيان ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥  
الحسبة ٣٨٧  
حسن المنحى ٧٨٧  
حصل له غرضه ٧٢٩  
الحضرة الكمالية ٨٧٢  
- المائبة ٩٤٠  
- الهائية ٨٧٢  
الحضيض ٩٠٧  
حفاني البحر : الساكنين ٤٤٨  
حطت السفينة ٩٤٩  
حكم : الاحكام النجومية ٥٩٥  
الحلبة ٨٠٥  
حلة : قرية ، القوم النازلون في مكان ٨  
حلة : لوبان من جنس واحد ٣١٨  
الحلول ٨٦٨  
الحلوم ٧٦٥  
الحوصلة : تنفيذ حوصلتك عند ملتقى المكنات ٣٢٢  
الحملان : ما يحمل عليه من الدواب ٣١٧  
الحمر الانسية ٧٧٦  
حوالة الاسواق : تحول ٦٥٤ ، ٦٥٥  
- الاسواق من الرخص الى القلاء ٧٠٣  
حوطبة على اسرار السلطان ان تستهر : تحوطا ٤٢٢  
الحوكية ١٩١  
الحول : اسباب النصرف و... ٨٠٠  
جوموا على اصابة الغرض ٩٩٣ ، ١٠٠١  
الحيد عن جادة الصديق ١٢ ، ١٠٨٧  
حيف ٣٩٠  
الحيوانية ٧١٤
- خ  
الخارجي : من يسود نفسه من غير ان يكون له قدم في السيادة ٢٤٠  
الخارجية : اول كل شرف  
الخارق : المعجز ١٦٣ ، ١٦٤  
الخاصية ١٨٦  
الخاصين ١٠١٤  
خب : مكر وخديعة ٦٧٥  
الخيلة الفكرية : البشر مختلفون في هذه ٧٢٤  
خدج ٧١١  
خدشتها اظفار التاديب والحكم ٢٢٢  
- الاظفار الخادشة ٦٧٣  
خدن : اخدان : اصطناع اخدان  
الموء وخضراء اللين ٣١٢  
الخديع ٦٨٤  
خرت الابرة ١٠٨١  
الخزني : اناث البيت ٦١ ، ٣٠٥  
خرج عنه من الرب السلطانية ٤٢٣  
خرج عنه الرملدي كتابه الجامع ٣٠  
خرج عن الاباحة الى الخطر ٢٧  
الخرج ، التخايث والكيد : يوضعون ب ١٠٤٣  
خراز ٧١٥  
خرفشة النحاة ١٠٧٤

- الخرق ٦٦٦  
 خرق الموائد ٢٨٠  
 خرق : هوة ، مهوى ١٤٠  
 خميس الكلام ١١٠٨  
 خشونة العيش ٢٦٧  
 الخشاش ٦٤٥  
 الخصاصة ٦٤٣ ، ٦٤٥ ، ٦٥٢ ، ٦٦٧  
 الخصبة ، او الخصيبة : الموائد ... ٦٤٥  
 خصف ١٤٢  
 الخضاب ٣٥٣  
 خضد الشوكات الناخية ٣٣  
 — من الشوكة ٢٩٧ ، ٦١٢  
 خضر ٣٠٣  
 خضراء : اباد خضراءهم الهرم ١٥٦  
 خضراء الدمن : اصطناع ٣١٢  
 خضلة الندى : رياض ١٠  
 خط الرمل ١٩٥  
 خطاب التهويل ٣٢٩  
 خطط ٤٠  
 — الخلافة ٣٩٤  
 الخفا : اعفى عليه ٦٦٠  
 الخفارة : الحماية : منع ... لاوتك  
 الشطار ٢٨٣  
 خلت : سنة الله التي قد خلت في عباده ٤٦  
 الخلعة : توصلوا الى سد ... ١٥١ ، ٦٤٦  
 خلو : رسم ٧٧٤  
 الخلوة ١١٠٦  
 الخلاف : النصيب الوافر من الخير ٣٥٨  
 الخلافات : كتب ... ٨٠٤ ، ٨١٨  
 خلاه : قفر ... ١٠٤
- الخلافة ٦٦٣ ، ٧٠٥  
 الخلافات : كتب ... ٨٠٤ ، ٨١٨  
 خلايف الارض : جعلكم ... ٣٣٩  
 خلايق : اخلاق .. اخير خلايقه ٤٤٢  
 خلط عليك الامر ١٧٦  
 خدمت اللدارك ١٧٧  
 خول : صارت امم العجم خولا لهم ، ٤٢٣ ، ٤٤٨  
 — ترشيح ذويه او خوله ٣٢٩  
 خيبة : ذهبوا بالخيبة ١٩٥  
 الخيرة : المعدالة ٢٨٥  
 خيلات الوجه ٥٨١
- د  
 داء دوي : شديد الخفاء ٤٦  
 داخله : ودخل من هذه العلوم على الملة داخله .. ٨٩٣  
 الدافعة : اطلق ٧٣٥  
 دار الثراء : الاخرة ٣٥٩  
 ديبب : لا يسرى ساحتها ... ٦٤٥  
 دئر : دنور الخلافة ٤٠٠  
 الدجل ٥٧٧  
 درأ ٣٩١  
 درب على الصواب ٨٩٧  
 درس الامر : محاه ١٨  
 درع : جاه ... به ٧٠٤  
 درك : لا يطعم احد في دركه ٤١  
 الدروس : الزوال ١٠٦٦  
 درن : ادران ٩٠٣  
 الدرياس ١٥٧  
 دست الخلافة : محي ... وتمطل  
 الدمر ٧٣١ ، ٧٥٩  
 دمي في التسبب ٣٤

- الدفاعة ٢١٠ ، ٢١٣  
 الدلس : الخديعة ١٠١٢  
 الدلسة : الظلمة ١٠١٢  
 دلالة قطمية ١٦٣  
 الدلالات النجوة : يقولون ... ١٩٥  
 دم عبيط : خالص ، طري ٧٤٠  
 دنيات الامور : رفضهم ... ٣٦٧  
 الدهان ٧١٥  
 دهقان : دهاقين : رئيس القرية ٣٠٧  
 الدهماء : الفوفاء ٢٨٠ ، ٥٨٣ ، ٥٨٤  
 دهمهم : اصابهم : دهمهم من الموحدين ٢٨٠  
 دواب البحر ٥٨  
 دوامي كون الدول ٤٥  
 دور : دائرة ١١٥ ، ١٢١  
 الدوم : خشب ٦٢٤ ، ٥٩٠  
 الدوي ٥٧٢  
 الدويرة ٧٢٦  
 ديدن : رجعوا الى دينهم منه ١١٢٣  
 ديوان الصبيان ، المحاسبة ٤٢٢  
 الدويدار ٤٢٥
- ذ  
 ذادتهم الحامية : دفعتهم ٢١٣  
 ذائد الحق : منعني ... ٣٦٩  
 ذرة من ذرات الوجود ٨٢٥  
 ذرهم في خوضهم يلعبون ٨٢٣  
 الذرورات ٧٣٦  
 ذريعة : ذرائع او ذرع ٦٩٢  
 ذهابا الى ما اشتهر في نسهم ٢٣٣  
 ذهاب : للهابيا بالحضارة  
 ذهب مع الاغراض والحقود ٣٧  
 ذهبت منهم مذاهب الحشمة ٢١٤  
 ذهب به الغلط ٣٨٣
- ذهبوا بالخبيبة ١٩٥  
 ذي الوزارتين : جامع خطتي السيف  
 والقلم ٤٢٦  
 ذباد الحامية ٢٢٤  
 الذبايع والشيساع بمعنى الديسوع  
 والشيسوع ٤٢٢
- ❧  
 راي فائل : ضعيف ٣٦  
 — صحيح ١٠  
 الرباب ٧٥٩  
 رثموا للمللة : الفوها ٥١  
 — رؤوم للضم اي ذليل راض  
 بالخسف ٥١ ، ٢٤٧ ، ٢٤٨  
 — المللة والاستعباد ٢٩٧  
 الراح : دفعوا اهل الدولة بالراح ٢٤  
 الرباء في المبيحات ٦٦٣  
 الريح ٦٤٠  
 الربط ، مفرد رباط : الحصان والمكان  
 يربط به الجيش ٧٧٨  
 ربقه الجمهور ١٠٠٧ — ربقة الرق  
 ١٥١ ، ٢٦١  
 رديف لمولى من الموالى ٤٣٥  
 رسائيق ٦٣٧  
 رسم الخلافة : ذهب ... ٤٠٤  
 رزا : نقص ١٤٩  
 رطانة ١٧ ، ٦٧٥  
 رشوم الزمار ٨٠٣  
 رشوم القبار ٢٠٣  
 الرعاع ٤٤٥ ، ٧٠٥  
 رفاع : كان ... الاحاديث ٥٦٦  
 الرفه ٢١١ ، ٦١٠ ، ٦٥٢  
 رفه عيشه ٣٠٩  
 رقية : تحت رقبة من علماء السنة

- الزجرفي الطير والسباع ١٨٤  
 زرب : جعله زربا لغنمه ٦٢٢  
 الزرن ٦٠٧  
 الزمرة : ذوو شراسة وسوء خلق ٢٨٢  
 الزعورة : شدة البياض ١٤٤  
 الزكاء : الاصلاح ٢٣  
 زكاء النسب ٦٦٤  
 - المزارع والمنابت والاهوية ٦٣٩  
 - المناقب والمحامد : التوضيح من ...  
 ١٠  
 زكي المنبت ٢٣٥ ، ٦٤٩  
 الزليج ٦٤٠  
 الزلامي او الزمار ٧٥٩  
 الزوق المصعد ١٠١٢  
 الزهريون : القائلون بدلالات الزهرة  
 ١٩٨
- س
- السائمة ٢١٢  
 سابل : طريق ... بالامن ٧٠٧  
 السابلة : السبيل ... اي الطروقة  
 ٤١٦  
 السابلة : ابناء السبيل ٤١٦  
 سافه ٢٦٠  
 سامت المدينة من جهة الشرق ١١٤  
 ساقق فعل الطبيعة : حاذاه ١٠١٧ ،  
 ١٠١٨  
 السبع المثاني ١٠٩٤  
 السبج ٧٢٨  
 السبج : ولد البنت ٣٥٠  
 السبي ١٠٧٩  
 سجع الكهان ١٧٥ ، ١٧٦  
 سخط ٣٥١  
 سداد ١٠٢٩
- ٨٩٣  
 رقة الحاشية ٧٦٥  
 - الحضارة ٢١٤  
 ركاز ٦١٧ ، ٦٩٠  
 الركائب : تسد اليه الركائب ٢  
 ركب الله في طبائع البشر الخير والشر  
 ٢٢٣  
 ركعة نافلة : كان يصلي مائه ...  
 ٢٧  
 رموح : دابة ... كثيرة الرفس ٤٤٢  
 رموز ملفوزه ٦٠٥  
 الرمية : ما يرسي من حيوان ، صادف  
 فيه اي اصاب الغرض ٦٦  
 روايات مضعفة ٣  
 الروح العاقل ٨٨٣ ، ٨٨٦  
 - القلبين ٨٨٣  
 - هذا الروح الحيواني ١٨١  
 الروح : كنية الاكسر ٩٧٦  
 رونق الحضارة ٤٣٢  
 رياش : كثر رياشها ٢٩٥  
 الرياضات : اهل ... ١٨٣  
 ريبة : حدثوا انفسهم بمثل هذه ...  
 ٣٨  
 ريب : مكمن يتأني منها ... ٣٧  
 ربح : قويت ربحهم في بسط هذا  
 الجزء ٤٥٤  
 - فشمل ... ٢٩٧
- ز
- زاكية : ارض ... ٦٤٨  
 الزايرجة او زايرجة الصالم ٢٠٣ ،  
 ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٩٤٢ ، ٩٥١  
 الزبون ٣٩  
 زبيبة : ذو ... ٣٤٤

- سرب : يكثر في سربها الجرذان  
٦٤٥ ، ٧٢٥  
سرح : سرح الخيالة في طلبهما ٣٣  
السرف ٦٣٨  
السرمدى ٨٣٠  
سروات : اهل السروات ١٠٥٤، ٦٧٤  
سطر متتالية ١٩٧  
سمود ونحوس ١٩٦  
السمودة والنحوسة ١٩٧  
السغب : الجوع من التعب ٢٢٧  
السناج ٦٧١ ، ٧١٥  
سفاسف : قول متناقض ٨٥٦  
السفسفة : الزان الشر و... ٢٩٩ ،  
٦٦٣ ، ٧١١  
- تنزه عن ٣٧  
السفلة : تحيز العلية من ٦٧٣ ، ٦٩٩  
- من الفوفاء والدهماء ٦٧٤  
السفه : اهل ٣٩٢  
سقيف : سقف ٦٢٠  
السلفة ٩٢٣  
سلك النهج الاتم ٣٧  
السلوب من التوق : التي التقت ولدها  
لقير تعام ٨٢١ ، ٨٥٥  
- الاي السلوب ٨٣٢  
سمت (١٠٠ ، ١٠٢  
السمل ٤٠٣  
سمة ٤٠٢ ، ٤٠٣  
السمية : السم ١٥٧  
سنلام : اسنمة الجبال ٦٢١  
سن يكرة : جعلنا ... ٦٦  
السفاد ٧٦٤  
السنجق : سناجق ٤٦٠  
السنة، جمع سنون : الجذب والتحط  
١٥٤
- سنة الغفلة والنوم ٦  
سهام الفريضة ٨١٠  
سهمان من اموال الخراج ٤٣٧  
السؤال : مفرد سائل ٦٤٤  
سواقط الفئات ٦٤٥  
سورة العصبية : تنكسر ... ٣٠٢  
- الغالب ٢٥٦  
- تكسر من سورتهم ٢٢٢  
السوم ٦  
السوفة : الرمية ٢ ، ٦٦١  
السيالة : المسائل ... ٩٤٢  
سيف البحر ٤٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٥٣  
سيماء البداوة ٦٤١  
السيماء ٢٠٢ ، ٩٢٤  
السيمياء : علم اسرار الحروف ٩٣٦
- ش
- الشاوية : القائمون على الشاء والبقر  
٢١٢ ، ٢٥٠  
الشائلة : الوجهة والطريقة : اهاب  
اي اصاب القرض ٦٦  
الشاليش ٤٦٠  
شاهده في عينه ١٦٥  
الشبابية والزمار ٧٥٨  
شبيعا وريا : تمتلىء ٦٤٥  
شبهوا في الذات ٨٣١  
شبوب : دابة ... كثيرة رفع اليدين  
٤٤٢  
شتات : تشتت ٩٣٤  
شدا في الفن ٧٧١  
- : اخذ : شدا من العلم شيئا ١٠٣٩  
شدا عن الحصر ٧٢٢  
الشرب مفردة شارب : سكر يومامع  
شربه أي الذين يشربون معه ٣٠



## ص

صاحب الاشغال ٤٢٧  
صاقبه : قابله ، ساقته ١١٧  
الصبر على المكروه ٢٤  
صبغة : استحكمت صبغتهم ٢٧٢  
— الرذيلة : استحكمت فيهم ٦٦٤  
صحاحا : يعطي المال ٥٦٤  
صرفها في القوالب المعتادة ١٨٦  
صرفهم في صفوف الصناعات ٤٣٩  
صربخ : تكون مربخا ٦٢١  
صعب : ركب صعبا من الامور ٣١١  
صعر ٢٥٠  
الصغار ٦٧١ ، ٧١٥  
صفاح اتدبت من افعادها ٥  
صلصلة الجرس ١٦٠  
صفة نفسها ١٦٣  
الصقاعون : الكلابون ٢٨٣  
الصلة ١٦١  
صلاوات مشهودة ٣٨٨  
صلي بما صلي به ٢٢١  
الصمم : استوعب الامر الصمم ٤  
الصنائع الغائقة الفنون الجميلة ١٤٦  
الصنائع المعاصرة ٤٨  
صهوية الشعر ١٤٤  
صوان حكمه ٨  
صيب : مطر او سحاب ٥٦٨  
ضارب البتل ٥٨٧  
ضايق : ضاق ١٠٤  
ضبع : جلبت الدولة بضبعه وضبع  
ابيه ٢٣  
ضربت عليهم الدلة والمسكنه ٢٣٦  
— عليهم ضراء الاسد ٤٥١  
ضعة النظر ٤٥  
الضعة : مهاوي ٢٢٨

## شرق ١٠٨

شرعة لكل وارد ٨٧٥  
شرك ١٩١  
شرك : حصة : يجعلون شركا لولدهم ٧٧٨  
شره الى ما في ايدي الناس ٧٠٥  
— شرهوا الى الجهاد ٤٤٨  
شريان : شريانات ٨٨٣  
الشطار : طوائف اللصوص والمجرمين ٢٨٢  
شطحات الصوفيين ٨٨١  
شطف الاحوال ٢٢٧ ، ٦٠٧  
— امتيادهم ... وخشونة العيش ٢٦٧  
شعبة : شعوب : يقسم بشعوب ١١٩  
الشعوذة او الشعبة ٤٢ ، ٩٦٦  
شف عليهم : زار ٢٧٨  
شق الابله : قاسموا بني العباس ٢٣ ، ٢٧٧  
الشكة : السلاح ٣١٢  
شكائر الدراهم ٢٢٣  
الشمات : تفننا في الشمات بمدوهم ٣٣٠  
شمخ بانفه ٢٧٤  
— سلطانهم : غلظ وكبر ٤٤٨  
شمروا له ٩٩٣  
الشواغب ١٠٢٢  
الشواني : المراكب المعدة للجهاد ٤٤٩  
شوب : اختلاط الجنس : عرف فيهم ٢٢٨  
شوش قلبه بالريب ٣٨٦  
النشاه ٢١٣

الضروريات بمعنى الضرورات ٦٤٣ ،  
٦٥٠  
ضعة الرأي ٤٢  
الضئانة : يتبدون عليها... ٦٦٢، ٧٥٧  
الضيم ٢٤٩



الطواب ٧٢٧  
طوقهم المن ٢٤  
طيب الاصالة ٦٦٤  
طين الخاتم ٤٣٦

### ح

ظمن ٢١٢  
الظنة : بعيدة عن ... ٣٧٢  
ظنون حدسية ١٩٥  
ظهراء له ٣٢٤  
ظهر سريعا على خيهم ومكرهم ٣٤  
ظواهن رحالة ١١٢ ، ٦٢٧

### ع

عاج : يعوج به عن مراميه أي يرجع  
به ٤٨ ، ١٧١  
— الى الدعة ٢١٤  
عادية : نسبة الى قوم عاد ٦١٣  
— آثار ... ٦١٣  
— الكنائس العادية ... التي تحترق  
على التحف ١٢٥  
عادة : عوائد ٤٦ ، ٤٧  
عالم الرثق ٨٧٢  
— الفتق ٨٧٢  
— علا العالم النصري ٢٣٩  
عالي في صرح القصور ٢١١  
عامة البلوى ٧٢٢  
عالجه بالتوابل ويقول ٢٨  
العاني : الاسير : فكوا ... ٢٥  
عبد ، اميد ٣١٧  
عبية الجاهلية : الكبر والفخر والنخوة  
٤٥٨  
عبيط : دم ... خالص ، طري ٧٤٠

### ط

طاطا رأسه ٥٨١  
طائق : قادر ٢٤١  
الطابية ٧٢٧  
طاح في هوة الهلاك ٢٨١  
طاس : طساس ١٨٤  
طاوعوا وسواس الاغراب ١٦  
طباق بمعنى طبقات ٦٩٦ : من طباق  
اهل العمران  
طبختهم الدولة ٢٥٦  
طبع الدولة : لما يقتضيه ... من ٤٣٨  
طبيعتهم انتهاب ما في ايدي الناس  
٢٦٣  
الطراء على الوطن من الفزاة ٢٧٤ ،  
٦٤٩  
طرقه الكلب من هذه الجهة ١٧٦  
— طريقه طارق من العدو ٦٢١  
— طرق الدابة : ضربها ٤٤٢  
الطرق بالحصى ١٨٦ ، ١٩٨  
طروء الموت ٣١٦  
الطش : من العرش الى الطش ٨٦٧  
طعم طعوم ١٠٨٧  
طنن الى الاقاليم البعيدة ٢٥٥  
طلب الدنيا : الاقبال على ... ٥٨٦  
طلمس ٦٨٦  
طما بحر العمران ٧٥٠ ، ٧٥٥ ، ٧٦٦  
الطنبور : طنابير ٦٦٥

- العقول النظري ٨٤٢ ، ٨٤٧  
 - العمال ٩٩٨ ، ٩٩٩  
 - التكليفي ١٩٤  
 علاج : علوج : كفار المعجم ٢٦١  
 العلماء ورثة الانبياء ٣٩٥ ، ٣٩٦  
 العلوز : وير الابل ٣٦٢  
 العلوم الدنية ١٧٠  
 علاج : توضيب ٦٩  
 العلويات : زحل والمشتري ٥٩٦  
 عليا اهل الحديث : كان من ٣٠٠٠ ، ٨٠٢ ، ٦٩٩  
 - تميز ... عن السفلة ٦٧٣  
 - الوزراء ١٠٢١  
 العمالية : الحضرة ... ٩٤٠  
 عمد يعمد خيامه : نصبها ، ضربها ٢٦٣  
 عمر الحادث من قوة مزاجه ٢٨٩  
 عمروا مراتب الدولة وخططها بالرؤساء  
 من ولدهم وصنائعهم ٢٤  
 العملات ١٤  
 عمل : قائمة ، بيان ٣١٨  
 العمومية : كثر التناسل والوليد  
 والعمومية ٣٠٩  
 العناني : الانثى من ولد المعز قبل  
 استكمالها الحول ٢١٧  
 عنمن ٥٧١  
 عنعنه ٥٦١  
 عنفوان دولتهم ٢١٦ ، ٤٠٣  
 مهدة : له عليه فيه ... ٣٤٥  
 عوائد : تجاوز حدود ... ١٦  
 - الفوا .. الخصب ٢٤٣  
 - الانسان ابن عوائده ٢١٩  
 العوارض الذاتية ٦ ، ٧  
 عتيق : حاصر ١٧٥  
 عجاجيل البقر ١٠١٥  
 عدل اليه من ٣٢٨  
 - عن الاطلاق الى التقييد {  
 عدو كاشح ٣٨  
 مرض تعريض الحسد ٣٧  
 مرض البلد : وضع ، حالة ٨٥  
 - الحيوان : قريهم من ... ٢٦١  
 العروبية ٤٠٣  
 مريش : خيمة ١١٥٤  
 عزب عنه ١  
 عزم عليه ٢٤٨  
 عزيز المذهب : فن ... ١٢  
 عصائب : افترقوا شيما و ٦٧٢  
 - الطيور ٦٤٥  
 عصب الريق ٦١٧  
 العصب ، صناعة ٧٢١  
 العصباني : الوازع ... ٣٧٤  
 عصبية ١٦٢  
 عصر : امصار ٤٦ ... اختلاف  
 الاعصار ٢٤٣  
 عضدته الحجة : قول ... ٤٤  
 العصمة : مجانبة المذمومات والرجس  
 ١٦٠  
 العضوض : الملك ... ٧٠٣  
 عطل عن العمل ٦٩٤  
 العطلة ٣٤٣  
 عفاة : جمع عاف وهو طالب المروف :  
 استنوا الجوائز لمقاتتهم ٢٥  
 عفى عليه ٧٥١  
 عقارب السعاية : دبت الى مهاتهم  
 الوثير ... ٢٥  
 العقل التجريبي ٨٤٢ ، ٨٤٧  
 - التمييزي ٨٤٢ ، ٨٤٧

- عوج المكات ٢٦٦  
موضحهم من الحنطة ، احسن معانى ١٥٢  
عود القرآن ٥٩٦  
مولة : اختصمهم نبي عطائهم بالمولة ٦٤٩  
العيارة ٦٦٩  
ميث ٦٦٢  
عيص : عياص : الاصل او الاباء والجدود ٢٩٣  
— هومن ... كزيم الاصل ٣٣٢  
العيمة : شهوة اللبن ١٥٥  
مين : ميون : اذكروا عليه الميون ٣٨  
عيون علبة ثرة ٦١٩
- غ
- غائبة من العيان ١٦٨  
غارون : غافلون ، مطمئنون ٢١٨  
الغازية ٧٤٠  
الغاشية : الذين يفشون المكان ٢٨٨  
غب اقتضائه ١٧٢  
الغلانية ٧١٤  
غرار : تجافى من الهجوع غرارا ٢١٩  
غروب معه ١٢٦  
الغرر : حمل النفس على مثل هذا ... ٧٠٧ ، ٥٩  
الغرض : خرج عن ... الكتاب ٤٥  
القرة ٢٢٤  
غرة الكلام : احسن ما فيه ٤٤٤  
غريبة : اخبرني بغريبة ... ٥٨٤  
غريم : غرماء ٧٠٥  
قشيان المنازل ٦٩٩  
فص بريقه ٤٢  
— فص به ٦٥٥ ، ٣٨٠
- الفصويات او المصصويات ٦٧٩  
غضارة النعيم ٢٤٢  
— الدين ٧٦٥  
غضاضة : يجدون في نفسه ... من ظلم ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٧٦٥  
غضاضة الاسلام ٣٦١ — تلرجت ... ٣٦٤  
غض من اعنتهم ٦٧٣  
غضوا منه بالقدح من مذهبه ٤٣  
الغطيط ١٧٣  
الغفل : الكتاب ... ١٠٩٤  
غفل من الصنائع ٨٢٠  
الغفلة ١٥٢ ، ٢٢٤ ، ٧٩٠  
— من القياس ٤٥  
الغفلة من اعتبار العصبية ٢٨٤  
القلب : النفوس بطابعها متطاوله الى ... والرئاسة ٢٣٠ ، ٦٧٣  
غلطة : اغاليط ١٤٧  
غمار : جماعة الناس ولغيفهم ٦٦٤  
— اختلطوا بالغمار ٢٣٥  
غمر : اغمار : الذي لم يجرب الامور ٢٨٤  
غمص عليه قوله : كذب عليه كلامه ٢٤٩  
غنية : كان في ... عنه ٨١٥  
الغوغاء : الدهماء ٢٨٠  
غواشي النمل ٦٤٥  
الغيبة ١٧٣  
— غيبة من الحصص ١٩٥  
الغيبى : الادراك ١٩٨  
الغيران ، الكهوف : ياوي الى ... ٢١٢  
٧٢٥ ، ٧٢٦  
الغيرة ٨٧٠

— تمخض لفصالة الكون ١  
فضلات الحيوان : البنا واوبسارا  
واشعارا واهابا ٢٦٩  
نظر على : ملكة نظره الله عليها ١٠٣٣  
— نظر الله البشر ١٨٠  
الفقه الخلاني ٨٢٠  
الفلح : شق الأرض للزراعة ٢١٠ ، ١٠٥  
فلق الصبح ٨٨٤  
الفهر : الدق ١٠١٠ ، ١٠١٣  
فهم ، فهوم : استغلق على الفهوم ٩٠٣  
فور العيون ٦٨١  
في آخرين : اي وآخرون ١٩٢  
فيوء : فيه ٣٦٣

## ق

القابلة ٧٣٥  
قارف : لا يقارف المؤمن معه صغيرة  
ولا كبيرة ٨٢٨  
قارن ذلك : صحبه ٢٥ ، ٢٤٥  
قاصر عن ، تصريف الانبياء ١٦٥  
قال : من أثر العرفان للعرفان ، فقد  
... بالثاني ١٩١  
قبضهم الله ١٦٢  
قبل : مقابل ١٢٩  
قبيل : فريق ، القبيلة ١٤ ، ٢٤٦ ،  
٢٤٧ ، ٣٠٩  
— الدولة : جماعة الدولة ٥٠  
— الملك ٣٣١  
قتل : اقتال : العدو المقاتل ، الصديق  
القرن ، النظير ٢٥٣  
قدح في صحة الخبر ٢٠  
— فيمن ناصبهم ٣٣  
التدح ٧٩٩ ، ٨٠٠  
قدرة : قدر . ضاعف القوى و ...

قبيلة : قتل ... ٥٨٤  
القيوب : القيوب لا تترك بصناعة  
البتة ١٩٨

## ف

فائل ، راي : راي ضعيف ٣٦ ، ٤٠  
— مذاهب فائلة : مقالات فاسدة ٤٢  
الفاره في الفرس والبرذون والحمار  
الجيد السير ٢٩٥  
فاز : مفردة فائزة : بساء من خرق  
وغيرها تبني للساكر ٦٥٩  
فاض ماء العين ١١٠١  
فت في مضده : كسر قوته ٦١٢  
الفتيا ٣٨٧ ، ٧٠١  
الفجرة ٤٤٥  
فحل : الملك ... ١١٢٣  
فرح الامر ١١٠١  
القدن ٢١٠  
— علاج المزارع والقدن لاصلاح نباتها  
٦٤٨  
فد : جاء كتابا فدا ٨  
فر عن السكين ٨٢٦  
فرجة : خلل ٤٥٥  
الفراش ٦٧١  
الفرش : المفروش من متاع البيت ٢٩٦  
فرية : بهتانا وفرية عليه ٣١  
فروض الوراة ٨١٠  
فرع الى الظنون والتخمينات ١٧٥  
— الى الكهان ١٨٩  
— فزعوا الى عوائد من قبلهم ٤٧  
فسق الجوارح ٣٤٢  
فشيت المقالة بذلك ٢٨١  
فشل ريحهم ٩٢٧  
الفصال ٧٣٧ ، ٧٣٨

ث

قيس الشاهد بالفائسب والحاضر  
باللهاب ١٢

ث

الكافد ٧٥٥

كاشح : عدو ... ٢٨

كافات قوتها قوة الدولة : ساوت ٢٤٥

كافة : ما يتفانونه ... ٢٢ ، ٢٩ - من

كافتهم ٢٨

الكافة : ان .. اختصتهم ٤ - نقلها

منهم الكافة ٤٥ - تحمل عليه ...

٢٧٩ - حماية ... ٤١٦ - يسلمها

٣٣٧ ، ٣٣٨ ، ٨٣٤

الكافة : دهماء اهل المدن والامصار

٢٩١

كبح من غاية مزه ٢٦٠

الكبر : ذهبوا خلف ... ٢٦٦

كلدوس : المال .. يومئذ ٥٧٢ ، ٥٦٢

كلنب نفسه في ماء انتحله ٣٥

كر بمعنى عاد او عاود ٨٣٢

كرات : لم تكن اول دولتهم بقوة ولا

كانت كرات ٢٩٢

الكرامات المذهوبة ٥٨٩

الكرج : آلة الرقص ٨٦٦

كرش الصبر : وعاءه ٣١٧

كسر سورة العصبية ٢٤٧

كسر بيته : طالعه وهو في ١٠٠٧

كصب : علا كصبهم في الدولة ٤٠٤

كنسف : فراسة ١٩٢

كفاء : مثيل : لافقاء له ٣١ ، ٧٥٠

- ظهور لا كفاء له ٨٩٢

الكلال ١٨١

كلكله ٧٣١

كلمات حدثانية ٥٨٨

٦١٣ ، ٧٠

القلدال : جماع مؤخر الراس ٣٦١

قذف الباطل شيطانه ٣

قرارهم وكرميههم بصنعاء ١٨

القران ٥٩٦ - القوانات الفلكية ٣٠٠

٣٠١

القرشية ٣٤٤ ، ٣٤٥

قرعت هذه الكلمة الشنعاء اسماع

الغواء ٤٠

قزع : قطع السحاب : يجمع الله

قوما قزعا اي افواجا ٥٦٩

قسامة : بينا ... ٥٦٧

قسم : بشر الله لنا ارزاقا وقسما ١

قصرت عليهم الامال ٢٤

القصود ٨٢٢

القضاء : القضايا ٨

قعدوا له بالمرصاد ٣٨

قلب : زمن ... ٦٠٤

القلقلة : من صفات الاصوات ٧٦١

قلم والاذفار والجاشية ٦٧٣

القمط ٧٢٨

قناع المخدرات : هتك ... ٣٢

القنية : قنان ٦٨٠

قوام : كان القمار قواما لحاله ٦٥٤

القود : القصاص في القتلى ٣٩٢ ، ٢٢٩

قوراء : القصاع ٧٢٨

قول مزيف مردود ٩٦٨

القيناء ، جمع قنائة : حفرة توضع

فيها النخالة ١٠٠٣

القوى النجومية ١٠٠٤

القومة عليهم : اختاروا منهم ... ٣٠٥

قومة ٤٣٠ ، تفرعنها ... ٦٧٢

قياطن ٦٣٧

قيل : اقيال ٢

- الكمال الاسمائي ٩٤٠  
الكل : اليتيم ، العيل على غيره ٢٥٢  
الكمالي ٦٤٦  
الكن : تعاونهم من القوت والكن ٢١٠ ،  
٢١٢ ، ٧٢٤ ، ٧٢٦  
الكنباص ٩٢  
الكندر ٧٥٩  
كنن ٦٣٧  
كنه الحاجة ٤٣٦  
الكنيس : فطنة ٧٣٦ ، ٧٧٥ ،  
٧٧٦  
كيموس ٧٤٠

## ٢

- ماء النعيم : روى في ماء السلطان  
وظله ٣٠٠  
مازورون غير ماجورين ٢٨٠  
مالف : اتخذوا اللمة والراحة مالفسا  
لهم ٢٩٩  
ماكله : صيره ... للباعه ٧٠٥  
مالف : الانسان ابن مالفه ٢١٩  
ماجت بسماسرة البغي والباطل ٣٧  
ماخض النتائج ٢١٣  
الماعون ٢١١ ، ٣٠٥ ، ٦٤٢  
ماتع دون ذلك ٢٩٠  
المباشرة ٧١٣  
- مباشرة الاحوال اللوكية : اثيان  
ادارة ٣٢٩  
- مباشرة السلطان في كل وقت :  
الاتصال به ٤٢٤  
المتنعة ٨٣٣ ، ٨٣٦  
المبخوت : جده ٢٠٠  
المبشرات : الرؤى الصالحة ١٨٠  
المبطون : المصاب يوجع البطن ٩١٩  
البيضة ٤٤٩  
البيئات ٨٤٩  
المتخرمة الحواشي : الاوراق ... ٦٨٦  
المتبدي : الحي المقيم في البادية ٢٤٤  
المتبدي : القبائل ٢١٤  
مجسنه : صيره مجوسيا ٢١٥

## لا

- لاذ به ٢٣٤  
لائمة الكبر : لا تصدهم ... ٥٠  
لبسوا به من النشارة والري ٣٤  
لبس جلدتهم ٢٢٩ ، ٢٣٧  
لبسوا بكتاب مدلس ٢٨١  
- في النعوة ٥٨٦  
لبس عليه ٦٩٠  
اللبس ٨٥٠  
لبنة البيت ٥٧٧ ، ٥٧٨  
لبلاية : المحيط او الاوقيانوس ٧٤  
اللبوس : الثياب والسلاح ٤٠٦  
اللجاج ارتكاب اللجاج ٤٢ ، ٧١١  
اللججين المصفر ٣٧  
لحت نسبها بنسب اصجمي ٢٣  
اللدينية : العلوم ... ١٧٠  
لريق ، اي دخيل ٢٢٩  
لطيف الروح ١٨١  
لصيق : دخيل  
لطيفة من البلافة ١٧٢  
لفو : صار الاشتغال بها ... ١٠٣٧

- المتبادل : الذي يلي العمل بنفسه ٢٥٢  
 متبوع الرأي ٤٣  
 متخرف : مقطوع ٩٢٨  
 متصل الأرض : تمة ١٤٠  
 المتعاهد : الدركات المتعاهدة ١٨٢  
 المتصفون ٧٩٦  
 متكررة : جزر ٩١  
 متكرر البيوت ٢٠٤  
 متخول ٦٧٩  
 المتكلمون : علماء التوحيد ، المسمى  
 بعلم الكلام ٣٤٨  
 متوعة الزراعة ٦٤٧  
 - يوضع متوفر ٦٢١  
 المثاني : آيات القرآن ١٠٩٤  
 المتافرة : اقامة السكر في النور  
 ٢٩٣  
 مثله : مثلث ١١٦  
 مج التركيب ١٠٨٥  
 مجانا : مجانة او مجون ٢٢٦  
 مجانية المذمومات ١٦٠ ، ١٠٠٠  
 المجاهدة ١٩٠ ، ٥٧٥ ، ٨٦٤  
 مجسنة : أصاره مجوسيا ٩٨  
 المجسمة ٨٥٦  
 مجبوني على أعمال الخير ١٦٤  
 مجهلة : صار انتحاله التاريخ ٤٦٠٠  
 محافن الأمور : سفاستها ٤٤٠  
 المحاوره ٧٧٣  
 معاويج ٦٤٤  
 محجوبون من القيب ٥٨٧  
 محجوجون بالاجماع ٣٤١  
 المحضن : البيض ١٥٧  
 المحكمات ٨٤٩  
 مخدوشة ١٠٨٨  
 المخرفين او المتخرفين ٦٨٩  
 المخال او المخل ٦١٣  
 مخلص : لا ... من هذا الا... ٦٢٦  
 المخطط : يتحرر من... ٦٢٧  
 مد : لا يبلغ مد احداهم ولا تصيفه ٤٢  
 مدارك القيب ١٩٥  
 المدر : سكان... ٦٧ ، ٢١٢ ، ٦٤٣  
 - القرى ٢٦٥  
 المدرك الحسي ٨٧٣  
 - العقلي ٨٣٧  
 - البشري ٨٧٣  
 مدليس ٥٦١  
 مدلين ببأسهم : مبرهين عنه ٢١٩  
 المدونة ٨٠٧  
 مدونة هذه الصنعة ٩٣٠  
 مدني الطبع : الانسان .. الطبع ٨٤٠  
 المرافعة : العداة والهجران ٢٦٧  
 المران : التمرن واعنياد الشيء ٣١٧  
 ٨١١  
 المربي : التربية ٣٢٧ - ليكون  
 مرباهم به ٦٥٤  
 مرتفع جباياتهم ٤٠  
 مرجوح : أمر... ٣٩٥  
 مرخ أعضاء : دهنها ٧٣٦  
 مرمي الجهل بين الانام وخيم وبيل ٣  
 مرفقة : كان لهم في وجوده معهم ..  
 عظيمة ٦١٩  
 المرة : القوة ٣١٦  
 مرن على : تمرن وتمرس به ٤٤٨  
 مروج خبيثة ٦١٨  
 المرید ٨٦٤ ، ٨٢٦ ، ١٩٣  
 مرية : لا مرية فيه بين العقلاء ٢٠٧  
 ٩٢٧  
 مزاج : عمر الحادث من قوة مزاجه



- ٢٨٨  
 المزاحفة : المحاربة ٢٦٢  
 مزجاة : بضاعة ٨٠٠  
 الزوار ، المقدم على الجندرة ٤٢٨  
 مس : يسهم من الامر ما لا يمس  
 غيرهم ٢١٦  
 مسالة الركبان ٦٨٨  
 مسامت ٧٧ ، ٨٥  
 المسامطة ١٤٤  
 مستقر العادة : أجرى الامور على...  
 ٢٨١  
 مساوق ١٠٣٣  
 المستامون ٦٦٢  
 المسحت لراس المال ٧٠٤  
 مستصعب : كل معقل او .. عليهم  
 فهم تاركوه ٢٦٢  
 مستغلق على الافهام ١٠٢٦  
 مستهتر : الفساق المستهترون ٣٢  
 ضرور : ولد .. اي مخنونا ٧٣٧  
 صموم القول والكلمة ٤٣  
 المسند : الخطل ٧٤٧  
 المسودة ٤٤٩  
 مشادق : مخالف ١٩١  
 مشافة ٣٤٣  
 المشروعية ٣٧١ ، ٣٧٢  
 المشكاة ٩  
 المشيومات ٨٨٧  
 مشيع : من غير مشيع : اي من غير  
 وسيط ١٧٦  
 مصروف ، عن اعمال الشرف ١٦٤  
 المصطنعون ٣٢٦  
 مصالحات الاقوات : متبلانها ٦٤٦  
 المصلي : الذي يأتي بعد المجلي ١١٢٨  
 مفرسة بقطع من البحر ١٢٧
- مضعف ٣٢٩  
 المضة ٨٤٧ ، ٨٤٨  
 المضار : الطبيعية في الشعر ٧٦٢ ،  
 ٧٦٣  
 المطامير ٧٢٥  
 مطمن ومغز : لا مطمن فيهم ولا  
 مضمر ٥٦١  
 مظنة الباطل ٣٦١  
 معادن : الناس في نشاتهم وتناسلهم  
 معادن ٢٣٥  
 المعاش ٦٨٢ ، ٦٨٣  
 معاصر ١٥٢  
 معاهد : رأي صحيح ١٠  
 المعاهد ٧٢٨  
 معالات البيوت والصروح ٢١١  
 المعالة بالتنميق ٦٤٠  
 المعانة او المعايعة ٢٠٧ ، ٢٠٨ ،  
 ٩٤٢ ، ٩٧٧  
 معانة العلوم ٤٣٨ - معانة الكتب ٧١٤  
 معاودة ذلك : اتيانه ٢٠٦  
 معرة المجز عن المقاومة ٣٦  
 معصوم : الحل منزله عن ذلك  
 معصوم منه ٤١  
 معطلة : مفاز ١٢٢ ، ١٢٣  
 معقب : لا معقب لحكم الله ٢٧٧  
 معقل : مشكوك في نجاحه ٢٦٢  
 معقولة الجسم ٨٣١  
 المعنى ٧٥٤  
 المهود من سنة الله ٥٧٧  
 نقص عن مهوده ٦٥٣  
 المول عليه ١٩٢  
 المعيان ٩٣٥  
 معيار ٨٣٥ ، معيار النطق ٩٩٦  
 المغايرة بينهما الفرق ١٦٣

- المعالجة ٢٧١  
 المفارقة : ما بيننا وبينها من... ٨٤٣  
 مغبة الامر : ماله ٢٨٣  
 مغل الزراعة : غلة الزراعة ٢٦٩  
 مغليون لكل غالب ٢٦٠  
 مغمز : لا مطعن فيهم ولا مغمز ٥٦١  
 مغيب : استخراج ١٩٧  
 - مغيب عنهم من امور اخرتهم ٢٣٨  
 مفاعل : عمل مع مفاعله ٤١٩  
 مقاصد : ليست من ... كتابنا  
 هذا ١٢٧  
 مقالة مرجوحة : جنح الى... ٣٥  
 مقامة : اقامة ٥٠٦  
 المقترح : الفاية : انتهى بسعيه الى  
 مقترحه ٢١٤  
 المقرض ٧٣٣  
 القرية : كانوا عليها قبل... ٥٨٦  
 القربات الخيل التي يفرح معلقها ١٥  
 القمر : لفظ مقعر ١١٠٧  
 مقفلة : فتح له ١٠٣٠  
 مقل : البصرة تنقد الصحيح اذ  
 تمقل ٣  
 ملابس المحمود ١٠٠  
 ملتوتة : متدودة ، مونوفة ٣٠٦  
 الكره والنشط : يطبعه في ما يكلفه  
 على ٣٧٠  
 ملحد : كان ملحده في ٦٢٢  
 المكاسبة ٦٨٢  
 مللوز : مستطاب ، لذيذ ٢٦٢ ،  
 ٢٧١ ، ٧٥٨ ، ٧٦٠ ، ٧٦٣  
 الملقوز : اعمالها الملقوزة ٢٠٣  
 ملكة رفيقة عادلة ٢٢٠  
 محالفة ٣٧١  
 مجالاة ٣٧٨  
 معرض - اعطوا صفقة معرضة ٦٧٤  
 منشأ الخلاف ٢٧٧  
 مكان ياتي فيها الرب ٣٧  
 اللند ٤٤٧  
 المكاسبة ٧٠٥  
 الماحكة ٧١١  
 الملا : كساها ... ٦٢٤  
 منازل الحضارة ٦٠٩  
 الملاينة ٦٧٤  
 الناص : العادة ، المقاومة ٤٣  
 المناظرة ٧٧٣  
 المنافاه ١١٢٢  
 المنافاه ٦٦٨  
 منبت زكي ٢٣٥  
 مناكير ٥٩٢ - روي عنه ٥٦٨  
 المتحلون للمعاش من الفلح ٢١٢  
 منجاة من العلوم ٩  
 منتحل : رأي ... ٥٨٢  
 المنجدة بالحجارة : يخلدون ...  
 بالحجارة ١٤٢ ، ٧٢٦  
 النجم ٥٨٧  
 المنديل : ضارب ٥٨٧  
 منعة القوم ٢٨٠  
 منقع : منافع موضع يستنقع الماء  
 فيه ٦١٨  
 الناكح : انواع ... ٦٦٥  
 مناكير افعال السحرة ١٩٠  
 منالهم للملك والعزة ٢٣١  
 المنطق : المدد المصحح به ٨٩٧  
 منطوقة : معادن ... ١٠١٤  
 المنعة ١٦٢ ، ٣٥٨  
 المنكرات الفاضية ٥٨٧  
 منكشف من الارض ١٤١  
 المنمنمة : الرياض ... ٧٢٨

- مهذوا اكناف الدولة ٧٠٠  
 منكوص على عقبه ٨٠٣  
 مهن : يمهونه : يضربونه ضربا مبرحا  
 ٣٦٢ ، ٣٤  
 مهواة من الفلظ : وقع في ٤٨  
 — مهواة النهلكة ٤٨  
 مهرودتين : جلنين مزعفرتين ٥٨١  
 المهرسون ٦٩٢  
 المهورى : بعيد المهورى ١٤٠  
 مهورى الافئدة ٦٢٣  
 مهيع : عرف .. واحدا ١٠٧٤ ، ٩٠٢  
 مؤتلف الاعمال : امر جديد لم تسبق  
 فيه تجربة ٤٤٣  
 الموائد الخصبة ٦٤٥  
 الموت الاحمر : بايموه على ٣٨  
 الموسوسون ٢٨٣  
 الموقوت : كتابها ١  
 موفور الصمران : قطر ٦٤٧  
 موه بها عليه ٦٠٧ ، ١٠١٢  
 مؤئل سلطانهم ٢٣٢
- ن
- نابت نائبة ٤٥٥  
 ناشئة الدولة ٧٠٠  
 ناغى خلفهم سلفهم ٢٩٥  
 النامية ٧٤٠  
 ناقة : لم يترك لاحد منهم في الامر  
 لا .. ولا جمل ٢٩٤  
 نبا عنه سمعه ١٠٨٥  
 — به الزمن ٤٤١  
 النباتات : الاصوات الخفية : يتوجسون  
 عن ٢١٩  
 النبوة : السقطة ٤٤٢  
 نشير الحبوب ٦٤٥
- النجامة ١٩٦  
 النجر ٦٩٤  
 النجدتين : هديناه ٢٢٣  
 النجمة ٢١٣  
 نجم بها ١٠٩١  
 النجوى ١  
 نحا منحاه ٤  
 نحل المامون : اعطى ١٩٣ ، ٣٠٥  
 نحلة : نحل ١٤٧ ، ٢١٠  
 نحوس وسعود او نحوسة وسعودة  
 ١٥٦ ، ٥٩٧  
 نزههم من موانع البدن ١٧١  
 النزوعية : اقوى ٨٤٥  
 نسقوا اخبارها نسقا ٥  
 نسم : اتشانا من الارض ١٠٠٠  
 نشاة مستانفة ٥٣  
 النص : لقب كتاب المنطق عند ارسطو  
 ٩١٠  
 نصاب : استقر الملك في ٣٢٩  
 نصره : صيره نصرانيا او عبده ١٥  
 نصيف : لا يبلغ مذاحدهم ولا نصيفه :  
 مثل يكتى به من مكانة النخص  
 بالنسبة لشخص اخر  
 نضارة العيش ٧٦٥  
 النطفة ٨٤٧  
 النعرة : العصيبة ٢٢٩ ، ٢٣٠  
 ٢٣٥ ، ٢٧١ ، ٢٢٧  
 — اخلتهم .. للعجم ٦١٦  
 النعيم : بلغهم ٦٢١  
 نعيق : اتبع نعيمه الارذلون ٢٨٤  
 نقص عليه ٢٤٠  
 نفرة عن الضعة ٢١٣  
 نفس عليه : لم يره اهلا له ٣٣١ ، ٣٣٢

- نفسوا ذلك عليه ٤٣  
نفى الرقاب والادلاء هذه الصحراء ٦٠  
نفق فيها عند الكافة ٣٧  
نفق كذبه ١٩٨  
نقب من عورات الناس ٣٣٥  
النقلة : ينزعمون الى ... ٦٤٤  
نكاية الحرب ٦١٢  
نكت بيده في الارض ٣٦٧  
نقم الناس ذلك عليه ٨٠١  
نكدة الثبات ٦٤٨  
نكب به عن الزلات والمغالط ١٢  
نكير : غير تكير الاملاخ بابائهم ٥٢  
— ليس من ذلك بتكير في حقهم ١٩٢  
— كشفوا عن وجه التكير عليه ٢٨١  
— كان في ذلك تكير عليه ٣٦٥  
نعت الاقوال : ذاعت وشاعت ٢  
نهاب الناس : امنلات ايديهم من ٢٨٢  
نهج له السبيل ٦٦  
نهج : النهج الامم : سلكت ٣٧  
النوائية : جمع نوتي ٩٢  
النوافل ٢٩٥  
النور ٦٦٥
- ه  
الهاضمة ٧٤٠  
هتك قناع المخدرات ٣٢  
هجس في قلبه ١٧٥  
الهجنة : الصب والقيح ٤١ ، ١٠٧٩  
— اصبح تعاطي الشعر ١١٢٣  
الهدر ٦٨٦  
هدر من القول والعمل ١٩٨  
الهديان : انتهى .. به الى ٢١  
الهراس ٧١٥  
هرج الناس : وقعوا في فتنة
- واضطراب ٢٨٢ ، ٢٨٣  
الهرج ٧٦٥  
هزو : اتخلدوا آيات الله هزوا ١٦  
الهشاشة ١٠١١  
هضبة متوعدة ٦١٧  
الهلكة ٤٤  
الهمل : لا يبقى الا .. والبلعة ه ،  
٦٦٩  
— اختلط المرعى بالهمل مثل يضرب  
لاختلاط الجيد بالقبيح ٤٦  
الهندام : التنظيم والاصلاح ٣١٤ ،  
٦١٣  
هواء راكد خبيث ٦١٨  
هوادة : ظنوا به ... في السكوت  
من ٣٧٨  
— ليسوا ممن يأخذون في الحق ...  
٣٧٣  
الهورج ٣٣٦  
هوده : صيره يهوديا ٢١٥  
هوى : تحكم و... ١٩٨  
الهوان ٦٩٨  
الهيولى ١٨٥ ، ٨٤٧  
هيمة : الصوت المفزع ٢١٨  
هيولاني : مادة ... ٨٤٤

## ٣

- الوام : البيت الدافئ ٧٢٥  
وازع الحشمة : صدهم ... ٢١٥  
واقمها ٢٢  
الواهمة ١٦٩ ، ١٧٠  
الوير : اهل ... ٨  
وثقه بعضهم ٥٧٠  
الوحي : الاسراع ١٧١  
الوجد : والمعاش على نسبة ... ٢١١

- الوراقة ٧١٤  
الوزر : العقل والملجأ والمعتصم : لم  
يكن دونه حمى ولا وزر ٢٨٧  
وزع : يزعمهم عن المفاصد ٤٠٨  
— لا يزعمهم غائل الانفة ٤٩  
ورى منه : نصره ٣٢٩  
وسق : أوسق ، وزن ٦٠ صاماً أو  
حمل بعير  
وسوس : وهم توسوس به النفوس  
الجامعة ٢٣٩  
وشجت عروق الأمة ٤٩  
الوصلات : كساما ... ٦٢٤  
وصلة النبي ٣٤٥  
الوضر ٩:٣  
وضيع وضعاء : الخسيس اللئيم ،  
فد الشريف ٤٣  
الوعر : لا كابوده من وعرها ٦٢١  
وعرية : رياضة ... ١٩١  
الوفق المثني ١٣٤  
وقت : وقوت ١  
وقر في نفسهم العسد ٢٥
- في نفوس الكافة ٢٢٤ ، استقر ،  
وقع ٢٢٤  
— وقر عندها : سكن وثبت ٢٥٨  
ولج الكفر من باب ٤١  
ولسي ٥٨٨  
وليجة : لا يجدون ... منها ٢٩٨  
— لا يجدون ... عن ذلك ٦٦٣ ، ٦٨٨  
وهلة : يهلك لأول ... ٣٣٢
- ي  
اليتوع : كل نبات له لبن دار ، مسهل،  
محرق ١٦٠  
اليد البيضاء : اهل ... ٨  
— القاهرة : له عليهم السلطان والقلبة  
واليد ... ٧٢  
— يد عالية : فوقهم ... ٦٩٥  
اليسار : القنى ٦٤٢ ، ٦٩٧  
يرمقون العيش ترميقاً ٦٩٧  
يشبه في بلعته ٣٥  
يلبس في امره ٣٥  
اليهموت ٢

## ٤- فِهْرَسُ اشْعُوبَ وَالْقَبَائِلِ وَالْأَسْرِ

٦٥٧ ، ٧٢١ ، ٧٨٧ ، ١٠٤٣  
الاسماعيلية او الباطنية ٣٥٦ ، ٥٧٥  
٨٧٥ ، ٥٧٦

الاسماعيلية.الحسيشة او القداويرة  
١١٧

الاعتزال ، انظر : المعتزلة

الاشعرية ٤٠٦ ، ٨١٧ ، ٨٨٠

اعياص زناتة ٢٩٣

الغالبة ، بنو اغلب ٣٣ ، ٣٨ ، ٣٠٨

٣٣٣ ، ٤٧٦ ، ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥

٦١٤ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠

الافرنجة ، الافرنج ، الفرنجة ٧ ، ٤٧

٥٤ ، ٧٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦ ، ٢٦١

٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٤ ، ٤١٥ ، ٤٤٧

٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠ ، ٤٨٥

٤٨٦ ، ٦٣٣ ، ٦٣٦ ، ٦٥٨

٦٨٦ ، ٦٩١ ، ٨٩٤ ، ١٠٨٠

الاکراد ١٢٠ ، ٢١٣ ، ٢٥٤ ، ٤٧٩

امراء طي ٢٣٤

امية ، بنو أمية ، الامويون ، الدولة

الاموية ٢٩ ، ٣٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ،

٢٧٥ ، ٢٨٩ ، ٣٠٧ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥

٣٣٤ ، ٣٦٤ ، ٣٦٦ ، ٣٦٦ ، ٣٦٩

٣٧٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٢ ، ٤٤٩ ، ٤٧٤

٤٧٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٣

٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٥٨ ، ٦٧٠ ، ٧١٧

٧٥٠ ، ١٠٩١ ، ١١٢٣

الانبياء ١٦٠

اعتبر في هذا القسم لفظة آل ،  
اسرة ، بني .. في الترتيب المعجمي

٤

آل الاشعث بن قيس ٢٤٢

آل حاجب بن زرارة ٢٤٢

آل حليفة بن بدر الفزاري ٢٤٢

آل الحسن ٤٢

آل ذي الجدين ٢٤٢

آل قيس بن عاصم المنقري ٢٤٢

آل محمد ٣٣ ، ٥٥٩

آل المنذر ٢٢٩ ، ٧٤٥

الانبي عشيرة ( الفرقة ) ٢٥٢ ، ٣٥٦

٣٥٧

ابناء زيان ٢٣٣

الائمة المستوريون ٣٥٦

الادارسة ٢٣٣ ، ٢٧٦ ، ٤٠٢ ، ٥١٨

٥٢٤

الارذلون ٢٨٤

الارمن ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨

الازد ٤٥ ، ٢٢٩ ، ٣٨٠ ، ٤٨٧

الاسباط العشرة ٤١٠

اسرائيل ، الاسرائيليون ، بنو اسرائيل ،

يهود ٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٤٦ ،

٥٤ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ٢٣٦ ، ٢٤٧

٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣٦٥ ، ٤٠٩

٤١٠ ، ٤١٢ ، ٥٧٩ ، ٥٨٩ ، ٦٣٤

- الانصار ٦٣٤ ، ٣٨٠ ، ٣٤٤  
 اهل ٣٣ ، ٤٠ ، ٤١ ( تقباؤهم ) ٤٢  
 ٤٣ ، ٤٠٦ ، ٧٩٩ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥  
 اهل الحديث ٣٠  
 اهل الزعرة ٢٨٢  
 اهل المدوة ٢٧٤  
 اهل الظاهر ، انظر : الظاهرية  
 اهل العصبة ٤٨ ، ٢٣٠ ، ٢٩١  
 انظر ايضا : العصبيه  
 اهل الغلب ٢٣١  
 اهل الشام ٢٥٤  
 الاوس ٢٠  
 اولاد ربابه او الحجازيون ٢٣٢  
 اباد ٢٢٨ ، ٧٤٥ ، ١٠٧٢  
 الايوبية ( الدولة ) ٨٠٥
- ب
- الباجيون ٩٩  
 الباطنية ، انظر : الاسماعيلية  
 البجر ٢٧٤  
 برجم ١١٣٢  
 البرامكة ، بنو برمك ٢٢ ، ٢٤ ، ٥٢  
 ٢٣٤ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٣١٧ ، ٣٢٦  
 ٤٣٣  
 البربر ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٧  
 ٥٣ ، ٥٤ ، ٨٢ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٥٢  
 ١٥٣ ، ٢١٢ ، ٢٥٧ ، ٢٧٤ ، ٢٨٤  
 ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٣٣٣ ، ٣٩٤ ، ٤٠٥  
 ٤٤٧ ، ٤٥٩ ، ٤٧٥ ، ٤٨٠ ، ٤٨٦  
 ٥١٨ ، ٥٢٤ ، ٥٣٥ ، ٥٨٨ ، ٦٣٦  
 ٦٣٧ ، ٦٥٣ ، ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧٦  
 ٧٢٠ ، ١٠١٢ ، ١٠٣٩ ، ١٠٧٩ ، ١٠٩١  
 البطارق ٤١٣
- البعاجون ( سحرة المغرب ) ٩٣٠  
 بكر بن وائل ( قبائل ) ٢٨٠  
 بنو اسرائيل ، انظر : الاسرائيليون  
 بنو اغلب ، انظر : الاغالبه  
 بنو الاحمر ( دولة ) ٤٦٠ ، ١٦٩٠ ، ١١١٤  
 بنو ابي الحسن او بنو سعيد ٤٣٤  
 بنو ابي حفص ، انظر : الحفصيه  
 ( الدولة )  
 بنو ابي عبدة ٥٠٣  
 بنو اسد ٢٢٧ ، ٢٨٥ ، ١٠٧٢  
 بنو باديس ٤٧٦ ، ٥١٩  
 بنو برد ٥٠٣  
 بنو برمك ، انظر : البرامكة  
 بنو بويه ٣٢٦ ، ٩٩٥  
 بنو تميم ٢٤٢ ، ١٠٧٢  
 - جمفر ٥٨٣  
 - حديره ٥٠٢  
 - الحرث بن كعب اليمني ٢٤٢  
 - الحسين ٤٥٠ ، ٥٨٣  
 - حماد ٤٧٦ ، ٦١٤ ، ٧١٨  
 - حمدان ٢٤٦ ، ٥٣١  
 - حمود ٦٠٢  
 - خراة ١٠٧٢  
 - خزدون ٤٥١  
 - اللبيان ٢٤٢  
 - سامان ٥٣١  
 - سبكتكين ٥٣٦  
 بنو سعد ٢٣٤  
 - سعيد ، انظر : بنو ابي الحسن  
 - سليم ٢٣٢ ، ٢٤٣ ، ٢٦٥  
 - سند ٨٠٣  
 - سهل بن نويخت ٣٢٦ ، ٤٣٣ ، ٥٠٣  
 - سلامة ٢٣٤

- بنو هاشم ٢٤٢  
 - هود ٩٤٣  
 - هلال ٢٦٥ ، ٦٥٩  
 - يدلتن ٢٣٤  
 - يفرن ٣٦٩  
 بهاليل ١٩٢ ، ١٩٤  
 البوادي ٢٦٩  
 بيت شيبان ٢٤٢  
 - قيس ٢٤٢
- بنو شائر ٩٠٣  
 - شهيد ٥٠٣  
 - صالح ٩٣  
 - طاهر ٣٢٦ ، ٥٠٣  
 - طنج ٣٠٨ ، ٥٣٦  
 - طيء ٢٤٣  
 - عامر ٢٢٢ ، ١١٣٥  
 - عامر بن صعصعة ٢٤٣  
 - العباس ، انظر : العباسيون  
 - عبد الحكم ٨٠٤  
 - عبد القوي بن العباس ٢٢٢  
 بنو عبد الطلب ٥٧٧  
 - عبد مناف ٥١٧ ، ٥٢٣  
 - عبد المؤمن ٤٠٧ ، ٤٥٢ ، ٦٠١  
 - عبد الواحد ٢٣٣  
 - عبد الواد ٢٨٨ ، ٤٢٩ ، ٤٧٨  
 - عمران ٤٢  
 - هوف ٨٠٣  
 - ميصو ٢٩١  
 - قحطبة ٢٤ ، ٥٠٣  
 - قيلة ٦٣٤  
 - كنانة ١٠٥٧ ، ١٠٧٢  
 - لوط ٢٩١  
 - كعب ١١٣٣  
 - مدرار ٣٣ ، ٣٧  
 - مدين ٢٩١  
 - مروان ٣٢٢  
 - مرين ، انظر : المرينية ( الدولة )  
 - منقذ ٤٥٣  
 - المهلب ٥٢  
 - مهنى ٢٣٤  
 - ميعون ٤٥٢  
 بنو نصر ٩٤٣  
 - نوبخت ٢٣٨
- التايصون ٣٣٩ ، ٣٦٦ ، ٣٧٧ ، ٢٨٣  
 ٣٨٥ ، ٧٤٧ ، ٧٨٥ ، ٧٩٠ ، ٨٣١  
 ٨٦٣ ، ١٠٤٨ ، ١٠٥٥  
 التابعة ، تبع ١٦ ، ١٨ ، ٤٦ ، ٢٥٥  
 ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣١٧ ، ٦٢٤ ، ٦٣٨  
 ٦٥٨ ، ٧٢١ ، ٧٤٥ ، ٧٤٦  
 التتر ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٥٣٦ ، ٦٠١  
 ٦٧٦  
 الترك ، اترك ١٧ ، ١٩ ، ٤٧ ،  
 ٥٤ ، ٧٧ ، ١١١ ، ١٢٣ ، ١٣٠ ،  
 ١٣٨ ، ١٤٦ ، ٢١٢ ، ٢٣٨ ، ٢٤٥  
 ٢٦١ ، ٢٧٣ ، ٢٨٨ ، ٢٩٢ ، ٣٠٠  
 ٣٠٨ ، ٣٣٠ ، ٣٩٤ ، ٤٢٤ ، ٤٢٩  
 ٤٣٠ ، ٤٣٥ ، ٤٣٨ ، ٤٤٦ ، ٤٦٠  
 ٤٧٣ ، ٤٧٩ ، ٤٨٦ ، ٥٣٦ ، ٦٠٠  
 ٧٢٠ ، ٧٧٨ ، ٩٢٨ ، ٩٤٣ ، ٩٩٢  
 ١٠٧٩  
 التركمان ١١٧ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٩  
 ٢١٢ ، ٢٥٤ ، ٤٧٩  
 تميم ( قبائل ) ٢٨٠  
 تينملك ١٠٢
- ث  
 ثقيف ٤٩ ، ٢٢٧ ، ٢٨٠ ، ١٠٧٢



## د

الرافضة ١١٨ ، ٣٥٠ ، ٤٠٢ ، ٤٥٩

٨٧٥ ، ٥٧٦ ، ٨٠٤ ، ٨٠٥ ، ٨٧٥

٨٧٧

الرباط ٢٩٣

ربيعة ٣٦١ ، ١٠٧٢

ربيعة نزار ٢٢

الروس ٧٧

الروم ٧ ، ١٩ ، ٤٧ ، ٧٧ ، ١١٧ ،

١٢٧ ، ١٤٢ ، ١٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٨٧

٢٩١ ، ٣٦٢ ، ٤٠٩ ، ٤١١ ، ٤٤٧

٤٤٨ ، ٤٥٨ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٥٣٧

٦٠٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨

٦٧٠ ، ٦٧٦ ، ٦٨٦ ، ٧٢١ ، ٧٢٩

٧٦٥ ، ٨٩٠ ، ٨٩١ ، ٨٩٢ ، ٩٤٣

٩٩٥ ، ١٠٧٢

## ذ

الزعرة ، انظر : اهل الزعرة

زغبة ٢٣٢

زنانة ، دولة زنانة ٧ ، ١٠٢ ، ٢١٣

٢٣٢ ، ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥٤ ، ٢٥٧

٢٧٤ ، ٢٧٩ ، ٢٨٨ ، ٢٩٣ ، ٣٠٠

٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٣٤ ، ٣٦٩ ، ٤٠٤

٤٠٧ ، ٤٢٨ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩

٤٧٥ ، ٥١٨ ، ٥٣٦ ، ٥٨٨ ، ٦٧٦

٩٤٣ ، ١١٢٧ ، ١١٢٨

زنانة ( امياص ) ٢٩٣

الزنج ٧٨

الزهريون ١٩٨

الزواودة ١١٢٩

الزبدية ٣٥٠ ، ٣٥٤ ، ٣٥٥ ، ٥٩٤

زيان ( ابناء ) ٢٣٣

نمود ١٠٦ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٣٠١ ،

٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٦٣٨

## E

جرهم ٦٢٣

جلدام ٢٢٨ ، ١٠٧٢

الجلالقة ١٤٢ ، ٢٥٩ ، ٢٦١ ، ٤٥٣ ،

٤٦٠ ، ١٠٨٠

## ح

الحبشة ١٠٧٢

الحشيشة ( الاسماعيليه ) ١١٧

الحفصية ( الدولة ) ٤٠٧ ، ٤٢٧ ،

٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٣٧ ، ٤٧٨ ، ٥٠٥

٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦٧٣ ، ١٠٦٢

حمير ١٧ ، ٢٢٨ ، ٢٤٣ ، ٢٥٥ ،

٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٧٢١ ، ٧٤٦ ، ٧٨٧

١١٢٤

الحواريون ١٢٥ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣

الحوكية ١٩١

## E

خزامة ٢٢٧ ، ٦٢٤

الخزرج ، الخزرجية ٧٧ ، ٨٠ ، ١٢٩ ،

١٤٦

الخزرج ٢٠

الخوارج ٢٩٠ ، ٢٩٢ ، ٣٤٠ ، ٣٤٥

٣٧٤ ، ٤٢١ ، ٤٨٤ ، ٥٠٢ ، ٥١٧

٧٩٩

الدهاقون ٣٠٧

الديلم ٢٥ ، ٨٠ ، ٢٧٣ ، ٣٠٨ ، ٣٥٥

٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٦٠٠ ، ٦٧٦ ، ١٠٩٢



١٠٤٩ ، ١٠٤٧ ، ١٠٣٨ ، ١٠٠٧  
 ١٠٥٨ ، ١٠٥٧ ، ١٠٥٥ ، ١٠٥٠  
 ١٠٧١ ، ١٠٦٩ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٤  
 ١٠٨٦ ، ١٠٨٥ ، ١٠٨٣ ، ١٠٧٤  
 ١٠٩٨ ، ١٠٩٧ ، ١٠٨٩ ، ١٠٨٧  
 ١١٢٢ ، ١١١٣ ، ١١١٠ ، ١١٠٢  
 ١١٢٤

المرافون ١٨٤ ، ١٨٩ ، ٥٨٨  
 المصائب ٢٦٩

العلويون ، العلوية ( الدولة ) ٢٣٣ ،  
 ٥١٨

الصالحات ١٨ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ، ٢٦٩ ،  
 ٢٩١ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٦٢٤  
 ٦٣٤ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨ ، ٧٢١

### غ

الفرس ١٣٠ ، ١٣١

غسان ٢٢٨ ، ٦٣٤ ، ١٠٧٢  
 القلب ( اهل ) انظر : اهل القلب  
 الغلاة ، غلاة الامامية ٣٥٢ ، ٣٥٣

### ف

الفاطميون ، الفواطم ، الفاطمية  
 ( الدولة ) ٥٨٥ ، ٥٩٥ انظر ايضا :

البيديون ، البيدية

الفتاوية ١١٧ ، انظر ايضا : الاسلاميلية  
 الحنيفة

الفرس ٧ ، ١٤ ، ١٧ ، ١٩ ، ٤٦ ،  
 ٢٣٨ ، ٣٣٤ ، ٤١٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٢  
 ٤٨٣ ، ٥٠٨ ، ٦٢٤ ، ٦٣٢ ، ٦٣٨  
 ٦٥٨ ، ٦٧٠ ، ٦٨٦ ، ٦٩٢ ، ٧٢١  
 ٧٦٥ ، ٨٩٢ ، ١٠٤٩ ، ١٠٧٢ ،  
 ١٠٧٩ ، ١١٢٤

العباسية ٢٩ ، ٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٣٨  
 ٢٢٩ ، ٢٤٥ ، ٢٦٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٤  
 ٢٨١ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣١٠ ، ٣٢٢  
 ٣٢٦ ، ٣٧٣ ، ٣٨٩ ، ٣٩٢ ، ٤٠٢  
 ٤٠٣ ، ٤٠٥ ، ٤٢٢ ، ٤٢٦ ، ٤٣٣  
 ٤٥٨ ، ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧  
 ٥٠٣ ، ٥١٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٥ ، ٦٠١  
 ٦٢١ ، ٦٦٨ ، ٦٧٠ ، ٩٩٥ ، ١٠٥٠  
 ١٠٩١ ، ١١٢٣

عبد القيس بن ربيعة ( قبائل ) ٣٨٠  
 العبيديون ، العبيدية ( الدولة ) ٣٣

٣٦ ، ٢٢٣ ، ٢٧٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩  
 ٣٠٨ ، ٣١٧ ، ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٦٩  
 ٣٨٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤  
 ٤٠٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٨  
 ٤٦١ ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٥١٨  
 ٥٣٥ ، ٥٩٥ ، ٦١٤ ، ٦٣٣ ، ٨٠٥  
 ٨٠٨

العجم ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، ٣٣٣ ، ٣٦٧ ،  
 ٣٦٩ ، ٤٠٤ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٤٨  
 ٤٥٧ ، ٤٧٢ ، ٤٨٠ ، ٤٨٣ ، ٦٠٠  
 ٦١٠ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٣٧ ، ٦٥١  
 ٦٧٦ ، ٧٥٧ ، ٧٦٣ ، ٧٨٨ ، ٨٠٣  
 ٨١٨ ، ١٠٤٩ ، ١٠٥٠ ، ١٠٥١ ،  
 ١٠٧٩ ، ١١٢٣

انظر ايضا : الفرس

العرب ٦ ، ٧ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٤  
 ٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٥٤ ، ٢٧٣ ، ٣٠٠  
 ٣٠٧ ، ٣٦٢ ، ٣٨٠ ، ٣٩٤ ، ٤٢٠  
 ٤٢٢ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٧٤ ، ٤٧٩  
 ٤٨٠ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٥٩٩ ، ٦١٦  
 ٦٢٣ ، ٦٣٧ ، ٦٥٨ ، ٦٦٨  
 ٦٧٠ ، ٧٦٥ ، ٧٢٠ ، ٧٤٥ ، ٧٤٩  
 ٧٦٤ ، ٧٨٥ ، ٧٩٩ ، ٨١٤ ، ٩١٩



الوحدين ٥١٩ ، ٥٣٦ ، ٦٠١ ، ٦٠٣  
٦٥٣ ، ٦٦٠ ، ٦٧٤ ، ٧١٧ ، ٧٥١  
٧٧٢ ، ١١٢٩ ، ١١٣٢ ، ١١٤٢  
الموسوسون ٢٨٣  
الملكثة ، الملكة ١٦٤ ، ١٦٨

### ن • و

النبط ٧ ، ٤٦ ، ٦٣٨ ، ٦٥٨ ، ٧٢١  
٩٢٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧  
النسطورية ٤١٥  
نقرة ١٠٣  
نمر ( عرب ) ١١٣٧  
هاشم ( بنو ) الهاشميون ٢٧٦ ، ٢٨٢  
٥٩٦ ، ٥٢٤ ، ٥٦٦  
الهاشمية ٣٥٣  
هليل ٢٢٧ ، ١٠٧٢  
هرثمة ٢٣٤  
هنتانة ١٠٢  
هنود ٩٩١  
هواره ٢٧٦  
الهلايون ، بنو هلال ٢٦٥  
الوافية ( شيعه ) ٣٥١ ، ٣٥٢  
ولد القاسم ٢٢٣

### ي

اليقوية ٤١٥  
اليهود - انظر : اسرائيل  
يهودا ( بنو ) ٤١٠  
اليونان ، اليونانيون ٧ ، ١٢٧ ، ١٤٦  
٢٥٧ ، ٤١٠ ، ٦٣٢ ، ٦٥٨ ، ٦٩٢  
٧٢١ ، ٨٩٠ ، ٨٩٢ ، ٩٠٥  
٩١٠ ، ١١٢٤

٢٥٧ ، ٢٦٩ ، ٢٧٧ ، ٢٨٧ ، ٣٠٩  
٣٤٥ ، ٣٤٦ ، ٣٦٢ ، ٣٧٥ ، ٣٨٠  
٣٨٢ ، ٣٨٣ ، ١٠٧٣ ، ١٠٧٤ ،  
١٠٧٥ ، ١٠٧٦ ، ١٠٧٨ ، ١١١٠  
١١٢٤ ، ١١٢٥  
اللسان المضري: تعلمه ١٠٨٠ ، ١٠٩٠  
الماعدون ٤١٥  
المعتزلة ، الامتزال ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢٤٠  
٣٥٠ ، ٣٨٠ ، ٦٧٩ ، ٧٨٨ ، ٨١٧  
٨٣٢  
مقراوة ٢٥٧ ، ٣٦٩  
مغيلة ٥١٨  
المغول ٦٧٦ ، انظر ايضا : التتر  
المقايين ٤١٢  
ملوك الطوائف ١٩ ، ٢٧٣ ، ٢٧٥  
٣٠٨ ، ٣٣٤ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤٢٥  
٤٢٦ ، ٤٣٣ ، ٤٥٠ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣  
٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٣ ، ٥١٩ ، ٥٣١  
٧١٧ ، ١٠٩٠ ، ١١٣٨  
الملبسون ٢٨٣  
الملثمين ( طوائف ) ٩٣ ، ٩٨ ، ١٥١  
١٥٢ ، ٢٥٥ ، ٢٥٧ ، ٥٨٣ ، ١١٣٩  
الملكية ( طائفة ) ٤١٥  
الماليك ٣٠٨  
المنجمون ١٩٥ ، ١٩٨  
المهاجرون ٢١٦ ، ٣٨٠  
المولدين ١٠٥٠  
الموالي ٢٣٧  
الوحدين ( دولة ) الدولة الموحدية ٤٢  
٢٠٣ ، ٢٧٣ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩  
٢٩٢ ، ٣٠٠ ، ٣٠٨ ، ٤٠٦ ، ٤٢٥  
٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٥٣  
٤٥٩ ، ٤٦٤ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥

## ٥ - فهرس البلدان والأمكنة الجغرافية

|                                    |                              |
|------------------------------------|------------------------------|
| أرمندية ١٣٣                        | آمد ١١١ ، ١١٨ ، ١٢٩          |
| أرمينية ٨١ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ٢٢٠ | آمل ١٢٢                      |
| أريس ( بحر ) ٤٦٨                   | أبد ١١٣                      |
| استجة ١١٣                          | الائلة ٧٩ ، ١٠٧              |
| استراباذ ١٠٩ ، ١٢١                 | أبكردة ١١٥                   |
| أسروشة ١٢٢                         | ألل ( نهر ) ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٩  |
| أسفراين ١٠٩                        | أجدابية ١٠٤                  |
| أسكنلرنة ١١٦                       | الإحصاء ١٠٧                  |
| الاسكنلرية ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٥٩ ، ٨١  | الإحقاف ٧٩                   |
| ٩٤ ، ١٠٥ ، ٣٦٣ ، ٤١٣ ، ٤٤٧         | أخشب ١٠٧                     |
| ٤٥٣ ، ٥٠٥ ، ٥٣٦ ، ٦٢١ ، ٨٠٨        | الدريجان ١٧ ، ٨٠ ، ١٢٠ ، ١٢٩ |
| أسنا ٩٩                            | ٣٢٠                          |
| أشبيجاب ١٢٣                        | الدمع ١٠٧                    |
| أسوان ٩٤                           | أذنة ١١٧                     |
| أسيوط ٩٩                           | أربونة ١١٥ ، ١٢٤             |
| أشبونة ١١٤                         | أرجان ١٠٨                    |
| أشبيلية ٥٠ ، ١١٣ ، ٢٠٤ ، ٤٠٦       | أردبيل ١٢٩                   |
| ٧٦٦ ، ١٠٩١ ، ١١٣٩ ، ١١٤٥           | الأردن ١٤ ، ١٠٧ ، ١٢٨ ، ٣٢١  |
| ١١٥٤                               | ٤٠٩ ، ٤٣٢                    |
| أشبر ١٠٣ ، ١١٩                     | أرض الباجويين ٩٩             |
| أصبهان ١٠٨ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢١       | الأرض السابعة ٢              |
| ٤١٠ ، ٥٣٥ ، ٦٦٨                    | أرض السرير ١٢٩               |
| أصطخر ١٠٨                          | الأرض المنتنة ١٢٥ ، ١٣٩      |
| أصيلا ١٠٢                          | أركش ( حصن ) ٢٨٠             |
| أطرابزدة ١٣٠                       | أركش ( بلاد ) ١٣١            |
| أعدوش ( جزيرة ) ١١٥                | أرم ذات العماد ٢١            |
| أقمت ١٠٢                           | أرمن ( بلاد ) ١١٧            |
| أفراقة ١١٤                         | أرمي أوجيل الأكراد ١٢٨       |
| أفرنسية ١٣٣                        | أرمنت ٩٩                     |

٧٦٦ ، ٧٥٦ ، ٧٥٥ ، ٧٥٠ ، ٧٤٩

٨٠٥ ، ٨٠١ ، ٧٨٧ ، ٧٨٣ ، ٧٧٤

٩١٨ ، ٩٠٠ ، ٨٩٣ ، ٨٠٧ ، ٨٠٦

١٠١٢ ، ٩٧٧ ، ٩٤٣ ، ٩٢٤ ، ٩٢١

١٠٦١ ، ١٠٤١ ، ١٠٤٠ ، ١٠١٤

١٠٨٣ ، ١٠٨٠ ، ١٠٧٩ ، ١٠٦٧

١١١٤ ، ١١٠٧ ، ١٠٩١ ، ١٠٩٠

١١٥٣ ، ١١٣٩ ، ١١٣٧ ، ١١٢٤

١١٦٩ ، ١١٦٠ ، ١١٥٧ ، ١١٥٥

انطاكية ١١٧

انطوطوس ١١٦

اتكانرا ١٣٣ ، ١٣٧

انكوية ١٣٣

انكلاية ١٢٦ ، ١٣٣

انكيدة ١٤٦

الاهرام ٣١٤ ، ٦١٣ ، ٦١٦ ، ٦٩٢

الاهواز ١٠٨ ، ٣١٨

الاريس ١٠٣

اوراس ١٠٢ ، ١٠٣ ، ٥١٩

اوروبة ٢٢٦ ، ٥١٨

اوليك ( جزيرة ) ٩٣

ايلة ٧٩

ايلة مدین ١٠٥

ايوان كسرى ٨٠ ، ٣١٣ ، ٦١٤

٦١٦

ايلاق ١٢٢

ب

باب الايواب ١٢٩

باب المندب ٧٨ ، ٩٦

بابل ٦٣ ، ٤١٠ ، ٩٢٤ ، ٩٢٧

باجة ( نهر ) ١١٤

باديس ١١٣ ، ٢٨٤

افرية ١٣٣

افريقية ٤ ، ١٦ ، ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ -

٧٧ ، ١٥٤ ، ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٧٦ ،

٢٨٦ ، ٢٨٩ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٤٠٢

٤٠٣ ، ٤٢٥ ، ٤٢٧ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٥١ ، ٤٥٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٤

٦١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣

٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٣ ، ٦٨٦ ، ٦٩١

٧٤٩ ، ٧٥١ ، ٧٦٦ ، ٧٧٢ ، ٨٠٦

٨٠٧ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٦٧ ،

١٠٧٩ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٩ ، ١٠٩٠ ،

١١٦٦ ، ١١٦٣ ، ١١٢٩ ، ١٠٩١

افلادش ١٣٣

اقاليم الارض ٨٩

اقرنصصة ١٢٥

اقرطش ٧٧ ، ١١٢ ، ١١٥ ، ٤٥٠ ،

٤٥١

الاکراد ( جبل ) ١٠٨

اکريکش ٢٩١

الالمانيين ١٢٧

ام القرى ، انظر : مكة

الانبار ١١٩

الاندلس ٤ ، ٧٧ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٤٢

١٥٣ ، ٢٢٨ ، ٢٥٥ ، ٢٥٩ ، ٢٦١

٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩

٢٩٢ ، ٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٢١ ، ٣٣٠

٣٦٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥

٤٢٤ ، ٤٢٦ ، ٤٢٩ ، ٤٣٤ ، ٤٤٥

٤٤٧ ، ٤٤٩ ، ٤٥٣ ، ٤٦٠ ، ٤٧٦

٤٨٢ ، ٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٠٢ ، ٥٠٤

٥١٨ ، ٥١٩ ، ٥٢٣ ، ٥٢٤ ، ٦٤٨

٦٥٨ ، ٦٦٠ ، ٦٧٧ ، ٧١٦ ، ٧١٧

- باريا ( جبل ) ١٢٠  
 باطوس ١٢٧ ، ١٢٨  
 البتم ( جبال ) ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٢٢  
 بجاية ١٠٢ ، ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٤٤٩ ، ٤٦٤ ، ٦١٠ ، ٦٢١ ، ٦٤٣ ، ٨٠٩  
 البجة ٩٦  
 بحيلة ٤٥ ، ٤٤٨  
 البحرين ٧٩ ، ١٠٠ ، ٤٣١ ، ٧٢١  
 بحر جرجان ٨٠  
 البحر الحبشي ٧٨ ، ٧٩ ، ٨٠  
 بحر السويس ، بحر القلزم ١٨ ، ٧٩ ، ٩٩ ، ١٠٦  
 البحر الرومي أو الشامي ١٨ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٦ ، ١٢٤ ، ٢٦٥ ، ٤٤٧ ، ٤٥٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٧٢٠  
 بحر طبرستان ١٢١ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦  
 بحر فارس ١٨ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠  
 بحر القلزم ، انظر : بحر السويس  
 البحر المحيط ، البلاية - الاوقيانوس ٧٤ ، ٩١ ، ٩٢ ، ١٠٢ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٣١ ، ١٣٨  
 بحر نيطلس ، بحر الخزر ٧٧ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٣٨  
 بحر الهند ، البحر الهندي ١٨ ، ٨٣ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠٥ ، ١٤٥  
 بحيرة خوانزم ١٠٩ ، ١٣١  
 بحيرة عثور ١٣٩  
 بحيرة طرمي ١٣٨  
 بحيرة فيوم ١٠٤  
 بخاري ٨٢ ، ١٢٢ ، ١٢٣  
 بلر ٥٦٩  
 بلخسان ١٠٩  
 برجان ٧٧  
 بردعه ١٢٨  
 برطاس ١٣٥  
 برشاونة ١١٥ ، ١٢٤  
 برغشت ١٢٤ ، ١٢٥  
 برغونة ١٢٥  
 برغونية ١٣٣  
 برقة ٧٧ ، ١٠٤ ، ٣٢١ ، ٦٢١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣  
 برقيق ( صحاري ) ١٠٤  
 البرنات ( جبل ) ١١٥ ، ١٢٥  
 البروج ١٩٦  
 بريطانيا ١٣٢ ، ١٣٣  
 برجاله ١١٤  
 بست ١٠٩  
 بسطام ١٢١  
 بسطة ١١٤  
 بسكرة ١٠٣ ، ٦٤٣ ، ٦٧٤  
 البصرة ٧٩ ، ١٠٧ ، ٣٥٤ ، ٣٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٩٠ ، ٤٧٧ ، ٦٢٠ ، ٦٣٩ ، ٦٦٨ ، ٧٤٩ ، ٧٧٤ ، ٧٧٨ ، ٧٩١ ، ١٠٥٨  
 بطرس ( كنيسة ) ١٢٥  
 بطليوس ١١٤  
 بعلبك ١٠٧  
 بغداد ٣٤ ، ٣٦ ، ٨٠ ، ١١٩ ، ١٢٨ ، ٣٧٤ ، ٥١٨ ، ٥٣٦ ، ٥٧٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٧ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٦٨ ، ٧٤٩ ، ٧٦٦ ، ٧٧٨ ، ٧٩٥ ، ٨٠٣ ، ١١٥٣ ، ١١٦٦



- بكة ، انظر : مكة  
بلجر ١٣٥  
بلخ ( وقعة ) ٣٨ ، ١٠٩ ، ١١٠  
بلخ ( نهر ) ، انظر : جيحون  
بلرم ١١٥  
بلغار ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩  
بلنسية ١١٤  
بلهرا ١٠٠  
بلواط ١٣٣ ، ٢٣٤  
بلونس ١١٢ ، ١١٥  
بلونية ١٣٣  
بلاد الروم ١١٧  
بلاد الرنج ٧٨  
بلاد السودان ، انظر : السودان  
بلاق ٩٥  
البنادقة ، البندقية ( خليج ) ١١٣ ،  
١٢٦  
البندقان ١٢٠  
بنطو ١٢٥ ، ١٣٣  
البهرج ١٠٨  
بورصة ١٢٧  
بوشنج ١٠٩  
بوقاعة ١٣٨  
بولس ( كنيسة ) ١٢٥  
بونة ١٠٣ ، ٦٢١  
بشر ذروان ٩٢٧  
بيت لحم ٦٢٢  
بيت المقدس ، انظر : القدس  
بيروت ١٠٧  
البيلقان ١٢٨ ، ١٣٤
- تبالة ١٠٠  
التبت ٢٠ ، ١١٠  
تبريز ١٢٠  
تبسة ١٠٣  
تبوك ١٠٦ ، ١٧٣ ، غزوة ٢٨٧  
تلمر ١٠٧  
ترخان ١٣٤  
ترمد ١٠٩ ، ١١٠  
تستر ١٠٨  
تفليس ١٢٨  
التفرغر ١١١  
تكرارين ٩٣  
نكروور ٩٣  
تكرت ١١٩  
تلمسان ١٠٢ ، ٢٣٣ ، ٥١٩ ، ٥٨٤  
٦١٤ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٧٧٢ ، ٧٧٣  
تهامة اليمن ٩٧  
توات ٩٣  
توجين ٢٣٤  
توريز ٧٨٨  
تؤلد ٦٧٤  
توند ١٠٣  
تونس ١٠٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥٢ ، ٤٧٨ ،  
٥٠٥ ، ٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٠٤ ، ٦١٧  
٦٦ ، ٧١٧ ، ٧٥١ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤  
٨٠٩ ، ٩٠٨ ، ٩٤٣ ، ١٠٠٧ ،  
١٠٤ ، ١٠٦٢ ، ١١٣٢ ، ١١٦٦  
يطري ( جبل ) ٥١٩  
ييماء ١٠٦  
النيه ١٣ ، ١٥ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٦٢٩  
٦٣٠

ت

ج

الجالية ٧٥١

تادلا ١٠٢

تازا ١٠٢

- الجامعين ١١٩  
 جبال العور ١٠٩  
 جباية ٥١٩  
 جبرافون ١٢٣  
 جبل ١٠١  
 جبل الابواب ١٣٠ ، ١٣٥  
 جبل الجنادل ٩٥  
 جبل النروب ١١٧  
 جبل السلسلة ١١٦ ، ١١٧  
 جبل سياء ١٣٠  
 جبل الطور ( سيناء ) ١٠٥  
 جبل العراق ١١٩  
 جبل القمر ٨١ ، ٩٢ ، ٩٤  
 جبل المنقطع ٦٢٨  
 جبل الواحات ٩٩  
 جبلة ١١٦  
 جثولية ١٣٣ ، ١٣٤  
 جدة ٧٩ ، ٩٩ ، ٦٢٤ ، ٦٢٨  
 جربة ( جزيرة ) ٤٥٢  
 جرجان ٨٠ ، ١٢١  
 الجرجانية ( بحيرة ) ٨٢ ، ١٢٢  
 جرمانية ١٣٤  
 جرش ١٠٠  
 الجريد ١٠٣ ، ٥١٩ ، ١١٨ ، ٦٧٣  
 ٧٥١  
 الجزائر ( بلاد ) ١٠٢ ، ٦٤٣  
 الجزائر الخالدات ٩١ ، ٩٨  
 جزائر الرومانية ٥١  
 الجزائر الشرقية ٧٨٣  
 جزيرة ابن عمر ١١٩  
 الجزيرة الخضراء ١١٢ ، ١١٣  
 جزيرة العرب ، بلاد العرب ١٦ ، ١٨ ، ٨٠ ، ٩٦ ، ١٤٣ ، ٢٩١ ، ٤١٠  
 ٧٢١
- الجلع ١٠٩  
 جاولاء ١٢٠ ، ٤٤٨  
 حليقة ١٢٤  
 الجمل ( وقعة ) ٣٧٩  
 جند دمشق ٢٢٨  
 جند قنسرين ٢٢٨  
 - جند العواصم ٢٢٨  
 جنوة ١٢٥ ، ٤٥٠  
 الجوزجان ١٠٩ ، ١١٠ ، ٥٩٥  
 الجولخ ( ارض ) ١٢٥  
 جيحون او نهر بلخ ٨٠ ، ٨٢ ، ١٠٩  
 ١١٠ ، ١١٢ ، ١٢٢  
 جيحان ١١٧ ، ١٢٧  
 جيرفت ١٠٨  
 جيان ١١٣
- ح
- حاجز ( جبل ) ١٣٠  
 الحبشة ٧٩ ، ٩٥ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٤٧  
 ٢٨٦ ، ٥٨٨  
 الحجاز ١٤ ، ٣٤ ، ٣٦ ، ٧٩ ، ٩٦ ، ٩٩ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ٢٥٥ ، ٢٧٦  
 ٢٨٨ ، ٣٢١ ، ٣٦١ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣  
 ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٦٣ ، ٥١٨  
 ٥٣٦ ، ٥٨٣ ، ٦٣٤ ، ٧٦٥ ، ٧٩٤  
 ٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٥ ، ٨٠٨  
 ١٠٥٦  
 الحجر ( بلد ) ١٠٦  
 الحجر الاسود ٦٢٦  
 الحشيشة ١١٧  
 حران ١١٨  
 حروايا ١٢٧  
 حصن الحواني ١١٧  
 حضرموت ٩٨ ، ١٤٣

- حلب ١١٧  
 الحلة ٣٥٢  
 حلوان ١٢٠  
 حلوان ( العراق ) ٣١٨  
 حمص ١١٧ ، ١٠٧  
 حنين ٣٦٢  
 الحوراء ١٠٥  
 حوران ١١٢٥ ، ١١٣٧  
 الحيرة ١٩ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ٧٤٥
- خ  
 الخابور ( نهر ) ١١٩ ، ١١٠  
 خازرون ١٢٢  
 خانكو ٩٨  
 الخنل ( بلاد ) ١٠٩ ، ١١٠  
 خجندة ١٢٢  
 خراسان ١٤ ، ٨٢ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١٢٢ ، ٣٧٤ ، ٣٥٤ ، ٣١٩ ، ٢٨١ ، ٥١٨ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٦٧٦ ، ٧٧٤ ، ٨٠٤ ، ٨٦٤ ، ١٠٥١  
 خرخير ١١١  
 خرشنة ١٢٨  
 خرناب ( نهر ) ١٠٩  
 خريدة ١٢٤ ، ١١٥  
 الخزر ( أرض ) ١٣٠ ، ١٣٥ ، ١٣٦  
 الخزلجية ٧٩ ، ١١١ ، ١٢٣  
 وخشاب ( نهر ) ١١٠  
 خط الاستواء ٧٥ ، ٨٠ ، ٨٤ ، ٨٥  
 ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٨  
 خفشاخ ( بلاد ) ١٣٦ ، ١٤٠  
 خلاط ( بلاد ) ٨١ ، ١٢٨  
 الخليج الاخضر ٧٩  
 الخليجية ١٢٣  
 خوارزم ٨٠ ، ٨٢ ، ١٢٣ ، ٧٨٨
- خوارزم ( بحيرة ) انظر : بحيرة  
 خوارزم  
 خوزستان ١٠٨  
 خونجان ١٢٠  
 خيبر ١٤ ، ١٠٠ ، ١٠٦
- د  
 دارابجرد ١٠٨  
 دار الخلافة ٤٠٣  
 دار الهجرة ٨٠١  
 دانية ٧٧ ، ١١٤ ، ٤٥٠ ، ٧٨٣ ، ١٠٦١  
 دبيل ١٢٨  
 دجلة ١٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ٣٠٦ ، ٦٠١  
 درعة ١٠١  
 درن ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤  
 الدروب ١١٦  
 دلاص ٩٩ ، ١٠٤  
 دمشق ١٠٧ ، ٥٨١ ، ٦٣٣ ، ٦٦٩  
 دمر ١٠٣  
 دمياط ٩٤ ، ١٠٥  
 دنقلة ٩٥  
 دهلك ٩٦  
 دهلي ٣٢٢  
 دومة الجندل ١٠٦ ، ١٠٧  
 الديلم ( جبال ) ١٣٠  
 الدنبور ١٢٠  
 ذات الابواب ٦٠

- رباط السلطان ابي سعيد ٦١٤  
رباط العباد ٥٨٤  
رباط الفتح ٦١٤  
رباط ماسة ٥٨٤  
الربان ٣١٩  
الرجبة ١١٩  
الرسوم (بلاد) ١٠٨  
رسلانده (جزيرة) ١٣٨  
الرشيدة ١٠٥ ، ٩٤  
رضوى (جبل) ١٠٦ ، ٣٥٢  
الرقعة ٨١ ، ١١٨ ، ٥٤١  
الرها ١١٨  
رم ١٢٢  
رندة ١٥٦  
الرودان ١٠٨  
الروذ ١٠٩  
رواحة ١٠٤  
الروسية (بلاد) ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩  
رومة ٧٧ ، ١٢٥ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤١٢  
٤١٣ ، ٤١٥ ، ٥٧٩ ، ٨٩٤  
الري ١٢١ ، ٣٢٠  
رياح ٥٨٦  
ريدة ١١٤
- س
- سابور ١٠٨  
سالم ١١٤  
سبا ١٠٠  
سبشة ١١٢ ، ٤٤٧ ، ٦٠٢ ، ٦٢١ ،  
٦٤٣ ، ٦٧٤ ، ١٠٩ ، ١١٦ ،  
سبيلة ١٠٣ ، ٤٤٨  
سجستان ١٠٠ ، ١٠٨ ، ٣١٩  
سجلماسة ٣٣ ، ٣٧ ، ٦٠ ، ١٠١ ،  
٣٥٦  
سحرب ١٣٩  
سد مأرب ٦١٥  
السراة (جبل) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ٣٥٣  
سرخن ١٠٩  
سردانية ١١٢ ، ١١٥ ، ٤٥٠  
سرت ١٠٤  
سرقسطة ١١٤ ، ٢٧٥ ، ١١٤٠  
سرقوسة ١١٥  
سرنديب ٩٧ ، ٦٣٥  
سروج ١١٨  
سرويكش ٤٥٢  
سعيور ١٢٤  
سفالة ٧٨ ، ٩٧  
السلسلة (جبل) ١١٧  
سلمنكة ١٢٤
- س
- الزاب (نهر) ١١٩ ، ١٢٩  
الزاب الكبير ١٢٠  
الزاب (المغرب) ١٠٣ ، ٥١٩ ، ٥٨٣  
٥٩٥ ، ٦٧٣  
زالع او زيلع ٧٩ ، ٩٧  
زبلستان ٥٩٩  
زبيد ٧٨ ، ٩٧  
زغاوة ٩٨  
زغبة ٢٣٤

- سلمية ١١٧ ، ١٢٤  
 سلوقية ١١٦  
 سليم ٢٣٤  
 سنترية ( ارض ) ٩٩  
 السنسد ٧٩ ، ١٠٠ ، ٢٨٦ ، ٣١٩ ، ٦٧٦  
 سلا ٩٣ ، ١٠٢ ، ٦٢١  
 سلات ١٠٣  
 سمرقند ١٧ ، ٨٢ ، ١٢٢  
 سمورة ١٢٤  
 سميساط ١١٨  
 السنواد ٣١٨  
 سواكن ( جزيرة ) ٧٩ ، ٩٦  
 سوتلي ١٣٤  
 السودان ٨١ ، ٩٤ ، ٩٨ ، ١٤٦ ، ١٤٧  
 ١٤٨ ، ١٥١ ، ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٧٠٧  
 ٧٣٤ ، ٩٢٨  
 سوس ١٠١ ، ١٠٨ ، ٢٨٤ ، ٥٨٣  
 السوس الاقصى ٢٨٨ ، ٦٥٣  
 سوسة ١٠٣  
 السويس ١٨ ، ٩٦ ، ١٠٥  
 السويس ( بحر ) ، انظر بحر السويس  
 سويقة ابن مشكورة ١٠٣  
 سياه ( جبل ) ١٣٠  
 سياه كوه ١٣٥  
 سيحان ( نهر ) ١١٧  
 سيحون ٦٠٠  
 سيراف ١٠٨ ، ٤٧١  
 سيلان ٩٧ ، ٩٨  
 الشام ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٣٦  
 ٧٧ ، ١١٦ ، ١٤٢ ، ٢٢٧ ، ٢٤٨  
 ٢٦٥ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣١٤  
 ٣١٦ ، ٣٥٣ ، ٣٥٧ ، ٣٨٠ ، ٣٨٣  
 ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٩  
 ٤٥١ ، ٤٧٣ ، ٥١٨ ، ٥٢٣ ، ٥٣٦  
 ٥٦٠ ، ٦٠٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٠ ، ٦٣٣  
 ٦٥١ ، ٦٥٨ ، ٦٧٦ ، ٦٩١ ، ٧١٧  
 ٧٤٧ ، ٧٩١ ، ٧٩٤ ، ٨٠٣ ، ٨٠٥  
 ٨٩٢ ، ١٠٧٤ ، ١١٢٥  
 الشاهجان ١٠٨ ، ١٢١  
 الشحر ٧٩ ، ٩٦ ، ٩٨ ، ١٠٠  
 شحرب ١٣٥  
 شريس ١١٣  
 شرسال ٣١٤ ، ٤٤٨ ، ٦١٣  
 شطلية ١٢٤  
 شطونية ١٣٣  
 شقورة ١١٤  
 شقر ١١٤  
 شقونية ١٢٤  
 شلب ١١٤  
 شنترين ١١٤  
 شنتمرية ١١٤  
 شنتياقو ١٢٤  
 شنتوف ١٠٥  
 شهرزور ١٢٠ ، ٢٢٠  
 شيراز ١٠٨  
 شيزر ( ملوكها ) ٤٥٣  
 الشبرجان ١٠٨  
 شيعون ١٠١

## ش

## ص

- صاقي ١٣٣  
 صدفيار الوطنين ٤٥٢

- الشارات ( جبل ) ١١٤  
 الشاى ( نهر ) ٨٢ ، ١٢٢٠  
 شاطبة ١١٤ ، ٧٩٦

|  |                                     |
|--|-------------------------------------|
| طركونة ١١٤   | صدي ١٠٨                             |
| طرمي ( بحيرة ) ١٢٨   | صعدة ٩٧ ، ٥٩٤                       |
| طريف ٧٧ ، ١١٣  | الصعيد ٩٦ ، ٩٩ ، ١٠٥ ، ٥٣٦ ، ٩٢٧    |
| طست ١٣٨  | الصغد ١١١ ، ١٢٢                     |
| طلمسة ١٠٤  | صفين ٨١ ، ١١٩ ، ٣٧٩ ، ٤٨٧           |
| طليبة ١١٤  | صفاقس ٥١٤                           |
| طليلة ١١٤ ، ٣٠٧ ، ١١٣٨   | صقلية ٧٧ ، ٩١ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ٤٤٩     |
| طنجة ٧٧ ، ١٠٢ ، ١١٣ ، ٣٢٢ ، ٤٤٨  | ٤٥٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٩٠٨ ، ٩١٨         |
| الطويران ١٠٠   | الصمان ( جبل ) ١٠٧                  |
| طوس ١٢٢  | صنماء ١٨ ، ٩٨ ، ٦٢٥                 |
|  | صور ١٠٦ ، ٥١٤                       |
|  | صول ٩٩ ، ١٣٠                        |
|  | صيда ١٠٧                            |
|  | الصين ١٧ ، ٧٨ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٤٢ ، ١٤٦ |
|  | ١٤٦ ، ٥٢٣ ، ٦٥١ ، ٦٩١ ، ٧٢٠         |
|  | ٨٠٣                                 |
|  | الصمان ١٠٧                          |
|  | صميرة ١٢٠                           |
| ظ  | ط                                   |
| الظاهرية ١٢٢   | الطاق ١٠٩                           |
| ظفار ٩٨  | الطالقان ١٠٩ ، ٣٥٤                  |
|  | الطائف ٦٢٧ ، ٧٤٥                    |
|  | طبرستان ٨٠ ، ١٢١ ، ١٢٩ ، ٣١٩ ، ٥٣٥  |
|  | ٣٥٥ ، ٤٥٩ ، ٥٣٥                     |
|  | طبرية ١٠٧                           |
|  | طرابقة ١١٥                          |
|  | طرابلس ١٠٦ ، ١١٦ ، ٤٥١ ، ٥٠٥        |
|  | طرب ٦٢١ ، ٦٧٣                       |
|  | طراز ١٢٣                            |
|  | طرسوس ١١٧                           |
|  | طرسوس ١١٦ ، ١١٧                     |
|  | طرف اوثنان ١٠٤                      |
|  | طرطوشة ١١٤                          |
| ع  |                                     |
| عبادان ١٠٧   |                                     |
| عشور ( بحيرة ) ١٣٩   |                                     |
| العجم ، انظر : فارس  |                                     |
| عدن ٢١ ، ٩٨  |                                     |
| عدوة ( بلاد ) ٧٦٦  |                                     |
| العدوة القريبة ٥١  |                                     |
| عدوة النيل ٩٥  |                                     |
| العدوتين ٤٠٥ ، ٥٢٢   |                                     |
| العراق ٢٠ ، ١١٩ ، ١٩٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩١ ، ٣٢٢ ، ٣٦٣ ، ٣٨٣ ، ٤٠٣ ، ٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٤٦٣ ، ٥٦٠ ، ٦٢٠ ، ٦٢٧ ، ٦٥٨ ، ٦٧٧ ، ٧٦٧ ، ٧٤٥ ، ٧٤٧ ، ٧٩١ ، ٧٨٨ ، ٧٧٩ ، ٧٦٦ ، ٧٩٤ ، ٧٩٧ ، ٧٩٩ ، ٨٠١ ، ٨٠٢ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ١٠٥٠ ، ١٠٧٤ ، ١١٢٥ |                                     |

- العراقيين ١٤ ، ٣٠٨  
 المرائش ١٠٣  
 المرج ( جبل ) ١٠٧  
 عرعون ( بحيرة ) ١٣١  
 العرينس ٧٩ ، ١٠٥  
 عسقلان ١٠٦ ، ٤٥١  
 العقبة ١٠٦  
 مكا ١٠٦ ، ٤٥١  
 مكاظ ١٠٠  
 الملاقي ( جبل )  
 العلايا ١١٧  
 علي بن يعقوب ٩٧  
 عمان ١٠٠ ، ٤٠٩ ، ٧٢١  
 عمورية ١٢٨ ، ٣٠٩  
 ميلاب ٧٩ ، ٩٩  
 عين لربة ١١٧ ، ١١٨
- ٥٩٩ ، ٥٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٨٣ ، ٤٨١  
 ٨٩١ ، ٨٩٠ ، ٧٦٣ ، ٦٧٦  
 فاس ١٠ ، ٤١ ، ١٠٢ ، ١٤٩ ، ٣٥٥  
 ٦١٩ ، ٦١١ ، ٦١٠ ، ٥٣٦ ، ٤٧٦  
 ٧٥١ ، ٧٠٩ ، ٦٦٩ ، ٦٤٤ ، ٦٤٣  
 ١١٦٠ ، ٩٠١  
 فحص التيه ١٠٥  
 الفرات ١٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ١٠٧ ، ١١٨  
 ٦٠٠ ، ٤٨٣ ، ١٢٨ ، ١١٩  
 فرغاة ٨٢ ، ١١١ ، ١٢٣  
 الفرما ١٠٥  
 فزان ٩٩  
 فسطاط مصر ٧٩  
 فلسطين ١٤ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ، ٤٠٩  
 فلونية ١٣٨  
 فورنة ١١٤  
 الفيوم ١٠٤ ، ٥٣٦

## ق

- قابس ٦١٨ ، ٤٥١ ، ٦٧٣  
 قادس ( جزيرة ) ١١٣ ، ٤٥٢  
 القادسية ١٤ ، ٨٠ ، ١٠٧ ، ١١٩ ،  
 ٢٢٠ ، ٢٧٨ ، ٤٠١ ، ٤٨٣  
 قاتنان ١٠٩ ، ١٢١  
 القاهرة ٤٠٤ ، ٥٣٦ ، ٦١٠ ، ٦١١ ،  
 ٦٤٤ ، ٧٥٠ ، ٧٧٨ ، ١١٦٦  
 قباقب ( نهر ) ١٢٨  
 قبرص ٧٧ ، ١٠٦ ، ٤٥٠  
 القدس ، بيت المقدس ١٤ ، ١٠٧ ،  
 ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤٥١ ، ٤٥٢ ، ٥٦٥  
 ٦٢٢ ، ٦٢٩ ، ٦٣١ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣  
 ٦٢٤ ، ٧٢٩  
 القرائات ٣٠٠ ، ٥٨١  
 قرطبة ١١٣ ، ٣١٤ ، ٥٢٣ ، ٦١٠
- خافق ١١٤  
 فانة ٩٣ ، ٩٨  
 غدامس ، او غدامس ١٠٣  
 فرناطة ١١٣ ، ٤٣٤ ، ١١١٦ ، ١١٤٤  
 غزنة ١٠٩  
 غزة ١٠٦ ، ١١٦  
 خستونية ١١٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥  
 غمارة ٢٨٤ ، ٥٨٤  
 الغور ( وادي ) ١٠٧ ، ١١٠

## ف

- فاراب ١٢٣  
 فاران ١٠٥  
 فارس ، بلاد الصجم ، بلاد الفرس ١٧  
 ٢٠ ، ٧٩ ، ١٢١ ، ١٤٦ ، ٢٧٨ ،  
 ٢٨٧ ، ٢٩١ ، ٣١٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٢

|   |                                     |
|---|-------------------------------------|
| القمر ( جزيرة ) ٩٧                                  | ٨٠٨ ، ٧٧٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧١               |
| القندهار ١٠٠  | قرطاجنة ١١٥ ، ٣١٤ ، ٤٤٨ ، ٦١٤       |
| قنطرة السيف ١١٤                                     | ٦١٥                                 |
| قنسرين ١١٧ ، ٣٢١                                    | قرقشونة ١١٥ ، ١٢٤                   |
| القنوج ١٠١  | قرقيسيا ١١٩                         |
| قنورية ٩٨   | قرمط ١٠٥                            |
| قوص ٩٩  | القرويين ( جامع ) ١٠                |
| قوصرة ٤٤٩ ، ٤٥٠                                     | قر وين ١٢٠ ، ١٣٠                    |
| قوتيا ١٢٣ ، ١٣١ ، ٩٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨ ، ١٣٩ ، ٤٠٠ | القسطنطينية ١٨ ، ٧٧ ، ٩١٣ ، ١٢٧     |
| قورمس ٣١٩   | ١٢٩ ، ١٣٨ ، ٢٨٦ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠         |
| القيروان ٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣١٧ ، ٣٣٣                    | ٧٢٩                                 |
| ٢٥٦ ، ٣٦٩ ، ٤٢٥ ، ٤٧٦ ، ٥١٩                         | القسطنطينية ( خليج ) ١٢٧ ، ١٢٨      |
| ٦١١ ، ٦١٤ ، ٦٢٠ ، ٦٣٩ ، ٦٥٢                         | قسطنطينية ١٠٢ ، ٥١٩ ، ٦٠٣ ، ٦٤٣     |
| ٧٧٨ ، ٧٧٣ ، ٧٧١ ، ٧١٨ ، ٦٥٩                         | قشالة ١٢٤                           |
| ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٨٨ ، ١٠٠٧ ، ١١٦٣                       | قشميز (١٠)                          |
| قيسارية ١٠٦   | قصر ١١٢                             |
| قيمازك ( ارض ) ١٣٨                                  | قصر كتامة ١٠٢                       |
|   | قصر بن هبيرة ١١٩                    |
|   | قطاوان ١١٣                          |
| كابل ١٠٠ ، ١٠٩                                      | القطب الجنوبي ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠          |
| كانم ٩٤   | القطب الشمالي ٨٤ ، ٨٥ ، ٩٠          |
| كتامة ١٠٢   | القنص ١٠٨                           |
| كتمان ١١١   | قفصة ١٠٣ ، ٦٧٣                      |
| كربلاء ٣٥٢ ، ٣٨٤ ، ٥٨٤                              | قلم ( بحر ) ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٥           |
| كرد : اكراد ٤٤٦                                     | القائمة ٢٧٣ ، ٢٨٩ ، ٤٣٤ ، ٤٧٦ ، ٥١٩ |
| كرمان ٧٩ ، ١٠٨ ، ٣١٩                                | قلعة ابوب ١١٤                       |
| كزولة ٩٨  | قلعة بني حماد ٦١٤ ، ٧١٨             |
| الكعبة ١٦٠ ، ٦٢٣ ، ٦٣٤                              | قلعة رياح ١١٤                       |
| كوار ٩٩   | قلمرية ١١٤                          |
| كور دجلة ٣١٨  | قلعات ١٠٠                           |
| الكوفة ٨٠ ، ٨١ ، ١١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٥٤                    | قلورية ١١٥ ، ١٢٦                    |
| ٣٦٣ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٠                         | قم ١٢١                              |
| ٤٧٠ ، ٦١١ ، ٦٢٠ ، ٦٣٨ ، ٦٣٩                         | القمانية ١٣٤ ، ١٣٨ ، ١٣٩            |



- ماققة ١١٣  
 مالى ١٤٣  
 ما وراء النهر ١٧ ، ٥١٨ ، ٥٣١ ، ٥٣٦  
 ٦٧٦ ، ٧٧٤ ، ٨٠٣ ، ١٠٥١  
 ما وراء النهر والابواب ١٤  
 المدائن ٢٦١ ، ٢٨٦ ، ٤٨٣ ، ٦٦٨  
 مدبلة ١١٣  
 المدينة ١٧٣ ، ١٨٠ ، ٣٦٣ ، ٣٨١ ،  
 ٣٩٠ ، ٥٦٠ ، ٥٨١ ، ٦٢٢ ، ٦٢٧  
 ٦٣٣ ، ٦٣٤ ، ٧٢٩ ، ٧٦٢ ، ٧٧٧  
 ٨٠١ ، ٨٠٥  
 مدينة النحاس ٦٠  
 مرآية ١٣٣  
 مراكنس ١٠٢ ، ٢٩٢ ، ٤٥٢ ، ٥٣٦ ،  
 ٦٦٩ ، ٧١٨ ، ٧٧٢  
 المرافعة ١١٧ ، ١٢٠ ، ١٢٨  
 مرسية ١١٤  
 مرعش ١١٧ ، ١١٨  
 مرغار ١٣١  
 مرناق ٤٤٨  
 مرو ١٠٩  
 مرو الشاهجان ١٢١  
 المريقة ١١٤ ، ٤٤٩ ، ١٠٣٨  
 المريقة قرطاجنة ١١٤  
 المسجد الأقصى ٦٢٩  
 مسرائه ٩٨  
 المسيلة ١٠٢ ، ٥١٩  
 مصياف ١١٧  
 مصر ١٣ ، ١٥ ، ١٨ ، ٣٣ ، ٣٦ ،  
 ٩٤ ، ١٥٤ ، ٢٤٨ ، ٢٧٦ ، ٢٨٦  
 ٢٩٢ ، ٣٠٨ ، ٣١٦ ، ٣٢١ ، ٣٥٦  
 ٣٦٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ ، ٣٩٣  
 ٣٩٩ ، ٤٠٣ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٨
- ٦٦٨ ، ٧٤٩ ، ٧٧٤ ، ٧٧٨ ، ٧٩١ ،  
 ١٠٥٧  
 الكناسة ٣٥٤  
 الكنابص ٩٢  
 كنعان ( أرض ) ٢٩٣  
 كنكر ٣١٨  
 كوكو ٩٤ ، ١٤٣  
 كوهستان ١٠٩  
 الكيمائية ١٢٣ ، ١٣١
- ل  
 لبله ١١٣  
 لفقة ١١٤  
 اللكام ( جبال ) ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١١٦ ،  
 ١١٨ ، ١٢٩  
 لهويكة ١٣٣  
 اللاذقية ١١٦  
 لاردة ١١٤  
 اللان ( أرض ) ٨٠  
 اللانية ١٣٤ ، ١٣٥  
 اللاهون ٩٩ ، ١٠٤  
 ليلة العقبة ٣٧٠  
 ليورقة ١١٤  
 ليون ١٢٤
- م  
 مارب ١٠٠ ، ٤٠٩ ، ٦١٥  
 ما بين البحرين ١٩  
 ماردة ١١٤  
 مازد ١١٥  
 مسيني ١١٥  
 ماسيلان ٣٢٠  
 ماسة ٢٨٤ ، ٥٨٤  
 مالطة ١١٥ ، ٤٥٠ ، ٤٥١

|                                    |                                  |
|------------------------------------|----------------------------------|
| مقدونية ١٢٧ ، ٩٩٥                  | ٥٤١، ٥٣١ ، ٥١٨، ٤٧٧، ٤٧٣، ٤٥١    |
| المقطم ( جبل ) ٩٩                  | ٦٥١ ، ٦٤٤ ، ٦٣٣ ، ٦١٦ ، ٦١٠      |
| مكران ٧٩ ، ١٠٠ ، ١٠٨ ، ٣١٩         | ٦٧٨ ، ٦٧٦ ، ٦٦٠ ، ٦٥٨ ، ٦٥٢      |
| مكة ، ام القرى ، بكة ٢٧ ، ٩٩ ، ١٤٥ | ٧٤٧ ، ٧٤٤ ، ٧١٧ ، ٧١٥ ، ٦٩١      |
| ١٧٣ ، ١٨٠ ، ٤٠١ ، ٥٦٠ ، ٥٦٩        | ٧٧٨ ، ٧٧٦ ، ٧٧٢ ، ٧٥٧ ، ٧٥٠      |
| ٥٨٣ ، ٦٢٢ ، ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨        | ٩٢٤ ، ٨٠٦ ، ٨٠٥ ، ٨٠٤ ، ٧٩١      |
| ٦٣٣ ، ٦٣٥                          | ٩٢٧ ، ١٠٧٤ ، ١١٦٦                |
| مكناسة ١٠٢ ، ١١٦٣                  | المصبصة ١١٧ ، ١١٨                |
| المتان ١٠٠                         | المرة ١١٧ ، ١١٨                  |
| ملطية ٨١ ، ١١٧                     | مغراوة ( ملوكها ) ٤٠٥ ، ٥٣٦      |
| ملوية ١٠١ ، ٥١٩                    | المغرب ٦ ، ٧ ، ١٦ ، ١٧ ، ٣٣ ، ٣٧ |
| مملكة السرير ١٢٩                   | ٥٣ ، ٧٧ ، ١٠٢ ، ١٤٢ ، ١٤٩ ،      |
| المنارة البيضاء ٥٨١                | ١٥٣ ، ٢٠٢ ، ٢١٣ ، ٢٣٣ ، ٢٥٥      |
| منبج ١١٧                           | ٢٦٥ ، ٢٧٣ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٣١٧      |
| منجالة ١١٤                         | ٣٥٥ ، ٣٥٦ ، ٣٦٩ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩      |
| المنكب ١١٣                         | ٤٠٢ ، ٤٠٤ ، ٤٠٦ ، ٤٠٧ ، ٤١٣      |
| المنصورة ( في المغرب ) ٦١٤         | ٤٤٦ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٤ ، ٤٥٨      |
| منورقة ، منرقة ١١٢ ، ٤٥٠           | ٤٥٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥١٨، ٥٢٤ |
| منيلبار ١٠٠                        | ٥٣٥ ، ٥٧٨ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ ، ٥٩٥      |
| مهرجان ١٢١                         | ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٥ ، ٦١٠ ، ٦١١      |
| المهجم ٩٧                          | ٦٣٦ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٥١ ، ٦٥٢      |
| المهدية ١٠٣ ، ٢٧٣ ، ٤٥٠ ، ٤٥١      | ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٦٩ ، ٦٧٤ ، ٦٧٦      |
| ٥٩٥ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦٥٩ ، ٧٥١        | ٦٧٧ ، ٦٩١ ، ٧٠٩ ، ٧١٥ ، ٧٢٠      |
| ١١٢٩                               | ٧٥٠ ، ٧٥٧ ، ٧٦٦ ، ٧٧١ ، ٧٧٣      |
| الموصل ١٧ ، ٨٢ ، ١١٩ ، ٢٩١ ، ٤١٠   | ٧٧٧ ، ٧٧٩ ، ٧٨٤ ، ٧٨٧ ، ٧٩٤      |
| ١٠٥٩ ، ٥٣١                         | ٨٠٠ ، ٨٠٥ ، ٨٠٦ ، ٨٠٩ ، ٨١٧      |
| موزيه ١١٤                          | ٨٢٠ ، ٨٨٨ ، ٨٩٣ ، ٩٠٧ ، ٩٠٨      |
| ميافارقين ١٢٨ ، ١٢٩                | ٩٣٠ ، ١٠١٢ ، ١٠٢٨ ، ١٠٤٠         |
| ميورقة ٧٧ ، ١١٢ ، ٤٥٠ ، ١١٥٦       | ١٠٦٧ ، ١٠٧٤ ، ١٠٧٩ ، ١٠٨٩        |
| ٥                                  | ١١٢٤ ، ١١٥٧ ، ١١٦٠ ، ١١٦٤        |
| نابل ( نابولي ) ١٢٦                | ١١٦٩                             |
| ناجزة ١٢٤                          | المغرب الاوسط ١٠٣                |
| الناسان ( بلاد ) ١١٠               | مفيلة ٢٧٦                        |
|                                    | مقدشو ٧٨                         |

## ■

|                       |                                 |
|-----------------------|---------------------------------|
| الواحات الداخلة ٩٩    | نجد ١٠٠                         |
| وادي آش ١١٥٧          | نجران ١٠٠                       |
| وادي الحجارة ١١٤      | نجيرم ١٠٨                       |
| وادي الرمل ١٧ ، ١٩    | نسا ١٠٨ ، ١٢٢                   |
| وادي القرى ٣٦٢        | نصيبين ١١٨                      |
| واديائش ١١٤           | نفزاوة ١٠٣                      |
| واسط ٨١               | نفطة ٦٧٣                        |
| الواق واق ٧٨ ، ٩٧     | نهاوند ٣١٩ ، ١٢٠                |
| وجار ١٠٩              | النوبة ٨١ ، ٩٤ ، ٩٥             |
| الوخش ١٠٩ ، ١١٠       | النهروان ( بلاد ) ١١٩           |
| وخشاب ١١٠             | نول ١٠١                         |
| ودان ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٤   | نيت جون ١٢٥                     |
| وركلان ٩٣             | نيسابور ١٢١                     |
| وربكة ٩٨              | نيسستر ( صحراء ) ٩٨ ، ١٠١       |
| الوسطى ١١٥            | نيطش ٧٧ ، ١٢٠ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٣٤ |
| وشقة ١٢٤              | نيقية ٤١٤                       |
| ونفاره ٩٤             | النيل ٨٠ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٤        |
| وهران ١٠٢ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ | نيونة ١٢٥                       |



## ي

|   |                                 |
|---|---------------------------------|
| يابرة ١١٤   | هجر ١٠٠ ، ١٠٧                   |
| يابسة ٤٥  | هراة ١٠٩ ، ١٢٢ ، ٨٩٤            |
| ياجوج وماجوج ٧٥ ، ١١٠ ، ١٢٣ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢ ، ١٣١ | هرقلية ، هريقلية ٧٧ ، ١٣٤       |
| ١٤٠ ( سد ) ١٤٦  | هرمز ١٠٨                        |
| الياقوت ( جزيرة ) ١١١                                     | الهولس ١٢٠ ، ١٢١                |
| ينرب ١٤ ، ٩٩ ، ٣٨٠ ، ٦٣٤                                  | همدان ١٢٠ ، ٣٢٠                 |
| يخنالك ( ارض ) ١٣٥ ، ١٣٩                                  | الهند ٦٦ ، ٧٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١٤٢ |
| اليرموك ٢٧٨   | ١٤٦ ، ٢٥٥ ، ٣٢٠ ، ٣٢٦ ، ٥٢٣     |
| يزدشير ١٠٨  | ٦٣٥ ، ٦٥١ ، ٦٦١ ، ٧٢٠ ، ٨٠٣     |
| يسامت اشبونة ١١٤  | ٩٢٨                             |
| يلعلم ( جبل ) ٩٩  | هنين ١٠٢                        |
| اليمامة ٧٩ ، ٩٦ ، ١٠٧ ، ١٤٣ ، ١٩٠                         | هواره ١٠٣                       |
|   | هياب ١٠٤                        |
|   | هيت ١١٩                         |

٢٤٣ ، ١٨٩ ، ١٥٤ ، ١٤٣ ، ١٤٢

٣٢١ ، ٣١٧ ، ٢٨٨ ، ٢٦٥ ، ٢٥٥

٥٩٥ ، ٥٨٨ ، ٤٠٩ ، ٣٨٠ ، ٣٦١

١٠٧٢ ، ٨٠٠ ، ٧٤٧ ، ٧٢١ ، ٦٥٨

ينبع ٥٨٣

ينبلونة ١٢٤

يوم السقيفة ٣٤٣

اليمن ١٦ ، ١٨ ، ٣٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٩٧

## ٦- فهرس الكواكب والنجوم والأبراج الفلكية

|                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| الزهرة ١٦٨ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٢٩     | الاسد ( برج ) ٥٩٦ ، ٥٩٩          |
| ٩٢٩ ، ٦٣٤                        | اول الميزان ٨٤                   |
| السرطان ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ | البرج ٩٥١                        |
| ٩٧٠                              | الثور ٥٨١                        |
| الشمس ١٦١ ، ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٩٣٠      | الجدي ( رأس ) ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩٧١ |
| ١٠٠٣ ، ١٠٠٥ ، ١٠١٦               | الجوزاء ٩٥١                      |
| الثعبان ١٧٦                      | الحمل ( برج ) ٨٥ ، ٥٩٦ ، ٦٩٨     |
| العقرب ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠           | ٩٤٤                              |
| المقر ٩٢٩ ، ٩٣٠ ، ١٠٠٣           | الحوت ٨٤ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠             |
| المربخ ٥٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠           | دائرة ممثل النهار ٨٤ ، ٩٠        |
| المشتري ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩          | زحل ٢ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨                |
| الميزان ( برج ) ٥٩٩ ، ٩٧١        |                                  |

## ٧- فهرس الحيوان

|                                  |                                    |
|----------------------------------|------------------------------------|
| الزرافة ١٥٢                      | الابل ، البعير ، الجمل ١١٢ ، ١٥٧ ، |
| السماك ٣١٥ ، ٦١٤ ، ٧٣١           | ٢١٢ ، ٣٠٧ ، ٣٢٤ ، ٣٦٢ ، ٤٥٧        |
| شاة - شاة - الموز ٩١ ، ١١٢ ، ١٥٢ | ٦٢٠ ، ٦٣٩ ، ٧٢٠                    |
| ٢١٢ ، ١٥٦                        | الاسد ٧٠ ، ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٩٢٩         |
| الضأن ١٥٣                        | البقر ١٥٢ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٣٢٤ ،      |
| الظباء ٢٤٣                       | ١٠١٥                               |
| مقرب : مقارب ٣٦٢ ، ٩٢٩ ، ١٠١٨    | البقر الوحشية ٢٤٣                  |
| المنكبوت ٢                       | البوم ٦٤ ، ٥٠٨                     |
| الفرال ١٥٢                       | نملب ، نملب ٥٦٨                    |
| الفنم ٢١٢ ، ٣٢٣ ، ٩٢٨ ، ٩٣٠      | الثور ٧٠                           |
| الفار ٣٢٤ ، ٦٤٥                  | الجراد ٦٧                          |
| الفرس ٧٠ ، ٣٦٢                   | الحلزون ١٦٧                        |
| الفيل : فيلة ٧٠                  | الحمار ٧٠ ، ١٥٢ - الحمر الوحشية    |
| الكلاب ٢٦٨ ، ٥٦٠                 | ٢٤٣ ، ١٥٢                          |
| اللوتياء (الحوت) ٢               | الهامام ٢                          |
| الهر ، الهرة ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٦٤٥     | الحوت ٢ ، ٦٠ ، ٧٣١                 |
| المهى ١٥٢                        | حية ، حيات ١١١ ، ٩٢٩ ، ١٠١٥        |
| النحل ٧٢ ، ٦٨٢ ، ٧٣٧ ، ١٠١٥ ،    | الغيل ١١٢ ، ٣٠٨ ، ٣٦٢ ، ٤٥٧        |
| ١٠١٨                             | الخنافس ٣٦٢                        |
| النعام ١٥٢                       | الدجاج ١٥٣ ، ١٥٧ ، ٣٦٢             |
| اليهموت ٢                        | دود الحرير او دود القز ٢٥٦ ، ٤٧١   |
|                                  | ٦٨٢ ، ٤٧٣                          |

## ٨ فِهْرُسُ الثَّبَاتِ

|                         |                         |
|-------------------------|-------------------------|
| السكر ٣١٨               | الباقلاء ٦٤٦            |
| السمسم ١٩٠              | البصل ١٦١ : ٦٤٦         |
| الشمعير ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٦٤٦ | التمر ( نبله ) ٢٩ ، ١٥٤ |
| الصنبل ٣٢٠              | الثوم ١٦١ ، ٦٤٦         |
| التصب ٧٢٦               | الحنطة ١٥٥ ، ٦٤١        |
| التبن ٤٧٣ ، ٧٣٣         | البقل ١٥٥               |
| الكتان ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٧٣٣  | الحنظل ١٥٧              |
| الكرم ١٦٧               | الدفلى ٦٦٥              |
| الليم ٦٦٥               | الدرة ١٤٢ ، ١٥٣         |
| ماء الورد ٩٢٩           | الرمانة ٩٢٨             |
| التارنج ٦٦٥             | الزعفران ٩٢٩ ، ٩٨٤      |
| النخل ١٦٧               | السرو ٦٦٥               |

---





## ٩- فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة

|                                  |                                  |
|----------------------------------|----------------------------------|
| العنبر ٣٠٦ ، ٣١٧                 | البخور ٩٤٧                       |
| العقيق ٣٦٣                       | الجمان ٥٨١ ، ١١٣٩                |
| المود الهندي ٣١٩                 | الجواهر ٥٨١ ، ١١٣٩               |
| الفضة ٢٩ ، ١٤٢ ، ٣٠٧ ، ٣١٩ ،     | الجواهر ٦٨٦ ، ٦٩١                |
| ( نقر الفضة ) ٣٦٢ ، ٤٦٢ ، ٥٧٦ ،  | الحديد ٩١ ، ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٨١ ،    |
| ٦٢٥ ، ٦٨٠ ، ٦٩١ ، ٧٩٢ ، ٩٧٧ ،    | ١٠١٤                             |
| ٩٨١ ، ١٠١٠ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ،       | الخارصين ١٠١٤                    |
| ١٠١٤ ، ١٠١٥ ، ١١١١               | الدر ٣٠٦ ، ١١٣٩                  |
| الفلجشت ١٥٥                      | الذهب ٢٠ ، ٢٩ ، ٩٧ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، |
| الفيرورج ٤٧١                     | ٣٦٢ ، ٣٦٧ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،    |
| القرليون ١٥٧                     | ٤٦٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٥٢٠ ، ٥٦٨ ،    |
| القصب ١٤٢                        | ٦٢٤ ، ٦٣٠ ، ٦٥١ ، ٦٨٠ ، ٦٩١ ،    |
| القصدير ١٤٢ ، ٦٩٢ ، ٩٧٦ ، ١٠١٠ ، | ٧٩٢ ، ٨٢٥ ، ٩٧٦ ، ٩٨١ ، ٩٩٢ ،    |
| ١٠١٣ ، ١٠١٤                      | ١٠١٠ ، ١٠١٢ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤ ،      |
| الكافور ٣٠٥                      | ١٠١٥ ، ١٠١٦ ، ١٠١٧ ، ١٠١٨ ،      |
| الكبريت ٩٨١                      | ١٠١٩ ، ١١١١ ، ١١١٦ ، ١١٤٠ ،      |
| اللجين ٣٧                        | الرخام ٦٤٠                       |
| الزئبق ، لاليء ٥٨١ ، ٦٩١         | الرصاص ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٧٦ ، ٩٩٠ ،   |
| اللاعب ١٥٥                       | ١٠١٣ ، ١٠١٤                      |
| المالديون ١٥٥                    | الزاج ٩٩٠                        |
| المسك ٣٠٦                        | الزبرجد ٢٠                       |
| مصطكى ٩٤٧                        | الزمرود ٩٧ ، ٤٧١                 |
| المنغنيس ٩٩٠                     | الزئبق ٩٨١                       |
| التحاس ١٤٢ ، ٦٩١ ، ٩٧٦ ، ٩٨١ ،   | النيرم ١٥٥                       |
| ٩٩٠ ، ١٠١٠ ، ١٠١٣ ، ١٠١٤         | الصدف ١٦٧ ، ٦٤٠ ، ١١١١           |
| الياقوت ٢٠ ، ١١١ ، ٣٠٦ ، ٤٧١     | العاج ٤٦١                        |
| اليتوع ، اليتوعات ١٥٥ ، ١٥٧      | المرطشنا ١٥٥                     |
|                                  | العشر ١٥٥                        |



## ١٠- فهرس أسماء الكتب

الوارد ذكرها في تصليف المقدمة

مرتبة عناوينها على الهجاء

- |                                  |                                   |
|----------------------------------|-----------------------------------|
| تاريخ بغداد ٦١٠                  | الاحكام ٨١٧                       |
| تاريخ جرجس بن العميد ٤١٤         | الاحكام السلطانية ٣٨٨ ، ٣٩١ ، ٤١٨ |
| التحصيل على العتبية ١٠٢١         | ٤٣٣ ، ٤٦٦                         |
| تماليم الشفاء ٩٠٦                | احكام المعلمين والمعلمين ٢٢٢      |
| تفسير الزمخشري ١٠٦٧ ، ١٠٦٨       | احياء الدين ٨٦٦ ، ٨٦٨             |
| التنقيحات ٨١٧                    | ادب الكتاب ١٠٧٠                   |
| التنبهات ١٠٢١                    | ارجوزة في الطب ( لابن سينا ) ١٤٥  |
| التلهيد ٨٠٧                      | الارجوزة الكبرى والارجوزة الصغرى  |
| التوراة ١ ، ١٥ ، ١٤٤ ، ٤١١ ، ٤١٢ | ١٠٥٨                              |
| ٧٨٧ ، ٦٢٩                        | الارشاد ٨٢١                       |
| جامع الاحاديث للترمذي ٣٠         | ارجوزة الالفية ١٠٥٨               |
| الجفر ( كتاب ) ٥٨١ ، ٥٩٤         | الاسديه ٨٠٧                       |
| الجفر الصغير ٦٠١                 | اسفار الملوك الاربعة ٤١٢          |
| حاشية الخفاجي على البيضاوي ٢     | اصول الفقه ٨٢٠                    |
| خلم النملين ٢٨٠ ، ٥٧٦            | الافغاني ٢٤١ ، ١٠٧٠ ، ١٠٩٢ ، ١١٠٥ |
| الدخيرة لابن بسام ٣٠٧            | اكمال المعلم ٧٩٥                  |
| رقية الحكيم ٩٧٧ ، ٩٩٢ ، ١٠١١     | الالفاظ لابن السكيت ١٠٦٣          |
| ١٠١٩                             | الانجيل ١ ، ٤١١ ، ٤١٢             |
| رحلة ابن العربي ( ابو بكر ) ١٠٤١ | الانماط ٩٤٠ ، ٩٤١                 |
| رسالة ابي بكر بن بشرون ٩٧٨       | الايضاح والتلخيص ١٠٦٧             |
| رسالة التميمي ٣٩٦ ، ٨٦٦ ، ٨٦٩    | الباب ٥٥٨                         |
| رسائل جابر بن حيان ١٠٦٤          | البدائع ٨١٨                       |
| رسالة حي بن يقظان ٧٣٨            | البيان والتبيين ١٠٧٠              |
| رسائل ابن القفج ١١١٢             | تاريخ ابن حماد ٤٦٤                |
| رفع الحجاب ٨٩٦                   | تاريخ ابن الرقيق ٢١٧              |

- رؤيا يوحنا ٤١٣  
 السر المكتوم ٩٣٠  
 سراج المالك للطوطوشي ٢٧٤ ، ٦٦  
 سفر بنيامين ٤١٢  
 السنن ( كتاب ) ٥٦٥ ، ٥٩٣ ، ٧٩٣  
 شرح قصيدة ابن اغاراض للفرغاني ٧٩٥ ، ٧٩٧  
 ٨٧١  
 شرح كتاب خلع النعلين ٥٧٦ ، ٥٧٨  
 الشيعة بالجفر ٦٠١  
 الصحاح للجوهري ١٠٦١  
 الصحيح للبخاري ١٦٠ ، ١٦١ ، ١٩٢  
 ٢١٦ ، ٣٤٤ ، ٣٥٨ ، ٥٧٣ ، ٧٩٢  
 ٨٨٦ ، ٨٨٢  
 صحيح مسلم ٥٦٣ ، ٧٩٧  
 الصحيحان. ١٦٠ ، ٤٦٧ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩  
 ٥٧١ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ، ٧٩٧  
 العنينة ١٠٢١  
 العقد او العقد الفريد ٢٦ ، ٣١ ،  
 ١١٢٣ ، ١١٢٨  
 عقيدة الرسالة ٨٣٢  
 العمدة ١١٠٦ ، ١١٠٨  
 عنقاء مغرب لابن العربي ٥٧٦ ، ٥٧٧  
 عوارف المعارف ٨٦٦  
 العواصم والقواصم ٢٨٤  
 عيون الأدلة ٨٢٠  
 غاية الحكيم ٩٢٥ ، ٩٤١ ، ٩٧٧ ، ٩٩٢  
 الفتح القدسي ٤٥٣  
 فصيح ثعلب ١٠٦٣  
 فقه اللغة للثعالبي ١٠٦٣  
 القرآن ، المصحف ، الكتاب ٢٣ ، ٢٧  
 ١٣٧ ، ١٦٥ ، ١٧٣ ، ٢٢٤ ، ٢٤٨  
 ٣١٣ ، ٤١١ ، ٤٦٨ ، ٥٥٧ ، ٦٢٢  
 ٧٤٧ ، ٧٦٢ ، ٧٦٣ ، ٧٨٠ ، ٧٨١
- ٧٨٢ ، ٧٨٣ ، ٧٨٥ ، ٧٨٦ ، ٧٩٨  
 ٧٩٩ ، ٨١٢ ، ٨٣٠ ، ٨٣٢ ، ٩٢٧  
 ٩٤١ ، ١٠٣٨ ، ١٠٣٩ ، ١٠٤٠ ، ١٠٤١  
 ١٠٤٢ ، ١٠٤٤ ، ١٠٤٨ ، ١٠٥٧  
 ١٠٥٨ ، ١٠٥٩ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩  
 ١٠٧٥ ، ١٠٧٧ ، ١٠٨٠ ، ١١٩٣  
 ١١١٤ ، ١١١٥ ، ١١٢٢ ، ٩٢٠ ، ٩٢٤  
 قصيدة الشاطبي الكبرى والصغرى  
 في القراءات ١١١٤  
 قصص الزنل ٤١٣  
 الكامل للمبرد ١٠٧٠  
 الكامل لابن عدي ٥٦٧  
 كتاب ابن يونس ١٠٢١  
 كتاب ابن ثابت ( في الفرائض ) ٨١٠ ، ٩٠١  
 كتاب ابن الحاجب ١٠٢٢  
 - الاشارة ٨٨٨  
 - ابو غالميس ٤١٣  
 - الاصول ٧٣٢ ، ٩٠٢  
 - الاحكام ٨١٧  
 - الارشاد ٨٢٧  
 - الاربع ١٠٠٤  
 - كشف الاسرار ٩١٣  
 - الاشارات ٨٧٥ ، ٩١٦ ، ٩٩٩  
 - الاقتصار لابن ابي الصلت ٩٠٦  
 - الاغاني ، انظر : الاغاني  
 - اقليمطس ٤١٣  
 - الامام لسبيويه ١٠٥٧  
 - اوقليدس ٨٩٢  
 - الابرلكميس ٤١٣  
 - اوشير ٤١٢  
 - ايوب الصديق ٤١٢  
 كتاب البرودي ٨١٨

- كتاب البرهان ٨١٦ ، ٩١٢  
 - بولس ٤١٣  
 - التبيان للسكاكي ١٠٦٧  
 - التحصيل ٨١٧  
 - التسهيل ١٠٥٨  
 - التيسير ٧٨٣  
 - الجغرافية لبطليموس ٧٦ ، ٩٥  
 - الحاصل ٨١٧  
 - الحصار الصغير ٨٩٧  
 - الخطابة ٢٣٦  
 - راعوث ٤١٢  
 - السياسة ١٩٩ ، ٥٧٤  
 - السير ٣٤٦  
 - الشامل ٨٣٥  
 - الشفاء ٩١٢ ، ٩١٦ ، ٩٩٩  
 - الشفاء والنجاة ٨٩٦  
 - الطوالع ٨٣٧  
 - طمطم الهندي ٩٢٤  
 - العبر وديوان المتدا والخبر ٨  
 - العتبية ٨٠٧  
 - مزارا الكاهن ٤١٢  
 كتاب الصمد لابن رشيق ٨٩٤ ، ١٠٦٧  
 - العهد ٨١٧  
 كتاب العين ١٠٥٩ ، ١٠٦١ ، ١٠٦٢  
 - الغاية ١٨٣ ، ٩٣٠ ، ١٠١٩  
 - القرشي ٨٩٩  
 - القرانات ٥٩٨ ، ٦٠١  
 - القناليقون ٤١٢  
 - القضاة ٤١٢  
 - الكشاف ٧٨٨  
 - الاخذ ٨٢٠  
 - البدا والمعاد ١٠٠١  
 - المحصول ٨١٧  
 - المختصر ٨١٧ ، ٨٣٢  
 كتاب المجاز للزمخشري ١٠٦٢  
 - المصباح لابن مالك ١٠٦٧  
 - المعلم الاول ٢٣٦  
 - المشترك لياقوت ٩٤  
 - المقايين ٤١٢  
 - المقامات ٨٧٥  
 - المقنع ٨٨٤  
 - المقولات ٩١٢  
 - المنطق لارسطو ١١٢٤  
 - ميلوش ٩٠٣  
 - النجاة ٩١٦ ، ٩٩٩  
 - النبي ١٦١  
 - النوادر لابي علي القالي ٨٠٧ ، ١٠٧٠  
 كتاب الواضحة ٨٠٦  
 - يسوع بن شارخ ٤١٢  
 - يهوذا ٤١٢  
 - يوشع ٤١٢  
 الحكم ١٠٦٢  
 الجسطي ٩٠٦  
 مختصر الجمل ٩١٥  
 مختصر القاضي ابي القاسم الحوئي ٨١٠  
 المختصر الكبير ٨١٧  
 المدونة ، مدونة سحنون ، المختلطة ٨٠٧  
 مروج الذهب ٥٢  
 مزامير داود ٤١٢  
 المسالك والممالك ٥٢  
 المستدرک ٥٦٠ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠  
 المستصفى ٨١٧  
 مسند ابي بكر البزاز ٥٧٢  
 مسند الطحاوي ٧٩٧  
 مسند القشيري ٧٩٣  
 مصاحف الكواكب السبعة ٩٢٤

|                                   |                                   |
|-----------------------------------|-----------------------------------|
| المفصل للزمخشري ١٠٥٨              | معالم السنن ٤٦٦                   |
| مقدمة على المفصل ١٠٥٨             | معاملات الزهراوي ٩٠٠              |
| المتع ٨٨٨                         | المعتمد ( شرح كتاب العهد ) ٨١٧    |
| مناقع الاعضاء لجالينوس ٧٠         | المعجم الاوسط ٥٦٧                 |
| المنهاج ٨١٧ ، ٩٠٨                 | المعجم الكبير للطبراني ٥٧٢        |
| الموجز ٩١٥                        | الزهر ٢                           |
| الموطأ لمالك ٢٧ ، ١٩٣ ، ٧٩٢ ، ٧٩٦ | المعلم بفوائد مسلم ٧٩٥            |
| ميزان العمل لابن رشيقي ٥          | المفني في الامراب ١٠٥٨            |
| الميزان ٥٦٥ ، ٥٦٧ ، ٥٧٠           | الملل والنحل لابن حزم ٣٥٧         |
| نزهة المشتاق للشريف الادريسي ٩١   | المفتاح في النحو والتصريف والبيان |
| النص ٩١٠                          | للسكاكي ١٠٦٧                      |
| الواضحة ٨٠٧                       | الملل والنحل للشهرستاني ٣٥٧       |

## ١١- فهرس آي القرآن الكريم والأحاديث النبوية

- إذا جاء نصر الله والفتح ٧٨٥  
 إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ٥٨٠  
 الأئمة من قريش ٣٤٣  
 اسمعوا وأطيعوا وإن ولي عليكم عبد حبشي ذو زبيبة ٣٤٤  
 أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ٣٤٢ ، ٣٤٩  
 أنفسكم إنما خلقناكم عبثا ٣٣٧  
 أقضاكم علي ٢٤٨  
 ألم آتكم بها ببضاء نقية ؟ والله لو كان موسى حيا ما رآه الا ابليها ٧٨١  
 الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون  
 ربهم ١٠٩٣  
 ألم تر كيف فعل ربك . . . ٢٠  
 أن الله أذهب عيبة الجاهلية وفخرها بالآباء ٣٥٨  
 ابن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص ٤٨٠  
 أن سنلقي عليك قولا ثقيلا ١٦٠  
 أن أكرمكم عند الله أتقاكم ٣٥٨  
 أن فيكم محدثين فهم أولى الناس بهذه الرتبة الشريفة . . . ٥٨٩  
 أنما الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق ابن  
 ابراهيم ٢٤١  
 أنما لك من مالك ما أكلت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضت ٦٧٩  
 أنما هي أعمالكم ترد عليكم ٣٣٨  
 أني أتاجي من لا تتاجون ١٦١  
 أني جامل في الأرض خليفة ٣٣٩  
 أهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا  
 الضالين ٨٢٧  
 أوتيت جوامع الكلم واختصر لي الكلام اختصارا ١٠٥٦ ، ١٠٧٢  
 ألا وأني لا أعلم الا ما علمني الله . . . ١٥٩  
 تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما : كتاب الله وسنتي ١٠٤٨  
 تعلموا من آتسابكم ما تصلون به أرحامكم ٢٢٦

- جملكم خلائف الارض ٣٣٩  
 حتى اذا بلغ اشدّه وبلغ اربعين سنة ٣٠١  
 الحرب خدعة ٤٩٠  
 ختامه مسك ٤٦٨  
 خلق السموات والارض واختلاف السنتكم والواتكم ان في ذلك لايات  
 للعالمين ٤٦١  
 الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تعود ملكا عضوا ٦٥٦  
 رب هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي ٣٦٠  
 الرؤيا الصالحة جزء من ستة واربعين جزءا من النبوة ٨٨٢  
 سنة الله في عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا ١٤٧  
 سبروا على سير اضعفكم ٣٣٥  
 العلماء ورثة الانبياء ٣٩٥ ، ٣٩٦  
 فابتنفوا عند الله الرزق ٦٨٠  
 في رأس العبادات جعلت قرّة عيني في الصلاة ٨٢٧  
 قل هو الله احد ، الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا احد ٨٢٤  
 كل مولود يولد على الفطرة ٢١٥  
 كنتم خير امة اخرجت للناس ١٤١  
 لقد اوتي مزمارا من مزامير داود ٧٦٣  
 لم يبق من المبشرات الا الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح او ترى له ٨٨٢  
 لن يعجز الله ان يؤخر هذه الامة نصف يوم ٥٩٠  
 لو اتفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ٢٧٧  
 لو تعلق العلم باكتناف السماء لناله قوم من اهل فارس ١٠٥٠  
 لولا قومك حديثو عهد بكفر لرددت البيت على قواعد ابراهيم ٦٢٥  
 ما بعث الله نبيا الا في منعة من قومه ٢٧٩  
 ما دخلت هذه ( السكة ) دار قوم الا دخله اللئ ٧٠٢  
 ما من نبي من الانبياء الا واوتي من الايات ما مثله آمن عليه البشر ١٦٥  
 ما نسخ من آية او نساها نأت بخير منها او مثلها ... ٧٨٩  
 من رأى فيكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فليسهان ، فان لم يستطع  
 فليقله ٢٨١  
 من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ... ٣٥٩  
 من كنت مولا فعلي مولا ٣٤٨  
 من مات يشهد ان لا اله الا الله دخل الجنة ٨٢٤ ، ٨٦٤  
 من يبايعني على روحه وهو وصيي وولي هذا الامر من بعدي ٣٤٩  
 منه آيات محكمات هن ام الكتاب وآخر متشابهات ٥٩٢



الناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الاسلام ٢٣٥  
 نصرت بالرعب مسيرة شهر ٤٩١  
 واجعل لي وزيراً من اهل هارون اخي اشدد به ازري واشركه في امري ٤١٧  
 واذا تخلق من الطين كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيراً باذني ١٠٢٠  
 واذا يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ... ٦٢٣  
 واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفها ففسقوا فيها ... ٢٥٣ و ٦٦٤  
 وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون ٥٩٠  
 ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك  
 خير مما يجمعون ٦٩٦  
 وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعاً ... ٦٧٨  
 ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل : هاروت  
 وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولوا انما نحن فتنه فلا تكفر ... ٩٢٧  
 وما اوتيتهم من العلم الا قليلاً ٦٣  
 لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم ما  
 اصابهم ٢١٦  
 لا تقوم الساعة حتى تعود الزكاة مغزماً ٧٠٣  
 لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي انزل اليك وانزل اليكم  
 والينا والهمك واحد ٧٨١  
 لا هجرة بعد الفتح ٢١٧  
 لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ٨٢٨  
 يا فاطمة اعلمي فان اغني عنك من الله شيئاً ٣٥



## ١٣- فهرس المواد

ص

|   |         |
|---|---------|
| كلمة الناشر                                     | ١ - ١١  |
| تصنيف الكتاب                                    | ١٦ - ١٢ |
| في فضل علم التاريخ                              | ٢٠ - ١٦ |
| اخبار المؤرخين الواهية                          | ٥٠ - ٢٠ |
| في اوهام المؤرخين                               | ٥٦ - ٥٠ |
| في بيان انقلاب احوال البلاد                     |         |
| ٥٧ - الكتاب الاول : في طبيعة العمران في الخليقة |         |
| ما يمرض فيها من البدو والحضر والتغلب والكسب     | ٥٩ - ٥٧ |
| والمعاش والصنائع والعلوم ونموها وما لذلك من     |         |
| العلل والاسباب                                  |         |
| تمييز الحق من الباطل في اخبار التاريخ           | ٦٢ - ٥٩ |
| كلام الحكماء في السياسة                         | ٦٨ - ٦٢ |

### الباب الاول :

|   |          |
|---|----------|
| ٦٩ - المقدمة الاولى : في العمران البشري على الجملة                        |          |
| ٧٤ - المقدمة الثانية : في قسط العمران من الارض والإشارة الى بعض           |          |
| ما فيه من الاشجار والانهار والاقاليم                                      |          |
| البحار  | ٨٠ - ٧٦  |
| الانهار   | ٨٢ - ٨٠  |
| تكملة لهذه المقدمة الثانية  | ٨٨ - ٨٣  |
| تفصيل الكلام على بدء الجغرافية : اقاليم الارض                             | ١٤٠ - ٨٩ |
| السبعة  |          |
| ١٤١ - ١٤٧ المقدمة الثالثة : في المعتدل من الاقاليم والمنحرف وتأثير الهواء |          |
| ١٤٨ - ١٥٠ المقدمة الرابعة : في اثر الهواء في اخلاق البشر ...              |          |
| ١٥١ - ١٥٨ - الخامسة : في اختلاف احوال العمران في الخصب والجوع             |          |

## هـ

|           |  |
|-----------|--|
| ١٥٩ - ١٦٥ | - السادسة : في اصناف المدركين للغيث من البشر                                       |
| ١٦٦ - ١٧١ | تفسير حقيقة النبوة .   |
| ١٧١ - ١٧٤ | الوحي  |
| ١٧٤ - ١٧٨ | الكهانة  |
| ١٧٨ - ١٨٣ | الرؤيا   |
| ١٨٣ - ٢٠٩ | الاخبار بالمفيزات  |
| ٢٠٩ - ٢٧٠ | <b>الباب الثاني : في العمران البدوي والامم الوحشية والقبائل</b>                    |
| ٢١٠ - ٢١١ | الفصل الاول : في ان اجيال البدو والحضر طبيعية                                      |
| ٢١٢ - ٢١٣ | الثاني : في ان جيل العرب في الخلقة طبيعي   |
| ٢١٣ - ٢١٤ | الثالث : قدم البادية والبدو  |
| ٢١٥ - ٢١٨ | الرابع : في ان اهل البدو اقرب الى الخير من اهل الحضر                               |
| ٢١٨ - ٢١٩ | الخامس : شجاعة اهل البدو   |
| ٢٢٠ - ٢٢٣ | السادس : معاناة اهل الحضر للاحكام  |
| ٢٢٣ - ٢٢٥ | السابع : القبائل التي تسكن البدو   |
| ٢٢٥ - ٢٢٦ | الثامن : في ان المصيبة انما تكون من الانتقام بالنسب                                |
| ٢٢٧ - ٢٢٨ | التاسع : في ان الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين في القفر                        |
| ٢٢٩ - ٢٣٠ | العاشر : في اختلاط الانساب   |
| ٢٣٠ - ٢٣١ | الحادي عشر : في ان الرئاسة لاهل المصيبة  |
| ٢٣١ - ٢٣٤ | الثاني عشر : في ان الرئاسة على اهل المصيبة لا تكون في غير نسبهم                    |
| ٢٣٤ - ٢٣٧ | الثالث عشر : في ان البيت والشرف بالاصالة والحقيقة لاهل المصيبة                     |
| ٢٣٧ - ٢٣٩ | الرابع عشر : في ان البيت والشرف للموالي واهل الاصطناع انما هو بمواليهم لا بانسابهم |
| ٢٣٩ - ٢٤٢ | الخامس عشر : في ان نهاية النسب في العقب الواحد اربعة آباء                          |
| ٢٤٢ - ٢٤٤ | السادس عشر : في ان الامم الوحشية اقدر على التغلب من سواها                          |
| ٢٤٤ - ٢٤٦ | السابع عشر : في ان الغاية التي تجري اليها المصيبة هي الملك                         |

## ص

- ٢٤٦ - ٢٤٧ - الثامن عشر : من عوائق الملك حصول الترف  
 ٢٤٧ - ٢٥٠ - التاسع عشر : من عوائق الملك حصول المذلة  
 ٢٥٠ - ٢٥٤ - العشرون : خلال الحميدة من علامات الملك  
 ٢٥٤ - ٢٥٥ - الحادي والعشرون : في انه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع  
 ٢٥٦ - ٢٥٨ - الثاني والعشرون : انتقال الملك بين الشعوب  
 ٢٥٨ - ٢٥٩ - الثالث والعشرون : ولع المطلوب بالاعتداء بالغالب  
 ٢٦٠ - ٢٦١ - الرابع والعشرون : الامة اذا غلبت اسرع اليها الفناء  
 ٢٦٢ - ٢٦٣ - الخامس والعشرون : في ان العرب لا يتغلبون الا على البساط  
 ٢٦٣ - ٢٦٥ - السادس والعشرون : في ان العرب اذا تغلبوا على اوطان اسرع اليها الخراب  
 ٢٦٦ - السابع والعشرون : في ان العرب لا يحصل لهم الملك الا بصفة دينية من نبوة او ولاية او اثر عظيم  
 ٢٦٧ - ٢٦٩ - الثامن والعشرون : في ان العرب ابعد الامم من سياسة الملك  
 ٢٦٩ - ٢٧٠ - التاسع والعشرون : في ان البوادي من القبائل مغلوبون لاهل الامصار
- ٢٧١ - ٦٠٨ **الباب الثالث :** في الدول العامة والملك والخلافة والمرايب السلطانية  
 ٢٧١ - ٢٧٢ الفصل الاول : في ان الملك والدولة العامة انما يحصلان بالقبيل والعصبة  
 ٢٧٢ - ٢٧٥ - الثاني : في انه اذا استقرت الدولة وتمهدت قد تستغني عن العصبة  
 ٢٧٥ - ٢٧٧ - الثالث : في انه قد يحدث لبعض اهل النصاب الملكي دولة تستغني عن العصبة  
 ٢٧٧ - الرابع : الدين اصل الاستيلاء على الملك  
 ٢٧٨ - ٢٧٩ - الخامس : في ان الدعوة الدينية تزيد الدولة قوة على قوة العصبة  
 ٢٧٩ - ٢٨٤ - السادس : في ان الدعوة الدينية من غير عصبة لا تتم  
 ٢٨٥ - ٢٨٧ - السابع : في ان كل دولة لها حصة من الممالك والاطنان لا تزيد عليها  
 ٢٨٧ - ٢٨٩ - الثامن : اتساع نطاق الدولة ونسبة القائمين بها

## ص

|           |   |
|-----------|---|
| ٢٩٠ - ٢٩٣ | الفصل التاسع: في ان الاوطان الكثيرة التباين والعصائب قل ان تستحكم فيها دولة                             |
| ٢٩٣ - ٢٩٥ | العاشر: في ان طبيعة الملك الانفراد بالمجد   |
| ٢٩٥       | الحادي عشر: في ان طبيعة الملك الترف   |
| ٢٩٦       | الثاني عشر: في ان طبيعة الملك الدعة والسكون   |
| ٢٩٧ - ٣٠٠ | الثالث عشر: في انه اذا استحكمت طبيعة الملك من الانفراد بالمجد وحصول الترف والدعة اقبلت الدولة على الهرم |
| ٣٠٠ - ٣٠٤ | الرابع عشر: في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص   |
| ٣٠٤ - ٣٠٨ | الخامس عشر: في انتقال الدولة من البداوة الى الحضارة   |
| ٣٠٩ - ٣١٠ | السادس عشر: في ان الترف يزيد الدولة في اولها قوة الى قوة  |
| ٣١٠ - ٣١٣ | السابع عشر: في اطوار الدولة واختلاف احوالها   |
| ٣١٣ - ٣٢٤ | الثامن عشر: في ان آثار الدولة كلها على نسبة قوتها - موارد بيت المال ببغداد ايام المأمون                 |
| ٣٢٤ - ٣٢٦ | التاسع عشر: في استظهار صاحب الدولة على قومه وأهل عصبته بالموالي والمصطنعين                              |
| ٣٢٦ - ٣٢٨ | العشرون: في احوال الموالي والمصطنعين في الدول   |
| ٣٢٩ - ٣٣٠ | الحادي والعشرون: فيما يعرض في الدول من حجر السلطان والاستبداد عليه                                      |
| ٣٣١ - ٣٣٢ | الثاني والعشرون: في ان المتغلبين على السلطان لا يشاركونه في القرب                                       |
| ٣٣٢ - ٣٣٤ | الثالث والعشرون: في حقيقة الملك واصنافه   |
| ٣٣٤ - ٣٣٦ | الرابع والعشرون: في ان اهداف الحد مضر بالملك ومفسده في الاكثر   |
| ٣٣٦ - ٣٣٨ | الخامس والعشرون: في معنى الخلافة والامامة   |
| ٣٣٩ - ٣٤٧ | السادس والعشرون: في اختلاف الامة في حكم هذا المنصب وشروطه   |
| ٣٤٨ - ٣٥٧ | السابع والعشرون: في مذاهب الشيعة في حكم الامامة   |
| ٣٥٨ - ٣٧٠ | الثامن والعشرون: في انقلاب الخلافة الى الملك  |
| ٣٧٠ - ٣٧١ | التاسع والعشرون: في معنى البيعة   |
| ٣٧١ - ٣٨٦ | الثلاثون: في ولاية العهد - مقتل الحسين بن علي   |
| ٣٨٦ - ٤٠٠ | الحادي والثلاثون: في الخطط الدينية الخلفية: العدالة   |

ص

## - الحسبة والسكة -

- ٤٠١ - ٤٠٧ الفصل الثاني والثلاثون : في اللقب بامير المؤمنين وانه من سمات الخلافة
- ٤٠٨ - ٤١٦ الثالث والثلاثون : في مراتب الملك والسلطان واقابها : النصرانية ، واسم الكوهن عند اليهود
- ٤١٦ - ٤٥٤ الرابع والثلاثون : في مراتب الملك والسلطان واقابها : الوزارة - الحجابة - ديوان الاعمال والجباية - ديوان الرسائل والكتابة - رسالة عبد الحميد الكاتب الى الكتاب - الشرطة - قيادة الاساطيل
- ٤٥٥ - ٤٥٦ الخامس والثلاثون : في التفاوت بين مراتب السيف والقلم في الدول
- ٤٥٦ - ٤٧٩ السادس والثلاثون : في شارات الملك والسلطان الخاصة به - السرير - السكة - مقدار الدرهم والدينار - الخاتم - الطراز - القساطيل والسياح - مقصورة الصلاة والنساء في الخطبة
- ٤٧٩ - ٤٩٣ السابع والثلاثون : في الحروب ومذاهب الاسم في تربيتها - ضرب المصاف وراء العسكر - وصية علي لاصحابه يوم صفين
- ٤٩٣ - ٤٩٥ الثامن والثلاثون : في الجباية وسبب قتلها وكثرتها
- ٤٩٦ - ٤٩٧ التاسع والثلاثون : في ضرب المكوس اواخر الدولة
- ٤٩٧ - ٥٠١ الاربعون : ضرر وفساد تجارة السلطان
- ٥٠١ - ٥٠٦ الحادي والاربعون : في ان ثروة السلطان وحاشيته انما تكون في وسط الدولة
- ٥٠٦ - ٥٠٧ الثاني والاربعون : في ان نقص المعطاء من السلطان نقص في الجباية
- ٥٠٧ - ٥١٤ الثالث والاربعون : في ان الظلم مؤذن بخراب العمران - الاحتكار
- ٥١٤ - ٥١٦ الرابع والاربعون : في الحجاب كيف يقع في الدول وانه يعظم عند الهرم
- ٥١٧ - ٥٢٠ الخامس والاربعون : في اتقسام الدولة الواحدة

ص

- بدولتين  
٥٢. - ٥٢١ الفصل السادس والأربعون : في ان الهرم اذا نزل بالدولة لا يرتفع
- ٥٢١ - ٥٣٠ - السابع والأربعون : في كيفية طروق الخلل للدولة  
٥٣١ - الثامن والأربعون : في حدوث الدولة وتجددها كيف يقع  
٥٣٢ - ٥٣٧ - التاسع والأربعون : في كيفية استيلاء الدولة المستجدة على الدولة المنقرضة
- ٥٣٧ - ٥٣٩ - الخمسون : وفور العمران اخر الدولة وما يقع فيها من الموتان والمجاعات
- ٥٤٠ - ٥٥٤ - الحادي والخمسون : في ان العمران البشري لا بد له من سياسة ينتظم بها امره - نص كتاب طاهر بن الحسين لابنه عبد الله
- ٥٥٥ - ٥٨٦ - الثاني والخمسون : في امر الفاطمي وما يلزم اليه الناس في شأنه
- ٥٨٧ - ٦٠٨ - الثالث والخمسون : في حدثان الدول والامم وفيه الكلام على الملاحم والكشف عن مسمى الجفر - الننجيم - الملاحم
- ٦٠٩ - ٦٧٧ **الباب الرابع :** في البلدان والامصار وسائر العمران وما يعرض في ذلك من الاحوال
- ٦٠٩ - ٦١١ الفصل الاول : في ان الدول اقدم من المدن والامصار  
٦١١ - ٦١٢ - الثاني : في ان الملك يدعو الى نزول الامصار  
٦١٢ - ٦١٣ - الثالث : في ان المدن العظيمة والهيكل المرتفعة انما يشيدها الملك الكثير
- ٦١٣ - ٦١٥ - الرابع : في ان الهيكل العظيمة لا تستقل بينهاها الدولة الواحدة
- ٦١٧ - ٦٢١ - الخامس : فيما يجب مراعاته في اوضاع المدن .
- ٦٢٢ - ٦٢٥ - السادس : في المساجد والبيوت العظيمة في العالم
- ٦٢٦ - ٦٣٧ - السابع : في ان المدن والامصار بأفريقية والمغرب قليلة
- ٦٣٧ - ٦٣٨ - الثامن : في ان المباني والمصانع في الملة الاسلامية قليلة بالنسبة الى قدرتها
- ٦٣٩ - التاسع : في ان لباني التي كانت تختطها العرب يسرع



ص

|  |           |
|--|-----------|
| اليها الخراب الا في الاقل                                |           |
| الفصل العاشر : في مبادئ الخراب في الامصار                | ٦٤٠       |
| الحادي عشر : في تفاضل الامصار والمدن                     | ٦٤١ - ٦٤٥ |
| الثاني عشر : في اسماء المدن                              | ٦٤٦ - ٦٤٩ |
| الثالث عشر : في قصور اهل البادية عن سكنى المصر           | ٦٤٩ - ٦٥٠ |
| الكثير المعمران  |           |
| الرابع عشر : اختلاف الاقطار بالرقة والفقر                | ٦٥٠ - ٦٥٣ |
| الخامس عشر : في ثلث العقار والضياح في الامصار            | ٦٥٣ - ٦٥٥ |
| وحال فوائدها .   |           |
| السادس عشر : في حاجات المتولين من اهل الامصار            | ٦٥٥ - ٦٥٦ |
| الى الجاه والمدافعة .                                    |           |
| السابع عشر : علاقة الحضارة في الامصار باتصال             | ٦٥٦ - ٦٦١ |
| الدولة ورسوخها .   |           |
| الثامن عشر : في ان الحضارة غاية المعمران ونهاية لعمره    | ٦٦١ - ٦٦٧ |
| التاسع عشر : خراب كراسي الملك بخراب الدولة               | ٦٦٧ - ٦٧١ |
| وانتقاضها .  |           |
| العشرون : في اختصاص بعض الامصار ببعض الصنائع .           | ٦٧١ - ٦٧٢ |
| الحادي والعشرون : في وجود العصبية في الامصار             | ٦٧٢ - ٦٧٤ |
| وتقلب بعضهم على بعض .                                    |           |
| الثاني والعشرون : في لقات اهل الامصار .                  | ٦٧٥ - ٦٧٧ |
| <b>الباب الخامس - في المعاش ووجوهه من الكسب والصنائع</b> | ٦٧٨       |
| الفصل الاول : في حقيقة الرزق والكسب وشرجهما .            | ٦٧٨ - ٦٨١ |
| الثاني : في وجوه المعاش واصنافه وملاذه .                 | ٦٨٢ - ٦٨٣ |
| الثالث : في ان الخدمة ليست من المعاش الطبيعي .           | ٦٨٤ - ٦٨٥ |
| الرابع : في ان ابتغاء الاموال من الدقائق والكنوز ليس     | ٦٨٦ - ٦٩٢ |
| بمعاش طبيعي .  |           |
| الخامس : في ان الجاه مفيد للمال .                        | ٦٩٢ - ٦٩٤ |
| السادس : احراز السعادة والكسب بالخضوع والتلق .           | ٦٩٤ - ٧٠٠ |
| السابع : في ان اقلهم بامور الدين لا تعظم ثروتهم في       | ٧٠١ - ٧٠٢ |
| القالب .   |           |
| الثامن : في ان الفلاحة من معاش المستضعفين واهل           | ٧٠٢ - ٧٠٣ |

## ص

- العافية من البدو .
- ٧٠٢ - التاسع : في معنى التجارة ومذاهبها واصنافها .
- ٧٠٤ - ٧٠٥ - العاشر : في اي اصناف الناس يحترف بالتجارة وايهم ينفي له اجتناب حرفها .
- ٧٠٥ - ٧٠٦ - الحادي عشر : في ان خلق التجار نازلة عن خلق الاشراف والملوك
- ٧٠٦ - ٧٠٧ - الثاني عشر : في نقل التاجر للسلع
- ٧٠٨ - ٧٠٩ - الثالث عشر : في الاحتكار
- ٧٠٩ - ٧١١ - الرابع عشر : في ان رخص الاسعار مضر بالحرفين بالرخص
- ٧١١ - ٧١٢ - الخامس عشر : في ان خلق التجار نازلة عن خلق الرؤساء
- ٧١٢ - ٧١٤ - السادس عشر : في ان الصنائع لا بد لها من العلم
- ٧١٤ - ٧١٥ - السابع عشر : في ان الصنائع انما تكمل بكمال المعمران الحفري وكثرته
- ٧١٦ - ٧١٨ - الثامن عشر : في ان رسوخ الصنائع في الامصار انما هو برسوخ الحضارة
- ٧١٨ - ٧١٩ - التاسع عشر : في ان الصنائع انما تستجد وتكثر اذا كثر طالبها .
- ٧١٩ - العشرون : في ان الامصار اذا قاربت الخراب انتقصت منها الصنائع
- ٧٢٠ - ٧٢١ - الحادي والعشرون : في ان العرب ابعد الناس من الصنائع
- ٧٢١ - ٧٢٢ - الثاني والعشرون : فيمن حصلت له ملكة في صناعته فقل ان يجيد بعدها ملكة في اخرى
- ٧٢٢ - ٧٢٣ - الثالث والعشرون : في الإشارة الى امهات الصنائع .
- ٧٢٣ - ٧٢٤ - الرابع والعشرون : في صناعة الفلاحة
- ٧٢٤ - ٧٣٠ - الخامس والعشرون : في صناعة البناء
- ٧٣٠ - ٧٣٢ - السادس والعشرون : في صناعة النجارة
- ٧٣٢ - ٧٣٣ - السابع والعشرون : في صناعة الحياكة والخياطة
- ٧٣٣ - ٧٣٩ - الثامن والعشرون : في صناعة التوليد
- ٧٣٩ - ٧٤٣ - التاسع والعشرون : في صناعة الطب
- ٧٤٤ - ٧٥٤ - الثلاثون : في ان الخط والكتابة من عداد الصنائع الانسانية

## ص

|           |   |
|-----------|---|
| ٧٥٥ - ٧٥٧ | الفصل الحادي والثلاثون : في صناعة الوراقة                                     |
| ٧٥٨ - ٧٦٧ | - الثاني والثلاثون : في صناعة الفناء  |
| ٧٦٧ - ٧٦٨ | - الثالث والثلاثون : في ان الصنائع تكسب صاحبها عقلا<br>وخصوصا الكتابة والحساب |
| ٧٦٩       | الباب السادس : في العلوم واصنافها والتعليم وطرقه وسائر<br>وجوهه ...           |
| ٧٦٩ - ٧٧٠ | الفصل الاول : في ان العلم والتعليم طبيعي في العمران البشري                    |
| ٧٧٠ - ٧٧٧ | - الثاني : في ان التعليم للعلم من جملة الصنائع                                |
| ٧٧٧ - ٧٧٩ | - الثالث : في ان العلوم تكثر حيث يكثر العمران وتعلم<br>الخصارة .              |
| ٧٧٩ - ٧٨٢ | - الرابع : في اصناف العلوم الواقعة في العمران لهذا المهد                      |
| ٧٨٢ - ٧٨٩ | - الخامس : علوم القرآن من التفسير والقراءات                                   |
| ٧٨٩ - ٧٩٧ | - السادس : علوم الحديث  |
| ٧٩٨ - ٨٠٩ | - السابع : علم الفقه وما يتبعه من الفرائض                                     |
| ٨١٠ - ٨١٢ | - الثامن : علم الفرائض  |
| ٨١٢ - ٨٢١ | - التاسع : اصول الفقه وما يتعلق به من الجدل والخلافات                         |
| ٨٢١ - ٨٢٨ | - العاشر : علم الكلام   |
| ٨٢٨ - ٨٤٠ | - الحادي عشر : في ان عالم الحوادث انما يتم بالفكر                             |
| ٨٤٠ - ٨٤٢ | - الثاني عشر : العقل التجريبي وكيفية حصوله                                    |
| ٨٤٣ - ٨٤٥ | - الثالث عشر : علوم البشر وعلوم الملائكة                                      |
| ٨٤٥ - ٨٤٧ | - الرابع عشر : علوم الانباء   |
| ٨٤٧ - ٨٤٨ | - الخامس عشر : الانسان جاهل بالاداء عالم بالكسب                               |
| ٨٤٨ - ٨٦٢ | - السادس عشر : كنف القطاء عن التشابه من الكتاب<br>والنسبة                     |
| ٨٦٣ - ٨٨٢ | - السابع عشر : علم التصوف   |
| ٨٨٢ - ٨٨٨ | - الثامن عشر : علم تعبير الرؤيا   |
| ٨٨٨ - ٨٩٤ | - التاسع عشر : العلوم العقلية واصنافها  |
| ٨٩٤ - ٩٠١ | - العشرون : العلوم العددية : الحساب ، الجبر ، المعاملات<br>والفرائض           |
| ٩٠١ - ٩٠٥ | - الحادي والعشرون : العلوم العددية - المساحة                                  |
| ٩٠٥ - ٩٠٨ | - الثاني والعشرون : علم الهيئة - علم الازياج                                  |

## ص

- ٩٠٨ - ٩١٦ - الثالث والعشرون : علم المنطق  
 ٩١٦ - ٩١٧ - الرابع والعشرون : الطبيعيات  
 ٩١٧ - ٩١٩ - الخامس والعشرون : علم الطب  
 ٩١٩ - ٩٢٠ - السادس والعشرون : الفلاحة  
 ٩٢٠ - ٩٢٣ - السابع والعشرون : علم الالهيات  
 ٩٢٣ - ٩٣٦ - الثامن والعشرون : علوم السحر والطلسمات  
 ٩٣٦ - ٩٣٦ - التاسع والعشرون : علم اسرار الحروف  
 ٩٣٦ - ٩٤٢ - الثلاثون : علم الكيمياء  
 ٩٤٢ - ١٠٠٢ - الحادي والثلاثون : في ابطال الفلسفة وفساد منتحلها .  
 ١٠٠٢ - ١٠٠٩ - الثاني والثلاثون : في ابطال صناعة النجوم  
 ١٠١٠ - ١٠٢١ - الثالث والثلاثون : انتكار نمرة الكيمياء واستحالة وجودها  
 وما ينشأ من المفاصد من انتحالها .  
 ١٠٢١ - ١٠٢٣ - الرابع والثلاثون : كثرة التأليف في العلوم عائقة عن  
 التحصيل .  
 ١٠٢٣ - ١٠٢٨ - الخامس والثلاثون : المقاصد التي ينبغي اعتمادها في  
 التأليف  
 ١٠٢٨ - ١٠٢٩ - السادس والثلاثون : كثرة الاختصارات المؤلفة في  
 العلوم مخلة بالتعليم .  
 ١٠٣٠ - ١٠٣٦ - السابع والثلاثون : في وجه الصواب في تعليم العلوم  
 وطريق افادته - الفكر الانساني .  
 ١٠٣٦ - ١٠٣٨ - الثامن والثلاثون : في ان العلوم الالهية لا توسع فيها  
 الا نظر ولا توسع المسائل .  
 ١٠٣٨ - ١٠٤٢ - التاسع والثلاثون : في تعليم الولدان واختلاف مذاهب  
 الامصار .  
 ١٠٤٢ - ١٠٤٤ - الاربعون : في ان الشدة على المتعلمين مضرة بهم .  
 ١٠٤٤ - ١٠٤٥ - الحادي والاربعون : الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة  
 مزيد كمال في التعلم .  
 ١٠٤٥ - ١٠٤٧ - الثاني والاربعون : بعد العلماء عن السياسة ومذاهبها .  
 ١٠٤٧ - ١٠٥١ - الثالث والاربعون : حملة العلم في الاسلام اكثرهم من  
 المعجم  
 ١٠٥١ - ١٠٥٥ - الرابع والاربعون : في ان العجزة اذا سبقت الى اللسان  
 قصرت بصاحبها في تحصيل العلوم عن

ص

## اهل اللسان العربي

- ١٠٥٥ - ١٠٧٠ الفصل الخامس والاربعون: في علوم اللسان العربي: علم النحو  
- علم اللغة - علم البيان - علم الادب .
- ١٠٧١ - ١٠٧٢ - السادس والاربعون : في ان اللغة ملكة صناعية .
- ١٠٧٣ - ١٠٧٨ - السابع والاربعون : مفارقة لغة العرب لهذا العهد للغة  
مضر وحمير .
- ١٠٧٨ - ١٠٨٠ - الثامن والاربعون : لغة اهل الحضر والامصار لغة قائمة  
بنفسها مخالفة للغة مضر .
- ١٠٨٠ - ١٠٨١ - التاسع والاربعون : في تعليم اللسان المضري
- ١٠٨١ - ١٠٨٤ - الخمسون : ملكة صناعة اللسان غير صناعة العربية .
- ١٠٨٥ - ١٠٨٨ - الحادي والخمسون : تفسير الدوق البياني وتحقيق  
معناه .
- ١٠٨٩ - ١٠٩٢ - الثاني والخمسون : قصور اهل الامصار في تحصيل  
الملكة اللسانية .
- ١٠٩٣ - ١٠٩٦ - الثالث والخمسون: اتقسام الكلام الى فني النظم والنثر
- ١٠٩٦ - ١٠٩٧ - الرابع والخمسون : في انه لا تنفق الاجادة في فني  
المنظوم والمتنور معا الا لافضل
- ١٠٩٧ - ١١١٠ - الخامس والخمسون : في صناعة الشعر ووجه تعلمه
- ١١١٠ - ١١١١ - السادس والخمسون : في ان صناعة النظم والنثر انما  
هي في الالفاظ لا في المعاني .
- ١١١٢ - ١١١٦ - السابع والخمسون : في ان حصول هذه الملكة بكثرة  
الحفظ وجودتها بجودة المحفوظ .
- ١١١٦ - ١١٢١ - الثامن والخمسون : في بيان الطبوع من الكلام والمصنوع
- ١١٢٢ - ١١٢٣ - التاسع والخمسون : في ترفع اهل المراتب عن انتحال  
الشعر .
- ١١٢٤ - ١١٣٧ - الستون : في اشعار العرب واهل الامصار لهذا العهد .
- ١١٣٧ - ١١٦٩ الموشحات والازجال .
- خاتمة ١١٦٩

## فَهْرِسُ مُقَدِّمَةِ ابْنِ خَلْدُون

### صفحة

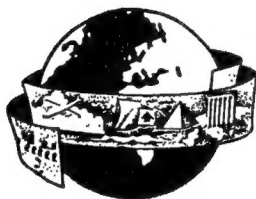
|             |   |
|-------------|---|
| ١١٧٥        | ١ - كلمة عامة                                 |
| ١١٨١        | ب - مصادر دراسة ابن خلدون                     |
| ١٢٨٥ - ١١٩١ | ج - الفهارس :                                 |
| ١١٩١        | ١ - فهرس الموضوعات                            |
| ١٢٠١        | ٢ - فهرس أعلام الرجال والنساء                 |
| ١٢١٩        | ٣ - فهرس لغة ابن خلدون                        |
| ١٢٤٨        | ٤ - فهرس الشعوب والقبائل والدول والاسر        |
| ١٢٥٦        | ٥ - فهرس البلدان والامكنة الجغرافية           |
| ١٢٧١        | ٦ - فهرس الكواكب والنجوم والابرار الفلكية     |
| ١٢٧٢        | ٧ - فهرس الحيوان                              |
| ١٢٧٣        | ٨ - فهرس النبات                               |
| ١٢٧٥        | ٩ - فهرس المعادن والجواهر والحجارة الكريمة    |
| ١٢٧٧        | ١٠ - فهرس اسماء الكتب الوارد ذكرها في المقدمة |
| ١٢٨١        | ١١ - فهرس آي القرآن الكريم والاحاديث النبوية  |
| ١٢٨٥        | ١٢ - فهرس مواد الكتاب                         |











## دار الكتاب المصري

طباعة - نشر - توزيع

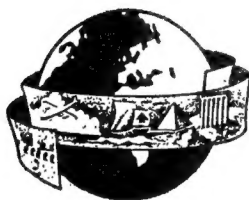
٣٣ شارع قصر النيل - القاهرة ج.م.ع.

تلفون: ٣٩٢٤٣٠١ / ٣٩٢٣١٦٨ - فاكسميلي ٣٩٢٤٦٥٧ (٢٠٢)

ص.ب.: ١٥٦ - الرمز البريدي ١١٥١١ - بريقيا، كتامصر

FAX: (202) 3924657

ATT.: MR. HASSAN EL - ZEIN



# دار الكتاب اللبناني

طباعة - نشر - توزيع

شارع مدام كوري - مقابل فندق بريسبول  
تلفون: ٧٦٥٧٦٦ - ٧٦٥٧٦٦ - فاكسميلي: ٣٥١٤٢٢ (٩٦١١)  
برقياً، ناكلبان - ص.ب. ١٧/٨٢٢٠ - بيروت - لبنان

FAX. (9611) 351433

A.T.: MR. HASSAN EL- ZEIN



**IBN KHALDUN**

**Volume Two**

DAR AL-KUTUB AL-MASRI  
CAIRO

DAR AL-KUTUB AL-LUBNANI  
BEIRUT